رسائل العلامة القاضي الحاج أحمد سكيرج الأنصاري الخزرجي
الجزء الأول



دراسة وتحقيق
الأستاذ محمد الراضي كنون الحسني الإدريسي

رقم الإيداع القانوني	97/1326
ردمك	9981 - 153 - 02 - 8

مطبعة
المؤلف	محمد الراضي كنون
الهاتف	01 39 21 98
	07 65 14 00

إهـــــداء

أغتنم هذه الفرصة لإهداء هذا العمل المتواضع لكافة أفراد أسرة العلامة سكيرج، وفي مقدمتهم نجله الدكتور الحاج محمد المقيم بمدينة طنجة، والسيدة ابنته المصونة مريم المقيمة بالرباط، ثم السادات الحفدة البررة سيدي محمد البشير وسيدي محمد الكبير وسيدي عبد الحي، وسيدي محمد علي، وسيدي أحمد رضا وسيدي المكي، وسيدي الطيب، وباقي أفراد هذه العائلة المجيدة كل واحد باسمه، كما أهديه بكل تواضع لروح العلامة الكبير القاضي الحاج أحمد سكيرج، راجيا من الله أن يجدد عليه الرحمات المتوالية ويسكنه فسيح جناته العالية.

تــقــديــم

مرت بتاريخ بلادنا شخصيات جليلة غمرها النسيان، بالرغم مما كان لها من حضور متميز، إن على الساحة السياسية أو على الصعيد العلمي. وقد يجد المرء عذرا في إهمال تاريخ تلك الشخصيات إذا كانت تعيش في القرون الخالية، أما إذا كانت من رجال الأمس القريب فإن ذلك مما يبعث على الحسرة حقا. لا سيما إذا كانت هذه الشخصيات ممن أدت دورها البارز في الميدانين العلمي والسياسي، من أمثال العلامة الجليل أبي العباس أحمد بن الحاج العياشي سكيرج الذي ألف أكثر من مائة كتاب، ما بين كبير وصغير، وفي شتى أنواع المعرفة، وكان فيها ما استحق أن يترجم بالجزائر إلى اللغة الفرنسية منذ مطلع هذا القرن الذي نعيشه. وكان من بينها الرحلات المتعددة التي كان مولعا بتسجيلها بقلمه، سواء فيها ما كان إلى الديار الحجازية أو الأراضي الفرنسية.

هذا العالم الجليل أذكر أنني كنت ألقاه بالرباط في بيت أستاذنا العلامة سيدي المدني ابن الحسني، على نحو ما أجتمع به كذلك في مجلس أستاذنا الجليل السيد الحاج محمد الصبيحي بسلا. كنت وقتها لا أملك الحق في أن أشارك مثل هؤلاء المشايخ في الحديث الذي كان يروج فيما بينهم، وخاصة عندما يتعلق الأمر بالأحاديث الشخصية التي كانت تجري بطريقة المعميات إن صح هذا التعبير.

ومع ذلك كنت أشعر بأن الرجل يحمل معه بضاعة ثقيلة من خلال ما يتحدث به من أخبار وأسرار. وزادني تعرفا عليه العم السيد الحاج أحمد التازي الذي كان كمعظم أفراد الأسرة ينتسب إلى الطريقة التجانية انتسابا مغرقا. إلى جانب أنه كان من العاملين بسخاء في الحقل الوطني والمساعدين البارزين في بناء مؤسسة محمد جسوس التي كان يديرها الأستاذ الحاج أحمد بلافريج رحم الله الجميع. ذلك الرجل المغمور لا يمكن أن يعرف المرء حجمه وسعة اطلاعه إلا بالاطلاع على ما حبره قلمه السيال، وما استطاعت ذاكرته أن تختزنه من فنون القول في مختلف الوظائف التي شغلها في مختلف جهات المغرب، وفي شتى المهمات التي تقلدها أصالة أو مع آخرين.

إن من واجب المغاربة أن يتعرفوا على هذه الظاهرة التي نسميها القاضي سكيرج، الذي كان يجد من الوقت ما ألف فيه هذا العدد العديد من الكتب والرسائل والفتاوي والقصائد، مما وجدت أصداءه في الإجازة العلمية التي سلمها إياه علامة فاس الشيخ العباس التازي.

ولقد اختارتني الصدفة أن أهتم برحلته المكية التي تمت أثناء الحرب العالمية الأولى، وبالضبط سنة 1334 هـ-1916م، عند اقتراح رئيس الجمهورية الفرنسية على السلطان مولاي يوسف أن يرسل بعثة سياسية إلى الحجاز لتهنئة الشريف حسين بن علي بانتصاره على العثمانيين أعداء فرنسا آنذاك. لقد وقع الاختيار على القاضي سكيرج الذي راح صحبته السيد عبد القادر بن غبريط، أولا للقيام بهذه المجاملة، وثانيا لأجل مفاتحة الشريف حسين في شأن إنشاء وقف مغربي هناك، حيث وجدنا القاضي يحمل معه رسالتين اثنتين، الأولى من جلالة السلطان، والثانية من وزيره في العدل الشيخ شعيب الدكالي. مع هذه الرحلة الممتعة عشت ومع أصدائها في الأرشيف العسكري الفرنسي في CHATEAU DE VINCENNE، حيث تعرفت على بقية أعضاء الوفد من الجزائر وتونس والسنغال.

كان أبو العباس سكيرج رائعا فيما يحكيه ويرويه عمن اجتمع بهم في تلك الديار، من العلماء والمنتقدين والزائرين أمثال الشيخ رضا رحمه الله. وقد قادتني هذه الرحلة الحجازية إلى الإستجابة للمشاركة في ندوة دولية عن الرحلات الحجازية تنعقد في خريف هذا العام. كما قادتني وهذا بيت القصيد إلى أن أتتبع آثار القاضي عن طريق أفراد أسرته، ومعظمهم من أصدقائي ورفاقي، وقد دلني هؤلاء على سيد جليل وفقه الله إلى جمع تراث القاضي والاهتمام به دراسة ونشرا. ولم يكن هذا السيد إلا الأستاذ الفاضل السيد محمد بن حمزة بن محمد الراضي كنون، الذي امتلأ حبا وتعلقا بالقاضي سكيرج، حيث أكبرت فيه فضيلة البرور هذه برجل أدى للعلم والمعرفة ما عرفنا. وزاد في تقديري للأستاذ السيد محمد بن حمزة كنون أنه يعتزم إخراج كتاب خاص عن ترجمة القاضي سكيرج، ومؤلفاته وأشياخه وتلامذته ورسائله وفتاويه ومسامراته ومحاضراته ومؤلفاته العلمية والأدبية. وتطوعت بأن أكتب له هذا التقديم الموجز إكبارا لجهده، ونداء إلى المثقفين من أبناء بلادي أن يحذوا حذوة هذا المؤلف ليعرفوا بمركز مواطنيهم بالأمس القريب، متمنيا له التوفيق والعون والسداد، وأن يكافئه الله على عمله الجليل.

الرباط في 1999/08/15

د. عبد الهادي التازي

عضو الأكاديمية الملكية المغربية

بسم الله الرحمن الرحيم

hـــəـــU'Njــــــة

قبل الشروع في عالم هذا المؤلف ومحتوياته ومعطياته، يسرني بالمناسبة أن أقدم تشكراتي الخالصة لكل من قدم لي يد المساعدة من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث القصير وإعداده.

وأخص بزيادة الشكر الأستاذ الفاضل سيدي محمد الكبير (1)، وذلك لما أسدى لي من إعانة ومساعدة وتوجيه، وما زودني به من نصائح عملية عبدت الطريق نحو تأليف هذا الكتاب وجمعه.

ولا يفوتني في هذه العجالة أن أكرر تنويهي بهذا الرجل الذي أكن له كل الاحترام والتقدير لما بذله من جهد جهيد في سبيل الاحتفاظ والعناية بخزانة جده العلامة سكيرج رحمه الله، ولما لا ! فذلك الغصن من تلك الشجرة، وعلى كل حال فقد استفدت كثيرا من معالم ومعارف هذه الخزانة المباركة، ولولا ذلك ما كان أبدا في وسعي واستطاعتي أن أجمع هذا الكتاب الذي أعده حسنة وافية من حسنات هذه الأسرة الكريمة.

---

(1) الأستاذ الجليل محمد الكبير بن عبد الكريم بن سيدي الحاج أحمد سكيرج، من مواليد مدينة الجديدة في 27 رمضان عام 1344هـ موافق 11 أبريل عام 1926م، وقد تقلد مناصب دبلوماسية هامة خلال مسيرته الإدارية، وهو الآن مقيم بمدينة الدار البيضاء، مع متمنياتنا له بالصحة والعافية.

hu____DŽد___ق___DŽ

الحمد لله حمدا يليق بجلاله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله، وعلى صحابته الكرام ومن اتبعهم إلى يوم الدين.

وبعد : فإن الله عز وجل تكفل بحفظ دينه الذي بعث به خاتم أنبيائه للناس كافة، فقد حفظ معجزة هذا الدين ودستوره الخالد، وهو القرآن الكريم، من التحريف والتغيير والتبديل، وليكون للعالمين في كل زمان ومكان رحمة وهداية وصراطا مستقيما لا يزيغ عنه إلا هالك.

وكان من دلائل حفظ هذا الدين أن هيأ الله رجالا يبينونه للناس ولا يكتمونه، فهم بحق ورثة الأنبياء، يقومون مقامهم في التوجيه والإرشاد، وتبيين أحكام الله في أفعال العباد.

وبالإضافة إلى حفظ المعجزة وقيام العلماء بأمانة البحث والدراسة والتذكير، أودع الله في هذه الأمة خصائص متعددة تجعل منها خير أمة أخرجت للناس، فهي أمة واحدة، لا تجتمع كلمتها على باطل، ولا تتغاضى عن منكر، أو تهمل في أمر بمعروف، إنها أمة جعلها الله شاهدة على غيرها من الأمم، فقد أعطاها المنهج القويم الذي به تقود وتسود، وبدونه تفقد منزلة الخيرية والقيادة والسعادة في الدارين.

وعرف تاريخ الأمة منذ عصر البعثة وإلى اليوم، وسيظل يعرف ما دامت السماوات والأرض، رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فهم يجاهدون بالقول والعمل في سبيل الله، سبيل الحق والبر، إنهم يعيشون حياتهم من أجل أن تظل أحكام الله وفرائضه معلومة للناس فلا يفرطون فيها، أو يحيدون عنها، وإنما يعتصمون في كل شأن من شؤونهم بها، ومن هنا كان مداد العلماء يعدل دماء الشهداء كما جاء في الأثر.

ومن الاعتراف بفضل هؤلاء العلماء الذين أعطوا لأمتهم الخير الكثير أن نذكرهم ونعرف تاريخهم وما قدموا من اجتهادات وآراء كانت على الطريق منارات هادية، حمت الأمة في عصور المحن والشدائد من كل الأخطار والأضرار.

وهذا الاعتراف بفضل هؤلاء العلماء فيه من ناحية أخرى ربط لحاضر الأمة بماضيها، وتوجيه للأجيال المعاصرة للانتفاع بتراث هؤلاء الأعلام الأفذاذ، والإقتداء بسيرتهم في العمل والعطاء.

ومن الأعلام الذين أبلوا البلاء الحسن في سبيل دينهم وأمتهم الفقيه العلامة المحقق الشهير أبو العباس سيدي الحاج أحمد بن الحاج العياشي سكيرج الأنصاري

الخزرجي الفاسي، حيث بلغت آثاره العلمية نحو مائة وستين مصنفا، وهذا مما يدل على أنه كرس حياته للتأليف والإفادة، لايرجو من وراءه بدلا، ولا عن ذلك الخير متاعا زائلا، وإنما يطمع لتكريس حياته في خدمة الإسلام والمسلمين، حتى تظل الأمة حية قوية باعتصامها بدينها، وبنهضة العلوم في ربوعها.

وكما هو معروف فقد درس العلامة سكيرج رحمه الله على جماعة من أكابر شيوخ عصره بفاس، وقام بعدة رحلات طلبا للمعرفة، وللوقوف على الكتب في شتى الفنون والعلوم، وتدل مؤلفاته الكثيرة التي ضرب بها في كل فن بسهم على وفرة التصانيف التي قرأها، والمصادر والمراجع التي اعتمد عليها، كما تدل على أنه كان موسوعي الثقافة، فهو فقيه، محدث، مفسر، أصولي، متكلم، مؤرخ، نحوي، لغوي، أديب، شاعر، صوفي، ولم يكن كغيره من العلماء ممن يقتصر في مؤلفاته على النقل والجمع والترتيب، وإنما كانت له شخصيته العلمية المستقلة التي انتفعت بكل مااطلعت عليه من سائر الفنون والفهوم الإنسانية.

لقد كان رحمه الله شغوفا بالقراءة يعطيها حيزا كبيرا من وقته، فلم يترك كتابا في عصره إلا اطلع عليه واستفاد منه، وهذا بالإضافة لتمتعه بطاقة ذهنية هائلة، تسمح له باستحضار الكثير من التآليف القيمة المتنوعة حفظا متقنا على ظهر قلب، وكان رحمه الله يحترم عقليته، وكانت له اجتهاداته وآراءه في كل ما ألف فيه، ومن ثم انتشرت تصانيفه في البلدان، وسارت بها إلى الأنجاد والأغوار والركبان.

ولايمكننا في هذه العجالة أن نستحضر جميع ما لهذا المفكر الشهير من إنجازات كبيرة في جوانب شتى من ميادين العلم والحياة، لكن سنحاول على قدر المستطاع ذكر نماذج مختلفة من مسيرته الموفقة، وأرى أننا مقصرون في حق هذا الرجل الذي أغنى الساحة الثقافية ببلادنا بإسهاماته الرائعة المتنوعة المجالات، وأعتقد أننا لم نوفه ولو جزءا مما يستحقه من إجلال وتقدير وتنويه.

وكلنا يعرف ما لهذا العالم الفذ من شهرة عارمة تعدت حدود الوطن إلى القارة بأكملها، وليومنا هذا لازلت كتبه في سائر الدول الإفريقية قائمة حية تشهد له بكامل شهادات التفوق والاستحقاق، وأعتقد أن الوقت قد حان لتسليط الأضواء الكاشفة حول هذه المعلمة التي شرفت اسم المغرب ورفعته في الكثير من المحافل المتعددة الأصعدة، ولن يكون هذا التسليط وضاء سوى بإحياء تراثه الخالد والعمل على طبعه ونشره، ليستفيد الناس من عطاءات هذا الذاكرة التي وإن غابت عن أعيننا لا يمكن أن تغيب ولو لحظة عن قلوبنا وإحساساتنا الحية.

وأرجو أن يكون هذا التأليف نقطة انطلاقة جديدة حول هذا المسعى الأكيد، وهدفي منه إحاطة الباحثين من أهل المعرفة بما لهذا الرجل من فكر ثاقب وبصيرة

نافذة، وكذلك لإلفاتهم إلى السمعة المرموقة التي كان يتمتع بها بين الأوساط الثقافية داخل العالم الإسلامي الكبير.

وقد جمعت في هذا المؤلف جزء من رسائله وبعض فتاويه وتقاييده، وسأحاول تحقيق ما أستطيع تحقيقه منها، من باب الزيادة في التوضيح لا غير، وإلا فهي واضحة جلية محققة تبعا للأسلوب الحديث المحكم الذي كان ينتهجه صاحبها في كتابته.

[illegible]

أخي القارئ : قد اعتنيت منذ أكثر من ست سنوات بجمع هذا الكتاب وترتيبه على الشكل والحلة التي يرتديها الآن بين يديك، وخلال دراسته وتحقيقه كنت أعود إلى ما تيسر لي بخزانتي البسيطة من المراجع المخطوطة والمطبوعة، وبالأخص تلك التي أخذ عنها الفقيه معلوماته المذكورة، وهناك في هذا الصدد عشرة تنبيهات أريد أن أبينها للقارئ الكريم وهي :

1- لم أتجرئ على تغيير النص الأصلي بأية زيادة أو نقصان، إلا أنني قمت بتقويم بعض الجمل غير المستقيمة بما يتلاءم والسياق، كما قمت بترميم بعض الألفاظ المخالفة للقواعد النحوية المضبوطة، وهذه الأخطاء ناتجة في أغلب الظروف عن عمل الناسخ أو من نسخ عنه.
2- هناك ثلاث رسائل أخذتهم من مسودتهم، وهذا لكون الأصول غالبا ما تأخذ الطريق لأصحابها، فتعاملت مع هذه الرسائل الثلاثة بحذر وإمعان وتأمل حفاظا على سلامة النص فيها من جهة، وصيانة للأمانة العلمية من جهة أخرى.
3- حققت: أسماء العلماء والأدباء والأفاضل الواردة في أجزاء هذا التأليف بما أراه صوابا وعرفت بأغلبها، كما أحلت على بعض مصادر الترجمة.
4- اقتصرت في الآيات القرآنية الكريمة على ذكر اسم السورة ورقم الآية.
5- أحلت في تخريج الأحاديث النبوية الشريفة على أمهات كتب الحديث المعتمدة.
6- بالنسبة لبعض القصائد الشعرية الموجودة ضمن هذا التأليف قمت بمراجعتها مراجعة دقيقة، ولتسهيل تناولها لدا القارئ بينت بعض معاني ألفاظها، معتمدا في ذلك على بعض معاجم اللغة العربية، كلسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط للفيروزابادي.
7- نظرا لوفرة المواضيع المتعلقة بالطريقة الأحمدية التجانية داخل هذا التأليف قمت بشرح وتدقيق للكثير من جوانبها التي تطرقت إليها الرسائل، كما بينت كل ما يحتاج إلى تبيين في هذا المنحى، معتمدا في ذلك على أصح النصوص المرجع إليها في الطريقة المذكورة.
8- اتبعت في ترتيب هذا الكتاب نسقا واحدا على مدا جزءيه، ويتمثل هذا النسق في اقتباس مقتطفات كافية من كل فن أو عمل كان الفقيه العلامة سكيرج يمارسه ويتعاطاه، وانطلاقا من هذا المنحى أخذت مجموعة متفرقة من رسائله وفتاويه ومسامراته وتقاييده، بالإضافة لبعض مؤلفاته القصيرة، فألبست لهذه النخبة المتنوعة حلة واحدة متجانسة الألوان، هادفا بذلك لتلبية جميع رغبات القراء والباحثين المتعطشين لهذا الموضوع، وابتدأت عملي المتواضع هذا بترجمة حافلة للعلامة الحاج أحمد سكيرج، تناولت فيها جوانب مختلفة من حياته المرضية، ثم عرفت بأساتذته وشيوخه المربين معرفة دقيقة، وختمت الترجمة المذكورة بقائمة لتآليفه الكثيرة، وقد توسعت فيها غاية لتكون شافية كافية. ثم تطرقت بعدها للرسائل، وبعدها لبعض فتاويه العلمية، ثم للمسامرات الإذاعية، ثم لبعض التصانيف المناسبة.

9- ختمت هذا التأليف بخاتمة ذكرت فيها بعض الآراء والأفكار التي كان العلامة سكيرج يدافع من أجلها بيده ولسانه وقلبه وقلمه، ولخصت في هذه الخاتمة كذلك المغزى الحقيقي من وراء جمع هذا الكتاب، والدور الذي يمكن أن يعمله في تقريب القارئ المغربي من معرفة أسلافه من العلماء والفقهاء والأدباء والأفاضل.

10- لتسهيل البحث على الطالب وضعت عند متم كل جزء من هذا الكتاب مجموعة من الفهارس المعينة للمقصود وهي :

فهرس المصادر والمراجع المعتمدة في البحث والتحقيق

فهرس الأعلام الواردة في التأليف

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الكتب

محتويات الكتاب.

ƚþيلƨ Ĭ ƪFيyااع ƚƑΘااع ǇدااعNjǴ Ƹيþyااع

هو الفقيه الفاضل الحاج العياشي بن سيدي عبد الرحمن سكيرج(1)، ولد بمدينة فاس سنة 1259هـ - 1841م، وبها حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة برواية ورش عن نافع، ثم تعاطى لحفظ المتون العلمية مع دراستها على أعلام كبار، من ذوي المقامات العلية، كالعلامة سيدي محمد بن الهاشمي الكتامي(2)، ونظيره العلامة البركة سيدي محمد بن المدني كنون، والفقيه سيدي التهامي كنون، والعلامة الشريف مولاي إبراهيم اليزيدي العلوي(3).

وبناء عليه كان الفقيه الحاج العياشي سكيرج رحمه الله ملما بعدة علوم. عارفا بها يتقنها غاية الإتقان. ولهذا قال في حقه ابنه العلامة سكيرج رحمه الله.

كان أبي يتقن علم التوحيد   مؤيدا فيه بكل تأييد
وكان عارفا بعلم الفقه مع   بعض النوازل التي بها انتفع
لا سيما مسائل الأحكام   وجل ما ينزل بالحكام
فإنه له التضلع القوي   وما به نهج نهجه السوي
وكان يتقن فرائد الحساب   وكان يحسن فرائض الكتاب
وكان ذا علم بفن الألغاز   بنوع إطناب ونوع إيجاز
وكان عارفا بفن الملحون   وفيه قد زاحم أهل الموزون
له قصائد من الأزجال   في الوعظ قد تمت بحسن الحال
وشهدت له شيوخ الموهوب   بأنه قد نال فيه المطلوب
من بعد ما قارع منهم من قرا   ومن به في الشعر تصدرا
ولم يكن يميل للبطاله   بل ألزمته نفسه أشغاله(4)

---

(1) الحاج عبد الرحمن سكيرج كان معاصرا للشيخ التجاني رضي الله تعالى عنه. محبا فيه متمسكا بطريقته. عاضا عليها بالنواجذ. لكنه لم يأخذ عنه الورد مباشرة لصغر سنه وقتذاك. بل أخذها بعد وفاته عن بعض الخاصة من المقدمين بفاس المحروسة. وقد ترجم له حفيده الحاج أحمد سكيرج في كتابه كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب. ص 239 فقال في حقه بعد كلام ما نصه : وكان يدعو كثيرا لمن تسبب له في الدخول في هذه الطريقة ويجازيه بالخير. ويقول له قد كنت في غفلة عن هذا الخير العظيم الذي أنعم الله به على هذه الأمة. والآن أحمد الله تعالى وأشكره على أن وفقني للدخول فيها. وكان يذكر في كل يوم من صلاة الفاتح لما أغلق أزيد من 3000 مرة إلى أن توفي رحمه الله وفاة الصالحين بعدما قرأت عليه الوظيفة الشريفة. وهو يقرأها. وعند فراغها قال لأهله : أين الكتاب الذي أتاني من عند الإله. وصار يبحث فوق الفراش عنه. حتى أخذوا كتابا ودفعوه له. فقال لهم : سبحان الله إنه سقط ولم يفرق بينه ثم شربه. فبمجرد شربه اضطجع وتشهد وخرجت روحه رحمه الله تعالى في 7 ذي الحجة الحرام عام 1311هـ وعمره يناهز 90 سنة. ودفن بأعلى يسار خارج باب عجيسة بفاس قرب سور البلد رحمه الله.

(2) أنظر ج 1 ص 20 من هذا المجموع.

(3) أنظر ترجمته في ج 1 ص 29 من هذا المجموع.

(4) انظر الغنيمة الباردة في ترجمة سيدنا الوالد وسيدتنا الوالدة للعلامة الحاج أحمد سكيرج ص 3.

وكان رحمه الله قويا صلبا، لا يحب أن يكون عالة على أحد من الناس(5)، ولذلك تعاطى حرفة الطرازة من صغر سنه، ثم زاول التجارة بعد ذلك مدة قبل أن يتعاطى لحرفة الوكالة بالمحكمة الشرعية بفاس، وهو رحمه الله من ضمن الجنود المغاربة الذين شاركوا في الدفاع عن حوزة الوطن، وذلك خلال حرب تطوان ضد الوجود والاحتلال الإسباني بها، ولقد جرح في إحدى المعارك هناك، وبقي ذلك الجرح يعاهده بالألم والإنتفاخ سنة بعد سنة. وعند احتضاره. انفجر ذلك الجرح وسال، فكان بذلك شهيدا خالصا يموت فوق فراشه(6) بتاريخ : يوم الأحد 4 جمادى الثانية سنة 1328هـ - 1910م.

وكانت تحت حوزته رحمه الله ثلاث نسوة، آخرتهن السيدة فروح أم الفقيه العلامة العارف بالله الحاج أحمد سكيرج.

وترك الحاج العياشي سكيرج خلفه خمسة ذكور، أكبرهم سيدي محمد سكيرج(7)، ثم العارف بالله الفقيه الحاج أحمد سكيرج، ثم سيدي عبد الوهاب، ثم سيدي عبد الخالق، ثم سيدي عبد الرحمان وهو الأصغر، أما الإناث فهن أربعة، أكبرهن السيدة راضية، ثم السيدة خدوج، ثم السيدة زينب، ثم السيدة عائشة.

---

(5) ذكر العلامة سكيرج في كتابه كشف الحجاب ص 217 ما نصه : وقد وقع لوالدي عمرني الله في رضاه، وأحسن إليه في دنياه وأخراه، أنه كان ملازما لقراءة دلائل الخيرات كل ليلة جمعة واثنين، مع جماعة في مسجد مجاور لدار سكناه، فاتفق له أنه لم يخرج في بعض الليالي، بل بقي بداره، وهم يقرؤون وهو يقرأ بقراءتهم حتى غلبه النوم، فبينما هو نائم إذ رأى أحد الجماعة مقبلا وهو يقول له : قم لترى النبي صلى الله عليه وسلم، فها هو ذا مار من هنا، ودخل ذلك الرجل لمسجد القراءة مسرعا، قال : فوقفت في طريقه متأدبا، فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم مقبل هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه، قال : فلما رأيته صلى الله عليه وسلم رميت نفسي عليه وصرت أقول له : أريد أن أمتع الملاحظة يا رسول الله، وصرت أكررها عليه، وأردت بذلك رؤية الخاتم، قال : فصار أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول لي : إن هذا الموضع مريض، ويشير لموضع الخاتم ويقول لي : لا تقربه، قال : فالتفت إليه (ﷺ) وقال له : دعه عنك حتى يمتع ملاحظه، ثم حل (ﷺ) طوقه الشريف، ورمى شملته عن كتفيه، وقال لي انظر، قال : فرأيت خاتم النبوة بين كتفيه (ﷺ)، وصورتها مثل كف يد بين الكتفين، والأصابع إلى أسفل مضموم بعضها إلى بعض، وفي منتهاها دارة الخاتم الشريف كالطابع المعمر، ولونها أحمر، قال : فصرت أقبلها وأضع عيني عليها، إلى أن قال لي (ﷺ) : يكفيك، فرفعت رأسي، وسد صلى الله عليه وسلم رداءه الشريف، ولما ذهبت ناداني (ﷺ) وقال لي : أتسمع ؟ قال فقلت له نعم يا سيدي يا رسول الله، فقال أنت ممن رأوا محمدا حقا، قال فلما سمعت منه ذلك حصل لي فرح عظيم حتى استيقظت من أجله، فوجدت الجماعة الذين يقرؤون في ذلك المسجد بلغوا إلى قول صاحب دلائل الخيرات رضي الله عنه : اللهم صل على صاحب الحسن والجمال والبهاء والكمال إلخ ... قال فقمت وتوضأت وذهبت إليهم وأخبرتهم بهذه الرؤيا، فتحققوا أن النبي (ﷺ) إنما جاء ليحضر للختم، وفرحوا غاية الفرح بذلك، وحصل لهم نشاط في المواظبة على القراءة بعد أن كان بعضهم يتراخى في الحضور، إلى أن أذن الله بفراق الجماعة بموت غالبهم، والبقاء لله الواحد القهار.

(6) وقد رثاه ولده العلامة سكيرج بقصيدة سينية قال في مطلعها :

من عادة الدهر أن يروع الناسا ... وأن يبدل بالإيحاش إيناسا

ولم يزل يسلب الدهر النفوس إلى ... أن يقصم الظهر ممن طاب أنفاسا

(7) انظر التعريف به في ج 1 ص 33 من هذا المجموع.

التعريف بوالدته السيدة فروح
بنت الحاج عبد الوهاب التازي

أما والدته فهي السيدة الفاضلة، والعابدة الناسكة الذاكرة، ذات الكرامات الواضحة، والمساعي الناجحة، السيدة فروح(1) بنت البركة المقدس الحاج عبد الوهاب بن محمد التازي(2) رحمه الله ورضي عنه.

تزوجها الحاج العياشي سكيرج بتاريخ 28 رجب عام 1294هـ - 1876م بعد انقضاء عدتها من وفاة زوجها الأول، وهو شقيقه الحاج محمد بن الحاج عبد الرحمان سكيرج، فكانت أول ولادة لها منه، هي ولادة العلامة العارف بالله الحاج أحمد سكيرج رحمه الله ورضي عنه.

وللفقيه الحاج أحمد سكيرج عدة قصائد وأشعار في والدته المذكورة. منها قوله في رثائها :

خل عنك اذكار يوم الشباب … فجميع الحياة مثل السراب
إنما هذه الحياة متاع … عرضت للعقاب أو للثواب
ليت شعري ما فاعل أنت فيها … لتراه بعرض يوم الحساب
أنت في غفلة تروح وتغدو … والهوى قد دعاك من ألف باب
فأجبت الهوى بكل اشتياق … لم تفرق بين الخطا والصواب
ورماك الهوى بكل هوان … غير مكترث كما قد رمى بي
كل يوم أقول إني قطعا … سأتوب غدا بغير ارتياب
فإذا ما أتى غد قلت من بعد غد سأتوب حسن متاب
لم أزل مقتادا لسوف ومالي … وازع من نفسي لكشف اكتئابي
فمتى أرعوي ومالي اتعاظ … بذهاب أحبتي واغتراب
كل يوم أنا مصاب وهذا اليوم عندي قد جل فيه مصابي
قد أصبت وفي مصابي مصيبات وفيها جرعت أعظم صاب
قد أصبت بفقد أم أراها … خير أم بها احترام جنابي
يعلم الله أنها خير أم … من رضاها لبست خير ثياب

---

(1) سماها والدها بفروح تيمنا باسم السيدة فروح والدة الخليفة المعظم العارف بالله سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي، مؤلف كتاب جواهر المعاني.

(2) سيدي عبد الوهاب بن محمد التازي. هو أحد أخوته السبعة الذين أخذوا الطريقة التجانية عن صاحبها القطب الشهير سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه. وكان ذلك مباشرة عنه بدون واسطة في السند. وهو رضي الله عنه من الواصلين الآخذين بالجد والاجتهاد. وقد توفي رحمه الله سنة 1277هـ. وترجم له حفيده العلامة الحاج أحمد سكيرج في كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب ص 238. وفي رفع النقاب لنفس المؤلف ج 4 ص 77 - 80. وفي نخبة الإتحاف للعلامة الفقيه الحجوجي رقم الترجمة 71.

يالقومي من فقدها فأنا مـــن | فقدها قد فقـدت كـل صــــواب
آه مما أنابني غيـر أنـــــي | لـم يكـن آه نـافعـي فـي منـابـي
أهـل ودي باللــه هل أنـتـم وفـيـتــــــم ببـروهـــا فـــي غـيـابــــــي
هل أقمتم لها مواسم خـيـــر | في قـدوم مـنــهــا علـى الوهـــاب
رب بالفضل منك أقبل عليها | وأثـبـــهـــــا لـديـك خـيـر ثـــواب
سيدي سيدي وأمن بـفـضــل | خوفـهــا الـيوم ثم يــوم الحســـاب(3)

وتوفيت رحمها الله تعالى بدارها بمدينة فاس في صباح يوم الاثنين 24 رمضان المعظم عام 1345هـ - 1927م.

---

(3) اﻟﺜار الجنيمة الباردة في ترجمة سيدنا الوالد وسيدتنا الوالدة للعلامة سكيرج f 28 ورثاها ايضا بقصيدة أخرى قال في مطلعها :

أوالدتي عني بفقدك في وجـدي | أكابد فـيـه ما أكابـدﻩ وحدي
تناءيت عني واستقر بك النوى | وكنت بقربي لا تميلي إلى البعد

ورثاها أيضا بقصيدة أخرى قال في مطلعها :

ما بال القلب في جـمـرات | قد توالت والنار في سفرات
وكـنـت قـد صـرت في عالـم آخر مما أصابني من سنات



صورة للعلامة سكيرج و هو يطالع كتاب (جواهر المعاني) على عتبة باب إحدى بيوت داره بمدينة سطات

[illegible]

ولد العلامة الحاج أحمد سكيرج في شهر ربيع الثاني عام 1295هـ - 1877م في مقابلة وجه الداخل بدرب سيدي يدير بحومة رأس التيالين من مدينة فاس بدار الشرفاء الطاهرين(1). وينحدر نسبه إلى شعبة الخزرج إحدى شعبتي الأنصار.

وقد رفع نسبه رحمه الله للصحابي الجليل سيدنا حسان بن ثابت(2) في الكثير من المناسبات، منها في مسامرته : كرامة الأولياء أمام عجائب المخترعات(3).

وكتب رحمه الله في التعريف بالشعبة السكيرجية ما نصه : الحمد لله، الذي تحصل لدي في الشعبة السكيرجية أنها على ثلاث فرق : سكان درب الفخارين في مجاورة الحرم الإدريسي بحاضرة فاس يزعمون أنهم علميون، وسكان طنجة وهم ممنون عليهم بالإسلام، ولهم أحباس بها كما بحوالتها القديمة، وقد انقرض نسلهم، أما أولاد صهيريج هناك فليس منهم، وسكان تطوان وهم خزراجيون، ومنهم أولاد سكيرج القاطنون بحومة القطانين بفاس من قديم، ولهم مصاهرة مسترسلة مع الشرفاء العراقيين من قديم، حتى أن العلامة الحافظ سيدي إدريس العراقي(4) أمه سكيرجية، والفقيه المهندس السيد الزبير بن عبد الوهاب سكيرج(5) أمه عراقية، وهو من هذه الفرقة، ومنهم العلامة سيدي محمد بن الطيب سكيرج(6) كاتب السلطان المولى محمد بن عبد الله الإسماعيلي، وأصل هذه الفرقة من الأنصار الخزرجيين القادمين مع العرب الفاتحين للمغرب، وقد استوطنوا جزيرة الأندلس بغرناطة، ولعل الجبل المطل عليها المسمى بسكيري هو الذي أقاموا به فنسبوا إليه بالجيم بدلا عن الياء كما هي لغة شادة من كلام العرب، فيقال في سكيري سكيرج، ومن أعجب ما حدثني به سيدنا الوالد رحمه الله أن نقيب الأشراف العلميين بفاس شيخنا

---

(1) انظر المزيد من التعريف حول ولادته في كتابه حديقة أنسي في التعريف بنفسي، وهو ضمن التآليف الموجودة ضمن هذا المجموع ج 1 ص 367-406.
(2) حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، صحابي جليل، وهو شاعر النبي صلى الله عليه وسلم، عاش 120 سنة، ستون منها في الجاهلية، ومثلها في الإسلام، توفي بالمدينة المنورة عام 54هـ. قال المبرد في الكامل : أعرق قوم كانوا في الشعراء آل حسان، فإنهم يعدون ستة في نسق، كلهم شعراء، وهم : سعيد بن عبد الرحمان بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام. انظر ترجمته في الإصابة لابن حجر العسقلاني ج 1 ص 326 وفي تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج 2 ص 247 وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 175.
(3) انظر هذه المسامرة في هذا المؤلف ج 1 ص 237-247.
(4) إدريس بن محمد بن إدريس بن حمدون الحسيني العراقي، حافظ، محدث، فقيه، من مؤلفاته شرح على الشمائل للترمذي، وتكميل مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا، وشرح إحياء الميت في فضائل آل البيت وغيرهم. وتوفي رحمه الله عام 1183هـ عن 63 سنة، انظر ترجمته في النبوغ المغربي لعبد الله كنون ج 1 ص 392 وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 356 رقم الترجمة 1422 وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 280 وفي سلوة الأنفاس لمحمد بن جعفر الكتاني ج 1 ص 141. وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 346 رقم الترجمة 769.
(5) انظر التعريف به في هذا المؤلف ج 1 ص 38.
(6) محمد بن الطيب بن عبد القادر بن الحاج حمو سكيرج، فقيه، أديب، عروضي، شاعر، كان كاتبا لدى السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ومن شعره قوله في مدح السلطان المذكور :

ولما رأيت البحر في الجود غاية   ومن جوده الدر النفيس المقلـد
سألته من في الناس علمك الندا   فقـال أمير المؤمنيـن محمد

ومن مؤلفاته رجزه المسمى : الشافي في علمي العروض والقوافي، توفي بالوباء في جمادى عام 1194هـ. انظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 4 ص 120-127.

العلامة سيدي عبد الله بن أبي العلاء إدريس البكراوي(7) رضي الله عنه استفهمه قائلا : لماذا لم تدع الشرف وكل من فيه رائحة المرابطية قد ادعاه، فقال له سيدنا الوالد : إن الشرف لم يدعيه أحد من أسلافنا، ولا أحب أن أكون حتى من العرب بدعوى الكذب، لقول الله تعالى : " الأعراب أشد كفرا ونفاقا(8)" الآية، فاستعظم من والدي هذا الجواب وازداد اعتبارا لديه، ولهذه الفرقة من السكيرجيين أحباس كثيرة داخل فاس وخارجها، من ذلك البلدة المسماة ببلد مسيكة الممتدة من جبل تغات في مقابلة وادي الجواهر إلى طريق سايس، وهي مذكورة في حوالة أحباس فاس الجديد(9)، إلخ ...

[illegible]

وفي سنة 1320هـ - 1902م تزوج رحمه الله بالسيدة الفاضلة فاطمة بنت السيد المكي(10) بن شقرون، وكان دخوله بها يوم الاثنين 16 شعبان الأبرك من السنة المذكورة، قال العلامة سكيرج: وقد وافق هذا التاريخ جمل قولك (عرس سعيد وافاك بنور).

---

(7) أنظر التعريف به في ص 30 من هذا المؤلف.

(8) سورة التوبة الآية 97.

(9) انظر ص 1 من رياض السلوان فيمن اجتمع بهم من الأعيان للعلامة سكيرج، النسخة الأصلية.

(10) والد زوجته الفقيه التاجر، سيدي المكي بن الحاج أحمد بن عبد المجيد، من حفدة العلامة الشيخ سيدي عبد القادر بن شقرون، دفين ضريح مولانا إدريس الأزهر بفاس، ولد في حدود عام 1280هـ، وحفظ القرآن الكريم حفظا جيدا على المدرر سيدي المفضل بن الصديق بن شقرون، والفقيه سيدي الغالي العلمي، والفقيه المدرر سيدي محمد الناصري الجبلي، انظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 190.



صورة للأستاذ الأديب سيدي عبد الكريم نجل العلامة سكيرج

وولد له منها سيدي عبد الكريم(1) على الساعة الحادية عشر ونصف من ليلة الثلاثاء 15 ربيع النبوي عام 1322هـ - 1904م.

وعن سبب تسميته بهذا الإسم قال العلامة سكيرج في كناشه : تطبيب النفوس بما كتبته من بعض الدروس والطروس ص 270 : سماه والدنا الحاج العياشي بعبد الكريم لأن الله تعالى تكرم علي وعلى أمه بالعافية، فإني كنت مريضا مرضا سلموا عليه فيه، فقد غبت عن عقلي ثمانية أيام، والمرض يزيد على شهرين، وأما أمه فإن الطلق أصابها أربعة أيام حتى سلموا عليها أيضا، وليت أبي سماه بمحمد.

وتوجه رحمه إلى مدينة طنجة عام 1327هـ-1909م، فاشتغل بها مستخدما بدار النيابة(2)، وكان أول يوم بدأ فيه العمل هو يوم الأربعاء فاتح ذي الحجة الحرام

---

(1) النابغة النبيه، والأستاذ الفقيه، الفنان الكبير، والأديب الشهير، سيدي عبد الكريم بن سيدي الحاج أحمد سكيرج، كان رحمه الله مرضيا عند والده يحبه محبة خاصة، وهو من الأدباء المتفوقين شعرا ونثرا، وله إلمام كبير بفن الخط بجميع أنواعه، وقد أطلعني ابنه الأستاذ الفاضل سيدي محمد الكبير على مصحف كريم كتبه بخطه، وهو في غاية النفاسة والجمال، وكثيرا ما كانت الجرائد والمجلات تنوه بعبقريته الكبيرة، خاصة فيما يتعلق بالألوان والخطوط البديعة والزخرفة، وإلى جانب ذلك كان له رحمه الله اهتمام وولوع بفن التصوير الفوتوغرافي، وقد أبدع فيه غاية الإبداع، كما ألف كتابا قيما سماه (المعرب عن تراجم بعض أعيان المغرب) غير أنه لم يتمه، وقد زينه بصور فوتوغرافية للعديد من الشخصيات التي ترجم لها فيه، ويعد هذا العمل من أولوياته التي لم يسبقه إليها أحد، ويكفيه فخرا أنه حافظ على خزانة والده العلامة القاضي الحاج أحمد سكيرج من التلف والضياع والآفات طيلة حياته، وخلاصة القول أن هذا الرجل جدير بكل ما قيل ويقال فيه من التنويه والتقدير والإكبار، وكانت وفاته بتاريخ 9 شعبان عام 1403هـ موافق 23 مايو سنة 1983م. ودفن بمقبرة سيدي مسعود بالدار البيضاء.

(2) في هذا الصدد قال العلامة سكيرج رحمه الله في كتابه ثمرة الفنون : طلب مني سيدنا العم الكبير سكيرج حفظه الله استعمال قصيدة في حضرة النائب الأرضى الفقيه سيدي محمد الجباص بعد اجتماعي به، فقلت بنت ساعتها فيه، وبعد اطلاعه عليها استخدمني معه بدار النيابة كاتبا ونصها :

فاز المحب من الحبيب بوصله ... فازداد فيه محبة في أهلـــه
ولطالما بخل الزمان بقربه ... واليوم جاد به علي بفضلـــه
كم بت أطلب زورة ألقى بها ... من فاق كل النائبين بعدلـــه
قطب السياسة والسيادة والعلا ... ومعز من حكم البغاة بذلـــه
بدر الدجى المولى محمد الرضى الجبـاص من شهد الأنام بفضلـه
الله من مولى يجل مقامه ... ويجل مولانا مقام محلـــه
كم ذب عن حرم الديانة والهدى ... ولديه قام بفرضه وبنفلـــه
وإذا رأى خيرا وأمرا صالحا ... يسعى إليه بخيله وبرجلـــه
فتراه يسرع للمصالح همه ... يخشى ملامة لائم في عذلـــه
يكفيه فيه بأنه في عصره ... مولى يجود بنفسه في شغلـــه
أشغاله في حفظ أمته وهل ... أبصرت من هو مثله بمحلـــه
يا أيها السند الذي المولى به ... أحيا رياض العلم بعد محلـــه
عش في أمان الله نحن لك الفدا ... وكمال فضلك ثابت في أصلـــه

من السنة المذكورة، وذكر رحمه الله أنه وجد بمدينة طنجة أجواء مخالفة للأجواء التي كان يعيشها بفاس، وذلك لاختلاف بعض العادات والتقاليد من جهة، ولغلبة الطابع الأوربي الغربي على بعض أهلها من جهة ثانية. ولما استأنف العمل بدار النيابة قال رحمه الله مباشرة خلال اليوم الأول منه :

على جميع شجوني　　　يا رب أنت معينـي
فاحفظ بفضلك ربي　　　عقلي وذاتي وديني



صورة للعلامة سكيرج وهو جالس بجلبابه الأسود عن يمين العلامة المؤرخ النقيب سيدي عبد الرحمان بن زيدان الإسماعيلي العلوي، والعلامة الفقيه سيدي محمد الرافعي الدكالي، وفي خلفه نجله الأديب سيدي عبد الكريم سكيرج، وفاضل آخر.

والسبب في استيطانه بمدينة طنجة في هذه الفترة هو كثرة الفتن التي كانت تعيشها مدينة فاس ونواحيها وقتذاك، وبعد أشهر قليلة من حلوله بمدينة طنجة تخلى العلامة سكيرج عن العمل بدار النيابة، وانتقل للعمل بجانب أخيه سيدي حماد بإدارة المراقبة بنفس المدينة. فاشتغل بها كاتبا ثانيا، وبقي في منصبه هذا مدة قصيرة ثم تخلى عنه، وفي عام 1328هـ - 1910م تزوج رحمه الله بابنة عمه سيدي الزبير سكيرج، بمدينة تطوان، ثم طلقها في شهر ربيع الثاني عام 1330هـ-1912م، وكان ذلك تلبية لطلب والدها المهندس سيدي الزبير سكيرج، وقد رزقه الله منها ولدا سماه سيدي محمد(1) وكانت ولادته بتاريخ 7 جمادى الثانية 1329هـ - 1911م.

وفي عام 1325هـ - 1907م استدعاه لمكناسة الزيتون العلامة سيدي عبد الرحمان بن زيدان(2) نقيب الشرفاء العلويين بالمدينة المذكورة، فأقام عنده أياما اجتمع فيها بالكثير من الأدباء والأفاضل، فألف في ذلك رحلته المسماة : الرحلة الزيدانية.

وفي سنة 1329هـ - 1911م سافر العلامة سكيرج صوب وهران تلبية لاستدعاء صديقه الفقيه العلامة سيدي الحبيب بن عبد المالك(3)، وكان سفره إليها على متن الباخرة من مدينة طنجة بتاريخ 15 جمادى الثانية من السنة المذكورة، وبهذه المدينة اجتمع رحمه الله بالعديد من رجال العلم والمعرفة والدين، ولكي لا تضيع أحداث هذه الرحلة العجيبة عمل رحمه الله على جمعها في كتاب سماه : الرحلة الحبيبية الوهرانية.

---

(1) انظر التعريف به في ج 1 ص 400 من هذا المؤلف.

(2) العلامة الأديب مولاي عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن علي بن زيدان بن السلطان الشهير مولانا إسماعيل، هو نقيب الشرفاء العلويين بمدينتي مكناس وزرهون، ولد رحمه الله في ربيع الثاني عام 1295هـ بمكناسة الزيتون، وبها حفظ القرآن الكريم، ثم التحق بفاس حيث أخذ عن كبار فقهاء القرويين بها، فبرز في الأدب والتاريخ والبلاغة والفقه والحديث والسيرة وغيرهم من العلوم الأخرى، وشيوخه رحمه الله كثيرون، منهم قاضي مكناس العلامة سيدي محمد بن القصري المكناسي، والعلامة الشيخ سيدي أحمد بن الخياط الزكاري، والفقيه سيدي أحمد بن الجيلالي الأمغاري، والعلامة سيدي محمد بن قاسم القادري وغيرهم، كما أجازه من خارج المغرب عدة شيوخ من الحجاز ومصر والشام والهند وتونس والجزائر.
وتقلد رحمه الله بعدها الطريقة الأحمدية التجانية عن العارف بربه العلامة سيدي العربي العلمي اللحياني الموساوي، أما وظائفه : فقد انتخب من بين علماء وقته مدرسا لتلامذة المدرسة الحربية بمكناس، ثم مديرا للمدرسة المذكورة، وله رحمه الله مصنفات كثيرة منها :
- إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، وإرشاد المستفيد لما للأمة من التفصيل في طبقات أهل التقليد، والدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، والعز والصولة في معالم نظام الدولة، والمناهج السوية في تاريخ الدولة العلوية، والنهضة العلمية في عهد الدولة العلوية، والنور اللائح بمولد الرسول الخاتم الفاتح، وبلوغ الأمنية في مدح خير البرية. وله غير ذلك من التآليف والرسائل والتقاييد، وكانت وفاته رحمه الله سنة 1365هـ - 1946م، انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ج 3 ص 335 وفي الأدب العربي في المغرب الأقصى لمحمد بن عباس القباج ج 1 ص 81، وفي دليل مؤرخ المغرب الأقصى لابن سودة المري ص 13 رقم 2.

(3) الفقيه العلامة المقدم الفاضل سيدي الحبيب بن عبد المالك، من خيرة علماء وهران وهو مفتيها، توفي رحمه الله على الساعة التاسعة صباح يوم السبت 11 رمضان المعظم عام 1359هـ ودفن بروضة بودومة بالمدينة المذكورة.

وصادفت عودته من بلاد الجزائر قدوم الشريف سيدي محمود(4) حفيد الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه، حيث وفد على المغرب لأول مرة قادما إليه من مقر أهله وأسلافه بقرية عين ماضي بالصحراء الشرقية، فطلب من العلامة سكيرج أن يرافقه في رحلة منتظمة لبعض مدن المملكة المغربية، فوافق العلامة سكيرج على طلب الشريف المذكور بشروط وضحها له داخل ضريح جده بالزاوية الكبرى بفاس(5)، واستغرقت هذه الرحلة بالنسبة للعلامة سكيرج أربعة أشهر كاملة، إلا أنه لم يستطع إتمامها فيما وراء رباط الفتح، وذلك نظرا لبعض العوائق الوقتية القاهرة، ومنها رجع رحمه الله إلى فاس حيث دون هذه الرحلة في كتاب قيم سماه : غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود.

ثم انتقل رحمه الله لمدينة طنجة حيث اشتغل كاتبا لدى باشا المدينة الحاج محمد الزكاي(6)، وفي عام 1332هـ - 1924م عين ناظرا لأحباس فاس الجديد، وبقي في هذا المنصب مدة أربع سنوات، وفي عام 1334هـ - 1916م توجه العلامة سكيرج للحج بعدما اختارته الحكومة الشريفة للنيابة عنها في تهنئة الملك حسين باستقلال الحجاز(7) فألف في هذه الرحلة كتابه : الرحلة الحجازية، ذكر فيه جميع الأحداث والمستجدات التي عاشها على رأس تلك البعثة الشريفة.

---

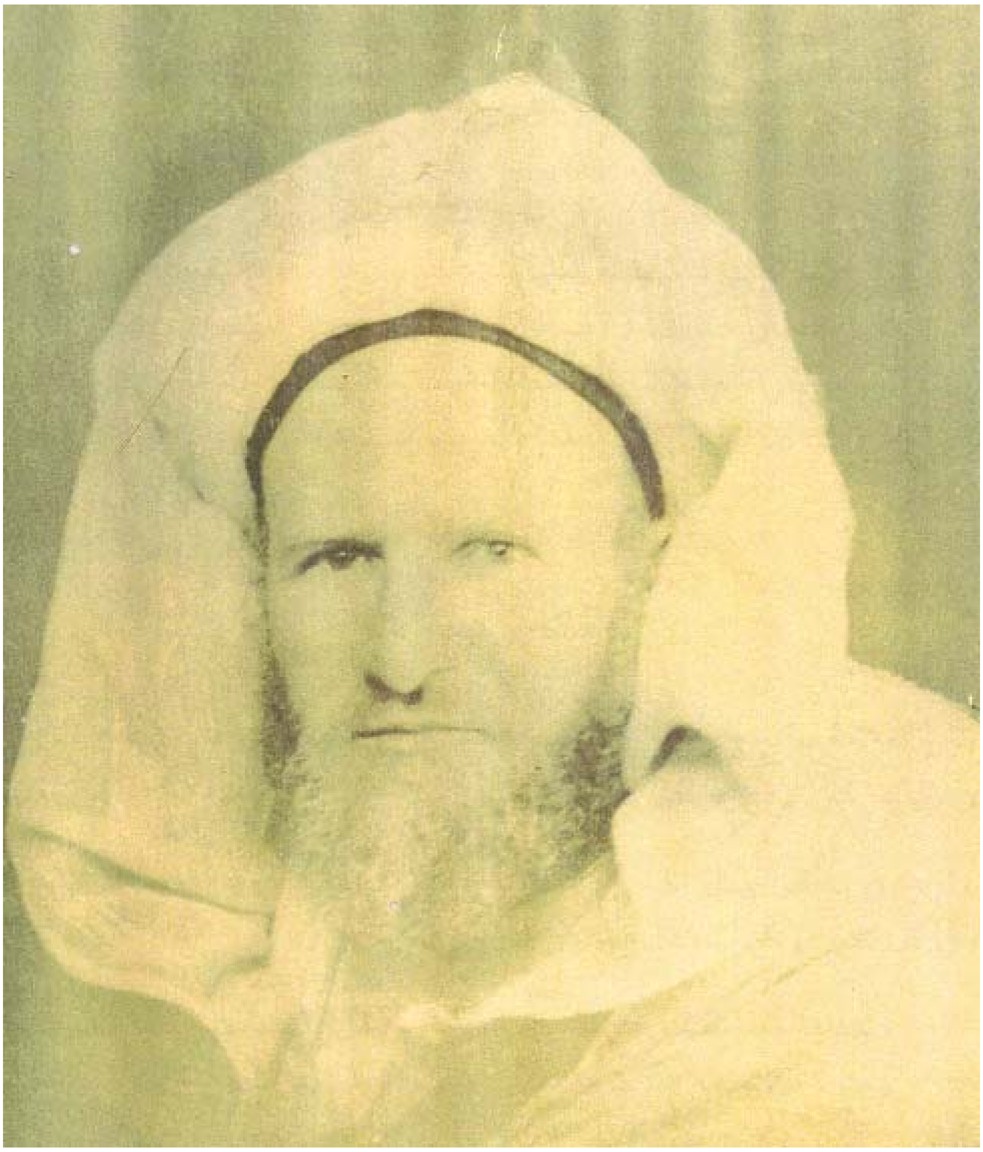
(4) البركة الشريف سيدي محمود بن سيدي محمد البشير بن سيدي محمد الحبيب بن الشيخ أبي العباس أحمد التيجاني رضي الله عنه، ولد عام 1297هـ بعين ماضي، أما وفاته فكانت في 14 محرم الحرام عام 1353هـ وكان عمره عند وفاته 56 سنة، انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 56 وفي نيل المرد للفقيه الحجوجي ج 1 ص 90.

(5) انظر غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود للعلامة سكيرج وهو ضمن التآليف الموجودة داخل هذا المجموع. ج 2 ص 29-186.

(6) انظر التعريف به في ج 1 ص 403 من هذا المجموع.

(7) انظر حديقة أنسي في التعريف بنفسي للعلامة سكيرج ج 1 ص 404 وهي ضمن التآليف الموجودة داخل هذا المجموع.

جاء في نص الظهير الشريف الذي حمله العلامة سكيرج مبعوثا به للشريف حسين بن علي ملك الحجاز ما يلي : اغتنمنا الفرصة لتوجيه أحد أعيان علماء العاصمة الفاسية، المنتخب من ذوي الأفكار الحسنة والأخلاق المرضية، وهو الفقيه السيد أحمد سكيرج، لرفيع حضرتكم نائبا عن جنابنا العالي بالله، في تجديد الروابط الودية، وتمثيل العلائق الإخائية، والتذكار فيما سلف لسلفنا الطاهر من سلفكم الصالح، من المصاهرة التي ما زالت بركتها ظاهرة وبادية، وعززناه برفيقيه مدير التشريفات بأعتابنا العالية الطالب عبد القادر ابن غبريط، وكلفناهما بالمذاكرة مع جنابكم المحبوب في كيفية ما ترمي إليه صدرنا من تأسيس وقف عندكم، اقتداء بأسلافنا الكرام، ورغبة فيما أعد الله لفاعل ذلك من المثوبة والإكرام. إلى آخر ما صدر به الظهير الشريف المذكور المؤرخ في 12 شوال عام 1334هـ.



صورة للعلامة سكيرج

ثم تولى رحمه الله مناصب قضائية مختلفة، منها ثلاث سنوات كقاض لمدينة وجدة ابتداء من سنة 1337ه -1919م، لكنه لم يجد بهذه المدينة وقتذاك معينا ومساعدا على الحق والفضيلة التي يتوخاها، فطلب الإستعفاء منها من الحضرة السلطانية الشريفة، وأرسل في صدد ذلك قصيدة لوزير العدلية الشيخ أبي شعيب الدكالي(1)، قال في مطلعها :

إن القضاء قضى علي بوجـــدة	يا ليـت وجدة أو أنا لـم توجـد
قد ضاع علمي إن أطلت إقامتي	من بينهم فتلاف ذا التلف الردي(2)

فأعفي من القضاء بوجدة(3)، وفي شهر ذي الحجة الحرام من سنة 1340هـ-1922م عين بمدينة الرباط عضوا ثانيا بالمحكمة العليا بالأعتاب الشريفة، فأقام بالعاصمة سنة ونصف، إلى حدود أوائل شهر شعبان عام 1342هـ-1924م حيث جاء تعينه على رأس القضاء بمدينة الجديدة(4) ونواحيها، وبقي رحمه الله في هذا المنصب 5 سنوات كاملة، وفي شهر ذي القعدة الحرام سنة 1347هـ-1928م تولى القضاء بمدينة سطات(5) إلى غاية وفاته بمراكش عام 1363هـ-1944م.

Ŷɛ ǈǰǅŽƟƥ ǈǰǚFƷǋ

كان العلامة سكيرج رحمه الله مصابا بداء السكري، وكان يعاني منه كثيرا في بعض الأحيان، وغالبا ما كان يتابع مراحل علاجه بإحدى المصحات المختصة بالدار البيضاء.
ولم يكن يخطر ببال أحد أن العلامة سكيرج سيتوفى ويدفن بمراكش، لكن المشيئة الإلاهية فوق كل تقدير وحساب، قال الشاعر :

مشيناها خطا كتبت علينا	ومن كتبت عليه خطا مشاهـا
ومن كانت منيته بـأرض	فليس يموت في أرض سواها

(1) انƱار التعريƑ به في ج 1 f 41 من هذا المجموƳ.
(2) انƱار حديقة أنسي في التعريƑ بنƼسي للعلامة سكيرج ضمن هذا المجموƳ ج 1 f 405.
(3) كان رجوƳ العلامة سكيرج من مدينة وجدة ǐلƓ فاƩ بتاريƺ يوم الخميƩ 4 Ʒوال عام 1340، وبقي رحمه اƅ بƼاƩ مدة ƫǊرين قبل أن يƘتيه التعيين الجديد بالعمل كعضو ƛاني بالمحكمة العليا بالأعتاب الƪريƼة بالرباƱ.
(4) مدينة الجديدة عاصمة منƱقة دكالة، تبتعد عن مدينة الدار البيضاء بـ 90 كيلومتر جنوبا علƓ ƽƈة البحر وهي مدينة وهي مدينة سياحية جميلة .
(5) مدينة سKلƱ تبتعد عن مدينة الدار البيضاء بـ 70 كيلومتر اتجاƋ مدينة مراكƫ ، وهي من أهم حواضر منƱقة الƪاوية بالمƺرب.

وقبل وفاته رحمه الله بثلاثة أيام، عاوده المرض واشتد عليه، فحمل فورا لمراكش من أجل العلاج في إحدى المصحات هناك، فأجريت له بها عملية جراحية توفي بعدها بقليل، وذلك يوم السبت 23 شعبان عام 1363هـ الموافق 12 غشت سنة 1944م.
وكان يوم جنازته يوما رهيبا، اهتزت فيه المدينة المذكورة، وحضر تشييع جنازته جم غفير من العلماء والفقهاء والأفاضل من كل ناحية وصوب، ودفن رحمه الله بضريح الولي الصالح العلامة القاضي أبي الفيض عياض بن موسى اليحصبي(6).

[illegible]

اهتم العلامة سكيرج اهتماما بالغا بتراجم شيوخه الذين أخذ عنهم العلم والمعرفة منذ صباه، فاعتنى بجمع أخبارهم وأقوالهم، وذكر مقاماتهم وأحوالهم، مع ما يضاف إلى ذلك من مواعظهم الحميدة، ونصائحهم السديدة، وكتابه قدم الرسوخ فيما لمؤلفه من الشيوخ خير شاهد على هذا الإعتناء الكبير، فقد ضم بين طياته عشرات من الإجازات والأسانيد الموثوقة العالية، وقد استعمل رحمه الله أسلوبا بديعا في تنسيقها وترتيبها وفق الأسلوب الحميد اللائق، وأول ما أبتدئ به في هذا الباب ذكر بعض شيوخه الذين أخذ عنهم القرآن العظيم، فمنهم الفقيه الجليل سيدي محمد بن الهاشمي الكتامي، وهو عمدته في استظهار كتاب الله وحفظه وتجويده، وعلى يديه ختم السلكة أكثر من مرة، فخلص له بذلك نفع عظيم، وتوالت عليه بركات الذكر الحكيم، وبعد ذلك أخذ رحمه الله الفاتحة بالقراءات السبع وكان ذلك عن سبعين شيخا من خيرة أساتذة هذا العلم الجليل.

---

(6) للعلامة سكيرج تأليف قيم نظم فيه كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض بجزئيه الأول والثاني، وفرغ من تصنيفه في 21 ربيع الأول عام 1350هـ وبعد هذا التاريخ حدث مرة أن العلامة سكيرج رحمه الله استيقظ من منامه في وقت متأخر من الليل، فطلب من زوجته أن تحضر له قلما وورقة ليقيد رؤيا منامية رآها وقتذاك، وفحوى الرؤية المذكورة أنه شاهد نفسه في مجمع للعلماء والسادات الأفاضل بضريح القاضي عياض بمراكش وكان من جملة الحاضرين فيه صاحب الضريح العلامة القاضي أبو الفضل عياض، ولما انفض المجلس وأراد العلامة سكيرج أن ينصرف منه، رأى الأبواب قد أغلقت عليه داخله، فلم يستطع الخروج.
وكتب العلامة سكيرج بهذه الرؤيا إلى بعض أصدقائه ومحبيه، منهم العلامة البركة سيدي إبراهيم انياس الكولخي، من خلال آخر رسالة بينهما، حيث ذكر له نص هذه الرؤيا وختمها ببيتين من شعره قال فيهما رحمه الله:

كم سائل عن حالتي … من خارج وداخل
قلت له سفينة العمر … رست بالساحل

قال العلامة سيدي إبراهيم انياس رحمه الله: فهمت من تلك الرؤيا المشار إليها ومن البيتين اللذان ختم بهما رسالته أنه ينعي نفسه رضي الله عنه.
وهكذا تحققت هذه الرؤيا العجيبة ليدفن القاضي بجانب القاضي، وليرقد ناظم الشفا بجانب مؤلفها، فرحم الله الجميع ورضي عنهم وأسكنهم فسيح جناته.

ومن هؤلاء الشيوخ العلامة سيدي محمد بن عبد الله، الفاسي(7) موطنا، الشاوني أصلا، وهو عمدته في هذه القراءة وقد أجازه فيها بسنده المبارك العالي ونص إجازته :

بسم الله الرحمان الرحيم، اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم، الحمد لله الذي لا ينبغي الحمد إلا له، حمدا يوصل إحسانه، ويكافي إفضاله، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد أفضل من رفع الإسناد، وأرفع من أجاز الرواية عنه في كل ناد، وعلى آله المهتدين، وصحابته الذين بلغوا الدين.

وبعد فإن أخانا في الله، الفقيه النبيه، العالم العلامة النزيه، اللوذعي الأريب، الألمعي الأديب، أبا العباس سيدي أحمد بن سيدي الحاج العياشي سكيرج الأنصاري، ممن جاد فهمه، وغزر علمه، وله اليد الطولى في العلوم، منطوقها والمفهوم، معقولها والمنقول، وما جاء فيها عن الرسول، طلب مني أن أجيزه بجميع مقروءاتي، وإن كنت لست أهلا لذلك، ولا ممن يسلك تلك المسالك، لقصور باعي مع بضاعتي المزجاة، وعجزي عن ترقي تلك الدرجات، لكن لحسن نيته، وصدق سريرته، وصفاء طويته، وصداقة أخوته، أجبته لما أمل، وأسعفته فيما عليه عول، اغتناما للثواب، ورجاء للأجر من الملك الوهاب، فأقول، والله يبلغني وإياه حسن المأمول.

قد أجزته أعلى الله مقامه، وبلغه من خير الدارين ما رامه، ونفع به المسلمين، وأقام بمنهجه سنة سيد المرسلين، في جميع الكتب الست الصحاح، وفقه إمامنا مالك رضي الله عنه، وما يوصل لذلك من نحو ولغة ومنطق وبيان وأصول، وغير ذلك مما له بالعلم إلمام، إجازة مطلقة عامة على التمام، كما أجازني بذلك أشياخي طيب الله ثراهم، وجعل أعلى الفردوس مأواهم.

---

(7) العلامة الأستاذ سيدي محمد بن الحاج محمد بن عبد الله الشاوني أصلا، الفاسي موطنا، من خيرة الحفاظ الملمين بأحكام القراءات السبع، ولد بفاس عام 1286هـ، وبها تلقى العلم عن جماعة من العلماء منهم : سيدي التهامي بن المدني كنون، وسيدي محمد فتحا بن قاسم القادري، وسيدي أحمد بن الخياط، وسيدي حمان الصنهاجي، وسيدي محمد فتحا بن محمد بن عبد السلام كنون، وسيدي محمد بن التهامي الوزاني، وسيدي محمد بن علي الأغزاوي وغيرهم.
وهو من المتقيدين بعهد الطريقة التجانية، حيث أخذها وأجيز فيها عن جماعة منهم : العلامة سيدي الحاج محمد فتحا كنون، والشريف البركة سيدي محمود حفيد الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه، والعارف بالله سيدي أحمد العبدلاوي، والمقدم الملامتي سيدي محمد بن الحاج أحمد بن سلطان الشركي بالقاف المعقودة وغيرهم. وله تصانيف منها : تحفة الخل الوفي بشرح ألفاظ الحزب السيفي، والجوهر الفاخر في شرح صلاة الفاتح، وكشف المعاني والأسرار بشرح تحفة أبي عبد الله الفخار لنظم متن الأجرومية، وكمال الفرح والسرور في التحذير من العقوق والحث على البرور، ومولد نبوي، وغير ذلك.
انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 3، وفي فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 210.

كما أجزته بقراءة القرآن العظيم برواية ورش(8) عن الإمام نافع(9)، رواية ودراية بما يعرض لها من تجويد وإخفاء وغنة ومخارج حروف وصفاتها، وما يتبع ذلك من التقرير والتحرير.

كذلك أذنته أيضا في قراءته برواياته السبع المشهورة المقررة في الكنز(10) والتيسير(11) وغيرهما، من شروطه ووسائله وفروعه ومسائله المقررة في النشر(12) والجعبري(13) والمحاذي(14) وغيرهم من الكتب المعتمدة في الفن، إجازة تامة، مطلقة عامة، بشرطها المعتبر، وقيدها المقرر، كما أجازني به شيخنا وقدوتنا الفقيه الجليل، المجود المتقن النبيل، سيدي الهاشمي المصوري، إمام ضريح الولي الأشهر، والغوث الأكبر، مولانا إدريس الأنور، عن شيخه الشريف الجليل، العالم العلامة النبيل، ذي المزايا الكبيرة، والمآثر الشهيرة، سيدي إدريس البدراوي(15)، عن شيخه العالم الأكبر، العلامة الأشهر، ملين القلب القاسي، أبي عبد الله سيدي محمد

---

(8) عثمان بن سعيد بن عدي المصري، أحد راويي قراءة نافع، غلب عليه لقب ورش لشدة بياضه، أصله من القيروان بتونس، ولد بمصر عام 110هـ، وبها توفي عام 197هـ، انظر ترجمته في طبقات القراءة لابن الجزري ج 1 ص 502، وفي إرشاد الأريب لياقوت الحموي ج 5 ص 33، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 205.

(9) أبو رويم نافع بن عبد الرحمان بن أبي نعيم الليثي، قارئ المدينة، تلقى القراءة عن سبعين رجلا من التابعين، أخذوا عن أبي بن كعب وعبد الله بن عباس وأبي هريرة، توفي رحمه الله عام 169 هـ انظر ترجمته في طبقات القراء لابن الجزري ج 2 ص 330 - 334.

(10) كنز المعاني شرح حرز الأماني للشاطبي تصنيف العلامة إبرهيم بن عمر الجعبري.

(11) التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني نشره وحققه المستشرق برتزل PRETZEL في الأستانة عام 1930م.

(12) النشر في القراءات العشر لابن الجزري طبع بدمشق سنة 1345هـ.

(13) إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري، عالم بالقراءات، من فقهاء الشافعية، ولد بقلعة جعبر على نهر الفرات بالعراق عام 640هـ، وتوفي بمدينة الخليل بفلسطين عام 732هـ، وله أكثر من مائة تصنيف معظمها في علوم القرآن، منها: كنز المعاني شرح حرز الأماني للشاطبي، ونزهة البررة في القراءات العشرة، وعقود الجمان في تجويد القرآن.
انظر ترجمته في طبقات القراء لابن الجزري ج 1 ص 21، وفي الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ج 2 ص 50، وفي طبقات الشافعية للسبكي ج 6 ص 82، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 55.

(14) المحاذي، في علم القراءات، للعالم العلامة سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي.

(15) إدريس بن عبد الله بن عبد القادر بن أحمد بن عيسى الحسني الإدريسي الودغيري، الملقب بالبكراوي بالقاف المعقودة، حامل راية القراء في وقته، إليه المرجع في علوم القراءات، له فيها 18 تصنيفا، بالإضافة لتصانيفه في علوم أخرى، وهو والد العلامة الشهير سيدي عبد الله البكراوي، توفي رحمه الله بعد صلاة العشاء من ليلة الأربعاء 16 محرم الحرام عام 1257هـ، ودفن قريبا من قبة الولي الصالح سيدي أحمد اليمني، انظر ترجمته في سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 2 ص 343- 345، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 397 رقم الترجمة 1585، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 279، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 356 رقم الترجمة 791.

ابن عبد السلام الفاسي(16)، عن شيخه الشريف المنيف، العالم العلامة العفيف، أبي زيد سيدي عبد الرحمان المنجرة(17) الإدريسي الحسني، عن والده أبي العلاء سيدي إدريس(18)، وبقية السند مذكور في غير ما ديوان، في كتب أرباب هذا الشان.

وأوصي الأخ المذكور بالتقوى، في السر النجوى، والبراءة من الدعوى، وأن يخلص لي جزءا من دعائه، ويجعل لي قسطا من رغبائه، على وجه الشفقة علي فيما ألقاه، عسى أن يتحفني مولاي برضاه، ويختم لي بحسن الختام، ويجعلني في جوار الرسول عليه الصلاة والسلام، بجاه من له الجاه، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما بلا غاية ولا تناه.

---

(16) محمد بن عبد السلام بن محمد فتحا بن عبد السلام بن العربي بن يوسف الفاسي، الأستاذ المحقق المجود العلامة، المنفرد بتحقيق الأحكام القرآنية، ولد بفاس عام 1130هـ، وبها تلقى العلم عن جماعة من أكابر فقهائها، منهم الشيخ أبي حفص عمر الفاسي، وأبي عبد الله محمد بن الحسين الجندوز المصمودي، والشيخ أبي زيد عبد الرحمان بن إدريس المنجرة الحسني، وغيرهم. وله رحمه الله مصنفات كثيرة منها: المحاذي في علم القراءات، والقول الوجيز في قمع الزاري على حملة كتاب الله العزيز، وتصنيف في مخارج الحروف، وحاشية على شرح الجعبري لحرز الأماني، وتقاييد المقرئين، وشرح لامية الأفعال لابن مالك، في مجلد ضخم، وفهرسة جمع فيها أشياخه المعتبرين، وغيرهم. وتوفي رحمه الله بمرض الاستسقاء يوم الأربعاء 12 رجب عام 1214هـ، ودفن بجوار جدنا أبي المحاسن الفاسي، داخل القبة عند رأس ضريحه، انظر ترجمته في سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 2 ص 318، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 848 رقم الترجمة 480، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 206.

(17) عبد الرحمان بن إدريس بن محمد بن أحمد المنجرة الحسني الإدريسي التلمساني، شيخ المغرب في علوم القراءات وأحكام الروايات، ولد بفاس في يوم الأحد 21 شوال عام 1111هـ، وبها تلقى العلم عن أكابر شيوخ جامع القرويين، وفي سنة 1164هـ تولى الإمامة والخطابة والتدريس بمسجد الشرفاء بفاس، وبه بقي إلى أن توفي ضحوة يوم الأربعاء 5 ذي الحجة الحرام عام 1179هـ، وصلي عليه بعد صلاة الظهر بمسجد القرويين، ودفن جوار الإمام سيدي عبد الواحد بن عاشر، قرب المصلى خارج باب الفتوح بفاس.
انظر ترجمته في سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 2 ص 270، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 569 رقم الترجمة 325، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 298، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 354 رقم الترجمة 1415.

(18) إدريس بن محمد بن أحمد الحسني الإدريسي المعروف بالمنجرة، شيخ المقرئين في المغرب، تخرج على يديه جملة القراء، ولد بمدينة فاس في شهر ذي القعدة عام 1076هـ، وبها تلقى العلم عن رجال المعرفة بجامع القرويين، والتقى بالشيخ سيدي أحمد بن الولي الصالح الشيخ سيدي محمد بن ناصر الدرعي وأخذ عنه الورد، وناوله السبحة وصافحه وشابكه ولقنه، والتقى كذلك بعدة شيوخ من المشاهير، وقد ذكر جميعهم في فهرسته المسماة: عذب الموارد في رفع الأسانيد، وله تصانيف كثيرة في علم القراءات نظما ونثرا، وكانت وفاته رحمه الله عند زوال يوم الثلاثاء 22 محرم الحرام عام 1137هـ، ودفن في اليوم الموالي قرب المصلى خارج باب الفتوح، بجوار قبر الإمام سيدي عبد الواحد بن عاشر، أنظر ترجمته في سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 2 ص 272، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 568 رقم الترجمة 324، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 280، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 334 رقم الترجمة 1312.

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم، وكتبه خادم العلم والعلماء، رقيق الأعتاب التجانية، محمد بن الحاج محمد بن الحاج لحسن بن عبد الله، عامله الله بلطفه الخفي يوم لقاه، وغفر له ولولديه وأولاده وجميع من والاه، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

وأخذ العلامة سكيرج سورة الفاتحة بالقراءات السبع كذلك عن الفقيه سيدي محمد بن الجيلاني السجداني(19)، والفقيه الطيبي بن الحاج بن الطيبي(20)، والفقيه علي بن المعلم محمد الفاتحي الدكالي(21)، والفقيه محمد التهامي بن المقدم علي الودراسي(22)، والفقيه سيدي عبد الكريم بن محمد العلوي(23)، والفقيه الحاج محمد بن التباع الشرقاوي(24)، والفقيه محمد بن المهدي الزفري(25)، والفقيه الحاج أحمد بن الطيب الوادراسي(26)، والفقيه قاسم بن العربي الهلالي(27)، والفقيه محمد بن دحمان الدكالي البوعزاوي(28)، والفقيه العربي بن عبد الله البوعزاوي(29)، والفقيه أحمد بن بوبكر العوني(30)، والفقيه محمد بن هاشم المسكيني السالمي الشيخاوي(31)،

---

(19) محمد بن الجيلاني السجداني العرايشي الصرعيني، ولد بدوار العرايش من بلدة بني سجدانة عام انظر ترجمته في : خزانة أدبية وفوائد علمية، للعلامة سكيرج، ص 18.

(20) الطيبي بن الحاج ابن الطيبي، من أولاد سيدي جابر دفين تادلة، انظر : خزانة أدبية، للعلامة سكيرج، ص 21.

(21) علي بن المعلم محمد الفاتحي الدكالي العمري، من حفدة الولي الصالح سيدي مفتاح دفين الرحامنة، ازداد بأولاد عمرو من قبيلة دكالة عام 1293هـ، انظر : خزانة أدبية، للعلامة سكيرج، ص 21.

(22) محمد التهامي بن المقدم علي بن الأشهب الودراسي أصلا القصري مولدا وقرارا، ازداد به عام 1292هـ، انظر : خزانة أدبية، للعلامة سكيرج، ص 21.

(23) سيدي عبد الكريم بن محمد بن الصادق بن العربي العلوي، ازداد بمدينة مراكش، انظر : سبيل النفع بتراجم من أخذنا عنه الفاتحة برواية السبع، للعلامة سكيرج، ص 15.

(24) الحاج محمد بن التباع الشرقاوي التجاني، ازداد في حدود عام 1290هـ، انظر : سبيل النفع بتراجم من أخذنا عنه الفاتحة برواية السبع، للعلامة سكيرج، ص 4.

(25) محمد بن المهدي بن عبد السلام الزفري، من مدشر الشجيرات من قبيلة فحص طنجة، ازداد بالمدشر المذكور عام 1276هـ، انظر ترجمته في : خزانة أدبية، للعلامة سكيرج، ص 22.

(26) الحاج أحمد بن الطيب بن علال، من قبيلة وادراس من فخذة أولاد علال، ازداد عام 1286 هـ انظر : خزانة أدبية، للعلامة سكيرج، ص 24.

(27) انظر : خزانة أدبية، للعلامة سكيرج، ص 25.

(28) انظر : خزانة أدبية، للعلامة سكيرج، ص 25.

(29) انظر : خزانة أدبية، للعلامة سكيرج، ص 25.

(30) انظر : خزانة أدبية، للعلامة سكيرج، ص 25.

(31) انظر : خزانة أدبية، للعلامة سكيرج، ص 26.

والفقيه محمد بن عبد الرحمان الزيراوي الشيلحي(32)، والفقيه محمد بن أحمد الجبلي المرني(33)، والفقيه العلامة المهدي بن عبد السلام بن المعطي متجينوش الأندلسي الرباطي(34) وغيرهم.

[illegible]

1- العلامة محمد بن أبي النصر البكراوي(35).

2- العلامة عبد السلام بن عمر العلوي(36).

---

(32) محمد بن عبد الرحمان الزيراوي الشيلحي، ازداد بدوار الشليحات في قبيلة أولاد بوزيري عام 1311هـ، حفظ القرآن الكريم بالقراءات السبع في ثمان سنوات، انظر خزانة أدبية، للعلامة سكيرج، ص 26.

(33) محمد بن الفقيه السيد أحمد الجبلي المرني، من مدشر كرنان الفوقي من قبيلة سماتة بشمال المغرب، ازداد بمدشر أولاد رياح من قبيلة الشاوية بأولاد حريز في حدود عام 1285هـ. انظر: خزانة أدبية، للعلامة سكيرج، ص 31.

(34) المهدي بن عبد السلام بن المعطي متجينوش الأندلسي الرباطي، من ذرية الصحابي الجليل سيدنا عقبة بن عامر، ازداد برباط الفتح عام 1267هـ، انظر ترجمته في خزانة أدبية، للعلامة سكيرج، ص 40.

(35) الفقيه العالم المدرس، سيدي محمد بن أبي النصر البكراوي، كانت له مجالس بالقرويين يقرأ فيها المختصر والألفية، وقد تولى القضاء بمدينة الصويرة، مدة غير قصيرة، وكان بدينا محبا للدعابة والبسط، توفي رحمه الله عند زوال يوم الاثنين 19 شعبان الأبرك عام 1311هـ، ودفن من يومه بعد أن صلي عليه عقب فريضة العصر بالقرويين، ودفن بزاوية الشيخ أبي يعزى بحومة البليدة من فاس، أنظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 5، وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 1 ص 175.

(36) العلامة الشريف مولاي عبد السلام بن عمر العلوي المدغري، فقيه، مدرس، صوفي جليل، من مواليد مدينة زرهون عام 1270هـ، أخذ العلم عن جماعة من علماء المدينة المذكورة منهم: سيدي محمد الفضيل بن الفاطمي الشبيهي، والعلامة سيدي محمد الخياط الزرهوني، والفقيه سيدي محمد بن عبد الواحد الإدريسي، وأخذ بمدينة فاس عن ابن عمه وصهره الشريف العلامة مولاي عبد المالك الضرير العلوي، والعلامة القاضي مولاي محمد فتحا بن عبد الرحمان المدغري، والفقيه سيدي محمد بن المدني كنون. وأخذ رحمه الله الطريقة الأحمدية التجانية عن صهره العلامة مولاي عبد المالك الضرير العلوي، ومن مصنفاته شرح حزب التضرع لصهره المذكور، وتولى خطة القضاء بطنجة مرتين، وبالدار البيضاء، وبمدينة أزمور، ثم عين بعد ذلك خليفة لرئيس المجلس العلمي بفاس. وكانت وفاته رحمه الله يوم الثلاثاء 14 جمادى الثانية عام 1350 هـ، أنظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 51، وفي قدم الرسوخ لنفس العلامة رقم الترجمة 6، وفي دليل مؤرخ المغرب الأقصى لابن سودة ص 144 رقم الترجمة 838، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 7.

3- العلامة مولاي عبد المالك الضرير العلوي(37).

4- العلامة سيدي محمد بن محمد بن عبد السلام كنون(38).

---

(37) عبد المالك الضرير بن محمد بن عبد الله العلوي الحسني، من خيرة علماء فاس، أخذ العلم عن جماعة من فقهاء المدينة المذكورة منهم الحاج الداودي التلمساني، وسيدي الوليد العراقي، وسيدي محمد الحراق، وسيدي محمد بن عبد الرحمان، ومولاي الصادق العلوي، وقاضي الجماعة بفاس مولاي عبد الهادي العلوي، وسيدي عبد السلام بوغالب، وسيدي أحمد بناني كلا وغيرهم، وأخذ رحمه الله الطريقة الأحمدية التجانية عن الولي الصالح البركة سيدي عبد الوهاب بن الأحمر الفاسي. وله قصائد كثيرة في مدح سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، قال في مطلع إحداها :

من أخلاقك الحسنى إغاثة لهفان ... وصحبي إذا مدوا إليك يد الجاني

وقال في مطلع قصيدة أخرى :

رفعت إليك الشدة فوق طاقتي ... وأنت مغيث يرتجيه خليلها

وفي حقه قال العلامة سيدي محمد فتحا بن قاسم القادري، وكان رحمه الله من الأولياء العارفين، وعباد الله الصالحين، له مآثر عديدة، ومناقب حميدة، ومرائي نبوية كثيرة، وأذكار وأدعية، وله ختمة على مختصر خليل، وتواليف في النصيحة، وقصائد في أمداح نبوية مرتبة على حروف المعجم، توفي رحمه الله ورضي عنه صبيحة يوم الجمعة 16 جمادى الثانية عام 1318هـ، بسبب حمى خفيفة مرض بها نحو أربعة أيام، وصلي عليه بعد صلاة العصر بجامع القرويين، ودفن بالزاوية الناصرية بحومة السياج من مدينة فاس، ورثاه تلميذه العلامة سكيرج برائية قال في مطلعها :

ما بال صبرك بعد الحزم قد فرا ... ودمع نوحك طوفانا على ما جرى

أنظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 234، وفي قدم الرسوخ لنفس العلامة رقم الترجمة 7، وفي فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 67، وفي نيل المراد لنفس العلامة ج 1 ص 14، وفي فهرسة العلامة سيدي محمد فتحا بن قاسم القادري ص 38.

(38) العلامة الشهير، والمقدم الكبير، سيدي محمد فتحا بن محمد بن عبد السلام بن أحمد بن عبد الله كنون الحسني، نسبة للولي الصالح سيدي أحمد (دفين مدشر بوبريح بقبيلة بني زروال، بمنطقة جبالة الواقعة شمال غرب بلاد المغرب) بن يوسف بن كنون بن عمران بن عبد الرحمان بن سليمان بن الحسن ابن عمران بن محمد بن محمد بن أحمد بن كنون بن أحمد بن مولانا إدريس الأزهر باني مدينة فاس.

ولد بفاس عام 1270هـ، وبها حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، ثم أخذ العلم عن جماعة من خيرة الفقهاء، منهم سيدي أحمد بناني كلا، والفقيه سيدي أحمد العلمي السريفي، وابن عمه العلامة سيدي محمد التهامي كنون، والفقيه سيدي محمد بن العباس العراقي وهو عمدته، وغيرهم، وتقلد رحمه الله بعهد الطريقة الأحمدية التجانية على يد أكابر أعلامها، في مقدمتهم : الولي الصالح العلامة سيدي محمد العربي بن السائح، والعلامة البركة سيدي أحمد محمود، دفين البحيرة بقبيلة الرحامنة، والعلامة الفقيه سيدي أحمد بناني كلا، وغيرهم.

وله مصنفات كثيرة في مختلف العلوم والفنون، وقد ذكرت منها 46 مصنفا عند تحقيقي لكتابه : الصواعق المرسلة على من أنكر الجهر في الفريضة بالبسملة.

وفي حقه قال العلامة سيدي محمد الحجوي : كانت العلوم اندرست أو ضعفت فأحياها، ونفخ روحا جديدة في طلابها، فابتهج محياها، درس علم التجويد بعدما درس، وأحيا قراءة التلخيص بمطول السعد بعدما بعد عهده بهذه الديار، بتهطل تلك الأمطار، وذلك كله عطل بموته، وأحيا قراءة التفسير بالبيضاوي، لكن القاصرين لم يرق ذلك في أعينهم، فزعموا أنه يتسبب عنه موت السلطان، فشغلوه بولاية قضاء آسفي، ويا أسفي على العلم قضى عليه الحسد، وأذهب الروح وترك الجسد، لكن لم يلبث إلا نحو سنة، ثم استعفى فأعفي، مشوقا إلى ما تعود من نشر العلم، طاهر الذيل، قائما بحقوق العدل، فرجع لدروسه، تاركا التفسير في دروسه، إلخ ...

وتوفي رحمه الله بعد عصر يوم الجمعة 28 شعبان الأبرك عام 1326هـ، وصلي عليه بعد صلاة المغرب بالزاوية التجانية الكبرى بفاس، ودفن بضريح الولي الصالح سيدي أبي غالب، عن يسار الداخل للقبه، وقبره متصل برجل الولي المذكور، ورثي بقصائد كثيرة منها مرثية للعلامة سكيرج قال في مطلعها :

رزء أصيب به الطلاب للدين ... بموت عالمنا ذي الفتح كنون

ورثاه تلميذه مولاي عبد السلام المحب العلوي بقصيدة قال في مطلعها :

الكون أصبح ظاهر الأوصاب ... والدهر جرعنا كؤوس الصاب

انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 8، وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية للفقيه الحجوجي ج7، وفي نيل المراد لنفس العلامة ج 1 ص 46، وفي فتح الملك العلام لنفس العلامة بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 124، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 372-374 رقم الترجمة 819، وفي معجم المطبوعات لسركيس 717، وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 77، وفي معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي ج 1 ص 49-52 ثم ج 2 : 168.

5- الشريف البركة سيدي أحمد العبدلاوي(39)

6- العلامة محمد بن جعفر الكتاني(40)

---

(39) الفقيه البركة المقدم سيدي أحمد بن محمد بن قويدر العبدلاوي بن محمد بن عبد المومن بن بلقاسم بن الولي الصالح سيدي عبد الله الشريف دفين باب سيدي عبد الله من الحاضرة التونسية، ولد رضي الله عنه في شهر شعبان الأبرك عام 1230هـ قبل وفاة الشيخ سيدي أحمد التجاني بشهرين بقرية العلية بالصحراء من عمالة تيكورارين، قرب تامسين، وحضر لسابع ولادته جمع من أفاضل أصحاب الشيخ رضي الله تعالى عنه، من بينهم القطب الخليفة سيدي الحاج علي التماسيني، حفظ رحمه الله القرآن الكريم في صغره بقرية أولاد جلال، من عمالة بسكرة بالقطر الجزائري، وكان رحمه الله ملازما لسيدنا محمد الحبيب نجل الشيخ التجاني رضي الله عنه سفرا وحضرا لا يفارقه إلا قليلا، وكان لديه أخا وصديقا، وحبيبا ورفيقا، فهو خزانة أسراره، وجليسه في المذاكرة والمسامرة في ليله ونهاره، إلى أن توفي سيدنا محمد الحبيب وهو عنه راض. وفي سنة 1288هـ ارتحل سيدي أحمد العبدلاوي عن قرية عين ماضي ليستقر نهائيا بمدينة فاس، وفي حقه قال العلامة أكنسوس في رسالة وجهها لأبي المواهب سيدي محمد العربي بن السائح ما نصه بعد كلام : وقد أتحفتمونا بورود هذا السيد الجليل القدر، المبني دينه وجميع أموره على أمتن جدر، سيدي أحمد العبدلاوي، فإننا ما ورد علينا مثله من تلك النواحي، وقد أحيا الله به قلوبنا بعد مناهضة الممات، وأفادنا من الفوائد والمعارف ما تنتعش به العظام الرفات، إلخ ... وفي حقه قال العلامة سكيرج في كتابه رفع النقاب ج 3 ص 203 : وقد لازم الجلوس بداره مدة، وكان مع كبر سنه الذي ناهز فيه المائة سنة سالم الذات، من جميع العاهات، حتى أنه كان يقرأ الخط الرقيق بلا نظارتين، ويقول لي ما قاله بعض العارفين : جوارح حفظناها في الصغر فحفظتها الحق علينا في الكبر.

ودخلت عليه مرة فقال لي : إن ملك الموت جاء إلي وهو لابس للباس أزرق، وأعطاني سبحة حباتها من جهتي الشاهد ضعيفة، حتى كأنها ليست من جنس الحبات الأخر، فعرفت بذلك أني أناهز المائة، والحبات الضعيفة هي أول العمر وآخره. وبقي بمدينة فاس إلى أن لقي ربه الله تعالى في الساعة العاشرة من صباح يوم الخميس 24 رمضان عام 1328هـ، وكان عمره عند وفاته 98 سنة، ودفن رحمه الله بمقبرة روضة سيدي الطيب السفياني بباب عجيسة بفاس، ورثاه تلميذه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

فقد الأحبة من أشد المصيبات — والصبر عنهم أراه هادم اللذات

لكنه هادم اللذات بعـــدهـم — قد حل عند الصبور في الرزيات

انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 9، وفي كشف الحجاب لنفس المؤلف ص 200، وفي رفع النقاب للمؤلف نفسه ج 3 ص 201، وفي نيل المراد للعلامة الحجوجي ج 1 ص 93.

(40) أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الحسني، فقيه، مؤرخ، محدث، من مواليد فاس عام 1274هـ، وبها أخذ العلم عن جماعة من الفقهاء منهم : والده سيدي جعفر الكتاني، والعلامة سيدي محمد بن عبد الرحمان العلوي، والفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن سودة، والعلامة سيدي أحمد بناني كلا، والفقيه سيدي الطيب بن كيران، والعلامة القاضي أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمان السجلماسي الفاسي، وغيرهم، وقد رحل إلى البقاع المقدسة مرتين، وحج أكثر من تسع مرات، وهاجر بأهله إلى المدينة المنورة عام 1332هـ، فأقام بها إلى حدود عام 1338هـ حيث انتقل إلى سوريا، فسكن دمشق إلى غاية عام 1345هـ، ثم رجع لمدينة فاس فتوفي فيها بعد رجوعه بقليل، في الساعة الحادية عشر من ليلة الأحد 16 رمضان المعظم عام 1345هـ، ودفن خارج باب الفتوح بجوار الولي الصالح مولاي الطيب الكتاني، ونقل جثمانه بعد عشرين شهرا من دفنه، ووجد على حالته لم يتغير منه شيء، ودفن داخل مدينة فاس، بزاوية بنيت له قرب درب اللمطي، عدوة فاس الأندلس، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

نعى البرق من في فقده فقد الصبر — ومن كاد أن ينشق من أجله الصدر

وله رحمه الله مصنفات كثيرة تزيد على 70 تأليفا، منها سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، والأزهار العاطرة الأنفاس بذكر محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس، والدعامة في أحكام العمامة، وغيرهم. انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 436 رقم الترجمة 1717، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 515 رقم الترجمة 293، وفي معجم المطبوعات لسركيس 1545هـ، وفي نيل المراد للعلامة الحجوجي ج 1 ص 28-40، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 72. وفي قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 10.

7- العلامة الشيخ ماء العينين(41)
8- العلامة الشيخ أحمد بن الشمس(42)

---

(41) أبو عبد الله محمد مصطفى ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن محمد مامين الشنقيطي القلقمي، فقيه، محدث، أديب، صوفي، واسع الاطلاع، له مصنفات كثيرة منها : نعت البدايات وتوصيف النهايات، وتبيين الغموض على النظم المسمى بنعت العروض، ودليل الرفاق على شمس الاتفاق، والمرافق على الموافق، ومجري النافر والسامع على تعلم العلم النافع، ومذهب المخوف على دعوات الحروف، وغيرهم. وتتجاوز تآليفه 130 مصنفا. وكان يصحب من تلاميذه ما يبلغ حينا نحو عشرة آلاف، كلهم في ضيافته من الآخذين عنه والمنتسبين به, وقد مدحه العلامة سكيرج بقصائد عديدة قال في مطلع إحداها :

لطرف حبي أرى حبي أراق دمي — وفي طريق سراه ما أراه قدمي

وعدد أبيات هذه القصيدة 103 أبيات، وقال فيه أيضا قصيدة أخرى في 55 بيتا مطلعها :

عرجا بي على خيام الأحبة — وسلا عن مضنى سبو منه قلبه

وقال فيه أيضا قصيدة أخرى في 16 بيتا مطلعها :

ساق الشوق ساقنا بحمــ ـد الله — فأتينا إليه نبغي رضاه

وتوفي رحمه الله بمدينة تزنيت في ضحوة يوم الجمعة 17 شوال عام 1328هـ، انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 11، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 433 رقم الترجمة 1707، وفي رجالات العلم العربي في سوس للمختار السوسي ص 162، وفي معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي ج 2 : 37، وفي معجم المطبوعات لسركيس 1601، وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 243.

(42) العلامة الشيخ أحمد بن محمد فال بن الشمس، فقيه، محدث، أديب، نعته العلامة سكيرج بخليفة الشيخ ماء العينين، وكان أول اجتماع بينهما يوم السبت 15 ربيع النبوي عام 1323هـ، فنمت بعد ذلك بين الطرفين علاقة وطيدة، ومجالس ومذاكرات مفيدة، وقد تلاقيا خلال ليلة في مجلس عاطر، كثرت فيه الفرائد والفوائد، فقال فيه العلامة سكيرج وقتذاك :

هذه ساعة بها زال غمي — وبها قد تنورت كل نفـ ـس

لم أقل ليلة لأني أراهـا — قد تبدت بجمعنا نور شمس

ومدحه العلامة سكيرج بقصائد كثيرة قال في مطلع إحداها :

انظر إلى شمسنا في أفقنا طلعت — أنوارها بين كل الخلق قد لمعت

وقال في مطلع قصيدة أخرى :

أسائل عن أهل العلا والمكارم — وأهل التقى والمجد بين العوالم

توفي رحمه الله بالمدينة المنورة عند فجر يوم الاثنين 22 جمادى الثانية عام 1342هـ، انظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 17، وفي قدم الرسوخ لنفس المؤلف رقم الترجمة 12.

9- العلامة إبراهيم بن محمد بن عمر اليزيدي(43)

10- العلامة سيدي الحبيب الداودي(44)

11- العلامة محمد بن أحمد بن العربي الصقلي(45)

12- العلامة سيدي إدريس عمور(46)

---

(43) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عمر بن اليزيد العلوي، فقيه، أصولي، أديب، أخذ العلم عن جماعة من فقهاء فاس، وعمدته فيهم العلامة سيدي الحاج محمد بن المدني كنون.
وهو أول من أجاز العلامة سكيرج من الفقهاء، وله تقاريظ على بعض كتب العلامة سكيرج، منها تقريضه على كتاب منهل الورود الصافي بقصيدة قال في مطلعها :

شرح الصدر شرحا يوافـــي ... من بديع العروض صنع القوافـي

وللعلامة سكيرج في مدح شيخه المـذكور عدة قصائد قال في مطلع إحداها :

أما والهوى مالي إلى غيرها الميـل ... وإن كان يغريني على تركها العذل
أتزعم أن أسلو وأنـــت جفوتنـي ... وأي فتى بعد التفرق قد يـسلـو
سلبت الكرى عن مقلتي وكسوتـني ... رداء نحول ما الجفا في الهوى سهل

ولهذا العالم الجليل شرح نفيس على صلاة جوهرة الكمال في مدح سيد الرجال، وهو من أهل الطريقة الأحمدية التجانية، انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 13.

(44) العلامة سيدي الحبيب بن الحاج الداودي التلمساني، فقيه، محدث، أديب، كانت له خبرة كبيرة بعلم أسرار الحروف، وهو من أكبر أساتذة وشيوخ العلامة سكيرج، توفي رحمه الله قرب الساعة العاشرة من نهار يوم السبت فاتح شهر شوال عام 1325هـ، بعد غيبوبة دامت أربعة أيام، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

علام الدمع من عيني يجري ... ويحكي في التلاطم موج بحر
ونفسي فـي أنين وانـزعاج ... كأن قلبي فـوق جمـر
أمن فقد الحبيب أطلت حزنا ... نعم والله فيه فقـدت صـبري

انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 14، وترجمته واسعة في كتاب حديقة أنسي في التعريف بنفسي للعلامة سكيرج، وهو من التآليف الموجودة ضمن الجزء الأول من هذا المجموع ص 367-406.

(45) العلامة محمد بن أحمد بن العربي الصقلي الحسني، فقيه، محدث، تلقى العلم بفاس عن جماعة من جهابذة الفقهاء، وعمدته فيهم العلامة الحاج سيدي محمد بن المدني كنون، وهو الذي كان يسرد له غالبا في مجالس إقرائه. وكانت وفاته رحمه الله في ليلة الأربعاء 8 صفر عام 1316 هـ بعد مرض ألزمه الفراش طيلة سبعة أيام، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

ضاق صدري من بعد شيخي الصقلي ... أي شيء من بعده لي يسلي
يا لقومي والصـبر قد ضاع منـــي ... فلهذا ذهلت عن كل شغـل

انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 15.

(46) العلامة الولي الصالح سيدي إدريس عمور، فقيه جليل، من أهل الطريقة الأحمدية التجانية، وقد مدحه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

حب السوى مع من تهواه محظـــور ... وذا لدا مذهب العشاق مشهور
فاسمح بنفسك إن تبغ الوصال فـمـن ... لحبه جاد فهـو فيه مشكـور
نفسي الفداء لشمس في العلا بزغـت ... به يسبل الهدى للناس تنويـر
العالم المرتضى مـحيي مـآثر مـن ... مضى إمام الهدى إدريس عمور

توفي رحمه الله في الساعة التاسعة من ليلة السبت 22 ذي القعدة عام 1320هـ، ووصى بأن يدفن بفدان الغرباء، فلم ينفذ أهله الوصية، قصدا منهم لقرب صلة الرحم، وصلي عليه بالزاوية التجانية الكبرى بفاس من يومه، ودفن بالروضة الجديدة لأولاد بنونة، قرب ضريح الولي الصالح مولاي علي بوغالب، برأس القليعة من حومة صريوة بفاس القديمة، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

رزء دهانا وشر الرزء ما فجـأ ... فما تقدم مثله ولا نـشـــأ
بموت عالمنا الأواه من جمع الأسـرار من ... لا له يرى الورى كفأ

انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 16، وفي كشف الحجاب لنفس العلامة ص 212.

13- العلامة عبد الله بن إدريس البكراوي(47)

14- العلامة سيدي المامون بن رشيد العراقي(48)

15- العلامة سيدي المهدي بن رشيد العراقي(49)

16- العلامة محمد بن رشيد العراقي(50)

---

(47) عبد الله بن إدريس البدراوي، من جهابذة فقهاء فاس، تلقى العلم بها عن مجموعة من الفقهاء منهم : أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمان الحجرتي، والعلامة سيدي الوليد العراقي، والفقيه سيدي عبد السلام بو غالب، وغيرهم. وكانت وفاته رحمه الله في يوم الأربعاء 29 ذي الحجة الحرام عام 1316هـ، ودفن بزاوية الشيخ أبي يعزى بالبليدة من فاس، ونقش على قبره بيتان للعلامة سكيرج ونصهما :

هذا ضريح العـارف الأواه ... كهف الهداية مولاي عبد الله
بدر الدجى من أشرقت أنواره ... سبل الديانة عادم الأشبـاه

وكان رحمه الله ملتزما بعهد الطريقة الأحمدية التجانية، وهو من أعلامها الأفاضل، أخذها عن البركة سيدي عبد الوهاب بن الأحمر الفاسي، انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 17، وفي كشف الحجاب لنفس العلامة ص 236، وفي فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 68، وفي فهرسة العلامة محمد فتحا بن قاسم القادري ص 37.

(48) العلامة سيدي المامون بن رشيد العراقي، فقيه متضلع، أديب، قرأ عنه العلامة سكيرج طرفا من مختصر الشيخ خليل، وعند ختمه مدحه بقصيدة جملية، وذلك بحضور الإخوة العراقيين الثلاثة، وكان أوسطهم صاحب الترجمة، ومطلع هذه القصيدة :

أسعدت وفت بالوصل باسمة الثغر ... فيا سعد من حيته من حي ذا الثغر

إلى أن قال :

ألست ترى ذا الحي يرق قبالة ... ثلاثة أقمار تضيء بـذا القطر
وإن حاز فضل السبق منهم سابق ... لأوسطهم فضل التوسط في الذكر
هم عقد مجد في الفـخار وإنما ... يتيمته والله كوكبنا الدري
أمين لأسرار العـوارف بالتقى ... لذا دعي المامون مستودع السر

وعدد أبيات هذه القصيدة 45 بيتا، وتولى صاحب الترجمة خطة القضاء بمدينة القصر الكبير وبها توفي رحمه الله، انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 18.

(49) المهدي بن رشيد العراقي، فقيه نوازلي، تولى خطة القضاء بمدينة الدار البيضاء خلال السنوات الأولى من عهد الحماية، انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 19.

(50) محمد بن رشيد بن محمد بن إدريس الحسيني العراقي الكربلائي، فقيه، محدث، أخذ العلم عن جماعة من الشيوخ المعتبرين، منهم العلامة سيدي محمد بن المدني كنون، وهو عمدته، والعلامة سيدي محمد بن عبد الرحمان العلوي الحسني، وسيدي أحمد بناني كلا، وسيدي جعفر الكتاني، وسيدي أحمد بن سودة المري، ومولاي عبد الهادي الصقلي، وغيرهم، ومن مصنفاته : شرح همزية الإمام البوصيري، وأحكام مسجلة، في ستة مجلدات، أصدرها ضمن ولايته القضاء، والذهب الإبريز في مجالس المولى عبد العزيز، والإمامة الكبرى، وغيرهم.

وقد تولى القضاء بطنجة عام 1304هـ إلى حدود عام 1309هـ، ثم عين قاضيا بمحكمة السماط بفاس مدة عشرين سنة من عام 1326هـ إلى غاية سنة 1346هـ، وتوفي ليلة الخميس 3 ذي القعدة عام 1348هـ، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

ماذا عراك فصرت غير مصطبر ... وسرت في جزع ملازم السهر

انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 20، وفي معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي ج 2 ص 91-93، وفي الإعلام للزركلي ج 6 ص 125.

17- العلامة حميد بن محمد بناني(51)

18- العلامة سيدي العباس بن أحمد التازي(52)

19- العلامة سيدي أحمد بن محمد الزكاي بن الخياط(53)

---

(51) سيدي حميد بن محمد بن عبد السلام بن عبد الوهاب بن محمد فتحا البناني، قاضي الجماعة بحضرة فاس، تلقى العلم عن جماعة من الجهابذة الأعلام، منهم الفقيه سيدي بدر الدين الحمومي، وسيدي الوليد العراقي، وسيدي عبد السلام بوغالب، وسيد محمد بن عبد الرحمان الفلالي، وسيدي محمد بن أحمد السنوسي، وسيدي أحمد بناني كلا، وغيرهم.

وهو من أعلام الطريقة الأحمدية التجانية، أجازه فيها العلامة الخطيب سيدي علال الفاسي، عن البركة سيدي بوعزة برادة، وكانت وفاته رحمه الله في ضحوة يوم الخميس 11 صفر الخير عام 1327هـ، وصلي عليه بعد صلاة العصر بالقرويين، ودفن بالزاوية الصقلية داخل باب عجيسة، أسفل ضريح العلامة القاضي مولاي محمد فتحا العلوي، بمتصل قبر واحد مما يلي الحائط، وكان لجنازته احتفال باهر حضره الجم الغفير من الناس.

انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 21، وفي فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 72، وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية لنفس العلامة ج 7. وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 249 وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 346 رقم الترجمة 146.

(52) سيدي العباس بن أحمد التازي، فقيه، أديب، تلقى العلم عن جماعة من أعيان العلماء منهم : العلامة سيدي محمد بن عبد الرحمان العلوي قاضي الحضرة الفاسية، والعلامة سيدي الحاج محمد بن المدني كنون، والحاج المهدي بن الطالب بن سودة، وسيدي محمد بن عبد الواحد بن سودة، وسيدي أحمد بناني كلا، وسيدي أحمد المرنيسي، وغيرهم.

توفي رحمه الله يوم الجمعة 5 شوال عام 1337هـ، ورثاه بعض أدباء فاس بقصيدة قال في مطلعها :

المرء بين حقيقة ومجاز   حتى تروعه نبذة الإعجاز

انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 22، وفي نيل المراد للعلامة الحجوجي ج 1 ص 59.

(53) أحمد بن محمد بن عمر بن عبد الهادي الزكاري، عرف بابن الخياط، فقيه، محدث، صوفي، من مواليد مدينة فاس في 16 شعبان عام 1252هـ، تلقى العلم عن جماعة من أكابر فقهاء القرويين منهم : محمد بن عبد الرحمان الحجرتي، والقاضي سيدي محمد الصادق بن الهاشمي السجلماسي المدغري، وسيدي الحاج الداودي التلمساني، وسيدي الحاج محمد بن المدني كنون، وسيدي عبد الواحد بوغالب، وسيدي أحمد المرنيسي، وسيدي أحمد بناني كلا، وسيدي أحمد بن الحاج، وسيدي عبد الملك الضرير العلوي، وغيرهم.

وتفوق تصانيفه 90 مؤلفا في مختلف الفنون، من فقه وحديث وتفسير وتاريخ وبيان ومنطق ونحو وتصوف وغير ذلك، وكانت وفاته رحمه الله فجأة بعدما أدى فريضة الظهر من يوم الاثنين 12 رمضان المعظم عام 1343هـ، وصلي عليه بعد صلاة العصر بجامع القرويين، ودفن في زاوية بالرميلة، عدوة فاس الأندلس، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدتين قال في مطلع الأولى :

ماذا أثار أساك بعد خمود   فضجرت بعد تصبر محمود

وقال في مطلع المرثية الثانية :

لتبك دما إن دمع عينك قد جمد   فقد فقد القلب التصبر والجلد

انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 436 رقم الترجمة 1716، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 381 رقم الترجمة 826، وفي نيل المراد للفقيه الحجوجي ج 1 ص 17، وفي قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 23، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 387 رقم الترجمة 191، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 250.

20- العلامة أبو العباس أحمد بن الجيلالي الأمغاري(54)
21- العلامة سيدي المكي بن علي البيطاوري الحسني(55)
22- العلامة سيدي عبد الكبير الكتاني(56)

---

(54) سيدي أحمد بن الجيلالي الفيلالي الأمغاري الحسني نسبا، الشاذلي الدرقاوي طريقة، رئيس المجلس العلمي بالقرويين، درس العلم وتلقاه على عدة شيوخ منهم : سيدي الحاج محمد بن المدني كنون، وسيدي محمد بن التهامي الوزاني، وهو عمدته، ومولاي عبد الله البدراوي، وسيدي حميد بناني، وسيدي أحمد بن سودة، والقاضي مولاي محمد فتحا العلوي، وسيدي المدني بن جلون، وغيرهم.
وله بعض المصنفات منها : تقييد في مسألة العمل بالتلغراف، وجواب في مسألة هل يجوز إعطاء الزكاة لآل البيت أم لا، وجواب حول الجمع في ليلة المطر، وتقييد في مسألة من سافر دون مسافة القصر هل تلزمه الجمعة أم لا.
وكانت وفاته رحمه الله في الساعة العاشرة من يوم الخميس 6 ذي الحجة الحرام عام 1352هـ، وصلي عليه بعد صلاة العصر بجامع القرويين، ودفن بزاوية الشريف الجليل سيدي محمد بن علال الوزاني داخل قبته بحومة الشرشور.
انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 24 وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 383 رقم الترجمة 827 وفي نيل المراد للعلامة الحجوجي ج 1 ص 45.

(55) محمد المكي بن محمد بن علي بن عبد الرحمان البيطاوري الرباطي، ولد برباط الفتح في ربيع الأول عام 1274هـ حفظ القرآن الكريم على والده سيدي محمد بن علي بمقر دارهم بحومة الجزاء، ثم على الفقيه سيدي محمد بن أحمد الرغاي بمكتب جامع النخلة بالرباط، ثم بعد ذلك اشتغل بطلب العلم فأخذ عن جماعة من أكابر علماء الرباط، منهم عمه العلامة التهامي بن علي البيطاوري وشيخ الجماعة العلامة سيدي إبراهيم بن محمد التادلي، والعلامة سيدي عبد الرحمان بن عبد الله لوبريس، والولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح، وغيرهم، وتقلب رحمه الله في وظائف سامية كثيرة، منها توليته للقضاء بمدينة الرباط على مدة إحدى عشر سنة ابتداء من عام 1323هـ، وله رحمه الله تآليف كثيرة منها : اقتطاف زهرة الأفنان من دوحة قافية ابن الونان، وشرح العقيدة الصغرى للسنوسي، والأزهار المنصورة من رياض المقصورة، وشرح المقصور والممدود لابن دريد، وغير ذلك، وكانت وفاته رحمه الله ليلة الأربعاء 2 محرم الحرام عام 1355هـ - 1936م ودفن بضريح مولاي المكي الوزاني بالرباط ورثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

الموت يخطف نورا حل في البصر ... وينتقي ما رأى من أنفس الدرر
والناس كلهم حلوا بـقـبـضـته ... دماؤهم عندها إن شار في هـدر

وفي حقه ألف تلميذه ومعاصره العلامة محمد بو جندار تأليفا سماه : العطر المسكي في ترجمة القاضي أبي حامد المكي، انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 25 وفي رياض السلوان لنفس المؤلف ص 191 وفي معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي ج 2 ص 56-61 وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 110. وفي أعلام الفكر المعاصر لعبد الله الجراري ج 2 ص 214.

(56) عبد الكبير بن محمد بن عبد الكبير الحسني الإدريسي الكتاني، فقيه، محدث، مشارك، صوفي، ولد بفاس عام 1268هـ، وبها توفي ضحى يوم الخميس 26 ربيع الأول عام 1333هـ، ودفن بزاوية والده الكتانية من فاس، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

بماذا أسلي النفس مما أصابها ... ومن جزع لم تدري فيه صوابها

شيوخه في العلم كثيرون منهم : العلامة سيدي المهدي بن الطالب بن سودة، وسيدي عمر بن الطالب بن سودة، وسيدي جعفر بن إدريس الكتاني، وسيدي محمد بن المدني كنون، وغيرهم، ومصنفاته كثيرة منها : المشرب النفيس في ترجمة مولانا إدريس بن إدريس، ومبرد الصوارم والأسنة في الذب عن السنة، والانتصار لآل البيت المختار، وتقييد في شرح حديث كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد، وغير ذلك من التآليف المفيدة، انظر ترجمته في فهرس الفهارس لولده عبد الحي الكتاني ص 743 رقم الترجمة 402، وفي معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي ج 2 ص 74-77، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 50.

23- العلامة عبد الحي الكتاني(57)

24- العلامة محمد بن العياشي سكيرج(58)

---

(57) محمد عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد الكتاني الإدريسي الحسني، من أكابر علماء الحديث ورجاله، ولد بمدينة فاس في ربيع النبوي عام 1303هـ، قرأ القرآن الكريم على مجموعة من فقهاء فاس منهم سيدي علي زويتن، وسيدي أحمد البخل، وسيدي محمد الصنهاجي، وفي سنة 1314هـ دخل لجامعة القرويين، فأخذ عن معظم علمائها كالعلامة سيدي محمد بن قاسم القادري، وسيدي أحمد بن الخياط، وسيدي محمد بن المدني كنون، وسيدي عبد السلام الهواري، وسيدي خليل بن صالح التلمساني، وسيدي أحمد بن الجيلالي، وسيدي محمد بن جعفر الكتاني، وغيرهم من فطاحل العلم بفاس، وفي سنة 1325هـ اندرج في الطبقة الأولى من طبقات علماء القرويين، وفي سنة 1333هـ تصدر لمشيخة الطريقة الكتانية، وكانت وفاته رحمه الله بباريس عام 1382هـ - 1962م، وللعلامة سيدي عبد الحي الكتاني ما ينوف على 500 تأليف، منها فهرس الفهارس، والبيان المعرب عن معاني بعض ما ورد في أهل اليمن والمغرب، والرحمة المسلسلة في شرح حديث البسملة، ولسان الحجة البرهانية في الذب عن شعائر الطريقة الأحمدية الكتانية، والكمال المتلالي والاستدلال العوالي، وغيرهم من التصانيف النفيسة العالية، وكان العلامة سكيرج ينوه بصاحب الترجمة ويصفه بما يستحقه من عظيم المكانة، وقال رحمه الله منوها به في بعض ختماته لصحيح الإمام البخاري ما نصه :

بعبد الحي أحيى الله ديـنـه ... وأعطاه التقوة والسكيـنـه
حباه الله مـن عـلـم لدنـي ... جواهر في قلادته ثميـنـه
به العلياء قد أضحت تباهـي ... وفي العرفان رتبته مكيـنـه
غدا بحرا محيطا في علـوم ... بها لسواه لم تعبر سفيـنـه
وأخرج من زواياها خـبـايـا ... وكانت في زواياها كميـنـه
فلا تحصى مـزايـاه بـعـد ... وليس يرى لها أحد قريـنـه
فـيـا لـلـه مـا أبـداه بـختم ... أقر بفضله أهل الضغيـنـه
فلا زالت به العليـاء تـسـمـو ... بتأييد وساحته مـصـونـه
ويرزقه الإله كـمـال حـظ ... محوطا بالرعاية والمعونـة

انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 437 رقم الترجمة 1718 وفي رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 43 وفي قدم الرسوخ لنفس المؤلف رقم الترجمة 27 وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 187، وفي معجم المطبوعات لإليان سركيس 1546.

(58) العلامة المقدم الأديب سيدي الحاج محمد بن الحاج العياشي سكيرج، من مواليد فاس في 28 ربيع الأول عام 1292هـ، وفي سنة 1309هـ، ولج جامع القرويين فأخذ بها عن جماعة من خيرة العلماء، منهم العلامة سيدي الحاج محمد بن المدني كنون، والعلامة مولاي عبد الملك الضرير، والعلامة سيدي محمد فتحا بن قاسم القادري، والعلامة سيدي محمد بن التهامي الوزاني، والعلامة سيدي عبد السلام الهواري، والعلامة سيدي أحمد بن الخياط، والعلامة سيدي إدريس عمور الفاسي، والعلامة مولاي عبد الله بن إدريس البدراوي، والعلامة المقدم سيدي الحاج محمد فتحا بن محمد بن عبد السلام كنون، والعلامة سيدي محمد المدعو ماني الصنهاجي، والعلامة سيدي عبد الله بن خضراء السلاوي، وغيرهم. وتقلد رحمه الله وظائف مختلفة منها أنه عين كاتبا لدا الوزير المرحوم السيد محمد فتحا الجباص في قضية الحدود المغربية الجزائرية، ثم كاتبا بوجدة مع الحاجب السلطاني السيد أحمد الركينة التطواني، ثم كاتبا بدار النيابة بطنجة، ثم كاتبا بالسفارة الهولندية لنفس المدينة، وختاما عين مدرسا رسميا بالمعهد الديني بطنجة، وكان يشتغل بخطة العدالة والإفتاء بمدينتي طنجة وتطوان.

ولصاحب الترجمة ما يفوق الستين مؤلفا في فنون مختلفة منها : رياض البهجة بأخبار طنجة، والاعتبار المغرب من اختصار تاريخ دول المغرب، والعطر الأشهر في بيان أن الإنسان نسخة العالم الأكبر، ومركب السلامة الحديث في نيل الكرامة بالقرآن والحديث، وحلة من أحاديث الدفاع عن أهل الاجتماع للذكر والتلاوة والسماع، ونظم الدر في بعض أسرار جوهرة الكمال، ولواء النصر الإنتاج بشرح درة التاج، والنفع الأعم بذكر أحاديث الاسم الأعظم، وإتحاف القبيل بتبيان أفراد التنزيل، والحجج القطعية في نيل الزكاة في الدرة التركية، والدرة الثمينة في بيان المنفعة والإنتفاع والمفتاح والزينة، والدرر اللآلي في شرح لامية البقالي، والقواعد النحوية بنظم رابع الدروس النحوية، في نحو أربع بيوت، وشذرات من أمثال الأمثال والعبارات، ورفع المنحة بحسن الخط، والعدة بشرح البردة، والإكراش بتسهيل طرق الميراث، وطرفة الأدباء بتباحة ضوء الكهرباء، وغيرهم من التآليف الكثيرة.

توفي صاحب الترجمة بمقر سكناه بمدينة طنجة يوم الأربعاء 3 محرم عام 1385هـ، بعد مرض طويل لم ينفع معه علاج، ودفن بضريح الولي الصالح سيدي محمد الحاج البقال، المشهور بسيدي بوعراقية، انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 28، وفي رياض السلوان لنفس المؤلف ص 176، وفي إسعاف الإخوان لمحمد بن الهاشمي ص 272-278، وفي مواكب النصر لمحمد بن عبد الصمد كنون ص 58-61.

25- العلامة سيدي عبد الحفيظ الفاسي(59)

26- العلامة أحمد بن عبد السلام الغماري السميحي الطنجي(60)

27- العلامة سيدي محمد بن الطيب بن الحسين الوجدي(61)

---

(59) عبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الكبير الفهري الفاسي، فقيه، أديب، مؤرخ، ولد في صفر الخير عام 1296هـ بمدينة فاس، وبها تلقى العلم عن جماعة من شيوخه منهم : والده العلامة سيدي محمد الطاهر الفاسي، وعمه أبو جيدة بن عبد الكبير الفاسي، وخاله العلامة عبد الكبير الكتاني، والعلامة سيدي جعفر الكتاني، والعلامة القاضي عبد السلام الهواري، والعلامة سيدي محمد بن قاسم القادري، والعلامة سيدي عبد الله الكامل الأمراني، وغيرهم. وله عدة مؤلفات منها : معجم الشيوخ، والترجمان المعرب عن أشهر فروع الشاذلية بالمغرب، وإتقان الصنعة في بيان عدم تقسيم البدعة، والإنصاف في أبواب الأهلة بالتلغراف، وتبرئة الإسلام من الخرافات والأوهام، وأشهر مشاهير العائلات، والداء والدواء، وغير ذلك من المصنفات الأخرى. وتقلب رحمه الله في عدة وظائف، فكان عضوا في المحكمة الجنائية العليا، ثم قاضيا بدائرة حد كورت، ثم بمدينة سيدي بنور، ثم بالصويرة، وانقطع عن العمل مباشرة بعد استقلال الوطن، ليتفرغ لجمع تآليفه الكثيرة، وكانت وفاته بمقر منزله بمدينة الرباط، في 25 رمضان المعظم عام 1383هـ - 1964م، ودفن بشالة الأثرية، انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 29، وفي رياض السلوان لنفس المؤلف ص 41، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 434 رقم الترجمة 1710، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 279، وفي أعلام الفكر المعاصر لعبد الله الجراري ج 2 ص 328.

(60) العلامة أحمد بن عبد السلام الغماري السميحي، فقيه، صوفي، ولد بمدينة طنجة، وبها حفظ القرآن الكريم، مع ما تبعه من المتون الفقهية والنحوية، ثم انتقل لفاس، فتابع فيها دراسته بالقرويين عن جماعة من خيرة علمائها، وله أسانيد عالية، منها سنده عن العلامة الشيخ علي ظاهر لما اجتمع به بالمدينة المنورة في شهر ذي القعدة الحرام عام 1310هـ، ومنها كذلك سنده عن العلامة سيدي محمد الصالح التدلاوي وغيرهم. وهو من أعلام الطريقة الشاذلية الدرقاوية بطنجة، وله إلمام كبير بالنوازل، وكان القضاة يستشيرونه في النوازل من مختلف المسائل، كما تصدى للتدريس والعدالة والإفتاء بالمدينة المذكورة، ثم عين عضوا مقررا في محكمة الإستئناف الخاصة بالنظر في الأحكام الشرعية، الصادرة في القضايا المشتركة بين المواطنين والجاليات الأجنبية، وكانت وفاته رحمه الله في شهر ذي الحجة الحرام عام 1359هـ، وأقبر بروضة ابن عبد الصادق بمرشان، انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 30، وفي مواكب النصر لسيدي محمد بن الصمد كنون ص 33.

(61) العلامة سيدي محمد بن الطيب بن الحسين الوجدي، قاضي مدينة وجدة، من نسل الشريف العالم سيدي عيسى بن معمر صاحب الأجوبة المشهورة في المذهب المالكي، انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 31.

28- العلامة سيدي الفاطمي الشرادي(62)

29- العلامة سيدي أحمد بن المامون البلغيثي(63)

---

(62) الفقيه العلامة سيدي محمد الفاطمي بن محمد الشرادي، ولد بمدينة فاس عام 1285هـ، وبها أخذ العلم عن جملة من علماءها من بينهم سيدي قاسم الرايس، وسيدي محمد بن العربي الصقلي، وسيدي محمد بن التهامي الوزاني، وسيدي محمد بن محمد بن عبد السلام كنون، وسيدي أحمد بن الخياط، وسيدي محمد بن قاسم القادري، وسيدي محمد بن جعفر الكتاني، وغيرهم، وكانت له بالعلامة سكيرج محبة عميقة، ورابطة أخوية عريقة، وقد وقفت على عدة قصائد للعلامة سكيرج في مدح صاحبه المذكور، منها قصيدة نونية قال في مطلعها :

هلا مررت على أبي زيدوان ... فإنها تلفى مرتع الغزلان

ومدحه كذلك بنونية أخرى قال في مطلعها :

ماذا ترى في عاشق ولهان ... حكم القضاء عليه بالهجران

ومدحه كذلك بقصيدة فائية جميلة قال في مطلعها :

رعى الله دهرا كان بالوصل مسعفي ... وأسعدني بالقرب دون تكلف

ومدحه كذلك بدالية من بحر البسيط قال في مطلعها :

إني لأرضى بما أحبتي فعلوا ... ولا أبالي بمن في حبهم عذلوا

ومدحه كذلك بقافية من بحر الطويل قال في مطلعها :

خليلي حبلي في هواه وثيق ... وعقلي ببحر الفكر فيه غريق

ومن تآليفه : النسيم الصبحي والروض اليوسفي، وهو حول رحلته لأعتاب الشريفة بمراكش حيث عين قاضيا بمدينة تارودانت، ذكر فيه ما رآه وشاهده ومن اجتمع به أيام خطته ذهابا وإيابا، ومنها حاشية على الشيخ التاودي على التحفة، ومنها شرح لألفية ابن مالك، وتآليف في الزكاة، وغيرهم.

وهو رحمه الله من المقدمين لتلقين أوراد الطريقة التجانية، وسنده فيها عن العلامة سيدي الحاج محمد كنون، وكذلك على البركة سيدي محمد بن العربي العلوي الزرهوني، وله سند آخر عن العلامة القاضي سيدي حميد بناني. وتوفي رحمه الله يوم الأربعاء 19 صفر الخير عام 1344هـ ودفن مع شيخه سيدي أحمد بن الخياط في زاوية سيدي يحيى بالرميلة بفاس، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

أفي كل يوم تعترينا نوائب ... وأنت بها عما نوت بك غائب

انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 32 وفي رياض السلوان لنفس المؤلف ص 122.

(63) العلامة الفقيه سيدي أحمد بن المامون البلغيثي العلوي، من مواليد شهر رمضان عام 1282 هـ بفاس، وبها تلقى العلم عن جماعة من جهابذة الفقهاء بالقرويين، وعمدته فيهم العلامة الكبير سيدي الحاج محمد بن المدني كنون، ومن الذين أخذ عنهم كذلك العلامة سيدي محمد بن قاسم القادري، والقاضي مولاي أحمد بن محمد العلوي، والعلامة سيدي أحمد بن الخياط، والعلامة سيدي محمد بن التهامي الوزاني، وغيرهم.

ورحل للديار المشرقية ثلاث مرات، فحج وزار والتقى بجماعة من الأعلام كالشيخ عبد الجليل برادة، والشيخ أبي الحسن علي الطاهر الوتري، والشيخ عثمان الداغستاني المدني، وغيرهم ممن أجازوه في فنون مختلفة.

ومن الوظائف التي تولاها خطة القضاء بمدينة الصويرة، ثم بالدار البيضاء، ثم بمدينة مكناس، وله رحمه الله مؤلفات كثيرة منها : الابتهاج بنور السراج، والدرر الطيبة المهداة للحضرة الحسنية، في ثلاثة أجزاء، والدر المنتخب المستحسن في بعض مآثر السلطان مولانا الحسن، في أحد عشر جزءا، وتنسم عبير الأزهار بتبسم ثغور الأشعار، وحسن النظرة في أحكام الهجرة، وتحبير طرسي بعبير نفسي، ترجم فيه لنفسه، ومجلى الحقائق فيما يتعلق بالصلاة على خير الخلائق، وتمييز الأسماء في أحكام الجماء، والنوازل الفقهية، في ثلاثة أجزاء، وغيرهم من التصانيف الأخرى.

وأخذ الطريقة الأحمدية التجانية بمدينة الصويرة لما كان قاضيا بثغرها عن المقدم العلامة سيدي محمد بن يحيى الولاتي الشنجيطي.

وكانت وفاته رحمه الله ليلة الأربعاء 9 رجب الفرد الحرام عام 1348هـ، وصلي عليه بعد صلاة الظهر بجامع القرويين، ودفن خارج باب الفتوح بفاس، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

هو الموت إن الموت ما فيه شافع ... وقد صوبت للخلق منه مدافــع

هو الموت إن تصدف يوما جنوده ... بدا منه ما تصطك منه المسامــع

انظر ترجمته في نيل المراد للعلامة الحجوجي ج 1 ص 40-43، وفي فتح الملك العلام لنفس المؤلف بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 166، وفي قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 33، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 437 رقم الترجمة 1719، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 201.

30- العلامة محمد بدر الدين الدمشقي(64)
31- العلامة سيدي محمد بن قاسم القادري(65)
32- العلامة محمد بن محمد الجباص الغرباوي السفياني(66)

---

(64) العلامة الفقيه الصوفي سيدي بدر الدين الدمشقي، من خيرة علماء دمشق، أخذ العلم عن جماعة من الجهابذة الأفاضل، وعمدته فيهم العلامة سيدي إبراهيم بن علي السقا المتوفي بالقاهرة بمصر عام 1298هـ، انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 34.

(65) محمد فتحا بن قاسم بن محمد القادري، من نسل الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني، من خيرة علماء فاس، له مصنفات كثيرة منها حاشية على شرح الشيخ جسوس على الشمائل، وحاشية على شرح الأزهري على البردة، وحاشية على شرح الشيخ الطيب بن كيران على توحيد المرشد المعين، ورفع العتاب والملام عمن قال العمل بالحديث الضعيف حرام. وتأليف في أهل البيت النبوي في عشرة كراريس، وغيرهم.

وشيوخه في العلم كثيرون، جمعهم في فهرسته المطبوعة على الحجر بفاس عام 1320هـ، ومنهم والده سيدي قاسم القادري، وسيدي أحمد المرنيسي، وسيدي محمد مسواك التازي، وسيدي المهدي بن سودة، وسيدي عمر بن سودة، وسيدي محمد بن المدني كنون، وسيدي عبد الله البدراوي، وسيدي عبد المالك الضرير، وغيرهم.

ولد رحمه الله سنة 1259هـ بمدينة فاس وبها توفي في يوم الأربعاء 13 رجب عام 1331هـ وصلي عليه بعد صلاة المغرب بجامع القرويين، ودفن بزاوية الشرفاء الصقليين داخل باب عجيسة بفاس، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

أجل كل مخلوق يصير إلى الفنـا   وعن أجل لا بد يقضيه في عنا
فإن كنت في شك من الأمر فانتظر   فإنا لا تبقى ولو عشت أزمنـا

انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 34 وانظر فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 935 رقم الترجمة 531 ومعجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي ج 1 ص 52 والفكر السامي للحجوي ج 2 ص 378 رقم الترجمة 822 والأعلام للزركلي ج 7 ص 9 ونيل المراد للعلامة الحجوجي ج 1 ص 8 وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 435 رقم الترجمة 1714.

(66) محمد بن محمد الجبا ص الغرباوي السفياني الفاسي، الصدر الأعظم، كبير الوفد المغربي الذي عينه السلطان مولانا الحسن الأول للذهاب إلى أنجلترا قصد تلقي العلوم العصرية.

وقد أخذ بالمغرب أيضا عن جماعة من العلماء منهم الشيخ ماء العينين، حيث لقنه أسرارا وأذكارا خاصة، وكان لديه اهتمام كبير بمصنفه المسمى : مذهب المخوف على دعوات الحروف، وقد ساعده العلامة سكيرج كثيرا في حل رموز هذا الكتاب، وما يحتوي عليه من الفرائد والفوائد، كما شرح له عن الأسماء الباطنية التي أخفاها المطلع بين طياته، ونظرا للعلاقة الحميمة التي كانت تجمع بين الطرفين، قام العلامة سكيرج بمدح صاحبه المذكور بقصائد نفيسة، منها قصيدة قال في مطلعها :

الحب في وجه المحب يلوح   كيف اكتتامه والنحول يبوح

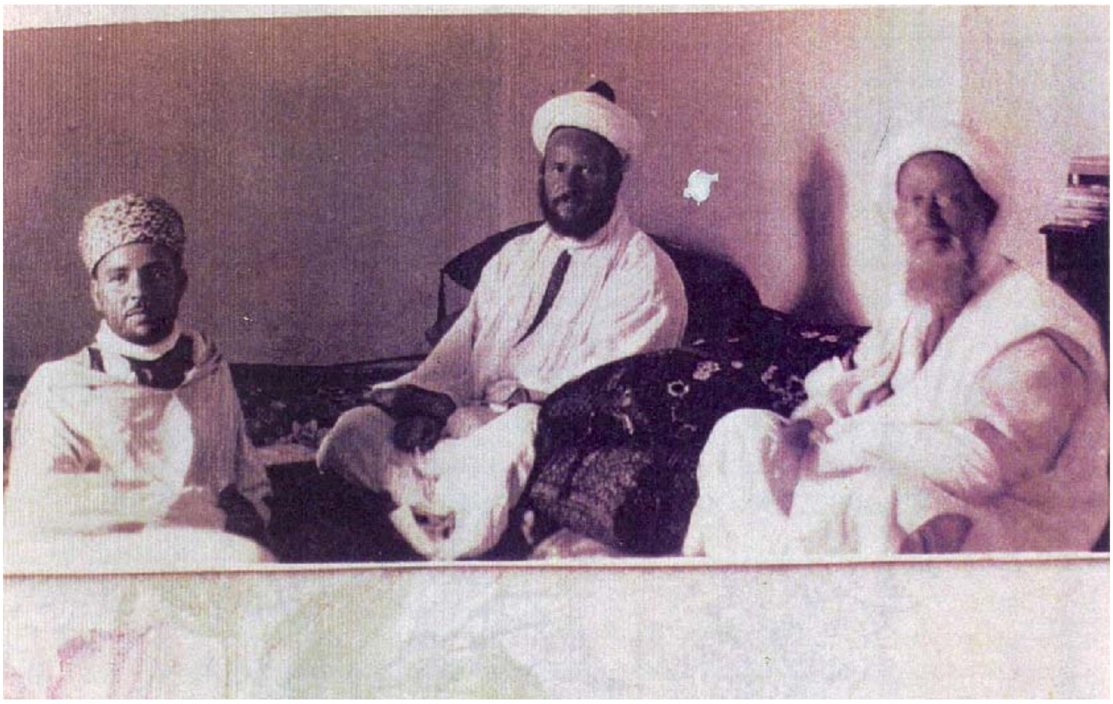
ومنها قصيدة أخرى قال في مطلعها :

إلى كم أعاني الشوق والشوق زائد   فهل أحد مثلي رأى ما أكابد

ومنها قصيدة أخرى قال في مطلعها :

إن كان قلبك لا يزال حديدا   فالقـلب مني لا أراه حديـ ـ ـ ـدا
ماذا يلينه لتشـ ـفق لي ولا   تصغى لمن في العذل صار مريدا

انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 36.



صورة للعلامة سكيرج رحمه الله، وعن يمينه ولده سيدي عبد الكريم، وعن يساره ابن عمه المهندس العلامة سيدي الزبير سكيرج

33- المهندس السيد الزبير سكيرج(1)
34- العلامة محمد بن عبد القادر بن سودة(2)
35- العلامة سيدي أحمد بن العباس البوعزاوي(3)

---

(1) الزبير بن عبد الوهاب سكيرج المهندس الفقيه الأديب الرياضي، ازداد بفاس عام 1270هـ، وهو ابن عم العارف بالله العلامة الحاج أحمد سكيرج. كان من جملة البعثة الحسنية التي وجهت لأوروبا قصد دراسة العلوم العصرية فيها، فتلقى في إنجلترا علوم الرياضيات من حساب وجبر ومقابلة، وتلقى كذلك علم الهندسة والجغرافية وغير ذلك من العلوم الحديثة العهد وقتذاك، وبعد رجوعه للمغرب اشتغل في عدة مناصب هامة، وله رحمه الله تأليف في علم الهندسة سماها: تحفة الإخوان بتخطيط البلدان، وقد أخذ الطريقة الأحمدية التجانية عن العلامة الحاج أحمد سكيرج، وتوفي رحمه الله بمقر سكناه بمدينة تطوان وذلك بعدما جاوز الثمانين من عمره.

وقد مدحه العلامة سكيرج بعدة قصائد منها قصيدة قال في مطلعها:

متى أرى الأرض تطوى لي لتطوان ... فحب أوطانها بالشوق أطواني

ما القلب مني إلى جنـاتها تـحـن ... وهنـا تحـنـو ي فيها بإخواني

انظر ترجمته في قدم الرسوخ فيما لمؤلفه من الشيوخ، للحاج أحمد سكيرج رقم الترجمة 37 وفي رياض السلوان لنفس المؤلف ص 37-39.

(2) العلامة محمد بن عبد القادر بن سودة المري، فقيه جليل، ولد بفاس، وبها تلقى العلم عن جماعة من جهابذة الفقهاء منهم: العلامة أبو العباس أحمد بن الطالب بن سودة، وهو عمدته فيه، وعن سيدي المهدي بن الحاج، وسيدي جعفر بن إدريس الكتاني، وسيدي عبد المالك الضرير، وغيرهم.

وقد استجازه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها:

كم للحقيقة قد سلكت مجـاهدا ... حتى جنيت ولن تزال مجاهدا

جوزيت خيرا وادخرت ذخائـر ... بالله فاجعلني لديـك مـجاهدا

انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 38.

(3) العلامة أبو العباس سيدي أحمد بن المهدي بن العباس البوعزاوي الفاسي، محافظ خزانة مسجد القرويين والمسجد الأعظم بفاس العليا، تلقى العلم عن جماعة من خيرة الفقهاء والمحدثين، منهم العلامة أبو الحسن سيدي علي ظاهر المدني، وقاضي مكناسة الزيتون العلامة سيدي أحمد بن الطالب بن سودة، والعلامة سيدي جعفر الكتاني، والعلامة سيدي عبد المالك الضرير العلوي، والعلامة أحمد بناني كلا، وغيرهم.

وله مصنفات منها: مناقب الشيخ أبي يعزى، في ثلاثة أسفار، والنوازل، في ثمان مجلدات، واختصار البدور الضاوية للحوات، وغيرهم. وكان له اعتناء كبير بنسخ الكتب الغريبة، كما كان يشتري طررها بفرائد وفوائد لطيفة، ونظرا لوظيفته المذكورة كان رحمه الله يقدم للعلامة سكيرج يد المساعدة في الحصول على بعض الكتب النفيسة، وذلك أيام دراسته للعلم بالقرويين، وقد استجازه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها:

ما في وصالك لي يرى من بأس ... وترد لي بعد البعاد نعاسي

فأجازه بتاريخ 11 جمادى الأولى عام 1336هـ وكانت وفاته رحمه الله بفاس عام 1337هـ، انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 39. وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 249.

36- العلامة الشيخ عبد الله بن خضراء السلاوي(4)
37- العلامة القاضي سيدي عبد العزيز بناني(5)
38- العلامة سيدي عبد السلام بن الحسن بناني(6)

---

(4) عبد الله بن هاشم بن خضراء السلاوي، فقيه، صوفي، ولد بسلا عام 1260هـ، وبها حفظ القرآن الكريم مع بعض المتون العلمية، ثم توجه للمشرق، فأخذ عن جماعة من علماء مصر والحجاز، منهم الشيخ أحمد بن زيني دحلان، وله رحمه الله مصنفات مفيدة، وتقاييد فقهية عديدة، منها حاشيته على شرح بنيس في علم الفرائض.
وعين قاضيا بمراكش عام 1297هـ، ثم أصبح قاضيا بفاس عام 1317هـ، كما أنيطت إليه رئاسة المجلس العلمي بفاس، بالإضافة لكونه مستشارا للسلطان مولاي عبد العزيز، وكانت بينه وبين العلامة سكيرج محبة ومودة متبادلة، ولهذا مدحه العلامة سكيرج بأكثر من 12 قصيدة، قال في بعض أبيات إحداها :

أســتــودع الله بدار حل ساحتكم | بوجهه تستنار كل الظـلـمـاء
غيث الندا كوثر العرفان شمس ضحى | غوث الصريخ وليث كل هيجاء
قاضي الجماعة عبد اللـه من جمعت | فيه الشريعة حقا ابن خضـراء

وصلي عليه بعد صلاة العصر تحت الثريا الكبيرة بجامع القرويين، ودفن بالزاوية الناصرية الجديدة، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

إلى الله أشكو ما ألاقيه من دهري | يحملني ما ضاق من أجله صدري

توفي رحمه الله في شهر محرم الحرام عام 1324هـ، انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 40، وفي أعلام الفكر المعاصر لعبد الله الجراري ج 2 ص 326، وفي الإتحاف الوجيز لمحمد بن علي الدكالي ص 139، وفي الإعلام بمن حل مراكش لابن إبراهيم ج 8 ص 346.

(5) عبد العزيز بن محمد بن أحمد بناني، من خاصة علماء فاس، ولد بالمدينة المذكورة سنة 1278 هـ وله مؤلفات : منها إبداء التحرير في أحكام التصوير، والقول المحقق في تحرير طلاق العوام المطلق، وغيرها، وتولى رحمه الله القضاء بفاس إلى أن أدركته المنية ليلة الأحد 25 جمادى الثانية عام 1347هـ وصلي عليه بعد صلاة الظهر بجامع الأندلس، ودفن خارج باب الفتوح، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

ما للمنون على النفوس من شفقه | يا ليتها بالذي تسقيه منخنـقـه
لقد دهتنا بفقد سادة بهـم الديـــان أشـرق من دين الهدى طـرقـــه
ما نفس الدهر عنا كربة عظمت | إلا وأخرى بها النفوس محترقه

انظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 63 وفي قدم الرسوخ لنفس المؤلف رقم الترجمة 41 وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 27 وفي معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي ج 2 ص 100. وفي نيل المراد للعلامة الحجوجي ج 1 ص 65.

(6) العلامة سيدي عبد السلام بن الحسن بن أحمد بن محمد فتحا البناني، فقيه، محدث، صوفي، من أعلام الطريقة الأحمدية التجانية بفاس، ولد بالمدينة المذكورة عام 1270هـ وبها تلقى العلم والمعرفة عن جماعة من خيرة الفقهاء، منهم عمه سيدي أحمد بناني كلا، ومولاي محمد فتحا بن عبد الرحمان العلوي المدغري، وسيدي حميد بناني، ومولاي عبد المالك الضرير العلوي، وسيدي محمد المقري القرشي المعروف بالزمخشري، وسيدي الحاج محمد بن المدني كنون وغيرهم.
وتمسك بالطريقة التجانية على يد عمه سيدي أحمد بناني كلا، وهو الذي أجازه فيها، وكانت وفاته رحمه الله ليلة الأربعاء 21 جمادى الثانية عام 1347هـ وصلي عليه بعد صلاة الظهر بالزاوية التجانية، ودفن بروضة الشرفاء العراقيين قرب باب الحمراء داخل سور باب الفتوح، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

الموت لا يبقى ولا يذر | هل فيه ينفع حاذرا حذر

انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 42، وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية للفقيه الحجوجي ج 7، وفي فتح الملك العلام لنفس المؤلف بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 157.

39- العلامة سيدي المهدي الوزاني(7)

40- الشريف البركة الملامتي مولاي الطاهر بن محمد بن أبي النصر العلوي(8)

41- العلامة الحاج عبد الكريم بنيس(9)

---

(7) محمد المهدي بن محمد بن خضر بن قاسم العمراني الوزاني الفاسي، ولد بوزان سنة 1266هـ أما وفاته فكانت بفاس في 30 محرم الحرام عام 1342هـ - 1923م، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدتين قال في مطلع الأولى :

ماذا دهاك فصرت كالولهان   مذهول بال فاقد الوجـ ـ ـ دان

وقال في مطلع المرثية الثانية :

بماذا أسلي النفس والحزن زائد   وقلبي الصبور اليوم للصبر فاقد

وله رحمه الله عدة تصانيف علمية منها : المعيار الجديد وحاشية على شرح ميارة للدر الثمين، والمنح السامية في النوازل الفقهية، والكواكب النيارة، ورسالة في الرد على محمد عبده في مسألة التسول، وحاشية على شرح المكودي للألفية، وحاشية على شرح التاودي للامية الزقاق، وغيرهم، انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 43 وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 114 وفي معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي ج 2 ص 48. وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 379 رقم الترجمة 824، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 1113 رقم الترجمة 626، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 435 رقم الترجمة 1715، وفي معجم المطبوعات لسركيس 1915-1917، وفي فهرسة سيدي المهدي بن محمد الوزاني، طبعت على الحجر بفاس في شوال عام 1314هـ.

(8) العارف بالله ذو الأحوال الخطيرة، الشريف الفاضل المقدم البركة الملامتي، مولاي الطاهر بن سيدي محمد بن أبي النصر العلوي السلجلماسي، قال في حقه العلامة الحجوجي : ما رأيت في زماننا من اتفقت الناس على ولايته وأنه من أهل الخصوصية كبيرا وصغيرا ذكرا وأنثى غيره هـ ... ولد رحمه الله عام 1251هـ، وتوفي يوم السبت 12 ربيع الثاني عام 1333هـ ودفن بالروضة المعروفة بالسيدة الجلالية بالطالعة بفاس، وقد استدعى كثيرا من أحبابه للحضور لديه بنفسه في اليوم الذي توفي فيه، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

ماذا أهاج من الأحزان بلبالي   فبان مني ما أضمرت بالبال

انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 44، وفي كشف الحجاب لنفس المؤلف ص 170، وفي رفع النقاب لنفس المؤلف ج 3 ص 215، وفي نيل المراد للعلامة الحجوجي ج 1 ص 95.

(9) الفقيه العلامة الشهير سيدي عبد الكريم بن العربي بنيس الفاسي دارا ومنشأ وقرارا، ولد رحمه الله بالعقبة الزرقاء بمدينة فاس في شهر ذي القعدة الحرام سنة 1267هـ، وبعد حفظه القرآن حفظا متقنا تعاطى لطلب العلوم، فأخذ عن أكابر العلماء والفقهاء بفاس، ومنهم والده سيدي الحاج العربي بن محمد بن عبد النبي الفاسي دار الأندلسي أصلا، والفقيه العلامة سيدي محمدكنون وسيدي أحمد بن سودة ومولاي محمد العلوي وسيدي الهادي الصقلي والعلامة سيدي محمد التدلاوي وسيدي محمد الوزاني والفقيه سيدي أحمد بن الخياط وسيدي محمد القادري وسيدي جعفر الكتاني والعلامة سيدي أحمد السريفي والفقيه سيدي إدريس البلغيثي وغيرهم.

وله رحمه الله تآليف كثيرة منها نظمه للحكم العطائية المسمى بواضح المنهاج بنظم ما للتاج، ومنها درة التاج وعجالة المحتاج، ومنها نظمه في التجويد، في أكثر من خمسمائة بيت، وغير ذلك من الفتاوي والرسائل العلمية المفيدة.

وتقلد رحمه الله بعهد الطريقة الأحمدية التجانية على يد العلامة سيدي محمد بن محمد بن عبد السلام كنون، ثم على البركة العارف بالله سيدي العربي العلمي اللحياني الموساوي بزرهون، وقدمه لتلقين أورادها العارف بربه الشريف مولاي أحمد العبدلاوي، ثم بعد ذلك حصل على الإجازة المطلقة من لدن المقدم الشهير سيدي الطيب بن أحمد السفياني،

وتوفي رحمه الله في الساعة التاسعة من صبيحة يوم الاثنين 1 جمادى الأولى عام 1350هـ وصلي عليه بعد صلاة العصر بالقرويين ودفن خارج باب الفتوح بفاس. انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 45 وفي فتح الملك العلام للعلامة الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 165. وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية لنفس المؤلف ج 7.

42- العلامة الشيخ شعيب الدكالي(10)
43- العلامة سيدي أحمد الرهوني(11)
44- العلامة سيدي عبد الله بن إدريس السنوسي(12)

---

(10) شيخ الإسلام وعميد العدلية الشيخ شعيب بن عبد الرحمان الدكالي الصديقي، ولد بدار الفقيه ابن الصديقي بدكالة في 25 ذي القعدة عام 1296هـ، وكان رحمه الله آية في الحفظ والحدة، فقد حفظ القرآن كله في خمسة أجزاء منه في سنة واحدة، وحفظ الأجرومية في يوم واحد، وألفية ابن مالك في عشرة أيام، ومتن الشيخ خليل في خمسة أشهر، واستكمل رحمه الله القرآن الكريم برواية السبع عن شيخه الأستاذ سيدي محمد بن المعاشي، ثم بعد تعاطى لطلب العلوم، فأخذ عن عشرات الشيوخ، منهم الفقيه العلامة السيد الطاهر قاضي الحضرة المراكشية والعلامة سيدي محمد بن عزوز والفقيه سيدي محمد بن أبي شعيب والعلامة سيدي الطاهر بن قدور وغيرهم، وفي سنة 1314هـ رحل للمشرق العربي فأقام بمصر ست سنوات، ثم رحل للحجاز بطلب من أمير مكة الشريف عون الرفيق، وذلك لإقراء العلم بها، وفي سنة 1327هـ رجع للمغرب فانتخب قاضيا بمراكش عام 1329هـ ثم وزيرا للعدلية عام 1330هـ، وتوفي رحمه الله ليلة السبت 18 جمادى الأولى عام 1356هـ ورثاه العلامة سكيرج بميمية قال في مطلعها :

الدهر قاض نـ ـافـ ـد الأحكام ... حتى على الحكماء والحكام
من ذا الذي في الحكم عاندها ولم ... يقضي عليه بعاجل الإعدام

انظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 3 وفي معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي ج 2 ص 141 وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 167. وفي قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 46.

(11) العلامة سيدي أحمد بن محمد الرهوني، فقيه، جليل، مشارك، أديب، تلقى العلم عن جماعة من العلماء، منهم سيدي أحمد بن الخياط، وسيدي محمد بن جعفر الكتاني، وسيدي محمد فتحا بن قاسم القادري، وسيدي أحمد بن الجيلالي الأمغاري، وسيدي محمد الصنهاجي التجاني، وسيدي المهدي الوزاني، وسيدي عبد العزيز بناني وغيرهم.
وهو من أعلام الطريقة الأحمدية التجانية بتطوان، ومن مصنفاته كتاب عمدة الراوين في تاريخ تطاوين، في عشرة أجزاء، وقد شغل مناصب ووظائف سامية، حيث عين وزيرا للعدلية بالمنطقة الخليفية، وأثناء ذلك أسند إليه قضاء مدينة تطوان، ثم أعفي من الوزارة، ثم رد إليها، ثم أعفي ثانيا، وعين خليفة لرئيس المجلس الأعلى للتعليم الإسلامي بالمنطقة المذكورة، ثم ترقى رئيسا لهذا المجلس إلى أن توفي يوم الاثنين 13 ربيع الثاني عام 1373هـ، ودفن بالزاوية العيساوية بحومة العيون بتطوان.
انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 47، وفي تاريخ تطوان لمحمد داود ج 1 ص 50-58، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 253.

(12) العلامة سيدي عبد الله بن إدريس السنوسي الحسني، فقيه، محدث، أديب، صوفي، ولد بفاس عام 1260هـ، وبها تلقى العلم عن عدة شيوخ، منهم والده سيدي إدريس، وسيدي محمد بن عبد الرحمان العلوي، وسيدي أحمد بناني كلا، والقاضي سيدي حميد بناني، وسيدي أحمد بن الحاج، وسيدي محمد بن المدني كنون، وغيرهم، ثم انتقل للمشرق قصد الإقامة هناك، فأخذ بالحجاز عن جماعة من الفحول كالشيخ عبد الغني الدهلوي المجددي الهندي، والشيخ محمد عليش، والشيخ محمد السقا خطيب جامع الأزهر بمصر وغيرهم.
وعند عودته للمغرب استقر بمدينة طنجة جوار رفيقه السلطان مولاي عبد العزيز، وكان يلقى دروسا في صحيح البخاري بالجامع الكبير، أو مسجد مرشان من المدنية المذكورة، فيحضرها جماعة من الأعيان، وفي طليعتهم السلطان المذكور، حيث يجلس غير بعيد من الحلقة من غير تصدر ولا ظهور، وكانت وفاته رحمه الله ليلة الأحد 24 جمادى الأولى عام 1350هـ ودفن بمسجد مرشان، انظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 66-73، وفي قدم الرسوخ لنفس العلامة رقم الترجمة 48، وفي مواكب النصر لسيدي محمد بن عبد الصمد كنون ص 20-24.

45- العلامة سيدي عبد السلام بن محمد بناني(13)
46- العلامة سيدي أبو بكر بناني(14)
47- العلامة الحيسوبي محمد بن علي الأغزاوي(15)
48- المقدم سيدي الطيب السفياني(16)

---

(13) عبد السلام بن محمد بناني، الفقيه العلامة عبد العزيز بناني، فقيه، محدث، أديب، خطيب، صوفي، أخذ العلم عن جماعة من الفقهاء، في مقدمتهم الفقيه المذكور، والعلامة سيدي محمد فتحا القادري، وسيدي أحمد بن الخياط، وسيدي الحاج محمد فتحا بن محمد بن عبد السلام كنون، وغيرهم.

وهو من المقدمين في الطريقة الأحمدية التجانية. أجازه فيها الولي الصالح العلامة سيدي العربي العلمي اللحياني، وغيره من السادات الأكابر، وكانت وفاته رحمه الله في شهر رمضان المعظم عام 1329هـ، ودفن خارج باب الفتوح، انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 49، وفي فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 158.

(14) الفقيه العلامة الجليل سيدي أبو بكر بن العربي بناني، من جهابذة فقهاء فاس، توفي زوال يوم الثلاثاء 12 جمادى الأولى عام 1330هـ، بعد أن لزمه داء البطن مدة لم يبرح فيها عن الفراش، ودفن بضريح سيدي بن يحيى الفخاوي بفاس، وتاريخ إجازته للعلامة سكيرج في فاتح جمادى الأولى من السنة المذكورة، أي قبل وفاته بأسبوعين، وكان ذلك بالزاوية الأحمدية التجانية بفاس، انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 50.

(15) سيدي محمد بن علي بن عمرو بن علي الأغزاوي، فقيه، حيسوبي، موقت، ولد بفاس في 8 رجب عام 1268هـ، وبها تلقى العلم عن جماعة من العلماء، منهم العلامة سيدي محمد بن المدني كنون، وسيدي محمد فتحا بن قاسم القادري، وسيدي محمد المتيوي، وسيدي أحمد المرنيسي، وسيدي عبد الواحد بن سودة، وسيدي إدريس العلوي البلغيثي، وسيدي عبد السلام العلمي، وسيدي أحمد التواتي، وسيدي عبد السلام الفلالي، وسيدي الجيلالي الرحالي، وغيرهم.

وله مصنفات منها: إتحاف المبتكر لنظام ابن عاشر، في الربع المجيب، وشرحه على منظومة سيدي عبد الرحمان الفاسي، في الربع المجيب، والدرة المختارة في تعديل الكواكب السيارة، وغير ذلك من التآليف الأخرى. وكانت وفاته رحمه الله يوم الأحد 13 رجب الفرد الحرام عام 1340 هـ، ودفن بروضة الأغزاويين داخل باب عجيسة، بعد أن صلي عليه بجامع القرويين، انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 51، وفي نيل المراد للعلامة الحجوجي ج 1 ص 65، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 302.

(16) الشريف البركة المقدم سيدي الطيب بن أحمد بن الطيب الودغيري، المدعو السفياني، من ذرية سيدي أحمد بن مولانا إدريس الأزهر باني مدينة فاس، ولد عام 1262هـ، وتمسك بالطريقة الأحمدية التجانية عام 1280هـ، وكان عمره وقتئذ 18 سنة، وذلك عن والده البركة الأديب سيدي أحمد السفياني، وعن المقدم الجليل مولاي الغالي بن موسى بن معزوز، والعلامة المقدم سيدي أحمد بناني كلا، وأجازه في تلقين أورادها لمن طلبها منه الشريف سيدي محمد البشير حفيد الشيخ التجاني رضي الله عنه، والبركة سيدي أحمد العبدلاوي، والعلامة الخطيب سيدي علال بن عبد الله الفاسي، والولي الصالح العلامة سيدي محمد العربي بن السائح، والعلامة الفاضل سيدي الحاج الحسين الإفراني وغيرهم.

وكانت وفاته رحمه الله بعد الزوال من يوم الأربعاء 26 ذي القعدة الحرام عام 1357هـ، وصلى عليه بعد صلاة العصر بالزاوية الأحمدية التجانية، ودفن خارج باب عجيسة مع أسلافه الكرام، انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 52، وفي نيل المراد للفقيه الحجوجي ج 2 ص 63.

49- العلامة الشيخ عثمان بن المكي التونسي(17)
50- العلامة الشيخ بخيث المصري(18)
51- العلامة الشيخ سليم البشري(19)
52- الشريف البركة سيدي محمود التجاني(20)
53- الشريف البركة سيدي محمد الكبير التجاني(21)
54- العلامة محمد الجودي القيرواني(22)

---

(17) العلامة الشيخ عثمان بن المكي التوزري الزبيدي التونسي، صاحب التآليف الكثيرة، ولد بتوزر عام 1266هـ، وتلقى العلم عن جماعة من أعلام بلاده منهم: عمر بن عثمان النفطي، والعلامة سيدي عمر بن عمارة الشريف النفطي، انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 53.

(18) محمد بخيت بن حسين المطيعي الحنفي، مفتي الديار المصرية، له مصنفات منها: القول المفيد في علم التوحيد، وأحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدع من الأحكام، والكلمات الحسان في الأحرف السبعة وجمع القرآن، وإرشاد الأمة إلى أحكام أهل الذمة، ورفع الأغلاق عن مشروع الزواج والطلاق، وحسن البيان في دفع ما ورد من الشبه على القرآن، والبدر الساطع على جمع الجوامع، وغيرهم.
توفي رحمه الله عام 1354هـ، انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 54، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 234 رقم الترجمة 550، وفي معجم المطبوعات لسركيس 538، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 50، وفي صفوة العصر لزكي فهمي ج 1 ص 501.

(19) سليم بن أبي فراج بن سليم بن أبي فراج البشري، شيخ الجامع الأزهر، تولى نقابة المالكية بمصر، ثم مشيخة الأزهر مرتين، من مصنفاته: المقامات السنية في الرد على القادح في البعثة النبوية، توفي رحمه الله عام 1335هـ، انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 55، وفي مرآة العصر لزخورا ج 2 ص 465، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 119، وفي الكنز الثمين لفرج سليمان ج 1 ص 106.

(20) البركة الشريف سيدي محمود بن سيدي محمد البشير بن سيدي محمد الحبيب بن الشيخ أبي العباس أحمد التجاني رضي الله عنه، ولد عام 1297هـ بعين ماضي، أما وفاته فكانت بالأغواط في 24 محرم الحرام عام 1353هـ وكان عمره عند وفاته 56 سنة، ونقل من الغد إلى عين ماضي حيث دفن داخل ضريح جده سيدي محمد الحبيب رضي الله عنه، انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 56 وفي نيل المراد للعلامة الحجوجي ج 1 ص 90، وخصصه العلامة سكيرج بترجمة مفيدة من خلال الرحلة التي قام بها معه داخل المغرب، وذلك تحت عنوان: غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود. وهي ضمن التآليف الموجودة داخل هذا المجموع ج 2 ص 29-186.

(21) سيدي محمد الكبير بن سيدي محمد البشير بن سيدي محمد الحبيب بن الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه، ولد بقرية عين ماضي مقر أسلافه الكرام عام 1283هـ، وكانت وفاته رحمه الله بالقرية المذكورة عام 1350هـ، وبها دفن، انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج، رقم الترجمة 57.

(22) محمد بن محمد بن القاضي محمد صالح بن قاسم الجودي التميمي القيرواني، مفتي القيروان، ولد بالمدينة المذكورة في 30 شوال عام 1278هـ، وبها توفي عام 1362هـ، من مصنفاته: مورد الظمآن في تراجم المشهورين من صلحاء القيروان، في مجلدين، وقضاة القيروان من لدن الفتح الإسلامي إلى الآن، انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 58، وفي رياض السلوان لنفس المؤلف ص 152، وفي معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي ج 1 ص 96، وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 83.

55- العلامة الشيخ محمد بن يوسف الحنفي التونسي(23)
56- العلامة الشيخ أحمد جمال الدين التونسي(24)
57- العلامة الشيخ سالم بوحاجب(25)

---

(23) أبو عبد الله محمد بن يوسف الحنفي، من أكابر علماء جامع الزيتونة بتونس، تلقى العلم عن جماعة من خيرة فقهاء قطرها، منهم الشيخ عمار بن سعيدان، والعلامة حسين بن أحمد بن حسين مفتي المالكية، والعلامة محمد الطيب النيفر كبير أهل الشورى المالكية، والعلامة محمد بيرم المفتي الحنفي، والعلامة سالم بوحاجب والعلامة محمد الشاذلي بن القاضي، وغيرهم.
وهو من أعلام الطريقة الأحمدية التجانية بتونس، توفي رحمه الله صباح يوم الخميس 25 شوال عام 1358هـ، ودفن بالجلاج المقبرة المشهورة بتونس، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

الموت أكبر واعـظ للناس   وجميعهم متغافل أو ناسـي
حتى يحل بمن يكون لنفسه   كالروح أو كالروح للأنفاس
فيصير منزعجا به واريمـا   قد صار فيه فاقد الإحساس

انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 59، وفي فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 78.

(24) العلامة أحمد جمال الدين التونسي، من خيرة علماء تونس، انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 60.

(25) أبو النجاة سالم بن عمر بوحاجب، فقيه جليل، ولد بتونس عام 1243هـ، وبها أخذ عن أكابر علمائها، وهو كبير أهل الشورى المالكية بتونس، ومن مصنفاته : شرح على الفية ابن عاصم في علم أصول الفقه، وتقريرات على صحيح الإمام البخاري، وديوان خطب، وتقارير على الأشموني على الخلاصة، كما اشترك مع خير الدين باشا التونسي في تحرير كتابه : أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، وكانت وفاته رحمه الله في شهر ذي الحجة الحرام عام 1342هـ، ودفن بمقبرة الجلاج، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

ماذا أصابك حتى صرت حيـرانـا   وصرت تبكي وما استطعت سلوانـا
وما ذهلت ولم تعرف بذي جـزع   حتى جزعت وقد هـيجـت أحـزانـا
وما عراك فـمـزقـت التصبر عـن   لواعج قد لـوت حـشـاك نيرانـا

انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 426 رقم الترجمة 1689، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 71، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 379 رقم الترجمة 825. وفي قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 61.

58- العلامة الشيخ سيدي صادق بن الطاهر الرياحي(26)
59- العلامة سيدي عبد الرحمان القرشي(27)
60- العلامة محمد الطاهر بن عاشور التونسي(28)

---

(26) العلامة سيدي الصادق بن سيدي محمد الطاهر بن العلامة سيدي إبراهيم الرياحي التونسي، فقيه، محدث، أديب، ولد بتونس في شهر رمضان المعظم عام 1285هـ، وبها تلقى العلم عن مجموعة من خيرة العلماء، في مقدمتهم والده العلامة سيدي محمد الطاهر الرياحي، والعلامة سيدي حسين بن أحمد بن حسين، وسيدي محمد بن يوسف التركي، وسيدي محمود بيرم، وغيرهم.

وله رحمه الله مصنفات منها: الموارد السنية في شرح القصيدة الإبراهيمية، وهو شرح لقصيدة جده العلامة سيدي إبراهيم الرياحي التي يقول في مطلعها:

على باب خير الخلق أوقفني قصدي ... لعلمي بأن المصطفى واسع الرفد

وهو في جزءين الأول في ترجمة جده المذكور، والثاني في شرح القصيدة، وله شرح على المولد النبوي لجده أيضا، وشرح لأرجوزة جده في علم النحو، وغيرهم.

وقد مدحه العلامة سكيرج بأكثر من قصيدة، منها قوله في مطلع واحدة منها:

يا قاصدا تونس الخضراء من فـاس ... سر بي إليها لكي تطيب أنفاسـي
لي بين سكانها من في الحشا سكنوا ... مني وصرت بها مفقود إحساسي
بالله إن لـم تـسـاعـدني فتحملني ... فاحمل سلامي لهم فهم هم ناسـي

انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 62.

(27) العلامة الشريف أبو زيد عبد الرحمان بن القرشي، قاضي الحضرة الفاسية، فقيه، نوازلي، أديب، شغل وظائف سامية متعددة، أهمها تعيينه على رأس وزارة العدلية،

وعند وفاته رثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها:

الموت أعـظـم قاهر للـناس ... والناس أعظم ورطة للناس
فلماذا لا يبكي ابن آدم نفسـه ... مما يقاسيه بـغير قيـاس
ألـغـفـلـة جـرت عليه ذيولها ... فغدا بها في رقدة ونعـاس

انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 63.

(28) محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بها، ولد بتونس العاصمة عام 1296هـ، وبها توفي عام 1393هـ، من مصنفاته: مقاصد الشريعة الإسلامية، والتحرير والتنوير، في تفسير القرآن، صدر منه عشرة أجزاء، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام، والوقف وآثاره في الإسلام، وديوان بشار بن برد، في أربعة أجزاء، وأصول الإنشاء والخطابة، وموجز البلاغة، وغيرهم، انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 64، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 174.

61- العلامة محمد البيضاوي الشنجيطي(29)
62- العلامة محمد بن الحاج محمد بن لحسن الفاسي(30)

[illegible]

ابتدأت علاقة العلامة سكيرج بالطريقة الأحمدية التجانية منذ العقد الأول من عمره، حيث كان يصحب جده البركة سيدي عبد الرحمان سكيرج(31) لصلاة المغرب وتأدية ذكر الوظيفة بعدها بالزاوية الكبرى بفاس، ورغم وفاة جده المذكور مبكرا عام 1311هـ ضل العلامة سكيرج يتردد على الزاوية مرة بعد مرة، خاصة مع والده الفقيه المحب الذاكر الحاج العياشي.

وهكذا نشأ العلامة سكيرج في وسط صوفي محض، فكان ذلك دافعا قويا له للتمسك بالطريقة الأحمدية التجانية عام 1315هـ-1898م، على يد العلامة المقدم سيدي محمد فتحا بن محمد بن عبد السلام كنون الإدريسي الحسني(32)، وكان عمره عند تمسكه بها 20 سنة.

وفي نفس السنة المذكورة جدد الإذن في الطريقة تبركا على أستاذيه العلامة مولاي عبد المالك الضرير العلوي(33)، والعلامة مولاي عبد الله بن إدريس البدراوي(34)، ولدا حلول عام 1316هـ اجتمع بالعارف الكبير الشريف البركة مولاي أحمد العبدلاوي(35).

---

(29) العلامة الأديب سيدي محمد بن عبد الله الشنجيطي البيضاوي، نسبة لناحية ببلاد شنجيط تسمى بالبيضاء، وهو من المتقيدين بعهد الطريقة الأحمدية التجانية وله اليد الطولى في علوم العربية والأدب، مع حافظة قوية لأشعار العرب، كالمعلقات وما إليها، كان عدلا بطنجة ومدرسا لمادة اللغة العربية بإحدى مدارسها، ثم عين كاتبا بالمراقبة ببني ملال، ثم كاتبا مع رئيس التحرير لجريدة السعادة، اللسان الرسمي للحكومة بالرباط، ثم قاضيا ببني عمير بسوق أربعاء الفقيه بن صالح، ناحية بني ملال، ثم قاضيا بوادي زم ودائرته، ثم باشا بتارودانت، إلى أن توفي على ذلك هنالك في 11 محرم الحرام عام 1365هـ، ونقل إلى مراكش، ودفن بها بمقبرة باب أغمات.
انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 65، وفي مواكب النصر لمحمد بن عبد الصمد كنون ص 100، وفي علماء المغرب المعاصرين لابن الحاج ص 431.

(30) سبق التعريف به في هذا التأليف ج 1 ص 21.

(31) سبق التعريف به في ج 1 ص 6 من هذا المؤلف.

(32) سبق التعريف به في ج 1 ص 26 من هذا المؤلف.

(33) سبق التعريف به في ج 1 ص 26 من هذا المؤلف.

(34) سبق التعريف به في ج 1 ص 30 من هذا المؤلف.

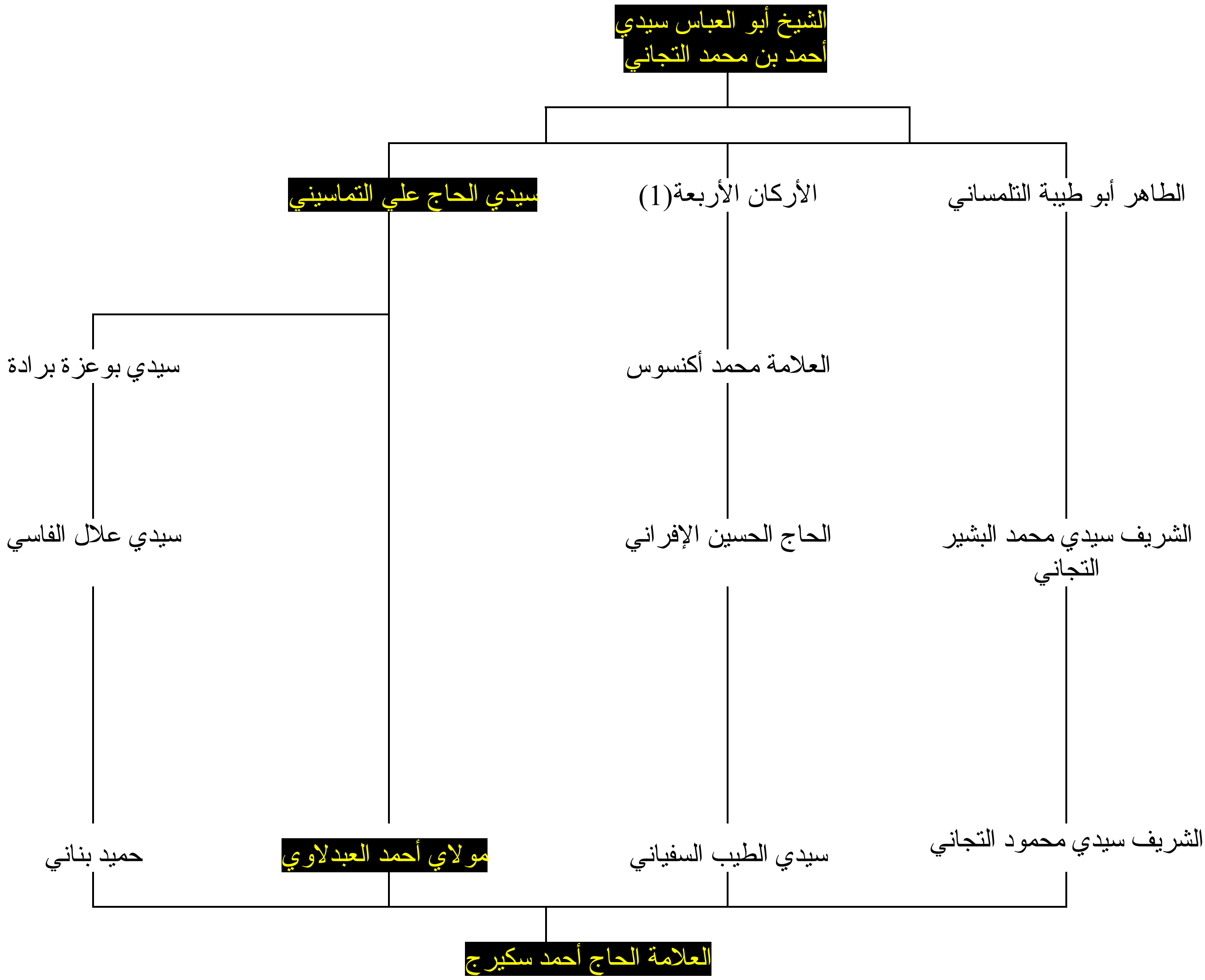
(35) سبق التعريف به في ج 1 ص 27 من هذا المؤلف.

فأجازه إجازة مطلقة بسنده العالي، ولقنه علوما وأسرارا وحكما وفهوما يكل عن وصفها اللسان، كما آخى بينه وبين ولده سيدي محمد(1)، فازدادت الروابط بينهما صلة ووثوقا، فكان كل منهما يكن للآخر بالغ المحبة والمودة والوئام.



صورة للعارف بربه البركة مولاي أحمد العبدلاوي

(1) الفقيه سيدي محمد بن أحمد بن محمد بن قويدر العبدلاوي، ولد بقرية بعين ماضي عام 1265 هـ وتربى في دار الشيخ رضي الله عنه بالقرية المذكورة، وهو رضيع حفيده مولانا البشير بن سيدي محمد الحبيب رضي الله عنهما، حفظ رحمه الله القرآن بعين ماضي على الفقيه سيدي الحاج الحشاني الصيدي النعمي، والفقيه الحاج مبارك الفيلالي، وأتم حفظه وتجويده على الفقيه الشيخ ابن عاشور الجزائري. ولما استوى مع والده بفاس تعاطى لطلب العلم، فقرأ عن عدة شيوخ منهم القاضي مولاي محمد العلوي، والعلامة ابن عبد الواحد بن سودة، والقاضي سيدي الهادي الصقلي وغيرهم، وأخذ رحمه الله الطريقة التجانية عن والده المقدم الشهير سيدي أحمد العبدلاوي سنة 1288هـ ثم كتب له الإجازة فيها عام 1305هـ، وكانت وفاته بمدينة صفرو في ليلة الأربعاء 3 شعبان الأبرك عام 1349هـ، ونقل جثمانه الكريم لمدينة فاس حيث دفن بجانب قبر والده بروضة سيدي الطيب السفياني بباب عجيسة. انظر ترجمته في رياض السلوان فيمن اجتمعت بهم من الأعيان، للعلامة سكيرج ص 131.



(1) الأركان الأربعة هم : العارف بالله سيدي محمد الغالي أبو طالب، والبركة الشريف سيدي محمد بن أبي النصر العلوي السجلماسي، والبركة الناسك الذاكر سيدي الحاج عبد الوهاب بن الأحمر الفاسي، والشريف العفيف سيدي الطيب السفياني.

hudžFWtlll€ huدێDŽӨŮ€ huيقþUʼllFG Ljƻƹʅ

كان شغف العلامة سكيرج بالطريقة الأحمدية التجانية كبيرا، ولم يكن هذا الشغف إلا في تزايد مستمر منذ تقلده بعهدها عام 1315هـ إلى حين وفاته في شهر شعبان عام 1363هـ، وكان هذا الولوع أكبر دافع له فيما صنفه حول هذه الطريقة من عشرات الكتب النفيسة القيمة.

فما من بلد أو مدينة زارها إلا وقصد رحاب الزاوية التجانية بها. حيث يجتمع بالإخوان الفقراء، فيسدي لهم النصائح الغالية الكريمة، ويوصيهم على توثيق عرى الأخوة الحميمة. كما يحثهم على التمسك بالكتاب والسنة، ولا يرى في ذلك له عليهم فضلا ولامنة. وما من زاوية تجانية دخلها إلا وقال في حقها أو على لسانها قصيدة أو قصيدتين من أشعاره البديعة الجميلة.

ومن ذلك أنه كان كثيرا ما يجلس للذكر والتلاوة تحت الجدار المقابل لضريح سيدنا الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه، ففاضت قريحته يوما بشعر على لسان الجدار المذكور فقال :

قف هاهنا وتأمل صنعة الباري ... وانظر إلى بهجتي ونور أسراري
واستقبلن ضريحا لا نظير له ... قد استنارت به جميع الأقطـــــار
فالسر لا للمباني بل لساكنـهـا ... من فاته أهلها يـنـظـر للآثــــــار
هذا مقام به العليا قد ابتهـجـت ... من حله لم يخف من شر جبــــار
إن الصلاة به مـقـبـولـة وكـذا ... فيه الدعا مستجاب دون إنكــــار
فإنه جنـة للـنـاظـريـن بـــلا ... شك وللـداخـلـيـن جنـــة الـنـار(1)

ومن ذلك قصيدة في حق الزاوية التجانية بمدينة سلا قال في مطلعها :

هذا المقام الذي من حله سعـــدا ... سعادة ليس يشقى بعدها أبــــدا
هذا المقام الذي من جاء قاصده ... ينال بين الورى والله ما قصدا(2)

ومن ذلك قصيدة في حق الزاوية التجانية بمدينة القصر الكبير قال في مطلعها :

هذا المقام لختم الأوليا نسبــــا ... نجل الرسول الذي فاق الورى نسبا
وفضله سائر الأعدا به شهدوا ... وحسنه لعقول العـالميـن سـبـــا(3)

ومن ذلك أيضا قصيدة في حق الزاوية التجانية بمدينة تطوان قال في مطلعها :

داعي السعادة للأنـــــام ... يدعو إلى دار السلام

ويقول فـــي إنـشـــــاده ... لمن ابتغى نيل المرام
بشرى لمن قد حل من ... بين الورى هذا المقام(4)

---

(1) انϑار ƻƬێ الحجاب للعلامة سكيرج f 45 وفي النڌحاƘ الربانية لنƩ المƋ ƻ f 60.
(2) انϑار النڌحاƘ الربانية للعلامة سكيرج f 49 وفي الƧرابي المبۿوتة لنƩ المƋ ƻ f 83.
(3) انϑار النڌحاƘ الربانية للعلامة سكيرج f 19.
(4) انϑار النڌحاƘ الربانية للعلامة سكيرج f 77.

ومن ذلك قصيدة في حق الزاوية التجانية الكبرى بمدينة فاس قال في مطلعها :

شرف لفاس إن أردت المشرقا　　　فبها مقام في المجادة قد رقا
ذاك المقام مقام من فاق السوى　　　وعلا إلى ما في العلا لن يلحقا(5)

ومن ذلك قصيدة في حق الزاوية التجانية بتلمسان قال في مطلعها :

هذا المقام الذي من حله أمنا　　　ومن جميع الشرور دائما ضمنا
ضمانة المصطفى تعم داخله　　　وبين أهل الهدى يحضى بكل منى(6)

ومن أشعار العلامة سكيرج التي كتبت على جدران الزاوية الكبرى بفاس قوله :

هذا المقام سمت بالله رتبته　　　بخاتم الأوليا ممد كل ولي
بشرى لزائره طوبى لصاحبه　　　وسعده بضمان سيد الرسل
قطب الوجود التجاني من له كملت　　　مناقب نورها في العالمين جلي
حباه خير الأنام منه مطلبه　　　ففاض سر له في السهل والجبل(7)

ومن ذلك قوله أيضا :

قف في تجاه التجاني ساعة فتنل　　　كل الأماني مع الأمان بالعجل
فذا الضريح به أنواره سطعت　　　فضاء منها فضاء سائر السبل(8)

LjdžY Ŷɛ Ǐ Ʈþ ǏdžFWǁɛ ƨFGyǁɛ ǏGc Ơʅǁɛ Ǐʒ LjGƟDž

كان العلامة سكيرج رحمه الله مستغرقا في محبة شيخه أبي العباس التجاني رضي الله عنه أتم الاستغراق، متفانيا في وداده، متشبثا بأوراده، معجبا بتعاليمه وأفكاره، عاشقا لسائر أنواع آثاره. ومما ثبت عنه في هذا الشأن أنه رحمه الله وجد عند بعض أصدقائه العكازة التي كان الشيخ أبو العباس التجاني رضي الله عنه يجعلها في يده حين ذهابه وإيابه، فأخذ تلك العكازة بيمينه للتبرك بها. وفاضت قريحته الشعرية حينا، فقال ماسكا لها :

---

(5) انϋار النϊحاƘ الربانية للعلامة سكيرج f 107، وفي الƧرابي المبϡوتة لنΣ المϭاƧ f 38.
(6) انϋار النϊحاƘ الربانية للعلامة سكيرج f 93.
(7) انϋار رفع النقاب للعلامة سكيرج ج 1 f 153.
(8) انϋار رفع النقاب للعلامة سكيرج ج 1 f 153.

بشراي قد جاد لي دهري بأمنيتـــي وحاز كفي سرا لم يـكـن حـــازه
إن فاتني من يدي شيخي مصافحة فاليوم ها أنا ذا صافحت عـكازه(9)

وللعلامة سكيرج ديوان حافل في مدح شيخه أبي العباس التجاني رضي الله عنه سماه : النفحات الربانية في الأمداح التجانية. وله في نفس الموضوع ديوان آخر سماه : حياة القلب الفاني بمدح القطب التجاني، إلا أن المنية عاجلته دون ترتيبه وإتمامه.

وله في مدح شيخه المذكور أيضا قصائد كثيرة متفرقة بين كنانيشه وأوراقه، وقد قمت بعملية إحصاء لعدد قصائده التجانية فوجدت أنها تقارب 300 قصيدة في مختلف الأوزان والقوافي.

وأول قصيدة مدح بها الشيخ التجاني رضي الله عنه كانت عام 1317هـ بمناسبة ورود التابوت التونسي المرفوع هدية لضريح الشيخ المذكور. ومطلع هذه القصيدة :

داعي الغرام بروضه ألقاني وسقى فؤادي بالرحيق الفاني
فتنسمت ريح القبول بعرفـه والقول يهتف من قدود البـــان(10)

وكان عمره عند استعماله هذه القصيدة 22 سنة فقط.
وبعد ذلك عارض همزية الإمام البوصيري بقصيدة مماثلة في مدح الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله تعالى عنه، فقال في مطلعها :

كيف تسمو سموك الأولياء وانتهاء العلا لديك ابتداء
يا أبا العباس التجاني لـقـــد حـــــــــــزت مقاما باهت به العلياء(11)

وعدد أبيات هذه القصيدة 99 بيتا على عدد أسماء الله الحسنى.
ومن قصائده الجميلة التي مدح بها شيخه المذكور قصيدته التي عارض بها دالية الإمام البوصيري ومطلعها :

---

(9) انظر رفع النقاب للعلامة سكيرج ج 1 ص 178، وفي النفحات الربانية لنفس المؤلف ص 65.
(10) انظر النفحات الربانية للعلامة سكيرج ص 88، وفي نسمات الأسحار لنفس المؤلف ص 33.
(11) انظر النفحات الربانية للعلامة سكيرج ص 9، وفي نسمات الأسحار لنفس المؤلف ص 21، وفي نور السراج لنفس المؤلف كذلك ص 18-22.

سلب الغرام من الفؤاد تجلـــدي   فالعين مني كحلت بتسهـــد
والقلب في الخفقان من ريح الهوى   والعقل رهن تخيل وتـعـربـد
سكران من خمر الصبابة والصبا   كيف استماعي للوشاة الحسد(12)

وكان العلامة سكيرج رحمه الله عازما على تأليف كتاب يجمع فيه جميع القصائد التي قيلت في مدح شيخه أبي العباس التجاني رضي الله عنه. وبناءا عليه قام باللبنة الأولى من أجل إنجاز ذلك العمل الجبار. غير أن المنية عاجلته دون إتمامه وترتيبه وتنقيحه. وسماه : الفتح الرباني فيما مدح به القطب التجاني. وقد وقفت على مبيضة هذا الكتاب بخطوط مختلفة. وهو يحتوي على قصائد كثيرة في مدح شيخه المذكور.

ƸNjƬﷲƐ DžƳ ƱFʒﷲƐ Ǐ ʒ ǇɓNjد

hيdžFШﷲƐ hيدǅΘǓƐ hيقɓƯﷲƐNj

كانت حياة العلامة سكيرج رحمه الله حافلة بالدفاع عن الإسلام والعروبة من جهة وعن التصوف والطريقة الأحمدية التجانية من جهة ثانية. فناظر وجادل حيثما حل وارتحل بعزيمة قوية وإيمان وشجاعة وإخلاص.

فكم مرة ناظر المنكرين للطرق الصوفية في حلقات مساجد مدينة فاس. فأفحمهم وانتصر عليهم. ولا زالت الفتوى بها إلى يومنا هذا تدور على أرجحية أقواله وأجوبته النيرة.

ويضاف إلى هذه المناظرات والمحاورات، ما ألقاه في صميم الموضوع من الندوات والمسامرات، وسيطلع القارئ لهذا البحث على بعضها ضمن الفصل الخاص منه بالمسامرات.
وكما اهتم بالجانب الشفوي في هذا الشأن كان للجانب المكتوب منه فيه حظ وافر. وحديث متواتر. حيث طرقت ردوده المخطوطة منها والمطبوعة كل باب. وتناقل أخبارها المنيفة ذووا العقول والألباب. ولا زالت لحدود يومنا هذا موضع إقبال وتقدير لدا المهتمين والباحثين، ومثار اهتمام بالغ عند جميع المختصين. وهذه بعض كتبه التي صنفها في الذود عن حمى الطريقة الأحمدية التجانية :

1- قرة العين في الجواب على أسئلة مؤلف خبيئة الكون
2- السر الرباني في رد ترهات ابن مايابي العاني

(12) انƱار النƽحاƘ الربانية للعلامة سكيرج f 42 وفي نور السراج لنƽƩ المƌƨ f 13-18.

3- عقد المرجان الموجه إلى الشيخ محمد بن سليمان
4- تنبيه الإخوان على أن الطريقة التجانية لا يلقنها إلا من له إذن صحيح طول الزمان ولا يصح تلقينها عمن يلقن غيرها من الطرق كيف ما كان
5- كشف البلوى في رد الفتوى المنشورة على مجلة التقوى
6- زوال الحيرة بقاطع البرهان بالجواب عما نشرته جريدة الزهرة تحت عنوان : أين حماة القرآن
7- الحجارة المقتية لكسر مراءة المساوئ الوقتية
8- الإيمان الصحيح في الرد على مؤلف الجواب الصريح
9- الصراط المستقيم في الرد على مؤلف المنهج القويم
10- الحق المبين في انتصار التجانيين على علماء القرويين

11- القول المصيب في بيان ما خفي على مدير جريدة الفتح محب الدين الخطيب
12- نصيحة الإخوان في سائر الأوطان.

وله رحمه الله في هذا المضمار قصائد شعرية كثيرة أدت بإتقان كبير ما كان يتوخى منها من الصدع بالحق وإظهار الصواب، مع دفع الترهات والأباطيل التي يركبها ويحوم حولها أهل البغض والإنكار.

ولقد أدت هذه الأشعار مع غيرها من المصنفات السابقة دورا مميزا في توجيه الناشئة لما فيه رضا الله ورسوله، وتجنيبها خطر وعواقب إذاية ومعاداة سادتنا أولياء الله تعالى، وهي قصائد كثيرة منها قصيدة رائية في 30 بيتا قال في مطلعها :

أرى فتية الأهواء قد أكثروا النكرا　　　وظنوا بأهل الله في عصرهم شرا
وقالوا بأن القوم ســاءت فـعـالـهـم　　　وأقوالهم مع كتبهم ضمنت كـفـــرا(13)

ومنها قصيدة قافية في 22 بيتا قال في مطلعها :

سألزم نفسي نصرة الحق بالحق　　　ولا أدع الأهواء تعبث بالطرق

(13) انلار الكنا ţ الصحٖير للعلامة سكيرج f 3.

ومن كان مثلي أيـد اللــه قـولـه   يدافع عن طرق الهداية بالحـق(14)

ومنها قصيدة ميمية في 25 بيتا قال في مطلعها :

أنا لجميع الأولياء مـسلــــــم   ومن كان مثلي فهو للحق مسلم
فأدعو إلى نهج السعادة أهلها   وكـل سعيد فهـو للخيـر مـلـهــم(15)

ومنها قصيدة بائية في 26 بيتا قال في مطلعها :

أعلمتم بسنة وكتاب   فدعوتم إليهما باحـتــســـاب
لا وحق الكتاب والسنة الـغـــــرا لأنتم من أمركم في ارتياب(16)

ومنها قصيدة رائية في 28 بيتا قال في مطلعها :

أنا لست ممن للكرامات أنكـروا   ولا من أناس عن ذوي الحق أدبروا
ولست على بعض الشيوخ بحاقد   وإن كان ممن في الصدور تصـدروا(17)

ومنها قصيدة دالية في 26 بيتا قال في مطلعها :

فلاح المريد أن يصح اعـتـقــــاده   ويكمل للحق المبين انـقـيــاده
ومن حاد عن طرق السعادة لم يزل   يرى في عبادات العباد عناده(18)

ومنها قصيدة رائية في 15 بيتا قال في مطلعها :

أنا لا أداري من رأى الحق منكراولو كان يدري ما له كان مـنـكـــرا
ولا خير فيمن أنكر الحـق خـفـيـةفأحرى جهارا إذ غدا في الورى ورا(19)

ومنها قصيدة قافية في 108 بيتا قال في مطلعها :

طرقتني ليلا بغير اتـفــاق   فأنارت بنورها آفاقــي
لم أخف رقباءها إذ أتتنــي   وأنا في تولع واشتياق(20)

---

(14) انظر الكتاب الصغير للعلامة سكيرج ص 7.
(15) انظر الكتاب الصغير للعلامة سكيرج ص 9.
(16) انظر الكتاب الصغير للعلامة سكيرج ص 11.
(17) انظر الكتاب الصغير للعلامة سكيرج ص 13.
(18) انظر الكتاب الصغير للعلامة سكيرج ص 15.
(19) انظر الكتاب الصغير للعلامة سكيرج ص 17.
(20) انظر الكتاب الصغير للعلامة سكيرج ص 22 وفي الإيمان الصحيح لنفس المؤلف ص 125.

ومنها قصيدة رائية في 27 بيتا قال في مطلعها :

هـم بـهـواهـم للكـرامـات أنـكـروا — وكـل نـكـيـر مـنـهـم فهو مـنكـر
فما بال هذا الخلف في الخلق سارعـوا — لإنكار سر الأوليا وهو يـظهـر(21)

ومنها قصيدة ميمية في 21 بيتا قال في مطلعها :

هم كلهم للأوليا لم يـسـلـمـوا — وهل منهم في الحق يسلم مسلم
وهم قد أباحوا عرض من بولاية — يحسن ظنا وهـو للـمـرء أسـلـم(22)

ومنها قصيدة رائية في 40 بيتا قال في مطلعها :

سر بي أمام ذوي المفاخر — وامرر على قطر الجزائـر
واقـصـد بـرحـلـتـك الـكـبـار — ذوي الديانة لا الكبائر(23)

ومنها قصيدة دالية في 30 بيتا قال في مطلعها :

مناضلة الأشرار في الشر لا تجدي — فهم كلهم كالكلب يرجع بالطرد
ومن كان ذا شر وفي الشر قد نجا — فـطـردك إيـاه لـه غايـة الحمـد(24)

ومنها قصيدة حائية في 37 بيتا قال في مطلعها :

كلاب على الطرق زادوا نباحا — وعندهم السب صار مـبـاحـا
وأعدى الأعادي لـديـهـم يـرى — الذين أحبوا الهدى والصلاحـا(25)

ومنها قصيدة نونية في 111 بيتا قال في مطلعها :

العلم نور مـنـقـد الـحـيـران — من دولة الطغيان والكفران
والجهل إن حققته بين الورى — تلفيه أقبح خـلـة الإنـسـان(26)

ومنها قصيدة أخرى في 24 بيتا قال في مطلعها :

لا تكذب من يدعون الولايـة — واحترم قدرهم بعين الرعايه

---

(21) انظر الكناش الصغير للعلامة سكيرج ص 47.
(22) انظر الكناش الصغير للعلامة سكيرج ص 49.
(23) انظر الكناش الصغير للعلامة سكيرج ص 55.
(24) انظر الكناش الصغير للعلامة سكيرج ص 58.
(25) انظر الكناش الصغير للعلامة سكيرج ص 61.
(26) انظر إيقاظ القرائح لتقييد السوانح للعلامة سكيرج ص 70-73.

واترك الشك في رفيع علاهم   فظنون الـفـتـى محط الإذايـه(27)

ومنـها قصيدة دالية في 16 بيتا قال في مطلعها :

دعوا الأفكار سالمة اعتقـاد   ولا تشفوا بأقبح الانتقاد
فكم من فتنة في الناس كانت   بسوء الانتقاد للاعـتقاد(28)

ومنـها قصيدة دالية في 92 بيتا وجهها لمؤتمر الطرق الصوفية الذي انعقد بالجزائر العاصمة عام 1358هـ وقال في مطلعها :

هذي مواسم خير أهلها سـعــدوا   وفي صعود السعود دائما صعدوا
بشرى لمن حضروا فيها بما لهم   أعد من نعم لـم يـحـصـهـــا عـــدد
قد استجابوا نداء للـفــلاح دعـــا   مذ قال حي على الصلاح فاتحدوا
فقد رأينا بني الإلحاد فيه طـغـوا   حتى على والديه قد بـغـى الـولــد
إن دام هذا ولم تـحـدث لـه غـيـر   لم يبك ميت ولم يفرح بمن ولــدوا
قوموا على ساق جد أيها السعـدا   فأنتم أهل حق بـيـن مـن سـعـــدوا(29)

(27) انظر نسمات الأسحار للعلامة سكيرج ص 82.
(28) انظر الضرابي المبثوتة للعلامة سكيرج ص 204.
(29) انظر زوال الحيرة بقاطع البرهان للعلامة سكيرج ص 79-84.



صورة للعلامة سكيرج وبجانبه العلامة الشهير شيخ الأزهر المقدم سيدي
محمد الحافظ المصري ومعهما فاضلان آخران من أهل مصر

Ljَz bƑDŽƚyllɛ bɛþɔ

أثنى على العلامة سكيرج وأدلى برأيه فيه مجموعة من معاصريه من العلماء والأدباء والمفكرين الكبار، فنوهوا بقدره الجليل، وأحاطوا ترجمته السامية بما يشفي الغليل، وسأذكر في هذا الباب بعض مقالاتهم فيه على سبيل الاختصار والإيجاز.

فمن ذلك قول العلامة الكبير سيدي محمد الحجوجي(1) رحمه الله ورضي عنه في كتابه فتح الملك العلام بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام ما نصه :
ومنهم القاضي العلامة الجليل، المشارك النزيه النبيه الحفيل، سيدي أحمد بن سيدي الحاج العياشي سكيرج الأنصاري، هذا السيد شهرته بالعلم والأدب وعدة فنون كالحساب، وليس عندنا من يتقن الجذور فيه مثله، كنار على علم، وأما مؤلفاته فحدث عن البحر ولا حرج، وإن شئت أن تقول لكثرتها هو سيوطي زمانه لما كنت مبالغا، ومن أنفس مؤلفاته نظمه لشفا القاضي عياض، وكشف الحجاب، والكوكب الوهاج، مع تمسكه بالطريقة عن فرسانها الكاملين، وذبه عن حريمها أعرف من قفا نبكي. وبالجملة فالرجل منذ نعومة أظفاره وهو مشتغل بالعلم والتأليف والذب عن حريم أهل الله، وقد حج مرات وزار، وجال البلاد والتقى برجال وأي رجال، وتولى خطة القضاء مرات في عدة مواضع، ولا زال بقيد الحياة، كثر الله في المسلمين أمثاله(2).

---

(1) العلامة الفقيه سيدي محمد بن محمد بن المهدي الحجوجي الإدريسي الحسني، ولد بمدينة فاس عند طلوع فجر يوم الخميس 27 رمضان 1297هـ، وتوفي بدمنات في 2 جمادى الثانية عام 1370هـ، وبها دفن، وشيوخه في العلم كثيرون، منهم سيدي أحمد بن الخياط، وسيدي محمد بن قاسم القادري، وسيدي محمد بن جعفر الكتاني، ومولاي أحمد بن المامون البلغيتي، وغيرهم.
ومؤلفاته تناهز المائة، منها : إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض تراجم رجال الطريقة التجانية، في ثماني مجلدات، وفتح الملك العلام بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، في مجلدين، وعقد الدر والياقوت والمرجان في تفسير القرآن، في 4 مجلدات، انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ج 7 ص 84، ولدينا تأليف في التعريف بهذا العلامة الجليل سميناه : رسالة العلامة سيدي محمد بن محمد الحجوجي.

(2) انظر فتح الملك العلام للفقيه سيدي محمد الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 211.

ومن ذلك قول تلميذه العلامة الشهير سيدي محمد الحافظ التجاني المصري(3) رحمه الله ضمن ترجمته له بعد كلام في الموضوع:

وما رأيت من بارك الله له في حياته وزمنه كسيدي الحاج أحمد سكيرج، فإنه كان يرعى أموره الدنيوية والزراعية بنفسه، مع قيامه بالقضاء والاجتماعات الدينية، وإلقاء العظات التي يلين لها الصخر، والإصلاح بين الناس، والرد على الاستفتاءات التي كانت ترد عليه من أقطار العالم الإسلامي برسائل كل واحدة منها تصلح أن تكون مؤلفا مستقلا كافيا في موضوعه، وهذا شيء لا نستطيع حصره، فإن أصحابه الآخذين عنه كثيرون في مشارق الأرض ومغاربها، من المحيط الأطلسي في أقصى المغرب إلى المحيط الهادي في الأقطار الأندونسية في أقصى المشرق من كبار العلماء والأدباء وذوي الرأي، وكان يكتب هذه الرسائل بنفسه وخطه، مع اشتغاله بالإطلاع والتأليف نثرا وشعرا، في قوة بيان وبلاغة ناصعة وتحرير حكيم(4)، إلخ ...

ومن ذلك قول ولده الفنان الأديب سيدي عبد الكريم سكيرج(5)

إن والدي العزيز مادح المصطفى، وحامل راية الدفاع عمن لمنهجه اقتفى، المؤلف النفاعة، طائر الصيت في الشرق والغرب، ولي نعمتي سيدي الحاج أحمد سكيرج الأنصاري الخزرجي حفظه الله ورعاه، وأدام علي رضاه، طالما أفاد العباد بمؤلفاته المنتشرة، وقصائده المعتبرة، على اختلاف مشاربها في شتى المطالب، مما طبع منها وما لم يطبع، ومنذ نعومة أظفاره وأنا لا أراه إلا مكبا على التصنيف آناء الليل وأطراف النهار، لا سمير له إلا قلمه السيال، الذي يتصرف فيه كيف شاء، ولا جليس له في غالب أوقاته إلا الكتب والأوراق التي دارت حوله كالهالة حول القمر.

---

(3) العلامة الأستاذ الفاضل، الشيخ الأزهر، المقدم البركة سيدي محمد الحافظ بن عبد اللطيف بن سالم، الحسني نسبا، التجاني مشربا، من أكابر أعلام بلاد مصر، ولد رحمه الله ببلدة كفر قورص، مركز أشمون بإقليم المنوفية بمصر عام 1315هـ، له مشاركة فعالة في كثير من العلوم والفنون، وهو من حاملي مشعل الطريقة الأحمدية التجانية بالبلاد المذكورة، وله دور كبير في انتشارها بالمفهوم الصحيح هناك.

وكثيرا ما كان قلمه السيال قائما مدافعا عنها بالبرهان والحجة البالغة، وله رحمه الله مؤلفات كثيرة تمتاز بالدقة في التحقيق وتقريب المعنى وإزالة الغموض والإشكال، وقد شهد له بهذا معظم علماء وقته داخل مصر وخارجها، وله بالمغرب شهرة حميدة بين الإخوان الفقراء التجانيين، وهو معروف عندهم بسيدي محمد الحافظ المصري.

وكانت له بالعلامة سكيرج صداقة ومودة حميمة، وهو مقدمه وسنده في الطريقة، وقد انتفع به كثيرا، خصوصا عند زيارته لمصر في جمادى الأولى عام 1352هـ، وقد وقفت بالخزانة السكيرجية على ما يزيد عن ثلاثين رسالة منه للعلامة سكيرج، وتمتاز هذه الرسائل بالطابع العلمي، بالإضافة للبحث والتنقيب عن خبايا الأمور الصوفية من حقائق ودقائق نفيسة عالية.

(4) انظر ترجمة العلامة سكيرج، للفقيه الأديب العلامة سيدي محمد الحافظ التجاني المصري، في خاتمة كتاب جناية المنتسب العاني للعلامة سكيرج ج 2 ص 104.

(5) سبق التعريف به في هذا المؤلف ج 1 ص 14.

لا ينام الليل إلا أقله، حتى إذا أدبر الليل بظلامه، وأقبل النهار بنوره وضيائه، أقبل علي بوجهه المتنور حاملا أوراقه التي سودها بما أوحته عليه فكرته المتدفقة بالمعارف، فأتناولها منه بعد ارتشاف صبوحي من لثم راحتيه الكريمتين، وتشنيف سمعي بصالح دعواته، ثم أمضي حيث أقضي جل سحابة ذلك اليوم في تخريج ذلك بإثباته في محله، وإرسال ما يرسل منه إلى أحبابه وأصدقائه "وهم كثير"، فهناك ما شئت من سحر حلال، وعقود ولآل، فتبارك الله ذو العز والجلال(6).

ومن ذلك قول تلميذه العلامة الحاج إدريس بن العابد العراقي(7)
هو الشيخ الإمام، الفقيه العالم العلامة الهمام، المحقق المشارك الأفضل، العارف بالله الأحفل، المقدم البركة المبجل، أبو العباس السيد الحاج أحمد بن الحاج العياشي بن الحاج عبد الرحمان سكيرج الأنصاري الخزرجي الأندلسي، المالكي مذهبا، التجاني المخلص مشربا، الفاسي أصلا، السطاتي قضاء ومسكنا، المراكشي مدفنا، إلى أن قال : وألف طيب الله ثراه في شتى العلوم الظاهرة والباطنة والنقلية والمعقولية، وقد جاوزت مؤلفاته مائة وعشرين، طبع منها لغاية طبع هذا الربع أكثر من أربعين، ونتمنى أن يهيء الحق سبحانه لجنة من المسلمين المعتنين بنشر العلم ورجالاته، تقوم بالسهر على طبع باقي مؤلفاته، حتى يعم النفع بجميع ما كان المؤلف يصرف إليه أكبر نصيب من حياته(8).

ومن ذلك قول الأستاذ الأديب خير الدين الزركلي(9) في كتابه الأعلام ونصه :
أحمد بن العياشي سكيرج الخزرجي الأنصاري الفاسي مولدا ودارا، قاض، له علم بالتراجم، مغربي من أهل الطريقة التجانية، تخرج بالقرويين ودرس بها، وانتقل إلى طنجة، ثم ولي نظارة الأوقاف بفاس، فقضاء مدينة وجدة، فثغر الجديدة، فقضاء مدينة سطات، وتوفي بمراكش، له كتب منها : كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، وذيله : رفع النقاب بعد كشف الحجاب، في أربعة أجزاء، كلاهما في ذكر متصوفة الطريقة التجانية، والرحلة الحبيبية الوهرانية، ذكر فيها أنه كان بطنجة سنة 1329هـ، ووصل إلى مستغانم وتلمسان وعاد إلى فاس، وضمنها تراجم بعض من لقيهم، ورياض السلوان في تراجم من اجتمعت بهم من الأعيان، قال ابن سودة :

---

(6) انظر الكناش الصغير للعلامة سكيرج ص 2.
(7) العلامة الحاج إدريس بن محمد بن العابد العراقي، فقيه، أديب، صوفي، من تلامذة العلامة الحاج أحمد سكيرج، تصدى للإمامة بمحراب الزاوية التجانية الكبرى بفاس سنوات طويلة، وقد خلف في ذلك فضيلة والده الفقيه الحاج سيدي محمد بن العابد الذي كان أيضا إماما بالزاوية المذكورة إلى حدود وفاته يوم الاثنين 8 ربيع الأول عام 1365هـ.
وللعلامة الحاج إدريس بن محمد العراقي مؤلفات في الطريقة الأحمدية التجانية، أكثرها لا زال مخطوطا لم يطبع، ولحد الساعة لا يزال العلامة المذكور قاطنا بالعاصمة العلمية بفاس، مع متمنياتنا له بالصحة والعافية.
(8) انظر نص هذه الترجمة في مقدمة الجزء الثالث من رفع النقاب للعلامة سكيرج.
(9) خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، أديب مؤرخ له إلمام واسع بعلم التراجم، ولد ببيروت ليلة 9 ذي الحجة الحرام عام 1310هـ، من مؤلفاته : الأعلام في ثمان مجلدات، وماجدولين والشاعر، وهي قصة شعرية صغيرة، وشبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، وعامان في عمان، في جزءين، والملك عبد العزيز في ذمة التاريخ، وغيرهم.
وكانت وفاته رحمه الله في 3 ذي الحجة الحرام عام 1396هـ، موافق 25 نونبر عام 1976م، انظر ترجمته في خاتمة كتابه الأعلام ج 8 ص 267-270.

ترجم فيه لنحو ألفي فاضل من أهل عصره، وله نظم كثير منه قصيدة مطلعها :

رحلت عن الأحباب شوقا لأحباب ودعت أصحابا وجئت لأصحاب(10)

ومن ذلك قول الأستاذ العلامة الأديب سيدي عبد الله الجراري(11) عند تقريضه لكتاب الظل الوريف في محاربة الريف، للعلامة سكيرج.

بينما الكاتب الجراري يفكر ويجول فيما أوتيه عزيز المغرب والمغاربة، ذي الصيت الطائر في العالم العربي، الشيخ السكيرجي، من السعة الفكرية والذكاء الفطري والبركة النادرة في التقييد، والطي الباهر في التحرير والتحبير، إذا به ازداد غبطة وهياما فيما يقف عليه حي الفقهاء والمؤرخين من جرأته العامرة، وآثاره القيمة المتكاثرة، التي أصبح من أجلها محب الجناب السكيرجي يتمذهب برأي القائل :

إذا قلت شارفنا أواخر علمه تفتقت حتى قيل هذا أوائله

لا يستطيع أن يكابر في هذا القدر الملموس الكرامة ولو معاندا، وأنى له ذلك والحس يسفه أحلامه، والمشاهدة تجابهه علانية : ألا لا سبيل لجحودك، ولا مبرر لتعنتك، غالب نفسك الأمارة وارجع عن غيك، وإلا فصارم (الظل الوريف في محاربة الريف) يعلو مفرقك، ذلكم التاريخ الوحيد في وقعة الريف المهولة، المؤرخة بـ 1340هـ - 1921م، الذي أتى فيه أخونا السكيرجي بحقائق ناصعة، أزالت غياهب غامضة، كانت تقف قبل حجر عثرة في فهم حقائق تلك الوقائع الهائلة بالمغرب الشمالي، استقاها من مصدر وثيق، وينبوع عريق، في الأمانة التاريخية الملزوم بأدائها كل مؤرخ صريح، لا تصادمه الأغراض، كمؤرخنا أثناء عرضه لتلك الوقائع الدامية المدهشة التي اهتز لها العالم أجمع إذ ذاك في قالب رائع، بقلم فارع، وروعة بارعة حية مرقصة تتحدى أقلام بلغاء العصر الذين ولعوا برمي الشيوخ بالعي والجمود وكساد القريحة في التعبير.

---

(10) انظر الأعلام للزركلي ج 1 ص 190.

(11) العلامة الفقيه الأستاذ السيد عبد الله بن العباس بن عبد الله بن محمد فتحا الجراري، من مواليد مدينة الرباط عام 1324هـ، وبها حفظ القرآن الكريم، ثم أخذ العلم عن جماعة من جهابذة الفقهاء منهم : العلامة سيدي محمد بن التهامي الرغاي الرباطي، والفقيه العلامة سيدي المدني ابن الحسني العلمي الرباطي، وسيدي محمد بن عبد السلام السائح، وسيدي محمد بن العربي العلوي، ومولاي أحمد بن المامون البلغيثي، وسيدي محمد الطنجيطي المشهور بالبيضاوي، والشيخ شعيب الدكالي، وغيرهم.

وهو أحد أعضاء المجلس العلمي للعدوتين الرباط وسلا، وله تآليف مفيدة جدا منها : أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا، والتحسين والحلية في مباحث الشعر واللحية، ونزهة الاقتباس من خمسة أيام في فاس، وقرة العيون من سبعة أيام في مكناسة الزيتون وجارتها زرهون، والرحلة السطاتية، وتسمى كذلك بالرحلة السكيرجية لكونه نزل فيها ضيفا لدى العلامة سكيرج.

وكانت وفاته رحمه الله ضحية حادث اغتيال غادر في ليلة الخميس 12 ربيع الثاني عام 1403 هـ، وصلي عليه بعد صلاة الظهر بمسجد عمر السقاط بدور الجامع بالرباط، ودفن بمقبرة الشهداء، انظر ترجمته في إسعاف الإخوان لمحمد بن الفاطمي السلمي ص 398-401.

فهذا الظل الوريف وما أدراك ما الظل الوريف، برهن في صدق أسلوبه وحسن تعبيره ومتانة كلماته الفصيحة بما حفزه للتحليق في أجواء تلك الأقلام، التي يخالها شباب النهضة وحيا يسديه خيال الابتكار الحادث والمخترعات الجديدة.

فبربك أنصف أيها الشباب المتقف إن ساعدك الحظ المنيف، وقرأت كتاب الظل الوريف، لا بدع أن تومن بآياته الصادقة، وتسجد لسحر بيان تحقيقاته الساطعة، إذ هناك تتجلى لك أقدار الشيوخ، وترى بعين الحقيقة مكنون سرهم المحجوب عن إدراك أدمغة الشباب المولع بميوعة القول والثرثرة الجوفاء، آه عليك خدعوك بعبارة محدودة، وسلبوك الصواب والرشد في مستقبل شبابك وغض أيامك، تحسبها شيئا حتى إذا حاولت الاطمئنان لتمويهاتها المزخرفة فشلت مواهبك، وأطلقت للحين على أم رأسك تتخبط في أوحال الندامة، وليت ينفع الندم.

فنصيحتي لك أيها الشاب المغرور هي الاستسلام لأمثال عين الأمة العالمة في العصر الحاضر الشيخ الأكبر أبي العباس سيدي أحمد بن المرحوم بكرم الله المفضال سيدي الحاج العياشي سكيرج، دام للعلم وخدماته في سلامة تامة(12).

بقلم خديم العلم والعلماء عبد ربه عبد الله بن العباس الجراري وفقه الله
الرباط في 23 جمادى الثانية عام 1357هـ - 20 غشت سنة 1930م

---

(12) انظر الصفحة الأخيرة من كتاب الظل الوريف في محاربة الريف للعلامة سكيرج.

ومن ذلك هذه الأبيات الجميلة التي بعثها له العلامة الفقيه المقدم الشهير سيدي حمودة بن محمد تاج التجاني(13).

مولاي نابغة الزمان سكيرجا ... كم فيك للطرف البلاغي من رجا
لولا اختصاصه بالكتاب لجئته ... ترجي الكتائب مقبلا ومعرجا
أما الذي هو دونه فجلوته ... لبصائر الأبصار صبحا أبلجا
وأتيت من مدح الممد الختم ما ... قد لاح أبهى ما يكون وأبهجا
بفرائد فاقت سواها صراحة ... النجم يخفى إن بدا بدر الدجى
وذكرت أنه في مراقي حسنه ... در به هام الكلام تتوجا
جوزيت عني بالجميل وإنها ... لي حجة ما بين أرباب الحجا
وإليك طبق الوعد ما هو حاضر ... وعساك تلقى منه جفنا أدعجا
والله يشملنا بواسع فضله ... ويمدنا المدد العظيم تدرجا
وينيلنا من فيض قدوتنا الرضا ... ما عرس الساري إليه وأدلجا

---

(13) العالم العلامة الأديب الشاعر، المقدم الجليل سيدي أبو محمد حمودة بن محمد تاج التونسي، أخذ العلم بجامع الزيتونة عن جماعة من الأفاضل منهم : العلامة سيدي حسين بن أحمد، والعلامة سيدي سالم بو حاجب، والعلامة سيدي محمد النجار، والعلامة سيدي عمار بن سعيدان، وغيرهم.
ولما بلغ ما بلغ من فائق العلم والمعرفة الواسعة تصدر للتدريس بجامع الزيتونة، فكان من خاصة علمائها الكبار، وعليه أخذ جماعة من خيرة علماء تونس، وكان رحمه الله من خواص أهل الطريقة الأحمدية التجانية، معتكفا على أذكارها، متفانيا في محبة شيخها أبي العباس التجاني رضي الله عنه، وله في مدحه قصائد نفيسة متعددة.
وكانت وفاته رحمه الله في 8 صفر الخير عام 1338هـ، وقد رثاه صاحبه ورفيقه العلامة سيدي محمد بن يوسف الحنفي بقصيدة قال في مطلعها :

إن المنية للبرية مورد ... يسعى له الأدنى ويسعى الأبعد

ورثاه كذلك تلميذه العلامة المفتي محمود موسى بقصيدة قال في مطلعها :

كدر الصفو عندنا من نعاك ... رفع الصوت جهرة ونعاك

انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص 424 رقم الترجمة 1686، وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية للعلامة الحجوجي ج 7، وفي فتح الملك العلام لنشر المطارف بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 150.

ومن ذلك هذه القصيدة الجميلة التي قالها فيه تلميذه العلامة الكبير، والولي الشهير، صاحب الفضية، سيدي إبراهيم بن عبد الله انياس الكولخي(14).

حي مغنى لدا الجديدة صـــاح ... إن عقلي من ذكرها غير صــاح
بل لذكراها هائم القلب دهــري ... ليتها أمست مسكني ومـراحـــي
لم تكن بلدة الأصول ولـكـــن ... صار فيها من منه أرجو رباحـي
ذاك خنذيذ نال أقصى منــــاه ... من علوم العرفان بـعد انشـــراح
سكنت فيها إذ أتاها حـبـيـبـي ... حضرة للمختـار طـه الـماحــــي
سكنتها أسرار قطب الـبـرايـا ... وبها قـوت الـقـلــــب والأرواح
بلدة عمرت بمن عـم شـرقـا ... بعد غـرب إمـداده كـالـصـبـــاح
بـلـدة لـولا سـاكـنـوهـا فـلا تـــــــــدري قرونـا محرمـا من مبـــاح
لا ولا غثهم دروا مـن سميـن ... لا ولا إفسـادا مــن الإصـــــلاح
ثم هذا القطب الـفـريـد تـبــدى ... ودعــا أقـوامـا لنيــل الـفـــلاح
فاشتهار يغنيك قبـل سـمــــاه ... وبتصريح الذكر يصفو ارتياحـــي
إنــه أحـمـد سـكـيـرج مـن أورث قــطــــــب الأنــــام بـالإفـصـــــاح
جمع العلم والـمـعـارف والـــــســــــــر وزهـد الأبــرار دون طـمـــاح
حامل راية الطريقة في ذا الـعـصـــــــر بل هو الجنيد فـي الإصـــلاح
بعدما حاز قصب سبق صغيرا ... فـي عـلـوم بـمـن ذا الـفـتـــاح
حـل فـيـهـا عـلامـة صـوفـي مــنـــــــه سـريـا تـنـسـاه دون مـــزاح
حل فـيـهـا قطب فريد مـجيـــز ... ومجاز في الـكـل بـادي الـصـــلاح
فـبـإكـسـيـره أصـيـر نـضــارا ... إنـــنـــي فـي وداده ذو امــتــــداح
لم يزل يعروني لـذكـراه هـــز ... مـثـل عـصـفـور بـل وقـت الصباح
عاذلي في الغرام بل هو ملامي ... إن ذا الشوق راحتي وهـو راحــــي
غـيــر قصد علـقـتـه وأنا طــفـــــــــل صغير وذاك عـيــن الـنـجـــاح
ثم ضن الزمان فـيـه فـلـم تــبــــــــد لـعـيـنــي وذاك أقـصــــى فـلاحــــي
رؤية الوجه ثـم لـثـم يـديــــه ... مطلبـي وهـو بـغـيـتـي وارتـيـاحـي

(14) العارف بالله، المقدم الفاضل، العلامة الشهير، صاحب الفيضة، سيدي إبراهيم بن عبد الله انياس الكولخي، من أكابر أعلام بلاد سنغال، له دور فعال في نشر الإسلام والطريقة بربوع القارة الإفريقية، وهو من أعيان المتصدرين لتلقين الطريقة الأحمدية التجانية هناك، وله مؤلفات كثيرة في مواضيع شتى، أكثرها في التصوف، وقد طبع العديد منها، وانتفع بها الناس من كل ناحية وصوب.
وقد وقفت بالخزانة السكيرجية على الكثير من رسائله المبعوثة لمقدمه العلامة الحاج أحمد سكيرج، وتمتاز هذه الرسائل بالتلقائية مع المودة والأدب وحسن التعبير، وللعلامة الجليل سيدي إبراهيم انياس عدة أسانيد في الطريقة الأحمدية التجانية، غير أنه كان يفضل ويعتمد فيها سنده على العلامة سكيرج، ويسميه بالسلسلة الذهبية، وكانت وفاته رحمه الله عام 1395هـ بعد حياة حافلة بالعطاء والمنجزات الكبيرة.

مفحم المنكرين سيف عظيـم ... ببراهيـن العلـم لا بالصفـاح
هاك مدحا من عند حب وميـق ... لا يبالـي فـي شوقـكـم لـوم لاح
وتقبل مدحي وجازي محـبـا ... وبمـلأ الكفيـن نيـل نجـاح
ومرامـي إجـازة دون تـقـيـيـد فأطلـق يـا عمـدتـي ومراحي
كلما صح عن إمـامي فهب لـي الإذن فيـه يـا والـد الأرواح
سيمـا مـا ألـفت يـا خيـر شيـخ ... إنـنـي مولـع بتلك المـلاح
أنت محي رسم الطريقة والمنـشـر ورد التجانـي سبط الماحـي
ربما نال منـك حب مرامـا ... اعطني مطلوبي ففيـه صلاحـي
لو إلى نعمان زففت قصيـدي ... أو لكسرى لنلت أقصى النجـاح
وهما دون قدرك الضخم يا مـولاي فانعـم براحـة وارتيـاح
فجزاك المولى وأبقاك دهرا ... منـك أرجو الوصال يا مفتـاحي
والسلامان الأطيبان على الآل ... وصحب طـرا بعيـد المـاحي

ومن ذلك قول الأستاذ الجليل سيدي محمد بن عبد العزيز الدباغ(15)، وهو مختصر من مقالة له نشرت بمجلة دعوة الحق.

ومن بين هؤلاء الفقيه الأديب العالم الحاج أحمد بن العياشي سكيرج رحمه الله، دفين ضريح القاضي عياض بمدينة مراكش الحمراء، يمتاز هذا الصوفي المتوفي في اليوم الثاني عشر من شهر غشت سنة 1944م بخصائص كثيرة منها : أنه كان أديبا رائعا، وشاعرا بديعا، ومؤلفا تبدو على تآليفه سلامة التعبير وسلامة الأداء، ومنها أنه كان مشاركا في مجالات علمية مختلفة، فلم تلهه الاهتمامات بالطريقة التجانية عن التآليف الفقهية والعلمية والتاريخية.

وهو الذي نظم كتاب الشفا للقاضي عياض، وتوجد منه نسخة مصورة بالخزانة الوطنية بالرباط تحت رقم 1061، قسم المخطوطات، وله كتاب قيم في تاريخ الثورة التي قام بها القائد المغربي العظيم عبد الكريم الخطابي ضد الفرنسيين والإسبانيين، اسمه الظل الوريف في محاربة الريف، يوجد مصورا بالخزانة العامة بالرباط أيضا، تحت رقم 1020 بالميكرو فيلم.

ومنها أنه كان قوي الحجة والدلالة، قوي الشخصية، لا ينساق مع الآراء لمجرد كونها صدرت عن قريب أو من قدوة، بل يدخلها في معيار النقد، ويضعها في ميزان العقل والنقل، ليكون حكمه مبنيا على أساس من العلم متين.

---

(15) الشريف العلامة الأستاذ سيدي محمد بن عبد عبد العزيز الدباغ، نسبة لجده الولي الصالح القطب سيدي محمد بن عبد العزيز الدباغ، من خيرة الأساتذة المعاصرين، مفكر أديب شاعر باحث، وهو المحافظ العام لخزانة القرويين بفاس، له مؤلفات وبحوث قيمة بالإضافة لمقالات كثيرة نشر أغلبيتها على صفحات مجلة دعوة الحق بالمغرب، وهو من أصهار العائلة السكيرجية، مع متمنياتنا له بالصحة والعافية.

ومن أهمها أنه كان مجتهدا في الطريقة التجانية نفسها، بحيث تعتبر أقواله حجة في شرح كثير من بنودها، وتوجيه بعض مميزاتها، وهو في العصر الحاضر يعد المؤرخ العمدة لرجال هاته الطريقة، ويتجلى ذلك في كتابيه كشف الحجاب، ورفع النقاب بعد كشف الحجاب.

ونظرا لتهافت الناس على كتابه الأول، فقد طبع مرات مختلفة، وصار من الكتب التي تداولها الدول الإفريقية وتعتني، بها خصوصا في السينغال وما جاورها(16).



صورة للسلطان الأسبق مولانا عبد الحفيظ صحبة الأديب سيدي عبد الكريم نجل العلامة سكيرج، و ذلك بمقر إقامته بفرنسا

(16) دعوة الحق، مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر، تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، العدد التاسع من السنة التاسعة عشر، شهر شوال 1398 هـ الموافق شتنبر 1978م.

ومن ذلك قول السلطان الأسبق مولانا عبد الحفيظ(1) رحمه الله في أرجوزته المسماة : الجامعة العرفانية في شروط وجل فضائل أهل الطريقة التجانية،

وشيخنا الحبر الهمام من علا		بالعلم والصلاح طيب الحلا
أحمد نجل نخبة الأنصار		من حبه كحبهم شعاري
قد وصفوه بالسكيرج وما		ألذ هذا السكر عند الحكما(2)

Ĭ DŽ‡yllƐNj ǎNjǴþ‗llƐ üƑɯDŽllƐ Ĭ ʓ LJþNjد

للعلامة سكيرج رحمه الله دور كبير في نشر العلم والحض عليه، وتحفيز الشباب على تعاطيه من منهله الصافي، ومورده الكامل الوافي، وذلك عنده السبيل الوحيد لمواكبة تطور العالم الغربي ونهضته العارمة، وهو في نفس الوقت نهج لابد من سلوكه لدا المحبين للسمو والترقي المحمود، بالإضافة لكونه السلاح الفعال المجدي لمحاربة الأمية والجهل.

وكان العلامة سكيرج يرى أن العلم وسيلة للعمل، وهو في حد ذاته شرف عظيم وسؤدد وعز وهيبة وجلال، وله رحمه الله في حث الشباب على طلب العلم قصائد كثيرة أذكر منها : قصيدة لامية في 37 بيتا قال في مطلعها :

ما بال قومي لم ينهض بهم عمل		والناس كلهم بالعلم قد عملوا

---

(1) انظر ترجمته في ج 1 ص 126 من هذا التأليف.

(2) لو لم يكن في التعريف بالعلامة سكيرج إلا تنويه الحضرة الحفيظية الشريفة لكفاه تقدما على الأقران، من الأعلام والأعيان، وقد كاد تنويهه به فيما شرح به السلطان المذكور هذه الأبيات بما كاد على الكراسين، مع ما كان عليه السلطان المولى عبد الحفيظ من التيقظ والتبصر بأهل عصره من أهل قطره، وجلالة العلم والإدراك والفهم، فكان له به ضبطة كافية.

تقاعدوا عن فنون نال غيرهم تحصيلها وأرى قومي لها غفلوا(3)

قصيدة رائية في 25 بيتا قال في مطلعها :

علموهم فالعلم مصباح نور قد أنار دجى جميع الأمور
كل أمر يرام من دون علم فهو أمر يدعو لكل ثبور(4)

قصيدة سنية في 21 بيتا قال في مطلعها :

لباس التقى والعلم أبهى الملابس وأحسن شيء فيه فخر المجالس
فهل يستوي ذو العلم مع ذي جهالة وهل من له نور كمن في حنادس(5)

قصيدة شطر بها قصيدة العلامة محمد الحجوي(6) وزير المعارف الإسلامية وقتذاك وعدد أبيات هذه القصيدة 69 بيتا قال في مطلعها :

قم يا فتى واحفظ نصيحة من نصح فالنصح إن يحفظ به الصدر انشرح
فاخرج عن الجهل المضيق رحبه ولج المدارس فالمجال لك انفسح
العصر عصر العلم والعمل الذي روض الأماني والأمان به انفتح
فاصرف نفيس العمر في تحصيله ترقى به إن كنت ممن قد كدح(7)

قصيدة شطر بها قصيدة العلامة الأليوري في 224 بيتا قال في مطلعها :

تفت فؤادك الأيام فتا أطلت حبال صبرك أو قصرت
فإن العصر تنجبه الليالي وتنحت جسمك الساعات نحتا
وتدعوك المنون دعاء صدق بلغت مناك أو عنها منعت
تقول وقولها حق حقيقي ألا يا صاح أنت أريد أنت(8)

---

(3) انظر المسودة الصغيرة للعلامة سكيرج ص 24، ونشرت هذه القصيدة على صفحات جريدة السعادة وقتذاك، وللعلامة سيدي الحاج عبد الكريم بنيس رد على هذه القصيدة في نفس الوزن والقافية قال في مطلعه :

قل للذي لام قوما في الذي فعلوا من التقاعد عما الجم قد عملوا
اعلم هديت لنهج الحق دون مرا ولا أضلتك في بيدائها السبل
من العلوم ومن كانت مرفعة قدرا ورافعة لمن بها عملوا
فليس في كلها نفع لمن جهلا بل ذم منها علوم سعيها همل

(4) انظر الكناش الصغير للعلامة سكيرج ص 45.

(5) انظر الرابع المبثوثة للعلامة سكيرج ص 98.

(6) انظر التعريف به في ج 1 ص 104 من هذا التأليف.

(7) انظر الأنباء بنصح الأبناء للعلامة سكيرج ص 32-37.

(8) انظر الأنباء بنصح الأبناء للعلامة سكيرج ص 37-45.

قصيدة بائية في 21 بيتا قال في مطلعها :

ألا زاحموا أهل العلى بالمناكـــــب ... ولا تقعدوا من بعد نيل المراتـــب
فمن طلب العليا بعزم ينـالـهـــــا ... وذو الحزم فيها سعيه غير خائب
قفوا وانظروا من فاقكم كيف فاقكـم ... تروه بجد محـرزا للمطالـب(9)

وبالتأكيد فقد أعطى العلامة سكيرج قسطا وافرا من حياته في سبيل محاربة الجهل والأمية، وما يتبعهما من التخلف والإنحطاط عن الركب المتطور الحديث، فقاوم رحمه الله من أجل هذا الهدف مقاومة جبارة، سواء من خلال تآليفه التربوية الكثيرة، أو على صفحات بعض الجرائد التي كانت تصدر وقتذاك.

ولإدراك هذه الغاية النبيلة لجأ رحمه الله لمناهج مختلفة بهدف تقريب نصائحه لشتى شرائح المجتمع، ومن هذا قصيدته التي وجهها للطبقة الفقيرة من الناس وعدد أبياتها 24 بيتا، فقال في مطلعها :

إلى الفقراء أوجه نصحـــي ... ومن قبل النصح فاز بنجـــح
عليكم بتعليم أبـنـــائـكـــم ... فتعليمهم جالب كـل منـــح
وزيدوا اعتناء بتحريضهـــم ... على حفظ كل الدروس بكدح
ومن لم يكن عنده رأس مال ... ومال إلى العلم فاز بـربـــح(10)

ومن هذا الجانب كذلك قصيدته التي وجهها للطبقة الغنية من الناس وعدد أبياتها 27 بيتا قال في مطلعها :

من الأغنيا استنهض العزم والهمم ... ليقتطفوا العلم الذي شرف الأمـــم
فهذا زمان الـعلـــم فيـه تـقـدمـت ... ذووه وفيه الجهل مضطرب القـــدم
وعار على من فيـه أهـلـيـــة لـــه ... وعن نيل حظ منه لم يحظ بالقســـــم

---

(9) انظر الغرابي المبثوثة للعلامة سكيرج ص 205.

كان العلامة سكيرج يدعو دائما إلى ضرورة العناية بالتعليم، والعمل على وحدويته في جميع أطواره ومراحله، ابتدائيا وثانويا وجامعيا، وذلك لكون جميع هذه المدارس والمعاهد والكليات إنما تعمل لتخريج الأستاذ المسلم والطبيب المسلم والمهندس المسلم، إلى غير ذلك من التخصصات الأخرى، وبهذا يكون تعليما كاملا تاما، دينيا ودنيويا معا، دنيويا على اعتبار أن نتعلم الدنيا ونتعلم لتسيير كل شؤونها، ودينيا على اعتبار أن لا نتعلم الدنيا إلا بوجهة نظر الدين، لأن الإسلام لا يسمح لنا أن نسير شؤون الدنيا كيفما نشاء، ونكتفي بجعل عدد من العقائد والعبادات تكملة لها في حياتنا، وإنما يريد أن يكون رائدنا في حياتنا، ومنهاجا واحدا لأعمالنا وتصرفاتنا في جملة شؤونها، ذلك لأن الإسلام لا يتكلم عن المثل الأعلى فوق الدنيا فحسب، بل يتحدث ويبحث في مسائل الدنيا ومشاكلها كلها، ويوضح لنا حقيقة هذه الدنيا، ولماذا جئنا إليها، وما هي الغاية لحياتنا فيها، وما هي مكانتنا الحقيقية في ملكوت السماوات والأرض.

(10) انظر الغرابي المبثوثة للعلامة سكيرج ص 205.

فمدوا إليه ساعد الجد بالجدى ... ليدرك بعض الفضل منه أخو الكرم
خذوا بالأيادي أيدي الفقراء في ... سلوك طريق العلم تستكملوا النعم(11)

ɣǵϸDžƐ ƻNjǟƟ DžDž LjƸNjDž

كان العلامة سكيرج يرى أن المرأة هي نصف المجتمع. وأن صلاحها من صلاحه وفسادها من فساده. وبما أنها شقيقة للرجل في الأحكام بات من الأولى في نظره أن تشملها نهضة الإصلاح الحديثة. لأنها القاعدة التي تدور عليها الأشياء. فأي إصلاح يغفلها يعتبر لاغيا. وأي تغيير لا يأخذها بعين الاعتبار يعد متنافيا.

ومن هذا المنطلق كان رحمه الله يرى أن الإصلاح ينبغي أن يبدأ بالقاعدة التي هي المرأة. لأنها المربية والحاضنة والساهرة على ترعرع وسلامة الناشئة الجديدة.

ويرى العلامة سكيرج أن الإسلام منح المرأة حقوقا عظيمة. فجعلها في أسمى المراتب معززة مكرمة، مهابة الجانب، وقد فند رحمه الله مرارا ما يدعيه أعداء الدين ويروجون له من الترهات الزائفة حول هذا الموضوع الحساس.

ونصوص القرآن والسنة النبوية الصحيحة خير شاهد على ما أولاه الإسلام للمرأة من عناية واحترام وتقدير. ووفقا لهذا يذهب العلامة سكيرج على أن حرية المرأة لا يمكن أن تكمن إلا في تمسكها بتعاليم الدين الحنيف. ونبذها لما خالفه مما يخل بالحياء والمروءة.

---

(11) انظر الغرابي المبثوثة للعلامة سكيرج ص 206.
كان العلامة سكيرج رحمه الله يرى أنه من بين أهم الشروط الأساسية لأي نهضة ثقافية أن يكون الأغنياء من ذوي الثروات المالية في المجتمع محبين للعلم، مومنين به، عاملين بجد واجتهاد على تنميته وتشجيع طلبه، مستعدين للتضحية ببعض ما يملكون من أجل النهضة الثقافية، دون انتظار عائد مادي من أي نوع. عندئذ سيستفيد الفقراء كثيرا من هذا الإنجاز، وسيساعد ذلك على ازدهار العلم والمعرفة بالبلاد، وتكوين شباب مثقف واع بالمسؤولية الجسيمة الملقاة على عاتقه، وهي النهوض بمجال التعليم بالمغرب، والرفع بمستواه لأعلى الدرجات، وكل هذه الآمال لا يمكن أن تتحقق إلا بتظافر الجهود التضامنية بين طبقات الشعب، وعند تحقيقنا لهذه المساعي النبيلة نكون قد قطعنا شوطا بعيدا في طريق الإدراك والنجاح، وبالتالي نخلق جوا عاطرا من الألفة والإنسجام والتكافل الذي من شأنه أن يمهد السبيل إلى تضامن فعال لا يقتصر على ميدان التعليم فقط بل يتعداه لميادين متنوعة أخرى.

وأمام هذه المفاهيم يرى العلامة سكيرج أن مشكلة المرأة منطوية في التعليم. لأنه النافذة الوحيدة المؤدية للترقي والتطور المنشود(12). وله رحمه الله في هذا الصدد أشعار كثيرة، منها قصيدة لامية في 31 بيتا، قال في مطلعها :

تركوا الفتاة بحيز الإهمــال	وتوهموا منها صلاح الحـال
أو يبتغون نجاحها بجهالــة	والخير لا يأتي من الجهـال
هل للفتاة سوى الذي تعتاده	في قومها في الحل والترحال
ظلموا الفتاة وللفتــاة فتــوة	قد هيجت بلـبـالـهـا بـالـبـال(13)

(12) كان العلامة سكيرج يرى أن المنهج الإسلامي الحنيف هو العلاج الوحيد لقضية المرأة المسلمة، إزاء ما تعانيه وقتذاك من تهميش على الكثير من المجالات والأصعدة، ويتضمن ذلك في الرجوع لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والالتزام بهما عقيدة وعملا، وهذا هو الحل الذي ينبغي اتباعه والأخذ به، وليس من باب علاجها اتباع الخطوات التي سار فيها القضية عند الغربيين، فخرجت من تخبط إلى تخبط، ولا تزال.
خلاصة القول أن الرجوع للإسلام والأخذ من ينابيعه الصافية التي لا يشوبها كذب أو زيف هو نقطة الانطلاق لإيجاد حل لقضايا المرأة الراهنة، وهذا مما لم يعد يكذبه أحد في وقتنا الحالي، لأن الكل يرى ويسمع بفشل جميع الحلول المقترحة إلى الآن، والكل أصبح يؤمن بأن الحل الإسلامي ضرورة لحل جميع مشاكلنا المتراكمة يوما بعد يوم.
وموضوع امرأة كما لا يخفى على أحد أصبح الخوض فيه اليوم عميقا، لا يدري الإنسان من أين يبدأ فيه ولا إلى أين ينتهي، وذلك بسبب كثرة الآراء والحلول المتضاربة حول القضية، لكن الحقيقة بادية، والحل موجود، غير أنه تنقصنا الموضوعية، ثم الابتعاد عن كل المؤثرات، سواء النابعة من داخلنا أم الآتية من الخارج.
(13) انظر الشرابي المبتوتة للعلامة سكيرج ص 172، قالها بمناسبة ازدياد ابنته مريم في 22 ربيع الثاني عام 1346هـ.
والتعلم حق لكل المرأة سواء في البادية أو المدينة، لكن هذا التعليم ينبغي أن يكون مناسبا، بحيث يحقق للمرأة بجانب الأهداف العامة للتربية الإسلامية أمرين أساسيين :
1- تمكينها من رعاية البيت والأطفال أكمل رعاية، ولتكون جديرة بحمل مسؤوليتها عند الزواج، تحقيقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : المرأة راعية على أهل بيت زوجها وولدها وهي مسؤولة عنهم.
2- تمكينها من إتقان مهنة مناسبة تمارسها عند الحاجة، سواء أكانت حاجة فردية أم سرية أم اجتماعية.
وفي هذا الموضوع قال الأستاذ محمد قطب : وقضية التعليم الجامعي أو غير الجامعي ليست هي القضية بالنسبة للمرأة المسلمة، فلم يمنعها الإسلام من طلب العلم، وهو الذي يدعوها إليه بل يفرضه عليها، ولكن الإسلام يشترط في تعليمها وفي نشاطها كله شرطين اثنين : أن تحافظ على دينها وأخلاقها، وأن تحافظ على وظيفتها الأولى التي خلقها الله من أجلها وهي رعاية الأسرة وتنشئة الأجيال إلخ ...

(1)bɛƥ_ǅƨǁɛ hيقيƥʓŪɛ ƔƥƑäǁƑƓ Ljتزʿǘʏ

كانت لفضيلة العلامة الحاج أحمد سكيرج علاقة وطيدة بالقارة الإفريقية السمراء، وذلك منذ نعومة أظافره، وساعدته على نمو هذه العلاقة ملازمته التامة للزاوية الكبرى بمدينة فاس حيث اجتمع فيها بجماعة من خيرة المقدمين الأفارقة الذين كانوا يتعاقبون على المدينة المذكورة بهدف زيارة ضريح الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه.

وانطلاقا من هذا ربط العلامة سكيرج اتصالات وثيقة بالعديد من أفاضل العلماء البارزين، من السنغال ومالي وموريتانيا والجزائر وتونس ومصر والسودان وغيرهم من الدول الإفريقية الأخرى.

وقد وقفت بالخزانة السكيرجية على مئات الرسائل والأجوبة التي كانت تصله بانتظام من سائر البلدان المذكورة، ولا تخلو هذه الرسائل من فوائد علمية قيمة، وفرائد أدبية سامية، بالإضافة لكونها من أعظم الأسباب التي دفعت العلامة سكيرج للتأليف والتصنيف، ردا على الأسئلة والفتاوي الكثيرة التي كانت تصله من مختلف البقاع.

وكان العلامة سكيرج حريصا كل الحرص على ضرورة انتشار الإسلام والطريقة الأحمدية التجانية بالقارة الإفريقية، ولأجل هذه الغاية كانت بينه وبين بعض علماء سنغال اتصالات ومذاكرات جدية هامة في الموضوع.

وعلى رأس هؤلاء العلماء الفقيه العلامة المقدم الحاج سيدي عبد الله الكولخي، وولداه الكريمان الخليفة سيدي محمد، وصاحب الفيضة العلامة الشهير سيدي إبراهيم انياس، بالإضافة للفقيه العلامة سيدي الحاج مالك بن عثمان سي، وغيرهم من الأسماء اللامعة الأخرى.

وكثيرا ما كان العلامة سكيرج ينوه بهؤلاء العلماء ويصفهم بأسمى الأوصاف الحميدة، وفي هذا الصدد قال رحمه الله في كتابه تاج الرؤوس بالتفسح في نواحي سوس عند تعرضه لذكر فتوى زكاة الفول السوداني (الكاوكاو) :

(1) الطريقة الأحمدية التجانية في القارة الإفريقية السمراء متأصلة في النفوس، وجذورها ضاربة في الأعماق، لأنها تولدت هناك بسبب رغبة الإنسان الأكيدة في إشباع حسه الروحي، والرقي به لأسمى الصفاء النقي الطاهر، وللطريقة المذكورة دور فعال في توحيد الناس حول هذه القيم الروحية السمحة، وتاريخها بهذه القارة يرجع إلى منتصف القرن الثالث عشر الهجري، إذ في هذه الفترة حقق انتشارها قفزة نوعية كبيرة على يد المجاهد العارف بربه العلامة سيدي الحاج عمر الفوتي رضي الله عنه، فتعددت زواياها في كل قبيلة وبلد لتبلغ رقما قياسيا، ثم بدأت تزداد عاما بعد عام إلى أن وصلت إلى ما هي فيه اليوم من اتساع وازدهار.

وبمثل هذا القول قال محبنا   انياس(2) مع قوم من البيضان
أكرم به من كولخي عالم   متبحر في العلم في السودان
نعم الخليفة في طريقة شيخنا   عنا وعمن قبل من أعيان
قد فاق في علم الشريعة والحقيقة غيره بالحق لا البهتان
وأنا أبجله وأشكره وأشكر كل إخوته ذوي العرفان
منهم أبو إسحاق إبراهيم(3) من   أسكنته قلبي مدا أحياني
ولو أنه من شدة الحب الذي   لي فيهم قد كاد أن ينساني
أكرم بهم من سادة قد أرشدوا   للحق في سر وفي إعلان
عرفوا الطريقة فاستقاموا في السلوك بها إلى الرضوان والغفران
غرفوا من الأسرار ما عرفوا به   كيف الوصول لنيل كل أمان

---

(2) الخليفة الشهير، العالم العلامة سيدي محمد بن عبد الله انياس الكولخي، من أكابر أعلام الطريقة التجانية بسنغال، ولد عند الظهر يوم الجمعة 2 رمضان عام 1297هـ بكولخ من بلاد سنغال، وبها نشأ وترعرع، فحفظ القرآن صغيرا، ثم أخذ العلم عن مجموعة من فقهاء بلاده في مقدمتهم: والده العلامة الكبير المقدم سيدي عبد الله انياس، وهو الذي لقنه الطريقة الأحمدية التجانية، وذلك قبل سن العاشرة من عمره، ثم قدمه بعد ذلك وصرح له بالخلافة حسب نص الإجازة المؤرخة يوم الثلاثاء 19 رجب الفرد الحرام عام 1329هـ، ثم أجازه بعد ذلك العلامة الحاج أحمد سكيرج، وكتب له في الإجازة بعد كلام: وقد كتب لنا والده بأنه صيره خليفة عنه لكونه مستحقا لذلك، وقد وافقناه على ذلك وصيرناه أيضا خليفة عنا، وقد أذناه إذنا عاما كما لدينا في الأسرار الخصوصية والأذكار العمومية، غير أننا نؤكد عليه بالوقوف على ساق الجد في الطريق. ثم أجازه أيضا بعد ذلك جماعة من الأفاضل منهم الشريف البركة سيدي محمود التجاني، وأخوه سيدي محمد الكبير التجاني، ثم العلامة الشريف سيدي العربي المحب العلوي.
وللخليفة سيدي محمد بن عبد الله انياس مؤلفات كثيرة منها: طريق الجنان في مدح سيد بني عدنان، والمواهب الإلهية في الرحلات النبوية، ومرآة الصفا في سيرة النبي المصطفى، ونيل المرام في مدح خير الأنام، وذخيرة العطايا في الوفود والسرايا، ومرشد الإخوان، وهو نظم لوصايا الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه، ونصيحة الإخوان عن دعوة الوثنية بالبهتان، ومفتاح الفتح والوصول إلى حضرة شيخنا ابن الرسول، ومسامرة الفكر في زيارة القطب الأكبر، وغير ذلك من التصانيف الكثيرة الأخرى. وسنعمل إن شاء الله تعالى على جمع هذا التأليف مع نبذة من حياته الحافلة بالمكرمات في تأليف مستقل. انظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 154.
(3) سبق التعريف به في ج 1 ص 64 من هذا التأليف

وأبوهم المرحوم عبد اللـه(4) لـي ... كان الأبر الـبـر مـن إخـوانـــي
قد كــان يدعوني أبا فــي ســـــره ... وعلي في السنغال منه يــــــدان
فيــد بــهـا عاهـدتــه وأجــزتـــــه ... بإجــازة الإطــلاق بالإيقــــــان
ويد بها صافحت أهل مـودتـــــــي ... في غيبتـي بـتـعــارف ربـانـــــي
إني لأشكره وأشـكــر مـالـكــــــي ... في قطـره بـتـزايـد الإحســـــان
الحاج مالك(5) ابن عثمان الرضى ... سي فهو معه لدا الثنا سيــــــان
وبنوه انظرهم بعيــن عـنـايـــــــة ... وشملتهم بردا الرضى النوراني(6)

Ƨ ɓƑǴ ɗƜƧƊ Ɗ ʅ ɓǸƬƟ ɗƬ Ƨ ɓƨ ƚ ɓɭƧ ƕƊ ƴ ɓƨƧ

كان العلامة سكيرج رحمه الله ورضي عنه من أوائل الأعلام المغاربة المدعوين لحضور تدشين مسجد باريس في صيف عام 1344هـ-1926م، وهو الذي خطب وصلى بالناس

---

(4) العلامة الفقيه العارف بالله المقدم الحاج عبد الله بن السيد محمد بن محمد بن محنب بن أبي بكر، ويقال بكر بن محمد الأمين بن صاجر بن صنب بن الرضا. قال العلامة أحمد بن محمد المختار الحنفي العلوي في كتابه حضيرة المطايا في دخيرة العطايا، وهي شرح على منظومة للعلامة الخليفة سيدي محمد بن عبد الله انياس : والرضا هذا عربي أتى في السودان من المشرق، وهو من ملوك العرب، وله كتانة فيها أسهم ذهب فيها ... حفظ رحمه الله القرآن الكريم على يد والده سيدي محمد، وأخذ عنه كذلك رسالة ابن أبي زيد القيرواني، باستثناء باب الفرائض فإنه لم يقرأها على أحد مع براعته التامة فيه، أما النحو فقد قرأها على خاله الشيخ إبراهيم المعروف بالشيخ كلل، ثم على الشيخ المختار فاجاي، وعليه أخذ علم التفسير وجزءا من مختصر خليل، أما غير هذا من العلوم الأخرى فقد حدث عن نفسه قائلا : وما بقي من الفنون ما قرأته على أحد، ككتب اللغة والحديث والبيان والمنطق والعروض والحساب العددي وجميع ما أقرؤه، فلم تقرئني شيخ منها إلا بركة الشيخ التجاني رضي الله تعالى عنه، وأما علم الطريقة فما علمني منه أحد شيخ ولو مسألة واحدة. ومن ورعه أنه مكث زمانا يصوم ويفطر على الماء الذي فيه الحمض، وهو يجد اللبن ولا يشربه، قال لأن أهل ذلك البلد يشترونه بالطعام نسيئة، ولهذا ترك شرب اللبن رغم وجوده خوفا من الوقوع في الربا، وذلك فرن الأورع، لأنهم قالوا : إن الورع من يترك الشبهات خوف الوقوع في المحرمات، والأورع من يجتنب بعض المباحات خوفا من الوقوع في الشبهات.
وله رحمه الله تآليف كثيرة أشهرها كتابه : تنبيه الناس على شقاوة ناقضي بيعة أبي العباس، والأجوبة المفحمة في الصدقة للميت والدلائل المحكمة، وكان رحمه الله لا يذخر من الدنيا إلا الكتب وحدها، لا غيرها من جميع زينة الحياة الدنيا من ذهب وورق وحلي وثياب، بل كل ذلك يفرقه في وجوه البر في ذات الله تعالى، ولا يلبس غالبا من الثياب إلا ما لا قدر له.
ومن محبته في جناب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه بعدما سمى أبناءه بأسماء أولاده صلى الله عليه وسلم صار يسمي دوابه على دوابه كالخيول والحمير وغير ذلك من الماشية.
وله رحمة الله عليه عدة أسانيد في الطريقة الأحمدية التجانية منها سنده المباشر عن العارف بالله البركة سيدي أحمد العبدلاوي، والعلامة القاضي الحاج أحمد سكيرج، والفقيه البركة الشريف سيدي العربي المحب، والبركة المقدم سيدي الطيب السفياني، والفقيه الذاكر المقدم سيدي محمد جلو الفوتجلي.
(5) انظر التعريف به في ج 1 ص 320 من هذا التأليف.
(6) انظر تاج الرؤوس بالتفسح في نواحي سوس للعلامة سكيرج ص 45.

في أول جمعة بالجامع المذكور، حيث اجتمعت لمعاينة تدشينه شخصيات بارزة من مختلف بقاع المعمور، يتقدمهم السلطان السابق مولانا يوسف رحمه الله، ولا بأس أن أذكر في هذا المحل نص الخطبة التي ألقاها العلامة سكيرج بالمناسبة على أسماع الحاضرين(7) :

نص الخطبة :

الحمد لله ذي النعم الوافرة، والرحمة الساترة، والعقوبات القاهرة يفعل ما يشاء بالاختيار، نحمده حمدا نسعد به في هذه الدنيا والآخرة، ونقهر به الهوى والشيطان والنفس الأمارة الساحرة، حتى نكون إن شاء الله من الأبرار، وأقر له بالتوحيد على عقيدة طاهرة ظاهرة، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد المؤيد بالمعجزات الباهرة، المحبوب السيد الملجأ المختار، وعلى آله وأصحابه ذوي الأيادي المتكاثرة، والآخذين بالعدل لشريعته السامية الآمرة، فنعم المهاجرون ونعم الأنصار.

أما بعد : فيا عباد الله إن من نعم الله علينا بناء هذا المسجد الذي نحن فيه متوجهون لربنا الكريم لأداء الصلاة المفروضة، فسبحانه من إله رحيم لا يكون إلا ما خصصته إرادته، ولا يبرز للوجود إلا ما أنجزته قدرته، فطوبى لمن وحده وذاق حلاوة تصرفه في الكائنات، وبشرى لمن اهتدى للخير وفر من الموبقات، فتنبهوا يا إخواني لما أنتم فيه اليوم، أنتم في مسجد رب العالمين أنتم في مسجد تقام فيه شعائر الدين، أنتم في محل البركات والخيرات، أنتم في مسجد يضاعف فيه أجر الطاعات، أنتم في مسجد ينتبه به الغافلون للصلاة، أنتم في مسجد لذكر الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنتم في مسجد سيكون سببا في نشر فضائل الدين حتى يعم الائتلاف المسلمين وغيرهم من المجاورين، أنت في مسجد هو مرشد للقادم الغريب وللحاضر الشارد كالطبيب.

---

(7) كانت هذه الرحلة الفترة التي قضاها العلامة سكيرج رحمه الله على رأس القضاء بمدينة الجديدة، وكان عمره المبارك عندها 49 سنة، ورافقه في هذه الرحلة الميمونة جماعة من الأفاضل منهم : باشا مدينة الجديدة السيد علال القاسمي، والقائد حمو العبدي، والقائد محمد بن الشريف السايسي الأمغاري، والأديب سيدي التهامي بن سليمان وغيرهم.
ولم يكن تكليفه بهذه المهمة الكبيرة وليد الصدفة، بل لما يتمتع به رحمه الله من شخصية فذة قوية، ومكانة مرموقة داخل جميع الأوساط الثقافية بالمغرب، مع غزارة علمه، ومعرفته الدقيقة بالفنون الأدبية المختلفة.
وبهذا الاستحقاق الكبير لفت رحمه الله أنظار معاصريه من العلماء والمفكرين والأساتذة الباحثين، فهو على الأرجح وبدون منازع واحد من العلماء الذين عرفوا بالجمع بين قدرتين قلما تجتمعان إلا للقليل من الأفذاذ، وهما قدرة الخطابة، وقدرة الكتابة، مع التبريز فيهما معا.
وانطلاقا من هذا كان العلامة سكيرج مقدور القدر في جميع الميادين والمجالات، يعجب به سامعوه في مجالسه ومسامراته، ويقدره قارئه في مؤلفاته ومصنفاته، فقد أوتي التبريز في ميدان الكلمة المقولة والكلمة المكتوبة، وقد عرف بنهجه السوي إلى النثر العربية، وكان قادرا كل القدرة على مواجهة الجماهير والباحثين على سواء.

فلا تبخلوا رحمكم الله وأعانكم بما له عليكم، فلسان حاله يقول : لا تهملوني حقي، حقي عليكم وإليكم، فهنيئا لمن مات ولم تمت حسناته، وعمل صالحا فماتت سيئاته، فتمتعوا أيها المسلمون بالحرية في دينكم، واسعوا للخير، وافعلوا الخير واجتهدوا فيما ينفعكم، وكونوا إخوانا محاربين للجهل والعادات المذمومة، ولا تفسدوا عقولكم بالخمور، ولا تدنسوا أعراضكم بالفجور، ولا ترتكبوا العار، اجتنبوا الزنا والقمار، ولا تقتلوا أنفسكم بالقنوط والكسل، ولا تتأخروا عن العلم والعمل، سيروا إلى الأمام، ارحموا الفقراء والمساكين والأيتام، لا تسمعوا كلام الدجالين، لا تقبلوا أقوال المفسدين، لا تفرطوا في تربية أولادكم، لا تقتلوا شرف دينكم بالخسائس أمام جيرانكم.

أيها المسلمون هذا دينكم يناديكم فهل من مجيب مع اعتناء منكم، أيها المسلمون إن السعادة التي يتنافس فيها المتنافسون هي العلم والأخلاق الكاملة وقراءة ما سطر الله في الكائنات من الحكم، أيها المسلمون إن المؤمن هو الذي يغرس الود في فؤاد غيره مطلقا ويسقيه دائما بماء الإنسانية ،فاجمعوا رحمكم الله بين الدين والدنيا وسيروا سير أهل الكمال، وشاركوا غيركم فيما يحمد، فقد قتلتم أنفسكم بأيديكم من حيث لا تعلمون، وصرتم في غاية الانحطاط، أما تشعرون أن العلم يتبعه كل خير وكمال، وأن الجهل لا يفارق صاحبه الهم والنكال، ولا ترفع الأمة إلا ببذل المال، في جميع أصعدة هذا المجال، فبرهنوا على أنكم رجال.

وفقني الله وإياكم لما فيه خير الأمة، بجاه المصطفى المبعوث لكشف الغمة، روى البيهقي في السنن الكبرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أعمل عمل امرئ يظن أن لن يموت أبدا، واحذر حذر امرئ يخشى أن يموت غدا، صدق رسول الله، صدق حبيب الله، ألا إن أفضل كلام تتعظ به قلوب المومنين كلام مولانا واسع الرحمة والعطاء في كل حين، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

نص الخطبة الثانية :

الحمد لله الواجب الوجود والقدم، الباقي تعالى عن أن يلحقه عدم، المخالف للحوادث بالإطلاق كلها، القائم بنفسه جل عن أن يفتقر كالصفة ومحلها، المنفرد بالوحدانية ذاتا وأفعالا وصفات، القديم بقدرة تعلقت بجميع الممكنات، المريد كما شاء فلا يقع غير مراده، العالم بتفاصيل ما خلق قبل إيجاده، الحي بلا روح كما هو المألوف، السميع البصير المتكلم بلا صوت وحروف، نحمده حمدا يليق بذاته التي لا تشبه الذوات، ونشكره على نعم عمت جميع المخلوقات.

وبعد فمن أراد أن يكتال بالمكيال الأوفى، فليكثر من الصلاة على النبي المصطفى، اللهم صل على هذا النبي الكريم، صاحب الخلق العظيم، وسلم تسليما، وارض اللهم عن آل بيته الطيبين، وعشيرته الأقربين، الذين قال فيهم نبيك الصادق الأمين : والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم مني.

اللهم انفعنا بمحبتهم، واحشرنا يا مولانا في زمرتهم، ولا تخالف بنا عن نهجهم وسبيلهم يا أكرم مسؤول، ويا خير مأمول، وارض اللهم عن أصحابه الأعلام، أنصار الملة والإسلام، وخصوصا منهم الخلفاء الكرام، ذوي المجد الشامخ، والفضل الباذخ، سادتنا وموالينا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن التابعين وتابعيهم إلى يوم الدين، وأيد اللهم من أيد الملة الحنيفية، وأحي من أحيا السنة المحمدية، ونجنا من الفتن الدنياوية والأخروية إنك على شيء قدير.

وانصر اللهم راجي عفوك وبرك وخيرك، مجمع الشرف الديني والطيني، بضعة الرسول المطهر الفروع والأصول، السلطان بن السلطان المعظم، الذي شرف بحضوره افتتاح هذا الجامع في أول جمعة، أبي المحاسن سيدنا ومولانا يوسف بن مولانا الحسن، وكن الله له وليا ونصيرا ،وأصلح الله به وعلى يديه، ووفقه للخير وأعنه عليه، واجعله اللهم لأنعمك من الشاكرين، ولآلائك من الذاكرين، وعلى رعيته من المشفقين، إنك على كل شيء قدير، يا أرحم الراحمين، يا رب قست قلوبنا، وكثرت ذنوبنا، وطالت آمالنا، وفسدت أعمالنا، وعم تكاسلنا، وقوي على العصيان هجومنا، ولا مشتكى لنا إلا إليك، اللهم ارحم تضرعنا، اللهم أمن خوفنا، اللهم تقبل أعمالنا، اللهم اصلح أحوالنا.

ربنا أنت منقذنا لا سواك، وهل سواك يفرج كربتنا، قد واعدت بأن من دعاك يجاب، وحشاك تتركنا، ربنا كل ذنب إلى جنب عفوك ليس شيئا إذا شئت أن ترحمنا، ربنا إن فعلنا قبيحا فأنت الغفور بفضلك تسترنا، ربنا قد قصدنا باب رحمتك وأنت الكريم وما لغيرك فقرنا، ربنا أنت الملاذ إذا ضاقت الأحوال وانقطعت آمالنا، ربنا إن عفوت ففضل، وإن فعدل، وأنت الرؤوف بنا، اللهم ألف بين قلوب العباد، واسلك بالجميع سبيل الرشاد، مولانا إياك سألنا، وما عندك من خير طلبنا، فاقبل اللهم بوجهك الكريم علينا، واعطنا سؤلنا ولا تخيب فيك رجاءنا، واجعل اللهم جمعنا هذا جمعا مباركا مرحوما، وتفرقنا منه تفرقا سالما معصوما، ولا تجعل فينا ولا منا ولا معنا شقيا ولا محروما، يا من عجز عن وصف كنهه الواصفون، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

تـمــــــــت

والعلامة الحاج أحمد سكيرج هو ناظم القصائد والأبيات الشعرية التي نقشت داخل وخارج المسجد المذكور، ولا بأس أن أذكر ضمن هذا البحث الوجيز بعضا من هذه القصائد إفادة لكل من يهمه الأمر من باحث أو مطالع، وذلك رجاء دعوة صالحة من أخ صادق منصف.

ما كتب على الركن الأيمن من الباب الأعظم

يا قاصدا نحوي قف وقفــة	وانظر إلى صنعي بعين اللبيب
ونزه المقلة في بهجتــــــي	وما تجلى من جمالي المهيـب
فإنني للحســن مستكمــــل	ينشرح الصدر بشكلي العجيب
وكل ذي رأي مصيب يرى	أني قد فقت بـصـنـــع غـريــب
يكفي الذي قد جاءني زائرا	نصر من الله وفتــح قـريـــب

ما كتب على الركن الشمالي من الباب الأعظم :

قف وانظر الصنع الذي قد بـدا   في طلعتي تشهد بهاءي العجيب
قد رقم(8) الصنـاع في حلـتـي   خمائل الأزهار صنع الأريـب
فامتزت عن غيري بما أبدعوا   من حسن تنميق وقظم غـريـب
لله ما فــي شكلــه منطـــو   من كل خير فيه أوفى نصيـب
واشكر من اهتموا به واعتنوا   جزاهم الخير الإلاه المـجـيـب

وما كتب أيضا :

يا زائري قد نلت فـي   ظلي الرعايـة والـمنـــى
فأجل جفونك في الذي   أبـهـجـت فيــه الأعينـــا
من منظر أوضـاعـه   حوت(9) الصنيع الأحسنا
فكـأنـمـــا أرقـامـــه   زهـر يـزيـن الأغصنـــا
فجرى حديث جمالـه   بجميـع أقطـــار الـدنـــا
واغنم سرورك مهديا   لمؤسسـي حسـن الـثنـــا
ولك المفـاز بـــزورة   دارت على فلك الـهـنـــا

ما كتب وسط الباب :

إن هذا مسجد للمسلميـنـــــا   فتحت أبوابـه للعـابـديــنــــــا
مسجد أسس فـي بـاريـز مــــا   مثله من مسجد للنـاظـريـــــن
مسجد أنحاؤه زادت سـنــى(10)   وسناء(11) يزدهي طول السنينـــا
فبه الأفكار تزهـــو(12) دائـمـا   وبه البشرى لـكـل الـمـومـنـيـنـــا
مسجد قد حــاز شكــلا جامعـا   لجـمـيـع الحسن بـيـن العالـمـينـــا
فلسان الــحــال منــه قــائـــل   إن هــذي روضـــة للزائــريـنـــا
روضة مــن جنــة قد بـــرزت   ادخـلــوهـــا بــســـلام آمـنـيـنـــا
فلكم فـي ظلــه نـيـل الـمنـــى   ولكم فـيــه الـهـنـا دينـا ودينـــا
قد سمـت أركـانــه واتسقــت(13)   وازدهت من حسن صنع الصانعينا
أبدعوا في الصنع ما شاءوا وقد   أظـهـروه فـتـنـــة للـعـاشـقـيـنـــا
فاشهدوا الحسن الذي فيــه بـدا   وانظروا في صنعه النصح المبينـا

---

(8) رقم : كتب.
(9) حوت : ضمت.
(10) سنى : رفعة.
(11) سناء : ضياء.
(12) تزهو : تبرق وتزهر.
(13) اتسقت : انتظمت.

قد غدا في الحسن لا مثل لـه ... مرغما فيه أنوف الـحـاسـديـنـا
فبـه الأنـفــس تـحيــا وبـــه ... يشرح الأنس صـدور الـواردينـا(14)
فـهنيـئـــا للـــذي شـيـــده(15) ... وهـنـيـئـا لـكـم يا مـسلـمينـا

ما كتب عن يمين مدخل أسطوان الصحن :

أهلا بكم يا زائرين لمسجـد ... قـد فـتحـت أبـوابـه للقصــــــد
هذا المقام به السعادة ختمت ... من حل فيه يحل أرفع مصـعـــــد
فيه الأماني والمنى مجلـوة(16) ... مثل العروس بدت بأجمل مشهــد
فلتطمئن صدوركم بـوردكـم ... وصدوركم(17) فلكم كمـال الـسـودد

ما كتب عن يسار مدخل أسطوان الصحن :

أهلا بكم يا سادة فلتدخلـــوا ... لتشاهدوا ما في السوى(18) لم يشهد
من كل حسن لا يزال مرونقا(19) ... قد شيد مثوى طـاعــة للعـبــــــد
لو كان ينطق باللسان سمعتم ... منه الترحب مثل قول المنـشـــــد
لكم الهنا يا زائرين بنيل مـــا ... رمتم جميعا من كمال المقصـــــد

ما كتب في دائرة الصحن :

متع لحاظك في محاسن معهـــد ... يسبي(20) العقول بحسنه المتعـدد
هو معهـد لكـنــــه فـــي زيـنــــة ... وفخامة في غيره لم تعـهـــــد
هو بهجة للناظريـــن وروضـــة ... تحي القلوب بروحها المتـــورد
هو مشهد للوارديـن ومـلـجـــأ ... للزائـريــن وجـنــة للـعـبــــد
يسلي(21) غريب الدار عن أوطانه ... وإليه يطلب عودة إن يبـعــــد
أكرم به من مسجد بهر النهـــى ... لم لا وفيه هداية المسترشـــــد
فيه تقام عبادة الرحمـان فــــي ... إتقانها لجـمـاعـــة ولـمـفـــــرد
قد شيدت أركانه بالجـد فـــــي ... أبهـى مكـان للفتـى المتعبـــد
يا حسنه من معهد مستجمــــع ... للحسن حتى صار أحسن معبـــد
قد صار في إتقانه متكفــــــلا ... بجميع ما يحتاج كل القصـــــد

(14) الواردينا : الوافدين عليه
(15) شيده : بناه
(16) مجلوة : ظاهرة
(17) صدوركم : بمعنى رجوعكم
(18) السوى : بمعنى كثيرا من المساجد
(19) مرونقا : ناضرا وخالصا
(20) يسبي : يأسر
(21) يسلي : ينسي

جمع المحاسن في بدائع صنعــة ... وجميل تنظيم وطــرز جيـــــد
قد أودع الصناع فيه عجائــبـــا ... شكرت لأيديهم بها كم مـن يـــد
فكأنما الشمس استعارت حسنهــا ... وضيائها من حسنه الـمـتـوقـــد
وكأنه أهــدى لـهـــا أنــــوار ه ... وكستــه(22) بهجة نور ها المتفـرد
وكأنما بدر التمام قد اكتســـــى ... مـن حـسـن طلعته كمال تــــورد
فأعاره بسعـوده وصـعـــــوده ... مـنــه البهاء حقيقة في المصعـــد
رقم الجمال خطوطه في أوجـــه ... مـنــه بشكل في عـــلاه مـجــــدد
وعليه قد نشر(23) القبول لـواءه ... فـبـدا بأوجهه سنــاء الـمـشـهـــد
وأناخ(24) في أكنافه الأنس الــذي ... طابت به أنفـــاس كـل مـوحــــد
في كل وقت حسنه مـتـزايـــــد ... في رونق وكمال سعد مـسـعــــد
وتوفرت فيه خصائص جـمـــة(25) ... مشهودة في حسنها لم تجـحـــد(26)
كملت(27) محاسنه التي في طيهـــا(28) ... جمعت مزايا في السوى لم تشهد
قد خصصته يد العـنـايـــة دائمـــا ... بذوي الهداية للمحــج الأقصــــد
واختص من أولي الديانة في الـورى ... بالمسلمين برغم أنف الحـســـــد
فيه يأدون الصــــلاة لربـهــــــم ... فرضا ونفلا في أتم تعـــبـــــد
وجميعهم يقضون فيه مرامهـــــم ... وفق الذي يقضيه شــــرع محمـد
ما فيه شيء حائد(29) عن نـهـجــــه ... بل فيه أعظم أسوة للـمـقـتـــــدي
والله عظمــه فـكـــان مـعـظـمـــا ... عنـد الموحـد والمحـق المهتـدي
فادخل إلى بيت الصـــلاة وأدهـــا ... فيه بحـالـــة خـاشــع مسـترفـــد
وإذا جلست به فكن ممن صفـــوا ... قلبا وقم فيه بحسن تهجـــــــد
وادع الإله بما تحــــب فـإنـــــه ... سبحانه يجدي الغنا للمجتـــــدي
واسأله ما ترجوا تنله فإنـــــــه ... رب الإجابة فضله لم ينفـــــد
ولتدع للقوم الذين به اعتنــــوا ... إذا شيدوه على الأساس الأيــــد
من أيدتهم في الوجود عنـايـــة ... حتى أشادوه بحســن تعهـــــد
نهضوا بأحسن نهضة جمعتـهــم ... حتى اهتدوا لطري فتح الموصد(30)
سلكوا سبيل الرفق حتى ألفـــوا ... بين القلوب فسوعدوا بالمقصــــد
فليفخر الإسلام حيث يـــرى لـــه ... شرف تصاعد في مطالع أسعـــد

---

(22) كسته : ألبسته
(23) نشر : بسط
(24) أناخ : أقام
(25) جمة : كثيرة
(26) تجحد : تنكر وتكذب
(27) كملت : تمت
(28) طيها : ضمنها
(29) حائد : مائل
(30) الموصد : المغلوق والمسدود

ولتبتهج نفس الموحد إذ بدا … في أرض باريز مبرز مسجد
وليفرح المتدينون بدينه … فالدين دين الحق بان لمن هدي
ولأهله في أرض باريز غدت … تجلى(31) شعائره بأرفع مقعد
فيكون فيه لهم أجل تعارف … وتمام عز بالدوام مخلد
ويكون فيه لهم مزيد تواصل … ويكون فيه لهم أكيد تودد
وتزول عنهم وحشة(32) من غربة … بعظيم أنسهم بهذا المسجد
وتراهم فيه على بسط الهنا … وكمال أفراح وعيش أرغد(33)
فليحمدوا الله الذي أولاهم … أسنى الأماني في أمان منجد
ولهم بباريز لدا أولي النهى … وصف اعتبار بالقبول مؤيد
ولهم جميل الصنع فيما أظهروا … لهم من الإسعاد والخلق الندي
فعلى ذوي الإسلام أن يستكثروا … من ألفة أبوابها لم تسدد
ليبرهنوا عن صون دينهم الذي … هو في طريق الهدي أحلى مورد
وليقتدوا بنبيهم فنبيهم … يدعو لنهج الحق غير مشدد
فالمسلمون لهم كمال سعادة … فلتقتفوا(34) في السير سيرة أحمد
فهم به قد أسعدوا بمناهم … فليعرفوا حق الكريم المسعد
وليرضعوا ثدي المعارف بينهم … في معهد هو للفلاح ممهد(35)
وليشكروا المولى على إنعامه … ولهم به نيل الهناء السرمدي
فقد ازدهت أرجاء مسجدهم وقد … كملت به أدواته للوفد(36)
وليشهد الزوار إن حلوا به … أنواع أضواء به لم تخمد
فلقد تنور أفقه بالكهربا … فحكى تشابك فرقد في فرقد(37)
ولسان حاله صار ينشد مرحبا … بالوفد من مستبشر مستوفد
هذي جنان فتحت أبوابها … فلتدخلوها ظافرين بسودد(38)
ولتنظروا من حوله ما زاده … حسنا بديعا في السوى لم يوجد
لله در مؤسسيه فإنهم … ما قصروا في صنعه المتفرد
ما كان يرجى مثله في موطن … ودليل ما قد قلته للمنشد
من لي بأرض مثل باريز يرى … فيها مشيدا مثل هذا المسجد
طلب المحال من ابتغى مثليهما … لم لا وقد خصا(39) بما لم يجد

---

(31) تجلى : تظهر
(32) وحشة : ضد الاستئناس
(33) أرغد : بمعنى طاب واتسع
(34) فلتقتفوا : فلتقتدوا
(35) ممهد : موطأ ومبسط
(36) للوفد : للآتين والقادمين إليه
(37) فرقد : نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به وبجانبه آخر أخفى منه فهما فرقدان
(38) السودد : القدر الرفيع
(39) خصا : بالتثنية بمعنى فضلا

وقـد انتهت بهما المحاسن فانتهـى   وصـفــي بـشـمـس أرخـت لـلـمـهـتــدي
وعلـــى الرسول تحيـة لا تنتهـــي   وعلـــى ذويـــه ومــن بـكــل يـقـتــــــدي
مـا قـــال مـن وافـى لهـذا المسجـد   مـتــع لـحـاظـك(40) فـي محـاسـن مـعـهــد

ما كتب في مدخل المسجد المفروش

ادخـل إلـى هـذا المقـام فـإنـــه   بيت الصلاة وطاعة الرحمان
فإذا دخلت وجدت قلبك حاضرا   مـتـيـقـنـا بالـفـوز والغفــران

وكتب كذلك

هذا المقام به يباهي عصركم   ما كان قبلكم من الأزمـــان
بيد العناية أبرزتـــه منـمـقــــا(41)   في جنة الدنيا لأولي الشان

وكتب كذلك

ولقد سمت(42) أركانه وتشعشعت   أنواره فعلا علـى كيوان
لـلـــه در القائمـيــن بصـنـعـــــه   فلهم به فخر على الأقران

وكتب على باب الحمام

إن هذا الحمام يشـفـي السقيما(43)   وبه يشتفي الذي ينتقي(44) ما
فاروي من مائه صحيح بخار   وانتهج مسلكا لـــه مستقـيـمـا

وكتب كذلك

هذا محل الوضـوء للمصلينا   فادخل إذا رمت تطهيرا وتحسينا
ففيه تلفي(45) بيوتا في نظافتها   قـد زادها الـمـاء تنميـقـا وتزيينـا

وكتب على الباب الموصل من البستان للمسجد

هذه الباب فتحت فـــي جـنــــان   روحها منعش(46) لكـل جنان
فهي تفضي(47) لمسجد قد تسامى   في معاليه فوق كــل المباني

---

(40) اللحاظ : مؤخر العين مما يلي الصدغ.
(41) منمقا : مزينا وحسنا
(42) سمت : علت وارتفعت
(43) السقيم : المريض والعليل
(44) ينتقي : يختار
(45) تلفي : تجد
(46) منعش : منشط
(47) تفضي : توصل

مسجد حسنــــه تكـامــل حتــى ... صار ما مثله يرى في العيان
مسجد جامــع لـكـل المـزايـــا ... وبه حلت المنــى والأمـانـــي
كـل مـن حـل فيه نـــال قبـــولا ... وغـــدا فـــي مســـرة وأمـــان
خص بالمسلمين فازدان وازداد ... ابتهـاجـــا بـــه تـحـق التـهـانـي
فهنـيـئـــا للمسلمـيـــن بــــــه إذ ... شيد في باريـز بأبـهـى مكـــان
وهـنـيـئــا لســـــادة شيـــــدوه ... فبـه الـخـيـر تـم طـول الزمـان

LjتF2ll'DDŽ

ترك لنا العلامة الحاج أحمد سكيرج تراثا ثقافيا كبيرا يتجلى في مؤلفاته القيمة التي كرس عمره المبارك جاهدا في صدد تصنيفها وتدريسها لطلاب العلم والمعرفة.

وقد رواها عنه تلاميذه، واهتموا بمحتوياتها النفيسة خلفا عن سلف، كما تنافس في اقتناء المطبوع منها كبار الفقهاء والمفكرين شرقا وغربا، فتناولوها بالدرس العميم، والتمحيص السليم، واقتبسوا منها مناهجه السديدة في سائر أصناف المعرفة.

ويغلب على مؤلفاته وتقاييده الكثيرة أثر علم التصوف، فضلا على الطابع الأدبي الرفيع الذي كان مرافقا ومصاحبا له في جميع كتاباته المتنوعة.

وتوضح لنا مصنفاته الكثيرة مدا تضلعه وتفوقه وريادته في فنون مختلفة، مع خبرته السامية بعلم التراجم، ومعرفته الدقيقة بأصوله وقواعده المتشبعة، ويظهر هذا جليا من خلال الكتب التي ألفها في هذا العلم، حيث عالجها بأسلوب رفيع مركز رزين موضوعي منهجي لا يخلط فيه بين نوع وآخر.

وتتنوع هذه المؤلفات إلى حقول شتى، كالأدب والتصوف والفقه والحساب والتراجم والتاريخ والعروض وغير ذلك.

وللطريقة الأحمدية التجانية حصة الأسد داخل هذه التصانيف العلمية المفيدة. وسيظهر هذا جليا للمطالع لدا وقوفه على قائمة تآليف هذا العالم الجليل.

وبقليل من التأمل في هذا الكم الهائل من التآليف، ندرك عن يقين تبحر العلامة سكيرج في العلم بصفة عامة، وفي التصوف والأدب والتراجم والحساب بصفة خاصة، وتصانيفه أكبر مرشد ودليل على فطنته وذكاءه وبعد نظره.

ومع هذا كله كان له رحمه الله سمت حسن ووقار وهيبة، مع تواضع كبير قل مثيله بين معاصريه من علماء وفقهاء ومحدثين وأدباء. فرحمه الله ونفع الناس بعلمه.

Ŷٸ ĿjĐŽϴþ ŧþɻlƨ ɹĐŽϴċ ŧƑϴllٸ Ǐ ƮƑällٸ ƕĐŽǘyllٸ ƹllĈƾĠ ƕĐŽǝƑƼ

1- "الروضة اليانعة والثمرة النافعة، في شرح الفدلكة الجامعة، في صرف الجامعة"، طبع في المطبعة الحجرية بفاس بخط مؤلفه في زوال يوم الأحد 22 ذي الحجة عام 1317هـ(49).		2- "كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب"(48)، ترجم فيه لنحو المائتين من أصحاب الشيخ سيدي أحمد التجاني الذين عاصروه وأخذوا عنه قيد حياته.
3- "إرشاد المتعلم والناسي في صفة أشكال القلم الفاسي"، فرغ من تأليفه في غرة فاتح عام 1316هـ(51).		4- "تنوير الأفهام، بختم تحفة الحكام"(50).
		- "تخميس البردة، المسمى بالوردة"(52).
6- "رفع النقاب، بعد كشف الحجاب، عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب"، وهو في أربعة أجزاء(54).		7- "الرحلة الحبيبية الوهرانية، الجامعة للطائف العرفانية"(53).

(48) طبع في المطبعة الحجرية بفاس للمرة الأولى في أواسط جمادى الثانية عام 1325هـ في 498 صفحة، ثم طبع للمرة الثانية بتصحيح العلامة سيدي الحاج عبد الكريم بنيس بالمطبعة الحجرية بفاس عام 1340هـ في 489 صفحة، ثم طبع للمرة الثالثة بتصحيح الشيخ محمد الحافظ المصري في ليلة الجمعة 1 ذي القعدة الحرام عام 1381هـ موافق 7 أبريل سنة 1962 م بالقاهرة في 560 صفحة.

(49) لقي هذا الكتاب إقبالا كبيرا من طرف الأوساط العلمية وقتذاك، وكان على فترة طويلة من الكتب التي تدرس بكلية جامع القرويين، ولأهميته ترجم للغتين الفرنسية والإسبانية.

(50) فرغ من تأليفه يوم السبت 11 شعبان الأبرك عام 1327هـ، وطبع على الحجر بفاس في قالب صغير في 48 صفحة.

(51) هو أول تأليف العلامة سكيرج، طبع مع الروضة اليانعة في كتاب واحد على الحجر بفاس، وقد انتفع به جم غفير من الطلبة، ولأهميته ترجم للغتين الفرنسية والإسبانية.

(52) طبع على الحجر بفاس عام 1333هـ في 28 صفحة، قال في مطلعه :

ما بال عينك طول الدهر لم تنم   كأنها اكتحلت بمرود الألـم

قل لي بماذا تحس غير محتـشـم   أمن تذكر جيران بذي سلم

مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

(53) طبعت بخط المؤلف بالمطبعة الحجرية بفاس عام 1329هـ، في 142 صفحة، ويحتوي هذا التصنيف على تراجم مفيدة لبعض الأعلام الذين اجتمع بهم المؤلف في رحلته المذكورة، مع فوائد وفرائد كثيرة، وتقاييد مضبوطة وديعة، وقصائد وأشعار بديعة، ولهذا قال فيها مقرضها العلامة الأديب مولاي عبد السلام بن محمد العلوي :

هذي رحلة الشيخ العياشي لم تـكـن   لديك فقد أغنتك رحلة نجله

جناب أبي العباس أحمد ذي العلا   سكيرج فرع طيبه طيب أصله

من الخزرج الشم الكـرام نـجارها   ومن أسرة الأنصار أسرة نسله

(54) يحتوي الجزء الأول على 138 ترجمة، أما الثاني فيضم 65 ترجمة، ويحتوي الجزء الثالث على 181 ترجمة، بينما يشتمل الجزء الرابع من 154 ترجمة، وعدد تراجم الأجزاء الأربعة

8- " الكوكب الوهاج، لتوضيح المنهاج في شرح درة التاج، وعجالة المحتاج(56)، في فقه الطريقة التجانية"		9- "تنبيه الإخوان، على أن الطريقة التجانية لا يلقنها إلا من له إذن صحيح طول الزمان، ولا يصح تلقينها عمن يلقن غيرها من الطرق كيفما كان(55)"
10- "السحر الحلال في مدح سيد الرجال"(58)، وهي قصائد منظومة في مدح خير الأنام على أعاريض بحور الشهر وأضربه، طبع بالمطبعة الحجرية بفاس، صفحاته 16.		11- "ضوء الظلام، في مدح خير الأنام"(57)، وهي معشرات على حروف المعجم، في مدح سيد الكائنات، طبع على الحجر بفاس، في قالب صغير، صفحاته 16.
12- "كمال الفرح والسرور بمولد مظهر النور(60)"، طبع على الحجر بفاس سنة 1333هـ صفحاته 24.		13- "نفع العموم، بالمسامرة ببعض العلوم"(59).

---

538 ترجمة. طبع الجزءان الأول والثاني في حياة المؤلف بمطبعة المهدية بتطوان، أما الجزء الثالث والرابع فطبعا بمطبعة الأمنية بالرباط عام 1390هـ - 1971م.

(55) طبع بمطبعة النهضة بتونس سنة 1339هـ - 1921م، في 232 صفحة، ألفه لما كان قاضيا بمدينة وجدة، وهو في الرد على الشيخ محمد بن سليمان الندرومي الجزائري، حيث كان يتظاهر أنه مأذون من الحضرة المحمدية في تلقين أوراد الطريقة التجانية والطيبية والجيلانية والدرقاوية، وعلى هذا التصنيف تقريظان، الأول للعلامة الأديب معاوية التميمي التونسي، والثاني لأديب طنجة العلامة سيدي عبد الله بن الهاشمي الوزاني.

(56) هو باكورة تصانيفه في الطريقة الأحمدية التجانية، طبع بمطبعة النهضة بتونس في 283 صفحة، وكان الفراغ من تأليفه عام 1318هـ، أي بعد ثلاث سنوات من تمسكه بالطريقة التجانية، وهو من أهم الكتب المختصة بفقه الطريقة المذكورة، ولهذا نال باستحقاق كبير مكانة مرموقة لدا الوسط العلمي والثقافي وقتذاك، وكان عمر العلامة سكيرج عند فراغه من هذا التأليف لا يتجاوز 23 سنة.

(57) هو مجموعة من القصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، رتبها على حروف المعجم، وكل قصيدة منها في عشرة أبيات، وجميع هذه القصائد من بحر الطويل، قال في مطلع همزة هذه الأبيات :

جمالك يا خير الورى حير النهى ... ونورك في الأكوان ضاءت به الدجى

فجسمك نور ليس يبصر شخصه ... على الأرض بل في الكون مثلك لا يرى

(58) هو ديوان مرتب على البحور العروضية ومالها من الضروب، فنظم في كل ضرب منها ثلاث أبيات في مدح سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، قال في مطلعه : البحر الطويل له ثلاثة أضراب، الضرب الأول سالم ومنه :

بمدح جناب المصطفى يدفع الشر ... وترقى بها العليا ويمحى بها الوزر

فما هو إلا للقـلـوب دواؤها ... تصح به الأدوا وينجبر الـكسـر

فلازم إذا شئت السعادة ذكـرها ... وصل عليه فالصلاة لهـا سـر

(59) طبعت بالمطبعة الرسمية العربية بتونس عام 1336هـ وهي منظومة تكلم فيها على عدة علوم ومطالعها :

خذ العلوم وإن كسلت عن عمل ... فالعلم من أكمل الأوصاف في الرجل

14- "وله عليها شرح سماه : "رفع الغموم، في شرح نفع العموم" لم يتم.		15- "مطالع الأسرار، لمدارك الأحرار، في شرح صلاة الفاتح لما أغلق بالحروف المهملة(61).
16- "نصيحة الإخوان، في سائر الأوطان(64)"، وهي قصيدة نونية طويلة،		17- "نور السراج، في شرح إضاءة الداج(62)، على منظومة سيدي الغالي السنتيسي(63) لدرة التاج وعجالة المحتاج، لسيدي الحاج عبد الكريم بنيس في فقه الطريقة التجانية.
18- " النفحات الربانية في الأمداح التجانية(66)".		19- حضرة التداني، من شرح أبيات الختم التجاني(65)".

---

(60) عليه ثلاثة تقاريظ، الأول لأديب طنجة سيدي عبد الله بن الهاشمي الوزاني، والثاني للفقيه الأديب الشهير سيدي محمد البيضاوي الطنجي، والثالث للعلامة سيدي عبد الكريم بن العربي بنيس.

(61) طبع على الحجر بفاس في 16 صفحة.

(62) طبع على الحجر بفاس في 62 صفحة وعليه تقريظ للعلامة الأديب محمد الغالي بن المكي السنتيسي.

(63) انظر التعريف به في هذا التأليف ج 1 ص 398.

(64) طبعت على الحجر بفاس في 22 صفحة، ثم طبعت من جديد بمطبعة الصدق بالقاهرة على نفقة العلامة سيدي محمد الحافظ التجاني المصري، وهي منظومة نونية من بحر الطويل، تناهز 500 بيتا، ينصح فيها إخوانه من أهل الطريقة التجانية بما يتعين به النصح في دينهم ودنياهم، وقال رحمه الله في مطلعها :

علي أرى فرضا نصيحة إخـ ـوانـ ـي ... ومن لي بأن يصغوا بقلب وآذان
ومن لم يكن مستحضر الذكر عند مـ ـن ... يخاطبه لم يستفد غير خسـ ـران
يظل من الأوهام في حال حـ ـيـ ـرة ... يضل بها عن نهج حق لبطـ ـلان

(65) طبع على الحجر بفاس في 14 صفحة، وهو شرح على قصيدة المطالب للشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه، وهي مذكورة في كتاب جواهر المعاني للعارف بالله سيدي الحاج علي حرازم برادة، ومطلعها :

ألا ليت شعري هل أفوز بسـكـ ـرة ... من الحب تحي مني كل رميمة
وهل لذرة الإحسان ترقى عوالمي ... وهل تتجلى الذات فيها لذكـ ـرة

(66) هو ديوان شعر جمع فيه بعض القصائد التي مدح بها شيخه أبو العباس التجاني رضي الله عنه، مرتبة على حروف المعجم بما يناهز الخمسين قصيدة، اشتملت على الثناء على الشيخ قدس سرها بذكر بعض مناقبه وفضائل طريقته، والتعلق بجنابه في الأخذ باليد، وبلوغ المقصد، بواسطته من الحضرة المحمدية عليها السلام، الموصلة للحضرة العلية ذات السمو والمرام، وقد طبع هذا الديوان على الحجر بفاس عام 1333هـ في 128 صفحة.

20-" اليواقيت الأحمدية العرفانية، واللطائف الربانية، في الأجوبة عن بعض الأسئلة في الطريقة التجانية(68)".		21- " العدة من إنشاء همزية من البردة(67)".
22- " مورد الوصول، لإدراك السول(70)"، وهو شرح لجوهرة الكمال بالحروف المهملة.		23- " سبيل الرشاد"، في المحاورة بين ذوي الإنتقاد والإعتقاد(69)".
24- " زوال الحيرة، بقاطع البرهان، بالجواب عما نشرته جريدة الزهرة تحت عنوان أين حماة القرآن(72)"؟		25- "الترصيع، في تضمين البردة على نوع بديع، من فن البديع(71)".

(67) هي قصيدة رائعة حول فيها قصيدة البردة من بحر البسيط إلى بحر الخفيف، ومن قافيتها الميمية إلى قافية الهمزة، ومطلعها :

أمن الذكرى قد عراك بكاء   مازجته من مقلتيك دماء
أم نسيم الصبا أهاجك لما   فاح طيبا وضاءت الظلماء

(68) طبعت على الحجر بتونس عام 1333هـ في 127 صفحة، وهي من إملاء المؤلف على الفقيه الأديب سيدي محمد ام[illegible]ارة التطواني.

(69) طبع بالمطبعة الجديدة بتونس عام 1358هـ في 64 صفحة.

(70) طبع على الحجر بتونس عام 1332هـ في 12 صفحة.

(71) طبع بتونس عام 1339هـ في 25 صفحة، وعدد أبياته 167 بيتا، قال في مطلعه :

صاح ماذا أمن تذكر جيـران بذي سلم أطلت بكاء
فلماذا مزجت دمعا جرى من   مقلة بدم يزيدك داء
أصبوت أم هبت الريح من تلقاء كاظمة تفوح شذاء
حين هبت وأومض البرق في الظلماء من إضم رجوت لقاء

(72) طبع بالمطبعة الجديد بتونس عام 1358هـ في 86 صفحة، رد بها التأليف على مقالة نشرتها جريدة الزهرة التونسية تحت عنوان : أين حماة القرآن ؟ بتاريخ يوم الأحد 13 محرم الحرام عام 1358هـ تحت عدد 9790، فند رحمه الله ما جاء في هذه المقالة من كذب وافتراء على أهل الطريقة التجانية، كما بين للمنكرين والمتعصبين أن فقراء هذه الطريقة هم أكثر الناس تعظيما للقرآن الكريم وتمسكا به وتمشيا على هديه وأخلاقه.

26- " تاج الرؤوس، بالتفسح في نواحي سوس(74)"، وهي رحلة منظومة.		27- " العبرة بطول العبرة(73)".
28- السر الرباني في رد ترهات ابن مايابى(76) العاني، التي تبجح في تأليفه مشتهى الخارف الجاني، طبع بالمطبعة العربية بالدار البيضاء، في 58 صفحة. وطبع الكراس الثاني منه بالمطبعة المذكورة سنة 1357 في 57 صفحة. وتوجد الكراسة الثالثة غير مطبوعة في نحو الستين صفحة.		29- " الحجارة المقتية، لكسر مرآة المساوئ الوقتية في الرد على ابن الموقت(75) طبع الجزء الأول منه بالمطبعة الجديدة بفاس، في 104 صفحة. وطبع الجزء الثاني في نفس المطبعة في 134 صفحة

---

(73) طبع بمطبعة العرب بالقاهرة في قالب صغير في 32 صفحة وهو من جملة التآليف المدرجة داخل هذا المجموع، انظر ج 2 ص 187-199.

(74) طبع بالمطبعة الجديدة بفاس في 64 صفحة، وهذا النظم عبارة عن رحلة قام بها المؤلف لمنطقة سوس بجنوب المغرب، قال في مطلعها :

سر بي إلى سوس بكل أمـــــان — في سرب إخوان ذوي إيمـــــان
ومقدم منهـــم أجـــل مـقـــدم — ترفو به البيضاء من أوطانـــــي
فهو الذي قد كان لي مستنهضـــا — لتفسح وتفـقـــد الإخـــــــوان
أكرم به فهو الأجل محمـد بـن عـــلـــــــــــــي السوسي الرفيـع الشـان
أثني عليه بما أشـار بـــه عـــلـــــــــــي ولم أكن في الأمر بالمتوانـــي

كما أدرج المؤلف في ختام هذا التأليف قصيدته المسماة : مرشدة الأحباب والإخوان في سائر الأوطان، وعدد أبياتها 66 بيتا على عدد اسم الجلالة بالجمل الكبير، ومطلعها :

سأرشد قومي للرشاد مدا الدهر — وأدعوهم للخير في السر والجهر
فإن ساعدتني في الدعاء عناية — يصادف قولي منهم سالم الصـدر

(75) محمد بن محمد بن عبد الله المسفيوي المراكشي المشهور بابن الموقت، توفي سنة 1369هـ - 1950م، له تآليف كثيرة منها : السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، والإنبساط بتلخيص الإغتباط بتراجم أعلام الرباط، والمعرب عن مشاهير مدن المغرب، والضياء المنتشر من أعيان القرن الأول إلى الرابع عشر، والإستبصار في ذكر حوادث الأمصار، ولبانة القاري من صحيح البخاري، والعناية الربانية في التعريف بشيوخنا في الحضرة المراكشية، وسمير الخلان في تلخيص علم الأبدان، والكشف والتبيان عن حال أهل الزمان، والرحلة المراكشية أو مرآة المساوي الوقتية، وكتابه الأخير هذا أثار ضجة بين أوساط الطرق الصوفية بالمغرب مما دفع العلامة سكيرج للرد عليه وإبطال حججه الزائفة بتأليف سماه : الحجارة المقتية لكسر مرآة المساوي الوقتية. انظر الأعلام للزركلي ج 7 ص 84.

(76) محمد الخضر بن عبد الله بن أحمد بن مايابى الجكني الشنقيطي، مؤلف مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني، وهو مفتي المالكية بالمدينة المنورة، توفي عام 1335هـ - 1935م، انظر الأعلام للزركلي ج 6 ص 113 وانظر الأعلام الشرقية لزكي محمد مجاهد ج 2 ص 146.

30- " النفحة العنبرية، في الأجوبة السكيرجية(78)".		31- " طرق المنفعة، بالأجوبة عن الأسئلة الأربعة"(77)، طبع بالقاهرة سنة 1345هـ - 1927م في 76 صفحة.
32- " السحر البابلي(80)، الموجه للعارف التادلي(81).		33- " الأدلة المقنعة في شرح المنفرجة'، وهي شرح للخليفة الحاج محمد إنياس السنغالي الكولخي(79) على منفرجة العلامة سكيرج طبعت بمطبعة الصدق الخيرية بالقاهرة سنة 1351هـ-1933م صفحاته 46.
34- " عقد المرجان، الموجه إلى الشيخ محمد بن سليمان(84)".		35- المنفرجة(82) وهي قصيدة من بحر المتدارك، على منوال "منفرجة" ابن النحوي(83) وقد وقفت على مجموع قديم فيه عدد من هذا النوع من المنفرجات من نفس الوزن والقافية" قام بنشرها الشيخ محمد الحافظ المصري، وعليها تقييد على نسق الحكم للعارف التادلي.

---

(77) طرق المنفعة بالأجوبة عن الأسئلة الأربعة : أدرجته ضمن تأليف هذا المجموع ج 2 ص 247-297.

(78) طبعه على نفقة محمد سعيد علي بمطبعة الصدق بالقاهرة سنة 1352هـ، في 160 صفحة.

(79) سبق التعريف به في هذا التأليف ج 1 ص 73.

(80) طبع بمطبعة الجزائر بالإسكندرية سنة 1347هـ في 32 صفحة.

(81) الفقيه العلامة الصوفي محمد بن علي التادلي الرباطي، من المقدمين في الطريقة الدرقاوية، له تأليف في شيخه العلامة الحاج علي بن أحمد الإلغي "والد الأستاذ العلامة محمد المختار السوسي" سماه : "تحفة الخل لما يبهج، من ترجمة سيدي الحاج علي الإلغي، توفي سنة 1372هـ - 1952م بمدينة الجديدة، انظر ترجمته بدليل مؤرخ المغرب الأقصى لعبد السلام بن سودة ص 176، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 306.

(82) للعلامة سكيرج عدة قصائد على شكل المنفرجة، وأشهرها قصيدته التي يقول في مطلعها :

فرج الله بالقرب منا يجـي ... لا توقع نفسك في الـحـرج

سلم الأمر تسلم من عطـ ـب ... فالرضا بالقضا مسلي المهج

وقد شرح هذه القصيدة عدة فقهاء أعلام، من بينهم الخليفة سيدي الحاج محمد بن عبد الله انياس الكولخي، والعلامة الصوفي سيدي محمد بن علي التادلي، وقد قيد عليها هذا الأخير شرحا على نسق الحكم العطائية، وطبع هذا الشرح بالمطبعة الإسلامية بالأزهر بالقاهرة في 16 صفحة، وللعلامة التادلي المذكور شرح آخر عليها في نحو مائة ورقة.

(83) يوسف بن محمد بن يوسف التوزري التلمساني المشهور بابن النحوي، من أكابر العلماء، سكن سجلماسة مدة غير قصيرة، أما وفاته فكانت بقلعة بني حماد (من أعمال قسنطينة) قرب بجاية، سنة 513هـ عن عمر يناهز 80 سنة، وهو ناظم المنفرجة التي مطلعها (اشتدي أزمة تنفرجي) انظر ترجمته في جذوة الإقتباس لابن القاضي ص 552 رقم الترجمة 643 وفي الأعلام للزركلي ج 8 ص 247.

(84) طبع بمطبعة النهضة بتونس في 16 صفحة، وجهه للشيخ محمد بن سليمان، شيخ الطريقة السليمانية، المذكور سابقا، وذلك قبل رده عليه بتأليفه الموسع تحت عنوان : تنبيه الإخوان على

36- " الإيمان الصحيح، في الرد على مؤلف الجواب الصريح(86)، طبع بمطبعة النهضة بتونس سنة 1357هـ صفحاته 132.		37- "الصراط المستقيم"، في الرد على مؤلف المنهج القويم(85)، طبع الجزء الأول منه بمطبعة النهضة بتونس سنة 1358هـ في 95 صفحة. ويوجد الجزءان الثاني والثالث، ولكنهما غير مطبوعين.
38- "نيل الأرب في أدب العرب(88)، وهي مسامرة ألقاها بالمدرسة العليا بالرباط عند افتتاح نادي المسامرات، طبعت بمطبعة النهضة بتونس، سنة 1341هـ - 1922م في 28 صفحة.		39- " الشطحات السكيرجية(87)".

أن الطريقة التجانية لا يلقنها إلا من له إذن صحيح طول الزمان ولا يصح تلقينها عمن يلقن غيرها من الطرق كيفما كان.

(85) المنهج القويم في بيان أن صلاة الفاتح ليست من كلام الله القديم، من تأليف محمد حسنين بن محمد مخلوف العدوي المالكي، وكيل الأزهر ومدير المعاهد الدينية بمصر، توفي بالقاهرة سنة 1355هـ - 1936م وقد رد العلامة سكيرج على هذا الكتاب بما أظهر الصواب والحق وأبطل التقولات الكاذبة الباطلة التي ساقها مؤلفه للتأثير في قلوب الناس وإبعادهم عن نهج الطريقة الأحمدية التجانية، وذكر العلامة سكيرج في ص 4 من رده المذكور أنه شرع في تأليفه هذا بناء على طلب من الشريف سيدي الطيب بن علي حفيد الشيخ التجاني رضي الله عنه.

(86) الجواب الصريح في بيان مضادة الطريقة التجانية للإسلام الصحيح من تأليف عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، توفي بقسنطينة شرق بلاد الجزائر سنة 1359 هـ - 1940م، وقد رد عليه العلامة سكيرج ردا محكما مستندا على النصوص الصحيحة القويمة، فند بالتالي ادعاءات ابن باديس الواهية الزائفة في هذا الموضوع، وقد ذكر العلامة سكيرج في ص 130 من رده المذكور أنه شرع في تأليفه هذا بناء على طلب من الشريف سيدي بنعمر بن سيدي محمد الكبير حفيد الشيخ التجاني رضي الله عنه.

(87) طبع على نفقة محمد سعيد علي بمطبعة الصدق بالقاهرة سنة 1352هـ، في 34 صفحة.

(88) انظر هذه المسامرة ضمن تأليف هذا المجموع ج 2 ص 248-271.

40- "مورد الصفا في محاذاة الشفا" وهو نظم شفاء القاضي عياض(89) في 7747 بيتا، لا زال في مبيضته بخطه رحمه الله في خمسة أجزاء، وهي النسخة الوحيدة، كتب على الجزء الأول بخطه رحمه الله أنه شرع في نظمه في 15 صفر عام 1344هـ وكتب في الصفحة الأخيرة من الجزء الخامس، أنه كمل في 21 ربيع الأول عام 1350هـ، عدد صفحاته 272 صفحة(90).

---

(89) العلامة القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، عالم المغرب، وإمام أهل الحديث في وقته، ولد بسبتة عام 476هـ، وبها حفظ القرآن الكريم وبعض المتون العلمية، ثم رحل إلى الأندلس طلبا للعلم، فنال منه حظا وافرا، وشيوخه فيه ينيفون على المائة، وبعد رجوعه لمسقط رأسه تولى القضاء بسبتة مدة طويلة، ثم انتقل بعد ذلك إلى الأندلس حيث تولى قضاء غرناطة، وله رحمه الله مصنفات كثيرة منها: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك، وإكمال معلم في شرح مسلم، كمل به معلم شيخه المازري، والإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، وقد جمع العلامة المقري سيرة العلامة القاضي عياض وأخبارا في كتابه: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، وهو أربع مجلدات، وتوفي رحمه الله بمراكش سنة 544هـ وكان عمره عند وفاته 68 سنة، وهو أحد الرجالات السبعة بمراكش المعروفين بالعلم والصلاح والولاية، انظر ترجمته في النبوغ المغربي لكنون ج 1 ص 87، وفي شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص 140 رقم الترجمة 411، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 392، وفي جذوة الاقتباس لابن القاضي ص 498 رقم الترجمة 567، وفي الأعلام للزركلي ج 5 ص 99، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 260 رقم الترجمة 587، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 797 رقم الترجمة 446.

(90) وهو منظومة دالية في بحر البسيط بقافية الدال، قال في مطلعها:

حمدا لمن باسمه الأسمى قد انفردا ... واختص بالملك فهو لم يزل صمدا

ما دونه منتهى للطالبين ولا ... وراءه مطلب لمن له قصدا

وقال رحمه الله بعد تمامه للنظم في آخر صفحة من الجزء الخامس:

بحمد إلهي تم نظمي للشفا ... وأرجو به من سيد الرسل جائزة

وما هي عندي غير نظرة وجهه ... فنفسي إن تنظرها لا شك فائزة

ثم كتب تحتها بخطه الجميل: قال ناظمها عفا الله عنه، قد أجازنا الرسول صلى الله عليه وسلم بالجائزة التي رجوناها منه، فرأيت وجهه الشريف في مشهد منيف، وهو يبتسم في وجهي عليه السلام، والحمد لله رب العالمين.

وبلغني أن العلامة الشيخ شعيب الدكالي رحمه الله لما وقف على نظم العلامة سكيرج لكتاب الشفا قال: الحمد لله الذي جعل مطلع الشفا مغربيا وناظمها مغربيا.

41- الذهب الخالص في محاذاة كبرى الخصائص(92) وهو نظم الخصائص الكبرى للحافظ السيوطي(93).		42- " منهل الورود الصافي والهدى من فتح الكافي في شرح الشافي في علمي العروض والقوافي(91).

---

(91) هو شرح أرجوزة الشافي لناظمها الأديب محمد بن الطيب سكيرج، كاتب السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وعدد أبيات هذا النظم 290 بيتا، قال الناظم في مطلعه :

الله أحمد علـى كـل النـعـم ومن جزيل طوله يوتي الحـكـم
ثم على خير الورى أزكـى سلام والآل والصحب الطاهرين الكـرام
والتابعين نهجهم عـلـى الـدوام ما مدحه صيغ بنـثـر ونـظـام

أما الشرح فقد فرغ منه العلامة سكيرج في سنة 1321هـ، وعنوان الكتاب يحتوي بحساب الجمل على تاريخ تأليفه، وعدد صفحات هذا التأليف 230 صفحة، ولحد هذه الساعة لم يطبع، وهو من أهم التصانيف المؤلفة في علم العروض، وقد قرضه مجموعة من العلماء الكبار، كالشريف الفقيه مولاي إبراهيم العلوي، والعلامة سيدي الحاج عبد الكريم بنيس، والمؤرخ الأديب سيدي عبد الرحمان بن زيدان الإسماعيلي العلوي والعلامة سيدي أحمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين والشريف المقدم العلامة مولاي عبد السلام المحب، والفقيه مولاي المدني بن الحسني، والأديب سيدي محمد بوجندار الرباطي، والأديب سيدي عبد الله الجراري، وغيرهم.

(92) قال رضي الله عنه في مطلع هذا النظم :

الحمد لله الذي أطـلع فـيّ سما النبوة سناه لا ينطفـي
أطلع من أحكام دوحة الرسول ثمار خيرات تفي بكل سول

بلغ في نظمه إلى قوله : باب اختصاصه صلى الله عليه وسلم بساعة الإجابة وبليلة القدر وبشهر رمضان، نظم منها نحو الخمسة أسداس في سبعة أجزاء، وعدد أبيات هذا النظم 19150 بيتا، وقع في نظمها عشية يوم الخميس 22 رجب الفرد الحرام عام 1363هـ، وتوفي بعد ذلك بشهر واحد.

(93) عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، إمام حافظ مؤرخ أديب، له نحو 600 مصنف، وذكر صاحب كتاب المنح البادية أنه كان يلقب بابن الكتب، لأن أباه طلب من أمه أن تأتيه بكتاب، فجاءها المخاض، فولدته وهي بين الكتب، وكانت وفاته رحمه الله سنة 911هـ، وعمره وقتئذ 62 سنة، انظر ترجمته في الضوء اللامع للسخاوي ج 4 ص 65 وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 1010 رقم الترجمة 575، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 301، وفي الكواكب السائرة لنجم الدين الغزي ج 1 ص 226. وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 419 رقم الترجمة 912.

43- " الظل الوريف في محاربة الريف"، وهي أخبار الحرب الريفية، أملاها عليه السيد محمد أزرقان(95) عند نفيه إلى الجديدة في نحو 160 صفحة، لم يطبع(96).		44- "الرحلة الزيدانية"، وهي رحلته إلى مكناس باستدعاء من النقيب مولاي عبد الرحمان بن زيدان(94) سنة 1326هـ تامة، صفحاتها 150، لم تطبع.
45- "البعثة المكية"، وهي رحلته إلى الحجاز سنة (1334هـ موافق سنة 1918م) مبعوثا من جلالة السلطان مولاي يوسف(98) رحمه الله إلى شريف مكة الملك حسين في نحو 220 صفحة، لم تطبع.		46- ذكرى زيارة سيدي أحمد سكيرج للقطر المصري سنة 1352هـ في طريقه إلى المدينة المنورة(97).

(94) سبق التعريف به في ج 1 ص 16 من هذا التأليف.

(95) محمد أزرقان من مواليد أجدير قرب الحسيمة عام 1310هـ وتعرف عائلته بأولاد الحاج، أول من لقب بأزرقان منهم جده الشيخ محمد بن عبد الكريم من أيث علي وعيسى القاطنين بأجدير، ولقبهم نسبة للولي الصالح سيدي الحاج يحي الإدريسي دفين مدشر تيزغانمين من قبيلة بقيوة، وتصدر محمد أزرقان للمشيخة في قبيلة بني ورياغل بعد وفاة عمه الشيخ علي بن أزرقان، ولما اندلعت حرب الريف التحريرية عينه البطل المجاهد سيدي محمد بن عبد الكريم الخطابي وزيرا للخارجية في حكومة المجاهدين. انظر ترجمته في الظل الوريف في محاربة الريف، للعلامة سكيرج ص 87.

(96) قرظه العلامة الأديب عبد الله الجراري بتاريخ 23 جمادى الثانية عام 1357هـ موافق 20 غشت سنة 1938م.

(97) طبعت بمطبعة الصاوي بالقاهرة بمصر عام 1352هـ، في 20 صفحة.

(98) السلطان المولى يوسف بن الحسن الأول بن محمد العلوي، ولد بمدينة مكناس سنة 1297هـ وبويع له بالسلطنة سنة 1330هـ - 1912م، وهو أول من نقل البلاط السلطاني من فاس إلى الرباط، توفي رحمه الله بها عام 1346هـ - 1927م، وقد قيلت في حقه قصائد وأشعار رائعة فائقة، جمعها العلامة المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان في مصنف سماه : اليمن الوافر الوفي، بمديح الجناب اليوسفي، أنظر ترجمته في فواصل الجمان لمحمد غريط ص 141، ودروس التاريخ المغربي للجراري ج 5 ص 269-278، وفي الأعلام للزركلي ج 8 ص 226 .

47- سفر سيدي أحمد سكيرج إلى الأقطار الحجازية وعودته إلى مصر في طريقه إلى بلاد المغرب(100).		48- إيقاظ القرائح لتقييد السوانح(99).
49- النتائج اليومية في السوانح الفكرية(102).		50- حور المغاني في نظم جواهر المعاني(101).

---

(99) هي مذكرات للعلامة سكيرج على مدى أربعة أشهر، ابتداء من يوم الخميس فاتح محرم عام 1328هـ إلى نهاية يوم الجمعة 25 ربيع الثاني من نفس السنة. وعدد صفحاتها 92 صفحة، وهي بخط المؤلف.

(100) طبع بمطبعة الصدق الخيرية بجوار الأزهر بالقاهرة عام 1352هـ في 46 صفحة.

(101) هي أرجوزة نظم فيها ما اشتمل عليه كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأماني للعارف بربه سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي، غير أنه لم يتمه، بل اكتفى بنظام الخطبة وطرف من المقدمة، وقد ذكر في كتابه كشف الحجاب السبب المانع له عن إتمام هذا الأرجوزة، ويبلغ عدد الأبيات التي نظمها من الكتاب المذكور 356 بيتا، قال في مطلعها :

الحمد لله على الإنعام — بنعمة الإيمان والإسلام
حمدا يوافي سائر الآلاء — في حالة السراء والضراء
والشكر دائما على إحسانه — وجودا وجودة امتنانه
شكرا يليق بجنابه الجليل — ومنه نستوجب فضله الجزيل

انظر كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 75 - 83، وفي رفع النقاب لنفس المؤلف ج 4 ص 122-128.

(102) هي مذكرات للعلامة سكيرج في نحو شهرين، ابتداء من يوم الثلاثاء 15 ربيع الأول عام 1330هـ إلى نهاية يوم الأربعاء 5 جمادى الأولى من نفس السنة، وهي بخط المؤلف في 67 صفحة.

51- "بستان المعارف فيما أورده الوارد من اللطائف عند بعض المواقف"، هو تدبر في بعض الآيات من القرآن الكريم في 63 صفحة منها 44 لطيفة بخطه رحمه الله، و21 لطيفة بخط ولده عبد الكريم، وفي آخره تقريظ للعلامة الرافعي(104) الدكالي، لم يطبع.		52- "الوصية الشافية"(103)، وهي منظومة طويلة في الحكم والعلوم، قالها بعد شفائه من مرض ألزمه الفراش نحو ثلاثة أشهر.
53- "نيل الأماني في الطب الروحاني والجثماني المروي عن الشيخ التجاني"(106).		54- "كفاية العاني، بالطب التجاني"(105)، غير تام.
55- الجوهر المنظوم في ختم مقدمة ابن أجروم(108).		56- القول المفهوم في ختم ابن أجروم(107)، في عشرة صفحات.

(103) فرغ منها في أوائل شهر ذي القعدة الحرام عام 1355هـ، وعدد أبياتها 3042 بيتا، مطلعها:

الناس ما فيهم ثقة   ولا لديهم من مقه
غالبهم منافـــق   قد مله المرافـــق

(104) العلامة الكبير، والمحدث الأصولي الشهير، سيدي محمد بن العلامة الأستاذ سيدي أحمد بن عبد الله الفاضل الرافعي الدكالي، ولد بأزمور قرب مدينة الجديدة عام 1306هـ وبها حفظ القرآن الكريم على يد جدها لأمه سيدي الحسن بن الفاطمي الأزموري، والفقيه سيدي محمد بن الحاج الطيب الرافعي، والفقيه الحاج محمد بن عبد الرزاق الأزموري، والفقيه السيد إسماعيل الحسيني، ثم بعد ذلك تعاطى لطلب العلوم النافعة فأخذ عن عدة شيوخ منهم : العلامة سيدي محمد بن محمد السكتيوي التطواني، والفقيه أبو النعائم الحاج بوشعيب الأزموري، والعلامة القاضي السيد أبو شعيب بن محمد الهلالي الأزموري، والفقيه السيد أحمد بن محمد الفرجي وغيرهم. أما الطريقة الأحمدية التجانية فقد أخذها رحمه الله عن مجموعة من أكابر أعلامها، منهم المقدم الفاضل سيدي محمد بن إسماعيل، ثم على المقدم السيد الحاج الحسين بن أحمد النتاجي الصديقي السوسي، ثم على المقدم الشهير سيدي أحمد محمود دفين البحيرة بقبيلة الرحامنة، ثم على المقدم العارف بالله سيدي محمد النظيفي، ثم على المقدم البركة القطب الحاج الحسين الإفراني وغيرهم، أنظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 129.

(105) ذكر في الصفحة الأولى منه أنه اختصار لكتابه نيل الأماني، وهو في بضع ورقات، ومن الأفضل أن يضاف إلى نيل الأماني لاتحاد الموضوع.

(106) كتبه بخط يده في جزءين، الأول منهما تام، وعدد صفحاته 68 صفحة، أما الثاني فغير تام في 14 صفحة، وكلاهما لم يطبعا.

(107) محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، نحوي، اشتهر برسالته الأجرومية، ولد سنة 672هـ بفاس ومن مصنفاته فرائد المعاني في شرح حرز الأماني وله كذلك نظم في قراءة نافع سماه البارع، وكانت وفاته رحمه الله بفاس عام 723هـ أنظر ترجمته في النبوغ المغربي لكنون ج 1 ص 210 وفي شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص 217 رقم الترجمة 762 وفي جذوة الاقتباس لابن القاضي ص 233 رقم الترجمة 208 وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 33 وفي درة الحجال لأحمد بن القاضي ج 2 ص 109.

57- نظم النقاية ومنهج الدراية في نظم النقاية(110).		58- الراية المنشورة في الجواب عن الأسئلة المنوطة بالصداق والشورة(109).
59- الأجوبة المرضية عن الألغاز النحوية. أجاب بها عن ألغاز أبي سعيد فرج بن لب الثغلبي(112)، في علو النحو، وهي نحو 60 لغزا، لا تزال لم تخرج من مسودتها.		60- الفيوضات العرفانية في الرد على الإفريقي مؤلف الأنوار الرحمانية(111).
61- "نهج الهداية"(114) في معنى الختمية التي تظاهر بها الشيخ التجاني، صفحاته 120 صفحة.		62- "الفتح المبين في ختم المرشد المعين"(113).

(108) كمل يوم الخميس 13 رمضان عام 1321هـ، في 20 صفحة، وهو من ضمن التآليف المدرجة وفي هذا المجموع. أنظر ج 2 ص 1-22

(109) هي جواب عن 43 سؤالا أثارهما في نشرة مطبوعة الأستاذان عبد القادر الخلادي، وهو أستاذ بثانوية مولاي يوسف بالرباط، والمسيو بوسر، وهو محاضر بمعهد الأبحاث العليا المغربية، ومحرر بمكتبة الحماية العمومية بالرباط، وكان ذلك بتاريخ سنة 1359هـ، في 67 صفحة.

(110) فرغ من نظمه في 29 ربيع الأول عام 1322هـ، وهو في نحو 1400 بيت، مطلعه :

الحمد لله بغير حصر نتبعه مع الثنا بالشكر

(111) هو من جملة تآليفه التي صنفها في الدفاع عن الطريقة الأحمدية التجانية، وعدد صفحاته 134 صفحة.

(112) أبو سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لب الثعلبي الغرناطي، نحوي فقيه من أكابر فقهاء الأندلس، ولي الخطابة بجامع غرناطة، وإليه انتهت رياسة الفتوى بالأندلس مدة طويلة، توفي رحمه الله سنة 782هـ وخلف مصنفات منها أرجوزة في الألغاز النحوية في 70 بيتا، وله شرح عليها في عشرة أوراق، أنظر ترجمته في نيل الابتهاج للتنبكتي ص 219 وفي بغية الوعاة للسيوطي ص 372 وفي الأعلام للزركلي ج 5 ص 140.

(113) بدأ تصنيفه يوم 15 جمادى الثانية سنة 1312هـ، في 81 صفحة، منها 33 صفحة بخطه رحمه الله، والباقي وهو 48 صفحة كلها بخط الفقيه سيدي الحسن العمراني الصنهاجي.

(114) هو من أهم المصنفات المؤلفة في هذا الموضوع، وهناك نسخة أخرى منه بخط الفقيه سيدي منصور الجبلي الندرومي في 94 صفحة.

63- "الأنباء بنصح الأبناء"، جله نثر، في نحو 40 صفحة، وفي آخره تشطير لقصيدة السيد محمد معمري الزواوي(116) التي يقول في مطلعها : بني اسلك سبيل المومينا تفز برضى إله العالمينا وقصيدة : حفظ الرمق، بالتربية والتهذيب للفقيه الحجوي.		64- " زهر الأفانين في الجواب عن الأسئلة الثلاثين(115).

(115) هو جواب عن ثلاثين سؤالا وجهها إليه السيد عبد العزيز بن عبد الماجد الدباغ السوداني في الطريقة التجانية وغيرها، وعدد صفحاته 126 صفحة.

(116) العلامة الفقيه المدرس الشيخ أنجال الحضرة الشريفة سيدي محمد بن محمد بن محمد معمري الزواوي، ولد بزواوة من عمالة الجزائر عام 1303هـ فقرأ القرآن على الشيخ سيدي عبد القادر المجاوري بالمدرسة الثعالبية، ثم تابع دراسته للعلم فأخذ عن العلامة سيدي محمد فتحا السعيد بن زكري الزواوي الفقه وأصول الفقه، وعلى الفقيه الشيخ عبد الحليم بن سمالة علوم العربية والمنطق وعلم البيان، وجزءا من تفسير الجواهر الحسان، وعلى العلامة سيدي عمر بن سيدي حسن بريهمات الجزائري مبادئ الفقه فيما يخص المعاملات، وبعد ذلك تعاطى التدريس بالمدرسة الرباطية مدة خمس سنوات ابتداء من عام 1328هـ ثم عين ترجمانا بالإقامة العامة بالرباط سنة 1333هـ، ثم نائبا للتشريفات الملكية سنة 1339هـ، كما كلف بالإضافة إلى مهامه المذكورة بتهذيب أنجال الحضرة الشريفة، وله رحمه الله مشاركة فعالة في التأليف، ومن تصانيفه : شرح رجز الحمام في مدح خير الأنام، ومنها حسن التصنيف في مبادئ التصريف، وغير ذلك، انظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 180.

65- "قرة العين في الجواب على أسئلة مؤلف خبيئة الكون، للشيخ سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني(117) وهي عدة أسئلة جعلها دينا في عنق التجانيين إلى أن يجيبوا عنها.		66- "جناية المنتسب العاني، بما نسبه بالكذب للشيخ التجاني، الجزء الأول والثاني في نحو 200 صفحة. وكانت طباعة هذا التأليف بدار الطباعة الحديثة بالقاهرة في شهر شعبان عام 1389هـ.
67- "حديقة أنسي في التعريف بنفسي"(120) كتب هذه الرسالة بالجديدة حيث كان متوليا خطة القضاء بها، وقد بلغ من العمر خمسين سنة وذلك سنة 1345هـ.		68- "الجواهر المنتشرة في الجواب عن الأسئلة الإحدى عشرة(118)، وهي جواب عن أسئلة في التصوف وفي الطريقة التجانية، بعث بها إليه الفقيه سيدي أحمد بن الحسين الدويراني(119) قائد دويران بناحية مراكش.

---

(117) محمد بن عبد الكبير بن محمد الكتاني من أكابر علماء فاس، ولد بالمدينة المذكورة سنة 1290هـ - أما وفاته فكانت في سجن أبي الخصيصات بفاس الجديد عام 1327هـ - 1907م وذلك في عهد السلطان مولانا عبد الحفيظ، وله تآليف كثيرة منها: المواقف الإلهية في التصورات المحمدية، واللمحات القدسية في متعلقات الروح بالكلية، والكمال المتلالي والإستدلالات العوالي، وحياة الأنبياء، ولسان الحجة البرهانية في الذب عن الطريقة الأحمدية الكتانية، وخبيئة الكون، وغير ذلك من التآليف الكثيرة، وللفقيه الأستاذ سيدي محمد بن محمد السرغيني كتاب في مناقب العلامة سيدي محمد الكتاني، سماه: روض الجنان، بما لشيخنا أبي عبد الله الكتاني من الخصوصية والعرفان، انظر معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي ج 1 ص 44 - 49. وفي معجم المطبوعات لسركيس 1546، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 214، وقد رد عليه العلامة سكيرج ردا محكما، سماه: قرة العين في الجواب على أسئلة مؤلف خبيئة الكون، وحول هذا الرد قال العلامة سيدي محمد الحافظ المصري في ترجمته للعلامة سكيرج في خاتمة كتاب جناية المنتسب العاني، ما نصه: ظهر في القرن الرابع عشر بعض الصالحين في فاس، وقال إن أسئلة الحكيم الترمذي دين في عنق التجانيين، حيث لم ينقل أن الشيخ سيدي أحمد التجاني أجاب عن هذه الأسئلة، وذلك لا يتأتى إلا إذا اتصل بعض أصحاب الشيخ بروحانيته رضي الله عنه، ويتلقى من بحره، ويجيب عن تلك الأسئلة، وقد حصل لسيدي أحمد سكيرج أعلى الله منزله ذلك، فأخذ عن روحانية الشيخ رضي الله عنه أجوبة هذه الأسئلة وأبرزها في ذلك الكتاب.

(118) هو ضمن التآليف المدرجة داخل هذا المجموع ج 2 ص 200-246.

(119) الفقيه احماد بن الحسين الدويراني البركوكي، قائد قبيلة دويران بناحية مراكش، من حفدة الولي الصالح، المشهور سيدي أبي يعزى رضي الله عنه، ولد بالقبيلة المذكورة عام 1307هـ وبها حفظ القرآن الكريم، ثم تعاطى لطلب العلم، فأخذ على العلامة سيدي محمد الرسموكي بالمنابهة، وعلى الفقيه سيدي محمد بن عبو الشتوكي، وغيرهم، وتقلد بعهد الطريقة الأحمدية التجانية على يد المقدم سيدي محمد اليزيدي السوسي، وكان له رحمه الله اطلاع على أسرار الحروف والأسماء، وكانت وفاته رحمه الله شهيدا من قبل السلطة الإستعمارية الفرنسية، انظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 8.

(120) ألفت نزولا عند طلب السلطان الأسبق العلامة الكبير مولانا عبد الحفيظ العلوي. وهي من ضمن التآليف الموجودة داخل هذا المجموع انظر ج 1 ص 367-406.

69- "الغنيمة الباردة بترجمة سيدنا الوالد مع سيدتنا الوالدة(122)".		70- "استخراج تراجم النحو من البسملة"(121).
71- "القطوف الدانية بشرح الجامعة العرفانية(124)".		72- "تيجان الغواني في شرح جواهر المعاني"(123).
73- "جنة الجاني بتراجم بعض أصحاب الشيخ التجاني"(126).		74- "الذخيرة للآخرة"(125).
75- "رسالة الإمتنان والرحمة، إلى سائر الأمة"(127)، في التصوف، صفحاتها 29، غير تامة.		76- "السر الباهر، بما انفرد به الجامع عن الجواهر"، بخطه رحمه الله، في ثلاثين صفحة، غير تام.
77- "شراب أهل الإختصاص، من بحر البسطة بين الخواص"، بخط يده في نحو ثلاثين صفحة.		78- "العهود"، بخطه رحمه الله، في 291 بيتا، لم تطبع.

(121) فرغ من كتابته عام 1321هـ. وذكر ذلك بخطه.

(122) ترجم فيها لوالديه رضوان الله عليهما جميعا، وهي تحتوي على قصائد كثيرة في رثائهما، وعلى أرجوزة في والدها تنيف أبياتها على 470 بيتا.

(123) عليه تقريظ للعلامة سيدي محمد الرافعي الدكالي، وعدد صفحاته 110 صفحات، لم يطبع.

(124) شرح فيها الجامعة العرفانية، وهي أرجوزة للسلطان مولانا عبد الحفيظ في موضوع شروط فضائل أهل الطريقة التجانية، نظمها بغرناطة عام 1340هـ، وطبعت بتونس في سنة 1349هـ - 1930م، لكن الشرح غير تام، وعدد صفحاته 84 صفحة، وقد توقف فيه عند قول الناظم في بيان نسب الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه :

نجل المعظم الإمام العالم سيدنا محمد بن سالم

(125) هو ديوان قصائد تقرب من 70 قصيدة في مدح الرسول (ﷺ)، وعدد أبياته يجاوز الألفين، نظمه بين عامي 1339هـ -1340هـ. وفي آخرها تقريظ لأديب الرباط محمد بوجندار قال في مطلعه :

هذا هو الدر لا ما جاء في صدف ومطلع البدر لا ما جاء في سدف
هذا هو الشعر بل والسحر خامرنا فاللب في كلف والقلب في شغف
ما شئت من غرر ما شئت من درر ما شئت من ضرب ما شئت من تحف
لله فوك أبو العباس أحمدنا يا مفرد العصر في فضل وفي شرف

(126) هي أرجوزة اشتملت على أسماء بعض أصحاب الشيخ التجاني الذين أخذوا عنه، مع ذكر بعض المناقب المروية عنهم، مع ما يناسب نفس المترجم له من الأحوال التي يكسب بها مطالعها حال ينشرح به صدرها، وينكشف عنه بها ضرها، ويغترف من بحر أسرارهم سرا باهرا، ويرتقي به مقاما فاخرا، إن تخلق بما به تخلقوا، وتحقق بما به تحققوا، وقال رحمه الله في مطلعها :

الحمد لله الذي الحمد له في كل حال شأنها أو حاله
فهو الذي عم الأنام فضله ولا كريم في الوجود مثله
سبحانه من منعم بلا سبب ومانح كل مريد ما طلب

(127) أراد بهذا التأليف أن يكون كمقدمة وتوطئة لمجموعة من المطالب والمشاهد العالية، خصوصا منها المسماة بالكنز المطلسم في حقيقة سر اسمه الأعظم، وذلك لتسهل قراءتها على المطالع، وليعرف قيمتها ومكانتها السامية، مع الإحتراس من الوقوع في الإنكار والإعتراض.

79- "الحوض المورود، في مدح سيد الوجود"(129).		80- "حسن الوسائل، في الأجوبة عن بعض النوازل"(128).
81- "تحفة الأنام، بتراجم من خمس أبياتا حفظتها في المنام"(131)، ترجم فيه لكثير ممن خمس الأبيات المشار إليها، وهي لا تزال في دفاتر وأوراق لم تجمع.		82- "شرب المدام، بتخميس أبيات رأيتها في المنام"(130)، كان رحمه الله، رأى في المنام، أنه نظم قصيدة طويلة في مدح سيدنا العباس، عم النبي صلى الله عليه وسلم، وكتب الأبيات الثلاثة الأخيرة بالمداد الأحمر، فلما استيقظ وجد نفسه يرددها، فطلب من عدد كبير من الشعراء تخميسها، لم يطبع.
83- "رياض السلوان بمن اجتمعت به من الأعيان"(133).		84- "قدم الرسوخ، فيما لمؤلفه من الشيوخ"(132).

---

(128) هو كناش كبير جمع فيه البعض من فتاويه الفقهية، ولا يزال كثير منها متفرقا في دفاتر وأوراق مختلفة.

(129) ديوان فيه قصائد رائعة في مدح الرسول الأكرم عليه السلام، بخط يده الكريمة، وأبياته تزيد على ألف، غير أنه لم يطبع.

(130) الأبيات الثلاثة التي رآها العلامة سكيرج في المنام هي :

خذ سـنـة الله بين خلقه أبـدا ولتجعلنها لديك خير قسطـاس
ما عظم المرء مثل البيت دون مرا ء وعـظـم عنـد الله والناس
فالحظ بعين كمال الفضل قدرهم واخضع لهم دائما بالقلب والراس

وقد خمس هذه الأبيات نحو الخمسين أديبا من المغرب وخارجه.

(131) جمع فيه تراجم نحو خمسين أديبا من أدباء المغرب، ممن خمس الأبيات المنامية الثلاثة، على أسلوب غريب، يستحسنه الأديب الأريب، وصدرها بقصيدة سينية جميلة في مدح مولانا العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم، قال في مطلعها :

قلبي لعهد حبيبي لم يزل ناسي لم لا ولي ذكرها الأنيس في ناسـي
تحلي التذكر في بديع صورته وفي محاسنه استغرقت أنفـاسي

(132) هذا التأليف من أهم تآليفه على الإطلاق، ترجم فيه لستة وستين شيخا من أساتذته الكبار، مع ذكر إجازاتهم له، والكثير منها بخطوطهم رحمهم الله، وهو في 300 صفحة.

(133) ترجم فيه لأكثر من 75 ترجمة، ولا يزال كثير من التراجم متفرقا بين الأوراق والدفاتر.

85- "فهارس الشيوخ، لصاحب قدم الرسوخ »(135).		86- "الإمداد، برجال الإسناد"(134).
87- "يواقيت المعاني، في مذهب الشيخ التجاني"(137).		88- "الجوهر المنظوم، من كلام القطب المكتوم"(136).
89- "حياة القلب الفاني بمدح القطب التجاني"، فيه قصائد في مدح الشيخ التجاني رضي الله عنه، غير ما جمعه في النفحات الربانية، وقصائده في مدح الشيخ التجاني كثيرة. ستضم إلى أخواتها في هذا الديوان.		90- "هدية الزائر، لنادي الترقي بالجزائر"(138)، وهي مسامرة ألقاها بنادي الترقي بالجزائر باقتراح من رئيس النادي المذكور السيد أحمد توفيق المدني، تكلم فيها على مدينة فاس، وذلك في 22 جمادى الأولى عام 1346هـ موافق 17 نونبر سنة 1927م صفحاتها 28.
91- "كنز الأسرار، في الكلام على دور الأنوار"، يحتوي على المقدمة، وبعض الأدوار، في علم الأوفاق، أوله : الحمد لله الذي جعل مفتاح كنز الأسرار، بيد صاحب دور الأنوار ...		92- "المجموعة السكيرجية"، جمع فيها عددا كبيرا مما اختاره من القصائد في مدح النبي، صلى الله عليه وسلم، على نحو المجموعة النبهانية. لم يتم جمعه من الكنانيش والأوراق.
93- "الزرابي المبثوثة"، كناش كبير تقرب صفحاته من 300، جمع فيه عددا كبيرا من شعره وتقيداته، ومرائيه في أطوار حياته.		94-" نسمات الأسحار، في نظم الأشعار"، وهو كناش كبير، بل ديوان حفيل من دواوينه الأولى، في مواضيع مختلفة، من مدح في الحضرة النبوية إلى مدح في الشيخ التجاني، إلى استجازة بعض شيوخه، إلى غير ذلك من المواضيع الشيقة، صفحاته نحو

(134) كتب مقدمته في 24 محرم عام 1363هـ ولم يتيسر رحمه الله لجمعه، وقد أدرجت هذه المقدمة في أول فهارس الديوان.

(135) جمع فيه فهارس كثير من علماء المشارقة والمغاربة، منها ما هو مطبوع مثل فهرسة العلامة الشريف سيدي محمد بن قاسم القادري، وسيدي المهدي الوزاني، ومنها ما هو غير مطبوع، والكل يتجاوز العشرين.

(136) جمع فيه ما بلغه من اللطائف والحكم من كلام الشيخ التجاني رضي الله تعالى عنه، مما تلقاه عن الثقاة، وهو بخطه مرتب على حروف المعجم، كتبه سنة 1328هـ، لم يطبع.

(137) يحتوي على ما يقرب من 500 بيت في يواقيت عديدة أوله

حمدا لمن فتح باب الجود   بيد فضله على الوجود

(138) هو من التآليف المدرجة داخل هذا المجموع، أنظر ج 1 ص 272-286.

		130 كلها بخط يده، رحمه الله، وقد كتب على دفته اليمنى ما نصه : الحمد لله، أوراق هذا الديوان إحدى وستون ورقة، والله أسأل أن يقطع قلب من يقطع منها بقصد البتر شيئا، آمين، من خطه، لم يطبع.

95- "تفريج الشدة، بتشطير البردة"(140).		96- "القصيدة الكافية(139)، بتضمين الهمزية في كاملية كافية"، فرغ من نظمها يوم الأحد، سابع ذي الحجة الحرام عام 1341هـ أبياتها: 465 بيتا.
97- "أسنى المطالب، فيما يعتني به الطالب"، وهو كناش جمع فيه بعض الفوائد.		98- "البدر المنير، في الطب التجاني المرفوع لمولانا الكبير"، أوله : الحمد لله الذي فتح بكمال المعرفة به على ورثة الأنبياء، وهو يشبه كتابه نيل الأماني، إلا أن هذا أمره به مولانا محمد الكبير بن سيدي محمد البشير بن سيدنا محمد الحبيب بن سيدي أحمد التجاني، رضي الله عنهم وهو بخطه، كتب منه 15 صفحة ولم يتمه رحمه الله.
99- "غنية المحتاج، في شرح واضح المنهاج"، وهو شرح لنظم الحكم العطائية، للفقيه الحاج عبد الكريم بنيس، وهو مطبوع على الحجر بفاس، عام 1323هـ وأما هذا الشرح فقد ابتدئ فيه في 15 ذي القعدة الحرام عام		100- "فتح الباري بشرح الحكم بالمذاكرة مع عمي الحاج الزكاري"، وهو شرح للحكم العطائية بالمذاكرة مع باشا طنجة إذ ذاك الحاج محمد الزكاري التطواني الشاذلي طريقة. وقد كان مستشارا معه بطنجة بالمحكمة الباشاوية مدة إقامته

---

(139) عدد أبيات هذه القصيدة 456 بيتا قال في مطلعها :

كيف ارتقاء سواك في مرقاك   وقد ارتقت فوق السماء سمـاك

فالأنبياء وإن تساموا في العلا   لم يدركوا في العالمين علاك

(140) جرت في هذا التشطير مجرى الانسجام، من غير أن يتصنع فيه، ولم يصدرها بخطبة بل قال في أوله وكان ذلك منه شبه ارتجال :

أمـن تذكر جـيران بـذي سـلـم   أوقدت في قلبك الأشواق في ضرم

فصرت مشغول فكر في هـواك وقـد   مـزجـت دمعا جـرى مـن مقلة بـدم

أم هبت الريح من تلقاء كاظمـة   فملت معـها لشم عرفها العمـم

وعدد أبيات هذا التشطير 320 بيتا.

1323هـ، وهو غير تام في نحو 30 صفحة، بخطه رحمه الله.		بها، من عام 1328هـ إلى أن ارتحل عنها، وصل فيه إلى قول ابن عطاء الله : ادفن وجودك في أرض الخمول، فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه، في نحو الكراسة غير تام.

101- "خزانة أدبية، وفوائد علمية"(141).		102- "تطييب النفوس بما كتبته من بعض الدروس والطروس"، وهو عبارة عن سفر كبير بخطه، كان يقيد فيه أيام دراسته بالقرويين، في نحو 300 صفحة، ما يستحسنه ويريد حفظه من دروس أشياخه، وما ينقله من الكتب من الفوائد، أوله : الحمد لله الذي بيده التوفيق، وهو الهادي إلى سواء الطريق.
103- "المنتخبات"، وهو مثل تطييب النفوس المذكور آنفا، في نحو 250 ورقة، من القالب الصغير، جمع فيه بخطه عددا كبيرا من الفوائد سماعا، ونقلا، ونظما، وذلك حين تعاطيه الدراسة، بتلقي مختلف العلوم والفنون بالقرويين أيام شبابه رحمه الله.		104- "شفاء الأحزان في حيث الراحمون يرحمهم الرحمان"، هذا التأليف تكلم فيه رحمه الله على عدد من العلوم، وجمع كثيرا من المواد لتخريجه، إلا أنه لم يقدر له إتمامه.

(141) هو كتاب يدل اسمه على مسماه، جمع فيه مجموعة من مقالاته وتقاييده وأشعاره، كما ترجم فيه لبعض القراء الذين أخذ عنهم سورة الفاتحة برواية السبع، ويحتوي هذا الكتاب على 60 صفحة.

105- "ثمرة الفنون في فوائد تقر بها العيون"، وهو من جملة كنانيشه التي اتخذها أيام شبابه عام 1327هـ ملأه بالفوائد والقصائد والمرائي والفنون المختلفة.		106- "نصيحة الصبيان، في سائر الأوطان"، هي تشطير لقصيدة العلامة السيد محمد الحجوي الثعالبي(142)، وزير المعارف سابقا، التي سماها : حفظ الرمق بالتربية والتهذيب، قال سيدي عبد الكريم سكيرج : وقد أضفتها إلى : الأنباء بنصح الأبناء لمناسبتها له.
107- "كنز المعارف"، وهو أحد كنانيشه، متوسط الحجم، قال في مقدمته : أقيد فيه كل ما استفدته من غير تأنق في الخطاب، ولا تقيد بموضوع خاص ... صفحاته 17.		108- "غاية المقصود، بالرحلة مع سيدي محمود(143)"، وهي رحلته التي كان رافق فيها سيدي محمود ابن سيدي البشير بن سيدي الحبيب ابن الشيخ سيدي أحمد التجاني، إلى أن وصل إلى الرباط، وذلك سنة 1329هـ، ثم لم يستطع الزيادة معه إلى فاس حيث كتب رحلته هذه في صفحات 202.

(142) محمد بن الحسن بن العربي بن محمد الحجوي الثعالبي أصلا الفاسي دارا ومنشأ، ولد بفاس عام 1291هـ. حفظ القرآن الكريم على الشيخين الجليلين سيدي محمد بن عمر بن سودة، وسيدي محمد بن الفقيه الورياجلي، ثم اشتغل بطلب العلم بالقرويين منذ عام 1307هـ، ومن شيوخه الذين أخذ عنهم العلامة سيدي محمد بن التهامي الوزاني، والعلامة سيدي محمد فتحا بن قاسم القادري، والعلامة سيدي محمد بن محمد بن عبد السلام كنون، وهو عمدته، والعلامة سيدي عبد السلام الهواري، والعلامة سيدي أحمد بن الجيلالي الفيلالي الأمغاري، والعلامة سيدي أحمد بن الخياط، والعلامة مولاي عبد المالك الضرير العلوي وغيرهم. وبعد تخرجه زاول التدريس بجامعة القرويين، ثم بعد ذلك أسندت إليه سفارة المغرب بالجزائر على مدة سنتين ابتداء من عام 1321هـ ثم عين وزيرا للعدل، وبعدها وزيرا للمعارف الإسلامية في عهد الحماية الفرنسية بالمغرب، وكانت وفاته بالرباط سنة 1376هـ - 1956م، ونقل لفاس حيث دفن ببعض مساجدها، وله رحمه الله تآليف كثيرة منها : الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، والبرهان في الفرق بين الألوهية والنبوة، والمحاضرة الرباطية في إصلاح تعليم الفتيات في الديار المغربية، والصورة الجمالية في تاريخ إفريقيا الشمالية، وإتحاف الزائر بمشاهدة أرض الجزائر، والرحلة الأوربية فيما شاهدته بأراضي فرنسا وإنجلترا من التقدمات العصرية، ومستقبل تجارة المغرب، والتعاضد المتين بين العقل والعلم والدين، وغير ذلك من التآليف الأخرى. انظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 146، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 96.

(143) هو من التآليف المدرجة داخل هذا المجموع، انظر ج 2 ص 29-186.

109- "الإغتباط في الجواب عن الأسئلة الواردة من الأغواط(144)"، وهو جواب عن 12 سؤال بعث بها إليه السيد علال بن أحمد التجاني الكتبي بالأغواط، حول الشيخ التجاني وطريقته، في 28 صفحة ذكر فيها عددا من تآليفه، لم يطبع.		110- "الترصيف، بما لمؤلفه من التصنيف"، وهو تعريف بتأليفه، ذكر فيه نحو العشرين تأليفا، ولو كان قدر له إتمامه لكان مفيدا.

(144) أدرج هذا الكتاب ضمن صحاK هذا المJ2 ابتداء من ج 1 f 340-366.

111- "الحق المبين، في انتصار التجانيين على علماء القرويين"، هو تأليف أراد به الدفاع عن الفقيه النظيفي(145)، الذي أفتى فيه علماء القرويين بحرق كتبه التي ذكر في بعضها أن صلاة الفاتح من كلام الله القديم، وأنها أفضل الأذكار، وغير ذلك من مثل هذه الأقوال. كان هذا عام 1343هـ بأمر من المراجع العليا إلى رئيس المجلس العلمي بفاس، يحتوي الكتاب على الفتوى المذكورة، والمقدمة، وقليل من الكتابة، ثم اشتغل عنه بالكتابة في غيره.		112- "وقاية العطب، ببعض الخطب"، قال في الترصيف، بما لمؤلفه من التصنيف : قد اقترح علي جماعة من الأحباب إنشاء خطب جمعية وعيدية في مجموع سميته : بوقاية العطب، بعد أن كنت ألقي الخطبة ارتجالا من غير تقييد، فأجبت اقتراحه، وقد ضاع جلها لعدم اعتنائي بها أولا، ولأني أرى أنه يتعين على الخطيب أن يخطب دائما بما يناسب الوقت، ويعرض في خطبه لما ينفع السامعين ويرغبهم ويرهبهم بكل ما يدفع عنهم المقت، ولا يملي الخطبة إملاء من غير نظر لما ينبغي الترغيب فيه والترهيب منه طبق ما أشرنا إليه، ولا يقتصر على الخطبة المرتبة على جميع الشهور بحكايتها للسامعين، فهي في الغالب مؤثرة، وليتجنب الطول الممل، والإختصار المخل، سيما إن ضاق المسجد بالحاضرين، فيعد الخطيب بذلك ثقيلا، سيما والنفوس اليوم رهينة الملل، حتى كادت أن تكتفي بالعلم عن العمل، ولله الأمر من قبل ومن بعد، لم يتم جمعها.

(145) الولي الصالح العلامة سيدي محمد بن عبد الواحد بن الحسن النظيفي، ولد عام 1267هـ بسوس، وبعد حفظه للقرآن، اشتغل بطلب العلوم، فأخذ عن مجموعة من الشيوخ الأجلاء، منهم العلامة الشريف مولاي عبد المالك الضرير العلوي، وقاضي الحضرة الفاسية مولاي محمد فتحا العلوي، والعلامة الحاج أحمد بن موسى الطاطائي السوسي، والعلامة سيدي علي بن أبي الجماعة المسفيوي، أما الطريقة الأحمدية التجانية فقد أخذها أولا عن العارف بربه سيدي أحمد محمود دفين البحيرة بقبيلة الرحامنة، ثم أجازه فيها بعد ذلك العلامة الأديب سيدي عبد الله بن العلامة المشارك الشهير سيدي محمد أكنسوس، والفقيه العارف بالله سيدي الحاج الحسين الإفراني، والعلامة الشريف البركة سيدي محمد بن محمد بن عبد السلام كنون، وللفقيه النظيفي تآليف كثيرة منها الدرة الخريدة، والطب الشافي، وعمدة الإعراب، والعطية الكنزية في تخميس الهمزية، وترياق القلب الجريح في تخميس بردة المديح، وغير ذلك من التصانيف الكثيرة، وتوفي رحمه الله عام 1366هـ - 1947م، وكان عمره عند وفاته 99 سنة. انظر ترجمته في فتح الملك العلام، للعلامة الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 153، وفي المعسول لمحمد المختار السوسي ج 19 ص 137-144 وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 185.

113- "الدراري المنوطة بالشعر المذكور في البخاري(148)، أوله الحمد لله الذي بيده النعمة والصلاة والسلام على القائل : إن من الشعر لحكمة.		114- "الرحلة لتدشين مسجد باريس سنة 1926م"، في قصيدة على نسق شمقمقية ابن الونان(146)، ذكر فيها بعض من رافقه من ولاة وأعيان الجديدة التي كان قاضيا بها إذ ذاك(147)، وهو الذي كان ألقى أول خطبة جمعية بالمسجد المذكور، بمحضر السلطان مولاي يوسف رحمه الله، وعدد عديد من الوزراء والأعيان من المغرب وغيره، كما أنه هو الذي نظم كل ما نقش على الحجر أو الجبص أو الزليج بالمسجد المذكور، بخط ولده عبد الكريم، وهي قصائد طويلة، وقطع شعرية.

---

(146) أبو العباس أحمد بن محمد بن الونان الملوكي الفاسي، من أكابر أدباء المغرب في عصره، وهو صاحب القصيدة المشهورة بالشمقمقية، وعدد أبياتها 275 بيتا، وتحتوي على كثير من الفنون الأدبية والأغراض الشعرية، ومطلعها :

يا سيدي سبق النبي ... أبو الشمقمق أبي

وتوفي رحمه الله عام 1187هـ، انظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس، لابن زيدان ج 3 ص 344 وفي النبوغ المغربي لعبد الله كنون ج 1 ص 316 وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 243.

(147) عدد أبيات هذه القصيدة 107 بيتا، نظمها بمدينة فيشي الفرنسية في 4 غشت 1926م، ومطلعها :

لا تلم العاشق إن لم تعشـــــق ... فكيف في اللوم متى ترتع تشقـي
دع عنك لوم العاشقين إن فـــي ... لومك إغراء على الـتـعـشق
من لم يذق ما ذاقه ذو غـــرام ... كيف يلومهم بما لـــم يـذق
فانظر إلى أحوالهم وما هــــم ... فيه تصر من أمرهم في فـلـق

(148) قصد بهذا التأليف تخريج جميع الأبيات الشعرية مع أحاديثها من صحيح الإمام البخاري، إلا أنه لم يكتب منه إلا بعض ورقات، ولم يتيسر له إتمامه لاشتغاله بغيره.

115- "وله رحمه الله قصائد أخرى، معارضا بها الشمقمقية المذكورة".		116- "معارضة مقصورة ابن دريد(149)"، يخاطب بها شيخ الجماعة بالرباط سيدي المكي البيطاوري(150) عام 1344هـ.
117- "دائرة الخيال في تراجم سادة تعرفت بهم في دائرة الخيال(152)".		118- "تجريد أسئلة الحكيم الترمذي(151)"، وهي 155 سؤالا، من الفتوحات المكية، لابن عربي الحاتمي.
119- "تجريد أسئلة الشيخ سيدي محمد الكتاني".		120- "الدر الثمين، من فوائد الأديب بلامينو الأمين(153)".

(149) محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، من أئمة اللغة والأدب، وهو صاحب المقصورة الدريدية، ازداد بالبصرة عام 223هـ وتوفي ببغداد عام 321هـ. ومن كتبه رحمه الله، المقصور والممدود، والجمهرة، وذخائر الحكمة، والاشتقاق، والمجتني، والأمالي، والسحاب والغيث، والوشاح، وزوار العرب، واللغات وتقويم اللسان، وغير ذلك من التآليف الأخرى، انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 497. وفي لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج 5 ص 132، وفي تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج 2 ص 195 وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 80 وفي إرشاد الأريب لياقوت الحموي ج 6 ص 483.

(150) عدد أبيات هذه المقصورة 157 بيتا قال في مطلعها:

علي جادت بالرضا بعد الجفا ... هيفاء بالحسن سبت أهل النهى
خاطرت في حبي لها بمهجتي ... وضل عني الصواب والخطا
وما عرفت عاذلي من عاذري ... فيما أقاسي من نوائب النوى
ولما كتمت ما ألم بي ... من ألم يجهله أهل الهوى

(151) محمد بن علي بن الحسن بن بشر، المشهور بالحكيم الترمذي، من أكابر أعلام الصوفية بالمشرق العربي، له مؤلفات منها كتاب ختم الولاية، وعلل الشريعة، ونوادر الأصول في أحاديث الرسول، والرياضة وأدب النفس، والمسائل المكنونة، وبيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب، وغير ذلك، وكانت وفاته رحمه الله عام 320هـ. انظر ترجمته في لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج 5 ص 308، وفي كشف الظنون لمصطفى حاجي ج 1 ص 938 وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 272، وفي طبقات الشافعية للسبكي ج 2 ص 20.

(152) هو تأليف غريب، خاطب فيه أناسا اجتمع بهم في دائرة الخيال، ووصفهم بأوصاف غريبة، لا زال في مسودته محتاجا للتنقيح والترتيب.

(153) العارف بربه الولي الصالح سيدي محمد بن يحيى بلامينو الرباطي، من أشهر تلامذة القطب الشهير أبي المواهب سيدي محمد العربي بن السائح رضي الله عنه، توفي في 4 جمادى الأولى عام 1333هـ ودفن بمسجد سيدي محمد الضاوي بالرباط. انظر ترجمته في أعلام الفكر المعاصر لعبد الله الجراري ج 2 ص 231 وفي كتابنا خلاصة المسائل الفائح بذكر بعض مناقب سيدي محمد العربي بن السائح.

121- "الدر المكنون في الأجوبة عن أسئلة الفقيه السيد محمد شاشون الطنجاوي(156)".		122- "رسالة الثناء الأحمدي التجاني، على مظهر الفتح مولانا الشيخ فتح الله البناني(154) صفحاتها 10 صفحات، طبعت بالمطبعة الوطنية بدرب الفاسي بالرباط(155).

---

(154) فتح الله بن أبي بكر بن محمد بن عبد الله البناني، فقيه، صوفي شيخ جليل، ولد بالرباط عام 1281هـ وبه توفي عام 1353هـ، له مصنفات منها، رفد القاري بمقدمة افتتاح صحيح البخاري، وتحفة أهل الإصطفا بمقدمة فتح الشفا، والمجد الشامخ فيمن اجتمعت بهم من أعيان المشايخ، وتحفة أهل الفتوحات والأذواق في اتخاذ السبحة وجعلها فوق الأعناق وغيرهم.

انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ج 5 ص 134 وفي معجم المطبوعات لإليان سركيس 589.

(155) وهو من التآليف المدرجة داخل هذا المجموع، انظر ج 2 ص 23-28.

(156) الفقيه الفاضل سيدي محمد بن محمد بن الحاج أحمد شاشون الطنجي، ولد بطنجة سنة 1298 هـ وبها حفظ القرآن على مجموعة من الفقهاء منهم سيدي محمد الدليمي الطنجي، وسيدي عبد الرحمان السمون، وسيدي المختار الخمال، وسيدي عبد القادر بن الحاج محمد برزا، وتقلد بعده الطريقة الأحمدية التجانية سنة 1332هـ على يد المقدم السيد العرفاوي البخاري، ثم أجازه فيها بعد ذلك العلامة سكيرج بالإجازة العامة المطلقة، انظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 184.

123- الياقوت والمرجان فيما اتزن من القرآن، لا زال في مبيضته، في 16 صفحة، غير تام(158).		124- القول المصيب في بيان ما خفي على مدير جريدة الفتح محب الدين الخطيب. لا زال في مبيضته، صفحاته 9، وسبب تأليفه أن المدير المذكور قام بنشر مقالات معادية للطريقة الأحمدية التجانية، ومن هذه المقالات مقالة رد فيها على العلامة الشيخ محمد الحافظ المصري التجاني، سماها صاحبها : الطريقة التجانية على المشرحة. وكان ذلك بتاريخ يوم الخميس 6 رجب عام 1353هـ عدد 418 من عامها التاسع بالقاهرة، وبناء على ذلك رد عليه العلامة سكيرج بهذا الكتاب المسمى بالقول المصيب، غير أنه لم يتمه(157).
125- كشف البلوى في رد الفتوى، ألفه في الرد على مجلة التقوى المصرية. وطبع بمطبعة الصدق الخيرية بالقاهرة، صفحاته 80 صفحة.		126- رفع الإشكال عن وجوب الزكاة في الخرطال.

(157) قال في مقدمته : يعلم كل من طالع كتب الصوفية وكان من أهل العلم الصحيح، متسع العارضة في الفنون النقلية والعقلية أن مشربهم رضوان الله عليهم في المعرفة بالله على نسق واحد إلخ ...

(158) قال في خطبة هذا الكتاب : نحمد الله الذي أنزل القرآن على عبده سيدنا ومولانا محمد القائم بحق شكره وحمده، فبلغ صلى الله عليه وسلم الرسالة، وصدع بما أمر به على وفق ما يرضى المولى الذي لا ينبغي الحمد إلا له إلخ ...

127- العقد المنظم فيما يتعلق من الجواهر بالإسم الأعظم، صفحاته 11، غير تام.		128- الثغر الباسم من حلي المعاصم، هي حواش للعلامة سكيرج على شرح أبي عبد الله سيدي محمد التاودي بن سودة(159) على منظومة ابن عاصم. لا زال في مبيضته، وهو غير تام، وصفحاته 10 صفحات، وقد بدأ في كتابته في 5 جمادى الثانية عام 1325 هـ.
129- عقد اللآل في إعراب جوهرة الكمال، غاية ما كتب منه ثلاث صفحات ولم يتمه.		130- النكات الجلية والمخفية في أبيات من الكافية أحسن من أبيات في الألفية، غير تام، صفحاته 8، قال في خطبته : نحمد الله الذي رفع منصب من خفض جناحه للمومنين، ونشكره شكر من جزم بوفاء وعده في الدارين لعباده الموقنين، إلخ ...
131- طيب الأنفاس بجغرافية فاس، صفحاته 16 صفحة، غير تام، قال في خطبته بعد كلام، أما بعد فهذا تويلف لطيف أسميه بطيب الأنفاس، بجغرافية فاس، حملني على وضعه وجمعه بعض المحبين، عسى ينتفع به من يطالعه من الأقربين والأبعدين، فجئت به على هذا الأسلوب، مقربا للمرام المطلوب، وأرجو من المولى أن يجعله للكل نافعا، ولعلم علم جغرافيتها رافعا، إنه رب ذلك والقادر عليه إلخ ...		132- طيب الأنفاس ببعض ما وجد منقوشا على بعض مباني فاس صفحاته 9.

(159) أبو عبد الله محمد التاودي بن الطالب بن سودة المري الفاسي، شيخ الجماعة بالمغرب، كان مقدما في كل العلوم لا سيما التفسير والحديث والفقه والتصوف والكلام والمنطق والأصول، ولد بفاس عام 1111هـ وبها توفي سنة 1209هـ. له تآليف كثيرة منها : زاد المجد الساري وهو حاشية على صحيح البخاري في أربعة أجزاء، ومنها حاشية على سنن أبي داود، وتعليق على صحيح مسلم، والفهرسة الكبرى، وقد جمع فيها تراجم من لقيه من الصالحين، وشرح لامية الزقاق، وحاشية على الزرقاني، وحلي المعاصم لبنت فكر ابن عاصم، وهو شرحه المذكور على التحفة، انظر ترجمته في النبوغ المغربي لكنون ج 1 ص 293 وفي سلوة الأنفاس للكتاني ج 1 ص 114 وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 62 وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 350 رقم الترجمة 777، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 372 رقم الترجمة 1486.

133- الشمائل التجانية(160)، كتب منها 7 صفحات، وقال في خطبة هذا الكتاب: حمدا لمن توج بتاج القبول أهل الخصوصية من خدام حضرته، وأدخل من باب الوصول من انحاش لجنابه بصدق خدمته، فجلسوا على كراسي العناية، وحفتهم برداء رحمته، ونشرت عليهم ألوية الولاية، بما لهم من كمال محبته، إلخ ...		134- النور الواضح في شرح صلاة الفاتح، كتب منه ورقة واحدة فقط.
135- الفتح الرباني بما مدح به الشيخ التجاني رضي الله عنه، لا زال في مبيضته، صفحاته 130 صفحة، وهو هام جدا لما يحتويه من أنفس القصائد وألطفها.		136- ينبوع السلسل في بعض ما ورد في الحديث المسلسل، كتب منه 5 صفحات.
137- محاذاة نظم أبي زيد الفاسي لبعض المسائل من الأحكام التي جرى بها العمل بفاس، غير تام، في 8 صفحات، قال في خطبته بعد كلام : وبعد : فالمقصود من هذا التقييد محاذاة نظم أبي زيد الفاسي لبعض المسائل من الأحكام التي جرى بها عمل فاس، الذي رفع جريانه فيها الخلاف لتعيين العمل به فيها ولو خالف المشهور، إلخ ...		138- شرح رجز أبي زيد الفاسي(161) في العمل الفاسي صفحاته 26 صفحة، غير تام.

(160) الشمائل التجانية، أنظرها ضمن التآليف الموجودة في هذا المجموع ج 2 ص 297-319.

(161) أبو زيد عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي، من أكابر علماء وقته بفاس، أخذ عن والده سيدي عبد القادر الفاسي وعمه سيدي أحمد الفاسي، وقريبه سيدي محمد بن أحمد بن أبي المحاسن الفاسي، وغيرهم من أقطاب العلم وقتذاك، وهو من مواليد فاس عام 1040هـ وبها توفي سنة 1096هـ، وله رحمه الله مؤلفات منها : نظم العمل الفاسي، وأزهار البستان في مناقب الشيخ عبد الرحمان، وتحفة الأكابر في أخبار الشيخ عبد القادر، وغير ذلك من التصانيف الكثيرة المتعددة المجالات، انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص 315 رقم الترجمة 1230، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 310، وفي صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر للإفراني ص 201، وفي الدرر الفاخرة لابن زيدان ص 13، وفي الإستقصا للناصري ج 4 ص 51. وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 735 رقم الترجمة 393، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 336 رقم الترجمة 750. وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 1 ص 314.

139- الإجادة على الإفادة، صفحاته 12 صفحة غير تام، قال في خطبة هذا الكتاب حمدا لمن شرح صدر ذوي العناية من الخلق، فشكروه بلسان الصدق، فأدخلهم لرياض أنسه، وتوجهم بتيجان القبول من حضرة قدسه، وأدار عليهم كؤوس الخمرة العرفانية، فطربوا على قدر ما منحوه من المواهب الربانية إلخ.		140- الهدية السارة بالمسامرة ببيان بعض الفنون النافعة والفنون الضارة، هي مسامرة ألقاها بالمدرسة العليا بالرباط. قال العلامة سكيرج في كتابه الترصيف بما لمؤلفه من التصنيف حول هذه المسامرة ما نصه : وهي مسامرة جامعة لفنون جمة، تزيد معلومات الطالب بمطالعتها، وينتفع بمراجعتها، وهي نحو 100 علم متداول وغيره إلخ ...
141- أمثال العامة، جمع رحمه الله أمثلة كثيرة ورتبها على الحروف الأبجدية، ولا زالت إلى يومنا هذا كامنة في مبيضتها، وصفحات هذا التأليف 95 صفحة.		142- الجوهر النفيس فيما استفدناه من العلامة بنيس.
143- الدر النفيس، من نظم العلامة الرئيس سيدي الحاج عبد الكريم بنيس.		144- مفتاح الفتوحات المكية، صفحاته 50 صفحة، مضروب على الآلة الكاتبة وهو غير تام.
145- البلاغ، الموجه إلى الشيخ عبد العزيز الدباغ(162).		146- الروض المنيف في الجواب عن أسئلة أمين محمود الشريف، صفحاته 24 صفحة وهو مضروب على الآلة الكاتبة.
147- شبه رحلة إلى الجزائر، صفحاته 38 صفحة، لا زالت في مبيضتها لم تطبع.		148- حسن الخاتمة بمحبة فاطمة.
149- طرق النفع، في تراجم من أخذنا عنهم الفاتحة بقراءة البدور السبع.		150- مجموع النوازل الفقهية، مجلد جمع فيه كثيرا من تقيداته وفتاويه، لم يطبع.

(162) هو من التآليف المدرجة ضمن هذا المجموع، انظر ج 1 ص 324-340.

151- كشف الغمة على حديث الرحمة.		152- يتيمة الدر في قرض الشعر(163)، صفحاته 13، غير تام، وهو شرح على نظم للمؤلف نفسه، ذكر فيه الوسائل والأدوات المعينة على قرض الشعر.
153- المختارات من أهم كنانيشه رحمه الله، جمع فيها الكثير من الفرائد والفوائد، صفحاته 150 صفحة.		154- نزهة الخاطر باضمحلال الثائر، ألفها بعد القبض على محمد بن الجيلاني الزرهوني المعروف بأبي حمارة(164).
155- الدر العزيز الموجه إلى القاضي الشيخ بناني عبد العزيز(166).		156- نظم الجمان في شرح نظم ابن كيران(165) في ثمان صفحات قال في خطبته : الحمد لله الذي أبان مجاز الحقيقة لكل من تمسك بحبل الشريعة، فاستنار قلبه بنور الهداية حتى سارت نفسه الأمارة بالسوء لمولاها مطيعة.

---

(163) هذا النظام أوردته مجلة دعوة الحق المغربية، انظر العدد الثاني من السنة 13 ص 132 يناير عام 1970م. ومطلع هذا النظام :

حمدا لمن نعمه لا تحصى ... وقرضنا عن شكره يقصى

ثم على رسوله الصلاة ... والآل والصحب لهم صلاة

وبعد فالشعر على العروض ... يخرج في الشعر من الشذوذ

وقد نظمت هذه الأرجوزة ... في فنه ياقوتة مكنوزة

وأسأل الله من الله العلي ... لمن دعاني بقبول العمل

(164) حول هذا التأليف قال العلامة سكيرج في كتابه الترصيف فيما لمؤلفه من التصنيف : هي مقالة شبه مقامة، أنشأتها أيام السلطان المولى عبد العزيز، تحركت فيها حالة قبيلة غياثة والقبائل المجاورة لها حين نزل بها الثائر أبو حمارة، وما لاقته الجنود العزيزية الموجهة إليه، والتنبيه بما يؤول إليه أمرها بعبارة تتخذ بالألباب، وقد استعارها منا الأديب النابغة السيد عبد الحميد بن عبد السلام الرندا، فضاعت عنده ولم يرها ولم يجدها أحد بعده، وهكذا الشأن فيما يعار وليس له نظير.

(165) أبو عبد الله الطيب بن محمد بن عبد المجيد بن عبد السلام بن كيران، من أعيان العلماء والمحدثين بالمغرب، ولد بفاس عام 1172هـ وبها درس العلم عن جماعة من شيوخها الأجلاء، منهم العلامة سيدي عبد القادر بن شقرون، والعلامة سيدي محمد الزواري، والشيخ جسوس، والعلامة التاودي بن سودة وغيرهم، وله رحمه الله تآليف مفيدة تنيف على العشرين، منها تفسير للقرآن الكريم من سورة النساء إلى قوله تعالى في سورة غافر : يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع، ومنها نظام بديع في المجاز والإستعارات، وغير ذلك، وكانت وفاته رحمه الله عام 1227 هـ، انظر ترجمته في النبوغ المغربي لكنون ج 1 ص 294. وفي شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص 376 رقم الترجمة 1506 وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 178 وفي الإستقصا للناصري ج 4 ص 149. وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 351 رقم الترجمة 781، وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 3 ص 2.

(166) سبق التعريف به في ج 1 ص 39 من هذا التأليف.

157- الجوهر الغالية المهداة لذوي الهمم العالية، صفحاتها 151، صفحة، وهو كناش من الحجم الصغير، ابتدأه أولا بالكتابة الفقيه سيدي محمد فتحا سكيرج(168) وهو أخ للعلامة سكيرج من أمه، لكنه توفي ولم يكتب منه سوى وريقات قليلة، ولكي لا يضيع هذا العمل سدى، أتم العلامة سكيرج هذا الكناش وملأه بالفرائد والفوائد النفيسة.		158- شحد الأذهان فيما رأيته بوهران ومستغانم وأبي العباس وتلمسان(167)، وهي مسامرة لطيفة ألقاها بقاعة المسامرات بالمدرسة الفاسية بدار المنبهي، وهذه المسامرة هي زبدة تأليفه المسمى : الرحلة الحبيبية الوهرانية.
159- القول الجلي الموجه إلى العارف الشيخ محمد بن علي(169).		160- حسن المرائي فيما رأيته من المرائي، كان من عاداته رحمه الله تقييد مرائيه، ولهذا أملأ الكثير من صفحات كنانيشه بعشرات المرائي، وكان في نيته جمعها في كتاب مستقل أعده خصيصا لذلك، ولا زال معظمها إلى يومنا هذا متفرقا بين الأوراق، ومن الإمكان جمعها وترتيبها في تأليف.

(167) قال العلامة سكيرج في كتابه الترصيف فيما لما ألفه من التصنيف، حول كتابه شحذ الأذهان فيما رأيته بوهران ومستغانم وأبي العباس وتلمسان، ما نصه : هو مسامرة ألقيتها بنادي المسامرات بفاس في أول افتتاحه، لخصت فيها ما تعرضت له في تأليفي المعنون بالرحلة الحبيبية الوهرانية، وألحقت بها بعض الفوائد المناسبة لموضوعها، وقد استعارها مني الترجمان المحاف أبو عبد الله السيد الحاج محمد جسوس الجزائري ليترجمها، فأخبرني بضياعها، وكذلك كل معار [illegible] له يضيع، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

(168) الفقيه الطالب الأنجد سيدي محمد فتحا بن محمد بن عبد الرحمان سكيرج، توفي رحمه الله في الساعة الأولى من نهار يوم السبت 5 جمادى الثانية عام 1324هـ بعد جلوسه في فراشه بمرض الحمى 14 يوما، وصلي عليه بعد صلاة العصر بمسجد الشرابليين، ودفن بجانب قبر جده سيدي عبد الرحمان سكيرج بباب عجيسة بفاس.

(169) المقصود به العلامة الصوفي محمد بن علي التادلي الرباطي، وقد سبق التعريف به في هذا الكتاب ج 1 ص 89.

162- النفحة الوهبية في شرح الصلاة الغيبية(170).		161- إفادة أهل الحرث بعدم وجوب الزكاة في الحب المعروف في المغرب بكوكو وفي السودان بكرث(171).
		163- طرب الحي في كون الأخذ عن الشيخ المنتقل إلى دار البقاء أفضل من الأخذ عن الحي.

LjdžY ǏŢþNj Ŷǫ LjDžϴþ ŧþɪƨ ƕDžǗyllǫ ǏŢFǟllǫ üəFƨþ

من بين رسائله رحمه الله هذه الرسالة التي أجاب من خلالها على بعض الأسئلة المطروحة عليه من طرف بعض الأفاضل.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

(170) الصلاة الغيبية من الأذكار الغير اللازمة في الطريقة الأحمدية التجانية، انظر جواهر المعاني للعلامة العارف بالله سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي ج 2 ص 271. ونصها: اللهم صل وسلم على عين ذاتك العلية، بأنواع كمالاتك البهية، في حضرة ذاتك الأبدية، على عبدك القائم بك منك لك إليك بأتم الصلوات الزكية، المصلي في محراب عين هاء الهوية، التالي السبع المثاني بصفاتك النفسية، المخاطب له بقولك واسجد واقترب، الداعي بك لك بإذنك لكافة الخلق العلمية، فمن أجاب اصطفي وقرب، المتحقق على كافة من أوجدته بقيومية سرك، المدد الساري في كلية أجزاء موهبة فضلك، المتجلى عليه في محراب قدسك وأنسك بكمالات ألوهيتك في عوالمك وبرك وبحرك، فصل اللهم عليه صلاة كاملة تامة بك ومنك وإليك وعليك، وسلم اللهم عليه سلاما تاما عاما لملأ لأنوار كمالات قدسك، دائمين متصلين على خليلك وحبيبك من خلقك عدد ما في علمك القديم، وعميم فضلك العظيم، ونب عنا بمحض فضلك الكريم في الصلاة عليه صلاتك التي صليت عليه في محراب قدسك، وهوية أنسك، وعلى آله وصحابة رسولك ونبيك، وسلم عليهم تسليما عدد إحاطة علمك.

(171) من تأليف العلامة سكيرج، صفحاته 24 صفحة، غير أنه رجع عن القول بنفي الزكاة فيه، وكتب رحمه الله على ظهر الجلد مخطوطه ما نصه: قال مؤلفه عفا الله عنه: بعدما قيدت هذا التأليف كاتبني محبنا العلامة الخليفة السيد الحاج محمد انياس من مدينة كولخ مبرهنا على وجوب الزكاة في غير هذا الحب بما أملاه من نصوص تقتضي بعدم حصر ذوات الزكاة، فترجح لدي ما أفتى به، وإن الرجوع إلى الحق حق، فرجعت إلى القول بوجوب الزكاة فيه طبق ما ذكرت ذلك في نظمنا تاج الرؤوس، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

السؤال الأول :

ما قولكم أطال الله بقاءكم وأبقى دولتكم فيمن ادعى أن له درجة على إعطاء وتلقين جميع أوراد الطرق حتى وردنا التجاني. فهل يصح الأخذ منه أولا، للشرط المؤكد من أن وردنا هذا لا يجمع مع ورد آخر ؟

الجواب :

إن الطريقة التجانية لا تلقن إلا مفردة، لا يشاركها غيرها من سائر الطرق، فلا تجمع مع طريقة أخرى. وكل من تصدر لتلقين غيرها معها فلا ينبغي الأخذ عنه إلا مفردة. ولا يمكن لأي شيخ ولا مقدم صحيح التقديم أن يلقن معها غيرها(172). نعم هناك طرق متفرعة عن هذه الطريقة يلقنها بعض المفتوح عليهم في هذه الطريقة لمن قدر لهم الأخذ عنهم، مثل ما كان عليه جماعة ممن اجتمعنا بهم من أهل الفتح الذين اجتمعوا برسول الله (ﷺ) طبق ما ثبت ذلك عنهم، وأخبروا به يقظة ومناما، ولقنهم طريقة خصوصية متفرعة عن هذه الطريقة، مثل طريقة شيخنا العارف بالله مولانا عبد المالك الضرير الشريف العلوي(173) ممن تضرب أكباد الإبل للتبرك به، وهو من خاصة الخاصة من المقدمين في طريقتنا التجانية، فكان إذا أتاه أحد يطلب منه الإذن يقول : أتريد الطريقة الخاصة بالشيخ أو طريقتي التي تلقيتها عن المصطفى (ﷺ) يقظة(174) ؟ فهناك يختار المريد ما يحلو له، ولا يلقنه الطريقتين البتة، وكذلك فيما بلغنا عن الشيخ ماء العينين الشنجيطي(175) رضي الله عنه، فإنه يقول من أرجوزة أولها ... إني مؤاخ لجميع الطرق ... فلعله تمشى على ما طارت به الركبان في مبادئ انتشار الطريقة التجانية، حيث كان الجمع بينها وبين غيرها غير ممنوع، والزيارة فيها غير ممنوعة، ولا عمل عندنا في الحضرة الفاسية في

---

(172) حول هذا الموضوع ألف العلامة الحاج أحمد سكيرج رحمه الله كتابا خاصا سماه : تنبيه الإخوان على أن الطريقة التجانية لا يلقنها إلا من له إذن صحيح طول الزمان، ولا يصح تلقينها عمن يلقن غيرها من الطرق كيف ما كان. وقد دفعه للتصنيف في هذا الموضوع كثرة الأسئلة التي كانت ترد عليه حوله، وقد أبان فيه رحمه الله عن مقدرة كبيرة ووعي وحذاقة وذكاء، ولعب كتابه هذا دورا هاما في إشفاء غليل جميع القراء المتعطشين لمعرفة هذه المسألة والإحاطة بها، ويرجع اهتمام الناس بهذا الكتاب وإقبالهم عليه لكون هذا الموضوع من أهم المواضيع التي شغلت أفكار المهتمين والباحثين بشؤون الطرق الصوفية عامة والطريقة التجانية خاصة.

(173) سبقت ترجمته في ج 1 ص 26 من هذا المجموع.

(174) نص أذكار الطريقة المالكية المنسوبة للعارف بالله العلامة سيدي عبد المالك الضرير العلوي، على النظام التالي :

صلاة الفاتح لما أغلق 150 مرة

لا إله إلا الله 250 مرة

لا إله إلا الله محمد رسول الله 100 مرة

(175) سبقت ترجمته في ج 1 ص 28 من هذا المجموع، وجاء في كتاب تنبيه الإخوان للعلامة سكيرج ص 58 ما نصه : وقد كان شيخنا ماء العينين الشنجيطي ينوه بقدر سيدنا الشيخ التجاني رضي الله عنه تنويها كبيرا، ويقول إذا ذكر الشيخ قدس سره في مجلسه : إن شأن شيخنا مولانا الشيخ التجاني رضي الله عنه لشأن عظيم، ويمد لفظة عظيم بحال يظهر في الحاضرين جلاله من الشيخ وإجلاله لمنصبه العلي.

زاويتها المنيفة إلا على الإنفراد، ولا توخذ عمن يلقن غيرها كيف ما كان. وقد بسطت القول في هذا الموضوع في تأليفنا المسمى بتنبيه الإخوان بما يشفي صدر المريد ويكفيه عن مراجعة غيره من كتب الطريقة، وهو الذي نقول به ونعمل عليه، وإن كانت الطريقة التجانية تتفرع إلى فروع كثيرة كما أخبر بذلك الشيخ رضي الله عنه، ونقله الخليفة المعظم سيدي الحاج علي حرازم برادة في رسالة الفضل والإمتنان، وقد نقلتها برمتها في تأليفنا رفع النقاب(176) نفع الله به الخاصة والعامة آمين.

السؤال الثاني :

حول قول صاحب التحفة :

وبائن كل الطلاق أوقعـــا	قبل البناء كيف ما قد وقعا
كذا الذي أوقعه القاضي بما	يعلم منه باتفاق العـلمــــا(177)

هل قول الزوجة للزوج : هبني نفسي، فأجابها وهبتك نفسك وأراد بذلك الطلاق، هل هو بائن أم رجعي ؟ وربما خالعت إن لم يجبها. أجيبوا الجواب القاطع.

الجواب :

إنه من المعلوم أن المدار في الحلف على النية، وهي تخصص وتطلق بحسب القصد من الزوج في اليمين في الطلاق ولو بكاسقني ماء، فالطلاق يصدر بحسبه لا بما تنويه الزوجة، وهو مصدق في الإستفتاء، مؤاخذ بما دل اللفظ عليه في القضاء، وقد بين صاحب التحفة ما يحكم به البائن قبل البناء، وما وقع بخلع ونحو ذلك مما ذكره.

وأما هبة الزوج للزوجة نفسها بما قصد به الطلاق فهو على حسب ما قصده، فإن أطلق لها في نيته فلها أن تطلق نفسها بما ظهر لها، لأنه مكنها أن تعمل بمقتضى إطلاقه في هبتها، وله أن يقصد الطلاق السني فيعمل بمقتضاه، ويفتى له إن استفتى حسب نيته، وإلا فهو بائن، فإن جل العوام بل جل الطلبة لا يعرفون الطلاق السني، فلذلك أفتى جل شيوخنا بالبينونة فيما يصدر منهم من الطلاق، وعليه فالطلاق الذي قصده هذا الواهب للمرأة نفسها طلاق بائن إذا رفع أمره للقاضي، ولا اعتبار لما يظهر من كونها تخالع نفسها منه إن لم يجبها لها، لأن المدار كما قلنا

---

(176) انظر رفع النقاب بعد كشف الحجاب للعلامة سكيرج، ج 4 ص 142 من ترجمة العارف بالله سيدي الحاج علي حرازم برادة. قال فيها : ومن كراماته أن تكون طرقه رضي الله عنه في بني آدم أكثر من عشرة آلاف طريق، كل طريق لتلميذ من تلامذته. وكل طريق تنتشر على طرق كثيرة من المعرفة. ثم تنتشر كل طريق أيضا على طرق إلى قيام الساعة. وأن تكون طرقه في الجن أكثر من عشرين ألف طريق. كل طريق تنتشر لطرق كثيرة إلى قيام الساعة. لا تنقطع أبدا حتى يرث الله الأرض ومن عليها. وهو خير الوارثين.

(177) انظر شرح ميارة الفاسي على تحفة الحكام ج 1 ص 222.

على نيته، ولا يعتبر البساط في مثل هذا إلا من جهته، فإن لم يجئ مستفتيا فالحكم بالبينونة هو المتعين والله أعلم.

السؤال الثالث :

ما قولكم في قوله تعالى : إن شجرة الزقوم طعام الأثيم(178)، هل هي تابغة كما زعمه البعض، أم التابغة جنس منها، أم لا ؟ أجيبوا جوابا شافيا ؟

الجواب :

إن التابغة من النبات الخبيث الذي لم يكن معروفا عند العرب حتى عثر عليه في القرن العاشر فما بعد، وكل ما ورد من الأحاديث في ذمها فهو مكذوب لا يصح بحال، وهي أنواع منه الدخان المعروف، ومنه الحشيشة، ومنه التنباك وهو مما ينشط شاربه ومستنشقه، والزقوم نوع من النبات الخبيث شما وطعما، وهو معروف بهذا الإسم بالنواحي السوسية، وقفت عليه في هذه الأيام بالتفسح في هذه النواحي، ويقال له بالبربرية : تيكيوات، ويقال له أيضا الدغموس، وهو نبات لا ورق له، بل هو ثمر مستطيل يعلو نحو الذراع من الأرض.

وقد رأيناه في ماسة، وهي قبيلة بين مدينتي أكادير وتزنيت على ساحل البحر، يملأ نباتها فضاءا واسعا من الأرض، وهي من أراضي الموات، كل من أحيا فدانا منها بإعدام هذا النبات ملك أرضيته(179)، ولهم في قلعه طرق، وأسهلها قطع رؤوسه بشفرة من حديد تجعل في رأس عصي طويلة، ويحصد بها من بعد حتى لا يشم رائحته قاطعه، فإن كل من جرح واحدة منها بمحضره يحصل له عطاس، ويسيل الدمع من عينيه من شدة الرائحة الكريهة منه، ويسيل منه لبن بكثرة، كل من مسه ذلك اللبن في يده أو بعض جوارحه يتآكل حتى يكاد أن يخرقه، ولا يقدر أحد أن يدخل في المحل الذي هو نابت فيه، حتى أن القوم الساكنين بمحلاتهم المحاطة به آمنون من دخول العدو من جهته، فهو كالزرب المنيع، وينتشر على البسيطة بكثرة وسهولة في أقرب وقت، لكونه ينبت بوضعه على الأرض، وهو من السموم الفتاكة.

وقد أخبرني بعض أحبابنا أن لبنه إذا عجن بدقيق شعير وتناولت منه المرأة العقيم فإنها تلد كما جرب ذلك عندهم، وهو أمر من الحرج، ولا يأكله الحيوان، وهو فيما يقال موجود في رمال صحراء الحجاز، وهو أقرب ما يطلق عليه الزقوم في القرآن، والله أعلم، أما تابغة فليس من الزقوم في شيء، ولا من جنسه، لأن تابغة ليست من النبات الكريه الذي يعزب به ويحصل التهويل بشأنه كالنبات الجهنمي، والله أعلم.

---

(178) سورة الدخان، الآية : 43.

(179) الأرض التي لا مالك لها موات. وكل مسلم يقوم بزراعة مثل هذه الأرض لنفسه يصبح مالكا لها إذا لم تكن في حوزة مسلم آخر. ويقول معظم الفقهاء : إنه ليس من الضروري أن يطلب زارع الموات من أول الأمر الإذن بزرعها. بيد أن أبا حنيفة يذهب إلى أنه لا يجوز زرع الموات من غير إذن.

السؤال الرابع :

ما قولكم في تبديل الزوجة الهرمة بالأصغر منها سنا للنسل هل يجوز مطلقا أولا رعيا للحرمة ؟

الجواب :

لا يخفى على أحد أن الحق سبحانه أباح للرجل التزوج بالجمع بين أربعة فما دون على حسب استطاعته، ولا يشترط إلا القول بقدر المستطاع، سواء قصد بالتبديل التمتع بالأصغر من الكبرى أو للنسل، وإنما الحرمة تراعى في إعطاء المرأة حقها، وقليل من جمع بين اثنتين ولم تمل نفسه لواحدة أكثر من الأخرى بمقتضى قوله تعالى : (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم)(180)، فلا بأس بحول الله على من بدلها بغيرها أكبر أو أصغر للتمتع أو للنسل. وقد أنشدنا مقدم الزاوية التجانية بمدينة الدار البيضاء سيدي محمد بن علي السوسي(181)، بلغته السوسية :

وليس في العجوز إلا تيمضان مع سعال وأنين في أضار

معنى تيمضان كثرة الأمراض، وأضار معناه الليل، ومعنى ذلك واضح وبالله التوفيق.

السؤال الخامس :

ما قولكم فيما يفعله بعض التجار هل هو جائز أم لا، فإنهم يأمرون من أخذ منهم دينا أن يزيدهم على درهم إنجليزي نصفا أو ربعا، فمن أبى ذلك فلا يسلفونه البتة، وهل ما يدفعه أهل بنك لمودع العين من النتيجة حلال أم لا ؟

الجواب :

إن كل شيء يؤخذ على السلف أو من فائدة وضع الدراهم في البنك هو من الربا الممنوع في الشريعة الإسلامية، وكيف ما كان ذلك فهو حرام.

---

(180) سورة النساء، الآية 129.

(181) الفقيه العلامة محمد بن علي بن الحسين التزرواتي السوسي المجاطي. مقدم الزاوية التجانية بمدينة الدار البيضاء. ولد بتزروالت، وفيها حفظ القرآن الكريم. ثم أخذ العلم عن عدة فقهاء منهم : سيدي مسعود الطالبي في قرية المعدر بجوار مدينة تزنيت، وكذلك بمدرسة بونعمان، ثم انتقل لمدرسة أدوز في قبيلة بعقيلة، فأخذ فيها عن الفقيه سيدي محمد بن العربي الأدوزي. ثم استقر بمدينة مراكش عام 1308هـ. فقرأ فيها بمدرسة ابن يوسف على الفقيه العلامة سيدي العربي بن علال الرحماني. والشريف سيدي محمد بن إبراهيم السباعي. والعلامة الحاج محمد أوزنيت السوسي. ثم انتقل لمدينة الدار البيضاء عام 1314هـ. ودخل في خطة العدالة سنة 1316هـ، وكان من أخص أصدقاء العارف بربه العلامة القاضي الحاج أحمد سكيرج. وبينهما رسائل وأجوبة كثيرة حول شؤون الطبع وتوزيع الكتب وغير ذلك. انظر ترجمته في رياض السلوان بمن اجتمعت به من الأعيان للعلامة سكيرج ص 170.

وقد تساهل الناس في الربا فأخذهم الحق بمحاربتهم له به، فمحق ماليتهم، وضاعت أموالهم بمقتضى قوله تعالى : (يمحق الله الربا ويربي الصدقات)(182) وقد أشهر المسلمون على الحق حربين، فالمنحاشون للعلم صرفوه في الأولياء، والتجار صرفوه بالدين، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

السؤال السادس :

ما تقول فيما يدفعه بعض المريدين للمقدم التجاني، وسماه هدية للشيخ رضي الله عنه، فهل يجوز له ذلك أم لا بد أن يرسله لمن هو الخليفة إن أمكن، وإلا تصدق به على الفقراء ؟

الجواب :

يتعين على المقدم الذي يدفع له غيره شيئا مما سمي هدية للشيخ رضي الله عنه، أو باسم الزيارة ونحو ذلك أن يستفهم صاحب ذلك ما مقصوده ؟ هل يريد به انتفاع المهدى له الذي هو المقدم أو يريد به غيره، وأنت عالم بأن صدقات الصالحين هي لأحفادهم، فيضعها ذلك المقدم بصندوق الزيارة التي أمر به أولاد الشيخ رضي الله عنهم في الزوايا، ولا يجوز للمقدم التصرف فيه بأي وجه، لأنه ملك لأولاد الشيخ رضي الله عنهم لا يزاحمهم فيه أحد، ولأنها هدية لموروثهم وهم أحق بذلك، وكثير من المقدمين لا يلتفتون لهذه الهدية، فيجعلونها لقمة باردة في فمهم، يأكلونها ويتصرفون فيها تصرف المالك في ملكه، مع أنها ملك لغيرهم، وهم ورثة الشيخ قدس سره، فيكون حظه ذلك من الشيخ، نعوذ بالله من التصدر لهذا البلاء العظيم الذي كلف به كثير من المنتسبين للطريقة، فيتظاهرون بالخلافة عن الشيخ قدس سره ويأخذون أموال الناس ويأكلونها بالباطل.

وقد تكلم الإمام الغزالي في الإحياء على من يأكل بدينه، وبصفة دينية ليست فيه(183)، وفي ذلك بلاء مبين، نسأل الله السلامة منه. وعلى كل حال فيتعين على المقدم أن يعمل بمقتضى نية المهدي لتلك الهدية، ولا ينفقها على من لا يستحقها، بل يصرفها في تصرفها المقصود بها، والله الموفق.

السؤال السابع :

فيمن ادعى رؤية الله في الدنيا لنفسه، وأنه يريه غيره ولو امرأة أو صبيا لم يبلغ الحلم، فهل تكفره هذه الدعوى، وما حقيقة معنى قوله تعالى لموسى عليه السلام : (لن تراني)(184) فقد طالعت بعض كتب التفاسير فما بلغت المقصود.

---

(182) سورة البقرة، الآية 276.
(183) انظر إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ج 2 ص 107.
(184) سورة الأعراف، الآية 143.

الجواب :

كل من ادعى رؤية الحق يقظة من غير الأنبياء فهو فتان مفتون، مرتد مغبون بخلاف من ادعاها مناما فهي جائزة، وأما في اليقظة فلا تكون لأحد من البشر. وقد اختلف في رؤية النبي (ﷺ) له تعالى، ومذهب الحق أنه لم يخرج من الدنيا حتى رآه، والحق سبحانه موجود، وكل موجود يصح أن يرى في الدنيا للنبي وفي الآخرة للمومنين، لأن الآخرة مبنية على خرق العوائد، فلا تمنع رؤيته فيها خلافا للمعتزلة(185) القائلين بعدم جوازها، فحرموا منها، وقد أداهم جهلهم المركب إلى الإنكار على أهل السنة القائلين بها من غير كيف.

أما قوله تعالى : (لن تراني) في مخاطبة موسى عليه السلام فقد حملها المفسرون على محامل منها أنه حادث، والحادث لا يقوى على رؤية القديم أو الخطاب له، والمراد غيره كأنه يقول : إن قومك يقولون أرنا الله جهرة، وأنت مع علمك بي لا تقدر على رؤيتي إن كشفت لك الحجاب فكيف بغيرك، مع أنه عليه السلام لولا تحققه بأن الحق يرى ما طلبها، فالأنبياء لا يطلبون من الحق إلا ما لا ينافي الأدب معه. فرؤية الحق غير مستحيلة في المنام في الدنيا، أما في اليقظة فلا تمكن، إلا في الآخرة(186). ولا يخفى أن سيدنا موسى عليه السلام يرى الحق في الآخرة، وقد قيل بأنه رآه بعد قوله لن تراني، فهو لم يره حالة الخطاب وقد رآه بعد ذلك، والله أعلم.

السؤال الثامن :

ما تقولون في عبيد هذا الزمان، فإنهم خرجوا عن ساداتهم لأجل النصارى، فما للسادات عليهم من سلطان، فهل ذلك ينسخ حكم عبوديتهم أم هو باق عليهم إلى يوم القيامة، وعليهم إثم لمخالفتهم ساداتهم؟

الجواب :

إن حكم الرقية في زماننا هذا لا يتنزل على هؤلاء العبيد الذين تحت قهر مواليهم لفقد شروط الملك في حقهم، وإنما غالب الشأن فيهم أنهم أبناء وبنات مسروقون من قبائلهم، مخطوفون من إخوانهم، يباعون على غير وجه شرعي، فعلى من ملكهم إثمهم وإثم من جلبهم إليهم، لأنهم يعينونهم على التفرقة بين الصبي والصبية عن أمهاتهم، ويدخلون الناس تحت قهر استعبادهم، وغالب المجلوبين من المملوكين غير داخلين في الرق ولا في حكم الرق، لعدم توفر

---

(185) المعتزلة : فرقة من علماء المسلمين رأوا في الدين آراء غير الآراء المتفق عليها. وإنما سموا المعتزلة لأنهم اعتزلوا أهل السنة.

(186) هذا بدليل قوله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة، وفي هذا المعنى قال الإمام الطبري : والصواب من القول في ذلك عندنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر، وكما ترون الشمس ليس دونها سحابة، فالمؤمنون يرونه، والكافرون عنه يومئذ محجوبون، كما قال جل ثناؤه : كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون.

أسباب الرقية في هذا الزمان طبق ما أشرنا إليه، ولذلك لا ينبغي التسري بالإماء في هذا الزمان، وربما يتأثر غالب أبناء أمهات الأولاد إذا قلنا فيهم أولاد شبيهة من نطفة حرام في حرام.

وقد وقعت الفتوى بذلك منذ زمان انقطاع الجهاد الشرعي(187)، ولم يبق اليوم إلا حكم التغلب والتسلط على المجاورين وعلى من لا قوة له، فإن القوة هي الناطقة بالإستيلاء، لا بالحكم الشرعي. وإذا تبين لك أنه لا رقية شرعية في وقتنا الحاضر تبين لك أن العبيد لا إثم عليهم في التنصل من تحت ملكية مستعبدهم، بل الإثم عليه في تملك ما لا يملك، فانسلاخ العبودية الآن عنهم ونسخ حكمها هو الحق الذي لا يمتري فيه إلا من يعين الظالمين على ظلمهم. والله يقول الحق وهو يهدي إلى السبيل(188).

السؤال التاسع :

ما وزن الدرهم الشرعي بدرهمنا الإنجليزي ؟، ونحن زعمنا أنه هو ثمن الدرهم الإنجليزي فهل الصواب أم لا ؟

الجواب :

إن وزن الدرهم الشرعي هو خمسون حبة وخمس حبة من مطلق الشعير، والدينار اثنان وسبعون حبة من مطلق الشعير وزنا، ويعتبر ثمن المسكوك من عين الذهب والفضة بما يساويه من المسكوك، فبالضرورة أن ثمن الإبرة الإنجليزية يساوي أكثر من قدرها من الذهب الخالص غير المسكوك من الفضة، فلا شك أنه يراعى إخراج الزكاة من نفس غير المسكوك منه بما يساويه من المسكوك، فيكون غير المسكوك من قبيل العرض المقوم يوم حلول الحول، لكون الصرف يزيد وينقص، وللمحتاط لدينه أن يعمل ما أمكنه على إخراج المسكوك من المسكوك، وغير المسكوك من نفس ما هو منه مملوك، ولا يحتاج في هذا إلى دليل لوضوحه.

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

أحمد سكيرج وفقه الله.

---

(187) الإسلام أباح الإسترقاق، ولكن قيده بشرطين، أحدهما : أن يكون بحرب شرعية، وثانيهما : أن يكون المحاربون من الكافرين، وألغت الشريعة الإسلامية جميع أنواع الاسترقاق التي كان معمولا بها في عصر الجاهلية، كالاسترقاق عن طريقة الإختطاف والقرصنة والقمع وما إلى ذلك.

(188) نظام الإسلام حملات واسعة النطاق للعمل على تحرير الأرقاء، وجعل هذا العمل من صميم الشعائر الدينية التي يمارسها المسلم تقربا إلى الله عز وجل، وذلك كالكفارات التي يكون عتق العبيد مجزيا فيها، ومال الزكاة الذي يرصد جزء منه لتحرير الرقاب، وقد حرر بالفعل من هذا السبيل في العالم الإسلامي ملايين الأرقاء، والنبي نفسه بلغ عدد ما حرره من خاصة مماليكه تسعة وثلاثين، إذ كان لا يدخل في ملكه رقيق إلا ويحرره، وهو عليه السلام كان قدوة الصحابة وسائر المسلمين، ويضاف إلى هذا تحريم الإسلام التحريم البات لكل معاملة غير إنسانية للرقيق، فحرم ضربه وتسخيره وإهانته، بل لقد ذهب إلى أبعد من ذلك فطالب مالكي الرقيق فيما يرغب فيه، بمساواته بأنفسهم في المأكل والملبس، وعدم إرهاقه بالعمل وتحميله ما لا يطيق.

LjdžY ǏŢþNj Ŷǫ LjDžǾþ ŧþɹIƨ ɹDžǾǿ ŧƑǾǁǫ LjقيƧǁǫ DžDž ƕǁƑƨþ
(1)ǏǤƑdžyǁǫ ɹDžǾDž ǎÚNjDž ƕIþǴǁǫ مقدDžǂǁ

حفظ الله بمنه محبنا في الله، الحاضر في قلبنا، وإن غاب شخصه عن أعيننا، البركة الأجل، الفقيه الأمثل، العارف بربه الشريف المنيف سيدي ومولاي محمد العنابي، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وتحياته وزكواته عن مدد سيدنا رضي الله عنه، وسر الواسطة العظمى(2) عليه السلام. وبعد فقد تشرفت بكتابك، ولذيذ خطابك أولا وثانيا وثالثا معلما بوصولك للمشرية، ومخبرا بما لديكم من الأشواق وصدق المحبة، ولا شك أن ذلك من أثر ما لدينا من ذلك.

فنحن إليكم مشتاقون، ولكم محبون، والله شهيد على ذلك، ونرجو من المولى أن ينفع بعضنا ببعض، ويأخذ بيد الجميع أخذ الكرام، ولقد كنا شافهناك بما لا يمكن أن يكتب في قرطاس، وأكدنا عليك بالثبات على الحالة التي أنت عليها باطمئنان قلب، مع تعلقك بالله فيما تحاوله وتتاوله، فاعلا الواسطة الأعظم سيدنا رضي الله عنه وسيلة للحجاب الأعظم عليه السلام في الأخذ بيدك، فإنك تجد بحول الله المقصود، وإن استحضار صورة الحبيب المحبوب (ﷺ) بالشوق التام والتلهف على رؤياه لموجب للحصول على المقصود، فلا تشغل نفسك بالتحسر على ما لم تحصله من المطالب التي تشغلك عن الله. وإن كانت في الظاهر من قبيل العبادة، فإن النفس لها ولوع بما فيه هلاكها، وإنك لعلى هدى ما دمت موفيا بالفرائض في أوقاتها، فاغتنم الوقت بأداء ما أنت مطلوب به فيه، ولا تهتم بالأخذ بيد الغير والإنفاق عليه، فإن التشوف لهذا الأمر حجاب وأي حجاب، فبالله لا يزال صاحبه واقفا بالباب، يدخل على يده الأحباب، وهو لم يعرف ما بداخل القباب، فالله الله أخي فيمن هذه حالته، فهو مثلي حظه الشهرة ولا طائل تحته، ولا فائدة عنده، يظن الناس به خيرا وهو على جانب كبير من الخطايا، فلو لم يتداركني المولى بالتوبة بل بالرحمة، بل بقولي لا إله إلا الله لهلكت، وعسى أن ينفعنا المولى بالإلتجاء لهذه الحضرة والتعلق بالجناب المحمدي، جعلني الله وإياكم من خاصة الخاصة عنده، وما ذلك على الله بعزيز.

---

(1) الفقيه البركة سيدي محمد بن أحمد بن العارف بربه سيدي بلقاسم العنابي التونسي كانت له بالعلامة سكيرج صداقة وطيدة متينة، وبينهما رسائل وأجوبة كثيرة.

(2) المقصود بالواسطة العظمى في هذه الرسالة هو العارف بالله الولي الصالح سيدي بلقاسم العنابي رضي الله تعالى عنه، وذلك لأن سيدنا الشيخ رضي الله عنه اتخذه واسطة بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم، بعد وفاة الواسطة المعظم سيدي محمد بن العربي الدمراوي، وذلك في عرض بعض المطالب والأسئلة والاستفسارات الوقتية، ويعود هذا لكون الشيخ التجاني رضي الله عنه عند ملاقاته للنبي صلى الله عليه وسلم يقع له لا يستطيع أن يطلب منه شيئا مشافهة، لشدة الحياء من جهة، ولاستغراقه في محاسن الجمال النبوي من جهة أخرى. وبقي الشريف البركة سيدي بلقاسم العنابي رضي الله عنه في هذه المكانة العظيمة المشرفة مدة ستة أشهر، ثم بعد ذلك أشار النبي (ﷺ) للشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه باستبداله بمؤلف جواهر المعاني، الخليفة الحاج علي حرازم برادة الفاسي، انظر رفع النقاب للعلامة سكيرج، ج 1 ص 238.

ولقد كنت أخبرتك أيها الأخ بما أنا عليه بوجه الحق، فلا تغرنك شقشقة لساني، ولكن ربما تجد نفعا بطي العبارة، وينفعنا الله بك كما انتفع المريد الذي لقنه شيخه الكذاب بأن يواظب على يا بصل، فانتخب بدلا(3) في مجمع الديوان لصدق نيته، وقد نصحتك والله إن وقفت مع ما أمرك الحق به ولازمت صلاة الفاتح لما أغلق، فهي أولى من كل ذكر إلا ما كان من ذكر لا إله إلا الله، فلازم هذين الذكرين ولا تلتفت لغيرهما، إلا ما كان من الذكر العزيز والتدبر عند تلاوته، والذي أؤكد به عليك عدم الإلتفات لاستخدام الغير من إنسي أو جني في مصالح نفسك، واتخذ لك حرفة تنفق من مدخولها، ولا تكن عالة على الناس فإن الناس يملون، وكثير من يأكل منهم دنياهم بدنيه، فيكون هو وعمله في ميزانهم، وعملهم معلول مردود غير مقبول منهم، فيخسر الآكل منهم الدنيا والدين، مع أن القليل من الدنيا يكفي.

والنفس إن رغبتها تبغي الغنا　　　ومتى ترد إلى قليل تقنع

ونسأل الله أن يغنينا وإياكم به عمن سواه، وأن لا يخرجنا من الدنيا حتى يذيقنا حلاوة المعرفة بالله، إنه على ذلك قدير، أما ما ذكرته لنا من صدق المحبة في جانبنا، فذلك أعده من نعم الله علي إذ أنعم علي بمن يحبنا لله، لا جعله الله آخر عهد بكم، ونحن على ما تعاهده منا، غير أن قيامك بذلك الوطن المبارك على ساق الجد في طاعة المولى والأخذ بيد المريدين والإخوان عائد بالنفع عليك وعليهم في الدارين، فلا تخرج عن وطنك حتى يحصل لك إذن خاص من أحد الخواص، واستفت قلبك في أمرك كله، ولا تحقرن أحدا من خلق الله في محلك أو محله، ولا تخرج عن طريقتك الأحمدية بالتعلق، فأهل الفتح الصادقون لا يقبلون ناقض عهد شيخه، ولا تلتفت لخواص الأذكار والأسماء فهي حجب مانعة من الوصول إلى الحضرة العلية، فاجتهد أن تكون عبدا مخلصا في العبادة والعبودية، ولا تصدق نفسك إن حدثتك بأنها مخلصة، فالمخلص دائما متهم لنفسه، ولذلك ما قطع أكباد العارفين بالله إلا الخوف من الموت على سوء الخاتمة عياذا بالله، لأنهم لا يأمنون المكر.

ثم إني أؤكد عليك بحسن الظن في الله، فإن الله يمنح العبد على قدر ما نواه فيه، ولذلك قال في الحديث القدسي : أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء، وأما ما ذكرته لنا من أنك متشوف للرجوع إلينا فمرحبا وأهلا وسهلا، ولكن سر الحب مع البعد المكاني، والقرب القلبي أنجح في نيل المقاصد لحجب الشخص وستر بشريته وظهور المزية الروحية فيه، وذلك لا يخفى عن مثلك، وإن كنت أتحقق منك الحب الصادق في حالتي القرب والبعد، ولا بعد في الحقيقة بين القلبين، مادامًا متفقين في المشرب بلامين، والله يؤيدنا وإياكم بروح منه، وأما ما يتعلق بما سألت عنه مما يرجع لسورة الإخلاص بعددها الخاص، فقد فاتني أن أذكر لك أن ذلك العدد يكون

---

(3) بدل : جمع أبدال، وحدة طبقة الأولياء في النظام الصوفي، ويرى بعض العلماء أن نظام العالم مكلف بحفظه عدد معين من الأولياء، إذا مات واحد منهم حل محله بدل أو بديل. ويفسر بعضهم البدل بأنه الشخص الذي له قدرة على أن يخلف بعده شخصا روحانيا عندما يترك مكانه، أو الشخص الذي له القدرة على التحول الروحاني. وقد اختلف القوم في عددهم، وأكثر الأقوال على أنهم سبعة.

صباحا ومساء كالورد اللازم، وبتقييد الصباح والمساء تعرف المقصود، وفيه غنية عن بسط الجواب عن تلك الأسئلة، وذلك لمن رام الحصول على المقام الذي هو منوط بها، ولكن ينبغي لمن لا يقدر على القيام بذلك العدد أن لا يحرم نفسه ولو بتجزئته على الأيام، وبيد الله التوفيق، مسلما على سيادة المقدم وكل من يسأل عنا، وبالله عليك إلا ما دعوت الله لنا طبق ما عاهدتنا عليه، ونحن على العهد نرعى الذمام، وعلى المحبة والسلام، وكتبه عن عجل خديم الحضرة التجانية عبد ربه ورهين كسبه، أحمد سكيرج أمنه الله بمنه(4).

و **للعلامة سكيرج رحمه الله هذه الرسالة القيمة المفيدة،** هي أجوبة محكمة عن ثمانية أسئلة بعثها لحضرته رضي الله عنه شريف العلماء وعالم السلاطين، الفقيه الحافظ المحدث السلطان مولانا عبد الحفيظ(5) بن مولانا الحسن الأول رحمه الله. وكان ذلك بتاريخ 5 ربيع الثاني عام 1353هـ موافق 18 يونيو 1934م.

---

(4) يتبين من خلال هاته الرسالة جزء من الدور الفعال الذي كان يبذله العلامة سكيرج في سبيل توجيه إخوانه من مريدي الطريقة الأحمدية التجانية، سواء بالمغرب أو بخارجه، حيث كان رحمه الله يسدي إليهم النصيحة، ويحثهم على التشبث بمكارم الأخلاق والصفات الحميدة، مع الظهور بالمظهر اللائق المناسب للشخصية الصوفية المتشبعة بروح التفاني والإخلاص، كما كان يوصيهم بالتمسك بالكتاب والسنة الصحيحة، لأنهما معا العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن حاد عنهما إلى غيرهما فهو على شفا حفرة من نار، ولا ينقذه منها إلا الرجوع الكامل التام لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

من هذا المنطلق كان العلامة سكيرج لا يتوانى في الإجابة على جميع الرسائل التي كانت تصله يوميا من دول مختلفة، كالسودان والسنغال ومصر والجزائر وغيرها من الدول الأخرى، وكانت إجاباته رحمه الله شافية كافية، وهذا شيء ملموس من خلال تناوله الدقيق لجميع فتاويهم وأسئلتهم المطروحة ولم تكن عنايته بهذه الأجوبة من باب الصدفة، بل كان هدفه إيصال الكلمة الصحيحة المبنية على الحق، ونبذ الأقاويل الباطلة المسمومة التي كان يدسها أعداء الدين بين الناس، خاصة ضعفة العقول منهم.

(5) شريف العلماء وعالم السلاطين، مولانا عبد الحفيظ بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمان العلوي، سلطان المغرب الأسبق، ولد بفاس سنة 1280هـ ونشأ وترعرع بقبيلة بني عامر (في الجنوب الغربي من مراكش) وهو من أكابر علماء وأدباء المغرب، بويع له بالحكم سنة 1325 هـ فقضى فيه خمس سنوات، ثم تنازل عن العرش لأخيه مولاي يوسف، وذلك بعد أن وقع معاهدة الحماية مرغما للفرنسيين عام 1330هـ، ثم بعد ذلك أقام بالمهجر بين فرنسا وإسبانيا إلى أن توفي بباريس بعد زوال يوم الأحد 22 محرم 1356هـ موافق 4 أبريل سنة 1937م، ونقل جثمانه الطاهر لبلاده المغرب، حيث احتفل بدفنه في مهرجان كبير، ورثاه عدد من الشعراء من ضمنهم العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

دمع أفاضته عيني بعدما جمدا ... ونار قلبي أثارت بعدما خمدا
الله في مهجتي فقد ألم بـهـا ... عن بغتة ألم وصبرها فقـدا

ولمولانا عبد الحفيظ رحمه الله تآليف كثيرة منها : الجواهر اللوامع في نظم جمع الجوامع، والعذب السلسبيل في حل ألفاظ خليل، وياقوتة الحكام في مسائل القضاء والأحكام، ونيل النجاح والفلاح في علم ما به القرآن لاح، وله في الطريقة الأحمدية التجانية عدة كتب منها : الجامعة

والأسئلة على حسب ترتيبها كما يلي :

1- شروط جوهرة الكمال في غير الورد اللازم للطريقة هل هي كالورد ؟

2- انتهاء ذكر الجمعة هل هو بعد الغروب أو قربه ؟

3- ما هو مستند من أفتى بثلاثمائة من الهيللة حصل الغروب أم لم يحصل ؟

4- هل ورد نص عن سيدنا رضي الله عنه أو عن أحد الكبراء المشهود لهم بالفتح الأكبر بما يدل على ذلك ؟

5- ما مرتبة سيدي محمود في الولاية، وكم عمره وتاريخ وفاته، مع مرتبة والده مولانا البشير في الولاية وعمره وتاريخ وفاته ؟

6- المال الذي يأخذه المقدم من التلاميذ الذين أخذوا الورد عن غيره، هل هو له أم لأولاد سيدنا رضي الله عنه وزواياه ؟ وما حكم الله في المقدم الذي يأخذ الأجرة على التقديم، وكذلك المقدم الذي يبيع التقديم تصريحا أو تلويحا، هل يعد تجانيا أم لا؟

7- ما حكم الله في المقدم الذي يقول لأحد الفقراء لست بتجاني إذا استوفى منه حقه، أو طلبه برد ما استودعه أو أقرضه ؟

8- ما حكم الله في البيع الذي يقع بين الفقراء في الشمع والزيت ونحوه بالثمن المعروف ؟ وهل وقع ذلك في زمن سيدنا أو زمن خلفائه المشهود لهم بالفتح الأكبر؟ وهل المال الحاصل من ذلك البيع للفقراء أو لأولاد الشيخ وزواياه ؟ وهل المقدم المستبد بذلك يعد تجانيا أم لا ؟ وكذلك ما يقع من بعض المقدمين من الفرض على الفقراء، وشراء ما جمعه منهم لحما وزيتا، ودعائه للإجتماع عليه يوما أو يومين ؟

أما جواب السؤال الأول عن شروط جوهرة الكمال(6) في غير الورد اللازم للطريقة هل هي كالورد، فإنه قد تقرر أن لجوهرة الكمال خاصية ليست في غيرها، ومن أراد نيل تلك الخاصية بعد الإذن له فيها ممن عنده الإذن الصحيح فلا بد له من مراعاة شروطها التي منها

العرفانية في شروط وجل فضائل أهل الطريقة التجانية، انظر ترجمته في الدرر الفاخرة لابن سيدان ص 118 وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 277.

(6) جوهرة الكمال في مدح سيد الرجال : تصلية على النبي صلى الله عليه وسلم، يذكرها الفقراء التجانيون عند الوظيفة المعلومة 12 مرة، وتشترط فيها الطهارة المائية ونظافة المكان واتساعه لستة أشخاص ، والخاصية في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم يحضر عند قارئها ما دام يذكرها، وفي حالة عذر التيمم يستبدل الذاكر عوضها في الوظيفة 20 من صلاة الفاتح لما أغلق.

الطهارة المائية الكاملة، وإلا كانت تلاوتها كتلاوة غيرها من غير تحصيل لخاصيتها، ولما لهذه الصلاة من السر الأعظم والمرتبة المنيفة لا ينبغي أن تقرأ أكثر من ثلاث مرات بلا طهارة مائية، لا في الوظيفة ولا في غيرها، مثل من أراد أن يذكرها بدلا عن الفاتح(7) في الورد اللازم، فلا بد له من مراعاة شروطها خشية هجوم السر على ذاكرها وهو على غير وضوء تام اشترط فيها، ولا عبرة بمن ينتقد اشتراط الطهارة المائية فيها، لأن ذلك لخواص عند الخواص لا تنال إلا بما اشترط فيها، فإذا حصل الشرط حصل المشروط لا محالة وإن لم يشعر به ذاكره، وإلا تضرر الذاكر، كما يقع لكثير ممن يذكر الأسماء بدون شروطها لتحصيل خواصها، ولا عبرة بمن ينكر الخواص، فإن الكلام مع المصدقين، وإن سر الله في صدق الطلب.

ولقد حدثني سيدي ومولاي العارف بربه السمي السامي سيدي أحمد العبدلاوي(8) رضي الله عنه أن بعض إخواننا ممن كان بقالا يبيع الزيت والسمن والصابون ونحو ذلك، جاء مرة وهو يرجف فؤاده، وأخبره بأنه كان يقرأ الوظيفة داخل حانوته في محل أعده لذلك، فبينما هو يذكرها في اليوم الذي أخبره فيه إذ هو بالحضرة المحمدية عليها السلام مع الخلفاء الأربع رضوان الله عليهم، رآهم حضروا لديه، وأبو بكر رضي الله عنه يقول له : أما تستحي أن يحضر لديك النبي صلى الله عليه وسلم كل يوم بهذا المحل الغير النظيف، فحصل له بذلك دهش عظيم، وخشي على نفسه مما نزل به، فصار شيخنا المذكور يسكن روعته، وقال له لا بأس إن شاء الله. فذهب الأخ المذكور إلى محله وأصابته الحمى، وتوفي بعد ثلاثة أيام رحمه الله. فهذا الرجل مع طهارته المائية فرط في بقية شروط الجوهرة فنزل به ما نزل. من أجل ذلك ينبغي أن لا تذكر جوهرة الكمال إلا بشروطها، لا في الوظيفة ولا في غيرها.

وقد كنت سألت شيخنا المذكور عن تلاوتها للحفظ لمن لم يكن يحفظها هل تشترط عليه الطهارة المائية ؟ فقال لي : إن لم يتجاوز تلاوتها ثلاث مرات، وإلا فلا بد من الطهارة حتى في حق من لم يكن من أهل الطريقة. وقد اجتمعت ببعض المقدمين ممن يرى الأمر سهلا في تلاوتها أكثر من ثلاث مرات لدا تكرارها لحفظ ألفاظها، وتحذير شيخنا المذكور أرقى وأنقى، لكون السر ربما يهجم على تاليها من غير استعداد لتلقيه. ولهذه النكتة لا ينبغي ذكر الأذكار إلا بإذن ممن له الإذن فيها، ليبين شروطها للمأذون له، والله أعلم.

وأما جواب السؤال الثاني عن انتهاء ذكر الجمعة(9) هل هو بعد الغروب أو قربه ؟ فمن المقرر في فقه الطريقة أنه يشرع فيه قبل الغروب بساعة و نصف ساعة زمانية، أو بساعة،

---

(7) من صيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ونصها : اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

(8) سبق التعريف به في هذا المؤلف ج 1 ص 27.

(9) ذكر الجمعة : هو الاجتماع على ذكر الكلمة المشرفة بعد صلاة عصر يوم الجمعة. ومن الأولى والأفضل أن يشرع فيه قبل الغروب بساعة زمانية، وذلك ليكون ختامه عند أذان صلاة المغرب، وعليه كان عمل سيدنا الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه، وذكر الجمعة ركن من أركان

ويمتد للغروب. وما أدركه الذاكر في الجماعة يكفيه ولو أدرك هيللة واحدة، ومن تأخر عن الحضور يفوته خير كثير. وانتهاء ذكر الجمعة يكون بمجرد دخول وقت الصلاة. فإذا وجبت الصلاة انتهى الذكر، لأن الصلاة أهم. ولربما نزل بالذاكر المشتغل بالذكر عن الصلاة ما يشغله عن الفوز بالصلاة فيعد متوانيا متهاونا، وأمر طريقتنا الحزم كل الحزم في اغتنام الصلاة في أول وقتها جماعة. ولا ينبغي للجماعة أن يختموا الذكر قبل دخول وقت الصلاة إلا لعذر.

ومن المعلوم أن الجماعة في الذكر بعد صلاة عصر الجمعة غير محصور في عدد، إلا أنه قد أحدث في هذه الأزمنة الأخيرة ذكر الجماعة بعد قراءة الوظيفة عدد 1000 فاكثر، ويخرجون من الزاوية، وهذا لم يكن عليه عمل الشيخ ولا الخاصة من أصحابه(10)، فالأولى الذكر جماعة من قبل الغروب إلى حضور الصلاة، اللهم إلا لعذر فيقرأ المريد العدد المنوط به، وهو ألف، أو اثنتي عشرة مائة، أو ستة عشرة مائة، أو ألفين لا غير، ولا يحرم نفسه من ذكر ولو هيللة واحدة قبل الغروب إن كان ذا عذر، بل له أن يذكر وهو على غير طهارة إذا ضاق الوقت عليه خشية خروجه إن اشتغل بالوضوء، وربما ينكر هذا من لم يتلقاه عن خواص الطريقة، وبالله التوفيق.

وأما جواب السؤال الثالث عن مستند من أفتى بثلاثمائة من الهيللة حصل الغروب أو لم يحصل. فالجواب عنه أن هذا العدد لم يعمل عليه الشيخ ولا خواص الآخذين(11) عنه، وإنما عمل به بعض المقدمين الذين ينظرون لأحوال الإخوان بما يظهر لهم، ولا أتسارع إلى القول بخطئهم في ذلك، فإن القدر المطلوب من الجماعة غير محصور في عدد. والقدر المطلوب من المنفرد إما ألف، أو اثنتا عشرة مائة، أو ستة عشرة مائة، أو ألفان، لا زائد على ذلك فيما رويناه وحفظناه بالتقييد عن العارفين بفقه الطريقة. ويشبه حال من خفف للجماعة في العدد المذكور حال من يعطي الورد لطالبه مختصرا في عشرة من الإستغفار وعشرة من الفاتح وعشرة من الهيللة، وهو في هذا الأمر إن قصد به الدخول في الطريقة من المتلاعبين، فإن لقن ذلك لغير المريد بقصد التبرك فلا بأس، سواء زاد أو نقص في عدد صلاة الفاتح، لقول سيدنا رضي الله عنه : لقنوا الناس صلاة الفاتح لما أغلق ليموتوا على الإيمان. والكلام منا في هذا في غير المفتوح عليهم، وإلا فهم أدرى بما أمروا به، غير أن الآخذ عنهم لا يسمى مريدا تجانيا إن نقص الورد اللازم والذكر اللازم في الطريقة. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الطريقة الأحمدية التجانية، انظر بغية المستفيد لسيدي محمد العربي بن السائح ص 362، وانظر الرماح لسيدي عمر الفوتي ج 1 ص 230.

(10) مسألة ذكر الهيللة عقب الوظيفة مباشرة بعد عصر الجمعة هي من المحدثات التي أحدثها بعض الإخوان في بعض الزوايا، وذلك نظرا للرخصة والتخفيف، والذي كان عليه عمل الشيخ رضي الله عنه هو الأصل الذي لا زال يعمل به في زاويته الميمونة الكبرى بفاس، حيث لا يشرع في ذكر الهيللة إلا قبل الغروب بما يقرب ساعة زمانية، وبذلك يكون ختامها متصلا بأذان صلاة المغرب.

(11) اعترض النزول تحت عدد الألف في الهيللة جماعة من أكابر علماء الطريقة التجانية، وذلك لكونه مخالفا لعمل الشيخ رضي الله عنه، وأثبت في هذا المجال عن الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح أنه قال : لا أقل من الألف.

وأما جواب السؤال الرابع عن ورود نص عن سيدنا رضي الله عنه، أو عن أحد الكبراء المشهود لهم بالفتح الأكبر بما يدل على ذلك، فالجواب عنه أنه لا علم لنا بذلك إلا ما بلغنا عن البركة المحترم المقدم النظيفي(12)، وشاع عند بعض إخواننا من أهل سوس والقطر السنغالي من أهل السودان، والله أعلم بما استندوا عليه، وأنا لا أعمل به إلا لعذر، وصاحب العذر له حكم يخصه ولا يعم غيره كما هو معلوم.

وأما جواب السؤال الخامس عن مرتبة سيدي محمود(13) في الولاية وعن عمره وتاريخ وفاته، وكذلك مرتبة مولانا البشير وتاريخ وفاته، فإن سيدنا محمود رحمه الله ازداد في أواخر القرن الماضي، وكان ملامتيا في الطريقة، وأحوال الملامتية لا توزن بميزان، ولا يمكن الإطلاع على المرتبة التي يتمكن فيها الملامتي إلا بكشف من الباحث عنها، ولا يوجد قطب غير سالك البتة، لأن قدم القطب على قدم النبي الموروث، وهم عليهم السلام غير ملامتية. وبذلك نبرهن على أن الخضر عليه السلام ليس بنبي لتمكينه بمقام الملامتية الأكبر، ولولا أن الحق سبحانه سوغ للنبي موسى عليه السلام بمصاحبته ما أفلح أبدا من صاحب الملامتية، لكون مصاحبهم إما أن يعمل بعملهم ولا إذن له في ذلك من حضرة الإلهام(14)، وإما أن ينكر عليهم فلا ينتفع بتحصيله على مقام، وإما أن يصاب بجذب يخرج به من دائرة التكليف، ونحو ذلك مما لا يحصل للسالكين الذين قدمهم على قدم الأنبياء عليهم السلام.

ولقد شاهدنا من أحوال مولانا محمود رحمة الله عليه ما لا يصبر عليه إلا من استسلم وسلم لأهل الله في أحوالهم، ولتحققي بمقامه في أول ملاقاتي معه حيث طلب مني السفر معه في تجواله بالإيالة المغربية والوصول إلى الأصقاع السوسية سنة 1329هـ لم أعجل بالسفر معه حتى اتخذت احتياطات لنفسي، فقلت له : يا سيدي إني لا أقدر على السفر معكم إلا بشروط تكون بمحضر الشيخ رضي الله عنه في الزاوية المباركة بفاس، فقال عليه العمل، فحضرنا بين العشاءين في الزاوية، والإخوان يقرؤون الوظيفة، فدخل لضريح الشيخ رضي الله عنه بالمحل الذي لا يدخل إليه الزائرون ولا غيرهم، واستدعاني للجلوس معه هناك، فتبركنا بذلك المحل، ودعا لي بما أرجو من المولى قبوله، وقال لي : ما هي الشروط ؟ فقلت : يا سيدي أول شرط هو الضمان لي من مرتبتك أن لا تحافيني إذا أسأت الأدب عليها بعمد وبغير عمد، وأرجو من الحق تعالى أن لا أتعمد شيئا من الإساءة، فقال لي : أنا ضامن لك ذلك، وهذا الشيخ بيننا شاهد، ففرحت بذلك،ثم قال لي : ثم ماذا، فقلت له : يا سيدي إني ألتزم بحضرة الشيخ أن لا أطمع في شيء مما

---

(12) سبق التعريف به في ج 1 ص 106 من هذا التأليف.
(13) سبق التعريف به في ج 1 ص 17 من هذا التأليف.
(14) الإلهام خاص بأولياء الله تعالى، لأن قلوبهم قد طهرت واستعدت لذلك، والإلهام يختلف عن العلم العقلي، فهو لا يكتسب بالتأمل والنظر، ولكنه ينزل فجأة على الملهم من غير أن يعرف كيف نزل عليه ومتى ولماذا، فهو فيض من الله، ويختلف عن الوحي في أن الملك الذي يأتي بالوحي قد يراه النبي، وأن الوحي يأتي برسالة يجب أن تبلغ للناس كافة، في حين أن الإلهام يكون لإرشاد الملهم فقط، ويختلف الإلهام عن الوسواس في المصدر، فالأول صادر عن الملك، والثاني عن الشيطان، كما يختلف كذلك في الموضوع اختلاف الخير عن الشر.

يكرمك به الإخوان، وأعاهدك أن لا أخونك في شيء، ولكن حيث كنت مطالبا بنفقة الأهل ولا بد أن أترك لهم أو أوجه لهم ما يكفي خصاصتهم، فنرجو أن لا يطمع أحد فيما يكرمني به الإخوان الذين هم كثيرون ممن سنجتمع بهم إذا خصصوني به، فقال لي : هذا مضمون لك وأزيدك راتبا يوميا، قلت له لا أريد غير ذلك من غير تشوف مني لما في أيديهم، ولكني أتحقق بأنهم سيكرمونني، فقال لي : وعليه العمل، ثم قلت له : لا بد من خاتمة هذين الشرطين، وذلك أن يلتزم لي سيدنا بالمساعدة على الرجوع إذا أردته، ولا يمنعني من ذلك إذا عرض لي موجبه، فصعب عليه هذا، ثم ساعدني على ذلك فسافرت معه من فاس إلى الرباط، وكانت مدة مرافقته أربعة أشهر(15).

ولما عزم على الإرتحال من رباط الفتح وقع بيني وبين صهره الحاج محمد دادي ما أوجب علي العمل بالشرط الأخير، خشية تفاقم الأمر معه بما نصحت لسيدنا محمود، فتساءل الناس عن موجب رجوعي لفاس، فأشاع بينهم بأن سيدنا محمودا حصل له كشف بأني أصلي به بغير وضوء، فاستبدلني بالغير، وأمرني بالرجوع إلى فاس، كما أخبرني بذلك جماعة ظهر لهم سر الله في تبري سيدنا محمود من دادي المذكور، وكتب رضي الله عنه به إلى مقدمي الزاوايا بالمغرب، وما عرفوا سبب ذلك، إلا ما تحقق به بعض المقدمين من أن إذايته لي هي الموجبة لذلك، ومن اللطائف الأدبية التي حصلت بيني وبين السيد دادي المذكور، أنه كان في جمع من الأدباء، فأراد أن يتفكه بأدبية يضحك بها الجمع، فقال لي : يا فلان بحق الشيخ عليك إلا ما هجوتني، فقلت له : إن الهجاء موكل بالمنطق، فمالك ولهذا، فقال : لا بد من ذلك، فقلت له : ورد في الحديث : ما أنا من ددي ولا ددي مني، وكفاك صدقه عليك، فاستعظم الأمر، وطالما استرضاني بعدها، إلى أن شد الرحلة إلي رحمة الله عليه وأنا مقيم بالرباط أواخر عام 1331هـ وطلب مني المسامحة، فقلت له : كل شيء تسمح نفسي فيه إلا كوني أصلي بلا وضوء فقد صعب علي الأمر فيه، فأقسم بما صدقته فيه بأنه لم يصدر منه ذلك، وإنما الحسدة هم الذين أشاعوا ذلك، وكان السيد دادي المذكور ممن يأخذ بمجامع القلوب بحلاوة كلام وسحر حلال، وقد حقق الله الكرامة بمسامحتي له برضاء سيدنا محمود عنه بعد ذلك، ولله في خلقه شؤون، والحمد لله وحده.

وأما سيدنا البشير رضي الله عنه فقد توفي في شهر رجب عام 1329هـ ولم أستحضر الآن تاريخ ولادته(16) إلا أنه كان يحدثني محل الأخ الملامتي سيدي محمد العبدلاوي(17) أنه

---

(15) دامت هذه الرحلة أربعة أشهر كاملة وقد دونها العلامة الفقيه الحاج أحمد سكيرج في كتاب قيم سماه : غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود، وهو تصنيف فريد من نوعه، جمع فيه مصنفه الأدب بالتاريخ والجغرافية والسيرة والحديث والبلاغة. انظره ضمن هذا المجموع ج 2 ص 29-186.

(16) سيدي محمد البشير بن سيدي محمد الحبيب بن الشيخ التجاني رضي الله عنه، ولد عام 1262 هـ، وتوفي عام 1329هـ، وكان عمره عند وفاته 67 سنة، والثابت عندنا أنه لم يغادر المغرب طيلة حياته، وذلك بسبب ظروف قاهرة حالت دون ذلك. وقد رثاه العلامة سكيرج بقصيدة طويلة قال في مطلعها :

علام دموع العين تذرفها ذرفا ولم تك معتادا على جزع رجفا

(17) سبق التعريف به في ج1 ص 47 من هذا المؤلف.

يقارنه في السن، وتربى معه كما تربى والده العارف بالله شيخنا سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رحمة الله عليه مع والده سيدي محمد الحبيب. ومقام سيدي البشير رضي الله عنه بالمرتبة المتمكنة من الملامتية، وهكذا غالب مراتب أولاد سيدنا رضي الله عنه، لأنهم في مقام الإجتباء الخاص، ولا يسلم ما يصدر منهم إلا الخواص، فالله يبقى حرمتهم وينفعنا بهم آمين.

وأما جواب السؤال السادس عن المال الذي يأخذه المقدم من التلاميذ الذين أخذوا الورد من غيره هل هو له أو لأولاد الشيخ رضي الله عنه وزواياه ؟(18) فنقول المدار على نية المأخوذ منه، والعمل عليها متحتم، ومن استولى على شيء مما قصد به غيره فهو في حكم الخاطف الغاصب السارق المعتدي على حق غيره، فلا خير له فيه، والمتعين عليه أن يدفعه لربه، ولا يقبله إن علم من نفسه أنه لا يوصله إليه. كما أن المريد الصادق لا ينبغي أن يجعل واسطة في إكرام غيره إلا من علم منه أنه أمين، حتى لا يعين الشيطان على الواسطة الذي يستولي على ما أمنه عليه، لا في حق أولاد الشيخ ولا في حق الزاوية الراجع أمرها إليهم، فإن العمل جرى على أن الصدقات المرفوعة للصالحين يأخذها أولادهم، كما قال ناظم عمل فاس - ولبنيهم صدقات الصالحين -(19) نعم إذا علم المرفوع له شيء أنه إكرام له على أي وجه كان فهو له، إلا إذا عرف أن الوجه الذي أكرم من أجله ليس فيه شيء منه، حتى لا يأكل الدنيا بالدين، وربما ساغ له ذلك على وجه الإعانة له أو لأخيه في الطريقة ونحو ذلك، أو خاف انكسار خاطر من دفع له ذلك، فللنية هنا مسوغات، وهذا كله في حق غير المفتوح عليهم، أما الملامتية في الطريق فهم أدرى بأحوال أنفسهم في التصرف فيما يأخذون ممن أخذوا عنهم الورد وغير الآخذ عنهم، كما أن الحكم المذكور متساو في حق المقدم المأخوذ عنه وغير المأخوذ عنه، فما يأخذه من مريديه وتلامذته مثل ما يأخذه ممن لم يأخذوا عنه، فالمدار فيه على نية المعطي، وربما اعتبرت هنا نية الآخذ، إلا أن الأولى للمرفوع له أن يسأل الدافع عما دفعه لمن يدفع هذا المال ؟ أما حكم الله في المقدم الذي يأخذ الأجرة على التقديم بمعنى أنه لا يجلس بين الإخوان لتلقين الأوراد لطالبيها إلا بشرط أن يدفعوا له أجرة على ذلك، فحكم هذا حكم آخذ الأجرة على الإمامة، وقد استنكف الشيخ رضي الله عنه من أخذها(20)، فالأولى أن لا يشترط أجرة، فإن كان ضعيفا لا حرفة له، ولا يجد

---

(18) توسع العلامة الفقيه الحاج أحمد سكيرج في الحديث حول هذا الموضوع ضمن كتابه المسمى : اليواقيت الأحمدية العرفانية، واللطائف الربانية، في الأجوبة عن بعض الأسئلة في الطريقة التجانية، ص 119 ومما قال فيه : اعلم أن العمل بالزاوية المباركة التي بها ضريح سيدنا رضي الله عنه، جرت عادة العمل على توجيه ما توفر بها لأولاد الشيخ رضي الله عنه، إلا ما كان معينا من أحد الزائرين لاستعماله في خصوص شيء من الإصلاحات المنوطة بها ونحو ذلك فيها ...

(19) تتمة البيت :

ولبنيهم صدقات الصالحين   ثم لمحتاج بذاك يستعين

(20) قال الشيخ أبو العباس التجاني رضي الله عنه : بعض الأئمة كان يأخذ الأجرة على الصلاة ويتصدق بها، فلما توفي وجاءه ملكا السؤال ارتج به الموقف، ولم يلهم الحجة، حتى جاءت عليه شفقة عظيمة، ثم بعد ذلك أتاه رجل في صورة حسنة، فلقنه الجواب، فلما ذهب الملكان سأله بالله من أنت ؟ فقال له أنا عملك الصالح، فقال له : وأين كنت عني ؟ فقال : كنت تأخذ الأجرة على الإمامة، فقال : والله عمري ما أكلتها، وإنما كنت أتصدق بها، فقال له : لو أكلتها ما رأيتني قط. انظر الإفادة الأحمدية لسيدي الطيب السفياني، باب حرف الباء، وانظر كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 178.

فراغا للتكسب نظرا لقيامه بأمور إخوانه فلا بأس إن شاء الله، لأنها من الإعانة على القيام بنفع العباد.

وقد شاهدنا كثيرا من أفاضل المقدمين يقبلون الهدايا ولا يردونها، وفي قبولهم لها إدخال سرور عظيم على مهديها لهم. ومن العجب من بعضهم أنه في غنى عنها، ومع ذلك يظهر الفرح العظيم بها ليزداد بذلك فرح المهدي، وفي ذلك أسرار باطنية يتحقق بها المهدي والمهدى له، ولقد قال بعض العارفين : وزنت من جاءني بشيء مع من لم يجئ بشيء، فوجدت نفسي مع من جاءني ومعه شيء، وأما المقدم الذي يبيع التقديم تصريحا أو تلويحا هل يعد تجانيا أو لا ؟ فإني سمعت مرارا من شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه يقول : لو يعلم الناس ما في التقديم من عظيم المنقبة لاشتروه وبذلوا فيه النفس والنفيس، وسمعته مرة يقول : جاء بعضهم إلى بعض المفتوح عليهم من المقدمين في هذا الطريق يطلب التقديم. فقال : والله لا أقدمك حتى تعطيني أربعين ريالا. وكان شخص آخر من المفتوح عليهم لا يقدم أحدا لم يعطيه شيئا، ويقول لمن حضره : من أراد منكم التقديم فليشتريه مني، وإني أحمل هؤلاء السادة على حال الملامتية في الطريقة، وممن يريدون اختبار الصادقين في المراد، فإن المعيار الذي يتميز به البهرج(21) من الجيد هو الدرهم.

ولله در الحشاش حيث كان يشير إلى الدينار بضم رأس سبابة يمناه لأنمولة إبهامها، ويحرك يده يمينا وشمالا وينشد (تضيق بنا الدنيا إذا غبتموا عنا)، فلا يبذله الشخص عنده إلا فيما هو أعز منه، مما يدل على صدق طلبه، ومتى حصل صدق الطلب حصل المطلوب، ولهذا تجد بعض الشيوخ رضوان الله عليهم يلزمون مريديهم عن الخروج لهم عما يملكون، وذلك من الإمتحان الذي يثقل على النفوس تحمله، ربنا لا تمتحنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، والحاصل أن المقدم الذي يفعل هذا على خطر عظيم في سلوكه، كما أن المخالط له على خطر إن انتقد عليه، والأولى بالمريد التسليم له فيما يريد، وعلى الأقل أن يباعد نفسه ولا يطلب منه تقديما، بل ولا يقبل منه التقديم، ويكفيه أن يكون مريدا بحضرته، وأما هذا المقدم في خاصة نفسه فهو بصيرة على نفسه، وإن الأمر في طريقتنا جد ليس بالهزل، وقد بسطنا القول في هذا الموضوع في الكلام على المقدمين في الكوكب الوهاج(22) وتأليفنا نور السراج في شرح إضاءة الداج(23) وغيرهما، وبينا أحوال المدعين منهم في تأليفنا جناية المنتسب(24) بما فيه غنى للطالبين المعتقدين، ورغما لأنوف المنتقدين، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

---

(21) البهرج : الرديء.

(22) انظر الكوكب الوهاج لتوضيح المنهاج في شرح درة التاج وعجالة المحتاج في فقه الطريقة التجانية، للعلامة الحاج أحمد سكيرج. ص

(23) انظر نور السراج في شرح إضاءة الداج، للعلامة الحاج أحمد سكيرج ص 52.

(24) انظر جناية المنتسب العاني بما نسبه بالكذب للشيخ التجاني للعلامة الحاج أحمد سكيرج ج 1 ص 25 ص 32 ص 35.

وأما جواب السؤال السابع عن حكم الله في المقدم الذي يقول للفقير لست بتجاني إذا استوفى منه حقه، أو طلبه برد ما استودعه أو أقرضه. فنقول لا حكم لأحد بعد حكم الله في كل شيء، فطالب الحق المظلوم فيه شرعا، أو المقضي له به شرعا لا يضره مثل هذا التهديد من المقدمين الذين هم مثل هذا المقدم الذي يحتاج في ورده للتجديد، فضلا عن التقديم الذي ينقطع عنه بأدنى طمع فيما في يد إخوانه، لأن طمعه يؤدي به إلى الإنقطاع بتصدره في مقام يقضي بإطلاق الألسنة فيه من المريدين وغيرهم. وينجر إلى إذاية الإخوان التي فيها إذاية الرسول عليه السلام. لقوله للشيخ قدس سره : قل لأصحابك لا يؤذي بعضهم بعضا فإنه يؤذيني ما يؤذيهم(25)، ولا أعظم من إذاية الرسول في الإنقطاع، واقبح بها من خصلة اتصف بها كثير من المقدمين الذين يتصدرون في الزوايا، وأكثرهم جهلة أو أصحاب أطماع في إتحافهم بما له يستحقوه.

فلا يخشى المريد صاحب الحق مما خوفه به أو هدده، إلا أنه ينبغي له أن لا يتجاسر بعد طلب حقه، أو استيفائه من المطالب به عليه بإطلاق لسانه فيه أو إذايته، لكون هذا المقدم ربما كان ملامتيا يرى ما لا يراه ذلك المريد فيما تعدى عليه فيه، مما به يحمله عنه أو يدافع عنه به شرا ينزل عليه، فلذلك يسامح في حقه كثير من الإخوان ذوي البصائر بأحوال أهل الفتح التي لا تنحصر في حال ولا توزن بميزان. فمن عفا وأصلح فأجره على الله، ومن استوفى حقه بالشرع فقد قام بأمر لا يلومه عليه أهل الله، ولكنه هو صاحب رعونة نفس يحتاج فيها لطب روحاني لتكون فيه قابلية للمسامحة لذوي المراتب في الطريقة، وغالب أحوال مثل هذا المقدم إذا لم يكن ملامتيا أن يكون دعيا في الطريقة، لا تقديم لديه من ذوي الصدق بين أهل التصديق، والله المرجو أن يلهمنا رشدنا ويتوب علينا بمنه.

وأما جواب السؤال الثامن حول حكم الله في البيع الذي يقع بين الفقراء في الشمع والزيت ونحوه بالثمن المعروف(26). فنقول لا بأس به كما أفتى به سيدنا رضي الله عنه، ففي الإفادة الأحمدية من قوله رضي الله عنه : لا بأس بالبيع الذي يقع بين الفقراء إذا كان بإذن شيح كامل. والشرط الذي هو الإذن هنا موجود بالنوع، فإنه قد وقع بمحضر الشيخ رضي الله عنه بيع في مثل ذلك ولم ينكره، وإنما قبله المشتري على إخلاص النية، فقال رضي الله عنه كما في الإفادة : لا تتمنى على الله شيئا، وذا قاله لبعض الأصحاب اشترى شيئا من الفقراء مما يبيعونه بينهم بنية قضاء حوائجهم، فلما أراد أن يأكله قال له رضي الله عنه : لا تتمنى شيئا، ليكون شراؤه غير معلول(27).

---

(25) انظر بغية المستفيد لسيدي محمد العربي بن السائح ص 281.

(26) للمزيد من التوضيح في هذا الموضوع يحال الطالب على كتاب اليواقيت الأحمدية العرفانية للعلامة الحاج سكيرج ص 118. فقد وضع عليه فيه نص السؤال، وكان جوابه رحمه الله شافيا كافيا.

(27) انظر الإفادة الأحمدية للعارف بالله سيدي الطيب السفياني، باب حرف اللام.

وبلغني عنه رضي الله عنه أنه كان حاضرا على مائدة يأكل مع جماعة من أصحابه، فرفع أحدهم لقمة من الطعام من المحل الذي يأكل منه الشيخ بنية التبرك، فقبض بعضهم على يده وقال علي بمثقال، فقال الشيخ رضي الله عنه : اعطه الله يربحه، فالبيع الواقع بمحضر الشيوخ مع إخلاص النية سائغ، وأنت تراه وقع في زمن الشيخ رضي الله عنه وفي زمن أصحابه المفتوح عليهم أيضا، ولا زال ذلك يقع بين أصحابه في الزاوية وغيرها، والمقصود بذلك التبرك، ثم ما يشترى على وجه لطيف من البيع والشراء، وأحل الله البيع إلا ما عارضه مانع من ربا، ونحوه مما يحرم بيعه ويمنع منه المشتري لفساد نية ونحو ذلك. فإنه جاء شخص إلى الشيخ رضي الله عنه ووضع بين يديه موزونة فقبلها، ووضع آخر بين يديه أربعين ريال فقال له : ارفع يا أخي دراهمك فأنا لا أبيع الأولاد، وكان ذلك في نيته فلم يقبل منه(28). ووقعت مثل هذه القضية للعارف الكبير سيدي أحمد بن عبد الله معن(29) كما ذكره صاحب المقصد الأحمد.

وأما الدراهم المتحصلة من ذلك فإنها تصرف في الوجه الذي بيعت من أجله على حسب نية الجمع الذي أقيم سوق ذلك البيع بمحضرهم، فتارة يكون لإعانة أخ حاضر معهم أو غائب، وتارة يكون لإنشاء شيء في الزاوية، أو لتوجيهه لأولاد الشيخ رضي الله عنه ونحو ذلك. فالمدار على نيتهم مع نية صاحب ذلك الشيء المبيع، فيصرف في الوجه المراد به، وإن كان الزيت والشمع ونحوهما الغالب فيه قصد الإنارة به في الزاوية، فلكثرته لا يصرف في مصرفه، بل يباع ويصرف في منافع قد يرضى بها مهديه إذا أعلم به، فيقول لمن أعلمه بذلك أنت أدرى، ولكم النظر في صرفه في الوجه الذي تريدون، فلا بأس حينئذ ببيع ذلك بين الإخوان، وقد يحضر غيرهم معهم فتكون له نية صالحة فيزاحمهم في شراء ذلك، والأعمال بالنيات، وبالله التوفيق، وأما المقدم المستبد بذلك فيكفيه ما بلغنا عن الشيخ رضي الله عنه من قوله : من أخذ لنا شيئا فذلك حظه منا، وبلغنا عنه أنه كان يقول : من أخذ لنا إبرة ضاع له المخيط(30)، يعني من أخذ لنا شيئا قليلا ضاع له الشيء الكثير، كناية على عدم انتفاعه بما أخذه، فالمستبد بأمور الزاوية لخاصة نفسه، والآخذ ما يهدى لها أو لعموم الإخوان، أو للشيخ رضي الله عنه، أو لأولاده، إن لم يكن له إذن خاص بذلك فهو على خطر عظيم، وربما تسبب له ذلك في الإنقطاع وإن كان يعد تجانيا، وعلى كل حال فهو قد تعدى طوره بما استبد به من ذلك، فيتعين عليه أن يتدارك نفسه

---

(28) انظر كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 506 ترجمة العلامة سيدي محمد بن فقيرة.

(29) العلامة الكبير العارف بالله سيدي أحمد بن محمد بن عبد الله معن، ولد بمدينة فاس عام 1042هـ وهو من ذرية السلطان الموحدي يعقوب المنصور باني مدينة الرباط، كان رحمه الله من أكابر أولياء وقته، وقد جمع الكثير من مناقبه وكراماته تلميذه العلامة سيدي عبد السلام بن الطيب بن محمد القادري الحسني، في تأليف سماه : المقصد الأحمد في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد. طبع على الحجر بفاس بتاريخ 1351هـ 1932م.
وتوفي رحمه الله ضحوة يوم الاثنين 3 جمادى الثانية سنة 1120هـ ودفن بقبة والده خارج باب الفتوح بفاس، انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص 331 رقم الترجمة 1296 وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 240. وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 2 ص 288.

(30) انظر رفع النقاب للعلامة سكيرج ج 1 ص 145.

بالتوبة ورد ما استولى عليه لأربابه، أو لمن قصدوا به دفعه لهم، ومثل ذلك ما يقع من بعض المقدمين من الفرض على الفقراء وشراء ما جمعه منهم لحما وزيتا، ودعائه للاجتماع عليه يوما أو يومين، فإنه تعرض بذلك لإذاية الإخوان وإذاية الشيخ رضي الله عنه، إذا كان ذلك يضر بالإخوان ويوقعهم في محذور أو محظور.

ولو سئل الناس التراب لأوشكوا　　　　يملوا سؤال السائلين فيبخلوا

ولا بأس بذلك إذا لم يكن عن غصب أو حياء يؤدي إليه، إذا كان قصد المقدم حسنا في جمع إخوانه ومذكراتهم فيما ينفعهم والأخذ بيد الغرباء منهم، فإنه إذا لم يقم المقدم بشؤون الواردين على الزاوية من الزائرين وغيرهم فمن الذي يقوم بذلك من الإخوان، وذلك يعد من البرور بالإخوان وزائريهم، إذا لم يكن في ذلك تعدد كلفة تملها النفوس، فتبخل بالفلوس، وفي ذلك تنفير من الطريق لمحبي الدنيا، ويؤدي لما لا تحمده عقباه، فالأولى تحمل المقدم ذلك بنفسه من ماله الخاص به بقدر الإمكان(31)، ويعمل بقول القائل :

ما كلف الله نفسا فوق طاقتها　　　　ولا تجود يد إلا بما تجد

والحاصل أن طريقتنا مبنية على التسامح بما أمكن، من غير طمع خاصة مما في أيدي الأحباب في حق السالكين، وللملامتية منهم حكم يخصهم، غير أنهم لا يتميزون عن عامة الإخوان بما أقامهم الله فيه من قبيل الأهوال، والتسليم لهم أولى، وإدخال السرور عليهم مما يرضي المولى، والله أسأل أن يسبل علينا رداء رضاه، ويجعلنا من خاصة الخاصة من أهل هذه الطريقة بجاه من له الجاه، عليه الصلاة والسلام آمين، والحمد لله رب العالمين.

أحمد سكيرج

أمنه الله

(31) للزيادة في التوضيح انظر اليواقيت الأحمدية العرفانية للعلامة الحاج أحمد سكيرج ص 115.

DžيdžFWـïlle bɛþäƨǂll Ŷɛ LjDžϴþ ƚþٍIƨ ƕDžǖyllɛ ƑNJƙyƓ ƕllFƨþllɛ LJƤIj ƕƓƤƑIllɛ ǎNjƑYدllɛ ƭ yƓ DžDž þٍƤϴïǂll ϸllƤNj .þəɛƦWllƑƓ دǂƍDžNjƓ üƓWƓ ϸɛƤïƽNj ƕƍـٍʅDžǂll DžيþدƬïDžllɛ ƭ yƓ ƑNJWNjþٍ DžƑI Ĭïllɛ

إلى جماعة إخواننا التجانيين القاطنين بجبل بومخلد. أمنكم الله ورعاكم، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وتحياته وزكواته عن مدد سيدنا رضي الله عنه وأرضاه وعنا به. من كاتبه إليكم خديم الحضرة التجانية أحمد بن الحاج العياشي سكيرج أمنه الله وأمنكم في الدارين، يليه إعلامكم بأن هذه الطريقة المحمدية قد تفضل المولى بها على هذه الأمة في آخر الزمان، بحيث لا يوفق لأخذها إلا من سبق عند الله أنه من السعداء بضمان النبي (ﷺ) لسيدنا رضي الله عنه، فهنيئا لمن حسب في زمرة أهلها، فقد فاز فوزا عظيما، ونال مقاما رفيعا مكينا.

وهذه الطريقة التجانية طريقة شكر، عملها قليل ويسير، وثوابها جليل وكثير، وقد جاءت بحمد الله صراطا مستقيما، من سلك عليه أفضى به إلى أعلى عليين، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين، فكانت بهذه المثابة أفضل من سائر الطرق، ونورها ساطع في كل أفق، ولكن لا ينال فضلها العظيم وثوابها الجسيم إلا من وفى بها وبشروطها التي منها المحافظة على شروطها، وعدم التهاون بها إلى الممات، أما من أخذها ورفضها فقد خسر الدارين، وحل به الهلاك بلامين، إلا إذا تداركته العناية فتاب إلى الله وجدد الإذن فيها، وواظب عليها إلى الوفاة.

وكل إنسان يأمر بتركها فهو شيطان يجب على من أراد السلامة لنفسه أن لا يسمع كلامه، وأن لا يلتفت إليه، وقد بلغنا أنه خرج بطرفكم بعض الناس يدعو الإخوان لأذكار لفقها، ويزعم أنه شيخ مربي، ويأمرهم بترك شروط الطريقة التجانية وعدم التمسك بها، ويستميل الناس إليه، فلتحذروا أيها الإخوان من هذا الفتان، فقد جاءكم بالبهتان، فلا تخالطوه ولا تجالسوه، ولا تسمعوا لدعاويه الكاذبة، ولا تخالطوا من يخالطه إن أردتم السلامة لأنفسكم دنيا وأخرى، ولتحافظوا على طريقتكم المحمدية لتنالوا بذلك أجرا عظيما يكون لكم في المعاد ذخرا. ونسأل الله تعالى أن لا يطردنا عنها، ويجعلنا من خاصة أصحاب سيدنا رضي الله عنه، ويباعد عنا أهل الدعاوي، ويثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم(1) إهـ.

---

(1) كان العلامة سكيرج رحمه الله على اتصال دائم بالفقراء التجانيين وزواياهم، ليس بالمغرب فقط، بل على صعيد العالم الإسلامي، ولهذا كان حريصا على رعاية شؤونهم، والإجابة عن أسئلتهم، وتفقد أحوالهم، فما تجرأ أحد من المنكرين بشيء حول هذه الطريقة إلا وتجده من أول المتصدين له، بيده ولسانه وقلبه، وهذه الرسالة وغيرها من مثل الرسائل في هذا الموضوع تنبئ بصدق أنه واحد ممن جندوا أنفسهم طيلة مسيرة عمرهم في سبيل الدفاع عن الأحمدية وأهلها.

NjG üGШG DžيييdžFШﺘﺘﺎǁɛ bɛþäƻǂǁ ƑNJƙyG ÛŶɛ LjDžϴþ LjdžDž njþɑɿc hǁFƨþ ƑǀjɹyG bFʒNjǁɛNj hﻘﻴüþƲǁɛ ǍǂY ƘϴǁFG ƼǂyﺘﺘﺘﺘDž þɘɛƦШǁFG ɹǂɑɿDž

بعد حمد الله جل جلاله، وعز كبرياؤه، وتعالى مجده، يصل الكتاب إلى كافة إخواننا التجانيين القاطنين بجبل بومخلد. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وتحياته وزكواته، من كاتبه إليكم خديم الحضرة التجانية أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، يليه إعلامكم بأن الله تبارك وتعالى قد أنعم على المتمسكين بحبل هذه الطريقة التجانية بضمانة النبي (ﷺ) بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، من الفضل العظيم والثواب الجسيم، والمحبة الخصوصية من الله ورسوله لكل من دخلها وتمسك بها.

وهذا كله لكل من دخل في طريقتنا هذه والتزمها إلى الممات، بشروطها المعلومة التي منها المحافظة على الصلاة فهي عماد الدين، وهي أول ما ينظر فيه من الأعمال، ثم الزكاة والقيام بوظائف الإسلام بقدر الإمكان، وهذا كله من الواجبات، غير أن الشروط التي لا بد منها لمن يريد الدخول في هذه الطريقة هي المحافظة على الورد والوظيفة وذكر يوم الجمعة إلى الممات، وعدم أخذ ورد آخر على وردنا، وعدم زيارة الأولياء الأموات والأحياء سواء، لكن يجب تعظيمهم واحترامهم. ثم إنه لا فرق بين المطيع والعاصي في نيل خصوصية الضمان النبوي، لأن الله تعالى يحب من دخل في هذه الطريقة، وأي منقبة أعظم من محبة الله لعبده، إلا أنه ينبغي للعبد أن يستحي من الله أن يبقى مصرا على الذنوب، بل يتوب إلى الله من كل ما صدر منه من الذنوب، وبمجرد ما تحصل منه معصية يندم على فعلها ويتوب إلى الله، وذلك تطهير له من درن الذنوب، والله يحب التوابين ويحب المتطهرين.

وليحذر آخذ هذه الطريقة من الإتكال على الضمانة المذكورة فيترك نفسه في المعاصي والفواحش من غير توبة، ومن حصل منه ذنب فليتب إلى الله، ولا يحتاج لتجديد إلا إذا ترك الورد أو زار أحد الأولياء من غير إخوانه، فحينئذ يجب عليه التوبة والمسارعة لتجديد الإذن من المقدم، فإن المقدم بمنزلة الشيخ رضي الله عنه، يجب تعظيمه واحترامه والسماع لكلامه في كل ما يأمر به من الأمور التي فيها طاعة الله ورسوله، ومن عظم المقدم فقد عظم الشيخ، ومن عظم الشيخ فقد عظم النبي (ﷺ). ونسأل الله لي ولكم التوفيق لما فيه رضا الله، سائلا منه سبحانه وتعالى أن لا يطردنا عن حضرته بمنه وفضله آمين(1).

(1) حافظ العلامة سكيرج من خلال هذه الرسالة على الأسلوب التوجيهي الذي كان غالبا ما يستعمله في كتبه الموجهة للزوايا التجانية النائية، وهدفه الأسمى من ذلك تذكير المريدين بوجه الطريقة الأحمدية الأبيض الخالي من جميع الإلتباسات، الصافي النقي الطاهر من جميع الرعونات، وفي ذلك ما فيه من تحفيز لهم على التمسك بهذه الطريقة والسير على صراطها السوي.

Ljǂƥ Ƭϴll ƑNJƙyƓ hƱǂәƨƈ DžƳ Ŷɛ LjDžϴƥ ƚƥɨlƨ hƱDžǘyllɛ ƒɛNjɯ ƫ dž ǎNjǂyllɛ ƿʒFϴllɛ ɹDžϴDž DžƓ Ŷɛ ɹƓƳ DžƓ ɹDžϴDž ǎɹɨƨ hƱDžǘyllɛ Ljقيƻllɛ Ǐ Ư ɨɯdž ɿllɛ

باسمك اللهم افتح، وبحمدك كل صدر يشرح، وبالصلاة على نبيك كل سعي ينجح، فصل اللهم عليه صلاتك القديمة، مع السلام التام عليه وعلى من والاه وتبعه على نهج سنته القويمة، والسلام على محبنا في ظهر الغيب الفاضل الأمجد، الملحوظ بعين العناية سيدي محمد بن عبد الله بن محمد الحافظ العلوي، أعلى الله في أوج المعارف مراتبه، وبلغه في الدارين مطالبه، وحشرنا جميعا في زمرة سيد الوجود، مع خاصة الخاصة من أصحاب سيدنا القطب التجاني قدس سره.

أما بعد : فإني أحمد لك الله الذي لا ينبغي الحمد إلا له، وأشكره تعالى على أن شرح صدرنا لمحبة أهل الله، وصدق التوجه للحضرة المحمدية التي تقبل كل من انتمى إليها بأدنى سبب، وبها ينال محبها في الدارين كل مطلب، ويتصل بحبلها كل حبل وعهد يقصد به وجه الله، سائلا من المولى جل اسمه أن يجعلنا من المتحابين فيه، المسدول عليهم رواق الأمن والأمان، في كل زمان ومكان، ثم إعلامكم بأنه حل بيدي كتابكم المنطوي على شرح ما انطوى عليه صدركم الرحيب، من خالص المودة في ظهر الغيب، في العبد الضعيف راقم هذه الأحرف، بما بلغكم عنه على لسان محبيه، وبأخص الخليفة المعظم سيدي الحاج محمد(1) بن الأخ المرحوم سيدي الحاج عبد الله أنياس، بعد سلامنا عليه، فكان موجبا لصدق محبتكم فينا، فمرحبا وأهلا بهدية أهداها الحق لنا من غير تعمل، فإن صدق المحبة بين الأحباب هدية من الحق لهم، فنحن نشكر من أوصل الحبلين، فاتصلت بسببه رابطة القلبين.

ولما عندي من الحرص على المسارعة لما يتم به فرح المحبين، سارعت إلى إجابتكم بالجواب عما اقترحتم علينا في هذا الكتاب، من الأسئلة التي تعين علي الجواب عنها من وجوه، وهي وإن كانت تحتاج إلى بسط الجواب بتأليف كتاب فإني أقتصر على ما يبين الحق في ذلك بحول الله، معتمدا على المولى في السلوك فيها على النهج القويم، وها أنا أذكر أسئلتكم باللفظ، وعقب كل سؤال جوابه، مبينا عددها إتماما للفائدة، فأقول، وبالله أصول.

السؤال الأول : عن الصلاة خلف الأعاجم الذين ليست لهم فصاحة ؟ **الجواب :** الصلاة خلفهم صحيحة ما لم يتعمدوا اللحن في الفاتحة، غير أن الفقهاء نصوا على إثم من اقتدى باللاحن إن

(1) سبق التعريƨ به في ج 1 f 73 في هذا التۡليƨ.

وجد غيره ممن يحسن القراءة، ولا تصح إن تعمد اللحن أو بدل الحروف بغيرها، وأما مجرد العجمة أو غير الفصاحة فلا تضر في الإقتداء بصاحبها.

وقد اقتدى سيدنا رضي الله عنه ببعض خاصة أحبابه وفي لسانه عجمة، وصلى معه بعض العلماء من أصحابه، وبعد إتمام الصلاة التفت إليه الشيخ وقال : الصلاة وراء المفتوح عليه مقبولة(2)، فإذا لم يتعمد اللحن الإمام ولو في الفاتحة فالصلاة صحيحة، فأحرى إذا كان في لسانه عجمة، وهذه المسألة محررة عند الفقهاء، وزبدة ما نصوه عليه ما ذكرناه، والله الموفق.

السؤال الثاني : عن زكاة الأوراق والحب المعبر عنه في سنغال بكرت(3) ؟

الجواب : إن كان مرادكم السؤال عن الأوراق المالية التي يتعامل بها في البيع والشراء فلا شك أنها قائمة مقام العين، فالزكاة في نصابها واجبة، وقد تقرر النصاب فيها بقدر مائة فرنك فأعلى، ويخرج من نفسها الزكاة، وبما يقوم مقامها في الصرف من أوراق ذات فرنك فأقل، وتقوم الصوالد ويخرج منها، لأن المدار على ما يتعامل به ولو لم يكن عينا عند عدم التعامل بالعين. ولذلك قال الإمام : لو تعامل الناس بالجلود لوجبت فيها الزكاة.

وكل من حاول الإفتاء بعدم الزكاة في هذه الأوراق فقد حاول إسقاط ركن من أركان الإسلام، فهو متابع بحق الله وحق الفقراء، ويحرم الإقتداء به في هذه الفتوى، وكل من قلده فقد أخل بركن من الدين، ولا ينفعه الإعتذار بكونه قلد عالما، فإن العالم الذي يقلد هو المجتهد الذي توفرت فيه شروط الإجتهاد، وقليل جدا من توفرت فيه، إن لم نقل بعدم وجوده منذ زمان كما نص عليه علماء الأصول.

وأما الحب المعروف بكرت فقد كنت ألفت فيه تويلفا سميته : إفادة أهل الحرث بعدم وجوب الزكاة في الحب المعروف بالمغرب بكوكو وفي السودان بكرت(4). لأنه ثبت عندي أنه لا يذخر اذخارا يعتبر في وجوب الزكاة فيه لأجله، مع كونه مقتاتا مثل ما اعتبر في الأنواع

---

(2) قال العلامة سكيرج في ترجمة العارف بالله سيدي الحاج علي التماسيني : وكان رضي الله عنه من خاصة الخاصة من صحابة سيدنا رضي الله عنه، وممن شهد له الشيخ رضي الله عنه بالفتح الأكبر في حياته، حتى أنه كان إذا قدم عليه زائرا بفاس يقدمه للإمامة في الزاوية، مع كثرة من بها إذ ذاك من أكابر العلماء والفضلاء، وقد اتفق له يوما في الصلاة شيء مما يخل بها، فذكر ذلك للشيخ رضي الله عنه، وكان ذاكر ذلك يستفهمه هل يؤثر ذلك خللا في صحتها، فأعرض الشيخ عن جوابه على وفق ما أراد، وقال : ذلك رجل مفتوح عليه والصلاة خلف المفتوح عليه مقبولة، انظر كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 126.

(3) كرت : هو الفول السوداني، وهو المعبر عنه بالدارجة المغربية بكوكو.

(4) هو تأليف من تآليف العلامة الحاج أحمد سكيرج صفحاته 24 صفحة، غير أنه رجع عن القول بنفي الزكاة فيه، وكتب رحمه الله على ظهر غلاف مخطوطه ما نصه : قال مؤلفه عفا الله عنه : بعدما قيدت هذا التأليف كاتبني محبنا العلامة الخليفة السيد الحاج محمد أنياس من مدينة كولخ مبرهنا على وجوب الزكاة في زيت هذا الحب بما أملاه من نصوص تقضي بعدم حصر ذوات الزيوت، فترجح لدي ما أفتى به، وإن الرجوع إلى الحق حق، فرجعت إلى القول بوجوب الزكاة فيه طبق ما ذكرت ذلك في نظمنا تاج الرؤوس، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

المحصورة في العشرين نوعا فيما عليه المشهور. ولم يذكروا منها هذا الحب، كما لا تجب الزكاة في البطاطا التي شاع أكلها في هذه الأزمنة الأخيرة، وهي مما تقتات، غير أنها لا تذخر ذلك الإذخار المعتبر، وقد رأيت غيري أفتى بوجوب الزكاة فيها، والرجوع إلى الحق حق، وبالله التوفيق.

السؤال الثالث : عن لباس حلة الكفار أهو جائز(5) ؟ وعمن يلبسه وقت خدمته للنصارى ثم يخلعه، أتجوز مجالسته ومواكلته أم لا ؟

الجواب : إن لباس الكفار إن قصد به ما يلبسونه فهو طاهر لكونه محمولا على الطهارة، فلا بأس بأن يلبسه المسلم إن قصد به المحددة دون الزنار(6) والقبعة، فما كان طاهرا منها فلا بأس بلبسه بين من اعتادوا تلك الهيئة، ولا يطلقون لسانهم فيمن لبسها مثل أهل تونس والجزائر فقد اعتادوا ذلك، وأما خرق العادة بلبسها بين قوم لم يعتادوا لبسها ففيه التشبه بقوم لا ينبغي التشبه بهم، فإن من تشبه بقوم فهو منهم. أما لبس الزنار وما كان يدل على كفر لابسه فيحرم على من لم يكره عليه، وللإكراه حكم يخصه، وليس من الإكراه التعلل بكونه إذا لم يلبس ذلك لا يستخدمه الناس أو لا يعظمه الناس، فالأولى للمومن أن لا يلبس زي الكفار، وأرض الله واسعة يلتمس فيها الرزق، ولا يخرق عادة قومه بين ظهرانيهم في لبس ما لم يعتادوه.

ومع هذا كله فإن الله لا ينظر إلى الصور، وإنما نظره إلى قلوب عباده، ولا ينبغي هجر المسلم فوق ثلاث، سيما ونحن في زمان قد تراكمت الظلمات فيه بعضها على بعض، والكفر يدعو الناس إلى اعتناقه في غالب أقطار الأرض، وقد نشأت الشبيبة العصرية على مقتضى التربية المدرسية الأرمية، فالناس الآن في أطوارهم في أدوار التقلبات الوقتية :

وللناس عادات وقد ألفوا بها لها سنن يرعونها فروض
فمن لم يعاشرهم على العرف بينهم فهو ثقيل عندهم وبغيض

والحاصل أن الممنوع هو التشبه بالكفار بلبس القبعة والزنار، ولا يعد من ذوي المروءة من خالف زي قومه بزي لا يحبونه، سيما من مال إلى زي اليهود والنصارى، إلا لعلة في غير بلد قومه، فهي تدور بالحكم بمقتضاها، والله الموفق.

السؤال الرابع : عن الأشربة مثل ما يقال له : سبريت وليموناد ؟

الجواب : هذه الأشربة لا نعرفها، والذي ينبغي استحضاره دائما هو تحريم كل ما أسكر ولو قليلا، فإن كانت هذه الأشربة مما يسكر أو امتزجت بالمسكر فهي حرام بمقتضى كل مسكر حرام. فلا يجوز تعاطيه ولا بيعه ولو للتداوي، فإن الله لم يجعل شفاء أمة النبي (ﷺ) فيما حرم

---

(5) سئل العلامة القاضي الحاج أحمد سكيرج حول هذا الموضوع مرات عديدة، انظر نص إجابته عنه في كتابه الرحلة الحبيبية الوهرانية ص 27.
(6) الزنار : جمع زنانير، وهو ما يشده قساوسة النصارى على أوساطهم.

عليها، والحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات. فإن كانت هذه الأشربة مما لم يستبن أمرها فالمتعين على المحتاط لدينه أن يجتنبها، ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه.

السؤال الخامس : عن الطيب الذي يرد من أرض الأجانب وعن كل ما هو مائع(7) ؟

الجواب : الشيء لا يطرح بالشك، ولا يمنع بمجرد تطرق التهمة فيه، على أنه لا يحل لامرئ مسلم أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه، وقد تقرر أن الأشياء محمولة على الطهارة حتى يستبين ما يقضي بالمنع. نعم إن هذه العطور قد تحقق بأخبار متعددة بأنهم يستعملون في زجاجاتها المستعملة فيها نوعا من أرواح الخمور المسكرات القتالة، وبمراعاة هذا فالمائع الموضوع فيه متنجس إلا إذا تخلل أو حجر، وقد عمت البلوى باستعمال هذه العطور، فالمتعين هو البحث عن قول يعتمد في استعمالها على وجه جائز.

وقد عثرت على قول لبعض العلماء بأن الخرقة المبلولة بالخمر إذا نشفت ويبست فإنها في حكم الخمر المتحجر فيصير طاهرا، فعلى هذا القول ما دام ذلك العطر مائعا إلا وهو متنجس، فإذا يبس في البدن أو المكان أو الثوب فهو في حكم الطاهر والله أعلم.

السؤال السادس : عن لباس يشبه الحرير أبيض هل يجوز لباسه، ويسمى بصون(8) ؟

الجواب : إن هذا اللباس لا أعرفه، والمدار في تحريم الحرير في حق الرجال إذا كان خالصا من المنسوجات الحريرية الحقيقية، وأما ما أشبه الحرير وليس بحرير فهو غير ممنوع، غير أنه قد يتطرق إليه حكم لبس ثياب الشهرة، وهي وإن كان الأصل فيها الإباحة ولكن لا ينبغي الإمتياز عن الناس بمثل ذلك لما يترتب عليه من المفاسد، وأقلها إطلاق الألسنة في مستعمله بالغيبة ونحوها، وإذا كان بعض السنن قد استحسن تركه بعض العلماء الأتقياء، فأحرى ما كان غير سنة. وقد نص على هذا الشيخ زروق في قواعده فقال ما معناه : ثلاث من السنة ينبغي تركها في هذه الأزمنة : ركوب الحمار، واتخاذ الوفرة، واستعمال الخاتم، لأنها صارت من شعار قوم لا خلاق لهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

السؤال السابع : عن الملقن للورد إن مات، وأخذ المريد عن شيخ آخر ووجد الإنتفاع به، أيهما يبتدئ بالدعاء ؟

الجواب : إن الدعاء للمقدم إنما هو من باب شكر الوسائط بمقتضى من لم يشكر الناس لم يشكر الله، فالدعاء للأول والثاني في التقديم والتأخير على حد السواء في أداء حق الشكر، وشكر الوسائط واجب، والمحروم من ترك النعم والمنعم، ومن لم يشكر النعم فقد تعرض

(7) أنظر إجابة العلامة سكيرج عن سؤال مماثل لهذا في كتابه الرحلة الحبيبية الوهرانية ص 27.
(8) توسع العلامة الحاج أحمد سكيرج في الإجابة عن هذا السؤال في كتابه : قهر الأفانين في الجواب عن الأسئلة الثلاثين. وهي أسئلة وجهها لحضرته الفقيه سيدي عبد العزيز بن عبد الماجد الدباغ السوداني، صفحاته 126 لكنه لم يطبع لحد الآن، والسؤال العشرون ضمن هذه الأسئلة حول الحرير الصناعي، وهل في الحرير الأصلي رخصة أم لا ؟

لزوالها، ومن شكرها فقد قيدها بعقالها، وعلى قدر اعتناء المريد بشيخه يقع له الإعتناء في أموره الحسية والمعنوية.

السؤال الثامن : عن تعدد الأخذ عن المقدمين، والطلب للتجديد ممن اعتقد فيه قربه من الشيخ ؟

الجواب : لا بأس بطلب التجديد من المقدمين في الطريقة خصوصا ممن ظهرت خصوصيته فيها بفتح أو سند عال ونحوهما، لأن ذلك مما يغبطه أهل الحزم في سلوك الطريق الأقوم، سيما وقد ظهر في الناس ميلهم إلى الدعاوي الكاذبة، والتصدر للتلقين ممن ليس لهم تقديم صحيح، واختلط الحابل بالنابل، ولم يعرف المحق من المبطل، فتعدد الأخذ عن المقدمين بقصد التجديد محمود ممدوح، مع مراعاة تعظيم الملقن الأول مادام لم يتضح انقطاعه، ولا ينبغي إساءة الظن في كل من تعاطى التلقين، كما أنه ينبغي التثبت في هذا المقام على حد ما قاله ابن سيرين(9) : إن هذا الحديث دين فاختاروا عمن تأخذون دينكم، فالأخذ عن ذوي الخصوصية مطلوب مرغب فيه لمن لم ينقطع عن الطريقة، أما من انقطع عن الطريقة فيتعين عليه المسارعة للتجديد خشية حلوله في المكر العاجل، نسأل الله السلامة والعافية.

السؤال التاسع : عن ذكر الإثنين والجمعة(10) أهو مقام أم لا ؟

الجواب : إن الذاكر يلبس حلة الخصوصية في يوم ذكره، ثم يتجرد عنها حتى يعود إلى ذكره في يوم آخر، فيكون له بذلك حال يسري منه لمن رآه، وليس ذلك بمقام في حقه، وإنما المقام خاص بأهل الوراثة الأحمدية ممن كان له ذلك المقام، فالمقام موروث عن أهله، جعلني الله وإياكم من أصحاب هذا المقام وحققنا به آمين.

السؤال العاشر : كيفية تلقين الأجنبيات(11) ؟

---

(9) محمد بن سيرين البصري، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، ولد بها سنة 33هـ، وبها توفي سنة 110هـ، ينسب له كتاب تعبير الرؤيا، وهو مطبوع، أنظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 453، وفي حلية الأولياء لأبي نعيم ج 2 ص 263، وفي كشف الظنون لحاجي خليفة ج 2 ص 1058، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 154، وفي الطبقات الكبرى للشعراني ج 1 ص 36، رقم الترجمة 49.

(10) المراد بهذا السؤال هو سر النظارة، وهو من الأسرار المكتومة التي تذكر بعد صلاة الصبح، من يومي الإثنين والجمعة، والمداوم عليه يرث مقاما عظيما، وهو مقام النظارة، وقد حصل هذا المقام الجليل لسيدنا الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه، ولهذا قال العلامة ابن بابا العلوي الشنقيطي في منية المريد :

في يوم الإثنين أو الجمعة ... رائيه يدخل غدا في الجنة
بلا حساب لا ولا عقاب ... بل هو آمن من العذاب

ولحصول هذه الخاصية العظيمة يذكر هذا التوجه المسمى بسر النظارة، وذلك بعد صلاة الصبح من اليومين المذكورين، ولمن أراد الاطلاع عليه فقد بينه العلامة سكيرج في كتابه كشف الحجاب ص 292.

الجواب : الأولى في حق المقدم المحتاط لدينه أن يلقنهن بواسطة أزوجهن، أو أولدهن، أو بواسطة محرم لهن، وينبغي له أن لا يلقنهن مباشرة، ولا يصافحهن عند اجتماعه بهن، وقد كان الشيخ رضي الله عنه يحض على المباعدة بين أنفاس الرجال والأجنبيات، والأولى أن يقدم امرأة صالحة لتلقين النساء، فهي تقوم مقام المقدم في التلقين من غير أن يجتمع بهن.

ونهج سبيلي واضح لمن اهتدى ولكنما الأهواء عمت فأعمت

السؤال الحادي عشر : عن جوهرة الكمال أتجوز قراءتها للمعلم والمتعلم دون ما شرط لها من الطهارة أم لا(12) ؟

الجواب : إن الخاصية المنوطة بجوهرة الكمال لا تنال إلا إذا قرئت بالطهارة التامة، ويجوز قراءتها مرة إلى ثلاث مرات بغير مراعاة الشروط، لكن لا ينال تلك الخاصية إلا من قرأها بتلك الشروط سواء كان معلما أو متعلما، ويخشى على قارئها بغير شرط أن يصاب بما لا تحمد عقباه إن لم يتب، زيادة على حرمانه من خاصيتها.

السؤال الثاني عشر : عمن أخذ عن أحد من المقدمين ذكرا ثم انقطع المقدم عن الطريق، أعاذنا الله من ذلك آمين، ماذا يفعل الآخذ عنه إذا، أيذكر الذكر أم لا ؟

الجواب : إذا كان الذكر المأخوذ عنه الورد اللازم فإنه لابد من تجديد الإذن عن مقدم آخر، كمن يأخذ الإذن عمن تظاهر بالتقديم وليس بمقدم، وأما غير الورد فله أن يذكره، إلا ما كان من حزب البحر والفاتحة بنية الاسم ونحوهما مما لا يذكر إلا بإذن خاص من الخواص، فلابد من تجديده عمن عنده الإذن في ذلك، وإلا كان ضرر الذاكر بلا إذن أكثر من نفعه.

السؤال الثالث عشر : عن المسبوق في الوظيفة أيبتدأ بالفاتحة أم لا ؟ وهل يقرأ مع الجماعة آخر سورة اليقطين أم لا(13) ؟

الجواب : عندنا طريقان، طريقة الولي الصالح سيدي العربي بن السائح رضي الله عنه، كان يختار بداية المسبوق بما وجدهم فيه من الذكر، ويختم معهم بقراءة آخر سورة اليقطين، ثم يفتتح بالفاتحة ويتم ما فاته، وهذه الطريقة عليها عمل جل المفتوح عليهم في الطريق، أما الطريقة الثانية فهي طريقة مؤلف الميزاب(14) وهي أن يبتدئ المسبوق بالفاتحة ويذكر ما فاته إلى أن

---

(11) انظر جيدا هذا الموضوع أنوار بغية المستفيد للعلامة الشيخ أبي المواهب السائحي ص 367.

(12) سبق للعلامة الحاج أحمد سكيرج أن أجاب على سؤال مماثل لهذا في كتابه : اليواقيت الأحمدية العرفانية ص 39. وقد توسع رحمه الله في الإجابة عليه.

(13) نفس السؤال أجاب عنه العلامة الحاج أحمد سكيرج في كتابه : اليواقيت الأحمدية العرفانية ص 38.

(14) ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية، من تأليف العلامة العارف بالله سيدي عبيدة بن سيدي محمد الصغير المعروف بابن انبوجا الشنجيطي التشيتي المتوفي في شهر جمادى الثاني 1284هـ.

يلحق الجماعة ويختم معهم أو يختم بعدهم، وقد كان بعض شيوخنا يقول : إن هذه الصورة فيها تشويش على الذاكر والجماعة، والأولى العمل بما لا تشويش فيه، والله الموفق.

السؤال الرابع عشر : عن قوم يقال أنهم مفتوح عليهم، وتراهم يفعلون ما لا يليق، كيف ذلك ؟

الجواب : هذا من باب طبيب يداوي الناس وهو عليل، فالأولى في حقه أن يشتغل بإصلاح نفسه، وليدرج عن هذا العش لأنه ليس من أهله، ولا ينبغي الإعتماد على مثل هؤلاء القوم، وقد أنشد الشيخ ابن عربي في فتوحاته :

لا تقتدي بالذي زالت شريعته   عنه ولو جاء بالأنبا عن الله

نعم ينبغي للمريد أن يكون على بال من أن المقدم في الطريق ليس بمعصوم من الوقوع في المعصية، ولا ينقطع من الطريق إلا بقواطعها المقررة في كتب الطريقة، وغاية أمره أنه مذنب إن عصى، فالأولى في حقه هو اشتغاله بإصلاح نفسه بالتوبة والندم والرجوع إلى مولاه، والله يوفقنا لما فيه رضاه.

السؤال الخامس عشر : عن قراءة القرآن لمن لم يجوده وصلاة الفاتح لما أغلق أيهما أفضل له ؟

الجواب : قد تقرر عند الفقهاء القراء قول ابن الجزري(15)

والأخذ بالتجويد فرض لازم   من لم يجود القرآن آثم

فقراءة القرآن دون تجويده غير محمودة، ومن هذا الباب قول أويس القرني(16) رب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه، والأولى في حقه الإشتغال بالتجويد ليؤدي الواجب عليه في قراءته، وقد كان الشيخ رضي الله عنه يقول : أقل ما يجزئ حافظ القرآن حزبان في اليوم، واختار لمن لا يعمل بمضمنه ولا يعرف التجويد أن يشتغل بصلاة الفاتح لما أغلق فذلك أفضل في حقه(17)،

(15) محمد بن محمد العمري الدمشقي الشافعي الشهير بابن الجزري، شيخ الإقراء في زمانه، من حفاظ الحديث، له مصنفات كثيرة منها : النشر في القراءات العشر، وغاية النهاية في طبقات القراء، والتمهيد في علم التجويد، وغيرها. توفي رحمه الله عام 833هـ. أنظر ترجمته في طبقات الحفاظ للسيوطي ج 3 ص 85 وفي الضوء اللامع للسخاوي ج 9 ص 255-260 وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 45. وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 304 رقم الترجمة 125.

(16) أويس بن عامر القرني، من سادات التابعين، زاهد مشهور، أصله من اليمن، توفي عام 37هـ. أنظر ترجمته في طبقات ابن سعد ج 6 ص 111 وفي حلية الأولياء لأبي نعيم ج 2 ص 79 وفي تاج العروس للزبيدي ج 4 ص 102. وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 32، وفي الطبقات الكبرى للشعراني ج 1 ص 27 رقم الترجمة 25.

(17) أنظر جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني للعارف بالله سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي ج 1 ص 172.

وهنا قامت قيامة الفقهاء الذين بادروا بالنكير على من نحا هذا المنحى، وما ذلك إلا لقلة معرفة المنتقدين هدانا الله وإياهم إلى سبيل الرشاد.

السؤال السادس عشر : عمن يمكث الزمن الطويل ولا يحضر الوظيفة ويعتذر بكثرة الأشغال، وإن وعد بنصف درهم لوجد الفراغ.

الجواب : أعلم أن الحضور بالزاوية لقراءة الوظيفة فيها وأداء الصلاة جماعة مع الأحباب والإخوان ونحو ذلك مما يعين على ائتلاف القلوب واتصال حبل الرابطة بينها، وهو من شروط الكمال في حق المريد، كما هو مشروط أيضا في قراءة الوظيفة، لكون المدد يعظم بقدر الجماعة المجتمعة للذكر، ومن تهاون بالحضور فيها أداه تهاونه إلى التهاون بقراءتها، وربما ترك قراءتها رأسا ويترك غيرها من الأوراد فينقطع عنه المدد عياذا بالله، ولذلك يتعين على مقدم الزاوية أن يتفقد أحوال الإخوان ويسأل عمن غاب منهم عن الحضور بالزاوية، ويعظهم برفق ولين، ولا يكثر في العتاب خوفا من النفور بين القلوب، وليدع للمتغيبين بالهداية، ويلتمس لهم الأعذار والمخارج المستحسنة، ويقبل من المعتذرين عذرهم بأي وجه ليكون ذلك منه إعانة على إقبالهم وعدم إدبارهم، وقد قيل : لعل لها عذرا وأنت تلوم

ويكفينا نسبة المريد للشيخ ولطريقته، ولا نعين عليه الشيطان فيتجاهر بالعدوان وهو على بصيرة من نفسه، وما علينا إلا بذل النصح لمن تيقنا منه قبوله، وإرشاد من استرشدنا في الطريق، والتوفيق بيد الله، ولا نواخذ بالانقطاع من لا يحضر للزاوية، المتعذر بكثرة الأشغال، ويجد الفراغ للحضور إليها إن وعد بنصف درهم مثلا، فإن الدنيا جلابة للنفوس غلابة، وقلما ملك الشخص نفسه عن الترامي إليها.

وقد بلغنا عن الخليفة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول : الدنيا أم الرجل ولا يلام الرجل على حب أمه، فلا ينبغي للمريد أن يهجر أخاه من أجل هذا الأمر، وليقابله دائما بانشراح صدر، فإن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وعلى فرض انقطاع المريد عن الطريق فلا ينبغي هجره، لأن أخوة الإيمان لازالت موجودة، ولا يحل لامرئ مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث كما أشرنا إليه آنفا، اللهم إلا إذا تجاهر ببغض الشيخ رضي الله عنه، فحينئذ يهجر إلى أن يتوب، فإن الجلوس مع المبغضين سم يسري، والله يحفظنا من البلاء.

السؤال السابع عشر : عن الإجتماع في المسجد لقراءة المصاحف ؟

الجواب : قد جرى العمل بذلك منذ زمان بمدينة فاس، ونظمه صاحب العمليات(18) بقوله :

والذكر مع قراءة الأحزاب   جماعة شاع مدا الأحقاب

---

(18) مختارة لأبي زيد سيدي عبد الرحمن الفاسي، وقد سبق التعريف به في هذا المؤلف ج 1 ص 112.

بترك تخليط الأصوات، ورفعها إلى حد ترك الإحترام في بعض الأوقات، ولذلك اتخذ الشيوخ الزوايا، لأن رفع الصوت بالذكر فيها ليس مثل رفعه بالمساجد، وهي وإن كانت في حكم المساجد لكن شرعت أولا بقصد الذكر فيها، وقد تكون لبعض الزوايا خصائص ليست في بعض المساجد، مثل الصلاة في زاوية الشيخ رضي الله عنه فإنها مقبولة قطعا كما بلغنا ذلك عنه(19) والله الموفق.

السؤال الثامن عشر : عمن يأكل بنسبه وشرفه وآبائه ؟ وهل تفضل الإشتغال بالبيع والشراء؟ والبيع في نواحينا لا ينفك عن اجتماع بيع وصرف ونحو ذلك من الربا.

الجواب : الأكل بالدين أفضل من أكل الربا، وإن كان كل الأمرين حراما لا تقوم لمتعاطي ذلك قائمة، وليس هناك أفضل من تعاطي البيع والشراء إذا كان محفوظا من الربا، ولا أسهل من الحفظ من الربا عند من يقنع بالربح، فإن غير القانع يرمي بنفسه على كل ما تراءى له من الربح من غير مبالاة بما يقع له أو يقع فيه، فهو كما قيل :

فطن بكل مصيبة في ماله وإذا تصبه بدينه لم يشعر

ونعوذ بالله ممن هذه أحواله، وإن كنا سواء في البضاعة، مع التقاعد بالكسل في مشروع الطاعة، ولله الأمر من قبل ومن بعد. فالله أسأل أن يوفقنا لما فيه رضاه.

السؤال التاسع عشر : عما في أيديكم من نسبنا ؟

الجواب : الذي نعتمده في النسب العلوي الشنجيطي هو رفعه للخليفة المحمدي سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من زوجته غير فاطمة رضي الله عنها، وهناك أقوال أخرى(20) على أن المرجع في هذا كله لأهل قطركم، وبالأخص أهل بيتكم، فإن أهل مكة أدرى بشعابها، ولنقتصر على ما اعتمدناه في ذلك، فهو الذي بلغنا عمن تلقاه عن أربابه،

---

(19) أنظر بغية المستفيد لسيدي محمد العربي بن السائح ص 235، وفي كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 21، ولهذا قال العلامة الأديب ابن بابا العلوي الشنجيطي في منية المريد :

وما بزاويته يصلى قطعا يكون للقبول أهلا

(20) بعض العلماء المحققين من أهل هذا الأسرة يرفعون نسبهم لسيدي محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وقد سلمني العلامة الأديب الفاضل سيدي أحمد ولد أباه مقدم الزاوية التجانية بالنباغية بموريتانيا توليفا مفيدا في مجال نسب هذا الأسرة للسلالة الحسنية الشريفة.

وقد تعرض محبنا المرحوم السيد أحمد بن الأمين الشنجيطي(21) نزيل القاهرة في كتابه الوسيط في تراجم أدباء شنجيط(22) لهذا النسب مفرقا في تراجمه، وفيما ذكرناه كفاية.

السؤال العشرون : عمن وجد في يده الكنز المدفون(23) من التجار والعوام الذين لا يعلمون شيئا ؟

الجواب : قد ولع كثير من المريدين بطلب المغربات من أذكار وخواص وأسرار، وذلك من عدم اهتمامهم بما في يدهم من الورد اللازم المضمون لصاحبه خير الدنيا والآخرة، وذلك من دأب المتهاونين في سلوك الطريق، أما ذلك الكتاب المسمى بالكنز المدفون فلا صحة له ولا عمل عليه، فهو مكذوب على الشيخ رضي الله عنه، من جملة أوضاع بعض جهلة المقدمين، والله حسيب من ألفه وطبعه ووزعه، فقد فتح بابا من أبواب النكير على طريقتنا الأحمدية، فالأولى لمن يريد السلامة لنفسه أن يباعد نفسه من مطالعته، وله خير كثير إن أحرقه ليقتدي به في حرقه المريد الصادق، والله الموفق.

السؤال الحادي والعشرون : حول نسب العلمي(24) الذي وزع هذا الكتاب ؟ **الجواب :** غالب الأنساب عندنا بالمغرب لا يبحث الشخص فيها، وحسبنا أن نسمع بأن فلانا شريف فنقول

---

(21) أحمد بن الأمين الشنجيطي، من علماء وأدباء شنجيط، ولد بها سنة 1289هـ، ثم نزل بالقاهرة بمصر وبها توفي صبيحة يوم الأربعاء 18 رمضان المعظم عام 1331هـ-1913م، وله مؤلفات منها : الوسيط في تراجم أدباء شنجيط، والدرر اللوامع على همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، والمعلقات العشر وأخبار قائليها، ودرء النبهاني عن حرم سيدي أحمد التجاني، والدرر في منع عمر، وشطارة العرب، وشرح ديوان طرفة بن العبد، وشرح أمالي الزجاجي، وشرح ديوان الشماخ بن ضرار، وشرح تحفة المودود في المقصور والممدود لابن مالك، وغيرهم من التصانيف الأخرى. أنظر ترجمته في معجم المطبوعات ليوسف إليان سركيس 1148 وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 101. وفي فتح الملك العلام للفقيه سيدي محمد الحجوجي، بتحقيقنا عليه، رقم الترجمة 110.

(22) الوسيط في تراجم أدباء شنجيط، طبع ثلاث مرات، الأولى في حياة مؤلفه عام 1329هـ-1911م، والثانية عام 1378هـ-1958م، والثالثة عام 1409هـ-1989م.

(23) أنظر جناية المنتسب العاني فيما نسبه بالكذب للشيخ التجاني، للعلامة الحاج أحمد سكيرج ص 61، قال فيها بعد كلام : وقد ظهر في عالم المطبوعات في هذا الأيام تأليف سماه طابعه بالكنز المدفون، وجله مكذوب متقول على الشيخ، وقد اشتمل على طامات من التقولات بعبارة ركيكة يقطع ويجزم من يعرف ما لسيدنا رضي الله عنه من الإقتدار على إفراغ المعاني البديعة في قوالب الكلم الجامعة، بأن هذا المطالب متقولة عليه وليست من كلامه قطعا.

(24) العلميون نسبة لجبل العلم، بقبيلة بني عروس، إحدى قبائل منطقة جبالة بشمال المغرب، وبهذا الجبل ضريح القطب الشهير، العالم العلامة الكبير، الولي الصالح، مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه، وهو جدهم، وإليه يرفع نسبهم، وشهرته واضحة جلية على صعيد العالم الإسلامي كله، ونص نسبه كما يلي : أبو محمد عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى بن سلام بن المزوار بن حيدرة بن محمد بن المولى إدريس باني مدينة فاس ودفينها بن المولى إدريس الأكبر فاتح بلاد المغرب بن مولانا عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن مولانا علي كرم الله وجهه، من زوجته مولاتنا فاطمة الزهراء بنت مولانا سيد الوجود أبي القاسم سيدنا محمد رسول الله (ﷺ).

شريف، اللهم إلا عند البحث المطلوب في تحقيق نسب فلا محيد حينئذ من استقصاء وجوهه، وقد اتسعت دائرة الشرفاء العلميين فانتحل الشرف كل من استتر تحت علمهم، وكثير من الناس ادعوا أنهم علميون وهم لا نسب لهم، وإني لا أتحقق بكون العلمي المذكور شريفا أو لا، ولا أطعن في نسبه أيضا لكوني لا أتحقق أنه مطعون النسب، إلا أن فعله ينبئ عن أصله، وكل إناء بالذي فيه ينضح، فالله أسأل أن يسبل علينا الستر الجميل، وأن لا يفضحنا بين يديه ولا بين يدي خلقه بمنه وكرمه آمين.

فهذا ما سنح لنا من أجوبة أسئلتك على حسب الاختصار وعدم الفراغ لعمارة الوقت بما نرجو من الله النظر فينا بعين عنايته فيه، مسلما على أحبابك وإخوانك، والله يوفقنا وإياكم لما فيه رضاكم آمين ...

[illegible]

[illegible]

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده، وبعد فقد سئل كاتبه سامحه الله عمن زنى بامرأة ثم تزوج بها وعقد عليها ووطئها قبل الإستبراء من مائه الفاسد، ثم طلقها وبقي مسترسلا عليها، هل يتأبد عليه تحريمها أم يجوز له أن يتزوجها إذا استبرأت بعد هذا النكاح ؟

نص الجواب : النكاح الواقع بعد زنا الرجل الذي تزوجها قبل الإستبراء منه مجمع على فساده، فيفسخ من غير طلاق. ففي المختصر : وهو طلاق إن اختلف فيه، حتى قال : لا اتفق على فساده فلا طلاق(1) إهـ ... ويلزم فيه الإستبراء بثلاث حيض مثل العدة في الطلاق، وهو المراد في إطلاق العدة عليه كما في المدونة وغيرها، ففيها : وما فسخ من نكاح فاسد أو ذات محرم فالعدة في ذلك كله كالعدة في الصحيح. وفي التحفة :

وفسخ ما الفساد فيه مجمع	عليه من غير طلاق يقع
وتلزم العدة باتـفــــــــاق	لمبتني بها على الإطلاق

ثم إنه لا يتأبد فيها التحريم عليه، فله أن يتزوج بها بعد استبرائها، فقد قال ابن رشد(2) في المقدمات ما نصه : وأما الذي يقع به التحريم باتفاق : فالوطء بنكاح أو شبهة نكاح، أو بملك في عدة من نكاح أو شبهة نكاح. ثم قال بعد فصول ما نصه : ولا يكون من وطئ زانيا بغير شبهة نكاح ولا ملك في عدة أو استبراء واطئا في عدة يحرم به عليه نكاحها فيما يستقبل باتفاق إهـ... وقال الخرشي(3) في معنى قول المختصر : وتأبد تحريمها بوطء ما نصه : يعني أن المعتدة من طلاق غير رجعي أو موت والمستبرأة من غيره من زنى أو اغتصاب إذا وطئت بنكاح أو شبهة

---

(1) مختصر الشيخ خليل بن إسحاق المالكي (باب في النكاح وما يتعلق به) ص 115.

(2) محمد بن أحمد ابن رشد، قاضي الجماعة بقرطبة، له تآليف كثيرة منها : المقدمات الممهدات، وهو جد ابن رشد الفيلسوف الشهير، توفي رحمه الله بقرطبة في ذي القعدة عام 520هـ، انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ج 5 ص 316 وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 129 رقم الترجمة 376. وفي بغية الملتمس لابن عميرة الضبي ص 40، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 255 رقم الترجمة 581.

(3) محمد بن عبد الله الخرشي المالكي، أول من تولى مشيخة الأزهر، ولد بقرية أبو خراش من عمل البحيرة بمصر عام 1010هـ، وتوفي بالقاهرة في ذي الحجة الحرام عام 1101هـ، من مؤلفاته الشرح الكبير على مختصر خليل، والفرائد السنية في شرح المقدمة السنوسية، في التوحيد، انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 317 رقم الترجمة 1234 وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 240، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 337 رقم الترجمة 753

نكاح في عدتها أو في استبرائها، وسواء كانت هذه المستبرأة حاملا أو غير حامل فإنه يتأبد تحريمها على واطئها. ولها الصداق ولا ميراث بينهما لأنه عقد مجمع على فساده، وأما الرجعية فلا يتأبد تحريمها لأنها زوجة كما نص عليه ابن القاسم في المدونة وكذا المستبرأة من زناه اهـ... قال العلامة الصعيدي(4) على قوله وكذا المستبرأة من زناه، ما نصه : فلا يتأبد فيها التحريم، ويستبرئها من هذا الماء الفاسد، وينهدم الأول إن كان بقي منه شيء، لأنه استبراء طرأ على مثله، ثم يعقد عليها إن شاء الله اهـ... وقال الزرقاني(5) ما نصه : وتأبد تحريمها أي المعتدة من موت غيره أو طلاق ذلك الغير بائنا، ومثلها المستبرأة من غيره إلى أن قال : وقولنا أي المعتدة والمستبرأة من غيره واضح، إذ لو كانا منه لم يتأبد تحريمها عليه بوطئه فيهما كما يدل عليه قوله: أو مبثوثة قبل زوج وإن كان يحرم عليه صريح خطبة المستبرأة من زناه(6) إهـ...

فتحصل من هذا كله أنه يلزم الإستبراء بثلاث حيض بعد فسخ هذا النكاح، ويجوز له أن يعقد عليها النكاح بعد ذلك، ولا اعتبار بما وقع من الطلاق في المدة التي كانت تحته لكونه لم يصادف محلا، حيث لم يكن النكاح صحيحا. ويكون عقده عليها استئنافا للنكاح بدخولها به تحت عصمته، وما ذكرناه هو القول المشهور في هذه القضية حسبما جلبناه من النصوص الفقهية، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب. قاله وكتبه عبد ربه أحمد بن الحاج العياشي سكيرج.

[illegible]

اعلم أيها الأخ في الله أنه كثيرا ما يسألني عن هذه المسألة أهل الإعتقاد في هذه الطريقة التجانية، وأهل الإنتقاد أيضا من أشراف وأطراف، فأجاري كل واحد منهم على حسب قابليته، وفي جميع الحالات أخشى من سوء الأدب مع الحضرة المحمدية والحضرة الأحمدية، عالما ومتحققا بأن خير الأمور الإتباع، وشر الأمور الإبتداع، ومع كوني بحمد الله تجانيا أخشى إن صرحت بما أعمل عليه من نسبتي إلى مخالفة الشرع، فتقوم قيامة من له أغراض في الإنكار علي، وهم إخواني في الطريق إن لم ينظروا لما أقوله بعين الإنصاف، فلذلك لم أتجاسر على الجواب لحضرتكم خشية أن تكون أول منكر علي، ولكن أجد بحمد الله فيك قابلية من حيث

---

(4) علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوي، من أعيان المالكية بمصر، توفي بالقاهر في 10 رجب عام 1189هـ، له مؤلفات كثيرة ومفيدة، انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 341 رقم الترجمة 1351 وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 260. وفي سلك الدرر للمرادي ج 3 ص 206، وفي الخطط التوفيقية لعلي مبارك ج 9 ص 94، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 712 رقم الترجمة 370، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 347 رقم الترجمة 771.

(5) أبو محمد عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، من أعلام المالكية بمصر، ولد بها عام 1020هـ، وكانت وفاته في شهر رمضان المعظم عام 1099هـ، من مؤلفاته شرح على مختصر الشيخ خليل، في ثمانية أجزاء، انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ج 3 ص 272، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 304 رقم الترجمة 1177، وفي خلاصة الأثر للمحبي ج 2 ص 287. وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 337 رقم الترجمة 752.

(6) انظر شرح الزرقاني على مختصر خليل ج 2 ص 165.

انشراح صدري لجوابك بهذه الأسطر، ومن حيث أنك على بصيرة مما قاله العلماء في هذه المسألة، بذكرك ما هو منظوم في العمليات المطلقة والمقيدة، مع قول سيدنا رضي الله عنه في حق الزكاة ودفعها لآل البيت : لا تحل لهم ولا تجزئ معطيها لهم(7) فلتعلم أيدك الله أن هذه القولة من سيدنا رضي الله عنه جارية منه رضي الله عنه على القول المشهور الذي لا ينبغي لمثله أن يحيد عنه، لتمسكه بالكتاب والسنة من غير التفات لما خالف ذلك مما يحدث من الأمور على قدر ما يحدثه الناس من الفجور، فالزكاة علتها عنده كونها وسخا، والوسخ لا يلطخ به أهل البيت ولا يلطخون به أنفسهم، فلا يجوز لأحد تلطيخهم به، فهذا قول الشيخ رضي الله عنه وإن كان بلغنا عنه أن أجداده كان يدفع بعضهم لبعض الزكاة عملا بالقول المبيح لدفعها لآل البيت فيما بينهم، وأشار إلى حديث وقف عليه في كتاب مبتور، ولعل أجداده عملوا عليه كما نص على هذا في الإفادة الأحمدية(8).

والذي أصرح لك به هو أن تعلم أن المريد التجاني لا يجب عليه الإقتداء بمذهب الشيخ رضي الله عنه. وليس من شرط المريد التجاني أن يترك مذهبه لمذهب الشيخ قدس سره، بل المتعين عليه هو العمل بشروط الطريقة، ولا عليه في المذهب سواء كان مالكيا أو شافعيا إلخ... لأن من قلد عالما في الفروع لقي الله سالما، ولا شك أن من عمل بالعمل(9) فقد عمل مقلدا للعلماء القائلين به، ولا تضره إن اقتدى بهم مخالفة الشيخ في قوله رضي الله عنه، ولذلك لم يقل رضي الله عنه لأصحابه لا تعطوها لآل البيت، بل إنه أشار إلى عمل آبائه الكرام من كونهم كانوا يدفعونها فيما بينهم، وفيه إشعار للعارف بجواز دفعها، ولكن صرح على رؤوس العامة بما تعين عليه التصريح به كما قررناه.

وإذا تقرر لديك جواز مخالفة الشيخ في المذهب، وكون التمذهب بمذهب غير مشروط في طريقته الأحمدية، فلا علي إذا قلت على رؤوس الأشهاد : أيها الإخوان والأحباء ادفعوا الزكاة لآل البيت، واستندوا في جوازها على قول العلماء الذين استند عليهم قول صاحب العمليات، وإني لا أعتقد أن دفعها لهم أولى من دفعها لغيرهم، والتقرب إلى الله وإلى النبي (ﷺ)

---

(7) انظر جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني للعارف بالله سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي ج 2 ص 215 وانظر الجامع لما افترق من درر العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم للعلامة الشهير سيدي محمد بن المشري وانظر نصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء لنفس المؤلف، بتحقيقنا وطبعنا له ص 15.

(8) الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية، من تأليف العارف بالله سيدي الطيب السفياني، المتوفي بفاس في شهر جمادى الثانية سنة 1259هـ ودفن بجبل زعفران خارج باب الجيسة. وقد جمع هذا الكتاب بعضا من كلام الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه، ورتبه مؤلفه على حروف المعجم، وهو مطبوع، لكن المعروف عن بعض أكابر أعلام هذه الطريقة أنهم كانوا يتعاملون مع هذا الكتاب بحذر، وذلك لوجود زيادات فيه لم يقلها الشيخ رضي الله عنه، وهذا لا ينقص من قيمة مؤلفه المعروف بصدقه وأمانته وتقواه، ولكن الإحتياط واجب، وبناء عليه فإن أهل التحقيق اليوم لا يأخذون من الإفادة الأحمدية سوى ما اعتمده أبو المواهب السائحي رضي الله عنه في بغيته.

(9) ذهب عمل علماء فاس إلى القول بجواز التصدق على الشرفاء، ولذا قال صاحب النظم :

وشفعة الخريف في المصيف ... كذا التصدق على الشريف

متحقق بدفعها لهم لأمور منها : عدم انكسار خاطر الشريف بعدم دفعها له، ومنها إغناء نفس الشريف إذا دفعت له عن أن يتملق لأجل أخذها لمعطيها له، ومنها إدخال السرور عليه بدفعها له، ومنها غير ذلك، وعلة الوسخية لا يبعد أن تكون خاصة بالحسنين، وقد كانا غنيين، وتنبيها لكونهما في غنى عن أوساخ الناس، ولا يخفى أن آل البيت مطهرون بالذات، والوسخ عرضي، والمقصود عدم إهانتهم مع كونهم معظمين محترمين، والذي نراه الآن أن إهانتهم حاصلة بمنعهم من الزكاة فعليك أخي بدفعها لفقرائهم، وهم كل من تشوف لأخذها، وإياك أن تمنع منها طالبها، وحذار حذار من انكسار قلب أحد منهم.

وما علي إذا ما قلت معتقدي　　　دع الجهول يظن الحق بهتانا

والله يوفقنا وإياكم لما فيه رضاه آمين

أحمد سكيرج أمنه الله

hưǋŊǰǣ njŊǰǣ DžY ĿǰǣǴFШƋ ţ ďž

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

مدينة سطات بالشاوية بالمغرب

في 5 شوال عام 1349هـ

حضرة القاضي النزيه الوجيه الشيخ سيدي عمر بن عطاء الله بن أحمد بمحكمة المشرية، أطال الله بقاءكم، وأدام ارتقاءكم، والسلام عليكم وعلى كل من هو منكم وإليكم.

أما بعد فقد ألقي إلي كتابكم الكريم طالبا الجواب عن نازلة تزوج المرأة المحكوم بطلاقها، وتزوجت بعد العدة أثناء استئناف الحكم ؟

فليعلم جنابكم أن المرأة المذكورة يتعين أولا منعها من الزوج الثاني إلى أن يصدر الحكم النهائي من مجلس الإستئناف، لأنها لم يتحقق طلاقها بحكم القاضي إلا بعد الموافقة عليه، فهي حينئذ لا زالت في شك من إمضاء الحكم بطلاقها، فتجب المبادرة في منع الرجل الثاني منها لما جرى به ضابط الإستئناف من إبقاء ما كان على ما كان إلى صدور الحكم النهائي، غير أن من الإحتياط في الفروج يتعين منع الرجل الأول أيضا منها خشية وطئها في طلاقها منه، وأحرى منع الرجل الثاني منها خشية أن تكون تزوجت وهي ذات زوج، فجاء الحكم بالمبادرة في حق الله طبق ما نص عليه في المختصر ولامية الزقاق(10) من المبادرة : وفي حق الله تجب المبادرة

(10) علي بن قاسم محمد التجيبي، المشهور بالزقاق، من أعيان فقهاء فاس في وقته، من كتبه : المنظومة اللامية وتقييد على مختصر الشيخ خليل، والمنهج المنتخب إلى أصول المذهب. توفي رحمه الله عام 912هـ، انظر ترجمته في الاستقصا للناصري ج 2 ص 182، وفي شجرة النور

إلخ... مما هو مقرر، وأما ثانيا فإن حكم القاضي بطلاقها لا يعد نافذا إلا بعد موافقة الإستئناف عليه، لكونه ربما يكون مبنيا على غير أساس شرعي، أو صدوره بالإعتماد على قول شاد، فيرد لذلك عملا بقول العمل.

حكم قضاة الوقت بالشذوذ ينقض لا يتم بالنفوذ

ولا يقال هنا أن حكم القاضي رفع الخلاف لقول المختصر : ورفع الخلاف لا أحل حراما(11)، لأن القاضي الذي يرفع حكمه الخلاف هو المجتهد، زيادة على كون الحكم قد يكون على حسب ما ظهر لقاضي النازلة، فيحكم في القضية عن جهل أو تبعا لأغراض شخصية، ومن أجل هذا تأسس المجلس الاستئنافي، ولو فرضنا أنه لا مجلس ترجع القضايا إليه، ووقع الحكم بغير المنصوص شرعا، لكان في الواقع ذلك الحكم كالعدم، لما تقرر أن المعدوم شرعا كالمعدوم حسا، فتزوج الزوج الثاني في هذه النازلة لا يسوغ، ويتعين معاقبتها إن علمت باستئناف المحكوم عليه للحكم، كما يتعين تأديب من تزوج بها مع العلم بذلك، وتكون عقوبتها باجتهاد الحاكم، وفي المختصر : وعزر باجتهاده الانسحاب من هذا على مثل هذه القضية بما هو واضح بهذا التعزير، فاتضح بهذا أن الحكم إذا لم يكن مبنيا على أساس شرعي فهو والعدم سواء، ولا يعتبر شرعا ولا يقضى به قطعا، فتكون المرأة قد تزوجت في عصمة زوجها فيجب منعها من الثاني، وترد للأول بعد استبرائها إن حكم الإستئناف بنقض الحكم. فحكم القاضي بما ليس بحق لا يحل حراما إذا فرضناه مجتهدا، فضلا عن المقلد الذي يجب عليه متابعة إمامه. فإذا فرضنا أن الإستئناف حكم بصحة الطلاق المحكوم به فلا يفسخ تزوج الثاني بها بعد أن انقضت عدتها ولا تحرم عليه، لأن الحكم الشرعي وقع في محله، والعبرة بالعدة بعده، فإنها هنا قد انقضت ولا يحتاج إلى عدة أخرى بعد الإستئناف الحاكم بصحة حكم القاضي بالطلاق، لأنها لا موجب لتكرارها إلا إذا وقع استرسال الزوج على الزوجة أثناء النظر في القضية لمجلس الإستئناف، والفرض هنا لا استرسال، وقد تزوجت بعد العدة.

فإذا ورد الحكم بصحة الطلاق المحكوم به فلا تمنع من زوجها الثاني، وترد إليه إن تزوجت به بعقد معتبر شرعا، ولا موجب لتحريمها عليه بعد صحة ذلك الحكم، فإذا فرضنا نقض الحكم فإنها ترد إلى الأول بعد استبرائها من الثاني إذا قبلها، فإذا فرضنا عدم قبولها بعد منع الثاني منها فلا بد من استبرائها من الثاني لكونها تزوجت به وهي ذات زوج، والمرأة إذا تزوجت في عصمة زوجها فتزوجها باطل غير معتبر شرعا، فترد إليه بعد الإستبراء، ولا تحرم على الثاني إن طلقها الأول وتم استبراؤها من الثاني، أو بعد عدتها منه إذا قبلها الأول، وكذلك في هذه القضية فلا يعد تزوجها بعد عدتها من الأول أثناء نظر الإستئناف كونها تزوجت في عدة، لأن

الزكية لمخلوف ص 274 رقم الترجمة 1020، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 320، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 312 رقم الترجمة 698، وفي جذوة الإقتباس لابن القاضي ص 476 رقم الترجمة 532.

(11) مختصر الشيخ خليل بن إسحاق المالكي باب أهل القضاء ص 262.

تلك العدة الواقعة أثناء النظر لم تقع في محلها، لكونها لا زالت متزوجة بزوجها الأول شرعا، ولولا شبهة صحة الحكم بالطلاق لعد ذلك الوطء الواقع زنى.

والزنى بالمرأة لا يحرم على الزاني بها تزوجه بها بعد الإستبراء كما هو مقرر لدى قول المختصر : لا من زناه، وبما أوضحناه ظهر أن فسخ نكاح الثاني إنما يكون بعد الحكم بنقض الحكم بالطلاق بعد أن وقعت المبادرة من منعها منه أثناء نظر الإستئناف، وترد إليه إن لم يمسها الأول أثناء ذلك النظر من غير تجديد عقد آخر عليها لوقوع العقد الأول من الزوج الثاني، وقد وقع بعد العدة الشرعية، فلا موجب للتحريم أو لعقد ثان منه عليها، والله الموفق للصواب، قاله وكتبه راد العلم لمولاه، خديم العلم والعلماء أحمد سكيرج.

huNJäʒ njNjʒ DžY LjGFWa ţ dž

السؤال : الحمد لله، وبعد فالقصد من سيادتكم المباركة أن تبينوا لكاتبه مسألة : وهي ما مقدار ربع دينار بسكة أميرنا مولانا عبد العزيز(12) وكذا سكة أبيه، وهل ما سمعناه في بعض مجالس دروس العلم من أنه من أراد أن يحتاط فيه إذا وقع الصداق به مثلا يزيد في قدره ثلاثة بساسيط صحيح أم لا ؟ بينوا لنا ما ثبت عندكم بالإختبار أو غيره. أبقى الله للأنام وجودكم، ونفع بكم الخاص والعام، والسلام والرحمة والبركة بالدوام عليكم، والجواب بلا توان بارك الله فيكم.

نص الجواب : الحمد لله الذي أرشد لطريق الحق من أراد به الخير والفلاح، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ذوي الرشاد والنجاح، أما بعد فإن الجواب عما تضمنه السؤال لا يتضح غاية إلا ببيان صرف الدينار الشرعي بالدرهم الشرعي ومقدار كليهما. فأقول : اعلم أن الدينار الشرعي صرفه في باب النكاح والصرف واليمين والسرقة والدية اثني عشر درهما، وفي باب الزكاة والجزية عشرة دراهم، كما قال التتائي(13) :

ديات وصرف مع يمين وسارق	نكاح زكاة جزية تم عدهـــا
فصرف أخيريها بعشر دراهــم	وللباقي زده اثنين غاية حدها

---

(12) السلطان مولانا عبد العزيز بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمان العلوي، بويع له بعد وفاة والده عام 1311هـ، وكانت أيامه أيام أحداث وفتن، منها فتنة محمد بن الجيلالي الزرهوني الملقب ببوحمارة، ولذا تنازل عن الحكم عام 1326هـ، وفي سنة 1333هـ نقله الفرنسيون إلى مدينة بو (Pau) فأقام بها مدة، وبعد عودته من منفاه إلى أرض الوطن استقر بمدينة طنجة، وبها توفي عام 1363هـ - 1944م، انظر ترجمته في الدرر الفاخرة لابن زيدان ص 111، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 16.

(13) محمد بن إبراهيم بن خليل التتائي، من أعيان المالكية بمصر، توفي رحمه الله عام 942هـ من مؤلفاته شرحان على مختصر خليل، انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 272 رقم الترجمة 1008 وفي الأعلام للزركلي ج 5 ص 302. وفي الكواكب السائرة لنجم الدين الغزي ج 2 ص 20، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 263 رقم الترجمة 99.

وصرفه في بيع الحاضن ثمانية دراهم. وقدره بالوزن من خالص الذهب اثنان وسبعون حبة من الشعير المطلق، بحيث تكون الحبة متوسطة غير مقشورة، وقد قطع من طرفها ما امتد وخرج عن خلقتها، وأما الدرهم فوزنه من الفضة الخالصة خمسون حبة كذلك وخمسا حبة، وهذا العدد هو سبعة أعشار الدينار، وفيهما قلت :

من مطلق الشعير وزن الدرهم	خمسون مع خمس حبة نمي
واثنان مع سبعين في الدينـــــار	في الشرع هذا صح بالمقدار

وقد تلقينا عن بعض أشياخنا المحققين أن وزن الدرهم الحسني مثل الدرهم الشرعي، وقد كان اليوم الذي أمر الأمير مولانا الحسن(14) رحمه الله بأخذ قدره يوما مشهودا، وهو أحد العلماء الجلة الذين باشروا ذلك، فلذلك تجد في أحد جهتيه مرقوما : درهم حسن شرعي، وقد رأى ذلك فيه علماء وقته ممن لا يسكتون عن المنكر، فتلقوه بالقبول، ولم ينكر وزنه أحد منهم، ولو كان ناقصا عن مقدراه الشرعي ما سكتوا.

وقد اختبرته أيضا بالوزن فوجدته صحيحا فيما علمناه وعملناه، وأما الدرهم العزيزي فكان أولا موافقا للسكة الحسنية في الوزن حتى دخله النقص في الوزن وانتقل إلى الجزء العشاري كما هو مرقوم في أحد وجهيه. فإذا تقرر عندك هذا علمت بالضرورة أن ربع الدينار الشرعي قدره ثلاثة دراهم حسنية أو عزيزية شرعية، أو ثلاثة دراهم ونصف درهم عزيزية، المضروبة بالجزء العشاري مع شيء يسير. إلا أن السكة حصل فيها بعض تدليس من بعض الفسقة بضربها في قالب الغش ممزوجة بالنحاس وغيره، وتدفع للمسلمين كذلك، فلذلك ينبغي لمن أراد أن يحتاط لدينه إذا وقع الصداق بربع الدينار مثلا أن يزيد فيه للتحري، بقدر ما ينتفي به الشك في قدره الذي لا يجزئ أقل منه في المهر على المشهور الذي لا يعدل عنه في الفتوى إلى غيره، وقد أشار في التحفة إلى هذه المسألة مع زيادة فائدة بقوله :

وربع دينار أقل المصدق	وليس للأكثر حد ما ارتقـــي
أو ما به قوم أو دراهـــم	ثلاثة فهي لـه تـــقـــــــــاوم
وقدرها بالدرهم السبعيني	نحو من العشرين في التبيين
وينبغي في ذاك الاحتياط	بخمسة بقدرهــــا تنــــاط(15)

---

(14) السلطان مولانا الحسن بن محمد بن عبد الرحمان العلوي، بويع له بعد وفاة والده عام 1290 هـ. وله رحمه الله إنجازات كثيرة في شتى مجالات التنمية بالمغرب، وكان كثير الرحلات بين مدن وأقاليم المملكة، وتوفي في إحدى هذه الرحلات قادما من مراكش إلى مدينة مكناس، وحمل إلى رباط الفتح حيث دفن فيه عام 1311هـ. انظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 2 ص 115، وفي الدرر الفاخرة لنفس المؤلف ص 97، وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 220.

(15) انظر شرح ميارة الفاسي على تحفة الحكام ج 1 ص 157.

hu̱NJäʒ njNjẗʒ DžY LjẗƓFɯa ţ dž

الحمد لله، سئل كاتبه عن حكم الله في امرأة حرة أسقطت جنينها من بطنها ؟

فأجاب : إن ثبت عليها أنها تسببت في إسقاطه فعليها خمسون دينارا على أهل الذهب، وستمائة درهم على أهل الورق، أو غرة أقل سنها سبع سنين، أو عبد أو أمة تساوي ذلك، وإلى هذا أشار في التحفة فقال : (وفي الجنين غرة من ماله أو قيمة(1) وفي المختصر قال : وفي الجنين وإن علقة عشر أمه ولو أمة نقدا أو غرة عبد أو وليدة تقوم بخمسين دينارا أو ستمائة درهم(2) إلخ ... فتحصل أن على هذه المرأة دية الجنين وهي خمسون دينارا، أو ستمائة درهم، أو عبد أو أمة تساوي ذلك، ولا تأخذ هي من هذه الدية شيئا، وإنما ينفرد بها ورثته على فريضة الله دونها كما هو واضح، قاله وكتبه أحمد سكيرج.

hu̱NJäʒ njNjẗʒ DžY LjẗƓFɯa ţ dž

الحمد لله، سئل كاتبه عفا الله عنه عن رجل علق طلاق زوجته على دخولها الحمام بسبب المناكر التي تتوقع من النسوة، ودخلت حال المرض ووقع عليه الطلاق، ثم أشهد أنه ارتجعها، فهل يرجع التعليق عليه أم لا إن استمرت على الدخول، فإن السبب الحامل على ذلك لا زال موجودا في الحمامات ؟

فأجاب : لا يخفى عنكم أن العبرة في الأيمان بما انعقدت عليه نية الحالف، لأنها تخصص وتعمم لقول المختصر : وخصصت نية الحالف(3) وينبغي أن يراعى البساط الذي جرت فيه اليمين، ثم ينظر اللفظ المنعقد به اليمين، فتقع الفتوى بمقتضى ذلك، حيث يجيء الحالف مستفتيا، أو حيث يرجع للحكم عليه، وتحت هذا صور كثيرة، والقاعدة التي بني عليه حكم تكرر الحنث نظمتها في قولي :

قاعدة في الحنث لا يكـــرر	إلا بما اقتضاه مما يذكر
بحيث يوتى في اليمين بمتى	أو كلما ونحوه فيما أتى

وقد ذكر هذه القاعدة مجيزنا مفتي الحضرة الفاسية الشيخ محمد المهدي الوزاني(4) في معياره الجديد، وعلى ذلك فإن كان هذا الحالف أتى في عقد يمينه بقوله : كلما دخلت الحمام فأنت طالق، أو نوى ذلك، أو قال مثلا : متى دخلت الحمام فأنت طالق أو نواه فإنه يتكرر عليه الحنث، وإن لم يأت بما يفيد التكرار ولم ينويه، فتنحل عقدة اليمين بالحنث مرة، لأنها انحلت يمينه ولم

---

(1) انظر شرح ميارة الفاسي على تحفة الحكام ج 2 ص 286.
(2) انظر مختصر الشيخ خليل بن إسحاق المالكي، (باب في فصل الدماء) ص 277.
(3) انظر مختصر الشيخ خليل بن إسحاق المالكي باب اليمين ص 97.
(4) سبق التعريف به في ج 1 ص 40 من هذا التأليف.

يبقى لها أثر، ولهذا لا بد من النظر لما لفظ به الحالف فيها في هذا السؤال، مع استفساره عن مقصوده، فينزل الحكم والفتوى على تحقيق السؤال بمراعاة الشروط المذكورة، والعلم لله الكبير المتعال.

Ŷɛ Ljɒžɵþ ɫþɟɪƨ ɹɒžɵç ɫƑɵllɛ Ljɨقaƨllɛ ƊžƊ hullFƨþ ƫ ďž ǇPlj ǎþNjƬďžllɛ þƮɋŬɛ ǎɹيدƨ مقدɒžllɛ Ljɨقaƨllɛ hu‡ɟƮƨll

وبعد فقد كان وصلني كتابك فاستفدت منه سلامتكم وعافيتكم، وحمدت الله على ذلك سائلا من المولى أن يسبغ علينا وعليكم نعمه في الظاهر والباطن، وقد صرت على بال من جميع ما ذكرته، ولقد أحسنت فيما قابلت به السيد محمد بن سليمان(5) حين اجتمعت به، ولا عليك فيما قاله صاحبه من كونك تريد الصلح، فإن الصلح خير، لكونه صلحا وصلاحا وإصلاحا، والعاقل من يعامل الناس على مقتضى ما يحبون، وعليه بخويصة نفسه، فإذا جمعتك الأقدار به مرة أخرى فأظهر له المحبة وقل له : الطريقة التجانية لا تقبل الشركة بحال، وأما محبة الأولياء وتعظيمهم فواجب علينا، وإليكم صحبته جواب الأسئلة على الترتيب.

السؤال الأول : عن المريد التجاني هل له أن يقرأ دلائل الخيرات(6) بلا إذن من الشيخ أو من وسائطه، وكذا أحزاب المشايخ كالصلاة المشيشية(7) وغيرها، حتى أن في أحزاب بعض المشايخ ما نصه : وأرض عن خليفته في هذا الزمان، من جنس عالم الإنسان، الروح المتجسد، والفرد المتعدد، إلى أن قال : اللهم بلغ سلامي إليه، وأوقفني بين يديه، وأفض علي من مدده ؟

الجواب : اعلم أن من أذكار سيدنا رضي الله عنه دلائل الخيرات، وقد حدثني بعض أحبابنا أنه رأى دلائل الخيرات بخط سيدنا رضي الله عنه(8)، وحدثني بعض الثقاة أنه رضي الله

---

(5) سيƋتي التعريƨ به في هذا الكتاب ج 1 f 211.

(6) دƻƑǈل الخيراƘ وƬوارق الأنوار في ذكر الصلاة علǏ النبي المختار للولي الصاƕƠ العلامة سدي محمد بن سليمان الجƨولي المتوفي بƋفوƹال بالمƺرل عام 869هـ، انƲار ترجمته في هذا الكتاب ج 1 f 360.

(7) نسبة للولي الصاƕƠ موƛنا عبد السلام بن مƬيƫ ، ومƱلعƌƯ : اللƌƯم صل علǏ من منه انƬƾƘ الأسرار ... ɋلƺ

(8) ذكر العلامة سكيرج في كتابه رفع النقاب ج 3 f 52 : أنه وقƨ علǏ كتاب دƻƑǈل الخيراƘ بخƱ الƬيɋ أبي العباƩ التجاني رضي Ÿا عنه. وذƿا بƠجيƝ، عند السيدة فاƱمة بنƘ عبد الرحمان بن ƨيان الƠجيجي المعيƨي. وهو مƬكول باللون الأحمر. وعدد أوراقه 120 ورقة. كل ورقة بƌƯا 18 سƱرا. في كل جƌƯة منƌƯا 9 سƱرا. وكتب سيدنا الƬيɋ رضي Ÿا عنه في ƇخƋر صƠحة منه ما نصه : كمل بحمد Ÿا وحسن عونه ضحوة يوم الخميƩ أول يوم المحرم فاƢƠ عام 1171هـ، علǏ يد كاتبه أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن سالم بن أبي العيد بن سالم بن أحمد التجاني نسبا. ƹƠر Ÿا له ولقارƑه وناƲرƋا ومن دعا له بالمƺƠرة ƇمينƋ. وصلǏ Ÿا علǏ سيدنا محمد وƇله وسلم. والحمد Ÿ رب العالمين. قال العلامة سكيرج : وقد كتبƘ علǏ أول ورقة منه هذƋا الأبياƘ :

هذا الدليل يساوي وƨنه ذهبـــا | بل ƛ يعادله Ƭيء لمن Ʊلبـــــــــا
وكيƨ وهو بخƱ القƱب سيدنا | الختم التجاني الذي علا السوǎ رتبا
دعا لقارƑه دعـــا لـــنــاƲرƋا | فانƲرƋا واقرأƋا واƬكر من لذا كتبـــا
فالحمد Ÿ حيƊ قد ƲƠرƘ به | ومن دعاƋا بلƺƘ القصد والƱـــلــبا

عنه كان ينوه بقدره، وأن مؤلفه الإمام الجزولي له المكانة من القرب من حضرة الرسول (ﷺ) بسبب تأليفه المذكور، وكل من قرأه حصل له القرب من مكانه العلي عليه السلام، وكان سيدنا رضي الله عنه يتلوه عن ظهر قلب سرا وجهرا، وكذلك الصلاة المشيشية فقد كان ينوه بها ويتلوها كما يتلو غيرها من أذكاره التي كان مواظبا عليها في خاصة نفسه، ويلقنها من جملة الأوراد الغير اللازمة، فللمريد التجاني قراءتها مع دلائل الخيرات تبعا للشيخ رضي الله عنه، ولا يحتاج في ذلك إلى إذن خصوصي إلا من حيثية الرواية، والأخذ بها من الطريق التي سلك عليها أولوا التحقيق، وأما غيرهما من أحزاب المشايخ مما كان الشيخ رضي الله عنه يذكره فللمريد الإقتداء به، إلا فيما نبه عليه مما لا يلقن إلا بالإذن الخصوصي للخواص من أصحابه كحزب البحر(9) فإنه لا يأذن فيه إلا الخواص للخواص من أهل طريقه.

وقد كان سيدنا رضي الله عنه رفع الإذن عمن كان تلقاه عنه أو عن أحد مقدميه قيد حياته، إلا عن بعض خاصة الخاصة من أحبابه مثل الخليفة سيدي الحاج علي حرازم برادة، والمقدم سيدي الحاج عبد الوهاب بن الأحمر، وأضرابهما رضي الله عن الجميع(10)، فما كان من قبيل هذا فلا يذكره المريد إلا تفننا في الأذكار، من غير اعتماد على تلقين أحد من الشيوخ الذين هم ليسوا من أهل هذه الطريقة الأحمدية، إلا إذا كان من غير التزام لذلك حتى لا يعد ممن أخذ ورد شيخ آخر على ورده، أو تلقى الطريقة التجانية من غير انسلاخ عن غيرها، وأما إذا كان ذكره إنما هو لنيل سر من الأسرار المنطوي عليها فهو مثل غيره من أذكار الشيوخ وأحزابهم، فللمريد ذكر ذلك إذا لم ينسب ذكره بإذن الشيخ له فيه، والأولى للمريد أن يذكر ما كان يذكره شيخه بإذن له فيه، وله أن يذكر ما لم ينبه على ترك تلاوته، ولا ينهاه شيخه عن ذكر إلا لمعنى علمه من علمه من أصحابه وجهله من جهله.

وقد اختلج في صدري أن سبب رفع الشيخ رضي الله عنه الإذن في هذا الحزب إلا عن بعض الخواص من أحبابه هو كون ذاكره يعد من أصحاب الإمام الشاذلي رضي الله عنه القائل فيه : من قرأ أحزابنا فله ما لنا وعليه ما علينا، فربما يشوش على غير الصادق في الطريق هذا الضمان، فيذكره اعتمادا عليه بقطع النظر عن نهي الشيخ رضي الله عنه من الإلتفات لغيره فينقطع عن الطريق، ومن تمكن في طريقة الشيخ رضي الله عنه وصار من الخواص فإنه لا يذكره إلا تبعا للشيخ بإذنه من غير التفات لضمان الشاذلي رضي الله عنه لقارئه، ولا يخفى عنك أن سر أي ذكر من الأذكار لا يظفر تاليه به إلا بالإذن من صاحبه بواسطة أو بغيرها، ولذلك تجد كثيرا ممن يذكرون بعض الأحزاب لإحراز أسرارها وخواصها، ولا يحظون من ذلك إلا بالتعب

---

(9) من الأذكار الغير اللازمة في الطريقة الأحمدية التجانية.

(10) ذكر الفقيه سيدي محمد بن يحيى بلامينو الرباطي في كتابه ما نصه : قال سيدي محمد العربي بن السائح رضي الله عنه : لم يرو الحزب الموسوم بحزب البحر عن الشيخ رضي الله عنه أحد من جميع أصحابه إلا الصاحب الخاص لسيدنا الشيخ رضي الله عنه سيدي الحاج عبد الوهاب بن الأحمر، ولم يأذن فيه أحد من أصحاب الشيخ رضي الله عنه إلا هو. ثم قال رضي الله عنه : وقد زاد فيه بعض زيادات، زادها بنية التبرك، منها لفظ يا الله، ومنها لفظتي الدنيا، رواية عنه من أصله وغير ذلك، فلينتبه لذلك المريد.

من غير جدوى إن كان ملاحظا لذلك، لأن السر في الإذن في الذكر، وفي الذكر بالإذن، وهذا أمر متفق عليه عند علماء سر الحرف والوفق والإسم والذكر، وقد كنت أبحث كثيرا على فك بعض الرموز التي لم أفهمها مما وقفت عليه في كتب الأوفاق وسر الحرف، حيث كنت مولوعا بذلك، فوقفت على الرمز الذي ذكره العارف بالله أبو زيد الشامي(11) في تأليفه في المخمس الخالي الوسط، فلم أجد من يفكه لي إلا شيخنا المرحوم الشريف سيدي الحبيب الداودي(12) رحمه الله، فأخبرني بأنه هو مجموع جمل هذه الجملة وهي في سره هو إذن من الشيخ لك فيه، وعدد ذلك موافق لذلك الرمز، حتى يتحقق الخائض في ذلك الفن أنه لا بد من إذن الشيخ في نيل السر، وإلا فليس له إلا مجرد التعب كما ذكرناه، وقد خرجنا عن المقصود من الجواب بذكر هذا، ولكن لا بأس به حيث استطردناه من غير قصد، والضرب عنه بعد كتبه لا يليق، لتكون منه على بال، وأما الأحزاب التي تشعر بالتعلق بغير الشيخ رضي الله عنه والاستمداد منه فلا ينبغي للمريد تلاوتها إلا على وجه لا يقصد به شيء من ذلك، وإلا فلا خير له فيه، بل ذلك ينقطع به عن مدد الشيخ رضي الله عنه.

وأما ما ذكرته مما هو في بعض صلوات بعض المشايخ من قوله : اللهم بلغ سلامي إليه وأوقفني بين يديه إلخ ... فإن كان الضمير يعود على غير النبي (ﷺ) فترك ذكره من المتعين في حق المريد، وإن كان الضمير يعود على النبي (ﷺ) فلا بأس إن شاء الله على المريد في ذكره لذلك، لأن من سعادة المريد أن يبلغ مولاه سلامه للنبي (ﷺ)، ووقوفه بين يديه، والإفاضة عليه من مدده، من الأمر الذي يتمناه كل موفق سعيد، ولا بأس بأن يطلب الرضا لخليفته ولسائر أهل الله بمثل قول صاحب هذه الصلاة وأرض عن خليفته، والحاصل أن كل ما يدل على الإستمداد والتعلق بالرسول (ﷺ) فللمريد التجاني أن يقرأه ويذكره ويقصد نفعه به، وأما ما يشعر بالإلتفات عن الشيخ لغيره من الشيوخ فليترك ذكره، وضرره عليه متحقق من نفعه، لأن الإلتفات قاطع للمدد عن المريد، ومانع له عن الوصول لما يريد، عياذا بالله من كل مانع وقاطع، ولا يحتاج في شيء من ذلك لإذن الشيخ رضي الله عنه في الأذكار العامة، وهي التي وردت عن الشارع صلوات الله عليه، فهي مأذون فيها للعموم والخصوص، بخلاف ما فيه خاصية فلابد فيه من إذن من اكتشف تلك الخاصية ليحرزها الراغب فيها في ذكر خاص أو عام، ولا ينقطع عن الطريق من تلقى إذنا عن أحد الشيوخ فيما ليس من أوراد طريقه التي يلقنها لمريديه، ثم الوقوف مع جادة الطريق بقطع النظر عن غير أوراد الشيخ رضي الله عنه اللازمة وغيرها، وهو اللائق بالمريد، والله الموفق.

---

(11) الشيخ الصالح، البركة الناصح، العارف بالله أبو زيد سيدي عبد الرحمان بن محمد فتحا بن محمد بن عبد الحق الشامي الخزرجي، من أعلام الصوفية بالمغرب، له تآليف منها : كتاب الأسرار، ذكر فيه حكما وأسرارا عالية، توفي رحمه الله في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، ودفن خارج باب الفتوح بفاس، انظر ترجمته في سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 3 ص 18.
(12) سبق التعريف به في ج 1 ص 29 من هذا التأليف.

السؤال الثاني : عما في كتاب العلوم الفاخرة لسيدي عبد الرحمان الثعالبي(13) ونصه :

روينا في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة(14)، فإذا أردت أن تعرف هذه الساعة فاقرأ عند نومك من قوله تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا)(15) إلى آخر السورة، وانوي القيام في تلك الساعة فإنك تستيقظ في تلك الساعة إن شاء الله تعالى بفضل الله، ومهما استيقظت فادع لي ولك، وهذا ما ألهمته من فضل الله فاستفده، وإياك أن تدعو على مسلم بسوء ولو كان ظالما، فإن خالفتني فالله حسيبك، وبين يديه أكون خصيمك، وأنا أرغب إليك أن تشركني في دعائك إذ أفردتك هذه الفائدة العظيمة وكنت شيخك فيها إلخ ... فهل قوله فإذا أردت أن تعرف هذه الساعة إلى قوله وكنت شيخك فيها من كلام سيدنا جابر ؟ أو من كلام الإمام مسلم ؟ أو من كلام الإمام الثعالبي ؟ رضي الله عنهم، فإن كان من كلام سيدنا جابر فلا إشكال فيه لأنه صحابي، وإن كان من كلام أحد الشيخين فماذا يقصده المريد التجاني إذا أراد قراءة الآية الكريمة ليستيقظ في الساعة الواردة في الحديث الشريف ؟ وفي بغية المستفيد(16) ما نصه : فائدة : قد صح أنه ما من ليلة إلا وفيها ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه، وقد قال الشيخ زروق(17) قال بعض من لقيناه من الشيوخ : ومن شاء القيام فيها فليقرأ ما ورد للقيام في أي وقت شاء كآخر سورة الكهف.

---

(13) أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، من أكابر العلماء والفقهاء، وخاصة الخاصة من الصالحين الأتقياء، ولد في حدود عام 786هـ وتوفي رحمه الله سنة 875 هـ وله تآليف كثيرة تدل على غزارة علمه في الكثير من الفنون منها : الجواهر الحسان في تفسير القرآن، وجامع الأمهات في أحكام العبادات، وروضة الأنوار ونزهة الأخيار، والذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز، والإرشاد في مصالح العباد. وغيرهم. وهو من أعلام المالكية بالجزائر، انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 264 رقم الترجمة 976 وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 331. وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 307 رقم الترجمة 685 ، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 732 رقم الترجمة 390، وفي معجم المطبوعات لسركيس 661.

(14) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج 6 ص 36 باب صلاة الليل والوتر.

(15) سورة الكهف الآية 108.

(16) بغية المستفيد شرح منية المريد : تأليف العالم العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح رضي الله عنه، المتوفي برباط الفتح ليلة الأحد 29 رجب الفرد الحرام عام 1309هـ، انظر التعريف به في ج 1 ص 308 من هذا التأليف.

(17) أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، المشهور بزروق، الفقيه الصوفي الجليل، توفي في تكرين من قرية مسراتة من أعمال طرابلس الغرب، عام 899هـ وبها دفن، وله رحمه الله مؤلفات كثيرة جدا، في الفقه والحديث والسيرة والتصوف، ويسمى عند القوم بمحتسب الصوفية، انظر ترجمته في جذوة الإقتباس لابن القاضي ص 128 رقم الترجمة 66 وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 91 وفي درة الحجال لأحمد بن محمد بن القاضي ج 1 ص 126 وفي سلوة الأنفاس للكتاني ج 3 ص 123 وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 267 رقم الترجمة 988. وفي الضوء اللامع للسخاوي ج 1 ص 222، وفي معجم المطبوعات لسركيس 956، وفي

الجواب : ليس ذلك من كلام سيدنا جابر رضي الله عنه ولا من كلام الإمام مسلم، وإنما هو من كلام مؤلف العلوم الفاخرة، لأنه هو الذي ألهمه الله ذلك، وليس من شأن الصحابة رضي الله عنهم ولا من شأن المحدث أن يذكر ما ألهمه الله حالة ذكره الحديث النبوي، وإنما ذلك من شأن الصوفي مثل الإمام الثعالبي من أصحاب الإلهام، ثم إن ذلك الإلهام الحاصل للإمام الثعالبي إما أن يكون حصل له عن كشف في خاصية هذه الآية الشريفة، لأنه قد ورد في بعض الآثار التي ليست بصحيحة أن من قرأها ونوى القيام في أي ساعة من الليل فإنه يستيقظ، كما رود في جملة من الآي الشريفة، فرأى من طريق الكشف أن من استيقظ بعد تلاوة هذه الآية فإنه يستيقظ في تلك الساعة، وإما أن يكون أذن له بأن يقرأها لذلك فصادفها، فأفاد بذلك من يعمل بها، لأنه نظر لخاصية الآية فعمل بها على نية القيام في تلك الساعة فاستيقظ فيها، وكرر العمل فصح لديه، ولا يخفى عنك أن الليل في هذا الحديث الشريف ظرف متسع، فلا يبعد أن تكون تلك الساعة قد مرت قبل نوم قارئ تلك الآية، فإذا استيقظ فإنه يستيقظ في غيرها، لأنها لا تكرر إلا إذا كانت بحسب كل شخص، وقد يجاب عن هذا بأنه لا يلهم لقراءة تلك الآية إلا من قدر الله أن تكون الساعة بعد نومه وحالة إفاقته بعده، وأما قبل نومه فلم تكن، وكأن هذا العارف قدس سره كوشف له عنها بأنها لا تكون إلا آخر الليل، واستفاد ذلك من حديث نزول الرب للسماء الدنيا آخر الليل، والله أعلم، وفائدة إلهام الشارع (ﷺ) لهذه الساعة هو الحث للشخص على الإجتهاد في الدعاء طول الليل، كما أبهمت ساعة الجمعة والإسم الأعظم من بين الأسماء، ونحو ذلك مما قيل فيه :

وأخفيت الوسطى كساعة جمعة　　　لذا معظم الأسماء مع ليلة القدر

أحمد سكيرج

أمنه الله

ƿɑƊǅǁǁع hʋǂيꞆƻǁ Ŷع ǇǰƊǅϴƥ ǂƥيǀƨ ɖƊǅϴƈ ǂƑϴǁǁع hʋƊǅǘyǁǁع ƊǅƊǅ hʋǁǁƑƨƥ

ǏتعǋǰتǁǁɂƨƑقǁǁع ǏƓƈ ƊǅƓ ǏƓƥyǁǁعɖƊǅϴƊǅ ǎيدƨ ǇǰقيƻǁǁƐ

الحمد لله، حفظ الله بمنه مجادة المحب الأرضى، الفاضل الماجد الأحضى، الأديب الأريب الفقيه الأجل، سيدي محمد العربي بن أبي القاسم، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وتحياته وزكواته عن مدد مولانا رسول الله (ﷺ)، وبعد فقد وصلني كريم كتابك ولذيذ خطابك، فحل عندنا محل القبول، وكان بيننا في توثيق حبل المودة نعم الرسول، ولكم الفضل في بداءتنا بالمكاتب وإخلاص المودة في ظهر الغيب كما أنبأتنا بذلك تلك المخاطبة، جعلني الله وإياكم من المتحابين في الله بالله، وأدام أخوتنا في الله خالصة لوجه الله، والذي أوصيك به أيها الأخ أن

ﻓǰرΣ الǶǅlǰ رΣ لعبد الحي الكتاني f 455، رقم الترجمة 238، وفي الǅكر السامي للحجوي ج 2 f 311 رقم الترجمة 696.

تحافظ على أورادك، وأن تكون سليم الصدر في أهل وقتك، فتكون ملحوظا بين أهل الله بعين الرضا، ويحيطك المولى بسور اللطف في كل ما جرى به القضا.

ولتعلم أن زماننا هذا زمن لم يتقدم له نظير، ولقد كثرت فيه الأولياء، ولولاهم لخسفت الأرض بنا، وقد أقامهم الحق تحت سوء الظن بهم، وغالبهم لا يعرف نفسه بأنه ولي، ولا يعرف غيره لحجاب المعاصرة المسدول على الخاصة بين العامة، ومن شدة الظهور الخفاء، فالمتعين على الموفق أن ينظر لأهل وقته بعين الإحترام، وأن يعطي كل منصب حقه من التبجيل بين الخواص والعوام، وإني أكتب إليك هذه الأحرف متيقنا بأني أخاطبكم مخاطبة الأب لنجله الوحيد، ومخاطبة الأخ المجرب للأمور لأخيه الشقيق، راجيا أن يحل كلامي عندكم محل قبول فتعملون عليه، فلا تعترضوا على أحد ممن أظهره الله في الوجود، وعليكم بخويصة نفسكم، فهو الأليق بكم، ولقد ساءني كثيرا ما رأيت عليه جل الأحباب والإخوان من سوء الظن في أهل الوقت، حتى أنكروا على من أنكروا عليه واعترضوا بحظوظ نفسانية على أهل الله، وكل من قال لا إله إلا الله فهو منهم، وإن كانت المراتب تتفاوت، ولقد طالعت ما ذكرته مما أساء به بعض الإخوان لبعض، خصوصا ما ساءك من إذاية المقدم الوهراني، بما تعرض به لإذاية الأحباب والإخوان فهجوته بذلك النظم الذي وجهته لنا، فأرجو منك أيها الأخ أن لا تعود إلى هجو أحد، ولا تذكر ذلك الهجو لأحد، وكن حكيما بين أهل الوقت فلا تتخذ منهم بغيضا، ولا تذكر أحدا بسوء تكن ملحوظا بين الأقران معظما بين الأعيان، ولقد عرفت ما منحك الله من التدبير والآداب اللطيفة والكلام العذب السلس نثرا ونظما، ولكن يتعين عليك أيها الأخ أن تقرأ علم العروض(18)، وتعلم قواعد النظم الذي يصير شعرا، وإلا كان ما خرج عن ميزان العروض معدودا في حيز الإهمال، وتضحك الشعراء من ناظم ذلك ولو كان مشتملا على المعاني البديعة، فليس النظم محسوبا من الشعر إذا لم يراعي صاحبه القواعد العروضية، ولذلك نحب أن لا تقرأ أبياتك على أحد يعرف علم العروض، ولولا أنها في الهجاء لأصلحتها لك وبينت لك ما يتعين أن تتمشى عليه، ثم إني أؤكد عليك أيها الأخ إذا كتبت لنا فلا تكن تصفني بالأوصاف التي لا أستحقها، وإياك ثم إياك من أن تمدحني فإن المدح يغرني ويضرني، ولكم منا مزيد الشكر، ونحن على محبة الله، ودمتم في حفظ الله، مسلما على كل من هو منكم وإليكم، وكتب عن عجل خديم التجاني عبد ربه أحمد سكيرج أمنه الله بمنه.

ăɓǸʈđžDžǁɛ ɓƮɑǗɛ ăɣɗƨ Ljقيƨǂǁ LjđžDž ǌɓɑɛ ǶǁFƨɓ

محبنا الأعز الأرضى الفاضل، الأمجد الكوكب الأسعد، سيدي منصوري الأخضر بن أحمد زاد الله في معناكم، وبلغكم في الدارين متمناكم، والسلام عليكم ورحمة الله عن مدد مولانا رسول الله، وبعد فقد وصلني كتابك أولا وثانيا وثالثا، وصرت من مضمن الجميع على بال، وقد تأخرت عن جوابك لموانع طرأت علي، فإني ولكم العافية كنت سقيما، ثم طرأ علي سفر إلى قبيلة

---

(18) علم العروض هو علم يتعرف منه صحيح أوزان الشعر وفاسدها، وأنواع الأوزان المستعملة المسماة بالبحور، وكيفية تحليلها إلى أجزائها المسماة بالتفاعيل، ومقادير الأبيات، وأصناف التغايير المسماة بالعلل والزحافات، منفعته معرفة ما هو من الكلام شعر، من حيث الصورة، وأي نوع هو، وما يجوز أن يستعمل فيه من الإختلافات، وربما احتيج إليه في دفع المعاند في شعر ما، وقيل إنه يستغني عنه السليم الطبع، المستكثر لأنواع الشعر، ولا ينتفع به البليد، ويحتاج إليه من عداهما، وهو الأكثر. انظر دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي ج 6 ص 617.

أحفير، وبعد رجوعي اشتغلت بما هو أهم من كتب جواب الرسالة، وساعته وصلت إلى المبحث الستين(19)، فلذلك أرجو منك ألا يداخلك شك في صحبتنا، وإننا والله لمن المحبين في جنابكم.

أما ما اقترحته علينا من نظم قصيدة في شمائل الرسول (ﷺ) متوجة بالبيتين اللذين وجهتهما لنا فسأفعل ذلك بحول الله عندما تعقب علينا نفحة القبول، ولا أرى أنه سيمكن لنا ذلك إلا بعد تمام جواب الرسالة، وقد كتبت أربع كراسات بعد الكراسين الذين طالعتهما. وأما السؤال عن الجامع القديمة التي عندكم في مدشر قريب خرب، وتلك الجامع لها أحباس من الأملاك، ولا يصلي فيها أحد لكونها بعيدة عن السكان، هل تلك الأحباس تصرف من مصالحه من بنيان وغيره من الحصور والشمع من كونه لا ينتفع بذلك أحد، وهذا الجامع كان في قديم الزمان يسمى جامع مثيلة، ثم إن مثيلة افترقت الآن على عدة مداشر، وكل مدشر جعل فيه جامع، فهل تصرف أحباس الجامع القديم على جوامع المداشر، وهناك بعض الناس يريد بقاءها على الجامع القديم لمصالحه لأجل التبرك به، وبعضهم يريد صرف تلك الأحباس على غيره من الجوامع، مع كون تلك الأحباس معتبرة فيها الكفاية للجامع القديم ويفضل عنه، وقد رأى على ناظر تلك الأحباس إنسان رؤيا، وهي أنه رأى امرأة تقول : قل لفلان يعني الناظر إذا هو يكسيني أكسيه وإذا عراني أعريه، فأولوها بأنها الجامع القديم، وخاف الناظر من هذه الرؤيا.

فالجواب عن الرؤيا أولا فإنهم يقولون الرؤيا على جناح طائر بحسب ما تعبر به أولا وإلا ذهبت، ولذلك ينبغي لصاحب الرؤيا ألا يقصها إلا على محب أو على عالم عارف بالتعبير، ويحرم على من لا مسيس له بعلم التعبير أن يعبرها، ولذلك قيل لا يعبر الرؤيا إلا مفتوح عليه، أما صاحب الحجاب مثلنا فالأولى له بل الواجب عليه أن لا يعبرها أصلا، غير أنه لا عبرة برؤيا تخالف حكما فقهيا، ولا يخاف منها بارتكاب ما يخالفها مع الوقوف على الحكم الشرعي، ولو صرح فيها بتخويف أو تهويل. فلو فرضنا أن تلك المرأة التي رآها ذلك الرائي إن صدق في رؤياه، قالت له : أنا هي الجامع وقل للناظر إن صرف أحباسي إلى مسجد غيري فإني أعريه، فلا يلتفت إلى هذه الرؤيا فضلا عن تأويلها بذلك، لأنها لا يبعد أن تكون من الشيطان، ولا يبعد أن يكون الرائي زورها في نفسه في يقظته بحسب ما ظهر به، فتجلت له في المنام على هذه الصورة.

والمقصود من هذا كله هو أن تعلم وتتحقق أن من اعتمد على الحكم الشرعي وخالف المرائي فإنه لا يضره شيء، وهذه المسألة التي هي صرف أحباس مسجد إلى مسجد آخر قد وقع فيها بين فقهاء المذهب كلام طويل، ومحصل ذلك على ما جرى به العمل أن المسجد الذي أهمل

(19) المراد بهذا المباحث كتابه القيم الذي سماه (تنبيه الإخوان على أن الطريقة التجانية لا يلقنها إلا من له إذن صحيح طوال الزمان. ولا يصح تلقينها عمن يلقن غيرها من الطرق كيفما كان) وقد طبع هذا الكتاب بمطبعة النهضة بتونس سنة 1339هـ - 1921م، وصفحاته 232. رد فيه على الشيخ سيدي محمد بن سليمان شيخ الطريقة السليمانية بندرومة من عمالة وهران بالجزائر، حيث ادعى هذا الشيخ المذكور بأنه مأذون له من الحضرة المحمدية في تلقين أوراد بعض الطرق الصوفية بما فيها الطريقة التجانية.

ولا يصلي فيه أحد، وله أحباس فالتعيين بإصلاح ذلك المسجد، بحيث يصير قائما حتى لا يندثر في المستقبل، والباقي من وفر تلك الأحباس يصرف في غيره.

ولا ينبغي أن يفرش ولا أن يشعل فيه الشمع إذا لم يكن يقصده أحد، فإن كان يقصده الناس ولو واحد في الشهر مثلا فإنه يفرش بحصير يكفي الداخل إليه، وتشعل فيه شمعة لأجل الداخل عليه، وإلا فلا تشعل، والإعتناء بعد ذلك بغيره من مساجد مداشر تلك الجماعة التي افترقت أولى من صرف الوفر في هذا المسجد المهمل، وقد تعرض لهذه المسألة في المعيار، وذكر فيها ما يكفي ويشفي، وما قلناه هو الذي جرى به العمل عندنا، قال ناظم العمليات المطلقة :

ونقلوا غلة حبس ما خرب من المساجد إلى غير الخرب

قال شارحه ما نصه : قال في نوازل الأحباس من المعيار، وسئل يعني سيدي عبد الله العبدوسي(20) رحمه الله عن منزلين متجاورين خرب أحدهما وفيه مسجد له أحباس، وللمنزل العامر مسجد عامر لا حبس له، فهل يجوز أن تنقل غلة الحبس الخرب إلى المسجد الآخر أم لا ؟ إهـ... الجواب أنه يجوز ذلك على قول بعض أهل العلم وبه مضى العمل. لكن بعد بناء المسجد الذي تنقل غلته أو إصلاح ما يحتاج إلى إصلاح به، وإن كان لا يصلي فيه أحد إبقاء لحرمة المسجد.

وقال في موضع آخر، وسئل يعني سيدي عبد الله العبدوسي المذكور عن مسجد قائم تعطلت منفعته وخرب ما حوله من الدور، لمن يصرف وقفه المحبس عليه ؟ فأجاب أما المسجد المذكور فإن احتاج إلى بناء يقام به رسمه، وتبقى عليه حرمة المسجد مخافة دثوره فإنه يبنى من غلة أحباسه، وأما ما فضل عن ذلك فقيل يصرف إلى أقرب المساجد إليه، وقيل إلى أحوجها وإن كان أبعد، وبه أفتي إهـ...

تنبيه : إذا أعيدت العمارة إلى المسجد الخرب ردت إليه أحباسه، سئل عن مثل ذلك الفقيه أبو عبد الله المجاطي فأجاب أن نقل غلة الحبس لمثل ما حبس عليه حيث تعذر المصرف كله أو بعضه جائز على ما أفتى به الشيوخ وشهروه، وقيل يترك ولا يتعرض له. وبالقول الأول العمل، ويشترط ألا يكون المنقول عنه مرجو العمارة، وإلا لم ينقل، فإذا عادت العمارة رجع الحبس ليصرف فيما حبسه المحبس، وقد صرح بذلك سيدي ابن هلال(21) في جواب له ونصه : ولا

---

(20) عبد الله بن محمد بن موسى العبدوسي، من خيرة علماء فاس في عهد الدولة الوطاسية، له مؤلفات منها : أجوبة فقهية، أجاب بها عن أسئلة رفعها إليه القاضي محمد بن خليفة الصنهاجي، وكانت وفاته في ذي الحجة عام 849هـ، انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ج 4 ص 127. وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 255 رقم الترجمة 924، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 304 رقم الترجمة 677، وفي جذوة الإقتباس لابن القاضي ص 425 رقم الترجمة 450.

(21) إبراهيم بن هلال بن علي الصنهاجي نسبا الفيلالي السجلماسي موطنا، من أكابر علماء المغرب في وقته، له مشاركة فعالة في التأليف، خاصة فيما يتعلق بالفقه والنوازل، ومن كتبه : الدر النثير على أجوبة أبي الحسن الصغير، والنوازل، وشرح مختصر خليل، واختصار الديباج المذهب لابن

ينتقل شيء من أحباس ذلك المسجد إلا إذا لم ترجى له عمارة، فتنقل حينئذ لا على التأبيد، فإذا قدروا على عمارته رجع ذلك إهـ ...

قلت صرح بذلك أيضا العبدوسي فقال في بعض أجوبته : وكل ما يؤخذ من حبس بعض المساجد لبعض فإنه يعد سلفا لما عسى أن يحدث يوما ما إلى آخر ما في الشرح، وفيه الكفاية في الجواب عن سؤالكم والله الموفق، أحمد سكيرج أمنه الله.

تقييد ǁǂقيLjǁƐ ǂƑƟǁƐ ادǍƟǄ ǂƥيǀƧ LjǂǍƟƥ ƔƐ ǏƷ ǏƺLjǁǈǀ ǍǁƑƴǔ
(22)ǅǍǁǈ ǅǍǅ ǅيدǁƑƧǁƐ

الحمد لله، وقعت المذاكرة في قوله تعالى وكن من الساجدين، فقال خديم الحضرة المحمدية أحمد سكيرج : إن الأمر للنبي (ﷺ) بإدامة السجود، كأنه قيل له دم على سجودك، لأنه (ﷺ) ساجد القلب، ومن سجد قلبه فلا رفع له كما قاله ابن عربي الحاتمي : ومعنى ذلك في حقه عليه السلام أن يواظب على ما هو عليه من العبودية المحضة التي هي أصله، وأن يلازم العبادة التي فيها وصله، فهو العبد المحض العارف بمقامه، والعابد لربه في ترحاله ومقامه، ولا أفضل من الحالة التي هو عليها من سجود قلبه، التي لا خروج له عنها أصلا لا بوجه ولا بحال، وإنما خوطب بإدامة السجود وهو من تحصيل الحاصل له، إشعارا له بما أنعم الحق به عليه، فيتمتع بلذة الخطاب، الحاصل له من علي الجناب، فالسجود بالمعنى المذكور خاص به، ولبعض ورثته مشرب منه بقدر تمكنهم في مقام الخضوع، ولذلك لا يكون السجود إلا لله، والتقرب به إليه من أحسن التقربات : ولذلك أعرب عنه بقوله عليه السلام : أقرب ما يكون العبد بين يدي ربه وهو ساجد(23)، لأن في تلك الحالة يحصل الشعور التام لعلى المقام، ولذلك جعلت قرة عينه في الصلاة عليه السلام.

وبعبارة أخرى فالسجود الذي أمر به عليه السلام من باب إياك أعني فاسمعي يا جارة، فهو أمر لأمته بالسجود لله وإخلاص عبادتهم له، ولك أن تقول في سجود القلب الحاصل له (ﷺ)

فرحون، وƟرƬ البخاري، وǗير ذǁǁ وكاǻƸ وفاته رحمه ƅا سنة 903هـ في عǊǋد الدولة السعدية، انǛار ترجمته في معجم المƭبوعاƸ لإليان سركي� 277 و 697 وفي Ƭجرة النور الƨكية لمخلوƹ ƭ 268 رقم الترجمة 992 وفي الأعلام للƨركلي ج 1 ƭ 78 وفي فǊǋر� الǊǋǀارƩ لعبد الحي الكتاني ƭ 1106 رقم الترجمة 622، وفي جذوة الإقتباƩ ƅبن القاضي ƭ 97 رقم الترجمة 19.

(22) سورة الحجر، الآية : 98.

(23) انǛار صحيƮ مسلم بƬرƟ النووي ج 4 ƭ 200 باب ما يقال في الركوƵ والسجود.

بأنه هو الركن الشديد الذي يأوي إليه، وهو المرموز له بقول مولاتنا عائشة الصديقية رضي الله عنها لما سئلت عن خلقه عليه السلام فقالت : كان خلقه القرآن، وما بعد هذا البيان إلا ضيق العبارة، وتكفي هنا الإشارة، والله الموفق، أحمد سكيرج.

hu‡‡ۦNJllɛ Ĭ ʒ huƏFDŽkǗkƓ bƑƻۃlǓɛ üNjƟ üɛƊƨ DŽƳ LjdžDŽ ƒɛNjɯ ƫ dž

وسئل عن الإكتفاء بثلاثمائة من الهيللة في ذكر الجمعة هل هو كاف في الذكر، أو لابد من إتمام الألف، فإن بعض الناس يقولون بأنها رواية وردت عن الشيخ رضي الله عنه.

الجواب : إن العدد المذكور لا يجزئ الذاكر إن ذكره بنية الإكتفاء به، لأن العدد المطلوب هو ألف، أو اثني عشر مائة، أو ستة عشر مائة، لا أقل من ذلك إلا لعذر كما هو المنصوص عليه في كتب الطريقة، وقد شاع بين الإخوان الإكتفاء بالثلاثمائة، وبعضهم يقول بالأربعمائة ونحو ذلك، ولا أصل لذلك، ولعله من تداخل بعض الطرق في هذه الطريقة، فإن كثيرا ممن لا إذن لهم في التقديم أو كانوا من جهلة الطريق، وكانوا من قبل في طريقة أخرى قد تقولوا في هذه الطريقة بما لم يقله الشيخ ولم يقله أصحابه، فإياك والغرر بالجهلة، فإن الرواية المذكورة لم ترد عن الشيخ رضي الله عنه، ولا رويناها عمن يقتدى به في الطريقة، إلا ما أشاعه بعض أهل سوس وبعض السودانيين، وهو من المنكر في الطريق الذي يتعين على المقدمين إنكاره والتحذير من العمل به، والله الموفق، وكتبه خديم الحضرة التجانية أحمد سكيرج أمنه الله.(24)

hu‡‡ۦNJllɛ üNjƟ LjdžDŽ ƒɛNjɯ ƫ dž

ورفع إليه سؤال عن المريد التجاني الذي أتى لذكر الهيللة يوم الجمعة ووجد الإخوان فاتوه بنحو أربعمائة فأزيد، هل يقضي ما فاته به الإخوان أم لا ؟ مع أن الهيللة كان قد فرغ منها قبل الغروب بمدة طويلة، نظرا لاتصالها بالوظيفة بعد عصر يوم الجمعة ؟

الجواب : اعلم أن إيصال ذكر الجمعة بالوظيفة بعد صلاة العصر من يوم الجمعة لم يكن في عهد الشيخ رضي الله عنه، ولا في عهد المقتدى بهم من أصحابه، إلا ما حدث في هذه

---

(24) كان العلامة سكيرج رحمه اŸ حريصا كل الحر f علĬ نبذ جميع البدƳ المخالƼة لعمل الƨاوية الميمونة الكبرǎ بƼاΣ، لأن عمل هذƧ الƨاوية مبني علĬ عمل صاحبƮا وبانيƮا سيدنا الƃيƼ أبي العباΣ التجاني رضي اŸ عنه، ومن هذا المنƴلق كان رحمه اŸ Tديد الإنكار علĬ من سولƘ له نƼسه الخروج عن المناهƏ المضبوƴة في كتب الƴريقة التجانية المعتمدة، كجواهر المعاني، والجامع، وبƺية المستƼيد، ويرǎ أن ذلƁ معارƯ للصواب، Ů عمل به عند أهل الحق والمعرفة من الأصحاب.

ومن هذا القبيل لم يقبل العلامة سكيرج رحمه اŸ مسƋلة الإكتƼاء بƛلاƛماƏة في الƬيللة بدŮ عن الأعداد المعروفة المنصو f عليƮا، بل أنكر ذلƁ Ɠاية الإنكار، ودعا لمحاربة جميع المحدƛاƘ مƬما كان حجمƮا، محذرا في ذلƁ من الآƛار السلبية التي تخلƼƮا تلƁ المحدƛاƘ داخل الوسƯ التجاني المتماسƁ.

الأعوام الأخيرة، وإنما الذكر المعتبر هو ذكر الجماعة قبل الغروب بنحو ساعة متصلا بالغروب، وكل من حضر مع الجماعة من أوله إلى آخره أو من وسطه إلى آخره، أو في آخره ولو هيللة واحدة أجزأه ذلك، وكذلك سرد الهيللة جماعة يكون متصلا بالغروب، وأما قبل الغروب فللمريد أن يذكر وحده ألفا فأكثر حسبما هو مقرر في كتب الطريقة لا أقل من ذلك، إلا إذا دهمه عذر شرعي أو غربت الشمس فيكفيه ما ذكر، ولا يقضي ذلك الذكر بعد الغروب أبدا.

وقد استحسن قضاءه بعض المقدمين في هذه الطريقة، وذلك افتيات منهم في فقه الطريق، وليس من الطريق في شيء، وإن كان ذكر الهيللة في كل وقت مستحسن، ولكن الوقوف مع جادة الطريق أحسن من الاستحسان، وأما ذكر الهيللة جماعة القدر المذكور بعد عصر يوم الجمعة، وخروج الفقراء بعد تمام العدد المسطور من الزاوية فإنه ليس من عمل الشيخ رضي الله عنه، ولا من عمل أصحابه كما ذكرناه، فمن حضر معهم وقرأ أقل من الألف فإنه لا يجزئه، ولا بد من إتمام الألف إلا لمن له عذر شرعي، فالفائت لابد من إتمامه وأدائه على الوجه الذي ذكرناه، والله الموفق.

أحمد سكيرج

أمنه الله

Ljقيهlll Ljdžǵǘ Ŷɛ LjDžϴƥ ŧƥɩƨ ɹDžϴc ŧƑϴlll Ljقيهlll DžDž hlllFƨƥ ţ dž

(1)ŧƥɩƨ ɹيمƥlll ɹǴY ǎɹƨ ƒيŬɛ

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله

ولدنا البار الطالب السيد عبد الكريم أصلحك الله، والسلام عليكم ورحمة الله ورضى الله. وبعد فقد وصلنا لمدينة فاس على الساعة الثالثة، وبمجرد وصولنا شرع المطر في النزول، وقد وجدنا جميع الأحباب بخير، وتمنوا أن لو حضرتم، ولهذا نؤكد عليك أن تكون عند الظن بك في الوقوف مع مروءتك حتى أرجع بحول الله.

وإياك أن تبقى بعد صلاة المغرب خارج الدار، واشتغل كل يوم بحفظ نصف القرآن، ولابد فهو أحسن لك دنيا وأخرى، وإياك ثم إياك أن تخالط من لا مروءة له، فالعين التي يراك الناس بها هي التي يعاملونك بها، وسلم منا على جميع الأحباب، أسمعنا الله عنكم ما يسرنا، واحتفظ على مفتاح البيت، ولابد، وإياك أن تضعه في محل يتناوله الغير، ودمتم في حفظ الله والسلام في 13 شعبان عام 1341هـ.

أحمد سكيرج أمنه الله

رسالة ثانية منه لولده المذكور

باريز في : 16 محرم عام 1345هـ

الحمد لله وحده، بعد تحية وسلام، في احترام تام، يشملكم برداء المسرة، في عافية تامة، لنا ولكم ولسيدتنا الوالدة بعد تقبيلي يديها، وطلب رضاها ودعاها، والسلام على والدتك وأهلك

---

(1) النابغة النبيه، والأستاذ الفقيه، الفنان الكبير، والأديب الشهير، سيدي عبد الكريم بن سيدي الحاج أحمد سكيرج، من مواليد مدينة فاس في 15 ربيع الأول عام 1322هـ. كان رحمه الله مرضيا عند والديه يحبه محبة خاصة، وهو من الأدباء المتفوقين شعرا ونثرا، وله إلمام كبير بفن الخط بجميع أنواعه، وقد أطلعني ابنه الأستاذ الفاضل سيدي محمد الكبير على مصحف كتبه بخطه، وهو في غاية النفاسة والجمال، وكثيرا ما كانت الجرائد والمجلات تنوه بعبقريته الكبيرة، خاصة فيما يتعلق بالألوان والخطوط البديعة والزخرفة، وإلى جانب ذلك كان له رحمه الله اهتمام وولوع بفن التصوير الفوتوغرافي، وقد أبدع فيه غاية الإبداع، كما ألف كتابا سماه (المغرب عن تراجم بعض أعيان المغرب) غير أنه لم يتمه، وقد عززه بصور فوتوغرافية للعديد من الشخصيات التي ترجم لها فيه، ويعد هذا العمل من أولوياته التي لم يسبقه إليها أحد، ويكفيه فخرا أنه حافظ على خزانة والده العلامة القاضي الحاج أحمد سكيرج من التلف والضياع طيلة حياته، وخلاصة القول أن هذا الرجل جدير بكل ما قيل ويقال فيه من التنويه والتقدير والإكبار، وكانت وفاته بتاريخ 10 شعبان عام 1403هـ الموافق 23 مايو سنة 1983م. ورثاه ابن عمه الأستاذ الأديب سيدي عبد الغني سكيرج بمرثية قال في مطلعها :

إن فاتني يوم الرحيل عزائي ... فلقد حملت اليوم فيك رثائي
أرثي أبا وأخا وخلا رائقا ... غضا عفوفا نير الأحشاء

وأنجالك والإخوة أجمع، ولقد اشتقت إلى الرجوع إليكم سائلا من المولى أن لا يجعله آخر عهد بكم، وإن تشوفت نفسك إلى الإستطلاع على ما رأيناه بباريز، فالذي أخبرك به أن كل من حل بهذه الديار لابد أن يصاب بقلة الدين، ويستحسن عمل الملحدين.

ولقد ترقى القوم إلى درجة من السفه بحيث صار الولد لا يستحي من والديه، ولو بارتكاب الفاحشة بين يديهم، وإني لفي شك من أمري بما صادفته في هذه السفرة، وأرجو الله أن يحفظ علي ديني، أما المروءة فقد ذهبت بسلام، فلا أجد من نفسي وازعا ولا رادعا، وكل من حضر معنا من الشبيبة ومن في حكمهم تجرد عن رداء الحياء من غير خوف ملام، ولا عجب في ذلك فإن ماء هذه الديار يقضي بالخلاعة على من شربه، لامتزاجه بداعية الهوى في تهتك، فلا يطمع المتدين في استقامة دينه ما دام في هذه النواحي، وقل من عصمه الله بين ظهرانيهم من الوقوع فيما لا يحمد دينا، زيادة على ما يحتاج إليه المقيم هنا من المصاريف الباهضة التي لا يكفيه معها ما معه من الدراهم قلت أو جلت، ولا يمكنه فيها الإقتصاد إلا إذا رضي بالمعيشة الضيقة مع عفة تامة، والحال أنه لا يوافقه ذلك، ودمتم في حفظ الله والسلام(2).

أحمد سكيرج

أمنه الله

ϸNjǀƉDžǁǁǤ LJƋǁǁNjǁǁ LjǆǐDž ŊǀǁǁƑǀ ŊǁǁFƨϸ

تونس في : يوم الثلاثاء 11 شعبان عام 1350هـ

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

ولدنا البار الطالب سيدي عبد الكريم أصلحكم الله وأقر بكم العين، والسلام عليكم جميعا ورحمة الله تعالى وبركاته وتحياته، وبعد فقد وصلنا الغلاف المنطوي على المكاتب التي منها كتاب أخيكم

(2) هذا الرسالة بعثها العلامة سكيرج من قلب العاصمة الفرنسية، باريس، حيث كان بها ضمن الوفد المغربي الحاضر هناك لتدشين مسجد باريس، في شهر غشت من عام 1926م، وهو صاحب أول خطبة ألقيت في هذا الجامع عند تدشينه، وهو صاحب القصائد والأبيات الشعرية المرصعة بين جنبات هذا المسجد الكبير، وحول هذا الرحلة وما يتعلق بها نظم العلامة سكيرج قصيدة جميلة على نسق الدمقمقية ابن الونان، قال في مطلعها :

ما تلم العاشق إن لم تعشـــق   فإنك في اللوم متى ترتع شقي
دع عنك لوم العاشقين إن فـــي   لومك إجراء علـى التـعـق
من لم يذق ما ذاقه ذو فـهـــم   كيف يلومهم بما لم يــــذق

السيد محمد(3) رضي الله عنه وعنكم، فقد داخلني من السرور ما ابتهجت به الصدور، وفرحت كثيرا بما أخبرني به، أما كتابكم المنطوي على بديع خطابكم فقد ازددت به سرورا، واطلعت به على ما لم يكن بحسبان من ركوب سيدي محمد الحبيب(4) على الطائرة،، وقد استحسنت ذلك منه لزعامته أصلحه الله وأصلح إخوته وعميه، ولقد حمدت الله على سلامته، وقد صرت على بال من جميع ما اشتملت عليه تلك المكاتب، ولاشك أنكم طالعتموها، سائلا من المولى أن يجعلنا فوق ما يظنون، ويغفر لنا ما لا يعلمون.

ولقد صادفت من الإخوان في مروري قبولا وإقبالا واقتبالا مما أرى ذلك من نظرة سيدتنا الوالدة والوالد قدس الله سرهما بعطفة سيدنا رضي الله عنه وعنهما، فكن عند الظن بكم في حسن الظن وجميل الإعتقاد. وإياك والإنكار والإنتقاد على كل من انحاش بباب الرب ولو كان كاذبا في نظرك.

وعليك إذا لم توفق للانخراط في الطريق بالتسليم، فهو الأسلم، واعتبر بمن هو أعلم منك وأرفع من قدرك، ولا ينبئك مثل خبير، وفقك الله وأصلحك آمين، وقد فرحت لفرحكم وفرح أختك، فكن كما أنت مع الثبات في المحبة والوقوف مع المبدئ الذي أستحسنه منك، فأنت ابني حقا، زادك الله في معارفك، وحفظك من هذا الزمان وأهله.

وأخبرك بأنه يوم تاريخه تلاقينا مع سيادة المقيم وسيادة الباي، وفتحنا الجلسة، وسينفصل الجمع يوم الخميس المقبل، وكتبت لك هذه الأحرف في غير الفندق الذي أنا نازل به، مسلما عليك جميع الأحبة، وسألني عنكم بالخصوص السيد أبو شعيب الدكالي(5) والشريف سيدي محمد بن العربي العلوي(6)، والمولى عبد الرحمان بن زيدان(7)، والشيخ الكتاني(8)، وغير هؤلاء الأحباء، وسلم مني على الأهل وجميع الأحباب، وكتبه عن عجل أبوكم أحمد سكيرج حمد الله مسعاه.

---

(3) الدكتور سيدي محمد بن العلامة الحاج أحمد سكيرج، ولد بمدينة تطوان في الساعة العاشرة من نهار يوم الأحد 7 جمادى الثانية عام 1329هـ موافق 4 يونيو سنة 1911م، وجده من أمه هو الأستاذ المنبهي سيدي الكبير سكيرج، أحد عناصر البعثة التي وجهها المولى الحسن الأول لمتابعة الدراسة والتكوين بإنجلترا، ولا حد كتابة هذه السطور لا يزال سيدي محمد سكيرج المذكور مقيما بمدينة طنجة، وعمره اليوم يتجاوز 85 سنة، نسأل الله أن يبارك في عمره ويزيد في صحته وعافيته.

(4) سيدي محمد الحبيب من أبناء سيدي عبد الكريم بن العلامة الحاج أحمد سكيرج رحمه الله، توفي رحمه الله عام 1986م.

(5) سبق التعريف به في ج 1 ص 41 من هذا التأليف.

(6) محمد بن العربي العلوي، فقيه، قاض، تقلد منصب وزير مستشار في مجلس التاج لدى أول حكومة مغربية بعد الإستقلال، وهو من مواليد مدغرة بإقليم الراشدية عام 1298هـ، وله أدوار طلائعية في مسيرة الكتلة الوطني، وتوفي في 4 يونيه 1964م، ودفن بمسقط رأسه مدغرة.

(7) سبق التعريف به في ج 1 ص 16 من هذا التأليف.

(8) سبق التعريف به في ج 1 ص 33 من هذا التأليف.

Ŷƹ ĻjĎžϴþ ŧ þيƖ ƨ ɹĎžϴͼ ŧ ƑϴǁƐ ĻjقيƵǁƐ ĎžĎž ǌǋتƺ ƫ ǆ

þljƑ ʅ ĻjقيƵǁƐ Ljǁ ĻjƙƴƓ ÛüيƙƑĎžتǁƐǋ þǋƬ ǁƐ ƤƑƢتƐ üǋϴ üƐƊƨ ĎžƳ
Ĭ ƨǋþƴǁƐ

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

السؤال : جناب الأعز الأفضل النحرير، العلامة الدراكة الشهير، أستاذنا قاضي ثغر الجديدة أبا العباس سيدي أحمد سكيرج، حفظك الله بمنه ورعاك، وبلغك في الدارين سؤالك ومناك، وبعد فالمرغوب من جناب فضلكم أن تجيبوني عن هذا السؤال يرحمكم الله، فمن المقرر المعلوم أن الشريعة المحمدية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية قد نهت عن اتخاذ التماثيل من ذوات الأرواح من المخلوقات، أدميا كان أو غيره، وقد توغل في اتخاذها والإعتناء بها الجاهلية السالفة في الأزمان الغابرة والعهود القديمة الأولى، حتى أداهم الحال إلى عبادتها واتخاذها آلهة من دون الله كما جاء بذلك القرآن العظيم في غير ما آية.

والتواريخ الأولية أخبرتنا بذلك تفصيلا وإجمالا، وعليه هل يجوز جعلها في البيوت أو تعليقها على الجدار مطلقا من غير تفصيل، أو يفصل في ذلك، فإن كان لها ظل والحالة أنها من ذوات الروح، أولا يكون لها ظل وإن كانت من ذوات الروح، أو النهي مطلقا سواء كانت من ذوات الروح أو من غيرها، لها ظل أو ليس لها ظل، ومن ارتكب النهي وجعلها في بيته أو داره ما ينشأ عن ذلك ؟ وهل يكون آثما أو لا ؟ ونريد منكم بارك الله فيكم أن تتفضلوا علي بإعطاء نص الفتوى الأصلية الصريحة في ذلك بالراوية والسنة على مقتضى النص الشرعي، وإن كان في حقها نزلت آية قرآنية أو حديث شريف في حق ما ذكر فبينوه لنا. ولكم مزيد الشكر وعظيم الأجر، ومن فضلكم واهتمامكم بانتصار العلم وكمال الصواب أن يكون الجواب في عين الكتاب، شرف الله كريم الأعتاب، فهذا ما نرجوه من مكارم أخلاقكم، وعلى المحبة والإحسان التام، ودمتم بخير وعافية والسلام من عبدكم خديم العلم.

شاهر العروسي المستكتب حينه بديوان ثغر الجديدة أعانه الله ولطف به آمين.

الجواب : الحمد لله على إفضاله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، وبعد أيها السيد الفاضل فإني طالعت سؤالك، وإن الجواب عن فصوله يحتاج إلى تطويل مناسب لما فيه من تفصيل، ولكن نختصر القول بالإشارة لما لا يتوقف عليه، مع بيان ما عليه المدار في حكم النازلة، وفيه إن شاء الله الكفاية، فنقول : قد أجمع المحدثون على تحريم التصوير مطلقا لها ظل أو لا، سواء كانت الصورة من ذوات الروح أو لا، لما في ذلك من مضاهاة خلق الله، واتخاذها كاستعمالها كيف ما كانت من ذهب أو فضة أو غير ذلك من المعادن أو الخشب أو الشمع ونحوها حتى من الحلوى، أو رقمت على ذلك أو على كاغد أو ثوب ونحوها، وفرق بعضهم في المرقوم لمتخذه لا لصانعه، إذا لم يجد متخذه مندوحة عنه كاقتناء نقد أو آنية ونحوها، فيكون الحكم طبق ما اقتضته الضرورة، وللضرورة أحكام.

وقد كان في الأمم السالفة جائز استعمالها كما يشعر بذلك قوله تعالى : (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل)(1) والتماثيل هي الصور الظلية والرسمية بالنقش وغيره تنويها بضخامة الملك الذي يسره الحق له، وقد تفننت الأمم السالفة فيها حتى اتخذت رموزا على أمور يعرف حكماؤهم مغزاها، وجرت على مهيع آخر حتى اتخذت آلهة تعبد من دون الله، حتى جاء الإسلام الحقيقي واقتدى المصطفى (ﷺ) بإبراهيم عليه السلام في تكسير أصنام أهل زمانه لما رآهم يعبدونها من دون الله، وأنكر عليهم عبادتها وسفه رأيهم، فلم يلتفتوا لما أتاهم من الحق، فكان بينه وبينهم ما قص الله علينا في سورة الأنبياء فقال تعالى : (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين، إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون، قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين، قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين، قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين، قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلك من الشاهدين، وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين، فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون، قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين، قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم، قالوا فاتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون، قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم، قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون)(2)، إلى آخر هذه الآية الشريفة التي اشتملت على إرشاد الضالين إلى سبيل الحق، وتسفيه عابد غير الحق بقوله : (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم، أف لكم ولما تعبدون من دون الله)(3).

كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسر الأصنام التي كانت بالكعبة المشرفة، وتبعه من اقتدى به في تكسير المعبودات الواهية، وأهانوها وسفهوا رأي عابديها على الحقيقة، كما سفهوا رأي من جعل عبادتها وساطة في عبادة الحق القائلين : (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)(4).

ولقد كان الأمر في مبادئ الإسلام مبنيا على التخفيف في النظر إلى الصور حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل عليه السلام بتفاحة من الجنة وعليها صورة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنه وعنها، فنظرها قبل التزوج بها، ثم وقع التشديد في ذلك، وحسمت مادة التصوير واتخاذه واستعماله بالوعيد الشديد، مثل قوله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح : "إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون"،(5) وفي الصحيح أيضا : "إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما صنعتم"(6) وفيه أيضا : من تحلم بحلم لم يره كلف

---

(1) سورة سبأ، الآية : 13.
(2) سورة الأنبياء من الآية 50 إلى الآية 63.
(3) سورة الأنبياء، الآية 67.
(4) سورة الزمر، الآية 3.
(5) انظر صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة، رقم الحديث 5950، وفي فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج 10 ص 468.
(6) انظر صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب من لم يدخل بيتا فيه صورة، رقم الحديث 5961، وفتح الباري لابن حجر العسقلاني ج 10 ص 481.

أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل، ومن استمع إلى حديث قوم هم له كارهون صب في أذنه الأنك يوم القيامة، ومن صور صورة عذب وكلف أن ينفخ فيها وليس بنافخ(7)، إلى غير ذلك من الأحاديث.

ثم لا يبعد أن يكون من نوع عذاب المصور تسلط الصورة عليه بتعلقها به يوم القيامة طبق ما ذكر في السؤال، ولكن لم يرد بتلك الهيئة حديث فيما وقفنا عليه من الأحاديث التي تناهز العشرين حديثا.

وقد ألف في ذلك العلامة الرجل الصالح الشيخ النبهاني(8) تويلفا لطيفا سماه : كتاب التحذير من اتخاذ الصور والتصوير، وهو مفيد جدا في هذا الموضوع، ولم نقف على حديث سوغ اتخاذ ذلك أو استعماله، وقد عده ابن حجر(9) في زواجره من الكبائر التي لا خلاص منها إلا بالتوبة النصوح، ولذلك لا يجوز جعلها في البيوت ولا تعليقها على الجدران ونحو ذلك، لما في ذلك من مخالفة الشرع الذي نهى عن اتخاذها واستعمالها.

ولم نقف على أحد من السلف الصالح جوز اتخاذها واستعمالها، ولا يستدل بما يوجد في البناءات الضخمة الأندلسية وغيرها، لكون ذلك من عمل الكفار أو عمل المتهاونين بأمور الدين، فهم آثمون، ونحن من جملتهم فيما نستعمله أو نتخذه، ولا ينفعنا الإعتذار بعموم البلوى به، اللهم إلا ما كان غير متجسد فينظر إلى قول ابن عبد العزيز : تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور، فنعمل على قول بعض الفقهاء المجيزين للإستعمال أو الاتخاذ فنكون من المقلدين، ومن قلد عالما لقى الله سالما.

---

(7) انظر صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه رقم الحديث 7042، وفتح الباري لابن حجر العسقلاني ج 12 ص 528.

(8) يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني، فقيه شاعر أديب صوفي، ولد بفلسطين عام 1265هـ بقرية إجزم بناحية حيفا، ودرس بالأزهر الشريف بمصر، ثم انتقل إلى بيروت حيث تولى رئاسة محكمة الحقوق، وكانت وفاته رحمه الله بقرية إجزم من أعمال حيفا بفلسطين عام 1350هـ - 1932م، وله رحمه الله مؤلفات كثيرة منها : جامع كرامات الأولياء، وحجة الله على العالمين، وسعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين، ورياض الجنة في أذكار الكتاب والسنة، وتهذيب النفوس، والشرف المؤبد لآل محمد، والسابقات الجياد في مدح سيد العباد، وغيرها من الكتب القيمة الكثيرة، وكان العلامة سكيرج يحترمه ويقدره ويسميه ببوصيري زمانه، انظر ترجمته في معجم المطبوعات لإليان سركيس 1838 - 1842 وفي الأعلام للزركلي ج 8 ص 218 وفي معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي ج 2 ص 161-166.

(9) أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، من أكابر علماء الدين، ولد بمصر عام 909هـ، وتوفي بمكة المكرمة عام 974هـ، له مؤلفات كثيرة منها : الفتاوي الهيتمية، والصواعق المحرقة على أهل البدع والضلالة والزندقة، ومبلغ الأرب في فضائل العرب، والزواجر عن اقتراف الكبائر، والخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان، والمنح المكية في شرح همزية البوصيري، وغير ذلك، انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ج 1 ص 234، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 337 رقم الترجمة 137، وفي خلاصة الأثر للمحبي ج 2 ص 166، وفي النور السافر لابن العيدروس ص 287. وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 420 رقم الترجمة 914.

على أن الضرورة ألزمتنا بأن نعتمد قول المجيز لذلك، ولو كان ضعيفا، لنكون على بصيرة في الحكم الإداري الملزم في نحو عرض أنفسنا لاتخاذ الصور لنجعلها في تسريح السفر مثلا إلى محل لا يسوغ الذهاب إليه إلا بتسريح طبق التنظيمات الوقتية، ولا يفيدنا في هذا المقام إلا الرجوع إلى ما عند الفقهاء، ونعمل بما حرروه، وقد بسطوا في ذلك مقالهم، وأحسن تلخيص لما انطوى عليه مذهب إمامنا مالك رضي الله عنه قول الشيخ سيدي علي الأجهوري(10) في ذلك :

وتمثال ذي ظل إذا دام حرمـوا	وما لم يدم أيضا وأصبغ(11) خالفا
وما ليس ذا ظل وصاحب مهنة	فترك له أولى وقيت المخالفـــــا
وإن يعرى عنها فهو يكره ثم ذا	بغير تماثيل الجمادات فاعرفـــــا
فأما تماثيل الجماد فجـــــائـــــز	كناقص عضو من سواه بلا خفـــا

وسوغ بعضهم للبنت الصغيرة اتخاذ الصورة المشخصة لتكون لها وسيلة لتدبير المنزل، فهو من باب التعليم، كما سوغ بعضهم استعمال الصور لتعلم علم التشريح في المدارس ونحوها، وسوغ بعضهم أيضا النظر للصور المتحركة المعبر عنها بخيال الظل، وفيها قيل :

رأيت خيال الظل أكبر عبـــرة	لمن كان في علم الحقيقة راقي
شخوص وأشباح تمر وتنقضي	وتفنى جميعا والمحرك باقـــي

وقد ظهر لي أن أنقل لك في هذا المحل تحريرا مهما في الموضوع من أحكام الإمام ابن العربي المعافري(12) رحمه الله لدى قوله تعالى : يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل. قال

---

(10) علي بن محمد بن الشيخ عبد الرحمن الأجهوري، من خيرة فقهاء المالكية بمصر، توفي سنة 1066هـ، من مؤلفاته : النور الوهاج في الكلام على الإسراء والمعراج، والدرر السنية في نظم السيرة النبوية، وله ثلاثة شروح على مختصر الشيخ خليل، أكبرها في اثني عشر مجلدا، لم يخرج من مسودته، والأوسط في خمسة مجلدات، والصغير في مجلدين، وله غير ذلك من التصانيف الكثيرة، أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 303 رقم الترجمة 1174 وفي الأعلام للزركلي ج 5 ص 13 وفي خلاصة الأثر للمحبي ج 3 ص 157 وفي صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر للإفراني ص 126. وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 331 رقم الترجمة 741، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 782 رقم الترجمة 434.

(11) أبو عبد الله أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع المصري، من كبار المالكية بمصر، قال ابن الماجشون في حقه : ما أخرجت مصر مثل أصبغ، ومن مصنفاته : كتاب الأصول، وتفسير حديث الموطأ، وكتاب آداب الصيام، وكتاب سماعه من ابن القاسم، وكتاب المزارعة، وكتاب آداب القضاء، وكتاب الرد على أهل الأهواء، وغير ذلك. وكانت وفاته رحمه الله ببلاده مصر عام 225هـ. أنظر ترجمته في الأعلام للزركلي ج 1 ص 333. وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 66 رقم الترجمة 58. وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 79. وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 114 رقم الترجمة 385.

(12) أبو بكر بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، المشهور بأبي بكر بن العربي، ولد بإشبيلية عام 468هـ وهو من أكابر علماء وفقهاء الأندلس، تولى القضاء بإشبيلية مدة غير قصيرة، وكانت وفاته بمدينة فاس عام 543هـ في عصر الدولة الموحدية، ومن مؤلفاته الكثيرة : أحكام القرآن، والقبس في شرح موطأ بن أنس، والناسخ والمنسوخ، والإنصاف في مسائل

في المسألة الرابعة : التمثال على قسمين حيوان وموات، والموات على قسمين جماد ومتحرك، وقد كانت الجن تصنع لسليمان جميعه، وذلك معلوم من طريقين أحدهما عموم قوله تماثيل، والثاني ما روي من طرق عديدة أصلها الإسرائيليات، لأن التماثيل من الطير كانت على كرسي سليمان، فإن قيل لا عموم لقوله تماثيل فإنه إثبات في نكرة، والإثبات في النكرة لا عموم له، إنما العموم في النفي في النكرة حسبما قررتموه في الأصول، قلنا كذلك نقول بيد أنه اقترن بهذا الإثبات في النكرة ما يقتضي حمله على العموم وهو قوله ما يشاء، فاقتران المشيئة به يقتضي العموم له، فإن قيل فكيف يشاهد الصور المنهي عنها، قلنا لم يرد أنه كان منهيا عنها في شرعه، بل ورد على ألسنة أهل الكتاب أنه كان أمرا مأذونا فيه، والذي أوجب النهي عنه في شرعنا والله أعلم ما كانت العرب عليه من عبادة الأوثان والأصنام، فكانوا يصورون ويعبدون، فقطع الله ذلك سدا للذريعة، فإن قيل : قد جاء في ذم الصور وعملها من الصحيح قول النبي (ﷺ): من صور صورة عذبه الله حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ(13)، وفي رواية الذين يشبهون بخلق الله فعلل بغير ما زعمتهم، قلنا نهى عن الصورة وذكر علة التشبيه بخلق الله، وفيها زيادة علة عبادتها من دون الله، فنبه على أن نفس عملها معصية فما ظنك بعبادتها.

وقد ورد في كتب التفسير شأن يغوث ويعوق ونسر وأنهم كانوا أناسا ثم صوروا بعد موتهم وعبدوا، وقد شاهدت بثغر الإسكندرية(14) إذ مات منهم ميت صوروه من خشب في أحسن صورة وأجلسوه في موضعه من بيته، وكسوه بزيه إن كان رجلا وحليتها إن كانت امرأة، وأغلقوا عليه الباب، فإذا أصاب أحد منهم كرب أو تجدد له مكروه فتح الباب عليه وجلس عنده يبكي ويناجيه بكان وكان حتى تنتهي صورة حزنه بإغراق دموعه، ثم يغلق الباب عليه وينصرف عنه، وإن تمادى بهم الزمان يعبدونها من جملة الأصنام والأوثان، فعلى هذا التأويل إن قلنا أن شريعة من قبلنا لا تلزمنا فليس ينقل عن ذلك حكم، وإن قلنا أن شرع من قبلنا شرع لنا فيكون نهي النبي (ﷺ) عن الصور نسخا، وهي المسألة الخامسة على ما بيناه في قسم الناسخ والمنسوخ قبل هذا، وإن قلنا أن الذي كان يصنع له الصور المباحة من غير الحيوان وصورته فشرعنا وشرعه واحد، وإن قلنا أن الذي حرم عليه ما كان شخصا لا ما كان رقما في ثوب، فقد اختلفت الأحاديث في ذلك اختلافا متباينا بيناه في شرح الحديث. (لبابه) : إن أمهات الأحاديث خمس أمهات، الأم الأولى ما روى ابن مسعود وابن عباس أن أصحاب الصور يعذبون أو هم أشد الناس عذابا، وهذا عام في كل صورة، الأم الثانية روى ابن أبي طلحة عن النبي (ﷺ) أنه قال : لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة(15)، زاد يزيد بن خالد الجهني إلا ما كان رقما في ثوب، وفي رواية عن أبي طلحة نحوه، فقلت لعائشة : هل سمعت هذا ؟ فقالت لا وسأحدثكم،

الخلاف، والمسائل على مذهب مالك، وغيرهم، أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 136 رقم الترجمة 408 وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 489 وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 230، وفي جذوة الإقتباس لابن القاضي ص 260، رقم الترجمة 268. وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 3 ص 198. وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 258 رقم الترجمة 586 وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 855 رقم الترجمة 488.

(13) أنظر صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب من صور صورة كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ رقم الحديث 5963 وفتح الباري لابن حجر العسقلاني ج 10 ص 481.

(14) الإسكندرية : مدينة مصرية على ساحل البحر الأبيض المتوسط، بناها الإسكندر الأكبر سنة 331 ق م، على الأرض الواقعة بين بحيرة مريوط والبحر الأبيض المتوسط، وهي تبعد عن القاهرة بنحو 200 كيلومتر.

(15) أنظر صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب التصاوير، رقم الحديث 5949 وفتح الباري لابن حجر العسقلاني ج 10 ص 465، وفي صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان ج 14 ص 81.

خرج النبي (ﷺ) في غزاة، فأخذت نمطا فسترته على الباب، فلما قدم ورأى النمط عرفت الكراهة في وجهه، فجذبه حتى هتكه، وقال إن الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين، قال فقطعت منه وسادتين وحشوتهما ليفا فلم يعب ذلك علي(16)، الأم الثالثة قالت عائشة : كان لنا ستر فيه تمثال طائر، وكان الداخل إذا دخل استقبله، فقال رسول الله (ﷺ) : حولي هذا فإني كلما رأيته ذكرت الدنيا(17)، الأم الرابعة روي عن عائشة قالت : دخل علي رسول الله (ﷺ) وأنا مستترة بقرام فيه صورة، فتلون وجهه ثم تناول الستر فهتكه، ثم قال : إن من أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يشبهون خلق الله، قالت عائشة فقطعته فجعلت منه وسادتين(18)، الأم الخامسة قالت عائشة كان لنا ثوب ممدود على سهوة فيها تصاوير، فكان النبي (ﷺ) يصلي إليه، ثم قال أخريه عني، فجعلت منه وسادتين، فكان النبي (ﷺ) يرتفق بهما(19)، وفي رواية في حديث النمرقة قالت : اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها فقال : إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، وإن الملائكة لا يدخلون بيتا فيه صورة(20).

قال القاضي فتبين بهذه الأحاديث أن الصور ممنوعة على العموم، ثم جاء إلا ما كان رقما في ثوب فخص من جملة الصور، ثم يقول النبي (ﷺ) لعائشة في الثوب المصور : أخريه عني فإني كلما رأيته ذكرت الدنيا، فثبتت الكراهة فيه، ثم يهتك النبي (ﷺ) الثوب المصور على عائشة، وهو منع منه، ثم بقطعها لها وسادتين حتى تغيرت الصورة وخرجت عن هيئتها، فبان أن جوازه ذلك إذا لم تكن الصورة فيه متصلة الهيئة، ولو كانت متصلة الهيئة لم يجز لقولها في النمرقة المصورة : اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها، فمنع منه وتوعد عليه، وتبين بحديث الصلاة إلى الصورة أن ذلك كان جائزا في الرقم في الثوب ثم نسخه المنع، وهكذا استقر فيه الأمر والله أعلم، ولا شك أن حكم الصورة في الكاغد ونحوه مثل حكم الرقم في الثوب، ثم إن الوعيد المنصوص عليه في قوله (ﷺ) إن أصحاب هذه الصور إلخ ... منوط بنفس المصور سواء استعمل ذلك باليد أو بواسطة آلة من آلات التصوير، ولا يقال أن ذلك الوعيد خاص بما اقتضته الإشارة في قوله عليه السلام : أصحاب هذه الصور إلخ... وهم كفار، فغير الكافر يدخل في زمرة أصحاب هذه الصور، لأننا نقول الوعيد منوط بالمصور كيف ما كان، لقوله في الحديث الآخر : إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون، وعموم اللفظ شامل في ذلك لمباشر التصوير، أو لطابع الصورة على نحو كاغد، وكذلك من أفرغها في قالبها ولو لصورة من حلواء وغيرها، فلا معنى لمن يقول أن التصوير الشمسي إنما هو طبع لا دخل له في التصوير، كما يستدل في جواز ذلك بما جرى به عمل الناس في هذا الزمان من طبع الصور في الكتب، فإن ذلك لا ينسخ الحكم

---

(16) أنظر صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، ج 10 ص 86 صحيح مسلم بشرح النووي.

(17) أنظر صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، ج 10 ص 87 صحيح مسلم بشرح النووي.

(18) أنظر صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، ج 10 ص 88 صحيح مسلم بشرح النووي.

(19) أنظر صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، ج 10 ص 89 صحيح مسلم بشرح النووي.

(20) أنظر صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، ج 10 ص 90 صحيح مسلم بشرح النووي.

الشرعي، والحاصل أن اتخاذنا للصور مطلقا يقضي علينا بمخالفة الشرع، فنحن آثمون، والملائكة لا تدخل البيوت التي هي فيه كما قاله الحديث ونقله المحدثون، وكفى حرمانا لمتخذ الصورة عدم دخول الملائكة لبيته، وبه الشياطين ملازمون، وإن كان ولابد من اتخاذها فليقتصر على المرقومة الناقصة لعضو من الأعضاء حتى لا تكون الصورة تامة، وهذا غاية ما يمكن في تخفيف وطأة هذه المصيبة العامة، ثم بعد هذا كله فإن للضرورة أحكاما.

وللناس عادات وقد ألفو بهـــــا لها سنن يرعونها وفروض
فمن لم يعاشرهم على العرف بينهم فهو ثقيل عندهم وبغيـض

والعاقل من يحتاط لدينه بقدر الإمكان في خاصة نفسه، ولا يعجل بالتصدي للإنكار على أبناء جنسه، فيما لا يقبل فيه نكيره، ولنقتصر على هذه الكلمة هنا، وإن كان المقام يحتاج فيه إلى بسط الكلام، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وكتبه، خديم العلم عبد ربه أحمد سكيرج أمنه الله.

Ǐ ďǆFƲ‡ƨƖƐ ƒ ƜFƟ‡Ɩ Ljďǆϒ Ǐ Ʈ ƥNj Ŷ Ɛ LjDŽƟƥ ƑNJƙƴƓ ƗƖƑƨƥƖƐ LJƤlj
Ă‡ϒ DŽيƮ ƥتƴDŽƖƐ ƥƲƣ ƱFƨتFƓ ƑNJيƷ LJƥƓƣيÛNjƓFƓϒ Ǐ DŽƑNJتƖƐ ǎيدƨ
ƗƓ‡ƲƖƐ DŽDŽ ƖƑϒƑDŽƜ ƸƥƲ DŽDŽ ƿƖƤNj Ûƨ ƑƻƓ ƗيƷNjƬƖƐ ƽƥƲƖƐ
.LjتƑDŽNjقDŽNj LjDŽƏƑϒد DŽϒ ǘƮƷ ÛDŽيدƖƐ دϒƐNjقƓ Ɨ‡NJƜƖƐ

إني أستجدكم بداعية محبتي في جنابكم من قديم بإخلاص تجدونه من نفسكم الطاهرة، وبما لكم من سلامة الإعتقاد من سائر النزغات، أرفع إليكم يا أهل النجدة خطابي، في أن تقوموا على ساق الجد في نصرة حزب أهل الله من بطانة السوء التي استفحل أمرها بفاس، ببغض كل من انتسب لطريقة من الطرق، فقد أشهر طلبة العلم خصوصا الصبيان منهم الحرب على مولاهم(21)، كما أشهر التجار الحرب عليه بتعاطي الربا، فالله الله في الأمة، فإني أكتب إليك

(21) من الملاحƲ لدا جميع الباحƛين أن العلامة سكيرج رحمه اŸ لم يتوانƮ ولو يوما واحدا في الدفاϒ عن التصوƻ وأهله، بل كان حاƨما ياƿƲƖ يذوز عن الحمƮ كل من سولƘ له نƼسه النيل من سمعة ومكانة ساداتنا الأولياء والأعلام الكرام، وخير دليل علƮ صحة ما أƩرنا Ƒليه العدد الƦƑƘƔ من كتبه التي ألƼƘƔ في الرد علƮ المنكرين والمتعصبين، سواء بالمƸرب أو خارجه، وكان رحمه اŸ يدعو كƛيرا ƑلƮ عدم التƩدد في الدين، لما فيه من ƕƛار سلبية تميل بصاحبƘƔ وتنحرƻ به عن النƷƘƔ السوي، كما كان يدعو ƑلƮ الإعتدال في الرأي ونبذ الƸلو المذموم المƼضي براكبه للƷƘƖƚ الƲƼيع. ولƷƐذا السبب ناƩد مرارا هƊƛء الƱلبة المعترضين المعتدين علƮ حرمة أضرحة الصالحين بضرورة الإقلاϒ عما هم يƷيمون فيه من العصبية والتƩدد، وما ساقƷم Ƒليه الجƷل والبƸƲ من قلة الحياء وسوء الƲن بƊهل اŸ تعالƮ من الأولياء والصالحين وأتباعƷم.
ومن ناحية أخرƎ دعاهم رحمه اŸ للاعتناء بتحصيل العلم والمعرفة، والسعي وراءهما بالمƛابرة والإجتƷاد، بدƅ من تضييع الوقƘ في Ƒذاية الأولياء وتنقيصƷم والإساءة لمن انتمƮ Ƒليƺم، وفاعل هذƋ الأمور الخبيƛة محارب Ÿ تعالƮ، بمقتضƮ قوله (ﷺ) في الحديƚ القدسي قال قال اŸ تعالƮ : من عادƎ لي وليا فقد ƕذنته بالحرب.

هذا فضولا مني، ولكن لصدق محبتي في جنابكم أخشى ما سيعم نزوله من الحق، سائلا المولى أن يحفظكم سرا وجهرا، فقد أخبرني من أثق به أن هؤلاء الصبيان يلقون مسامرات وخطبا بالزاوية الناصرية من الحضرة الفاسية، تلك البلدة التي اشتهرت بمحبة آل البيت وتعظيم الشيوخ واحترام الأولياء، قد استحال أمرها إلى هذا البلاء الذي كاد أن ينتشر في العامة، فيتجر فيه الآن العامي الذي لا يفقه شيئا وينزل الآية في غير محلها، ويحرف الحديث مع اللحن الفادح، ولا يسمع منه إلا السب في جانب الصوفية، مع هضم جانب المنتسب لأي طريقة، وهدم ما شيده السلف الصالح من المجد الموصل، حتى صار جل من يذكر في الأوقات التي كان يعمرها بالذكر معرضا عن الأذكار، وأبدلوا ذلك بتتبع العورات ودم المتصوفة، وصار من كان محافظا على الصلوات في أوقاتها معرضا عن ذلك، وصارت علامة بوادر الإنتقام تظهر من الحق بحبس المطر، فالله الله سيدي أكتب لكم هذا ويدي ترتعش خجلا منكم، ولكن تعلمون صدق محبتي، وقد رأيت رؤيا هالني أمرها.

فأرجو منكم أن تتداركوا هذا الأمر الفظيع بكف أذى هذه الشرذمة، بترهيبهم وتخويفهم إن اقتضى ذلك في نظركم بنظر الحضرة الشريفة، ولا أقل من أن يلجموا فمهم بلجام ترك الخوض في أعراض الأولياء، ثم بعد ذلك فليعتقدوا ما شاءوا، وعلى الأقل أن تصدر العقوبة في حق بعض الفاسيين، والجمع مشهور سيما إذا وقع الهجوم عليهم في ناديهم الذي يلقون فيه خطبهم، وإلا فعلى الدين العفاء، فهل من غيرة تغير هذا المنكر ؟ أرجو أن تكون غيرتكم هي التي يؤيد الله بها ضعفاء الفقراء، وقد جرت على لساني أبيات تفاعلت بمطلعها في سقوط نجم المبغضين في الأولياء بنهضتكم في المدافعة عنهم، ولكم من الله الجزاء ونص القصيدة :

نجم الشقاوة قد هوى من الأفق ... إلى الحضيض الذي يهوي بكل شقي

واستنصر الحق في تشتيت شملهم ... بناصر الحق وهو كهف كل تقي

الحاجب العالم الذي له نشرت ... في المجد رايات نصر الحق في الأفق

سلم عليه وأعلمه بما اتفقت ... عليه شرذمة الأهواء والنزق

فإنهم أطلقوا في الدين ألسنة ... في هضم جانب أهل الله في الفرق

في هدم مجد لأسلاف أفاضل في الإسلام كانوا كمثل النور في الحرق

في الناصرية من فاس جموعهم ... تحزبت وتمالأت على الطرق

قاموا بكل نكير قابضين على ... حبل الهوى وهووا في مورط الزلق

تتبعوا عورات المومنين وهم ... قد لطخوا كل عرض في العباد نقي

واستجلبوا كل ذي جهل وذي سفه ... من صبية عيبة الفجور والحمق

قد بدلوا دينهم سرا وفي علن ... تبادلوا خطبا بالحق لم تلق

يا ناصر الحق هل ترضى بما فعلوا ... والناس في الجهل قد غاصوا إلى العنق

بــادر بـتـشـتـيـت جمعـهـم فجمـعـهـــــم
قاض بتشتيت شمل الحق فــي الـطـرق

وهم قد استفحلت فـي القوم نهضتهـم
بـمـا يبـثونـه فــي الخـلـق مــن خـلـــــق

والشرك أسرع شيء في النفوس سرى
من كـل قلـب شـقـى بالشـر فـيــه سـقــي

فانـهـض بعزمـتـك الـتـي عهـدت بـهـا
واستبق للـديـن مـا أبـقـوه مـن رمـــــق

أما ما عرفتم عليه في الشرذمة الضالة فقد اتسع الخرق فيها على الراقع، وأمر الله فيهم ماله من دافع، ولكن نرجو الهداية لآل البيت منهم، وليس ذلك على الله بعزيز، ولقد انتشر ميكروب هذا الداء العضال، وتمكن من سريانه في شريان الجهال، فاستحالت محبتهم في أهل الله بغضا، وعض بعضهم من آل البيت النبوي عضا، فصار الكل مكلوبا.

وقد كانت النهضة الأولى من ذوي العلم بوازعين قويين، أحدهما في إنكار بعض الأمور المنسوبة للمتصوفة لما اشتملت عليه من الشطحات حتى لا يتضلل العوام، وليتهم سكتوا عن تقرير تلك الضلالات، فإنها تمكنت من عقول هذه الشرذمة التي هي شر محض.

ولذلك قال بعض أساطين الدين : تقرير الرد على المبتدعة فيه روجان بضاعتهم، وهذا ما كان يختلج في صدري حين كنت تراني متألما مما تقرره في كتابكم المسمى أداء الحق المفترض، ونظرت إلى ما سيؤول إليه الأمر، وأنا في الحقيقة من أنصارك في الحق الذي حققته بما منحك الله من حلو العبارة، وسلب العقول بالإشارة، فكنت غير ملتفت لقولي، والأمر لله، فإن نهضتكم كانت للحق، ولكن المتنطعين خرجوا من باب الحق لمتسع الخرق، فنهضوا بالوازع الثاني الذي هو حب المحمدة والتظاهر بنصر الدين، وهم ليسوا من الدين في شيء، وزعموا أنهم مصلحون لما أفسده الخلف والسلف، والله يعلم المفسد من المصلح، فهم بلا شك البغاة، وعلى الباغي تدور الدوائر(22).

---

(22) كان العلامة سكيرج رحمه الله شديدا على المنكرين للطرق الصوفية، عارفا بأساليبهم وحيلهم، متمكنا من مخططاتهم وأهدافهم، مطلعا على خبايا نواياهم، عارفا بمعاني ما يستعملونه وراء ذلك من سلاح أدواتهم، ولهذا استطاع رحمه الله أن ينتصر عليهم في جل المناسبات، حيث هزم جيشهم المجاهد وشتته، وكسر جمعهم المعاند وفتته، ولم تقتصر مقاومته إياهم على تآليفه المطبوعة المنشورة بين الناس، بل تعدت ذلك إلى إلقاء المسامرات، ومجابهتهم وسط المحافل من خلال الندوات والمحاضرات.

وهكذا توالت هزائم المنكرين، وباءت مخططاتهم بالفشل الذريع، أما بضاعتهم فقد كتب عليها الكساد، ولم تستطع تحقيق ما كانت تصبو إليه من رواج عرضها الهزيل، وحول هذا الموضوع قال أحد زعماء المنكرين صراحة وقتذاك : لم نفرح بشيء كفرحنا بوفاة الفقيه سكيرج إذ ... وهي شهادة كافية على صدق ما قلناه، والشهادة ما شهد به الأعداء، وغاب عن هذا المنكر الغبي أن مثل العلامة سكيرج لا يمكن أن يموت أبدا في نظر قارئيه، بل هو حي بأفكاره وآرائه ومآثره العلمية الخالدة.

[illegible]

باسمك اللهم افتح، وصل اللهم وسلم على من أنزلت عليه ألم نشرح،

جناب العلامة الذي لا يحتاج في تمييز فضله على الغير، العلامة الشيخ الإمام أبا مهدي سيدي محمد الحجوي(23)، فتح الله للجميع أبواب قبوله برضاه عنا آمين، مع سلامة الدنيا والدين، وسلام عليكم وعلى كل من هو منكم وإليكم، أما بعد فقد ورد علي كريم جوابكم عما كنت أجبتكم به، وأجلت النظر فيما أبديتموه، ومازال يكبر بين عيني تنزلكم مع محبكم الذي يتحقق بأنكم أحق بالإفادة له من الإستفادة منه، ولكن حرصكم على الأخذ بالأيدي في المزالق حملكم على إبداء ملاحظاتكم على ما أجبتكم به مبينا لنا فكركم السامي، وهو وأيم الله في غاية الوضوح، إلا في بعض النقط التي أوجبت استلفات النظر إليها ليظهر المقصود من قولنا : لا يفعل ربنا إلا خيرا، فإني دقت من حلاوة هذا المشرب ما حملني على أن أتشبث بحبل الصوفية الذين لم يخرجوا عن دائرة أهل السنة في هذا المقام، الذي تمكنوا به في المعرفة بالفاعل المختار، وأرجو أن يتضح وجه الحق فيها فنكون على سرر السرور بإدارة كؤوس المذاكرة في الحق بالحق، متقابلين من غير تسليم جدلي، فإن أخاك من صدقك، لا من صدقك، وها أنا ذا لخصت جوابكم في ملاحظ :

الملحظ الأول في قولكم رضي الله عنكم أنكم نظرتم في كلامكم السابق إلينا إلى المقضى به وأنه من حيث كونه معصية أو كفرا لا يتصور الرضا بهما بمعنى محبته إلخ ...

فنحن لا نقول بأن المقضى به يجب الرضا به ويحب، وإنما نقول قضاء الله هو الذي يجب الرضا به، فقضاؤه بكل شيء هو عين الحكمة المحبوبة، فالحق تعالى لا نفع يرجع له في طاعة عبده، ولا ضر يمسه في معصية عبده، وإنما إرادته المطابقة لعلمه اقتضت كون فعله سبحانه في غاية الحكمة، والحكمة خير محض، لأنها وضع الشيء في محله، وتفسر بما يرجع

(23) محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي وزير المعارف الإسلامية بالمغرب في عهد الحماية، عالم فقيه مؤرخ مشهور، ازداد بفاس في 4 رمضان عام 1291هـ، وأخذ العلم عن جماعة من أكابر فقهاء القرويين، منهم العلامة محمد بن التهامي الوزاني، والفقيه سيدي محمد بن قاسم القادري، والعلامة سيدي محمد بن عبد السلام كنون، والقاضي سيدي عبد السلام الهواري، والعلامة سيدي عبد المالك بن محمد العلوي الضرير، والمؤرخ الفقيه سيدي الكامل بن محمد الأمراني، وبعد تخرجه من جامعة القرويين تقلد مناصب سامية، منها سفارة المغرب بالجزائر، ما بين عامي 1321هـ-1323هـ، ثم عين بعد ذلك وزيرا للعدل، ثم وزيرا للمعارف الإسلامية، في عهد الحماية الفرنسية، وله رحمه الله مؤلفات أهمها كتابه : الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي. وتوفي رحمه الله في يوم الأحد 2 ربيع الأول عام 1376هـ، أنظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 146 وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 96، كما ترجم لنفسه في مقدمة كتابه الفكر السامي ص 9.

لهذا المعنى، ولم يميز بين جميع أفراد ما أوجده الحق إلا الشارع، فنعمل على تفرقته لأفعال الحق وقضائه الذي هو في الحقيقة عين الحكمة، فهي بالنسبة للحق على حد السواء في كونها في غاية ما يكون من الإتقان، وبهذا المعنى يتضح قول الإمام الغزالي : ليس في الإمكان أبدع مما كان(24)، فإن ما أبرمته الإرادة الموافقة للعلم لا يمكن أن يكون في الإمكان أبدع منه، أما بالنسبة للحق فقد جاء في الشرع الفرق، فالكفر الذي هو أقبح أفراد الشر مثلا يلحظ بملحظين، فهو من حيث قضاء الحق به على الكافر عدل، فتصرفه سبحانه في خلقه بما شاء هو نفس الحكمة، ولا تجد أحدا من أهل العلم ينكر العدل والحكمة، بل كل موفق يميل إلى الإذعان إليهما والتسليم لما اقتضياه، لأنهما أعني العدل والحكمة يوجبان ذلك على كل عاقل، وأما من حيث العبد فهو بالشرع شر محض لا يرضى به أحد، وهو مقتضى قول المجيب.

فنرضى قضاء الرب حتما وإنما كراهتنا مصروفة للخطيئة

قال محشي الجلالين العلامة الشيخ سيدي أحمد الصاوي(25) لدى قوله تعالى : (بيدك الخير)(26) بعد كلام : ففعل الله كله خير، لأن أفعاله دائرة بين الفضل والعدل، ولا ينسب له الشر أصلا، وإنما ينسب للمخالف، وليس لمولانا حاكم يخالفه فيما أمر به، بل هو الفعال لما يريد، وقال لدا قوله : ليس عليك هداهم(27)، بعد كلام : ومن هنا قول العارف : من نظر للخلق بعين الحقيقة عذرهم، ومن نظر لهم بعين الشريعة مقتهم، فعذرهم بالنظر لخلق الله الضلال والهدى في قلوبهم، فالخالق للضلال والهدى والأفعال جميعها هو الله وحده، فمن نظر لذلك لم يستقبح فعل أحد إلخ ... وقال العلامة الأمير(28) لدا قول شارح(29) الجوهرة كتعذيب المطيع

---

(24) هذه المقالة لشيخ الطريقة أبو العباس سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه، أنظر جواهر المعاني وبلوغ الأماني للعارف بالله سيدي الحاج علي حرازم ج 2 ص 75 وانظر الجامع لما افترق من درر العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم للعلامة سيدي محمد بن المشري.

(25) العلامة أبو العباس أحمد الصاوي الخلوتي، من أكابر علماء وقته، له تآليف كثيرة منها : حاشية على تفسير الجلالين للسيوطي، ومنها بلغة السالك لأقرب المسالك، وهي حواش على كتاب : المسالك إلى مذهب مالك، للعلامة أحمد الدردير، ومن مصنفاته كذلك : الفرائد السنية لشرح الهمزية. وتوفي رحمه الله بالمدينة المنورة سنة 1241هـ. انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص 364 رقم الترجمة 1448. وفي معجم المطبوعات لإليان سركيس 376 وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 246 وفي دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي ج 5 ص 425.

(26) سورة آل عمران، الأية 26.

(27) سورة البقرة الآية 272.

(28) محمد بن محمد بن أحمد السنباوي الأزهري المشهور بالأمير. من أعيان المالكية بمصر، توفي بالقاهرة في ذي القعدة عام 1232هـ من مؤلفاته : الإكليل في شرح مختصر خليل. وحاشية على مغني اللبيب لابن هشام، وانشراح الصدر في بيان ليلة القدر، وحاشية على شرح عبد السلام لجوهرة التوحيد، وكتاب المجموع، في الفقه، وضوء الشموع على شرح المجموع، وغير ذلك. انظر ترجمته في الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 354 وفي معجم المطبوعات لسركيس 473 وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 71. وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 362 رقم الترجمة 1446، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 133 رقم الترجمة 27.

(29) شارح منظومة جوهرة التوحيد هو العلامة عبد السلام بن إبراهيم اللقاني، وقد سمى شرحه المذكور : إتحاف المريد لشرح جوهرة التوحيد، ومن مصنفاته الأخرى : السراج الوهاج في الكلام على الإسراء والمعراج، توفي في شهر شوال عام 1078هـ، انظر ترجمته في شجرة

إلخ ... ولو نبيا لأن الكلام في مجرد حكم العقل، ولا حرج على الله، لأن كل ما صدر منه فضل أو عدل في مملوكه، وليس تم من له استعلاء عليه حتى يسأل عما يفعل إلى أن قال : فانقسام الفعل إلى حسن وقبيح إنما هو من حيث ظهوره على يد الأغيار إلخ ...

الملحظ الثاني في قولكم : وأما الرضا بفعل الحق واجب، فمعناه الإذعان له والمطاوعة وعدم القدرة على الإمتناع منه إلخ ...

فالإذعان وما عطف عليه هو مقصودنا المطلوب، وهو حاصل بالتسليم للقضاء الحقي الذي هو من نفس الحكمة الحقيقية المحبوبة، لكونها عن عدل أو فضل المأمور بالإيمان به في حديث : وأن تومن بالقدر خيره وشره، قال العلامة الأمير في حاشيته لدى قول الجوهرة.

وواجب إيماننا بالقدر   وبالقضا كما أتى في الخبر(30)

والإيمان بالقضاء والقدر يستدعي الرضا بهما ما نصه ظاهره أن الرضا بنفس الصفتين، وهو كلام السعد في التخلص عن وجوب الرضا بالكفر، قال وهو مقضي لا قضاء، والرضا واجب بالقضاء لا بالمقضي، والذي حققه في حاشيته أنه لا معنى للرضا بالصفة إلا الرضا بآثارها وإن نحو الكفر له جهتان، كونه مقضى الله، وكونه مكتسب للعبد، فيرضى به من الجهة الأولى دون الثانية، وهو معنى قولهم يجب الإيمان بالقدر ولا يحتج به، وما في الصحيح : لام موسى آدم على معصيته، فقال له آدم تلومني على شيء قدره الله علي قبل أن أخلق، قال (ﷺ) فحج آدم موسى أي غلبه(31)، فذلك تأديب في البرزخ، والمنع إنما هو في دار التكليف إلخ ... قال الشيخ مرتضى(32) لدا قول الإحياء في الأصل الثالث من الركن الثالث من العلم بأفعال الله تعالى، في تنبيه : قال ابن همام في المسايرة مع شرحه : فإن قيل حاصل ما ذكرتم أن المعاصي واقعة بقضاء الله تعالى وقد تقرر أنه يجب الرضا بالقضاء اتفاقا، فيجب حينئذ الرضا بالمعاصي وهو باطل إجماعا(33)، قلنا الملازمة بين وجوب الرضا بالقضاء وبين وجوب الرضا بالمعصية ممنوعة، فلا يستلزم الرضا بالقضاء الرضا بها، بل يجب الرضا بالقضاء لا المقضى إذا كان

النور الزكية لمخلوف ص 304 رقم الترجمة 1176، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 355، وفي خلاصة الأثر للمحبي ج 2 ص 416، وفي معجم المطبوعات لسركيس 1592.

(30) هذا البيت من منظومة جوهرة التوحيد، من نظم العلامة الشهير إبراهيم بن حسن اللقاني، وقيل أنه أنشأها في ليلة واحدة بإشارة من شيخه أبي العباس الشرنوبي، وقد شرحها بثلاثة شروح، ومن مصنفاته : بهجة المحافل في التعريف برواة الشمائل، ونصيحة الإخوان في شرب الدخان، وقضاء الوطر في نزهة النظر في توضيح نخبة الأثر، للحافظ ابن حجر، ومنار أصول الفتوى وقواعد الإفتاء بالأقوى، وحاشية على مختصر خليل، وعقد الجمان في مسائل الضمان، وغيرهم من التآليف الأخرى، انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 291 رقم الترجمة 1113، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 329 رقم الترجمة 736 وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 130 رقم الترجمة 21، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 28، وفي خلاصة الأثر للمحبي ج 1 ص 6.

(31) انظر صحيح البخاري كتاب التفسير رقم الحديث 4736-4738، وانظر شرحه فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني ج 8 ص 554.

(32) محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، الملقب بمرتضى، فقيه، محدث، مؤرخ، نسابة، توفي بداء الطاعون بمصر عام 1205هـ. من كتبه : تاج العروس في شرح القاموس، انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ج 7 ص 70 وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 526. رقم الترجمة 300، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 223 رقم الترجمة 544.

(33) انظر إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ج 1 ص 132.

منهيا عنه، لأن القضاء صفة له تعالى، والمقضى متعلقها الذي منع منه سبحانه، ثم وجد على خلاف رضاه تعالى من غير تأثير للقضاء في إيجاده، ولا سلب مكلف قدرة الإمتناع عنه، بل وجد على مجرد وجه المطابقة للقضاء، قال شارحه وهو جواب مشهور، وقد أورد عليه أنه لا معنى للرضا بصفة من صفات الله تعالى، إنما الرضا بمقتضى تلك الصفة، وهو المقضى، فحينئذ اللائق أن يجاب أن الرضا بالكفر لا من حيث ذاته بل من حيث هو مقضى، وقد أوضحه السيد في شرح المواقف فقال : إن للكفر نسبة إلى الله تعالى باعتبار فاعليته له وإيجاده إياه، ونسبة أخرى إلى العبد باعتبار محليته له واتصافه به، وإنكاره باعتبار الثانية دون الأولى، والرضا به باعتبار النسبة الأولى دون الثانية، والفرق بينهما ظاهر، فإنه ليس يلزم من وجود الرضا بشيء باعتبار صدوره عن فاعله وجوب الرضا به باعتبار وقوعه صفة بشيء آخر، إذا لو صح ذلك لوجب الرضا بموت الأنبياء من حيث وقوعه صفة لهم، وأنه باطل إجماعا، وبالله التوفيق.

الملحظ الثالث في قولكم : وهيهات أن يكون هذا الإذعان الذي هو إجباري مبررا لقولهم لا يفعل ربنا إلا خيرا، إلى أن قلتم : أما المعاصي فإنها وإن وقع الإذعان لها، لكن لا يتصور من مومن رضاها بمعنى محبتها إلخ ...

نحن لا نقول بمحبة المقضى به، وإنما نقول الخير في نفس قضاء الحق به، وهو الذي قررناه واستدللنا لكم عليه بما نقلناه امتثالا لأمركم، حيث أنكم لم يمكنكم مراجعة ذلك في كتبكم متعكم الله بها وآدام النفع بكم، ولم نطل في النقل لأن ما أتينا به فيه كفاية، وهناك أقوال تعاضد فكركم لم نحتفل بنقلها، لأن المقصود الإستدلال على صحة معنى قولهم لا يفعل ربنا إلا خيرا، وقد اتضح الفرق بين الرضا بالقضاء والرضا بالمقضى به، ولا يرضى أحد بالمقضى به إلا من حيثية كونه من فعل القاضي الحكيم، وحيث الكل منه لا قبيح إلخ ... وأما بالنظر للعبد الذي تصدر منه المعاصي فهي بالشرع شر محض بلا توقف، لأن الشارع هو الذي فرق بين الخير والشر، ولا دخل للعقل في هذا إلا على القول بمراعاة التقبيح والتحسين، ونحن لا نقول به من سائر الوجوه لبطلانه وفساد اعتقاده.

الملحظ الرابع في قولكم بعد الأمر بالإعراض عن الميل الطبيعي الذي هو غير معتبر، ومع هذا كله فنحن موقنون بأن أفعال الله حكمة وفضل أو عدل، مع إذعانكم لما قضاه من الشرور الدينية من غير أن تكون مرضية لكم ولا له سبحانه إلخ ...

هذا هو الإعتقاد الصحيح، لأن ما لا يرضاه الحق سبحانه يتعين عدم الرضا به، والله سبحانه يقول : ولا يرضى لعباده الكفر(34)، فكيف يرضى به العبد إلا من حيثية كونه من أفعال الحق سبحانه، أو بالنظر لحالة العبد، مع أنه ينبغي استحضار كون الكفر مقضى به، ونحن لا

(34) سورة الزمر الآية 7.

نرضى إلا بالقضاء الذي هو نفس حكمة في صدوره على وفق العدل، وهو لا يكون إلا مطابقا للإرادة التابعة للعلم، والرضا والمحبة في نظر الأصوليين شيء واحد، واختلفوا هل هما غير المشيئة والإرادة؟ وهو الذي درج عليه في جمع الجوامع، أو الجميع سواء وهو قول جمهورهم كما نص عليه السيوطي في شرحه لقوله في نظمه

ثم الرضا منه مع المحبة   غير المشيئة مع الإرادة

ونصه : اختلف في الرضا والمحبة هل هما مع المشيئة والإرادة سواء أو غيرهما، على قولين لأهل السنة، فقال بالأول الجمهور كما حكاه الآمدي(35)، وجزم به الشيخ أبو إسحاق الشيرازي(36)، قال في كتابه الحدود : الإرادة والمشيئة والمحبة والرضا بمعنى واحد إهـ... ونص جمع الجوامع : والرضا والمحبة غير المشيئة والإرادة فلا يرضى لعباده الكفر، ثم قال السيوطي : وأجاب الأولون بأن المراد بالعباد المومنون، ولهذا شرفهم بالإضافة إليه كما في قوله : إن عبادي ليس لك عليهم سلطان(37)، وقوله تعالى : عينا يشرب بها عباد الله(38).

الملحظ الخامس في قولكم : وكل ما للصوفية يجب رده إلى ما هو المعتقد الحق إلخ ...

ما للصوفية هنا كله موافق لاعتقاد أهل السنة، حسبما اتضح بما نقلناه آنفا، وسلمه علماؤنا رضي الله عنهم، ولا أخالكم بعد إطلاعك على كلامهم إلا مسلما لما قلناه من أنه لا يفعل ربنا إلا خيرا، وقد رأينا المتكلمين ينقلون عن المذاهب فيعترضون غير الحق ويسلمون الحق بالسكوت عنه

(35) علي بن محمد بن سالم التغلبي، الملقب بسيف الدين الآمدي، فقيه أصولي شهير، من مصنفاته الإحكام في أصول الأحكام، في أربعة أجزاء، والمبين في شرح معاني الحكماء والمتكلمين، وغيرها من الكتب الأخرى، توفي بدمشق في يوم الثلاثاء 3 صفر سنة 631هـ، ودفن بسفح جبل قاسيون، انظر ترجمته في ميزان الإعتدال للذهبي ج 1 ص 439، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 405 رقم الترجمة 874 وفي لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج 3 ص 134، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 332، وفي طبقات الشافعية للسبكي ج 5 ص 129، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 329، وفي دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي ج 1 ص 598.

(36) إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزابادي الشيرازي، ولد ببلاد فارس عام 393هـ، ثم انتقل إلى البصرة، ومنها إلى بغداد، فكان من أكابر علمائها، وله تصانيف منها : اللمع، وشرحها، في علم أصول الفقه، ومنها التنبيه، والمهذب، وكلاهما في الفقه، ومنها كتاب طبقات الفقهاء، والملخص، والمعونة، في الجدل، وتوفي رحمه الله ببغداد عام 476هـ، انظر ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي ج 3 ص 88، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 4. وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 50، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 390، رقم الترجمة 743، وفي دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي ج 5 ص 422.

(37) سورة الحجر، الآية 42.

(38) سورة الإنسان، الآية 6.

أو بالتأييد، فيقولون مثلا بعد تقرير مذهب أهل السنة من الأشعرية والماترودية(39) : وقال المعتزلة أو الفلاسفة ويردون عليهم، ثم يقولون : والصوفية يقولون، والمحدثون يقولون، فحينئذ لا بأس باعتقاد ما للصوفية أو المحدثين مما قارب مذهب أهل السنة إذا لم يؤدي إلى بدعة يخرج بها مقلدهم عن دائرة الموحدين.

الملحظ السادس في قولكم : وقد أدبنا الله أن لا ننسب إليه إلا ما هو حسنة، فقال : ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك،(40) ثم أرشد للحقيقة فقال : كل من عند الله(41)، وخرجتم المقالة التي هي (لا يفعل ربنا إلا خيرا) على هذا المخرج، لا على طريق نفي الشر عن فعله كليا.

تخريجكم لهذه المقالة على هذا المهيع يكفي في جواز جريانها على الألسنة، ولكن الذي أقصده هو نفي الشر عن الفاعل المختار، لأن الكفر الذي هو أقبح شر في الخلق إنما تعين شرا بالشرع، وأما من حيثية قضاء الحق به فهو عدل وحكمة، والعدل لا يكون شرا.

ولقد بسط شارح الإحياء القول في هذه المسألة بما أنقله هنا تأييدا لقولكم في هذا المبحث، قال ما نصه : لا خلاف بين أهل السنة والجماعة في إطلاق الكائنات كلها بإرادة الله تعالى على جهة العموم والإجمال، وأما على التفصيل فنقل عن ابن كلاب أنه قال : لا يجوز أن يقال المعصية بإرادة الله تعالى، دفعا لإيهام أن يكون مأمورا بها على ما سبق لبعض أوهام العوام. كما توهمته فرق الإعتزال، ومنهم من يرى جواز ذلك بتقييد يزيل هذا الإيهام، فيقول : الباري مريد للمعصية وقوعا من مكتسبها، ناه عنها معاقب على فعلها.

قال شارح الحاجبية : والحق أن هاهنا مقامين الأول تحقيق ما في نفس الأمر، والثاني التفسير بما يدل عليه، أما الأول فقد أعطت الأدلة العقلية والسمعية والوجدية أنه جل وعلا مريد لجميع الكائنات على التفصيل وتفصيل التفصيل، من غير استثناء ولا تقييد بإرادة واحدة، من غير تقديم ولا تأخير ولا كثرة، وإنما الإختلاف والكثرة في التعلقات فقط، وأما الثاني فالعمدة فيه إنما هي الواردات السمعية، إذ ذاك عمل لساني، والأعمال قد انقسمت من جهة الأحكام الشرعية إلى ما يجوز وما لا يجوز، والعمل اللساني من ذلك، فما كان منه على مقتضى الأدب بحسن إطلاقه فنعم

(39) نسبة لمحمد بن محمد بن محمود الماتريدي، من أئمة علم الكلام، له مصنفات منها : تأويلات أهل السنة، وشرح الفقه الأكبر المنسوب للإمام أبي حنيفة، وأوهام المعتزلة، والرد على القرامطة، وكتاب الجدل ومآخذ الشرائع، وتأويلات القرآن، وغيرها من التآليف الأخرى، توفي بسمرقند عام 333هـ، انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ج 7 ص 19. وفي الجواهر المضية في طبقات الحنفية لعبد القادر القرشي ج 2 ص 130. وفي كشف الظنون لحاجي خليفة 335. وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 108 رقم الترجمة 373.

(40) سورة النساء، الآية 79.

(41) سورة النساء، الآية 78.

وما لا فلا. والآداب إنما تعرف ممن قال : أدبني ربي فأحسن أدبي صلى الله عليه وسلم، وإذا تقرر ذلك فقد ثبت في الشرع ما يدل على أن الأدب عدم التصريح بما تعلق به النهي، أو كان غير ملائم الطباع بنسبته إليه جل وعلا، وإن كان ذلك في نفس الأمر ليس إلا منه، قال تعالى حاكيا عن خليله عليه السلام : الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين(42) إلى أن قال الشيخ مرتضى في الفصل بعده : وهذا المطلب أدلته من الكتاب والسنة لا تحصى، وقد مر بعضها، وهي متمسك المحدث، وأما الصوفي فيقول : لا إرادة لغيره، إذ لا إرادة تتوسط بين صفتين، إحداهما تتعلق بإيجاد الفعل وهي القدرة، والأخرى تتعلق بكشفه على ما هو عليه في نفسه، وهي العلم، وقد تقدم أنهما لله تعالى، وبالجملة فالتأثير لله، والتخصيص الإرادي لله، والكشف العلمي لله، والعبد قابل لما يبدو عليه مما يبدو فيه، متى شاءه عادة فهو كسبه، وما لا فليس بكسبه، والكل فعل الله تعالى.

الملحظ السابع في قولكم في قولي : ولا أقول بأن فعل الكفر وما ضاهاه خير إلا من حيثية ما ذكرناه أن الذي تروه خلاف هذا، وهو أنكم لا تقولون فعل الكفر خير من أي وجه كان بالنسبة للكافر نفسه، نعم هو عدل وحكمة.

فإن هذا منكم فيه موافقة لما نقل من أن الشر إنما هو من حيثية المقضى عليه به، وأما من حيثية كونه فعل الحق تعالى وقضائه فهو عدل وحكمة، وهو قولي بأني لا أقول بأن الكفر وما ضاهاه خير إلا من حيثية ما ذكرناه، والذي ذكرنا هو كونه عدلا وحكمة وقضاء من الحق، ومن هذه الحيثية يتعين الرضا على العبد في حق مولاه مع الإستسلام لقضائه، لا لما قضى به، ولا اعتداد بالحكمة الظاهرة لنا في كل ما جرى من أفعال الخلق، وإنما الإعتداد بقضاء الحق وفعله الذي هو عين الحكمة، حتى لا ينجر بنا القول إلى ما بنى المعتزلة عليه مذهبهم من القول بالتحسين والتقبيح، فإنهم قالوا إن البارئ حكيم، والحكيم لا يفعل ولا يأمر ولا ينهى إلا على وفق الحكمة، والبارئ لا يتضرر ولا ينتفع، فيتعين حصر الصلاح فيما يرجع إلى جلب نفع للعبيد أو دفع ضرر عنهم.

قالوا : وإذا كان مضمون الفعل مصلحة خالصة أو راجحة فالحكيم لابد أن يرجح فعله على تركه، وإن كان مضمونه مفسدة خالصة أو راجحة فالحكيم لابد أن يرجح تركه على فعله، وإن استوت جهة المصحة والمفسدة فيه فيوجب ذلك التخير، فإذا وقفنا بعقولنا على شيء من ذلك إما بضرورة أو نظر حكمنا به، وإن وقفت العقول عن إدراك شيء من ذلك تلقياه من الشرائع، فالشرع مخبر عن حال المحل، كالحكيم الذي يخبر أن هذا العقار بارد أو حار، لا أنه يثبت حكما في المحل، وقسموا الأفعال إلى ما يدرك حسنه أو قبحه بالضرورة، كحسن الصدق النافع، وقبح الكذب الضار، وما يدرك حسنه وقبحه بالنظر، كحسن الصدق، والصدق الضار، وقبح الكذب النافع، وما لا يدرك العقل حسنه ولا قبحه إلا بورود الشرع، كحسن صوم آخر يوم من رمضان،

---

(42) سورة الشعراء الآية 80.

وقبح صوم أول يوم من شوال، وترتب على مقالهم مناقضات، وتعالى الحق عن وجوب شيء عليه.

الملحظ الثامن في قولكم : قد يقال على قولنا أن الحكمة خير محض وأن الشر حكمة أيضا، فإهلاك الكافرين بطوفان نوح شر لهم وحكمة لا شك فيها، إلى قولكم والذي خلق هذا الشر هو الفاعل المختار إلخ ...

كأني بسيدنا الأخ لم يلقي بالا لما قصدناه من الحكمة في فعل الخالق وقضائه، فإننا نقول قضاؤه وأفعاله إما عدل أو فضل، والعدل والفضل حكمة، والحكمة خير محض بقطع النظر عن المقضى به أو المقضى له، ولا اعتبار بما يقضي به العقل في تمييز الشر من الخير قبل ورود الشارع به، خلافا للمعتزلة الذين حكموا عقولهم، فحكم على الحق بمراعاة الصلاح والأصلح، جل علاه أن يدخل تحت الحكم.

الملحظ التاسع في أمركم لنا بالنظر إلى أسمائه تعالى نجدها متضادة مثل قوله تعالى : (اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم(43))

الذي أفهمه من اتصاف الحق تعالى وتسميته بأسماء الجلال أن ذلك لا يدل على كون الشر صادرا منه تعالى بنسبته إليه، لأن ما نراه شرا هو في الحقيقة خير، وما ورد من هذا القبيل إنما هو للترهيب ليعمل العبد على شاكلة الخير الشرعي، بما له من الكسب الذي سوغ له ربه أن ينسب لنفسه قدرة على ذلك، والكسب هو محط الثواب والعقاب، ولولا تهديد الحق لعبيده بمقتضى أوصاف الجلال على لسان الشارع ليقفوا عند ما حده لهم بالأدب الشرعي في تسمية ما أسماه شرا ليجتنبوه، وما سماه خيرا ليأخذوه، لانتهكت الحرمات بارتكاب سوء العمل، فيوجب ذلك لهم الأمل، والوقوف مع الأدب من علامات الموفقين، جعلنا الله منهم.

ولا بأس أن أنقل هنا كلاما للشيخ الأكبر ابن عربي الحاتمي(44) وإن كان بعضهم ينفر من كلامه وكلام أمثاله، وينفرون من مطالعة فتوحاته، وكان من حقهم أن يعرفوا الرجال بالحق، قال في الباب الثاني والعشرين وأربعمائة : إنما أضاف تعالى الأعمال إلينا لأننا محل الثواب، وهي لله حقيقة، ولكن لما شهدنا الأعمال بارزة على أيدينا، وادعيناها لنا، أضافها تعالى إلينا بحسب دعوانا ابتلاء منه لأجل الدعوى، ثم إذا كشف الله تعالى عن بصيرتنا رأينا الأفعال كلها لله تعالى، ولم نرى إلا حسنا، فهو تعالى فاعل فينا ما نحن العاملون، ثم مع هذا المشهد العظيم لابد من القيام بالأدب، فما كان من حسن شرعا أضفناه إليه خلقا وإلينا محلا، وما كان من سيء أضفناه إلينا بإضافة الله تعالى، فنكون حاكين قول الله تعالى، وحينئذ يرينا الله عز وجل وجه

---

(43) سورة المائدة، الآية 98.

(44) انظر التعريف به ضمن هذا المقال ج 1 ص 336.

الحكمة في ذلك المسمى سوءا، فنراه حسنا من حيث الحكمة، فيبدل الله سيئاتنا حسنات، تبديل حكم لا تبديل عين(45) إهـ ...

وفي هذا كفاية حيث اتضح به قولهم : لا يفعل ربنا إلا خيرا، وليس في هذه المقالة ما يمس بالعقيدة الصحيحة، وما حملني على كتب هذه السطور إلا ما نراه من إخلاصكم في الود، مع ما عهدناه من مكارم أخلاقكم ومحاسنكم التي لا تحصر بالعد، وإني أعتمد على إرشادكم لنا بعد المراجعة إن رأيتم خروجنا عن الجادة، والله الموفق للصواب، وعلى الأخوة والمحبة والسلام، وكتبه عن عجل عبد ربه خديم الحضرة المحمدية أحمد سكيرج أمنه الله(46).

---

(45) الفتوحات المكية للعارف الرباني الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي الحاتمي ج 4 ص 33.

(46) تبين هذه الأجوبة المباركة مدى اهتمام وعناية العلامة سكيرج رحمه الله بعلم الكلام، فقد فاق فيه جميع أقرانه من جهابذة العلماء المحققين، وأدرك فيه الغاية المرجوة عند الأولياء المتقين، وكان كثيرا ما يقول : التوحيد عنوان يدل عن جوهره ومفهومه في كلمة ملخصة وهي (لا إله إلا الله) التي تسمى كلمة التوحيد، أو الإخلاص، أو التقوى.
وهذه الكلمة العظيمة تتضمن نفي الألوهية عن كل ما سوى الله، والدليل على هذا استقراء هذه الكائنات السماوية والأرضية، وما امتازت به روعة الإبداع، وجمال التنسيق، ودقة النظام، وحكم التدبير، واتحاد القوانين المسيطرة عليها، وثباتها على مر الدهور والأحقاب، كل ذلك دليل وبرهان قوي صارم على وحدة الصانع المنظم المدبر، ولو فرض تعدد الآلهة جدلا، لاستبد كل إله بمخلوقاته، واستقل بتدبير سلطانه، مما يناسب تناقض مخلوقاتهم وغاياتهم، ويبعث على بعثرة الكون وفساده، فاتساق الكون ووحدة قوانينه برهان ساطع على وحدانية خالقه ومنسقه ومنظمه بمقتضى قوله تعالى : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا.

[illegible]

[illegible] (47)

خليلي إذا ما جئت يوما لفـــــاس	فسلم على ناس هم خير نـــاس
وسر لضريح الشيخ إن مقامـــــه	عظيم له فضل عديم القيـــاس
وسل عن رفيع القدر بنيسنا الــذي	له طأطأت أولوا المعالي براس
وقبل يديه سائلا منـــــه دعـــوة	قبالة قبر الشيخ تذهب بـاســـي
فلي فيه حب دائما في زيـــــادة	نسيت يدي إن كنت للعهد ناســي

والد الروح، وشفاء الكبد المجروح، خليفة القطب التجاني، أبا المكارم العارف بالله سيدي الحاج عبد الكريم بنيس، بعد أداء ما يستحقه جنابكم من التبجيل والإحترام والسلام التام، على تلكم الشمائل السنية، والأخلاق السنية على الدوام، فأنهي لأبوتكم أنه حل بيدي كريم جوابك، ولذيذ خطابك، مصحوبا بنصف الملزمة التي كتب عليها محبنا الأود، المخلص في الود، الفقيه العلامة سدي الفاطمي الشرادي،(48) أخذ الله بيدنا وبيده، وسلك بالجميع مسلك النجاة، بإعطاء الشريعة حقها الذي منه مراعاة جانب أهل الله، ورزقنا حسن التأدب بما يرضي الله، ولقد تأملت ما كتبه على قولنا في مدح الشيخ رضي الله تعالى عنه.

فمقامه كمقام إبراهيم من يلجئه يأمن وهو أفضل مسجد(49)

حيث زعم أن ذلك مني جسارة على الشريعة وتعد لحدود الله، وجزم بذلك الجزم القطعي من غير تردد منه، بأن ما ذكر هو الحق، ولم يقبل من أبوتكم ما كتبتموه، ولا زال مصمما على اعتقاده، فلتعلم أبوتكم أن الذي أعتقده في جانب الفقيه المذكور فيما صدر منه هو مجرد النصح في الله لمحبيه، ولم يقصد إلا خيرا، فالله يجازيه خيرا، غير أن نصيحته خرجت مكسوة بجلالة الفقه،

---

(47) سبق التعريف بالعلامة سيدي عبد الكريم بن العربي بنيس في هذا التأليف ج 1 ص 40.

(48) سبق التعريف بالعلامة سيدي الفاطمي الشرادي في هذا التأليف ج 1 ص 35.

(49) هذا البيت من قصيدة دالية للعلامة الحاج أحمد سكيرج أنشدها في مدح الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله تعالى عنه، معارضا بها دالية الإمام البوصيري التي نظمها في مدح شيخه العارف بالله أبي الحسن الشاذلي وخليفته الشيخ أبي العباس المرسي. ويمكن للقارئ أن ينظر هذه القصيدة بتمامها في كتاب: النفحات الربانية في الأمداح التجانية للعلامة الحاج أحمد سكيرج ص 42 وكذلك في تأليفه المسمى: نور السراج في شرح إضاءة الداج ص 13، ومطلع القصيدة:

سلب الغرام من الفؤاد تجلـ ـ ـدي	فالعين مني كحلت بتسهـ ـ ـد
والقلب في الخفقان من ريح الهوى	والعقل رهن تخيل وتعربـ ـد

يكاد سامعها من أول وهلة أن لا يعدها من نصيحة الأحباب، بما صدرت به من الجرأة والتعدي لحدود الله في أول خطاب، ونحن لم يصدر منا ذلك إلا بحسن اعتقاد، إن أصبنا فيه وهو إن شاء الله صواب، فبها ونعمت، وإن لم نصادف الحق في ذلك، فإننا لم نقصد جسارة ولا تعديا على الشريعة ولا على حدود الله.

ولو كتب لنا الأخ المذكور مستفهما عن اعتقادنا في ذلك، ووزنه بميزان الشرع قبل أن يكتب ما ظهر له ويظهره لبعض المنكرين، الذي بلغنا عنهم في هذا الجانب قدح وحقد وشتم ولعن وغير ذلك، لكان في فسحة عن جر تباعة المسؤولية عليه أو علينا، أما أولا : فإن هذه المسألة من باب حسن الظن فيما يخبر به الشيوخ، وكمال الإعتقاد الذي يؤدي بالمريد إلى النجاح في القصد، لأن هذا خارج عن نصب الموازين التي تظهر لمقيمها أنه فيها على صواب طبق زعمه، وهو فيها على خطأ، ولذلك لا ينبغي للفقيه المحتاط لنفسه أن يتجاسر على جانب أهل الله، بالتعجيل بالاعتراض عليهم بما بلغه عقله، معتمدا على ما لديه من العلم، مع أنه فوق كل ذي علم عليم، وأما ثانيا : فإن هذه المسألة لا شيء فيها، مما توهمه حسبما سيتضح.

وقد اتضح لكم بما حملتم عليه قولنا رفعا للإبهام الذي ذكرتموه بعود الضمير المرفوع من يلجئه على من، والمنصوب على مقام إبراهيم، ومع هذا التأويل لم يقبله، فما ظنك لو قلنا أن الضمير المنصوب راجع لمقام الشيخ، وهو في مقام المدح سائغ، لأن غاية ما هنالك تشبيه مفضول بفاضل، وهو أمر مطروق، هذا مع ذكر أداة التشبيه، فما بالك لو جعلناه من التشبيه البليغ بحذفها، ولا نحتاج إلى أن نبرهن على هذا، لأنه إذا لم يستحضر هذا في المقام فكل ما نستشهد به لا يقبله، ويورد عليه ما أورده على كلامنا، ولاشك أن كل كلام فيه المردود والمقبول إلا كلام الرسول عليه السلام، فلهذا لا نرى بأسا في بحثه معنا، كما أننا نبحث معه من وجوه منوطة بكلامه الذي كتبه مع فهمه لما استدل به، ولقد تعودت منه الإنصاف في المذاكرة، فلهذا نقول أن البيت الذي ذكرناه مع ما بعده هو أهون من قول الغير، من جلة العلماء الذين يحق الإطراق عند سماع ذكرهم، فهذا الإمام البوصيري يقول في داليته التي مدح بها الإمام أبا الحسن الشاذلي(50) وأبا العباس المرسي(51) وهي التي نسخنا على منوالها داليتنا المذكورة قال :

فإذا مررت على مكان ضريحــه ... وشممت ريح الند من ترب نـدي
ونزلت أرضا في العلا مخضـرة ... مخضلة(52) منها بقـاع الـغـرقـد
والوحش آمنة لديه كأنــهـــــــا ... حشرت إلى حرم بأول مسجـد

---

(50) انظر التعريف به في ج 1 ص 359 من هذا التأليف.
(51) الشيخ العارف بربه القطب الشهير سيدي أبو العباس المرسي، جمع الكثير من مناقبه وأقواله وكراماته تلميذه أحمد بن عطاء الله الإسكندري في تأليف سماه (لطائف المنن في مناقب أبي العباس المرسي وشيخه أبي الحسن) وتوفي رحمه الله سنة 686هـ، انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 2 ص 12 رقم الترجمة 310 وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 187 رقم الترجمة 624 وفي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج 7 ص 371 وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 186.
(52) مخضلة : بمعنى مبتلة.

ووجدت تعظيما بقلبك لو سـرى   في جلمد سجد الورى للجلـمـد(53)

فانظر إلى قوله مخضلة منها بقاع الأرض، وهي شاملة لكل أرض، وإلى قوله كأنها حشرت، وإلى قوله سجد الورى للجلمد(54)، فلولا المبالغة في مقام المدح سائغة ما قال هذا السيد هذا الكلام في الشاذلي والمرسي، ولم يتعرض عليه أحد فيما نعلم إلا بعض المعترضين عليه في قوله في البردة : يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك إلخ ... مع أن ذلك أيضا سائغ، ولو كان لهم تمام الإدراك بمقاصد العارفين لعرفوا أنه لمح إن لم نقل ضمن قول الصحابي الجليل سواد بن قارب حيث قال في مدح رسول الله عليه السلام :

فكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة   سواك بمغن عن سواد بن قارب(55)

وهذه الرواية من المنصوص عليها في الإصابة، وهو الصوب إن شاء الله، وروي بدل سواك بمغن فتيلا، وهو المذكور في شواهد النحو، والمدار على الأول بحول الله، وقال البوصيري أيضا في الدالية :

شرفا لمرسية(56) رست بأساسها   بعلا أبي العباس فوق الفرقد
اليوم قام فتى علي بـعـــده   كيما يبلغ مرشد عن مرشـد
فكأن يوشع بعد موسى قـائـــم   بطريقه المثلى قيام مـؤكــد

فانظر إلى تشريف مرسية على غيرها بأبي العباس، وتنزيل قضية الإرشاد التي بين الشاذلي وأبي العباس للناس منزلة نبيين، وليس في هذا إن شاء الله ضرر عليه، فإنه جاء على مقتضى البلاغة وسحر البيان، الذي لا ينكر ولا يوزن بخسارة الميزان، فلو جئت بهذا التشبيه لقال بكفري القائل بجسارتي وتعدي لحدود الله، في تشبيه مقام الشيخ نفعنا الله به بمقام إبراهيم عليه السلام، على أنه ليس هناك ما يمس بجانب المقام الإبراهيمي من انتهاك حرمة أو نقض

---

(53) هذه الأبيات من دالية الإمام البوصيري، وهي مذكورة عن آخرها في الجزء الثاني من رفع النقاب بعد كشف الحجاب، للعلامة سيدي الحاج أحمد سكيرج ص 152، وذكر في نفس الكتاب أن المقدم البركة السيد الأمين محمد بن يحيى بلامينو الرباطي قد حدثه أن العارف بالله سيدي العربي بن السائح رضي الله عنه، ذكر له أن الشيخ رضي الله عنه في مرضه الذي توفي فيه، أمر بإحضار دالية البوصيري، فلم توجد بفاس، فأرسل إليها بعض الخاصة من أصحابه لمكناسة الزيتون، فلما جاءت أمر بقراءتها، فلما أتموا قراءتها لم يتكلم معهم بعد ذلك أصلا، والله أعلم بمراد الشيخ رضي الله عنه. انظر الجزء الثاني من رفع النقاب ص 147.

(54) الجلمد : الصخر

(55) رواه البيهقي في دلائل النبوة وابن عبد البر في الاستيعاب، وسواد بن قارب الأزدي الدوسي صحابي جليل، توفي بالبصرة عام 15هـ، انظر ترجمته في الروض الأنف للسهيلي ج 1 ص 139 وفي عيون الأثر لليعمري ج 1 ص 72، ورقم ترجمته في الإصابة لابن حجر 3576. وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 144.

(56) مرسية مدينة عتيقة ببلاد الأندلس، ولازالت تحمل هذا الاسم إلى الآن، وإليها ينتسب القطب الشهير سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه.

ذمة، اللهم إلا إذا قيل بأن الزاوية محل مستحقر في نظر الشرع كمحل قهوة أو نحوها، فحينئذ ينظر في التشبيه، ويظهر حينئذ من يحصل له هذا التشويه الموصوف بالجرأة والجسارة ونحو ذلك.

ولولا ما أعتقده في حق الفقيه المذكور من سلامة الصدر لقلت أنه مدفوع بيد بعض المبغضين في الجناب الأحمدي، ليمزق بمقراض الشتم عرضي المنجر على ذلك الجناب، فإن مشبه بيت من بيوت الله وهو الزاوية ببيت الأمن الذي هو مقام إبراهيم لا يستحق لذلك الشتم القادح والسب الفادح، على أن الأمن المذكور لا ينبغي أن يحمل في مقام إبراهيم إلا على الأمن الدنيوي عند بعضهم، وأما نحن فنعتقد أمنه دنيا وأخرى في ذلك المقام وفي هذا المقام، وانظر بعينيك أيها الشيخ إلى قول الشيخ حمدون ابن الحاج(57) في قصيدته البديعة التي مدح بها الحضرة السليمانية، وشرحها بشرحه المسمى بالنوافح الغالية، وقد طالعها علماء وقته، وما أدراك من هم، بل منهم الممدوح وهو العلامة المقدس السلطان المولى سليمان(58)، ولم ينكر التشبيه الذي قاله في وصف قصيدته بما عد من أبدع التخيلات، قال في خطابه :

وهذه بلقيس أتـــاك بـعـرشـــهـــــــــا ... الذي عنده علم بأوصافك الزهرا
رأت من علا معناك صرحا ممردا ... فظنته لجة توافي لها المجـــرى
لذا كشفت عن ساق جد زفـيـفــــــة ... إليك سليمان توفي لها المهـــرا

(57) أبو الفيض حمدون بن عبد الرحمان بن الحاج السلمي المرادسي، من أكابر فقهاء وأدباء فاس، توفي رحمه الله سنة 1232هـ وله مؤلفات منها : نفحة المسك الداري لقارئ صحيح البخاري، وقصيدة ميمية في السيرة النبوية في نحو 4000 بيت، وله شرح عليها في خمسة أسفار، وحاشية على تفسير أبي السعود ومتبوعه البيضاوي، وديوانه الذي سماه السليمانيات مع شرحه، ويحتوي على قصائد رائعة جميلة في مدح السلطان العادل مولاي سليمان بن محمد العلوي رحمه الله. انظر ترجمته في النبوغ المغربي للعلامة عبد الله كنون ج 1 ص 296 وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 379 رقم الترجمة 1516 وفي الإستقصا للناصري ج 4 ص 151 وفي سلوة الأنفاس للكتاني ج 3 ص 4 وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 275. وخصصه ابنه العلامة سيدي محمد الطالب بتأليف في ترجمته سماه : نيل السرور والإبتهاج بترجمة الشيخ حمدون بن الحاج، وسماه كذلك : رياض الورد إلى ما انتمى إليه هذا الجوهر الفرد.

(58) السلطان العادل أبو الربيع مولانا سليمان رحمه الله بويع له سنة 1206هـ وكان من خيرة العلماء بإجماع أهل الفضل من المحققين، وله مؤلفات منها : عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد، وحاشية على الموطأ، وحاشية على الزرقاني على المواهب اللدنية، وحاشية على شرح الخرشي على المختصر، وتأليف في التجمير بعود الطيب في رمضان، وتأليف في الغناء، وتأليف في أحكام الجن والتفريق بينها وبين أحكام الإنس، وتوفي رحمه الله بمراكش يوم الخميس 13 ربيع الأول عام 1238هـ، انظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 495 وفي الإستقصا للناصري ج 4 ص 129-172 وفي فهرس الفهارس للكتاني ص 980 رقم الترجمة 557 وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 134 وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 380 رقم الترجمة 1523. وفي الدرر الفاخرة لابن زيدان ص 67 وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 354 رقم الترجمة 787 وفي فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 9.

وقد ساق القضية مساق المبالغة بدون أداة التشبيه، ولو كان هناك ما ينكر لبادروا بإنكار ذلك، ولم يتعرض أحد لهتك حرمة المومن التي يقال فيها : حرمة المومن عند الله أعظم من حرمة الكعبة، فاتضح أن تشبيه مقام الشيخ بمقام إبراهيم لا بأس به، ولم نقل بأنه أفضل من مقام إبراهيم، إلا على التوهم الذي ذكره مما هو أشد في قولنا وهو أفضل مسجد، ولم يقبل ضمير هو الراجع لمقام إبراهيم على وفق ما نعتقد، ولم نقصد ما قصده بعكس الضمائر، والمقام مبين لغيره، غير أنه من جهة الإنصاف كان المحل يحتاج إلى توضيح مرجع الضمير، ولكن المقام ضيق في النظم اعتمادا على فهم السامع والمطالع، على أنه لا بأس للمعتقد أن يرى الأفضلية نسبية، فهو من أفضل المساجد بعد الثلاث، ولم يكن هناك قصد في هضم جانب ما عظم الله، وانظر إلى قول المولى عبد القادر الجيلاني قدس سره، وهو مذكور في كتب مناقبه من جملة أبيات متحدثا بالنعم

قالت الأوليا جميعا بـعـــــــزم   أنت قطب على جميع الأنـام
قلت كفوا ثم اسمعوا نص قولي   إنما القطب خادمي وغلامـي
كل قطب يطوف بالبيت سبعـا   وأنا البيت طائف بخيـامـــي

فحاشى أن يقصد هضم جانب البيت الحرام، مع أن فضل الزاوية لا ينكره إلا غير المعتقد الذي لا كلام لنا معه، على أننا نستدل بالبرهان الآني، وهو من قبل القطع بما يخبر به مثل الشيخ رضي الله عنه، المشهود بفضله وعدالته عند غير المبغضين، ومن كان له أدنى مطالعة لكتب القوم لم يحصل منه هذا الغلط الحاصل للفقيه المذكور حتى كتب ما كتب وهو يعلم ما قيل :

فلا تكتب بكفك غير شيء   يسرك في القيامة أن تراه

على أنه لو وقف مع فقهه بقطع النظر عن قول الصوفية لتعين عليه حسن الظن، وبحسن الظن نقطع بولاية الشيخ وبصدقه لما يخبر به، لما ثبت لدينا من أمارات صدقه وولايته، ولا نحتاج إلى الإستدلال على هذا للمطلع المتضلع، ولكن لا بأس أن ننقل هنا ما ذكره محب أهل الله، العارف به سيدي محمد بن جعفر الكتاني(59) قال في كتابه الأزهار العاطرة الأنفاس ما نصه : تنبيه: إذا كانت ولايته يعني المولى إدريس(60) رضي الله عنه قطعية، وكانت مجمعا عليها من أهل الظاهر والباطن، كان رضي الله عنه من المقطوع لهم بالجنة، كالجيلاني ونحوه، وعليه :

---

(59) سبق التعريف به في ج 1 ص 27 من هذا التأليف.

(60) مولانا إدريس بن إدريس الحسني، باني مدينة فاس، ولد بجبل زرهون عام 177هـ وبويع له بالحكم عام 188هـ وعمره وقتذاك لا يتعدى 11 سنة، فاتسعت فتوحاته المظفرة، واستطاع في وقت وجيز أن يؤسس أول دولة مغربية إسلامية تمتد شرقا إلى حدود تونس، وله رضي الله عنه دور طلائعي في انتشار الإسلام بالمغرب، وكانت وفاته عام 213هـ انظر ترجمته في الإستقصا للناصري ج 1 ص 70-75 وفي جذوة الإقتباس لابن القاضي ص 24-41 وفي الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس لمحمد بن جعفر الكتاني، وهو كتاب خاص بترجمته، وفي سلوة الأنفاس لنفس المؤلف ج 2 ص 69-83. وفي إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 2 ص 17.

فإذا حلف شخص بالطلاق أو غيره أنه من الأولياء أو أنه من أهل الجنة فلا حنث عليه، كما يفيده ما ذكره شراح المختصر عند قوله في الطلاق (أو فلان من أهل الجنة)(61) من أن من قال عليه بالطلاق أن فلانا من أهل الجنة أو النار ينجز عليه الحنث، إلا أن يكون من المقطوع لهم بالنار كأبي لهب، أو بالجنة كالعشرة، ونحوهم من كل من أخبر عنه عليه السلام بطريق صحيح أنه من أهل الجنة كعبد الله ابن سلام(62) فلا حنث عليه، ومثل ذلك من شهد الإجماع بحسن الثناء عليه كعمر بن عبد العزيز على ما أفتى به ابن القاسم ورجحه ابن رشد.

قال العارف الفاسي : وقس على عمر بن عبد العزيز سائر صالحي الأمة كالجيلاني والشاذلي والسبتي(63) والغزالي والجزولي وابن مشيش(64) وأبي يعزى(65) ومن لا يحصى كثرة، فإن شهود النفع بهم يحل القطع بخصوصيتهم، وقربهم من ربهم، وسريان مادتهم ونورهم، فتيقن هذا عند ذوي الأذواق والبصائر، ومن له أدنى مسكة من حياة حقيقية وشم وإدراك روحاني، وكذا عند سائر مشايخ كل زمان، وإنما ينتفع بالقطع بخصوصيتهم، وأما من كان على

---

(61) مختصر خليل بن إسحاق المالكي باب الطلاق ص 142.

(62) أبو يوسف عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، صحابي جليل، أسلم عند قدوم النبي (ﷺ) المدينة المنورة، وكان اسمه (الحصين) فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله، وفيه نزلت الآية : وشهد شاهد من بني إسرائيل، وكذلك قوله تعالى : ومن عنده علم الكتاب، توفي رحمه الله بالمدينة عام 43هـ، انظر ترجمته في الإصابة لابن حجر رقم الترجمة 4725.

(63) أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجي السبتي، من أكابر أولياء المغرب في وقته، وهو أحد الرجال السبعة بمراكش، ولد بسبتة عام 524هـ، وتوفي بمراكش في 3 جمادى الثانية سنة 601هـ، انظر ترجمته في الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، لابن إبراهيم المراكشي ج 1 ص 234-325، وفي مقدمة الإرتجال في مشاهير سبعة رجال، لنفس المؤلف، وفي ذيل التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات ص 451، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 184 رقم الترجمة 608، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 107. وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 3 ص 56.

(64) القطب الكبير، والعلم الشهير، مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه، من نسل سيدي محمد بن إدريس بن إدريس الحسني الأكبر فاتح بلاد المغرب، توفي رحمه الله شهيدا سنة 625 هـ قتله بجبل العلم قوم بعثهم لقتله ابن الطواجين الكتامي الساحر المتنبي، ودفن بقنة الجبل المذكور. انظر ترجمته في النبوغ المغربي في الأدب العربي للعلامة عبد الله كنون ج 1 ص 152، وفي جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج 2 ص 69 وفي الطبقات الشاذلية للكوهن الفاسي ص 58 وفي مرآة المحاسن لمحمد العربي الفاسي. ص 187 وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 9 وفي معجم المطبوعات لسركيس 1553.

(65) أبو يعزى يلنور بن ميمون بن عبد الله الدكالي الهزميري من خاصة أولياء الله الصالحين، ولد سنة 438 وتوفي سنة 572هـ، عاش عمر يفوق 130 سنة، وفد على فاس فسكنها مدة بحومة البليدة، ثم خرج إلى بلاد مغراوة واستقر بها بقرية تاغيا، وبها توفي رحمه الله، انظر ترجمته في سلوة الأنفاس للكتاني ج 1 ص 172، وانظرها في الطبقات الكبرى للشعراني ج 1 ص 136 رقم الترجمة 257، وفي الأعلام للزركلي ج 8 ص 208، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 163 رقم الترجمة 503، وفي جذوة الاقتباس لابن القاضي ص 563 رقم الترجمة 657، وفي التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات ص 213 رقم الترجمة 77، وفي مرآة المحاسن لمحمد العربي الفاسي ص 199، وخصصه العلامة أحمد بن أبي القاسم الهزروي الصومعي بتأليف سماه : المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى.

ظن وشك فيهم فإنه لا ينتفع بهم، لأن مبنى النفع على التصديق، وهو الأصل في الطريق، من حرم الأصل حرم الفرع، ولذا قيل : إنما حرموا الوصول، لتضيييعهم الوصول.

وفي قواعد الشيخ زروق : قد تفيد الدلائل من الظن ما يتنزل منزلة القطع وإن كان لا يجري على حكمه في جميع الوجوه، كالقطع بإيمان مسلم ظهرت منه أعمال الإسلام، وكولاية صالح دلت على مقامه أفعاله وأقواله وشواهد أحواله : كل ذلك في علمنا من غير جزم بعلم الله فيه، إلا في حق من جاءنا عن الله بخصوصية له كالعشرة المشهود لهم بالجنة، إهـ ... انظر تمام كلامه، وهذا أبو محمد سيدي عبد القادر الفاسي(66) رضي الله عنه في جواب له في نوازله قال : وفي معنى هذا الإمام رضي الله عنه ووالده مولانا إدريس الأكبر، ولعل عدم تمثيلهم بهما لوضوح أمرهما وشهرة حالهما إلخ ... كلام ابن جعفر المذكور، ومثل ذلك يقال هنا بهذه المسألة وإن كانت فقهية، فأنت تراها جارية على ما نقول في حسن الظن بسيدنا رضي الله عنه، فقد بلغنا عنه من طريق لا نشك فيها أنه قال : زاويتنا أمرها قائم بالله. وقال : لو علم الأقطاب ما في زاويتنا لضربوا عليها الخيام كما في البغية(67)، والصلاة فيها مقبولة طبعا، وهذا القطع هو من الباب الذي ذكرناه، ولا علينا في من لم يعتقد كاعتقادنا، فإن الإنسان حر الفكر، والمدار على أن يكون على بينة من ربه، ومن هنا يعلم سر الاستفهام الوارد في الحديث من قوله عليه السلام للصحابية الشاهدة بإكرام الله للصحابي الذي ذكره، فإنها قالت فمن يكرمه الله، ولو قالت : إنه قام بأمور دينه على الوجه الذي أتيت به، وصدق رسالتك وأدى ما فرض عليه، وقد قلت في غيره : أفلح إن صدق، فكيف لا يفلح هذا، ونحو هذا الكلام ما أجابها بقوله عليه السلام : والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي، وفي رواية لما في البخاري ما يفعل به(68) فحاشا رسول الله أن لا يكون عالما بما يفعل به وهو على بينة من ربه، وإنما السر في ذلك الزجر لها هو عدم الإعتماد على ظواهر الأمر من غير دليل.

وقد استدل بهذا الحديث الحزب المانعون لفضل الله بإكرام رسوله عليه السلام بالإطلاع على علم الأولين والآخرين، وقد ورد أنه عرض عليه في الجدار فرأى ما كان وما يكون،

---

(66) أبو محمد عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي عالم فاس وإمامها. ومسندها وبركتها، توفي رحمه الله بعد زوال يوم الأربعاء 8 رمضان عام 1091هـ ودفن من الغد بالزاوية المنسوبة إليه الآن بحومة القلقليين من عدوة فاس القرويين، في موضع تدريسه للعلم بها، وخصصه ابنه أبو زيد سيدي عبد الرحمان بتأليف سماه : تحفة الأكابر بمناقب الشيخ عبد القادر، انظر ترجمته في فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 763 رقم الترجمة 418، وفي الفكر السامي للحجوي ص 334 رقم الترجمة 748، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 314 رقم الترجمة 1226، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 41. وفي معجم المطبوعات لإليان سركيس 1430. وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 1 ص 309.

(67) انظر بغية المستفيد شرح منية المريد لأبي المواهب السائحي ص 237. وفي كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 21.

(68) انظر صحيح البخاري كتاب الشهادات رقم الحديث 2687، وانظرها بشرح فتح الباري للحافظ بن حجر ج 5 ص 367.

ونجيب بأن ذلك الحديث لعله كان قبل إعلام الله له، وهذه المسألة مفروغ منها بما بسطه كل من انتصر لكل فريق، كتاجموعتي(69) مع اليوسي(70) ومن قبلهما ومن بعدهما، ومن تحقق بأن علم النبي (ﷺ) بإعلام الله له، ولم تفته حتى رؤية الحق تعالى قبل خروجه من الدنيا ليتم له (ﷺ) العلم الكامل، ومع ذلك فهو علم حادث، ولا تستبعد إحاطته (ﷺ) بالعلم الحادث، أما العلم القديم فلا يمكن ولا يتصور الإحاطة به ولا يقوله أحد، وبما أجبنا به أولا يجاب عما بعد البيت المذكور من قصيدتنا، غير أنه وقع تصحيف في خط ناسخ قولنا : إن الصلاة مقبولة منه، وصوابه فيه بالفاء والياء، أعني الصلاة مقبولة في المقام الشريف الذي هو ضريح بل زاوية سيدنا رضي الله عنه، ولاشك في ذلك عندنا بحول الله، ولقد راجعنا البغية لدى قول المنية :

وما بزاويته يصلى قطعا يكون للقبول أهلا(71)

فوجدنا مؤلفها رضي الله عنه أتى بما فيه كفاية للمعتقد، ثم إنه لا يضرك سيدي أن تعتقد فينا والحمد لله أننا على بصيرة من أمر ديننا بما علمنا الله، ولله الحمد شريعة وحقيقة وطريقة، لهذا أرجو أن لا يؤثر فيكم ما كتبه العلامة المذكور قاصدا بذلك نصيحتنا، وإن أخطأ فيها بعدم تثبته في هذه المسألة، أو لغلبة الفقه عليه.

ولازلت أقضي العجب من كونه خاض مع أهل التصوف، وشرب من مشرب شيخنا بركة الوقت سيدي أحمد بن الخياط(72) رضي الله عنه، ومع ذلك لازال يغلب عليه التعصب الفقهي، وأتمنى

(69) عبد الملك بن محمد التجموعتي، قاضي سجلماسة توفي عام 1118هـ، من مصنفاته : كتاب في العلم النبوي سماه : ملك الخطاب في جواب أستاذ حلب، رد فيه على سؤال في هذا الموضوع وجهه إليه العلامة أبو العباس أحمد بن عبد الحي الحلبي، دفين فاس، ومن تصانيفه أيضا : خلع الأثمار البوسية بدفع الأثمار اليوسية، في نحو ثلاث كراريس، رد به على العلامة الشهير سيدي الحسن اليوسي، وذلك في شأن الموضوع المتعلق بسعة علم النبي (ﷺ)، وكان العلامة سيدي الحسن اليوسي يقول بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أحاط بالعلم الحادث، ويستدل على ذلك بنصوص صحيحة، بينما كان معاصره العلامة التجموعتي يخالفه في الرأي، وللفقيه سيدي عبد الملك التجموعتي شرح نفيس على رائية العارف بالله سيدي محمد بن ناصر الدرعي في قواعد الدين، انظر ترجمته في فهرس الفهارس للعلامة عبد الحي الكتاني ص 255 رقم الترجمة 97، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 164.

(70) العارف بربه العلامة سيدي الحسن بن مسعود اليوسي، نسبة إلى آيت يوسي، قبيلة في عداد بربر ملوية، من أكابر علماء المغرب في عصره، فقيه، محدث، لغوي، أديب، مشارك، صوفي فاضل، قال في حقه صاحب الرحلة العياشية :

من فاته الحسن البصري يدركه فليصحب الحسن اليوسي يكفيه

له مؤلفات نفيسة منها : المحاضرات، وقانون أحكام العلم، وزهر الأكم في الأمثال والحكم، ومنح الملك الوهاب فيما استشكله بعض الأصحاب من السنة والكتاب، والكوكب الساطع في شرح جمع الجوامع، والقصيدة الدالية وشرحها وقد سماه : نيل الأماني من شرح التهاني. وغيرهم. وكانت وفاته رحمه الله عام 1102هـ ودفن في بلدته تمزيزت بمدغرة. انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 328 رقم الترجمة 1284 وفي النبوغ المغربي لعبد الله كنون ج 1 ص 285 وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 1154 رقم الترجمة 658 وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 223 وفي الإستقصا للناصري ج 4 ص 51 وفي معجم المطبوعات لإليان سركيس 1959. وفي الفكر السامي للحجوي ص 337 رقم الترجمة 754.

(71) انظر بغية المستفيد شرح منية المريد للعلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح ص 235.

(72) سبق التعريف به في ج 1 ص 31 من هذا التأليف.

له أن لو سلك مسلك المربين في هذه الطريقة، فاجتمع بواحد منهم فألقى له السلب، لينال فيها فوق ما طلب، سائلا من الله للجميع الثبات والوفاء بالعهد، مسلما عليه وعلى جميع الإخوة الأنجال، والإخوان وأهل مجلسك، وبالأخص سيادة المقدم، وكل من هو منكم وإليكم، راجيا الدعاء الصالح.

وقد كتبت هذه الأحرف من غير تأنق في الخطاب، ولو كان كتب لنا الفقيه المذكور في هذا الموضوع لأجبناه بتويلف بالخصوص، ولكن نكتفي بما أشرنا إليه من غير تطويل، وها نحن في انتظار ما قيد تم في المسألة، ولا بأس أن تتحفونا به وترجعوا لنا معه هذه السطور لنثبتها في المحل المناسب، كما أننا ننتظر الوفاء بالعهد بزيارة هذه الناحية مرة ثانية، وها نحن رجعنا لكم نصف الملزمة التي كتب عليها الفقيه المذكور، بعد سلامنا عليه بأتم السلام، وقد كتبت للأخ بأن يمكنك بما تريد من المطبوع، ولكم الفضل في القبول، وإن ظهر لكم بعض التنبيهات فأطلعونا عليها لنكون على بصيرة بما ليس لنا به علم، ولازلنا ولن نزال وسنزال متمسكين بحبل الطريق بحول الله، قائمين على ساق الجد فيها بما نرجو من الله فيه القبول.

ونحن كلاب الدار طبعا فلم نزل   نوالي مواليها ونحرس بابها

ثبت الله القدم، ولا أوقعنا فيما يحصل لنا فيه ندم، وعليكم بمجاملة الفقيه المذكور، والأخذ بخاطره حتى لا يقطع الدخول للزاوية بالمرة، لأنه من الإخوة في الله، والله يأخذ بيد الجميع آمين، وكتبه عن عجل وشغل بال، محل ولدكم المحسوب عليكم، عبد ربه أحمد سكيرج أمنه الله.

LjllÐƨ üƬFʒǓɛ f yǴll hullFƨƥ DžY LjdžY Ŷɛ ǏƬƥ LjdžDŽ ƒɛNjɰ ƫ dž ɛPƋ hƬFƠ ÛbFيllNjǓɛ DžDž Ǐ llNjll bǏ ʅ ɣbɛƥƽ ƒɛNjƙ bɛɔljƋ DžY FNJيʒ (73)Ý ɣƥɰɕ ƿllP üǴFقDž ǍƬFيتق ǎدNJDŽllɛ DžFl

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله، بعد أداء ما يستحقه مقامكم المنيف من الإجلال، والإعظام المطلوب من مثلي في مخاطبة ساداته ذوي الكمال، أنهي إلى شريف علمك أنه وصلني شريف كتابك مبشرا بسلامة الأحوال، ومجددا لعهد الإخاء الذي أبرمته يد القدرة الإلهية بيننا في حالتي القرب والترحال، ونشكر المولى على معرفة أمثالكم أهل المودة الصادقة، والمحبة الفائقة، سائلا منه جل وعلا اسمه أن تكون خالصة لوجهه آمين.

وقد صرت على بال من جميع فصوله، غير أنك نظرت إلى صفاتك الحميدة المرتسمة في مرآة العبد الضعيف، فتخيلت أنها من أوصافي، فطوقتني(74) بعقود الثناء والمدح، التي أنت

---

(73) نƽƩ هذا السƋال وضع علǏ فضيلة العلامة الحاج أحمد سكيرج في كتابه اليواقيƘ الأحمدية العرفانية f 3 فانƲرƺ للمقارنة فƺنه أجاب بالجواب نƽسه.

(74) Ʊوقتني : بمعنǏ أحƱتني

أولى بها مني بلا مزح، وأنتم سادتنا أهل الله قد وفقكم الله لطلب العلم الشريف، ونشأتم في حجر العفاف، وغذيتم بلبان الصفا حتى وفقكم الله الذي خلق فهدى، للتمسك بالعروة الوثقى، بالدخول في هذه الطريقة المباركة التي أبرزتها المقادير الإلهية على يد الختم المكتوم فضلا منه ومنة، والتصديق بما انطوت عليه أسرارها من أعظم النعم على العبد الذي وفقه الله مولاه، لذلك فلم يكن محروما من بركتها في هذه الأزمنة، فهنيئا لك أخي بالإنخراط في سلك أهلها، فشد على حبلها المتين، أشد من شد كف الضنين(75) على الدر(76) الثمين، طالبا من المولى أن لا يطردنا منها بمحض فضله، إنه القادر على ذلك، ثم ما ذكرته لنا من طلب الجواب عن السؤال المقرر في ذلك الكتاب، فإنه مختص بما يرجع لطريق شيخنا المحمدي، ليتمسك به المريد المقتدي، وذلك في المريد الذي رتب بأجرة منفردا أو مع جماعة في إهداء ثواب قراءة شيء لولي من الأولياء، وماذا يفعل وماذا ينوي في ذلك إن جائزا ؟

وجواب هذا السؤال أن الممنوع في هذه الطريقة المحمدية هو زيارة التعلق والإستمداد لما فيها من الإلتفات عن الشيخ الموجب للقطيعة، بل هو عين القطيعة، ولا يخفى عنك أن الزيارة هي قصد الزائر المزور لأمر ما، والقصد إما بالقلب والقالب، بمعنى أن يقصد الزائر المزور بأن يذهب إليه بنفسه وذاته، وهذا يقطع المريد عن الشيخ الذي تقلد بقلادة عهده في التربية بالهمة وغيرها، ما لم يكن المريد متقلدا بها على وجه التبرك، فلا ينقطع لأنه ليس بمريد تربية، وإنما هو مريد تبرك، ومريدو التبرك لا يأتي منهم واحد كامل في طريقة أهل الله، كما نص عليه الإمام ابن عربي في فتوحاته المكية، وفي الشريشية.

ومن لم يكن سلب الإرادة وصفه   فلا يطمعن في شم رائحة الفقر

ولاشك أن القصد بهذا المعنى ممنوع عندنا في طريقتنا التجانية، وإما أن يكون القصد بالقلب من غير استعمال الجوارح في هذه الزيارة القلبية، بأن يحصل في قلب المريد خاطر بالتعلق بشخص من أولياء الله، وتميل نفسه إلى الإستمداد منه لما له من عظيم الحرمة عند الله، فيلتفت عن شيخه بقلبه لغيره، فينقطع بذلك إن كان مريد تربية، وهذا أيضا ممنوع في هذه الطريقة المحمدية.

وقد كان بعض خاصة الشيخ رضي الله عنه يطالع بعض كتب الإمام الشعراني رضي الله عنه، فحصل في قلبه ما حصل، فبينما هو في سنة غفلته عن الشيخ رضي الله عنه إذ أحس بيد وضعت على كتفه وقائل يقول له : أشعراني أنت يا فلان، فالتفت فوجد الشيخ رضي الله عنه، فصار يتملق بين يديه، وتاب إلى الله من الإلتفات القلبي الذي وقع له، فلم يعد بعد ذلك لمثله لعناية

---

(75) الضنين : البخيل
(76) الدر : م5رد درر وهي الŭlƐ العUام

الله به(77)، وإما أن يكون القصد بالقالب أي الذات والجسم، بأن يقصد المريد وليا من أولياء الله الأحياء أو الأموات بجسمه ليراه أو يرى مقامه، مع التعظيم المطلوب من المريد في محبة الأولياء قدس سرهم، ولم يلتفت قلبه عن شيخه الذي تمسك بحبل طريقته، فهذه الزيارة بهذا القصد لها أنواع، وهي تختلف باختلاف المريدين، ويعتبر منعها في حق العامة، ونحن من جملتهم.

وقد قال الإمام ابن عربي قدس سره : ما سامح شيخ مريده باجتماعه بغيره قط، نعم الإنسان بصيرة على نفسه إن كان يتيقن أنه لا يحصل له أدنى التفات عن الشيخ فإنه يباح له ذلك، مع وجود شروط إباحة الزيارة التي منها تعظيم المزور، وإلا فضرر هذا القصد متمكن في الغرر، وفاعله على خطر، وعلى فقد الشروط في الإباحة في هذا القصد، فلا ينقطع عن الشيخ به لأن المدار على القلب، ولم يحصل ممن فعل هذا تعلق ولا استمداد، الممنوع كل منهما، والمراد بالتعلق الممنوع جعل المتعلق به من الأولياء واسطة بينه وبين الله في قضاء مطلب من المطالب، منه أن يدعو الله له، ولو بأن يدعو له أن يكون محبوبا عند شيخه، أو أن يدعو المتعلق بجاه الولي المزور، كل هذا ممنوع في طريقتنا المحمدية، وأما التعلق بالولي الحي بأن يجعله واسطة عند السلطان، أو عند تقديمه شفاعة في قضاء مطلب دنيوي عند أحد من الناس، كما يستعمل في العارات، فهذا غير ممنوع لمن حقق المقصود من ذلك، والمراد بالاستمداد الممنوع اقتباس النور الباطني بالباطن، وهو التفات القلب عن الشيخ لسر ذلك الولي ليمده بسره، بمعنى أن يطلب بلسان قلبه حضرة ذلك الولي أن ترفع عنه الحجب الظلمانية حتى ينال الفتوحات الربانية، سواء قصده بالقلب والقالب في ذلك أو بالقلب فقط، لأن هذا الإلتفات يقطع المريد بلا شك عن نيل المراد من الشيخ، وفي الشريشية(78) :

فإن رقيب الإلتفات لغيره يقول لمحبوب السراية لا تسري

وأما التعلق بولي حي في تعليم مسألة علمية، والإستمداد منه في التوصل لفهم العلوم الظاهرة والباطنة أيضا من علوم القوم، فليس بممنوع قطعا، ويحتاج الطالب المطالع لهذه الحريفات الموجزة إلى مزيد التثبت في الوقوف على تحقيق المقصود من هذا التحصيل، حتى لا

---

(77) انظر بغية المستفيد شرح منية المريد للعلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح رضي الله عنه ص 245 وانظر كشف الحجاب للعلامة سيدي الحاج أحمد سكيرج رحمه الله ص 225، والشيخ الذي وقعت له هذه الواقعة العجيبة هو المقدم الفاضل الذاكر الناسك سيدي الحاج عبد الرحمان برادة. وكان بمكانة مرموقة عند الشيخ رضي الله تعالى عنه، حتى إنه لا يخاطبه إلا بلفظ السيادة.

(78) نسبة لأحمد بن محمد بن أحمد بن خلف القرشي الصديقي السلوي الشريشي صوفي جليل، من مواليد مدينة سلا عام 581هـ، وتوفي بمصر عام 641هـ، وتسمى قصيدته المذكورة : أنوار السرائر وسرائر الأنوار، وللعلامة سيدي أحمد بن يوسف الفاسي شرح عليها، انظر ترجمته في الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام لابن إبراهيم المراكشي ج 1 ص 351، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 219.

يفهم منه ما لم أقصده، فيقول بأني مبيح للزيارة في طريقة سيدنا رضي الله عنه، وقد أمره النبي (ﷺ) بمنع أصحابه منها.

وبتفهم ما حررناه هنا على سبيل الاختصار يتضح أن المدار الذي تدور عليه الزيارة الممنوعة في الطريقة التجانية هو التعلق والإستمداد بالقلب وحده، أو بالقلب واستعمال الجوارح المعبر عنه هنا بالقالب، أما إهداء الثواب للأولياء فينظر فيه للقلب أيضا، فإن كان ذلك كما ذكرتم في السؤال من أن ذلك إنما هو لتحصيل الأجرة سواء اضطر إليها أولا، فإنه لا ينقطع بفعله المريد الذي وقع منه ذلك، نعم إن كان ذلك بلا أجرة فهو تعرض لنوال الولي الذي أهدي إليه الثواب، ولو بالدعاء له من باب.

إذا أثنى عليك المرء يوما كفاك من تعرضه الثناء

وقد حدثني سيدي ومولاي العارف بالله سيدي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه أن الفقيه العلامة المقدم الأجل أبا العباس سيدي أحمد كلا بناني(79) لما كان بالحرم الشريف بقصد الحج اجتنب الدخول لمقامات سادتنا الأكابر من الأولياء في رحلته، فلم يدخل لضريح الإمام مالك ولا لضريح الإمام الشافعي، ولا لضريح غيرهما من ساداتنا الأولياء، وقد دخل مرة لمقام أحد الأكابر ظانا أنه ضريح أحد الصحابة الكرام، وصلى فيه ركعتين، وأهدى له ثواب شيء من الأذكار، ثم إنه بعد أن خرج من ذلك الضريح أخبر أن ذلك المقام لبعض الأولياء، وليس بضريح للصحابي الذي توهمه، فرجع إلى ذلك الضريح وقال : يا ولي الله إنني تجاني الطريقة، وكنت ظننت أنك صحابي فلذلك زرتك، والآن تحقق عندي أنك لست بصحابي، فأستقيلك زيارتي، وها أنا ذا رجعت فيها، ومالي بزيارتك ولا بما عندك غرض ولا طلب، بل يكفيني شيخي(80)، كل ذلك فعله بسكينة ووقار وإعطاء ذلك المقام حقه من الإجلال والإعظام، فانظر حفظك الله إلى رسوخ القوم في الطريقة، كي لا تزل في مورط الزلق عند ذوي الحقيقة، فوقف رضي الله عنه عندما حد له من عدم الإلتفات، ورجع عما صدر منه من غير قصد ولا افتيات، وهكذا شأن المريد الصادق فإنه لا يتزلزل قدمه عند تزلزل الأقدام، ولو اجتمع بألف شيخ كامل في كل مقام، لاسيما من كان

---

(79) العالم العلامة الفقيه المتضلع المشارك في العلوم والفنون، المقدم الفاضل سيدي أحمد بن أحمد بناني كلا، ولد رحمه الله بفاس عام 1223هـ والذي سماه بأحمد هو سيدنا الشيخ رضي الله عنه، درس بفاس عن جماعة من أكابر علمائها، كسيدي الوليد العراقي، وسيدي عبد السلام بوغالب، وهو عمدته وسنده فيه، وكان رحمه الله إماما راتبا بالزاوية التجانية الكبرى بفاس، وورده من صلاة الفاتح لما أغلق بين النهار والليل عشرة آلاف كاملة، وكانت وفاته رحمه الله قرب شروق يوم الجمعة 8 جمادى الأولى عام 1306هـ وصلي عليه بجامع القرويين بعد صلاة الجمعة، ودفن بقباب باب الفتوح، انظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 193 وفي رفع النقاب لنفس المؤلف ج 1 ص 106، وانظرها في فتح الملك العلام للعلامة الحجوجي، بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 64 وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 430 رقم الترجمة 1695. وفي الفكر السامي للحجوجي ج 2 ص 363، وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 3 ص 27.

(80) نفس هذه الواقعة ذكرها العلامة سكيرج في كتابه رفع النقاب ج 1 ص 107.

مثل العارف بالله سيدي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه، ومع ذلك فقد سمعت ما صدر منه في استعمال الجد وفاء بعهد الشيخ رضي الله عنه. وقد كان كثيرا ما يحدثني عن نفسه في رسوخه في هذا المقام، بأن العارف بالله سيدي محمد أكنسوس(81) أحد خلفاء الشيخ رضي الله عنه كان يقول له يا فلان ويسميه : إني لا أخاف عليك ولو اجتمعت بقطب الوقت لوقوفك مع الطريق على ساق الجد، وكفى بذلك شهادة له من ذلك الخليفة الأعظم رضي الله عنه، ويدلك على صدق تلك النظرة التي نظرها فيه رضي الله عنه أنه دعته الضرورة لكتاب الجواهر الخمس، فأخبر بأنه عند علامة وقته قاضي الجماعة الفاسية، وشيخ شيوخنا ذوي المناقب الفاشية، الشريف العلوي مولاي محمد(82)، القاضي المشهور فضله عن التنويه به، فذهب إليه قبل أن يتعرف إليه بقصد طلبه من عنده، فبمجرد ما اجتمع به قبل أن يتفاوض معه في شأن الكتاب المذكور، قام مولاي محمد القاضي وأخذ الكتاب بيده وأتى به إليه، ودفعه إليه، وقال له : هل تعرف هذا ؟ ففتحه فوجده الكتاب المقصود، فقال له : يا سيدي هذه بغيتي المطلوبة منك، ثم أخذه وذهب به وقضى منه وطره، وصار يتردد إليه مرارا حتى وقعت يوما بينهما المفاوضة في بعض الأسرار العالية، فصار الشريف القاضي، وكان من الكمال رضي الله عنه، يلين جانبه ويستتر بإرخاء جلباب الخمول عليه، حتى لا يشعر العارف بالله مولاي أحمد العبدلاوي بأنه من الأولياء، فلم يمكن الحال للعارف بالله مولاي أحمد العبدلاوي حتى قال له : والله العظيم يا مولاي محمد إني لا أشك في ولايتك، وإني تجاني الطريق، وأنت على حالك وأنا على حالي، فقال مخاطبا له وهو يبتسم

---

(81) العلامة العارف بربه أبو عبد الله سيدي محمد أكنسوس رضي الله عنه، ولد بسوس سنة 1211هـ، وهو أحد أعلام الحياة الثقافية والسياسية بالمغرب الأقصى خلال القرن الثالث عشر الهجري. وهو وزير ومؤرخ وفقيه ومحدث وشاعر وناثر، وله رحمه الله تآليف كثيرة منها كتابه : الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، ومنها الجواب المسكت الذي رد فيه على الشيخ أحمد البكاي، وغيرها. وقد أدرك الشيخ رحمه الله الشيخ التجاني رضي الله عنه عند ذهابه للدراسة بفاس عام 1229هـ وكان عمره وقتذاك 18 سنة، لكنه لم يأخذ عنه الطريقة في ذلك الإبان نظرا لانشغاله بتحصيل العلوم الرسمية، وأخذها سنة 1238هـ عن العارف بربه سيدي محمد الغالي أبي طالب، ثم أجازه فيها جماعة من أكابر الأفاضل بفاس وغيرها، وتوفي رحمه الله في متم شهر محرم الحرام عام 1294هـ. انظر كتابنا : ترجمة معلمة معالم سوس أبي عبد الله سيدي محمد أكنسوس. وفي كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 328 وفي الإستقصا للناصري ج 1 ص 161 وفي النبوغ المغربي لعبد الله كنون ج 1 ص 317 وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 404 رقم الترجمة 1623، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 19. وفي فتح الملك العلام للعلامة الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 43، وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلوي الشنجيطي رقم الترجمة 25، وفي الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام لابن إبراهيم المراكشي ج 7 ص 8، وفي فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان لمحمد غريط ص 8-40، وفي رجالات العلم العربي في سوس للمختار السوسي ص 207، وخصصه العلامة الحجوجي بتأليف مستقل سماه : بهجة النفوس في ذكر بعض مناقب سيدي محمد أكنسوس.

(82) قاضي الجماعة بفاس أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمان الفيلالي المدغري، كان آية في الحفظ والإتقان والتحرير العجيب، توفي عام 1299هـ، انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 406 رقم الترجمة 1629. وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 359 رقم الترجمة 800.

بماذا تحققت ذلك، فقال له : إني نسيت الكتاب الذي جئت لأطلبه منك وأعطيته لي من غير سؤال، فقال له إنما ذلك وقع من تصريف همتك في، فقال له : لا والله لا أشك في ذلك وأنت على حالك وأنا على حالي، فقال له الشريف المذكور رضي الله عنه : الآن أعلمك بالصدق، إنني ليس لدي شك في كل من دخل لزاوية العارف بالله مولانا أحمد التجاني رضي الله عنه أنه من الأولياء، وإني لست بتجاني الطريقة، والسر الذي عندي ورثته من جدي عند وفاته، ومع ذلك فالسر الذي أشاهده لا يأتي إلا على يد مولانا أحمد رضي الله عنه إهـ..

فأنت تعلم مما ذكرنا ما وصل إليه الكمال من رسوخ القدم، مع تحقق العارف المذكور بما شهد له به الخليفة المذكور، وتزداد به نورا على نور التصديق، الذي أتى بك للسلوك على هذه الطريق، والله أسأل أن يجعلنا من خاصة خاصته، وفي هذا كفاية في جواب هذا السؤال، وبه يفهم المقصود منه والعلم لله الكبير المتعال.

Ljيقة2‡ll Ŷε LjDŽΘþ ŧþيlƨ دDŽΘƈ ŧFΘllε Ljيقة2llε DŽDŽ ƕllFƨþ
ǏďيǙDŽƨلةllε دyƨ ǏƨllƐ DŽǴ دDŽΘDŽ ǎدية

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

إلى حضرة الأخ السيد محمد بن السي سعيد القسمطيني

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد فقد كان وصلني كتابك وأجبتك عنه بكتاب، لكنه رجع إلي ولم يصلك، ووصلني منك كتاب آخر، فوجهت لك الجواب على يد المحب التاجر سيدي الطاهر بن أحمد الساكن بالمشرية مع بعض كتبي، وتأسفت على عدم وصول كتابي الأول إليك حتى ظننت أني لم أجبك من أجل ما ذكرته، مع أني أجيب كل من كاتبني من الأحباب والإخوان ولو طال الزمان، خصوصا من كان مثلكم من أهل الفضل، فإن حبكم متمكن منا منذ زمان، خصوصا من أجل محبتكم في سيدنا رضي الله عنه. وقد كان يثني عليكم شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه، وابنه أخونا سيدي محمد يحبكم محبة خاصة، وأنا أحبكم من سائر الوجوه، فلا تظن بنا سوء فيما طلبته منا من الكتب، فنحبك أن توجه لنا تجريدا بالكتب التي عندك من مؤلفاتي، لأوجه لك ما تحت يدي مما لم يكن عندك مما تم منها، وقد استفهمتنا عن أسئلة لنجيبك عنها، فها أنا أجيبك عنها بعد بيان كل سؤال على حدته ليكون الجواب عقبه.

السؤال الأول : عن هيللة يوم الجمعة اللازمة للطريقة، فهل يشترط في حق ذاكرها أن يكون المحل الذي يذكرها فيه يسع ستة رجال، لأجل حضور المصطفى (ﷺ) والخلفاء الأربعة والأستاذ الأعظم مع الذاكر لها مثل جوهرة الكمال، أو لا يشترط ؟ وهل للمسافر تلاوتها ماشيا راكبا، أو راجلا بلا سبب خوف ؟

الجواب أنه لا يشترط ذلك كما اشترط في الوظيفة، لأن اشترط طهارة المحل في ذكر يوم الجمعة إنما هو على وجه الكمال، بخلاف الوظيفة فإنها لا تذكر إلا في المحل الطاهر، ولا تصح إلا في المحل الطاهر الذي يسع ستة أشخاص، وهم الذاكر والنبي (ﷺ) والخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم، ولم يبلغنا أن الشيخ رضي الله عنه أخبر عن نفسه أنه يحضر مع قارئ الوظيفة حالة قراءتها، وإنما أخبر أن النبي (ﷺ) والخلفاء يحضرون حالة ذلك. وأما الذكر فلا يحتاج فيه لاشتراط ذلك بل يسوغ للمريد إذا ضاق الوقت عليه وهو ليس على وضوء أن يذكره بلا وضوء إذا خاف خروج الوقت إن اشتغل بالوضوء(83)، كما يسوغ للمريد أن يذكره راكبا وراجلا، وله أن يتكلم أثناء ذكره، لكن الأولى هو كونه على وضوء، وفي بقعة طاهرة مع الإقبال عليه بالكلية، من غير شيء يشوش عليه ولا على من حضر معه فيه.

غير أنه لا يشترط في البقعة التي يذكر المريد فيها هذا الذكر أن تسع ستة أشخاص، ولم يبلغنا عن سيدنا رضي الله عنه أن الخلفاء رضوان الله عليهم يحضرون مع المصطفى (ﷺ)، ولا أن الشيخ يحضر معهم حالة الذكر، وإنما بلغنا أن من فاته حضور هذا الذكر فاته خير كثير من فضله الذي منه حضور المصطفى (ﷺ)، وهو الذي عقد في المنية إذا قال فيها ناظمها :

وتركها يفيــت خيــرا جمـــــــا	إلا لعذر عارض ألمـــا
يكفيك في الفضل حضور المصطفى	صلى عليه ربنا وشرفا(84)

وقد قال سيدنا رضي الله عنه لبعض أصحابه رضي الله عنهم حين فاته الحضور في هذا الذكر أما فاتك من خير(85)، وذلك فيه نوع من التوبيخ على التفريط الحاصل منه فيه، ولا يخفى

---

(83) سئل العلامة الحاج أحمد سكيرج في كتابه اليواقيت الأحمدية العرفانية ص 41 عمن تأخر عن هيللة يوم الجمعة حتى زاحمه الوقت، ووجب عليه الوضوء، وخاف خروج وقت الذكر ماذا يفعل؟ فأجاب بأنه يذكر الهيللة بدون وضوء، لأنه إذا فات وقتها لا تقضى بخلاف ما إذا كان الوقت متسعا فإنه لابد من الوضوء، ويجوز للمريد أن يقرأها وهو متلبس [illegible] إذا لم يتيسر لقراءتها، والله الموفق.

(84) انظر بغية المستفيد شرح منية المريد، لأبي المواهب السائحي ص 369.

(85) انظر رفع النقاب للعلامة سكيرج ج 3 ص 244.

عنك أن الحضور مع الجماعة حالة الذكر أفضل من الإنفراد، وكونه بالسرد أولى من الحلقة التي يكون فيها الشطح والردح والإهتزاز المذموم كما هو معلوم(86)، والله أعلم.

السؤال الثاني : عن الوظيفة هل يجوز تقديمها قبل وقتها مثل الورد اللازم أم لا ؟ وهل يجوز تقديم الأوراد الغير اللازمة مثل اللازمة أم لا ؟ فقد أخبر من يوثق به أنه أخبره سيدي علي بن عبد الرحمان(87) مفتي حضرة وهران، أن سيدنا محمد الحبيب بن سيدنا المكتوم رضي الله عنهما كان يقدم الأوراد الغير اللازمة، وربما يقدمها قبل وقتها بيوم أو يومين، ولهذا فنريد المزيد من الإيضاح.

الجواب : لا بأس بتقديم الوظيفة ليلا لعذر ولغير عذر أيضا لفضيلة الليل، ولا تبطل إذا طلع الفجر أثناءها كما يبطل الورد المقدم لعذر أو لغير عذر إذا طلع الفجر أثناءه، وأما الأوراد

---

(86) كان ذكر الهيللة على عهد الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه لا يذكر إلا وفقا للكيفية المقررة في الطريقة الخلوتية، وبه كان عمل أصحابه من بعده، غير أنه أحدثت بعد ذلك بدع كثيرة في حلقة الذكر، مما لا ينبغي السكوت عنها، ولهذه الغاية أرسل سيدي محمد الكبير التجاني، وأخوه سيدي محمود، وكلاهما من حفدة الشيخ رضي الله عنه، رسائل إلى ساداتنا الفقراء بفاس، يأمرونهم فيها بالتخلي عن ذكر الهيللة بالكيفية المنتهجة في الطريقة الخلوتية، والإكتفاء بذكرها سردا، وذلك لمنع حدوث البدع المختلة بالدين، كاللحن والغناء والتصفيق وما إلى ذلك.

ومما جاء في رسالة سيدي محمد الكبير التجاني لفقراء فاس ما نصه بعد كلام في الموضوع :

"ومنها ذكر عصر يوم الجمعة، يجتمع الفقراء، البعض يذكر والبعض يتكلم بالكلام الدنيوي، كأنها في حقهم غير لازمة، مع أنها من جملة الأذكار اللازمة في الطريقة الأحمدية.

"ومنها ما اشتملت عليه حلقة الذكر يوم الجمعة على ما رأينا من الأمور الشنيعة القبيحة من التمطط في الذكر، بحيث يخرج فيه إلى حد الغناء المنافي للخشوع، أو إلى اللحن الذي لا يسوغ، كترك المد الطبيعي في ذكر الهيللة وغيرها. وقد كان أصحاب سيدنا رضي الله عنه يذكرون على الكيفية المذكورة بالقرب منه، فسمعهم مرة فعلوا شيئا من ذلك فزجرهم، ونادى بأعلى صوته : أي شيء هذا، أي شيء هذا، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله. ومن التصفيق بالأيدي وفعل شيء من الحركات التي تسقط العمامة والرداء. وحضور الأحداث دينا وسنا، لأنهم مظنة الفتنة، ولاسيما إن كان ذا وضاءة وصوت حسن واتخذ حاديا للقوم، فإن الأمر فيه خطير جدا. وتجنب مثل هذا في كل مجلس واجب، ولاسيما في مجالس الذكر التي يتعرض فيها لما يرد على القلب من الفتح والسر. فإن اصطلاح القوم على الصياح والغناء بالأشعار في الأذكار فذرهم في خوضهم يلعبون، وقل : إنا لله وإنا إليه راجعون.

"وعليه فنأمر جميع الإخوان بالوقوف على الجادة في هذه الحلقة، من ذكر الهيللة سردا بالجلوس قبل الغروب بساعة في الزاوية المباركة. كما نأمرهم بترك الحلقة في الجنائز والولائم لما في ذلك من الخروج عن مشروعيتها.

(87) العلامة المقدم الجليل أبو الحسن سيدي علي بن عبد الرحمان الجزائري أصلا، الوهراني قرارا وموتا، كان رحمه الله خطيبا بالجامع الأعظم بوهران، وكان لا يخطب خطبة إلا وهو يبكي، وله رحمه الله مؤلفات وتقاييد ورسائل متنوعة، وقد أخذ الطريقة الأحمدية التجانية عن المقدم البركة سيدي سحنون بن محمد وأجازه في تلقين أورادها لمن طلبها منه العارف بالله الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح رضي الله عنه، وكان ينوه به ويقول في حقه : والله لولا سيدي علي بن عبد الرحمان لما نزل عليهم المطر، يعني أهل وهران، وتوفي رحمه الله في 4 رمضان المعظم سنة 1324هـ. انظر ترجمته في فتح الملك العلام للفقيه سيدي محمد الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 155، وفي لوامع الأنوار لنفس المؤلف ص 50، وانظرها في الرحلة الحبيبية الوهرانية للعلامة سكيرج ص 46.

الغير اللازمة فعلى قسمين : ما له خاصية وفضل مطلق، وماله خاصية وفضل مقيد، فالمطلق يسوغ تقديمه قبل وقته، والمقيد يسوغ أيضا ولكن تفوت خاصيته، ولا يتم فضله كما يتم مع وجود شرطه، ومثال المطلق من الأوراد الغير اللازمة قراءة السيفي وياقوتة الحقائق(88) ونحوهما، فيسوغ تقديمهما قبل الوقت ليلا، ومثال المقيد من الأوراد الغير اللازمة قراءة اللطيف والمسبعات، ومما يوضح لك هذا المعنى المعقبات التي تذكر بعد الصلاة، لا يتم فضلها إلا بوقوعها اثر الصلاة، وأما قراءتها قبل الصلاة فسائغ لكن لا يترتب عليه الفضل المترتب على قرءاتها عقب الصلاة. وما بلغكم عن سيدنا ومولانا الحبيب من أنه كان يقدم الأوراد الغير اللازمة، حتى أنه ربما يقدمها قبل وقتها بيومين، فلا يبعد ذلك أنه رضي الله عنه كان يغتنم فرصة الوقت بالفراغ الحاصل له قبل حصول مانع من شغل ونحوه، حتى إذا أدركه الوقت وصادف فراغا فإنه يذكر تلك الأوراد اغتناما للفضل الوارد فيها، وللحصول على الخاصية المختصة بها، وإن كان مقام سيدنا الحبيب رضي الله عنه يقضي بأن نعتقد بأن عمله كان غير معلول بالتشوف لفضل أو حصول خاصية، وليس بمعصوم في قصد ذلك بعمل، ومثله أيضا في هذا المنصب ذووا الفتح في هذه الطريقة وغيرها، وكل يعمل على شاكلته والله الموفق.

السؤال الثالث : عمن لم يحضر الوظيفة مع الجماعة نحو الأسبوع من الأيام بلا عذر شرعي، هل يرفع عنه الإذن ويحتاج للتجديد أم يلزمه الإستغفار فقط ؟(89)

الجواب : قراءة الوظيفة جماعة من شروط الكمال التي كادت أن تعد من شروط الصحة لما بلغنا عن الشيخ رضي الله عنه من التأكيد على إيقاعها على الوجه المذكور، وقد عثرت على بعض المشاهد التي نسبت للخليفة المعظم سيدي الحاج علي حرازم، فيه تشديد كبير في ترك قراءتها جماعة بالزاوية، وحذر كل التحذير من قراءتها بالإنفراد. والذي اختلج في صدري أن هذا المشهد من جملة المشاهد المختلقة المكذوبة، ونسبتها للخليفة المذكور غير صحيحة. ولا يخفى عنك أن كثيرا من الكذابين ينسبون لخاصة الخاصة من أهل الله أمورا لم تصدر عنهم ليقع النكير عليهم، أو يقع الإعتماد على ذلك من الجهلة، ولم يصح عندي من المشاهد إلا من هو مؤلف في تأليفه المسمى بالكنز المطلسم(90)، وقد عثرت عليه بخط مؤلفه، ثم وزعه من كان عنده أوراقا، فصار الآن مبتورا كأنه لم يكن شيئا مذكورا، فلا ينبغي للمريد أن يصدق بما يراه

---

(88) ياقوتة الحقائق في التعريف بسيد الخلائق، أولها : الله الله الله، اللهم أنت الله الذي لا إله إلا أنت، ... شرحها سيدنا الشيخ رضي الله عنه بإملائه على خليفته المعظم سيدي الحاج علي حرازم رضي الله عنه، تحت عنوان : جوهرة الحقائق، في شرح ياقوتة الحقائق، انظر جواهر المعاني للعارف بربه سيدي الحاج علي حرازم ج 2 ص 228، وللعلامة سيدي محمد فتحا بن محمد بن عبد السلام كنون شرح مفيد عليها، طبع على الحجر بفاس.

(89) نص هذا السؤال وضع على العلامة سكيرج في كتابه اليواقيت الأحمدية العرفانية ص 38 فانظرها.

(90) الكنز المطلسم هو مجموع المشاهد التي جمعها الخليفة المعظم أبو الحسن سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي، وللإلمام ببعض جوانب هذا الكنز ونوعية محتوياته، انظر جناية المنتسب العاني للعلامة سكيرج ج 2 ص 56 وانظر كشف الحجاب لنفس المؤلف ص 98. وفي تيجان الغواني شرح جواهر المعاني لنفس المؤلف، ص 34.

من تلك المشاهد إلا ما كان مرويا عن الثقاة، وإلا فغالب ما هو متداول بين العامة ويظنون أنفسهم أنهم من الخاصة بمجرد كذب، والله حسيب من فعل ذلك، وعلى كل حال فقراءة الوظيفة جماعة متأكدة، ولا ينبغي للمريد ترك الحضور مع الإخوان في قراءتها، فإن ترك ذلك من غير عذر شرعي لا يرفع عنه الإذن، ولكن يوبخ إن كان ذلك منه تهاونا، ويوكل إلى نفسه إذا كان عارفا، لأن الإنسان بصير على نفسه، ولا يحتاج للتجديد إلا إذا رفضها رفضا من غير عذر مبيح له ذلك، وصار لا يقرأ الوظيفة لا بانفراد ولا في جماعة. فإنه إذا ترك قراءتها بالكلية انقطع من أجل تركها ورفض قراءتها، لا من أجل ترك قراءتها جماعة، وإنما اشترطت الجماعة في قراءتها لأسرار كثيرة، وقد تكون قراءتها بالإنفراد في حق بعض الأفراد أولى من قراءتها جماعة، فلا ينبغي للمريد الذي لم يعرف ما عليه خاصة أهل هذه الطريقة أن ينكر على من انفرد في قراءتها وحده في حضور أو غيبة، والموفق من المريدين من يعتقد الخصوصية في كل فرد من أفراد هذه الطريقة ممن سلكوا في سلكها قديما أو حديثا، بل بمجرد تلقينه للإذن يعده من الخاصة ويعتقد خصوصيته، والعارف من أهل هذه الطريقة بل ومن غيرها من يعتقد خصوصية كل شخص من أهل لا إله إلا الله، ولذلك قال أحد المفتوح عليهم : كل من لاقيته فالخضر(91) أعتقد، بل أعتقد فيه أنه أجل مريد أو أجل رشيد.

فاتضح لك مما بيناه لك أن من ترك الحضور مع الجماعة في الوظيفة نحو الأسبوع، بل ولو دائما، وكان يقرؤها وحده بلا عذر شرعي لا يرفع عنه الإذن ولا يحتاج للتجديد، غير أنه ترك ما هو الأولى في حقه، ولا يلزمه في ذلك استغفار، وإنما يخوف المريد ممن ترك ذلك في أول الأمر، وهو بصيرة على نفسه في معناه، والله الموفق، أحمد سكيرج أمنه الله.

LjdžDž njþɑɋ hǁFƨþ

ǏdžیUƠDžƨقǁɛ دyƨ Ǐƨǁɛ DžǴ دDžϴDž ǎيدƨ Ljقيƻǂǁ

الحمد لله وحده وصلى على سيدنا محمد وآله وصحبه

إلى حضرة الأخ العزيز السيد محمد بن السي سعيد القسمطيني

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد فقد وصلني شريف كتابك، ولذيذ خطابك، وفرحت بمحبتك لنا في ظهر الغيب، زاد الله من أمثالك، ولتعلم أيها المحب أن هذا الزمان قل فيه الصدق في محبة أهل الله، وكثر سوء الظن فيهم، فمن آتاه الله حسن الظن فقد آتاه خيرا كثيرا، ومن حصل له حب في أحد من أهل الله فليلازم ذلك، فقد فاز والله من أحب أهل الله، وهنيئا لك بكونك من أهل الطريقة الأحمدية التجانية،

(91) الخضر بكسر الخاء وسكون الضاد، وبƠتƽ الخاء مع سكون الضاد وكسرها لقب لصاحب موسǏ عليه السلام، وكنيته أبو العباΣ، واسمه بلياء. وهو المقصود بقوله تعاǁǏ في سورة الكƞƻ : فوجد عبدا من عبادنا ɑتيناƕ رحمة من عندنا وعلمناƕ من لدنا علما.

فلازمها بشروطها، وأؤكد عليك بمحبة أهل الله واحترام جميع الشيوخ الأحياء والأموات، ولا تكذب منهم أحد يدعي الولاية، فإن التصديق لا يأتي إلا بخير، وإياك أن تخوض مع إخوان هذا الزمان فيما ابتلاهم الله به من إطلاق اللسان في الطرق وأهلها، خصوصا إذا اجتمعوا مع فقير شيخ من الشيوخ الأحياء أو الأموات، فإن الطريقة التجانية جاءت على النهج القويم، ولا تقبل من يعترض على الأولياء وينقصهم(92) فاحذر كل الحذر من ذلك، فهذه وصيتي لك، ولا أوصي بها إلا من أحبه. أما ما طلبته منا من الإذن في أوراد الشيخ رضي الله عنه فعليك بالمحافظة على الورد والوظيفة وذكر الجمعة بشروط ذلك، فهو كفيل لك بخير الدارين، وقد ولع بعض المريدين بكثرة الأوراد والإستكثار من طلب الإذن فيها، ومع ذلك يخلون بشروط الورد الذي هو النافع لهم، فلازم وردك واستكثر من صلاة الفاتح لما أغلق، فهي الكنز الذي لا نفاذ له، وإن قدر الله اجتماعنا نتفاوض معك في هذا الموضوع مشافهة، وسلم منا على المحب الأرضى سيدي عبد السلام السقال كثير السلام.

[illegible]

فاتح ربيع الثاني 1338هـ

الحمد لله وحده، محبنا الأعز الأرضى الأديب الأريب، واسطة عقد الأقران، الفاضل الأمجد، سيدي محمد بن عبد القادر السجلماسي، أسعد الله أيامكم، وأدام احترامكم، والسلام عليكم ورحمته تعالى وبركاته، وتحياته وزكواته، عن مدد سيدنا أدام الله حرمته، وبعد فقد كنت تشرفت بخطابكم المعسول، وسحر بيانكم الذي بهر العقول، زاد الله في معناكم، وبلغكم في الدارين متمناكم. ولقد استحسنا نظم تلك القصيدة التي توجت بذلك البيت البديع، فلله درك من شاعر وناثر، ولا شك أنك ستنال من الجزاء فوق ما تتمنى، فإن مدح هذه الحضرة كفيل بكل خير، فأنفق نفيس أوقاتك في ترصيع المدح في هذا الجناب، وفي جناب المصطفى (ﷺ)، ففي ذلك نجاحك ورباحك، وملاحك وصلاحك، ولتتحفنا المرة بعد المرة بما أنشأته أو تنشئه، وما أنشأه غيرك إن كان تحت يدك منه شيء، لأدرج ذلك في بعض تويلفاتي(93) خدمة لهذا الجناب الأرفع.

---

(92) احترام الأولياء وتقديرهم من أهم الواجبات المؤكد عليها في الطريقة الأحمدية التجانية، فمن أخل بها فقد وقع في المحذور، ويخاف عليه من المقت والسلب إن لم يتدارك نفسه بالرجوع عن ذلك بالندم والتوبة، وليس المعنى من اشتراط عدم زيارة الأولياء في هذه الطريقة التهاون بهم والتقليل من حرمتهم، فإن ذلك من أعظم أسباب الطرد والبعد والقطيعة عن الله سبحانه وتعالى.

(93) كان العلامة سكيرج قد شرع في تأليف قيم سماه: الفتح الرباني فيما مدح به القطب التجاني، أراد من خلاله أن يجمع القصائد الكثيرة التي قيلت في مدح الشيخ رضي الله تعالى عنه، لكنه توفي قبل إتمام هذا المشروع الضخم الجليل، وبقيت القصائد التي جمعها للغرض المذكور متفرقة بين الكنانيش والأوراق، ولو أتمه لكان نافعا مفيدا جامعا، وكان رحمه الله يريد أن يجمع فيه المئات من القصائد المتنوعة الأبحر والقوافي، مع التعريف بأصحابها وذكر تراجمهم، وهذا نظرا لمعرفته الكبيرة بذلك، ولا يستطيع أحد أن يقوم بهذا العمل غيره، لكن ما لا يؤخذ كله لا يترك كله، وللغاية هذه سنقوم إن شاء الله بمحاولة جادة في هذا الموضوع، هادفين من ذلك إلى جمع هذه القصائد وتنظيمها وترتيبها وفق المطلوب، مع العمل الجاد على تحقيقها وطبعها ونشرها لينتفع بها المحبون والقراء.

فلي ولوع عظيم   بمدح هذا الجناب

جعلني الله وإياكم من أهل دائرته العلية، في زمرة خير البرية، وسلم منا على كل من هو منكم وإليكم، وبالأخص البركة سيدي الشيخ وجميع الأحباب، ولقد كنت ولكم العافية في زيارة المولى، وقد عافانا المولى ولله الحمد، فلذلك لم نعجل لكم بالجواب عن ذلك الكتاب مع الأسئلة التي ضمنتمونا فيه، وها نحن أجبناكم عنها بالورقة صحبته من غير تأنق في الخطاب، لأن المقصود الجواب من غير إسهاب، والزيادة على ذلك تؤدي للملل، مع ضعف طارئ عافاكم الله، وإني لمسرور كثيرا بالمشرية بوجود أمثالكم الباحثين عن الفوائد، وتقييد الشوارد، وطلب العلم الشريف، والتبري من الدعوى، فتح الله علينا وعليكم، ووفقنا للعمل بالعلم، وأسدل علينا رواق الحلم، آمين.

أما عن سؤالكم : ما هو فاعل يمكن في قول حسان(94) رضي الله عنه :

أيمكن من له عقل رجيح (95)   ومعرفة يراك ولا يقوم

الجواب : اعلم أن الفاعل هو قوله يراك بعد سبكه بأن المقدرة ومن مفعوله، والتقدير أيمكن رؤية من له عقل، وحذف أن سائغ في كلام العرب كقولهم : تسمع بالمعيري خير من أن تراه، ومثل البيت المذكور قول بعض المولدين.

ما ضر بدر الدجى في الأفق تنبحه   سود الكلاب وقد مشى على مهل

فقوله تنبحه فاعل ضر، والتقدير ما ضر نباح سود الكلاب بدر الدجى، والبيت المذكور روينا معه بيتا آخر وهو :

أقوم والقيام إليك فرض   وترك الفرض أنى يستقيم

قالهما حسان رضي الله عنه حين مر به النبي (ﷺ)، فقال له : أبشر يا حسان فإن من حفظ هذين البيتين لم تمسه النار، أقول وحفظهما يصدق بالعمل بهما، لأن العمل بالشيء حفظ له، فمن

---

(94) حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، عاش 120 سنة، ستون منها في الجاهلية، وستون في الإسلام، قال أبو عبيدة : فضل حسان الشعراء بثلاثة : كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة، وشاعر اليمانيين في الإسلام، وقال المبرد في الكامل : أعرق قوم كانوا في الشعراء آل حسان، فإنهم يعدون ستة في نسق، كلهم شاعر، وهم : سعد بن عبد الرحمان بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام. وكانت وفاته عام 45هـ. أنظر ترجمته في الإصابة لابن حجر العسقلاني ج 1 ص 326 وفي تهذيب التهذيب لابن حجر ج 2 ص 247 وفي معاهد التنصيص للعباسي ج 1 ص 209

(95) رجيح : بمعنى رزين.

رآى النبي (ﷺ) وقام له إجلالا فإنه يدخل الجنة ولو لم يحفظ ألفاظ هذين البيتين، وكذلك من قام لشريف أو شريفة فهو داخل في هذا الوعد الجليل، فالقيام لذوي الفضل على هذا سائغ محمود، وقد قيل :

فلا تنكرن قيامي له فإن الكريم يجل الكراما

وكره الإمام القيام مطلقا، وبعضهم فصل في ذلك بين المتكبر وغيره، ومن تخشى إذايته وغيره، ومذهبي إدخال السرور على من يحب ذلك بالقيام له جبرا لخاطره، ووقاية لشره في باطنه وظاهره، عملا بأدب الرسول القائل في المدارات : إنا لنبش في وجوه القوم وقلوبنا تلعنهم(96)، وقد قلت في أبيات :

وكم من يد ظلت ألثمها ونفسي تتوق إلى قطعها

وقد يتبادر في معنى الحفظ رسوخ البيتين المذكورين في الحافظة، بحيث يصيرا عند حافظهما ببال من غير نسيان، وقد خرجنا في هذا الجواب عن الموضوع، ولكن لا بأس بالإستطراد، والله ينفعنا وإياكم بالعلم ويرزقنا العمل به. عبد ربه أحمد سكيرج أمنه الله بمنه.

[illegible] (97)

الحمد لله وحده 3 ربيع الثاني 1338هـ

حفظ الله بمنه مجادة الفاضل الأمجد، الكوكب الأسعد، العارف بالله سليم الصدر، منور الطوية، جميل الإعتقاد، رفيع الدرج بين أهل الوفا، مفتي الحضرة المستغانمية، الشيخ عبد القادر بن قدا مصطفى، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وتحياته وزكواته عن مدد مولانا رسول الله (ﷺ)، وبعد فقد حل سيدي رقيمكم الكريم، فقرأته والعين تدمع دمعة سرور وفرح.

غلب السرور علي حتى أنني من فرط ما قد سرني أبكاني

أذكرني سويعة أنس جاد الزمان بها بالإجتماع بكم، فجعلته فوق رأسي تنويها بقدر كاتبه، وسجدت لله شكرا على ما منحني من صدق إخائكم ومحبتكم، فتلك نعمة علي أقدر قدرها بالإعتبار، وإن كنت لا أقدر قدرها ولو أطلت في شكرها في الإقبال والإدبار، أما وحقك أيها الأخ في الله ما نسيت تلك اللويلة التي لم يسمح لي الزمان بمثلها معكم، فكانت عندي ليلة مباركة، والواسطة فيها هو الحبيب الحبيب(98) دام حفظه، فلقد عرفني بكم وبالبدور الثلاثة الحالين حلول

---

(96) أنظر كشف الحجاب للعلامة سكيرج رحمه الله ص 174 حيث توسع في هذا الموضوع بما فيه الكفاية.

(97) مفتي مدينة مستغانم الجزائرية العلامة الفقيه المقدم المبارك سيدي عبد القادر بن مصطفى بن قدا، انظر ترجمته في الرحلة الحبيبية الوهرانية للعلامة سكيرج ص 68.

(98) إشارة للفقيه الجليل سيدي الحبيب بن عبد المالك العلوي، سبق التعريف به في هذا الكتاب ج 1 ص 16 من هذا التأليف.

الشمس في الشرف لدينا، أبي المفاخر الكريتلي(99) وأبي المواهب ابن باهي(100) والحاج بن عيسى(101)، فأنتم أيها السادات محل الفضل ومعدن الخير، دمتم في هناء تام، وعليكم مني أتم السلام، وإني أشكر حضرة الشيخ المفتوح عليه بما منح من حسن التعبير في الأقران، سيدي محمد بن قدور بن سليمان(102)، حيث كتب لكم معلما بتوليتي خطة القضاء. والله يلطف بنا فيما جرى به القضاء، فكان هذا السيد هو المحرك للطيفة الود القلبي.

ولقد كان كتب إلي بأنكم كنتم أخبرتموه بحلولنا بمستغانم زمن زيارتي لها، وأنه من ذلك الوقت وهو متشوف للإجتماع بنا، ولقد أجبته عن كتابه إلي بجواب سميته : عقد المرجان الموجه إلي سيدي محمد بن سليمان(103)، وأحلته فيه على جوابي لرسالته(104) التي وجهها لسيدي الأخضر الجبلي التجاني بندرومة، وسميته : تنبيه الإخوان على أن الطريقة التجانية لا يلقنها إلا من له إذن صحيح فيها طول الزمان، ولا يصح أخذها عمن يلقن غيرها من الطرق كيف ما كان(105).

ولقد تكلمت في هذا الجواب بلسان الطريق من غير أن نأتي بأدنى ما يمس بهضم جانب هذا السيد الفاضل، إلا أنني نصحته غاية بأن يكتفي بما عنده من الإذن في خاصة نفسه، ويلقن

---

(99) العارف بالله محمد الحراق الكريتلي، التركي أصلا، المستغانمي الشاذلي مشربا وطريقة، انظر ترجمته في الرحلة الحبيبية الوهرانية للعلامة سكيرج ص 71.

(100) قاضي مستغانم العلامة الفقيه أبو عبد الله سيدي محمد بن باهي، وهو من خاصة المقدمين في الطريقة التجانية، انظر ترجمته في الرحلة الوهرانية للعلامة سكيرج ص 66.

(101) أبو المعارف الفقيه سيدي الحاج محمد بن عيسى، من أهل الرسوخ والعرفان، شاذلي الطريقة، له محبة تامة في سائر الأولياء، انظر ترجمته في الرحلة الحبيبية الوهرانية للعلامة سكيرج ص 77.

(102) محمد بن قدور بن سليمان الندرومي، فقيه متصوف، له أتباع ومريدون، خاصة بمنطقة مستغانم، ووهران، وتلمسان، وغير ذلك من الشمال الغربي لبلاد الجزائر، وقد تصدر لإعطاء وتلقين أوراد جميع الطرق، فضلا عن طريقته الخاصة التي كان يأذن فيها لمريديه، وادعى بأنه مأذون في ذلك من طرف الحضرة النبوية، وكانت الطريقة الأحمدية التجانية واحدة من تلك الطرق التي يلقنها للغير، وهو صاحب فتوحات وخوارق، وقد سلم له في ذلك الكثير من الناس القاطنين بالمناطق المذكورة، وأحدث تصدره لجميع الطرق بما فيها التجانية ضجة بين أوساط الفقراء التجانيين هناك، غير أن بعضهم كان يهابه لمكانته من العلم والولاية، فلم يستطع أحد منهم الإعتراض عليه، وذلك فيما يتعلق بمزجه للطريقة الأحمدية التجانية بغيرها من الطرق الأخرى، فرفعوا الأمر للعلامة سكيرج الذي كان وقتذاك قد عين قاضيا على مدينة وجدة، وبناءا على هذا تصدى العلامة القاضي الحاج أحمد سكيرج للشيخ المذكور، وبين له موقع الخطإ في تصدره المزعوم، ودارت بينهما رسائل في هذا الموضوع، وكعادته رحمه الله ورضي عنه فقد أجابه بتأليفين نفيسين أفحمها من جهة، وأعادا الإعتبار لأهل الطريقة التجانية بتلك النواحي من جهة ثانية.

(103) من تأليف العلامة سكيرج، طبع بمطبعة النهضة بتونس في 16 صفحة.

(104) وقفت على هذه الرسالة بالخزانة السكيرجية، وقد أخذت نسخة طبق الأصل منها، وهي في 20 صفحة، تحدث فيها صاحبها المذكور بأنه مأذون له من طرف الحضرة النبوية في تلقين الطرق التالية، وهي : الطيبية، والجيلانية، والتجانية، فضلا على الدرقاوية التي هي طريقته، وأتى عقب ذلك ببعض النصوص والأقوال والتعليلات، لكنها لم ترق لمنزلة الإستدلال السليم.

(105) من تأليف العلامة سكيرج، طبع بمطبعة النهضة بتونس سنة 1339هـ-1921م، في 232 صفحة.

غير الطريقة التجانية لمن طلبها منه، أما الطريقة التجانية وإن حصل له الإذن فليكتف بها في خاصة نفسه حتى لا يتعرض أحد للإعتراض عليه فيما قام به من الدعاء إلى الله، وقد بينت الجواب على أساس متين، ولا يخفى عليك أيها الأخ : زماننا ما هو ومن هم أهله، والتظاهر بمثل ما تظاهر به سيدي محمد بن سليمان يؤدي إلى سرعة الإعتراض عليه والنكير من القاصرين، وليت شعري كيف حال من يجتمع بالنبي (ﷺ) في هذا الوقت ويصرح به، والأجانب تسمع هذا وتعده من قلة عقل المسلمين، فالأولى هو كتم مثل هذا الأمر، والذي أعتقده في هذا السيد الفاضل أنه رجل من أصحاب الدلال والجمال، الذين ذاقوا ذوق الرجال. وأعطي لسان التعبير، ولكن رغم انبساطه في هذا البساط لم ينظر إلى مزية غيره من أهل الغيرة الربانية أو النفسانية، ولقد شممت منه رائحة حب الاستيلاء على القلوب بعباراته المعسولة الممزوجة بسحر الوعد وعظيم الوعيد، وما أظن علماء الظاهر في وقتنا هذا يلتفتون لمثل هذا الأمر، بل يتهمون من تظاهر به ولو بلغ ما بلغ في الرشد والإرشاد، وعلت رتبته فوق غيره من العباد. ولقد من الله علي أيها الأخ بما لو ذكرته للغير لكذبني في الحين، بما لا أذكره خشية تعجيل العقوبة على يدي للغير، ولم أصدق نفسي في الأمر حتى تحقق فيمن نظرته ممن أخبرته واستكتمته فلم يكتم، والذي أصرح به لك أيها الأخ أنه من الألطاف الإلهية في اشتغالي بالخدمة المخزنية نعمة من المولى، حيث حجبتني عن الدعوى، وإلا كنت في أول القائمين بما قام به سيدي محمد بن سليمان، وقد حصل لي التهديد بالتصريح بما صرح به فلم أقبل، وحفظني الله من هذا الداء العضال الذي من تحكم فيه يرى لنفسه المزية والخصوصية على غيره(106). وأنشدك أيها الأخ كيف تفهم من حال من يتنازل كثيرا عن مرتبته التي تمكن فيها من باب المعرفة الذي لم يفتح إلا لأهل التمكن، فيخاطبه مثله أو من هو أقل منه بما يثير فيه حب الظهور، تبعا لهوى نفساني، فلا وربك لا يليق إلا رفع علم الخصوصية، ويصرح على رؤوس الأشهاد بأنه أولى منه بهذا الأمر دفعا لما يتوهم، وبيانا لما هو أعظم وأفخم، لذلك تعين علي أن أبين لك أن سيدي محمد بن سليمان ذكر لي في كتابه أنك قلت له : ليث سكيرج لو اجتمع بك، فهذا الكلام لو قلته له كان من حقه أن ينزل في الجملة ويقول : ليتني لو اجتمعت بسكيرج، فهذا هو الحال المناسب للتواضع، ولكن مقام الدلال الذي حل به فيما أعتقد لا يرى معه خصوصية لغيره. ولقد زدت استعجابا من قولكم أيها الأخ في وصف هذا السيد بأنه عارف وقته، فهل في الحقيقة أن هذا السيد ليس في الوقت عارف مثله، فوالله إنا لنعلم ونعرف من يجتمع بالنبي (ﷺ)، وله لطيفة ربانية يري بها الحضرة لمن شاء، ولا يدعي المعرفة(107)، ووقتنا هذا فيه عارفون مستترون تحت سوء الظن، ولمراتبهم غيرة على من

---

(106) هذا دليل قاطع على ما كان يختزنه العلامة سكيرج رحمه الله ورضي عنه من قوة باطنية خفية، وكيف لا وقد صاحب رجالا وأي رجال، وجالس جماعات من الأئمة الكمال، فحاز من السر ما حاز باعتراف الجميع، ويكفيه أنه خزينة أخبار الطريقة التجانية، وحامل أسرارها وحقائقها ودقائقها، ومع هذا كله كان رحمه الله يحب الخمول، ويلبس حلة الكتمان مع الصدق والتواضع والرضا بأمر الله.

(107) يشير رحمه الله بهذه العبارة لمجموعة من الأكابر ممن اجتمع بهم من أهل الفضل والخصوصية الكبيرة، وكلهم من أعيان المتفق عليهم من أهل الطريقة الأحمدية التجانية، ويكفينا أن نذكر منهم البركة الصالح مولاي أحمد العبدلاوي، والشريف الملامتي مولاي الطاهر بن سيدي محمد بن أبي النصر العلوي السجلماسي، والعلامة الجليل سيدي محمد بن محمد بن عبد

نسب الخصوصية لغيرهم وهي لهم، فكن عند الظن بك معطيا للمراتب حقها، وأنت بنفسك أهل رتبة لا تسمح لك ولا لغيرك أن يحوم حولها من ليس منها، أو يريد الاستيلاء عليها، فالله يجازيك خيرا على حسن ظنك بأهل المزية، ويكافيك على ما تعتقده في هذا السيد، ولكن نحبك أن تعتقد فينا أننا من عبيد الحضرة، وقد تكلمت معك في هذا الأمر على وجه السر لتخبر سيدي محمد بن سليمان أنني من المحبين فيه لله، وقد كفاني الله عن كل أمر يحاول أن يعلمني به، فإني تجاني محض مصدق لأهل الله معتقد فيهم، يكاشفني الله بمحض الفضل عن المحق من المبطل منهم، ومع ذلك ما علي إلا في خويصة نفسي، فلا يعتقد أحد بأني أعترض على أحد من أهل الله، وأعلمتك بهذا لتكون كما أكون أخوين في الله، وغض الطرف إن رأيت ما يحرك خيطا معلقا في الهوى بهوى، ونحن على العهد نرعى الذمام، وعلى المحبة والسلام. أحمد سكيرج تراب نعل الأوليا.

hͷيدŽΘǓƐ hͷيقþUˡˡƐ üljǓ ƑNJNJɯNJ ÛLjǆY ŶƐ Ǐ Ʈþ LjǆDŽ hͷˡˡƑƨþ (108)DŽƐدNjƨˡˡƐ دǗǴǴ DŽيǆUƑقˡˡƐ hͷيǆƑɯتˡˡƐ

نحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، ونصلي ونسلم على سيد المخلوقات، وعلى آله وصحبه وأهل وده وقربه، ورضي الله عن شيخنا القطب الرباني، سيدنا ومولانا أحمد التجاني، وعن أصحابه أهل القرب والتداني، وجميع المحبين، وبعد السلام التام المحفوف بالإجلال والإكرام لحضرة من يقف على هذه الأحرف من السادة الإخوان، القاطنين بنواحي السودان، خصوصا منهم المقدمون، ومن انضاف إليهم من المريدين و المحبين، عن مدد سيد الوجود، وسر خليفته سيدنا منبع الفضل والجود.

من كاتبه خديم الحضرة التجانية، ذات المواهب والنظرة الإحسانية، والعطفة الإمتنانية، العبد الذي على فضل ربه يعرج، أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، نظر الله إليه بعين الرضا، ولطف به وبجميع الأحباب مما جرى به القضا، فالإعلام لأخوتكم أمدكم الله بلطائف الإمداد، وبلغكم في الدارين غاية المنى والمراد، وأنعم عليكم برضوانه الأكبر، مع الغنى به عمن سواه، إنه رب ذلك والقادر عليه. ونسأله سبحانه أن ينظر إلينا وإليكم بعين القبول، فإن من نظر إليه بها لا يحتاج إلى كثرة أعمال يستعد بها لفكاك رقبته من الأوحال : إن الله سبحانه وتعالى قد أنعم

السلام كنون الإدريسي الحسني، وغيرهم. وهذا من باب التواضع فقط، وإلا فهو واحد من أكابر فرسان عالم الحقائق، فقد أعطاه الله سبحانه وتعالى من الخصوصيات ما لم يعطيه لأحد ممن عاصره من الرجال الأعلام، وقد وقفت بخزانته رضي الله عنه على الكثير من الحجج الدالة على علو شأنه الكبير في التربية والولاية المصحوبة بالإستقامة والصلاح.

(108) كانت للعلامة سكيرج رحمه الله عناية خاصة بالفقراء التجانيين المتواجدين بالآفاق النائية من القارة الإفريقية، حيث كان دائما يسأل عن أخبار مستجداتهم، مع أحوالهم وسلوكهم وما إلى ذلك، وعدد رسائله التي بعثها للقطر السوداني كثيرة جدا، وأغلبها يتمحور حول الطريقة الأحمدية التجانية وسبل نموها وانتشارها هناك، بالإضافة للنصائح القيمة التي كان يسديها لأهل البلد المذكور على اختلاف طبقاتهم، من مقدمين وفقراء، وعلماء وأدباء، وخاصة وعامة.

علينا في آخر الزمان، بطريقة تفضي بسالكها لأرفع مقام في الجنان، ألا وهي طريقة سيدنا رضي الله عنه التي تفضل الله بها على هذه الأمة، فتلقاها على يد سيد الوجود (ﷺ) يقظة لا في المنام، وضمن السعادة لآخذها عنه على الدوام، مع الفتح اللدني قبل الحمام(109)، ونيل الرضا من الله ورسوله عليه السلام، وذلك عند الموفق غاية المرام.

وإن سائق السعادة يسوق لهذه الحضرة من هو من أهلها، والصارف الإلهي يصرف عنها من ليس محسوبا من زمرة أهلها، الملحوظين بعين القبول، من الله والرسول، في الدارين، فهنيئا لمن دعاه داعي السعادة، فلبى دعوته، وقاده سائق العناية فانقاد إليه لينال منه منيته، فكان من السابقين للخيرات، في الصعود في مراتب أهل التصديق لأرفع الدرجات، فإن من نال التصديق فقد أدرك بين أهل الله غاية التحقيق، فهو أول الآداب المطلوبة من المريدين، وهو غايتها أيضا، فابتداء الأدب التصديق بما أخبر به أهل الله، وآخره التصديق بما منحهم الله، فالأدب دائرة مبدؤها نهايتها، وما نال من نال، إلا بالأدب مع أهل الكمال، وكيف لا والتصديق نفسه ولاية، وصاحبه لا تحصل له نكاية، حيث أنه في حرز الحماية، لكونه يحسب من زمرة أهل الله.

ومن كان من أهل التصديق عد من الذين أعطوا الربوبية حقها من سعة الفضل، وذلك فضل الله يوتيه من يشاء، ومن استعظم الثواب المدعو به أهل هذه الطريقة التجانية فقد استنقص الفضل الإلهي الذي لا حد له ولا حصر، ولو اطلع أقطاب هذه الأمة على ما أعد الله لهذه الطريقة لبكوا وقالوا يا ربنا ما أعطيتنا شيئا(110) بالنسبة لما أعطاه الله لداخل زمرتها، فجزى الله عنا سيدنا محمد (ﷺ) الذي ادخر هذه الطريقة لنا، وخص بها سيدنا قطب الأقطاب خاتم الولاية المحمدية، وجزاه عنا خيرا في إظهارها لنا.

ونحمد الله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ويا سعادة من دخل حصنها المنيع، وحسب في زمرة أصحابها الذين عدهم من أصحابه النبي الشفيع (ﷺ)، ويا فوز من هدى الله به شخصا للسلوك على منهاجها، فأرشده للدخول من بابها، ليعد من أصحابها، فقد ورد : لأن يهدي الله بك رجلا واحدا أحب إليك من حمر النعم(111).

وهذه الطريقة خير ما يهدي الموفق إلى السلوك على صراطها القويم، ولا يدخل في زمرتها إلا السعيد، وفضل ذكرها لا تفي به عبارة على التفصيل، وقد ألف في فضلها وفقهها جماعة من علماء الطريقة مما هو متداول بين يدي أصحابها، فليراجع ذلك من طلبه والله الموفق اهـ...

---

(109) الحمام : الموت
(110) انظر بغية المستفيد لأبي المواهب السائحي ص 282. وفي الرماح لسيدي عمر الفوتي ج 2 ص 16
(111) انظر صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي رقم الحديث 3701 وفي فتح الباري لابن حجر ج 7 ص 87.

I ɛɓ_ _ _ǄƑƨǄǁɛ

فصل خاص يحتوي على خمس مسامرات للعلامة سكيرج، وهي مرتبة كالتالي :

1- العلوم والصنائع والموازنة بينهما لطالبي الدنيا والدين
2- الإنتقاد الإصلاحي
3- كرامة الأولياء أمام عجائب المخترعات
4- نيل الأرب في أدب العرب
5- هدية الزائر لنادي الترقي بالجزائر

[illegible] (1)

بسم الله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله، وعلى كل من والاه، والنصر والتمكين والفتح المبين لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين، أصلح الله به الدنيا والدين.

السلام عليكم أيها السادة المستمعون، لقد دعيت إلى إلقاء كلمة بواسطة هذا المذياع، وقد أسند إلي النظر في اختيار الموضوع الذي أتكلم عليه، فاخترت عنوان : العلوم والصنائع والموازنة بينهما لطالبي الدنيا والدين، وأرجو أن أكون موفقا لما يستحسنه المنصفون، ولا يمل من التحدث به المنتصتون، ولا نريد أن نخوض في بحر علم الحق المنوط بذاته وصفاته، جل شأنا، وعلا سلطانا، كما أننا غير قادرين على الإحاطة بسائر العلوم التي هي متكاثرة الأنواع مع كونها حادثة، فلا نريد أيضا أن نخوض في تيار أمواجها في حصرها بسد العد والإحصاء، فإن مسألة الإحاطة بالعلم لغير الحق سبحانه اختلفت فيها أنظار جماعة من أعلام المتقدمين والمتأخرين، وأفردته بالتأليف فيما يرجع لعلم سيد العالمين بها بين العالمين، فإنه عليه الصلاة والسلام لم يخرج من الدنيا حتى علم علم الأولين والآخرين، فهو محيط بكل ما يسمى علما، ومنهم من يقول بأنه لم يحط بسائر العلوم، وليس عدم حصره لها ومعرفته لكلياتها وجزئياتها بنقص في حقه، بل إنه عليه الصلاة والسلام في مرتبة من المعرفة بالعلوم، في أقصى غاية درجات الترقي فيما يبلغه المخلوق، ولذلك أمر بطلب الزيادة في آية: "وقل رب زدني علما"(2)، وفي تفسير قول الله تعالى : "وللآخرة خير لك من الأولى"(3) بأن كل نظرة أخيرة خير من المتقدمة عليها، وكل إدراك بلغه من العلم في ترقيه الدائم خير له مما قبله، لأنه (ﷺ) له الإحاطة بالعلم من غير توهم مشاركته للحق في العلم، مع أن الخلاف هنا في حال، فلا خوف من حيثية الإحاطة بالعلم الحادث، للفرق بينها وبين الإحاطة بالعلم القديم، والآية الأولى صريحة بتكليفه (ﷺ) بطلب الزيادة في قيد الحياة الدنيوية، لأنها محط التكليف، وما وعد به في كون الآخرة له خير من الأولى غير خاص بالدنيا أو الآخرة بل هو عام فيهما.

وقد صحح المحققون من علماء التوحيد أن النبي (ﷺ) لم يخرج من الدنيا حتى رأى الحق تعالى، ولا نعمة أكبر عليه من الرؤية في الدنيا، ولا يبعد أن تكون آية الأمر بطلب الزيادة من العلم من باب إياك أعني فاسمعي يا جارة، فأمره بذلك، وهو أمر لغيره حتى لا يقف أحد مع ما حصل من العلم، فيدعي الإحاطة مع أن فوق كل ذي علم عليم، وقد قيل :

---

(1) هذه المسامرة السابقة لأوانها، ألقاها العلامة الحاج أحمد سكيرج هادفا من ورائها إلى دعم العلم بالصناعة، وتقوية بعضهما ببعض للنهوض بالاقتصاد الوطني والرفع من مستواه، في وقت وجد فيه الشباب أنفسهم تائهين بين إيجابيات التعليم وسلبياته، فبينما كان البعض منهم ينادي بالحداثة والمعاصرة كشرط للتقدم في مواكبة المجتمع الجديد، كان البعض الآخر يصر على الاحتفاظ بالمناهج التقليدية، ويرى أنها الكفيلة بالتقدم والازدهار دون ما عداها، وبهذا كانت هذه المسامرة محاولة جادة للرفع من معنويات الشباب المغربي، وتحفيزه لطلب العلوم بجميع أنواعها الشرعية منها والتقنية، وبذلك يمكن تكوين جيل قادر على تطوير الصناعة الوطنية والسير بها للأمام.

(2) سورة طه، الآية : 114.

(3) سورة الضحى، الآية : 4.

قل للذي يدعي في العلم منزلة   علمت شيئا وغابت عنك أشياء

وإذا كانت العلوم الحادثة لا يحصيها أحد، ولا يحصرها بعد، فما بالك بعلم الأحد، جل وعلا، وقد ذكر القطب الشعراني(4) رضي الله عنه في كتابه : إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين، وهو كتاب بديع استنسخناه من مكتبة أبي الإسعاد، صاعقة العلوم والمعارف، الشيخ سيدي عبد الحي الكتاني(5) حفظه الله، وقد اشتمل هذا الكتاب على أربعمائة علم وأحد عشر علما من أمهات العلوم المحمدية، كما أن له تأليفا آخر سماه : تنبيه الأغبياء في نقطة من بحر علوم الأولياء، وقد سرد فيه واحدا وسبعين ألف علم، ولما رأى الهمم قد قصرت رمى بهذا التأليف في بحر النيل، ولا شك أن لكل علم منها اصطلاحا خاصا بأهله، ولا ينبغي لجاهل اصطلاح علم منها أن يعترض على أهل العلم الذي جهله، مثل الجاهل باصطلاح علم النحو مثلا، فإن فرائضه ترتعد إذا سمع إعراب اسم الجلالة من البسملة، ويبادر بتكفير من يقول في إعرابه : الله مجرور، وهكذا الشأن في بعض المقالات الصادرة من الصوفية عند من لا يعرف اصطلاحهم في معنى الاتحاد والحلول وما شاكلها، فإن ذلك كما قال العلامة السيوطي وغيره في اصطلاحهم أنه غير ما يدركه الجاهل بالاصطلاح.

ثم إن العلوم على اختلاف أنواعها تنقسم إلى علم محمود وإلى علم مذموم، وقد ينفع المذموم منها عالمه في بعض الأحيان، كما يتنزل على بعضها قول القائل :

عرفت الشر لا للشـر   لـكـن لتوقـيـــــه

ومن لا يعـرف الشـر   من الناس يقع فيه

---

(4) الشيخ الكبير، والعارف بالله الشهير، العالم العلامة الفقيه سيدي عبد الوهاب الشعراني، من ذرية سيدي محمد بن علي بن أبي طالب، المشهور بابن الحنفية، ولد رحمه الله ببلادة قلقشندة بمصر سنة 898هـ وهي قرية جده لأمه، ثم نقل بعد أربعين يوما من مولده إلى قرية أبيه ساقية أبي شعرة، وإليها نسبته، وأدخله والده الكتاب في سن مبكرة من عمره، فحفظ القرآن الكريم، وصرف بعد ذلك همته لتحصيل العلوم، فبلغ فيها الغاية على يد شيوخ أجلاء كبار، كالإمام جلال الدين السيوطي، وشيخ الإسلام زكرياء الأنصاري، وناصر الدين اللقاني وأضرابهم، وأما التصوف فقد أخذه من محله عن نجوم سواطع، كالشيخ سيدي علي الخواص والمرصفي والشناوي وغيرهم. وتآليفه رحمه الله كثيرة في الفقه والحديث والتصوف وغير ذلك من العلوم والفنون الأخرى. وكانت وفاته رحمه الله سنة 973هـ ودفن بزاويته في باب الشعرية بالقاهرة. أنظر ترجمته في معجم المطبوعات لإليان سركيس 1129-1134 وفي الخطط التوفيقية الجديدة لعلي مبارك : ج 14 ص 109 وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 180. وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 1079 رقم الترجمة 605 وفي شذرات الذهب لابن العماد ج 8 ص 372.

(5) سبق التعريف به في هذا التأليف، ج1 ص 33.

ويدخل هذا في حيز المثل الجاري في اللغة الدارجة بالمغرب : معرفة الأشياء خير من جهلها ولو كانت حراما.

ولاشك أن المقصود من العلم المحمود هو التحصيل على نتيجته بالعمل به، والعلم بلا عمل أولى من الجهل به بدليل إطلاق آية، "هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون"(6) فالتنويه هنا بصاحب العلم ظاهر في كونه ولو لم يعمل، وقد أشرت إلى هذه النكتة في لاميتي المعنونة بنفع العموم بالمسامرة ببعض العلوم، فقلت في مطلعها

خذ العلوم وإن كسلت عن عمل	فالعلم من أكمل الأوصاف في الرجل
لا يستوي عالم وجاهل أبـــدا	ولو بلا عمل أحرى مع العمـــــل

إلى آخرها، وهي في نحو مائتي بيت، وأشد الناس حرصا على العمل بالعلم هم الصوفية، فعدهم المتساهلون في المزهدين في الإقبال على اقتناء العلوم، مع أن العلم قد ينفع صاحبه ولو طلبه للتحصيل على الدنيا، وقد قال الغزالي رحمه الله في كلام يؤثر عنه : طلبنا العلم لغير الله فأبى العلم أن لا يكون إلا لله.

ثم إن العلوم منها ما يكون منوطا بالديانة لمجرد التعبد لله بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، والعالم بها ولو فرضنا أنه أحاط بها كلها فهو مثل خزانة كتب لا تحصى، مفتوحة الأبواب أو مغلقتها، والأجر في ذلك عند الله إذا صفت نيته على علمها من جهة وعلى العمل بما علم من جهة أخرى، وقل من تيسرت له الأجرة الدنيوية على تعليمها والإنخراط بسلكها.

وغالب الخائضين في هذه العلوم الدينية إذا لم يسلك مسلك أهل التحلية يكون مبتلى بالعجب بالنفس، فيرى لنفسه استحقاق كل مكرمة وكرامة، وكثير من المغرورين ممن لهم الإلمام بشيء من هذه العلوم الدينية يشمخ بأنفه في العموم، وكأنه يرى أن مفاتيح الجنة بيده لمن قبلها أو وضع في كفها دريهمات، وهو غافل عن كونه ولو احتاج إلى ما يسد به رمقه فإنه لا يسمنه ما لديه من تلك العلوم ولا يغنيه من جوع، فهو في مرتبة العالة على الناس، لأن العلم الذي عنده إنما هو علم ديني لا يتوصل به صاحبه لأغراض دنيوية إلا من الباب الذي ذكرناه آنفا.

وكثير من الناس لا غرض لهم بعلوم الديانة. وإذا ساعده الحظ بتعيينه في القيام في وضيف شرعي، فإن الأجرة التي يستخلصها من أجل ذلك فهي من باب ما لا يتأتى لكل أحد، زد على ما في ذلك مما ينوط به فيه هل هو سائغ له أخذه أو لا ؟ مع أنه لو لم يلحظه السعد الذي صادفه لبقي غير موظف، ولا مستخدم مثل كثير ممن علموا أكثر منه وهم غير موظفين.

---

(6) سورة الزمر، الآية : 9.

فالأولى حينئذ للعالم ولطالب العلم أن يضيف لعلم الديانة علما فأكثر من فنون الصنائع، فيعمل للارتزاق من باب أبوابها، فيستخلص الأجر على ما صنعه، أو الربح فيما تعاطاه من تجارة ونحوها، مع الأمن على نفسه من التعرض للعقوبة الأخروية التي يتعرض لها آخذ الدنيا بما يتعلمه من علوم الدين.

ومادام عالم الدين لا حرفة له فإنه يكون عند غير من موه عليهم بعلمه موسوما بالطمع، وربما يكون في غالب الأحيان عند من يتبركون به ثقيلا عليهم غير منتفع به، ولا نفع للناس إلا بمن قام بما يليق بعمران دنياهم من أهل الحرف والصنائع، وقد قال العلامة المناوي(7) رحمه الله في شرح الجامع الصغير لدى قول النبي (ﷺ) : إن الله يحب العبد المحترف، ما نصه بعد كلام : ومن لم ينفع الناس بحرفة يعملها فإنه يأخذ منافعهم ويضيق عليهم معاشهم، فلا فائدة في حياته لهم، لأنه يكدر الماء ويغلي الأسعار.

ولهذا كان عمر رضي الله عنه إذا نظر إلى ذي سيما سأل عنه أله حرفة ؟ فإذا قيل لا سقط من عينيه، قال ومما يدل على قبح من هذا صنيعه ذم من يأكل ماله بنفسه إسرافا وبدارا، فما حال من أكل مال غيره ولا ينيله عوضا، ولا يرد عليه بدلا، قال العارف بالله سيدي إبراهيم المتبولي(8) : حكم الفقير الذي لا حرفة له كالبومة الساكنة في الخراب ليس فيها نفع لأحد، ولما ظهر المصطفى (ﷺ) بالرسالة لم يأمر أحدا من أصحابه بترك الحرفة إلى آخر كلامه.

وقد تعاطى النبي (ﷺ) حرفة التجارة في مبادئ أمره، ولذلك كانت من أطيب الكسب لمن عمل بعلمه فيها، فهو عليه الصلاة والسلام يقول : إن أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يطروا، وإذا كان عليهم لم يمطلوا، وإذا كان لهم لم يعسروا، كما أن الأنبياء عليهم السلام قبله تعاطوا حرفا غير مخلة برفع الهمة، فمنهم من تعاطى حرفة البناء، ومنهم من تعاطى حرفة التجارة، ومنهم من تعاطى صنعة لبوس، فألان له الحق الحديد، وغير هذا من نحو الحراثة والخياطة وما هو من هذا القبيل مما يدخل تحت قول الله : "ولا تنس نصيبك من الدنيا"(9)، وكذلك الصحابة رضوان الله

---

(7) محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي المصري، توفي بالقاهرة عام 1031هـ. له أكثر من ثمانين مصنفا، منها التيسير في شرح الجامع الصغير للسيوطي، وفيض القدير في شرح الجامع الكبير للسيوطي، والكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، وتيسير الوقوف على غوامض أحكام الوقوف، والفتوحات السبحانية، وغير ذلك من التآليف الكثيرة، أنظر ترجمته في فهرس الفهارس للكتاني ص 560 رقم الترجمة 319 وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 204 وفي الخطط التوفيقية لعلي مبارك ج 16 ص 50 وفي خلاصة الأثر للمحبي ج 2 ص 412-416. وفي معجم المطبوعات لسركيس 1798.

(8) إبراهيم بن علي بن عمر الأنصاري المتبولي، من أعلام الصوفية بمصر، توفي بسدود بالمنوفية عام 877هـ وبها دفن، أنظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 2 ص 83 رقم الترجمة 322 وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 52 وفي الضوء اللامع للسخاوي ج 1 ص 85.

(9) سورة القصص ، الآية : 77.

عليهم، فجلهم أصحاب الحرف إلا ما كان من بعضهم ممن تقاعدوا قيد حياته(ﷺ) عن تعاطيها لأسباب مثل أهل الصفة من فقراء المهاجرين وغيرهم، وقد اقتدى بالصحابة في ذلك جم غفير من علماء السلف والخلف ممن يضيق الوقت عن تعدادهم.

ولنكتف بذكر قضية واحدة في كون علماء الأمة كانوا يضيفون لعلمهم تعاطي حرفة يستخلصون بها أجورا لضرورياتهم من غير اعتمادهم على مجرد كونهم علماء، فإن القاضي عبد الوهاب البغدادي(10) العلامة الشهير كان عارفا بصنعة الصياغة، ولما ضاقت به المعيشة ببغداد خرج منها قاصدا مصر، فخرج لتوديعه نحو مائتي عالم من أرباب الطيالس المعمرين للمدارس والمجالس، فكان مما قال لهم : والله يا أهل بغداد لو وجدت من يتكفل لي برغيفين يوميا ما فارقتكم، فلم يجبه أحد متأسفين على فراقه، ولما وصل إلى مصر فارغ الجيب، قصد محل الصياغين عسى أن يجد أجرة عملية يقوم بها من حرفته، فصادف أمينهم وبيده سوار من عمل بغداد يعرضه على أنظار المعلمين ليصلحوه، وكلهم يقولون هذه صناعة بغدادية، وأيس الأمين المذكور من إصلاحه، فقال له العلامة عبد الوهاب البغدادي وهو في ثيابه المغبرة : إذا أعطيتني أجرة أعمل لك عملية أحسن من هذه الصنعة، لأنني معلم ببغداد، فذهب الأمين به إلى محله، وأحضر له المواعين وما يحتاج إليه، ولما مكنه منه كاد أن يطير عقله فرحا به، وذهب به للأمير وأخبره بأنه حيث لم يجد معلما عمل العملية بنفسه، فشكره على ذلك.

ثم إن صاحبة السوار اقترحت على الأمير بتكليف الأمين بتجديد السوار الثاني، فأمره بذلك فبحث الأمين عن سيدي عبد الوهاب البغدادي فلم يجده، وكان سيدي عبد الوهاب البغدادي قد اشترى بتلك الأجرة لباسا يناسب زي العلماء، واغتسل بالحمام، ودخل للمسجد فانكب عليه العلماء، ولما طال بحث الأمين عليه وجده بالمسجد والعلماء محيطون به، فكبر في عينيه ولم يتجاسر على مفاوضته، فعلم عبد الوهاب البغدادي أنه في حيرة، فأشار إليه، ثم أخبره بما وقع، فجبر خاطره وذهب معه إلى محله، وعمل له عملية الثاني، وكتب في دائرته :

(10) عبد الوهاب بن علي بن نصر التغلبي البغدادي، ولد ببغداد عام 362هـ وهو من أكابر فقهاء المالكية بالعراق، رحل إلى مصر فعلت فيها شهرته، وبها توفي عام 422هـ، وله رحمه الله تآليف عديدة في الفقه، منها : عيون المسائل، والتلقين، والنصرة لمذهب مالك، والإشراف على مسائل الخلاف، وشرح المدونة، وشرح فصول الأحكام، وغرر المحاضرة ورؤوس مسائل المناظرة، وغيرها من تصانيفه الكثيرة : وهو صاحب البيتين المشهورين :

بغداد دار لأهـل المال طيبـة ... وللمفاليس دار الضنك والضيـق

ظللت حيران أمشي في أزقتها ... كأنني مصحف في بيت زنديق

أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 103 رقم الترجمة 266 وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 184 وفي طبقات الفقهاء للشيرازي ص 143 وفي البداية والنهاية لابن كثير ج 12 ص 23 وفي فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج 2 ص 21. وفي شذرات الذهب لابن العماد ج 3 ص 223 وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 775 رقم الترجمة 424 وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 236 رقم الترجمة 554 وفي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج 4 ص 276.

مصائب الدهر كفي　　　　إن لم تكفي فعفي
خرجت أطلب رزقا　　　　وجدته قد توفي

ودفعه له، فكان ذلك سبب تعرف الأمير به واشتهار أمره.

ولقد كانت همم طلبة العلم عالية عن تعاطي سفاسف الأمور بما يحصلونه من العلوم أو يطلبونها، ويأنفون من أن يقرؤا علما منها لنيل وظيف من الوظائف الشرعية فضلا عن غيرها، فاستحالت صهباء نخوة العلم لسكرة حب التوظيفات المخزنية، مما كاد أن يصير به طلبة العلم لا قصد لهم سوى الإنخراط في سلك الموظفين والمستخدمين بطلب العلم، مما يتشوقون لتحصيله بفتح آذان لسماع فراغ أي منصب بانتقال الموظف فيه بموت ونحوه، فتتقاطر مكاتب طلب التوظيف فيه على الإدارة التي رأت من المصلحة إلزام الطلاب للمبارة فيه، وليس من المتعين على المخزن الشريف توظيف جميع طلبة العلم مما زاحمهم فيه أيضا غيرهم، بما استلفت الأنظار إلى تمكن حب الوظيف ولو بأقل مرتب :

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم　　　　ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا　　　　محياه بالأطماع حتى تجهما

فالأولى لطلبة العلم أن يرفعوا مناصبهم برعاية رفعة منصب العلم، ويتعاطوا فنون الصنائع النافعة لهم ولأبناء جنسهم، ويتداركوا ما هم عليه من القصور والتقصير، فمن منهم زاحم المخترعين في اختراع شيء ينفع الأمة، أين منهم من يعمل حتى كأسا من الزجاج أو إبرة خياطة، ونحو هذا مما استقل النفع به الأجانب، فأين نحن من هؤلاء(11).

ولكل صنعة قواعد ومسالك، وأمكنة وأزمنة وغير ذلك، وقد انفتحت في وجوه الطلبة مدارس الصنائع والعلوم والفنون الجمة، مما يحصل لمراعيها في العمل بمقتضاها النتائج المهمة بعد معرفة الحكم الشرعي المنوط بها، للعمل بقاعدة : لا يحل لا مرئ مسلم أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله تعالى فيه.

وقد تداخلت الدخلاء في تعاطي الحرف بالغش فيها، وقد كان عمل السلف الصالح على مقاومة الغش بتفويض النظر لصالح المحتسبين الفقهاء بالدين، فكان الأمر على منع كل من لا يعرف شيئا من الخوض فيه، ولا يبيحون تعاطي البيع والشراء إلا لمن يعرف ما يحل من ذلك وما يحرم منه، فكانوا يضربون على يد من لا يميز في المبيعات بين الربويات فضلا عن تعاطي الربا، وقد صار الناس منذ زمان لا يبالون من أين اكتسبوا الأموال، فانقلبت الأحوال بما أشهر التجار فيه الحرب على الحق بتعاطيهم للربا جهارا، كما أشهر طلبة العلم عليه الحرب بمعاداة أوليائه، والله غالب على أمره،

(11) المراد من هذه المسامرة تشجيع الشباب على النهوض بالصناعة الوطنية وتطويرها، لمواكبة التقدم التكنولوجي الكبير الذي وصلت إليه دول كثيرة، كفرنسا وأنجلترا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية، وهي دعوة صريحة لتوظيف العلم واستخدامه كسلاح جاد في النهوض بالصناعة المغربية والرفع من مستواها المتدهور وقتذاك، وهي نفس الطريقة التي سلكها الأوربيون وغيرهم لإدراك ما أدركوه من تقدم اقتصادي كبير، وأخذ رحمه الله الحرف الصغيرة كنموذج ومنطلق للعمل على ازدهار الصناعة الوطنية ورقيها لمصاف الصناعات المتطورة، كما بين من خلال مسامرته هذه ما للحرف والصنائع من قيمة معنوية ليست في غيرها من الوظائف.

ولولا أن الحق سبحانه قيض لتدارك الأمر في هذا القطر المغربي ملكه المفدى، سلالة المجد الشامخ، سلطاننا المحبوب، سيدي محمد(12) أيده الله لا تسع الخرق على الراقع.

وقد سنح لي أن أختم هذه العجالة بقصيدة كنت استعملتها بمناسبة عقد جمعية أوقاف الحرمين الشريفين لجلستها المنيفة بالأعتاب الشريفة، متعرضا فيها لمدح سلطاننا المعظم، وهي وإن فات إبان إنشادها بين يدي ملكنا المحبوب، فإلقاؤها الآن على هذا المذياع من الأمر المطلوب، ونصها باختصار :

قف هاهنا بتـأدب وحيـــــــاء   فلمن يحل هنا كمـال هنـــــاء

فمليكنـا مجلـى الجمال اليوسفــــــي هنا تجلى فـي جـلال بهـــــاء

لله من ملك مـراع فـي رعيتـه الـــــــولاء ولـم يكـن بمـــــراء

قد أجمعت أهل النهى وذوو العلا   ء على كمال علاه دون مـراء

وبحسن سيرته وطيب سريـرة   ظهرت له منهم جميل مـــرائـــــي

ملك تربع فوق عرش جـــدوده   بكمال الاستحقاق في الكبـــراء

ورث الخلافـة عنهـم فانقـادت العليـــــا لـه بمجـرد الإيمـــــاء

جاءته في عز بلا طلـب لهـــا   بعناية حفتـه دون عنـــــاء

في دولة علـويـة علـويـــــة   بعلوها ظفرت بكـل عـــلاء

جازت ثلاث مئين وهي تزيد ما   لا حصر فيه لطالبي الإحصاء

بمليكنـا وبنسلـه دامـــت ودا   م لها السرور بسائـر الأنحـاء

يتوارثون الملك عنه بطـول عـمـر فيـه للعمـران كـل هنـــــاء

والله ساق إليـه أكبـر دولـــة   رقت رعايـاه على العليـــاء

العلم هذبها ففاقت فـي التمـدن سـائــــر الحكـام والحكمـــــاء

والعلم أفضل ما اقتناه أفـاضـل الأجنــــــاس فـي الضراء والســراء

فيه صلاح الدين والدنيا ومـــا   في الجهل من خير لدا العقلاء

من رام يصلح قـومـه فعليـه بالتعليــــم فهـو لهـم من النصحـــــاء

(12) السلطان مولانا محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمن العلوي، ملك المملكة المغربية، ولد بفاس عام 1329هـ، وبها وبالرباط تلقى تكوينه العلمي، وبويع له بعد وفاة والده سنة 1346هـ، وله رحمه الله إنجازات كبيرة في حقل التنمية الوطنية بالمغرب، ونظرا لتأييده بمطالب الحرية والإستقلال لبلاده أقدم الإستعمار الفرنسي على نفيه صحبة عائلته لجزيرة مدغشقر عام 1372 هـ، وبعد ذلك انطلقت بربوع المملكة المغربية ثورة شعبية عارمة أسفرت على إجبار الإستعمار الفرنسي بإعادة السلطان سيدي محمد الخامس من منفاه إلى عرشه، ومنح بلاد المغرب استقلالها سنة 1375هـ-1956م، وتوفي الملك سيدي محمد الخامس عام 1380هـ-1961م أنظر ترجمته في تاريخ المغرب لمحمد بن عبد السلام بن عبود ج 2 ص 146-161-192، وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 158.

فالعلم أقرب للصلاح بأهلـــــه ولو أنهم كانـوا بني غبــراء
ما كان إصلاح بلا علم لمـــــن يبغي ظهور كرامـة الصلحاء
إن علموا الوحش استغلوا نفعــه فضلا عن الإنسان في النبهاء
والجهل يكفيه انحطاطـــا أنـــه لم يرضه أحد من الجهـــلاء
فيزاحم الأعلام في أزيائـهـــــم والعلم ليس يكون بالأزيـــاء
والعلم يرفع قدر مملوك إلــــى رتب يعد بها من الشــرفـــاء
والعلم في بيت النبوءة زادهـــم شرفا على شرف لدا السعداء
أعلامهم أعلامهم منصـــــورة منشورة فوق العلا لعـــلاء
ولقد كلفت بحبهم طرا بـمـــــا نالوه من قرب من الزهـــراء
قل للذي يبغي العلو على بني الزهـــــرا ولو بعلومه وسخـــــاء
لا لا تفوق للعلي من غيرهـــــم عن جاهليهم في سنى وسنــاء
هم خالص الذهب المصفى لم يشب بالنقص عند تحقق الأشيـــاء
آل النبي أجل من وطئ الثـــرى بعد النبي والجلة الخلفـــاء
هم آله والآل سادات الــــــورى وهم الأمان لأرضنا وسمـــاء
شرف لهم ذاتي وفضل سواهـــم عرضي فما لهم السوى بسواء
لم لا وهم أهل الولاء حقيقـــــة والأولياء لهم من الخدمـــاء
يزداد حبا فيهم أهل الـهـــــدى من سائر الصلحاء والعلمـــاء
وأزف بكر الفكر بين ذوي الثنـــا لمليكنا وكفى القبول جزائـــي
وكأنني في مدحه أديت واجب مـــــــــدح آل البيت أهل ولائــــي
إني أغار على المديح وصوغــه في غيرهم بقصيدة غـــــراء
بل لا أرى الموزون والمزدان إلا ما تجلى فيهم بثـــنـــــاء
ولو أنني استغرقت عمري في الثنا ء عليهم لعجزت بعد عنـــاء
وبمدحهم طاب الغناء لدا السمـــا ع وعن سواهم فيه تم غنـاءي
والشعر يبخس سعره في غيرهـم ومديحهم ما فيه من إطـــراء
ما ضاع شعر فيهم قد قلتــــه لكن بهم قد ضاع أوج فضائـي
والشعر ما استعصى علي لأنني حسان مدح الآل في قرنـــاء
والشعر ما قد وافق الأذواق في الأدواء والأهوال في الأهـواء

ما هو إلا السحر يلعب بالنهى	أو ما نموه لسطوة الصهبـــاء
ولكل مفتتن به في قرضــــــه	جن يقال له أخو الشعــــــراء
كم رمت أهجر قرضه حتى المشيـــب فزاد بي في مدحهم إغرائــــــي
ورأيت جني خادما لجنابـهــم	يرتاح للإنشاد والإنشــــــــاء
فعلمت أن الخير لي في مدحهم	في حال قربي منهم وثنائـــــي
ولي الهناء إذا هم قبلوا ثنائـــي	فيهم وبهم كمال هنائـــــــــي
والله يبقي في كمال عنايـــــة	من فيه تم لنا جميل رجائـــــي
خير الملوك مليكنا وبنيه أولي المــجــــــد بين الناس في الأمــــــراء
لا سيما منهم ولي العهد قـــرة	أعين الأبـنــــــاء والآبـــــاء
كل الرعية تسأل المولى بـــأن	يرعاه يرفل في رداء رضـــاء
ويزيد مولانا المليك تمتعـــــا	بكمال عافية وطول بـــقـــاء

أحمد سكيرج

أمنه الله

مسامرة إذاعية من إلقاء العارف بالله العلامة القاضي الحاج أحمد سكيرج

ألقاها على أمواج (راديو المغرب) تحت عنوان : الإنتقاد الإصلاحي

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وكل من والاه، والنصر والتمكين والفتح المبين لمولانا أمير المؤمنين زاد الله في معناه، وبلغه في الدارين متمناه، وهذا دعاء للبرية شامل،

أما بعد، السلام عليكم أيها السادة المستمعون، فقد دعيت في هذه المرة لإلقاء كلمة حرة، فترددت في الموضوع الذي أطرق بابه، وأصادف فيه الإصابة، حيث أن المسامرة على اختلاف أنواعها معروضة لانتقاد المنتقدين، وصاحبها لا يخلو من مادحين وقادحين، ولا ينجو أحد من الخلق، ولو أصاب الحق.

وإذا تحقق الشخص بأنه غير موصوف بالكمال، لم يواخذ المنتقدين عليه بحال، لا في الأقوال ولا في الأفعال، إذ لم يكن صاحب حظ نفساني، ولا بعالم حقاني، وقليل من قليل من أذعن لأهل عصره، لا سيما من كان من أهل مصره.

أولع الناس بامتداح القديـــم	وبذم الجديد غير الذميم
ليس إلا لأنهم حسدوا الحي	ورقوا على العظام الرميم

لا سيما من كان ذا مزية جليلة، أو خصلة جميلة، من تأليف ونحوه، ولذاك قيل من ألف فقد استهدف.

فيتعين عليه تطمين نفسه باطمئنان صدره في وروده وصدوره، إن كان عارفا بقدره غير جاهل بأموره، وقد ورد في الحديث الشريف : عاش من عرف قدره، وكان يزيد فيه بعض شيوخنا مما لا ينافي معناه فيقول : عاش من عرف قدره، وقدره ما يطيب فيها، ولا شك أن كل كلام فيه المردود والمقبول، إلا كلام الرسول، عليه الصلاة والسلام، عند العارفين من الخلق، ولا كلام مع المكابرين في الحق. وما على السادة المسامرين المنتقد عليهم إلا أن يذعنوا للحق الواضح، فإن الحق لجهل المعاند فيه فاضح، والرجوع إلى الحق حق كما يقول الخليفة الثاني سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رسالته لأبي موسى الأشعري(1) رضي الله عنه :

---

(1) أبو موسى عبد الله بن قيس بن سليم الأشعري، صحابي جليل، أحد الحكمين اللذين رضي بهما علي كرم الله وجهه ومعاوية بعد حرب صفين، ولد في زبيد ببلاد اليمن عام 21 ق هـ، وقدم مكة عند ظهور الإسلام، فأسلم، وهاجر إلى أرض الحبشة، ولما استتب الإسلام ببلاد الحجاز وفد على النبي صلى الله عليه وسلم على زبيد وعدن، توفي رحمه الله عام 44هـ، أنظر ترجمته في الإصابة لابن حجر العسقلاني ع 4889، وفي طبقات ابن سعد ج 4 ص 79، وفي حلية الأولياء لأبي نعيم ج 1 ص 256، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 114، وفي غاية النهاية لابن الجزري ج 1 ص 442.

ولا يمنعك قضاء قضية بالأمس ثم راجعت فيه نفسك، وهديت فيه لرشدك، أن ترجع إلى الحق، ومراجعته خير من الباطل والتمادي فيه، وفي معناه يقول محنض الديماني(2) :

ليس من أخطأ الصواب بمخط	إن يؤوب لا ولا عليه ملامه
إنما المخطئ المسيء الذي إن	وضح الحق لج يحمي كلامه

ومع ذلك فتحسن الأسوة بالمنتقد عليهم من المؤلفين المعدود في زمرتهم غالب المسامرين، وقد طرقوا في إذاعاتهم السالفة في هذا القطر المغربي وغيره في أبواب مختلفة المواضع والموضوعات، ما قرطوا به الآذان، وشنفوا المسامع في سائر الجهات، على اختلاف لغاتهم المسموعات.

وكأن المذياع منبر عام للخطب، أو مجلس علم يحضره ذووا الأدب، غير أن جل المسامرين لم يبلغهم انتقاد المنتقدين عليهم في ظهر الغيب، فيجيبونهم بإنصاف من غير اعتناف، ليعم النفع بالانتقاد الإصلاحي، ولم نسمع بمن تعرض لذلك إلا قليلا من قليل، وإن كان البعض من المسامرين يشير إلى شيء مما يستحق الإصلاح، من غير إفصاح ولا إيضاح.

ولقد انتقد علينا في مسامرتنا السالفة التي موضوعها (العلوم والصنائع) بعض الناس في التنويه بالحرف والحث على تعلمها وتعاطيها لمن يريد تحصيل المنافع، قائلا : أن فيما قلناه تزهيدا للناس في طلب العلم، مع ما في ذلك من التعرض للحط من قدر الموظفين من سائر المناصب، على اختلاف الطبقات بالشتم والذم، وقد أدخل علينا هذا المنتقد سرورا كبيرا بانتقاده، وإن لم نوافقه على مراده، لأن الانتقاد لا يخلو من فائدة تستفاد، سيما إن يكن من عالم منصف، أو عاقل غير متعسف، في حال الإيراد والرد، والوقوف بالجد عند الحد، وهو طريق كما قلنا مطروق للأعلام، الناشرين للعلم الأعلام.

وما مقصودنا بالحث على تعلم الحرف وتعاطي الصناعة إلا النصح لطلبة العلم الذين يريدون التحصيل على مرتبات تكفيهم قضاء الضروريات، وإن كان العلم يسوق صاحبه إلى ما فيه نفعه دنيا وأخرى عاجلا وآجلا(3)، كما يقول أبو حامد الغزالي فيما يوثر عنه : طلبنا العلم لغير الله فأبى العلم أن لا يكون إلا لله.

---

(2) سيدي محنض بابه بن اعبيد الديماني الشنقيطي، من خيرة علماء وأدباء شنقيط، له مؤلفات جليلة تقارب الثلاثين مصنفا، في الفقه والحديث واللغة والأدب والمنطق، وغير ذلك، توفي رحمه الله عام 1277هـ، وعمره 120 سنة، أنظر التعريف به في روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلوي الشنقيطي، رقم الترجمة 38، وفي الوسيط في تراجم أدباء شنقيط لأحمد بن الأمين الشنقيطي ص 236، وفي فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي، بتحقيقنا عليه، رقم الترجمة 53، وفي نخبة الإتحاف لنفس المؤلف رقم الترجمة 384.

(3) يشير رحمه الله من خلال هذا التبرير إلى حاجة طالب العلم للاحتفاظ بماء وجهه، وذلك بالتعفف عن الناس وعدم مبالاته بما في أيديهم من دراهم وغيرها، ولا يكون ذلك إلا بالإحتراف لمهنة تساعده على القيام بمتطلباته الوقتية المتعددة، وهذا خير له وأحسن من أن يكون عالة على غيره، كما يساعده على التركيز في دروسه وإبعاد الوسوسة والتشويش فيه، وعلى هذا المنهج كان الصحابة وغيرهم من أكابر التابعين المشتغلين بتحصيل العلوم والفنون، والحقيقة أن من طالع مسامرة العلامة سكيرج حول العلوم والصنائع يتبين له جليا أن دعوته فيها لم تقف عند هذا الحد، بل تجاوزته هادفة للعمل على الموافقة بين العلم والصناعة، لأنهما في نظره وجهان لعملة واحدة، واليوم ونحن نعيش بداية القرن الواحد والعشرين الميلادي يظهر لنا بجلاء مدى نجاعة هذه المسامرة التي سبقت أوانها بما يقارب قرنا كاملا.

فما على طالب العلم إلا أن يتعلمه، ولا يضره إذا أضاف إلى معلوماته تعلم حرفة، أو تعاطي صنعة تقضي بما يستنتجه منها الضروريات، بغير حط من قدره وقدر علمه، وفي الحديث : ليس منا من لم يتعاظم بالعلم. قال العلماء في معناه : ليس على طريقتنا وسنتنا من لم يعلم أن العلم معظم، ولا يعظمه إلا برفع نفسه عن الطمع ونحوه، وما بسقت أغصان ذل إلا على بزر طمع، ولا يضعه في غير محله، ولله در العلامة الجرجاني(4) حيث يقول : مما يحق أن يتخلق به طالب العلم وبه يصول :

يقولون لي فيك انقباض وإنمـــا ... رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من دناهم صار عبدهم ... ومن أكرمته عزة النفس أكرمـــا
وما كل برق لاح لـي يستفزنـــي ... ولا كل من لاقيت أرضاه مغنمـــا
وإني إذا ما فاتني الأمر لم أبـــت ... أقلب كفي إثـــره مـتـنـدمـــــا
ولم أقض حق العلم إن كان كلمـا ... بدا طمع صيرته لي سلـــمـــــا
إذا قيل هذا منهل قلت قـــد أرى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظمـــــا
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتــي ... لأخدم من لاقيت لكن لأخدمـــــا
أأسقي به غرسا وأجنيه ذلــــــة ... إذن فاتباع الجهل قد كان أحزمـــا
ولو أن أهل العلم صانوه صانهـم ... ولو عظموه في النفوس لعظمـــا
ولكن أهانوه فهان ودنـــســـــوا ... محياه بالأطماع حتى تجهمـــــا

مع أن العلم معظم في نفسه لا يهان، ولذلك قرأ الإمام ابن السبكي(5) قول الجرجاني هنا (لعظما) مبنيا للفاعل وحذف المفعول، فقال لعظمهم، وكذلك يحسن في قوله (فهان) إسناد الفعل إليهم فيقال : ولكن أهانوه فهانوا، ولله در ابن عطاء الله حيث قال مما يرجع لما قلناه :

---

(4) عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، واضع أصول البلاغة، له مؤلفات منها : المغني، والمقتصد، ودلائل الإعجاز، وإعجاز القرآن، وأسرار البلاغة، والعمدة، وغير ذلك من الكتب الأخرى، وكانت وفاته عام 471هـ. انظر ترجمته في طبقات الشافعية لتاج الدين السبكي ج 3 ص 242 وفي مفتاح السعادة لطاش كبري زادة ج 1 ص 143 وفي مرآة الجنان لليافعي ج 3 ص 101 وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 48. وفي فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج 1 ص 297، وفي بغية الوعاة للسيوطي ص 310.

(5) تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن الكافي السبكي، ولد في القاهرة عام 727هـ، من اكابر فقهاء الشافعية، له مؤلفات منها : جمع الجوامع، وطبقات الشافعية الكبرى، والطبقات الوسطى، والطبقات الصغرى، ومعيد النعم ومبيد النقم، والأشباه والنظائر، وغير ذلك من التصانيف المفيدة، وكانت وفاته رحمه الله بدمشق بداء الطاعون عام 771هـ. أنظر ترجمته في الدرر الكامنة لابن حجر ج 2 ص 425 وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 184 وفي حسن المحاضرة للسيوطي ج 1 ص 182. وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 411 رقم الترجمة 892، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 1037 رقم الترجمة 586، وفي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج 11 ص 108. وفي شذرات الذهب لابن العماد ج 6 ص 221.

الله يعلم أنني ذو وهـمـــــــة تأبى الدناءة عفة وتظرفـا
لم لا أصول عن الورى ديباجتي وأريهم عز الملوك وأشرفا
أأريهم أني الفقير إلــيــهــــم وجميعهم لا يستطيع تصرفا
شكوى الضعيف إلى ضعيف مثله عجز أقام بحامليه على شفا
فاسترزق الله الذي إحســانـــه عم البرايا عفة وتلطــفـــا
والجأ إليه تجده فيما ترتـــجـــي لا تعد عن أبوابه متحرفـــا

وقد ذيلت هذه الأبيات بقولي ارتجالا هنا :

واستعمل الأسباب في استرزاقه واشغل يديك بحرفة لتشرفـــــا
لا تجعل العلم الشريف وسيلـــة تقضي بها ما رمته ممن جفـــا
فالناس قد جعلوا عليهم عالـــة من لا احتراف له ولو علم الخفا
إياك إياك التملــــق للـــــذي ترجوه واسطة لكي تتوظفـــــا
وارفع مقامك عنه بالعمل الـذي تختاره لك حرفة متعفـفــــــا
واسلك طريق توسط في كل ما تسعى إليه ولا تكن متطـرفـــا

فإن كل من كان من الطلبة والعلماء في غنى عن التملق على أبواب ذوي المراتب للتحصيل على مرتب، بالإعراض عنه بما يشتغل به من حرفة يرتزق بها من غير توقف عليهم، لكي يكون معظم الجانب عند الأباعد والأقارب، وإلا كان أزهد الناس فيه جل أقاربه وجيرانه، وهذا أمر معروف لدا من لم يكن موظفا في وظيف، ويزداد تعلق قلبه بالحبال الواهية، والمواعيد العرقوبية، حتى ينقطع بسيف السوف، ويرجع بخفي حنين بين رجاء وخوف، وقد يتقدم عليه غيره وهو عليه غير مأسوف.
وقد عرف المنتصتون المنصفون من حثنا على تعلم الصنائع وتعاطيها من طلبة العلم، أنه لم يكن فيه شيء من التزهيد فيه، ولا في أي خطة شريفة، وليس في تعلمه لنيلها بين ذوي الهمم المنيفة حط من قدره، وما أحسن المراتب ذات المرتب لمن انتصب فيها عفوا من غير طلب، ليعان عليها طبق ما ورد في الأثر.

على أن الوظائف كيف ما كانت باستغلال مرتباتها لا يستحقها إلا ذووا العلم، ولا ينبغي أن تنال إلا بالعلم، وقيمة الشخص عند ذوي الفهم إنما هي بقدر ما معه من العلم، وقد غلط من ظن أنها تنال بغير العلم لمن حصل عليها بواسطة، أو قاتل بسعد فظهر بها إلى ما شاء الله، فإن كل ذي مرتبة أو وظيف كيف ما كان مع جهله هو فيه كلابس حلة زور، وليس له من ذلك سوى الظهور القاصم للظهور، مادام السعد مساعدا له في استغلال مرتبها، وهو غير مستحق لها، وليس بعجيب

إعطاء الشيء لغير مستحقة، كما قال العلامة المكودي(6) في شرحه للألفية : فيمنع المستحق للشيء ويعطى لغيره، وقد ذكر أحد شيوخنا رحمهم الله أنه كان مستحقا لوظيف وقدم عليه فيه غيره ممن لا يستحقه فقال ذلك.

ومعلوم أن الوظيف المرتب عليه الأجرة لا يمكن المزاحمة فيه باستغلالها لاستقلال الموظف فيه دون غيره، إلا إذا قضت المصلحة لدا المسند له التوظيف، وذلك لا يتأتى لمتعدد الطلبة في وظيف:

وللسياسة حكم غير منتقد ... لدا ذوي العقل لا ولا بمنتقض
فرب مرتبة للمستحق لها ... لم يعطها وبها لمن عداه قضي

ولا يمكن توظيف كل مستحق لوظيف إذا كان غيره من المستحقين أيضا موظفا فيه، والغالب في الوظائف أنه لا ينتصب أحد في أي وظيفة منها إلا بعد فراغها من الموظف فيها. فإن القضاء مثلا كما يقوله الفقهاء صناعة، ولكن لا يتوظف فيه كل المستحقين له في حال تولية أحدهم في خطته، لأن المستحقين للقضاء لا يكونون كلهم قضاة في آن واحد، في محل واحد، وهكذا الشان في غيره من الوظائف، فإن السعد خادم لمن حل فيها(7).

وكم في العرس أبهى من عروس ... ولكن للعروس السعد ساعد

(6) عبد الرحمان بن علي بن صالح المكودي، إمام النحاة في عصره، ينتسب إلى بني مكود إحدى قبائل هوارة الذين مستقرهم فيما بين فاس وتازة، وهو آخر من درس كتاب سيبويه بفاس، وبعده صار العمل على ألفية ابن مالك، ومن مصنفاته : شرح مقدمة ابن أجروم، والبسط والتعريف في علم التصريف، منظومة، وشرح المقصود والممدود لابن مالك، ونظم المعرب من الألفاظ، وشرح ألفية ابن مالك، والمقصورة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، نحو 300 بيت، وغيرهم، وكانت وفاته رحمه الله بفاس في 11 شعبان عام 807هـ، ودفن بحومة الأصدع المعروفة الآن بفندق اليهودي، قريبا من باب الجيسة، إحدى أبواب مدينة فاس، أنظر ترجمته في جذوة الإقتباس ص 403 رقم الترجمة 410، وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 1 ص 187، وفي النبوغ المغربي لعبد الله كنون ج 1 ص 210، وفي الضوء اللامع للسخاوي ج 4 ص 97، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 318.

(7) يشير رحمه الله إلى أن الوظائف العمومية لا يمكنها استيعاب جميع ذوي الكفاءات العالية للتوظيف، لأن طاقتها محدودة قياسا مع الحرف والصنائع التي هي في حد ذاتها قادرة على توفير فرص العمل والنجاح لأكبر عدد ممكن من المتعلمين، فهم لا محالة جديرون بتطويرها والمضي بها نحو الرقاء والإزدهار، وبهذا يمكنها أن تعطي أكثر في جميع مجالاتها المتنوعة، وبالتالي فإنها بذلك تكون قد وضعت حدا للبطالة وما يتبعها من الفقر والمسألة والحاجة، ومن جراء ذلك ستستفيد الدولة وسيمكنها التغلب على مصاعب مستعصية أهمها إيجاد فرص العمل لآلاف الطلبة من ذوي المستويات العلمية المتفاوتة. والنقطة الأساسية التي يرمي إليها العلامة سكيرج من خلال هذا الموضوع هي إزالة العقليات المتخلفة التي تحصر عمل المتعلم في وظائف معدودة لا يمكن تعديها إلى غيرها، كالقضاء والعدالة والحسبة وما إلى ذلك. وفي الوقت نفسه تدعو إلى فتح آفاق جديدة يمكنها أن تساير التقدم الصناعي الهائل عند الدول الاستعمارية.

وصاحب الحرفة الذي يسترزق بها مع علمه أولى وأفضل وأكمل من جاهل، أو قريب من جاهل في الإسترزاق بالعلم أو بحرفة عن غير علم، أو بخطة لا يستحقها، على أن المحترف كيف ما كان منوه بشأنه في حديث : إن الله يحب العبد المحترف ويكره البطال(8)، وهو الذي لا حرفة له، أو يتركها تكاسلا عن العمل.

ومع ذلك فالعالم الذي يأخذ الأجرة مثلا على التعليم بالشرط لا ينالها إلا بسعد يلاحظه في التوظيف، وقليل من يشترطون الطلبة في محالهم، ولا ينتقد علينا في هذا الذي قلناه إلا من لا علم له بتردد كثير من أهل العلم على الأبواب في طلب الوظيف، الذي لم يساعدهم الدهر على الإحراز عليه. ولو كان مع كل من يتشوف منهم لمرتبة علم بصنعة من الصنائع الذي تقبل المشاركة مع من قام بها من نحو فلاحة وتجارة وحدادة ونجارة لاكتفى بها في الإسترزاق، مع رفع همة، حتى تقول له العناية: هات يدك.

فالإنتقاد على من ترك تعاطي الحرف من طلبة العلم يعد من قبيل النصيحة لله ولرسوله ولخاصة المسلمين وعامتهم، كما أن الإنتقاد على المؤلفين من مسامرين وغيرهم فيما ألفوه، والتنبيه على ما خالفوا فيه قاعدة من القواعد العلمية عن سهو أو غفلة أو جهل، والكمال لله، ولا ينقص من قدرهم إذا لم يقفوا فيه مع حظ النفس، أو عاندوا بما يلحقهم بصاحب الجهل المركب في المعنى والحس، كما تقدم لنا الإشارة إليه.

ولا يستنكف من الإنتقاد عليه في أخطائه إلا من يريد أن يزاحم الأنبياء في عصمتهم من الخطأ، أو يرى لنفسه الشفوف على غيره في الأخذ والعطاء.

ونحن نحب من ينتقد الأشياء بمعيار العلم الصحيح، وما يؤيده النص الصريح، وأما المنتقدون بغير علم فإنهم عند العارفين غير معذورين، وقد قيل في حق مثلهم : تكلموا تعرفوا، ولو سكت من لا يعلم لاستراح وأراح عند من يفهم، ولحصل التفاهم في التعلم والتعليم بين الخصوص والعموم، كما هو معلوم، ولعرف الجاهل قدر العالم بما هو جاهل له من سائر الفنون التي لا تحصى ولا تحصر، فإن العلم بحر عميق القعر كما قيل :

لن يبلغ العلم جميعا أحد	لا ولو مارسه ألف سنـة
إنما العلم عميق بحــره	فخذوا من كل فن أحسنه

على أن كل علم لا يخلوا المحققون له من معترضين عليهم إظهارا للحقيقة، والحقيقة بنت البحث :

وكم من عائب قولا صحيحا	وآفته من الفهم السقيم

---

(8) ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير، ج 1 ص 75 وعزاه للطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان.

وكثيرا ما طرق المسامرون أبواب فنون شتى، وما سمعنا من انتقد ما هو جدير بالإنتقادات، تنبيها للعالم وتعليما للجاهل كما قلناه.

ولا يعد ذلك تهاونا من إدارة الإذاعة، بل هو من باب إطلاق الحرية للمسامرين في اختيارهم لموضوعات مسامراتهم، من غير تحجير عليهم في تبليغ ذلك للمستمعين مما يقبل انتقادا ومالا يقبله. وبمثال واحد في هذه المرة من الإنتقادات المرة تظهر الصور الشوهاء المتجلية على مرآة المذياع، مما يتنفس منه الأدباء الصعداء، وهو ما يسمع من التنويه ببعض القصائد، وهي مختلة أو في غاية السقوط كلها أو بعضها، فيأخذنا الخجل حيث يكون المسامر مغربيا، وذلك مخافة تشويه سمعة أدباء المغرب لدا السامعين منهم ومن غيرهم من أدباء العصر، وتسجيل ذلك السقوط الأدبي على قائليه مدا الدهر(9).

ويسوءنا التنويه بما لا يستحق التنويه، فينسب العالم بذلك نسبة الجهل لهذا المسامر، ولأهل قطره الذين سكتوا بعدما له أنصتوا، وطار طائره على جناح الأثير، وعلى أعمدة الجرائد، وهو يستحق النكير، ولو تفقه وتعلم من لا يحسن القرض وعلم العروض لم يكن ضحكة فيما عنه علماء ذلك يسمعون، وقد قال بعض الناصحين :

لا تعرضن على الرواة قصيدة	ما لم تكن بالغت في تهذيبهـــا
إن لم تهذبها وشاعت بينهـــم	قالوا وساوس جئتهم تهذي بها

وذكر عن بعض الأمراء أنه قال من إنشاده لبعض الأدباء، مما نظمه من سخيف القول وظن أنه أتى بشعر، وقال له اسمع نظمي لأجيزك إذا أجزته، فقال له الأديب : أصلح الله الأمير وبارك في نباهته، قل لي شعرك فإني ممتثل أمرك، فقال :

أيها الفقيه المزدغي(10)	عن صلاتك لا تغفل

(9) يشير رحمه الله إلى أن النقد يجب أن ينبني على قواعده السليمة المصطلح عليها، وأما النقد من أجل النقد فلا شيء من ورائه إلا الإرهاق والتعب، وهو من باب قولهم خالف تعرف. وعلى الناقد أن تتوفر فيه الكفاءة، لأنها بمثابة الميزان والصنوج التي لا تعرف إلا من خلالها المقادير والأوزان، ويرى العلامة سكيرج أن الأدب المغربي زاهر، وسمعته كبيرة في شتى المحافل العربية، لكنه رحمه الله يبدي تخوفه من النقد غير البناء الذي يسيء من غير قصد لهذه السمعة التي بناها أكابر العلماء والمفكرين والأدباء، والحل في نظره هو بناء النقد على أسس فعالة بعيدة عن التهور والإنحياز، ولا يكون ذلك إلا بإتيان البيوت من أبوابها، مع اشتراط الكفاءة والموهبة الكافية لذلك.

(10) الفقيه العلامة محمد بن يوسف بن عمران المزدغي، من علماء فاس من مصنفاته : أنوار الأفهام في شرح الأحكام، ولي الخطابة والفتوى بجامع القرويين بفاس مدة غير قصيرة، وكانت وفاته ليلة الأحد 14 ربيع الأول عام 655هـ، ودفن بروضة سلفه من باب الفتوح بفاس. أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 199 رقم الترجمة 676. وفي جذوة الإقتباس لابن القاضي ص 222 رقم الترجمة 190، وفي سلوة الأنفاس للكتاني ج 2 ص 38.

فقال له الأديب : إن هذا القول ليس بشعر، وهو ليس بمنظوم، فقال الأمير ويحك تذم كلامي، وتخسر ميزان نظامي، وأمر به إلى السجن، ثم راجع الأمير نفسه في شعره البديع، وظهر له أن المصيبة فيه جاءته من ناحية الضرب للقافية، فزاد فيه ما يستحق الضرب على القافية، فأحضر السجين لديه وقال له : نظرت فيما قلت، وظهر لي أن الصواب معك لتسمع مني ولا يخيب فيك ظني، فقال : قل، فقال :

أيها الفقيه المزدغي — عن صلاتك لا تغفل غ

فقال له الأديب : آه ثم آه ردني لحبسي، قبل أن تفيظ نفسي، وأفقد حسي، وهكذا الشأن فيمن يتعشق أن يكون في زمرة قوم لا يحسن ما يتقنون ولا يذعن لتعلم ما يعلمون، ولا يقبل النصح ممن ينصحون، ويظن أنه على علم وهم له يحسدون، فهو لا يقبل التعلم ولا التفهم إلا إن أخذت العناية بيده بالتوفيق لنيل مقاصده.

كما وقع في قضية حدثني بها مفيدنا العلامة الرئيس سيدي الحاج عبد الكريم بنيس(11) رحمه الله بأنه كان في عنفوان شبابه يتعاطى التجارة بمكناسة الزيتون، في قراض بينه وبين شيخ الجماعة بفاس العلامة سيدي الحاج محمد بن المدني كنون(12) صاحب اختصار تعليق العلامة الرهوني على شرح الشيخ عبد الباقي الزرقاني رحم الله الجميع، وكان له بيت بالمدرسة كباقي طلبة العلم بها، وقد كان هناك مع الطلبة شريف زرهوني يجتمع عليه الطلبة لينشدهم من شعره الذي كان مفتتنا به وهو في غاية السقوط، فيضحكون من حيث يظن أنهم يستحسنون ذلك، مع جهله بعلم العروض. وقد دخلت الغيرة عليه من شيخنا المذكور لكونه شريفا، مع عدم شعوره بسخريتهم بشعره، وهو من جهله المركب راكب فيه على شر مركب، وكلما رام نصيحته خاف فضيحته، حتى دعته النجدة للأخذ بيده، فدعاه إلى بيته من المدرسة واختلى به، وأبدى له ما يختلج في صدره من الغيرة عليه، فكاد الشريف أن ينهض في وجهه، واتهمه بالحسد، فيما لهم أنشد، فلاطفه الشيخ إلى أن قال له : الدليل على صدقي لك في نصيحتي أن تتحقق بأن الشعر له ميزان خاص بأوزان مخصوصة، فهل لك علم به لتقول لي رعاك الله من أي بحر أبياتك، وما هي التفاعيل التي وزنت عليها، وكيف تقطعها، ومن أي عروض وضرب منها، وما هو الزحاف الذي يسوغ في أجزائها منفردا أو مزدوجا، وما هي العلة الملازمة

---

(11) سبق التعريف به في ج 1 ص 40 من هذا التأليف.

(12) العالم العلامة الشهير، والفقيه الحافظ الكبير، أبو عبد الله سيدي محمد بن المدني كنون، ولد بفاس، وبها درس العلم على أكابر علمائها كسيدي الوليد العراقي، والفقيه ابن عبد الرحمن، والطالب ابن الحاج، وأحمد المرنيسي، وعبد السلام بوغالب، وغيرهم. وله رحمه الله تآليف كثيرة أشهرها كتاب الإختصار على حاشية الرهوني على بناني على مختصر الشيخ خليل، وكتاب التسلية والسلوان لمن ابتلي بالإذاية والبهتان، ونصيحة النذير العريان في التحذير من أهل الغيبة والنميمة والبهتان، ونصيحة ذوي الهمم الأكياس فيما يتعلق بخلطة الناس، والدرر المكنونة في النسبة الشريفة المصونة، وغير ذلك من التآليف الأخرى، وقد أخذ رحمه الله الطريقة الأحمدية التجانية عن الولي الصالح البركة سيدي عبد الوهاب بن الأحمر الفاسي الأندلسي، لكنه لم يكن من المتظاهرين بها، ولدي من وثائقه ما يثبت ذلك لمن أنكرها. وهو بإجماع الكثير من المحققين واحد من أكابر علماء العالم الإسلامي في وقته، توفي رحمه الله ليلة الجمعة فاتح شهر ذي الحجة الحرام عام 1302هـ. أنظر ترجمته في النبوغ المغربي لعبد الله كنون ج 1 ص 297، وفي معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي ج 1 ص 167، وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 94، وفي معجم المطبوعات لإليان سركيس 716، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 429 رقم الترجمة 1692، وفي سلوة الأنفاس للكتاني ج 2 ص 364، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 361، وألف في حقه العلامة سيدي محمد بن محمد المشرفي كتابا سماه : الدر المكنون في التعريف بشيخنا محمد كنون.

لها، ونحو ذلك من قواعد الفن، فسقط ما بيد الشريف، وتحقق شيئا ما مما نصحه به، ولكن بقي على شك من أمره بما يراه من تنويه أولئك الطلبة به.

ثم زاد الشيخ في ملاطفته بإبداء النصيحة له مرارا مدة أيام، وطلب منه إحضار شيء من نظمه ليطلعه على اختلال وزنه، فأتاه بآخر ما نظمه من مستملحاته عند الطلبة بزعمه، فتبين له منها ما صار يدخل به التنبه عليه شيئا فشيئا، حتى تحقق بالنصيحة، فأخذ عنه الفن بالتلقين، ورجع من الشك لليقين، واستكتمه الشيخ بترك التظاهر بالمعرفة، إلى أن صار على بصيرة من أمره، مجيدا في قرض شعره، فأظهر من هنيهاته لأولئك الطلبة ما بهرهم به، حتى قالوا له من فرط الإعجاب : شاعر كذاب، ما هذا بشعرك المألوف، وأجلسهم بين يديه، وصيرهم ضحكة لديه، وقال لهم : ثكلتكم أمكم فإني قرأت علم العروض، وقمت بواجبه المفروض، فدعوا عنكم السخرية، في أموركم السرية والجهرية، فعرفوا قدره، وشكروا الشيخ فيما ملأ به من العلم صدره، وكم لهذا الشريف من نظير، وقل من يعمل عمل شيخنا المذكور، وهو عمل مشكور، والله يعظم له به الأجور.

فالمتعين عن من لا يعرف علم العروض والقافية، وبالأخص علم القرض أن لا يدعي الشاعرية، ويجتنب قول الشعر بالكلية، لا في البسط ولا في القبض، ولو كانت له سجية تهيم به في كل واد، ويريد بها مزاحمة الشعراء في كل ناد(13).

فالشعر صعب وطويل سلمه ... إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

يريد أن يعربه فيعجمه

ولا يعتمد على سجيته بدون علمه متمسكا بقول بعضهم :

الشعر لا تدنيه خزرجيـــة ... وإنما يكون بالسجية

(13) الالتزام بالعروض من مميزات الشعر الواجبة عند أهله، وليست العروض وحدها كفيلة بقرض الشعر، بل يحتاج الشاعر من أجل ذلك لأدوات متعددة يستطيع من خلالها أن يعبر عما يريد التعبير عنه بجمالية النظم ورونقه، ولتسهيل ذلك على الطلاب أنشأ العلامة سكيرج نظما جمع فيه جل هذه الأدوات التي يحتاجها الشاعر لبناء قصيدة من المستوى الرفيع المقبول، ولإتمام الفائدة عمل رحمه الله على شرح هذا النظم تحت عنوان : يتيمة الدر في قرض الشعر، غير أنه لم يتمه لانشغاله عنه بتآليف أخرى.

فلا يعد شعرا ما خالف أوزان العروض، لأن مراعاتها مما يراه أصحاب فنه من الفروض، والعجب إنما هو ممن لا إلمام له بالعروض، ويستدل على صحة الوزن المنظوم بالنغم التي يجري بها الصوت في السماع، بتطريب الألحان التي يحسن توقيع الموسيقى على أوزان طباعها، ويخفى عنه ما عيب فيما هو مرتكب من زيادة ونقص، ولقد عيب على الفرزدق في زيادة حرف الواو الساكنة من أولئك في قوله :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم	إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وعيب على الشاعر في زيادة الألف من أنا في قوله :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا	يغنيك محموده عن النســـب
إن الفتى من يقول ها أنـــا ذا	ليس الفتى من يقول كان أبي

وأنى لمن لا خبرة له بفن العروض، من أن يعرف زيادة هراوة تلك الواو من أولئك، وعصى الألف الممتد في ذلك الضمير، وقد أراد بعضهم الإعتذار عن سقوط الوزن بهما من كون (أولئك) فيها لغة بحذف الواو، وحذف الألف من قوله (ها أنا ذا) لدى من ينتبه لذلك.

والفرزدق ممن يستدل بكلامه في الشعر وغيره، وفي هذا الإعتذار ما فيه، وقد تعرضت للتنكيت على من يجعل الغنة ميزانا يزن بها المنظوم في علم العروض في لاميتنا المعنونة بنفع العموم فقلت فيها :

كن للعروض إذا شعرت معتبرا	أوزانه وعن الميزان لا تمـــــل
كم مدع يخسر الميزان من عمه	ولم يقم وزنه بالقسط في عمـــل
ولم يبالي بما قد عيب منــــه إذا	ما قيل في قوله نقص بلا وجـل
فيأخذ النغم التي توافقـــــــــه	ويستدل بها في وزنه الجـلــــل
وربما ساعدته ساعة حـضــرت	بها أماثله في الجهل للعلـــــــل
يؤيدون مقالــــة بغنـتـهـــــــــم	وليتهم علموا ما عيب من خلـل

ولما عسر على بعض الأدباء أن يأتوا بمثل ما أتى به الشعراء في ضروب القصائد والمحسنات البديعية المستحسنة منذ عهد قديم، خرج بعضهم من ضيق التزام ذلك إلى سعة النظم الغير العربي في موازينهم(14) التي عليها ارتكاز بحور دوائر الشعر الذي نزه عنه النبي صلى الله

(14) عبر رحمه الله من خلال هذه الفقرة عن رأيه الصريح فيما يخص الشعر الحر الذي لا يخضع لقيد التفاعيل العروضية، فبين أنه عجز من المتأخرين عن التعبير من نفس المنبر الذي عبر منه شعراء الجاهلية وغيرهم من الشعراء بعدهم بأحسن القصائد وأجملها، والمشكلة اليوم في نظره هي عدم قدرة الجيل الحديث عن التعبير من منطلق التقييد، وهذا راجع لاختلاف التكوين والبيئة ونزول المستوى العام، وهو ليس بشعر عنده، ولكنه نثر وسجع.

عليه وسلم، وما هو عليه السلام بشاعر، ولا يخرج الشخص من ربقة التقليد بكون القرآن الكريم ليس بشعر إلا بمعرفة قواعد علم العروض.

وللشعر ميزان يسمى عروضه بها النقص والرجحان يدريهما الفتى

وقد تفنن أهل الأندلس لما ملوا موازين العروض، وبعبارة أخرى لما زاحمهم العامة في النظم واستحسنوا أوزانهم الموسيقية المحدثة، فاخترعوا تلك الفنون السبعة(15) المعروفة عند الأدباء، ولم يقع من أحد منهم تسمية ذلك بشعر، ولا طعنوا في الشعر العربي المحفوظ لديهم حتى لا يسمى غيره شعرا، وهو صعب على من يريد تقليد العرب فيه إن لم يكن ذا سجية فيه، قال الفرزدق(16) فيما يوثر عنه : لنتف لحيته في بعض الأحيان أهون عليه من قول شطر واحد من الشعر، وذلك لعدم حضور السجية التي تفور مرة وتغور أخرى.

وقد وقع امتحان لكثير من الشعراء بحصرهم عن قوله في وقت احتياجهم إليه، سيما عند اختبارهم، مثل ما وقع لصاعد(17) حين أهديت للأمير أبي فارس وردة في غير إبانها، غير منفتحة الأكمام، فاستنشد شعراءه، فقال صاعد بمحضر كتاب حضرته :

أتتك أبا فـــارس وردة تعطر الأنفاس أنفاسها

كعذراء أبصرها مبصر فغطت بأكمامها رأسها

فحسدوه على ذلك ونسب للإنتحال، وحصر عن القرض حتى اختبره الأمير بقول شيء آخر من الشعر الطري، وتحقق بقول الفرزدق المتقدم في تلك الحال، حتى هجم عليه الإرتجال،

---

(15) الفنون السبعة، استنبطها أدباء الأندلس، ولهم فيها فن كبير، وهي : الدوبيت، والموشح، والسلسلة، والموال، والقوما، وكان وكان، والزجل، ولكل من ذلك ضوابط لابد من مراعاتها في الوزن والنطق لحنا وتلحينا.

(16) همام بن غالب بن صعصعة الملقب بالفرزدق، من رواد الشعر العربي، ولد بمدينة البصرة سنة 20 هـ ونشأ فيها، وتجول في البادية فتطبع بطباعها، وكانت وفاته رحمه الله سنة 114هـ أنظر ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له الأستاذ علي فاعور ص 5 وفي كتاب الأغاني للأصفهاني ج 9 ص 324 وفي الأعلام للزركلي ج 8 ص 93 وفي معاهد التنصيص للعباسي ج 1 ص 45.

(17) صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي : أديب لغوي قصاص ، ولد بالموصل، ونشأ ببغداد، وانتقل إلى الأندلس، وبها توفي سنة 417هـ، أنظر ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي ص 267 وفي لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج 3 ص 160، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 186 وفي نفح الطيب للمقري ج 2 ص 726 وفي بغية الملتمس لابن عميرة الضبي ص 306.

فأخرجه منصورا من ذلك المجال، فسقط ما بيد حساده، الذين بالغوا في عناده، كما أشار الشمقمقي(18) لقضيته في قافيته فقال :

واكتم عن الحساد كل نعمة	كم فاضل بكأس مكرهم سقي
فصاعد على مديـــح وردة	أصبح منحطا بقول سهـــوق

فنصحا لمن لا يعرف قرض الشعر ولديه سجية أن يتعلم العروض، ولا يتظاهر بالشاعرية قبل تحقيقه مع فن القافية(19)، فإن سقوط الأوزان مما يخسر الميزان، ويوقع في السخرية بين الأقران، وهكذا الشأن في كل من تصدى في الشيء بغير علم، وكفى بالعلم فخرا أن كل شخص يحب أن يكون عالما.

وقد أنعم الله على إيالتنا المغربية بتشييد مدارس التعليم فيها بكل ناحية، وانفتحت أبواب العلوم العصرية بفضل اعتناء ملكنا الأمجد، مفخرة السلاطين، ومرغم أنوف الشياطين، مولانا أمير المومنين، سيدي محمد أيده الله وأدام سعادته في صعود السعود، بما تقر به العيون من نيل كل مقصود، في أنجاله الكرام خصوصا، ورعيته عموما، وحسبنا الله ونعم الوكيل من الجهل الذي يستوي عند صاحبه النفع والضر، ويرمي بنفسه للتهلكة بترك الشكر، والنبي (ﷺ) يقول : من لم يشكر الناس لم يشكر الله، والله يوفقنا لما فيه رضاه آمين.

أحمد سكيرج

أمنه الله

---

(18) العلامة الأديب أبو العباس أحمد بن الونان الملوكي الفاسي، من أكابر شعراء المغرب في وقته، له أرجوزة مشهورة بالشمقمقية، وهي تحتوي على كثير من الفنون الأدبية والأغراض الشعرية، مثل الغزل والنسب والوصف والحماسة والمدح والهجاء والحكم والأمثال وأيام العرب وأخبارها وعوائدها وأحوالها، وعدد أبياتها 275 بيتا، مدح بها سلطان المغرب وقتذاك المولى محمد بن عبد الله، وتوفي رحمه الله سنة 1187هـ. انظر النبوغ المغربي في الأدب العربي للعلامة عبد الله كنون ج 1 ص 316، وانظر ترجمته كذلك في ذكريات مشاهير رجال المغرب لنفس المؤلف، الرسالة الخامسة عشر، وفي إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 3 ص 344 وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 243.

(19) قال العلامة سكيرج في كتابه نيل الأرب في أدب العرب : علم القوافي هو من تتمة علم العروض، وهو علم يبحث فيه عن تناسب وعيوب أواخر الأبيات الشعرية، ومعنى القافية في نظر محققي هذا الفن التابعة لما قبلها، فالبيت الواحد ليس بشعر، ولذلك لا يوجد في القرآن الكريم ولا في كلام الرسول (ﷺ) أكثر من بيت واحد متزنا.

هذه مسامرة إذاعية أخرى للعلامة القاضي الحاج أحمد سكيرج، ألقاها على أمواج إذاعة (راديو المغرب) تحت عنوان : كرامة الأولياء(1) أمام عجائب المخترعات

بسم الله، والحمد لله، والصلاة على مولانا رسول الله وعلى كل من والاه، والنصر والتمكين والفتح المبين، لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين.

من لا أسميه إجلالا وتكرمة ... وقدره المعتلى عن ذاك يكفينا

بل أسميه تبركا بذكر اسمه الأمجد، الموافق لوصف مسماه الممجد :

وقلما أبصرت عيناك ذا لقب ... إلا ومعناه إن فكرت في لقبه

وهو المتحلي بمكارم أخلاق جده عليه السلام، المتحقق بمعنى اسمه الذي يقول فيه جدنا حسان رضي الله عنه في أسمى مقام.

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

خامس المحمديين من سلاطين مغربنا العظام، بهجة الدنيا والدين، الشاب الناشئ في طاعة مولاه، وشاكره على ما أولاه، سيدنا ومولانا محمد بن مظهر الجمال، المتحلي بحلي الكمال، سيدنا ومولانا يوسف بن مجدد الدين في السر والعلن، أبي المحاسن سيدنا ومولانا الحسن، ابن رابع المحمدين من البدور العلوية، بين الدولة العلوية، سيدنا ومولانا محمد بن مفخرة الزمان، المختار لملك المغرب من بين الأقران، سيدنا ومولانا عبد الرحمان، بن مولانا هشام بن مولانا محمد الثالث الذي قال فيه ابن عمنا محمد بن الطيب سكيرج(2) وكان راكبا معه في المركب الملكي بوادي أبي رقراق بين ثغري السلوان، سلا ورباط الفتح.

---

(1) الكرامة هي ما يجريه الله على أيدي أوليائه الصالحين من خوارق زمانية ومكانية، وقد أجمع العلماء قاطبة على جوازها ووقوعها، والدلائل على صحة ذلك كثيرة غير محصورة في القرآن والسنة الصحيحة، ولمزيد الاطلاع حول هذا الموضوع ينصح بمطالعة بغية المستفيد لأبي المواهب السائحي ص 205. وكتاب التشوف إلى رجال التصوف، لابن الزيات، بتحقيق أحمد توفيق، ص 31-81 وغيرهما من المصنفات الكثيرة.

(2) سبق التعريف به في ج 1 ص 11 من هذا التأليف.

ولما رأيت البحر في الجود آية	ومن جوده الدر النضيد المقلد
سألته من في الناس علمك الندا	فقال أمير المومنين محمـد(3)

ابن سيدنا ومولانا عبد الله بن السلطان الذي أشاد ذكر المغرب، ولسان الثناء عليه طول الدهر معرب، سيدنا ومولانا إسماعيل، رفيع الرتب، الشهير النسب، من صميم بنوة النبوة عليها السلام.

أولئك أباء المليك محمد	فمن مثلهم في الفضل بين ذوي الفضل

أبقى الله الملك والحكمة في أبنائه وأحفاده الكرام ما بقي للدوام دوام.

أيها السادة المستمعون حياكم الله وبياكم، لقد سنح لي إلقاء كلمة تحت عنوان : كرامة الأولياء أمام عجائب المخترعات، بواسطة هذا المذياع البديع، تبعا لمن أذاعوا فيه مسامراتهم القيمة، تقريطا للأسماع التي يبلغها صدا تموجات الأثير، الصادرة بهذه الآلة اللاسلكية التي برزت في عالم الاختراع.

ولا بدع في أن العلم الصحيح تستكشف به أشياء تكاد أن تعد من قبيل كرامة الأولياء، والكرامة كيف ما كانت موهبة من الحق لمن ظهرت له أو ظهرت على يده.

ولولا أن الصناعة المتقنة التي تتحقق بها المخترعات بمقتضى العلم الذي يخرج به المعلوم من القوة للفعل لما حصل الميز بين الكرامة الممنوح بها الولي بالطاعة وبين كرامة الصناعة، وحيث أن الكرامة المنسوبة للأولياء لا يحتاج فيها لصناعة، ولا تقع إلا قليلا بالنسبة للعامل بالعلم، تعين على ذوي النباهة صرف نفيس الأنفاس في التحصيل على العلم والتحريض على العمل به، فإن فضيلة العلم تتحقق في حق العامل به في إبراز المعلومات من القوة للفعل،

---

(3) سببه : جاء في شرح ابن عاشور على البردة، أن الأديب سيدي محمد بن الطيب سكيرج اجتمع يوما في مجلس السلطان المذكور، فأنشد بعض الحاضرين قول الشاعر :

سألت الندا هل أنت حر فقال لا	ولكنني عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثـــــة	توارثني عن والد بعد والد

فقال السلطان : إن ذلك لغاية في بابه، فقال الأديب سيدي محمد بن الطيب سكيرج : لو شئت لقلت أحسن منه، وأنشد البيتين المذكورين، أنظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 4 ص 124

وإلا كان العلم بها غير نافع(4)، فالمدار حينئذ على إخراج المعلوم للوجود ليتحقق بذلك علم العالم به، فالمعلومات إذا برزت للوجود برهنت على صحة علم موجدها.

وليس هذا المذياع الذي أحدثكم الآن بواسطته بأبدع في الإعجاب من كرامة الخليفة الثاني سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فيما ورد عنه من مخاطبته لسارية بن زنيم الديلمي(5) الذي أمره على جيش سيره إلى فارس سنة 23هـ، وكان يخطب على المنبر يوم الجمعة فقال : يا سارية الجبل، فسمعه سارية ومن معه، وقالوا هذا صوت عمر، وكانوا في بطن واد هناك، فدهموا فيه بالهزيمة، فحصل لهم الثبات عندما سمعوه استيناسا بصوته، وانحاشوا إلى الجبل الذي كانوا بالقرب منه، فنجوا من الخطر الذي كانوا يتوقعونه، ونصروا على أعدائهم، ولم تكن في ذلك الوقت هذه الآلة السماعة، فتحققت كرامته رضي الله عنه بمناداته لهم، وظهرت كرامته بمشاهدته للبعيد بغير ناظور صناعي، وعدم انحجابهم عنه مع بعد المسافة، كما ظهرت كرامة السامعين له من غير وجود هذه الآلة.

وقد اختلف علماء السير في سارية المذكور هل هو صحابي أو غير صحابي ؟ ويدل للقول بأنه صحابي ما ذكر عن الخلفاء رضي الله عنهم من أنهم لا يأمرون إلا من كان صحابيا، ولسارية المذكور من قصيدة يمدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم هذا البيت المشهور.

فما حملت من ناقة فوق حملها أبر وأوفى ذمة من محمد

---

(4) حاول رحمه الله في هذه الفقرة اتخاذ قياس معنوي للخوارق من حيث تعدد مصادرها بين طرفي العلم وقوة الكرامة، فإذا كان للعلم القوة على الإبتكار والإختراع والتطور وما يتعلق بذلك، فإن العقل الإنساني هو الأداة والقوة المتحكمة فيه، لكن الكرامة بخلاف ذلك لا يتحكم فيها العقل، وهي الأقوى من حيث الهيمنة التامة، ويريد رحمه الله من خلال هذا القياس إعطاء المراتب حقها، وتحفيز الطلبة للانكباب على دروسهم بالجدية الموصلة للانتفاع بتحديد هاتين القوتين الكبيرتين، ولا ننسى أن هذه المسامرة كانت في وقت أصاب الناس ما أصابهم فيه من التذمر، من اختلال موازين العلم والقوة بينهم وبين المجتمع الإستعماري الغربي المتحضر، مع كثرة الإختراعات العجيبة التي أذهلت الناس وحركت فيهم روح التساؤل عن الأسباب الكامنة وراء انهيار العقول المسلمة، وإخفاقها في مسايرة قوة الركب العالمي الجديد، وكعادتها في انتهاز الفرص – استغلت الدول الغربية الكثير من اختراعاتها الحديثة مجالا للتأثير وما يتبع ذلك من اقتناص – العقول المذبذبة الضعيفة، ولهذا كانت هذه المسامرة ومثيلاتها محاولة جادة لغرس روح التفاؤل والوعي واليقظة بين الناس.

(5) سارية بن زنيم بن عبد الله بن جابر الكناني الديلي، صحابي جليل، توفي عام 30هـ، أنظر ترجمته في الإصابة لابن حجر رقم الترجمة 3034 وفي تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 49 وفي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج1 ص 77 وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 69 وفي تهذيب تاريخ ابن عساكر لعبد القادر بدران ج 6 ص 43. وانظر – هذه الكرامة في تاريخ الطبري ج 4 ص 178، وفي التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات ص 72.

وهو أصدق بيت قالته العرب كما قاله في الإصابة نقلا عن المرزباني(6)، ولعل هذه الأصدقية في المديح، وإلا فقد ورد في الحديث : أصدق بيت قالته العرب قول لبيد(7) رضي الله عنه.

ألا كل شيء ما خلا الله باطل　　　　وكل نعيم لا محالة زائل

فتحمل الأصدقية فيه على ما اشتمل عليه من التوحيد.

وعلى كل حال لا موجب لإنكار الكرامات، وعجائب المخترعات، إلا عدم اتساع عارضة المنكر في المعلومات الممكنة، وانحصار عقله في دائرة الجهل بقدرة القادر على ما يشاء سبحانه وتعالى، مع أن العقل غير معقول بحبال الأوهام، في التحصيل على غير المستحيل، أو غير الواجب في حق الحق تعالى، للخاصية التي أودعها الله فيه.

فهو يقوى ويضعف بحسب ما منح الحق به الإنسان من لطيفة نورانية، وإدراك نافذ وفهم ثاقب، بما يعد في حق بعض الخلق من خوارق العادات، في فهم الأشياء على ما هي عليه، واستنباط منها، واختراع مخترعات، واكتشاف مكتشفات، بموهبة منه تعالى لمن شاء من عباده، وليست عقول الناس بسواء في قبول ما هو خارق للعادة، فإن بعض الناس لا يصدق بوجود هذه الآلة السماعة حتى يراها، ولربما بقي في شك من أمرها حتى يلمسها ويتحقق بما يتحققه به الماديون ببراهين الحس القاطع لمنازعاتهم.

ولقد ضربت المادة بالضربة القاضية من يد علم التنويم المغناطيسي(8) واستحضار الأرواح، وإن كنا لا نستبعد أن تكون هذه الأرواح المستحضرة إنما هي من لعب الجن، وبعضها من قبيل الشعبذة(9)، التي هي من فروع علوم السيميا الصناعية وغير الصناعية، الشاملة للإستنزالات النفسية وغيرها، طبق ما هو مقرر عند أصحاب هذه الفنون، ومعلوم أن عقل الإنسان قاصر عن حصر ما هو داخل في دائرة الإمكان، ولو بلغ ما بلغ في إدراك الممكنات،

---

(6) محمد بن عمران بن موسى المرزباني، مؤرخ أديب، أصله من خراسان، ولد ببغداد عام 297 هـ، وبها توفي عام 384هـ، من مصنفاته : معجم الشعراء، والمقتبس في الشعر والشعراء ومذاهبهم، والموشح، والمستنير في أخبار الشعراء المحدثين، وأخبار أبي تمام، والرياض في أخبار العشاق، والرائق في الغناء والمغنين، وأخبار ملوك كندة، وأخبار أبي مسلمة الخرساني، وأشعار الخلفاء، وغيرها من المصنفات الكثيرة. أنظر ترجمته في ميزان الإعتدال للذهبي ج 3 ص 114، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 319، وفي لسان الميزان لابن حجر ج 5 ص 326.

(7) لبيد بن ربيعة الصحابي الشاعر المخضرم، توفي سنة 41هـ، أنظر ترجمته في الاستيعاب لابن عبد البر، ج 3 ص 1352، وفي الإصابة لابن حجر ج 6 ص 4 وفي أسد الغابة لابن الأثير ج 4 ص 260 وفي كتاب الأغاني للأصفهاني ج 15 ص 291. وفي الأعلام للزركلي ج 5 ص 240.

(8) التنويم المغناطيسي : اسم وضع على نوم صناعي يحصل للإنسان بإدمان النظر مدة طويلة على شيء مضيء، أو بإنعام الفكرة في موضوع واحد، ولهذا النوم درجات شتى، فمن درجة يتذكر المنوم فيها اسمه ويكون مالكا لجزء من حريته، إلى درجة يكون فيها تحت تصرف منومه، وخاضعا لإرادته كل الخضوع، ومن ضمن عجائب النوم المغناطيسي التي تهدم قوانين الفيسيولوجيا هي فقد المنوم للإحساس من كل شيء يصيبه من غير منومه، فيمكننا أن نقطع جسمه إربا دون أن يتألم لذلك، ولا أن يستيقظ.

(9) الشعبذة : هي خفة في اليد تظهر ما يشبه السحر، وليست بسحر، وإنما هي من فروع علم السيميا الصناعية، وقد احترفها الكثير من المختصين، العارفين بحيلها وأساليبها الخداعية.

فإن العلم الحادث لا يدرك به جل الفلاسفة ماهية بعض المحدثات، فضلا عن موجدها الذي لا تدركه الأبصار.

ومما يبرهن على أن العقل لا يصل إلى إدراك جميع الحقائق وإن كان لا يستحيل عليه إدراك أخفاها إذا وقع منه اعتناء به أن الروح التي تحمل الحي على الشعور لا يمكن تصورها على ما هي عليه وهي محدثة، وقد أخبر الحق أنها من أمره، حيث يقول مخاطبا لرسوله عليه السلام حين سئل عنها : "قل الروح من أمر ربي"(10) ولم يقل لا يعلمها، ولم يذكرها من الخمس التي لا يعلمها إلا هو، فانكشاف الخمس وغيرها للحق تعالى لا يشاركه في علمها أحد، إلا بإعلام منه لمن شاء من رسول وولي وتعليم لغيرهما، وليس هناك ما يقضي بأن الله لا يعلم بها أحدا من خلقه، ولهذا لا يستبعد اطلاع الأطباء على ما في الأرحام إلا قصير الإدراك للمعلومات.

وهكذا الشأن في نزول الغيث وغيره، مما يعلم الإنسان وقوعه بعلامات تعلمها بمثل ما تعلم به علم غيرها، واخترع لمعرفتها آلات يعرفها جل العموم فضلا عن الخصوص، حتى كاد أن يكون العلم بما تنبئ به هذه المخترعات التي تزداد إتقانا كل حين حسب الترقي في الفنون من قبيل القطع، ولاتخطئ إلا عن خلل في حساب ونحوه وقد قال الغزالي(11) في تهافت الفلاسفة فيما برهن علماء الهيئة على صحة إمكان وجوده ما معناه : من ظن أن الرد عليهم في ذلك من الدين فقد جنى على الدين ما ليس منه، وذلك لأن مثل هذه الأشياء برهان صحة وجودها وإمكانها هو الحس، ولا يكابر في الحس عاقل، والمتعصب فيه جاهل.

ولا يزال الحكماء طامعين في الوقوف على حقيقة الروح لأنها موجودة، وكل موجود يصح أن يرى ويعلم منه على قدر ما وهبه الحق للعاقل من قوة إدراك وتمييز ومعرفة، كما أنهم لا يزالون باحثين عن ماهية الطبيعة، بما تولد عنها مثل الكهرباء التي تنسب إليها عجائب المخترعات، ولم يقفوا لها على حقيقة مع أن معرفتها غير مستحيلة، ولابد أن يقفوا عليها، وهي أحط منزلة في الوجود من مصدر معجزات الأنبياء التي قرر فيها علماؤنا قدس الله سرهم أن كل ما صح وقوعه معجزة يصح أن يكون كرامة.

---

(10) سورة الإسراء، الآية : 85.

(11) حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالي رحمه الله ولد في طوس سنة 450هـ، ودرس العلم على الكثير من أكابر شيوخ وقته منهم إمام الحرمين الجويني بنيسابور، فبرع في جميع العلوم وتفوق فيها، وتصانيفه كثيرة أشهرها كتابه : إحياء علوم الدين، ومنهاج العابدين، والبسيط، والوسيط، والوجيز، والخلاصة، والمستصفى، والمنخول، وشفاء العليل، والرد على الباطنية، والأسماء الحسنى، وغير ذلك، وتوفي رحمه الله يوم الإثنين 14 جمادى الثانية سنة 505 هـ انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 463 وفي طبقات الشافعية للسبكي ج 4 ص 101 وفي معجم المطبوعات لإليان سركيس 1408-1416 وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 22 وفي اللباب لابن الأثير ج 2 ص 170. وفي شذرات الذهب لابن العماد ج 4 ص 10، وفي الوافي بالوفيات للصفدي ج 1 ص 277. وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 394 رقم الترجمة 850.

فلا غرابة إذن في خرق العادة لمن صفت مراءاة نفسه، وترقى في معناه وحسه، ومنبع ذلك كله العلم وإخراجه من القوة للفعل، ولهذا كان المقصود من العلم العمل به لتتكشف به الأشياء، وتخرج للظهور من طي الخفاء، فللعالم العامل تحقق التصرف بما علمه من الحقائق التي لا تقبل التشكيك، وكل من كان علمه يقبل التشكيك فليس بعالم.

ومما يبرهن على قصور المخترعات عن درجة المعجزة والكرامة أن المخترعات لابد من إدخال يد الصناعة فيها طبق ما قررناه، ولا تصل إلى إحضار نحو الكعبة لمحل ولي فيطوف بها أو تطوف به، وترجع لمحلها، كما حضر عرش بلقيس(12) لدى سليمان عليه السلام، وفي مثل هذا المقام تخر الطبيعة ساجدة غير قادرة على رفع الرأس، أمام المعجزة والكرامة في نقل الشيء من محله عن بعد مسافة، بالمحافظة على هيئته المرونقة، وإن كان المغناطيس يعمل بالخاصية في جذب الحديد إليه عن بعد، ولا كالبعد بين بيت المقدس وسبأ(13)، مع المحافظة على العرش الذي اشتبه على بلقيس فلم تجزم بأنه هو لما قيل لها أهكذا عرشك ؟ قالت كأنه هو.

وقد اعتمد صاحب علم الكتاب على ما لديه من اليقين بكرامة العلم، فأخبر نبي الله سليمان عليه السلام بأنه يحضره له لما قال لملأه "أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ؟ قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين"(14) وبين بيت المقدس الذي كان به سليمان وبين سبأ الذي به العرش مسيرة شهرين، ولولا أن سيدنا سليمان عليه السلام يعتقد أن الله تعالى صرف بعض أهل الخصوصية في الكون ما استفهم عمن يأتيه به، ولم يقبل من العفريت أن يحضره له في المدة اليسيرة التي هي واقعة قبل قيامه من مقامه، بل أراد أقل من تلك المدة لعلمه بأنه يوجد من يحضره له طبق مراده كما أخبر الحق عنه بذلك فقال: "قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك"(15) وأحضره له بين رفع رأسه إلى السماء وبين نظره إلى ما بين يديه.

ولم يرد سليمان عليه السلام في استفهامه عمن يحضره له بأن ينقله من محله على الوجه المعتاد بحمله على الجمال وغيرها من آلات الجر ونحوها، وإنما أراد إحضاره له على وجه خرق العادة، بالتصرف الذي منح الحق سبحانه به بعض أوليائه على حسب اعتقاده عليه السلام، فتصرف الأولياء في الكون مما نطق به القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فيكون التصديق بذلك من العقائد التي يجب على المومن اعتقادها،

---

(12) بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل، ملكة سبأ، من حمير، كانت تحكم اليمن كله، أنظر ترجمتها في تاريخ الخميس لحسين بكري ج 1 ص 249 وفي نهاية الأرب للقلقشندي ج 14 ص 134 وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 74. وفي دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي ج 2 ص 344.

(13) سبأ مدينة يمنية قديمة، وهي عاصمة الدولة السبئية، نسبة لسبأ، وهو عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان، أنظر دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي ج 5 ص 16، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 76.

(14) سورة النمل، الآية : 39.

(15) سورة النمل، الآية : 40.

وإلا كان مكذبا لهذه القصة القرآنية(16) وليس في هذه القصة شيء يشوش على العقيدة السليمة في كون الحق سبحانه لا شريك له، لأن تصرف الأولياء هو من فعل الله، ونسبة التصرف لهم لا يوجب الشركة معه في الخلق لا في الإيجاد ولا في العدم، وإلا لما جازت نسبة القدرة الكسبية للمخلوق، ولا عومل الفاعل الإصطلاحي بما يصدر منه من الأفعال، فالقاتل لزيد مثلا يقتص منه لأنه هو قاتله، ونسبة القتل له ما فيها إشراك مع الحق الذي هو القاتل حقيقة.

ونحن نرى ونسمع فنعتقد أن الحق سبحانه أعطى التصرف بالتولية وغيرها، لمن أقامه في منصب الإمامة، وليس في نسبة التصرف له بالتولية وغيرها إشراك، فإذا قلنا : الملك ولى فلانا مثلا فلا يلزم من ذلك إشراكه مع الله في هذه التولية، وهكذا الشأن في غيرها، والمومن الحقاني يتحقق بأن كل شيء من الله، وتصرف العبد مجاز في صورة الحقيقة بخلاف الطبيعي من منجم وغيره، فإنه ينسب التصرف للطبيعة وللنجم حقيقة لا مجاز فيها عند مصادفة القابل للفعل والإنفعال، ولا يصدق بوجود الله معها لقصور نظره على ما لمسه بأصابع الحس في دهليز خفاء النفس، ولربما غلط بعضهم في الإعتذار عن الطبائعيين في كون الطبيعة عندهم هي نفس ما يسميه بالله المومن، تعالى الله عن الحدوث وما يصدر عن الحادث.

على أن أسرار الطبيعة هي مما أودعه الله بخلقه فيها، والأشياء الناجمة عن صحة وجودها في نظر الموحد عندها لا بها، وبالله إيجادها وإعدامها، وللعالم ببعض النتائج عنها نوع ما من علم الكتاب الذي يتصرف به في الكون صاحبه، وليس تصرفه كتصرف الحق الخالق المنفرد بالخلق، والفرق بين تصرف من له علم من الكتاب وبين تصرف الحق أن الحق تعالى يتصرف في الكون بلا واسطة، وإن اقتضت حكمته إبراز شيء بلا واسطة أو إخفائه بها فليس ذلك من احتياجه وافتقاره إليها، كما هو الشأن في الحادث والمحدثات، فإنه تعالى ليس كمثله شيء.

وكل ما يخطر في خيالك　　　فربنا مخالف لذلك

ومع ذلك فإن الذي عنده علم من الكتاب حادث وعلمه حادث، ولا يتصرف في الكون إلا على قدر علمه في جزئيات قليلة، وللحق التصرف في سائر الممكنات مما وجد وما لم يوجد على سبيل الإطلاق،

---

(16) في هذه الآية الكريمة دليل على أن ما وصل إليه العلم اليوم لا يزال بعيدا كل البعد، عن ماهية العلم الحقيقي الذي تتدفق منه خارقة الكرامة، وهذا إذا قسناه بصاحب العلم في هذه الآية الكريمة، فلكي يأتي العالم بعرش بلقيس من أقصى بلاد اليمن إلى البيت المقدس بفلسطين لم يحتج سوى لبعض ثوان فقط، ولم يبالي ببعد المكان ولا بثقل الشيء المطلوب إحضاره، لأنه متحقق بمقدوريته على الإتيان به من باب العلم، لا من باب القوة والطاقة التي عبر عنها العفريت قبله، عندما رأى أنه قادر على الإتيان به على مدى أربع أو خمس ساعات من الزمان، فصاحب العلم لم ينظر إلى المكان ولا إلى الزمان، لمعرفته الدقيقة بأن العلم فوقهما، وهو المتحكم فيهما، ولهذا قال لسليمان عليه السلام : أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، ومن هنا يظهر للقارئ الكريم أنه لا مجال للمقارنة إذا أردنا أن نقارن بين هذا الرجل المذكور بالعلم في هذه الآية الكريمة وبين العلم الذي نعيشه اليوم رغم تطوره وتقدمه وازدهاره.

ومعلوم أن الخوارق مقسمة إلى معجزة وكرامة واستدراج(17) وغير ذلك مما لا يمكن للعالم أن يكابر فيما وجد من أفراد كل قسم منها، فالمعجزة بالتحدي، ولا تحدي في الكرامة وغيرها، وإن وجد التحدي في غير المعجزة فلا يصدر من أحد يدعي النبوة بعد انقطاعها بسيد الوجود عليه السلام، ولا يمكن إيجاد ما وقع التحدي به في حق غير نبي أبدا، لأن التحدي إنما هو لأنبياء الله عليهم السلام.

إذ معجزاتهم كقوله وبر　　　　صدق هذا العبد في كل خبر

لذلك لا تجد ساحرا يدعي النبوة، ويبرهن على صدقه بالتحدي لإظهار أعماله السحرية، ولا يمكنه الثبات مع المبدأ الذي يدعيه من النبوة أصلا، بل لابد من فضيحته على رؤوس الأشهاد بما يصدر عنه مما يخالف ما يدعيه.

وقد تكون الكرامة في حق الولي، عن علمه بها وبغير علم صادرة من ذوي الخصوصية عن قصد وغير قصد، ولكن لابد من اشتراط الإيمان في صاحبها والعمل بمقتضاه، فيكون من ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين برزت عنهم المعجزات عن غير صناعة، كما تصدر الكرامة بغير استعانات روحانية وعجائب طبيعية، ولعمري أنه لا معنى لإنكار وجود خوارق عادة في الأمور المعتادة، على أنه لا يضر أيضا من استنكف من سماع الخوارق التي لم يراها أن لا يكذب بها وقد قيل :

وإذا لم ترى الهلال فسلم　　　　لأناس رأوه بالأبصار

وليس العلم الذي تنخرق به العادة بمحصور في الطبيعي حتى تقتصر عليه عجائب المخترعات، فإن النفوس إذا صفت بلغت إلى إبراز ما يتراءى مما وراء الطبيعة من عالم الكون الكبير، وغيره مما يبهر العقول، ويظهر على يدها ما هو أعلى وأجل مما ينتج عن تولدات الطبيعة الخلابة، في أعمالها بالانفعالات السلابة والجلابة.

وللمتخرجين من كليات العلوم والمعارف حظ وافر من التزود من المعلومات المصححة للكرامة، ولكن جلهم في تغافل عنها(18) مع أننا نسمع عن الحكماء ونعرف بعضهم ممن توقفوا للنظر إلى ما وراء ما هو محصور في دائرة الخيال، وما يجول في أفكارهم في فسيح مجال، أفضى بهم علمهم اليقيني إلى الإستسلام للحق، بالحكم بتوحيد الموجد للطبيعة وغيرها، فأدى ذلك بهم إلى الإيمان بوجود الصانع البديع سبحانه، بنورانية عقل يزداد في هذا الحيوان الناطق استنارة لدى ملهمات الأمور.

---

(17) هذه الأقسام الثلاثة تتفق من حيث الخارق وتختلف من حيث المصدر، فالمعجزة خاصة بالرسل والأنبياء الكرام، أما الكرامة فهي ما يجريه الله على يد الأولياء والصالحين من الخوارق المشهورة بين الخاص والعام، أما الإستدراج فهو عبارة عن الخوارق الطبيعية التي يتوصل إليها المنجمون والسحرة ومن كان في شاكلتهم.

(18) هذه دعوة منه رحمه الله لأهل العلم من الطلبة المتخرجين وغيرهم، على إحياء العلوم النافعة الكفيلة لصاحبها بالخير والبركة والفلاح، والعمل بالعلم هو الطريق الصحيح الموصل لقوة الكرامة، وهذه القوة وبدون مناقشة هي الدليل والمقياس على مدى نجاعة العامل بعلمه، وتثبت هذا المسار أحاديث نبوية عديدة، منها قوله صلى الله عليه وسلم : من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم، أخرجه أبو نعيم في الحلية، وهو بهذا الحديث يرشد الشباب ويحثهم على الأخذ بمعالم الدين من منبعه الصافي، ويحذرهم في نفس الوقت بلهجة خفية من الدسائس الاستعمارية، الهادفة لإبعادهم عن مواضع القوة أينما كانت.

فيحصل بحسب القوة والضعف ما ينفعه، مصحوبا بواعظ من نفسه يأمره وينهاه، فيفعل بما تدعوه إليه إنسانيته بقدر شعوره، وإن كان الإنسان مجبولا على الظلم، والقوة تظهره والعجز يخفيه.

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعله لا يظلم

فالقوة وما أدراك ما هي لا يكفها إلا عدم الإيمان بالحق، أو الخوف من الخلق، وإن الله ينزع بالسلطان ما لا ينزعه بالقرآن، ثم إن القوة إما أن تدعو إلى دين راجع لاستثمار نتائج منوطة به لأغراض دنيوية أو أخروية أو لهما معا، وإما أن تدعو إلى ضم ما لدا غير القوي باستيلاء واستعباد، وهي القوة الغشومة التي لا تراعي إلا مصالح أهلها، وعلى كلا الحالتين فالإفراط من أي قوة منهما مضر بالإنسانية، لا من جهة التدين ولا من جهة التمدن.

أما من جهة التدين فلما ينشأ عنها من التعصب الديني المفضي إلى التطاحن في سبيل اعتقاد القوي على اعتقاد الضعيف، بما تقضي به مخالفة الدين، وبالانتصار للمذهب الذي سلكه بالقوة بين المختلفين فيه، وهنا يتسع المجال لمن أراد الجولان فيما وقع من الحروب والضغط بين مختلفي الإعتقادات في المشارب الدينية واللادينية بحسب القوة، لا مع الإسلام ولا مع غيره ائتلافا واختلافا، وما ينتج عن ذلك بانتصار الحق على الباطل، وانهزام الباطل أمام الحق في ميدان أصحاب الأغراض من معتقدين ومنتقدين، في أي دين كانوا، وعلى أي مذهب فيه بالغير استعانوا، ولندع هنا المجال لكل ذي نحلة يتفكر قليلا فيما تدعوه إليه داعيته، وهو موكول إليها بقدر شعوره برائد الإنسانية في عدم اتخاذ أحد عدوا، وإن عدوا واحدا لكثير، ولا نريد أن نجرح عواطف أي شخص من المعتقدين فيما انتحله دينا، ولا من المنتقدين الذين ينكرون ما تراءى لهم خلال شعاع اعتقاداته يقينا أو تخمينا، فالكل منصوب أمام لوح مكتوب عليه بخط يقرؤه كل من نظر إليه هذا البيت :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

وليست مسامرتنا هذه محلا للبحث عن تأييد المذهب الحقاني من بين المذاهب التي يطعن أهل كل مذهب في سير ما تمذهب به غيره، من اعتقادات قامت لدى كل منتحل لنحلة منها حجج صحيحة في نظرياته، قاطعة لحجج الغير، كما وقع بين أهل السنة والمعتزلة مع مذاهب أخرى تجعل السني بدعيا في نظر المخالف لهم، والسني ينظر للشيعي بنظرة تكاد أن تنفذ في منافذه الباطنية، بما يأمل أن يحول به نظرياته لنحلته التي قضى حبه لها حب الخير لمن يدعوه إليها،

وهكذا شأن كل معتقد مع مخالفه في الإعتقاد من الفرق الغير المعنية في حديث : انقسمت بنو إسرائيل إلى اثنتين وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة.

على أننا لو استلفتنا الأنظار بنظرة إجمالية إلى ما تدعو إليه كل فرقة لرأينا من وراء اعتقاد المتقلدين بالدين أن مقصود الجميع الإيمان الحقيقي الذي عليه كان النبي وأصحابه عليهم السلام. وما على المومن إذا اختلفت الأهواء إلا الأخذ بالرفق في دينه، وبالرفق على مخالفه في معتقده طبق يقينه، حتى لا يضر بنفسه ولا بغيره.

فإن المتعصب لما انتحله لا يخلو جوه من كدر، ولا يسلم من ضرر، وهو دائما في أموره على خطر، وليقف قبل كل شيء على ساق الجد في امتثال ما أمره الحق به في حق نفسه أولا، ثم ما أمره به في حق أهله بمقتضى : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.

وليخضع أمام الشرع مطأطئ الرأس، بطيب نفس ليكون مسلما حقا، فإن المسلم من سلم الناس من يده ولسانه، فلا يؤذي أحدا في نفسه ولا في عرضه ولا في دينه حتى لا يقع فيما لا تحمد عقباه، ولا بإلقاء غيره في ذلك في دنياه وأخراه، عملا بمقتضى "ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا، إن الله يحب المحسنين"(19).

ولا يعزب عن علم كل أحد أننا في زمان القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر، ولولا أن الحق سبحانه هيأ لخلقه في هذا العصر من وقف أمام أصحاب الأغراض من أهل اختلاف الاعتقادات مع أهل الانتقادات لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسمه، الشاملة للزوايا التي كثيرا ما أرادها بالمكر كثير من الناس، مع أن أهل الزوايا وهم أكثر المسلمين المحافظين على شعائر الدين، واقفون أمام التبشير في حفظ الله للدين.

ومن الألطاف الإلاهية بأهل المغرب أن جعل ملوكها كلهم أهل اعتقاد في الدين وأهله، معظمين لآل البيت، معظمين للأولياء، معظمين للشيوخ، معظمين للمنتسبين للحق من بين سائر الطرق، فكانوا فيها بين رعاياهم كالشموس في الأفق، وما من أحد منهم رضي الله عنهم إلا وله يد بيضاء في طريقة واحدة أو أكثر، مسالما لبقية سائر الطرق على هدى من ربه، ولربما إن سنحت لنا الفرصة نذكر من أسلاف ملكنا الحالي سيدنا ومولانا محمد أيده الله ما لهم من شديد التمسك بحب أهل الله والطريقة التي كانوا عليها(20).

---

(19) سورة البقرة، الآية : 195.
(20) اعتناء الملوك العلويين بالجانب الصوفي لم يقتصر يوما عن سلطان دون آخر، بل كلهم وبدون استثناء لأحدهم، فقد كانت لمعاليهم اليد البيضاء في حق هذه الزاوية أو تلك، وأن الكثير من إنجازاتهم في حق هذا الجانب قائمة شاهدة على مدى تعظيمهم واحترامهم لأولياء الله الكرام، وللطريقة التجانية نصيب لا يستهان به من هذا التقدير والتبجيل، يبتدئ بالإقبال الكبير للسلطان مولانا سليمان على الشيخ أبي العباس سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه، وكذلك اعتناء السلطان مولانا الحسن الأول بمجموعة من أكابر أهل هذه الطريقة، وفي مقدمتهم العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح رضي الله تعالى عنه، ومن باب هذا التقدير كذلك اهتمام وتعظيم وإقبال السلطان مولانا عبد الحفيظ على صاحب هذه الرسائل العلامة القاضي العارف بربه سيدي الحاج أحمد بن الحاج العياشي سكيرج رحمه الله ورضي عنه.

من عقد الأشعري وفقه مالك   وفي طريقة الجنيد السالك(21)

والتاريخ حافظ لكل واحد منهم قدس الله روحهم، ما لهم من المآثر، في ذلك مما لا يخالف فيه إلا مكابر، وقد حمى الله بهم الدين فلا زال والحمد لله محفوظا، ولن يزال بحمد الله على ما هو عليه بوجود إمامنامالك البلاد أدام الله سعادته محفوفا في رداء العافية، ودامت كلمة باقية في عقبه الملحوظ بعين العناية إلى يوم التناد.

أحمد السكيرج
وفقه الله

(21) البيت الرابع من المنظومة الفقهية المشهورة (المرشد المعين على الضروري من علوم الدين) للعلامة سيدي عبد الواحد بن عاشر المتوفى عام 1040هـ.

مسامرة نيل الأرب في أدب العرب للعلامة الحاج أحمد سكيرج

تحقيق ذ. محمد الراضي كنون

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

أيها السادة المحترمون :

إني أقدم بين يدي خطابي معذرة لحضرتكم فيما خطا بي قدمي في هذا البساط الذي سيبسط بين يديكم في هذا المقام، لا على أني ذلك الخطيب الذي يستحق أن يخطب في مجمع حضر فيه أمثالكم، ولكن إجابة مني لسيادة مندوب الصدارة في المعارف، المبجل العلامة سيدي محمد الحجوي(1)، الذي أكد علي باقتراحه في إلقاء كلمة في هذا النادي الأرفع، موضوعها : أدب العرب والإشارة إلى تقلب أطواره في التقدم والتأخر من عهد العرب إلى الزمن الحاضر.

وهذا الموضوع له أهمية كبرى في فتح أعين أبناء الوقت لمشاهدة مآثر العرب، في أشعارهم التي تشهد لهم بالتقدم في المعارف زمن الجاهلية، وقد تنافس الأجانب في إدراك تلك العلوم المستنبطة من كلامهم نظما ونثرا، مع العلوم التي كانوا عارفين بها، فأضافوا ذلك إلى معلوماتهم، ونحن في غفلة عن ذلك، ولا نحتفل بما هنالك.

غير أنه لما كان التاريخ كما قيل يعيد نفسه، فلا بدع إذا انتهض في هذه الإيالة الشريفة لإحياء تلك المعارف والتحصيل عليها بكمال الإعتناء بأبناء الوقت الحاضر الذين هم أبناء المستقبل، بما تبثه في صدورهم الأساتذة الذين انتخبتهم رجال الدولة بتعليمهم في المدارس التي شيدت تحت ظل عرش الحضرة اليوسفية أدام الله عزها، مع مد ساعد المساعدة في ذلك بالأخذ بيد النهضة العلمية، بالنسج على الطراز الجديد الذي يرجى به التقدم للتلامذة إلى تحصيل ما ينفعهم في العاجل والآجل، من غير تضييع جل الأوقات في لا طائل، أو تحصيل بعض المسائل هي بالنسبة لما صرف فيها من ثمين العمر ما يتعجب منه العاقل، فإن تنظيم طرق التعليم قاضية بنجاح المتعلم في أقرب وقت لما أودعه الحق تعالى في قابلية الإنسان من قبوله للتعليم، بعد أن أوجده من العدم ذا جهل بسيط.

---

(1) محمد بن الحسن بن العربي بن محمد الحجوي الثعالبي أصلا الفاسي دارا ومنشأ، ولد بفاس عام 1291هـ. فحفظ القرآن الكريم على الشيخين الجليلين سيدي محمد بن عمر بن سودة، وسيدي محمد بن الفقيه الورياجلي، ثم انتقل بطلب العلم بالقرويين منذ عام 1307هـ، ومن شيوخه الذين أخذ عنهم العلامة سيدي محمد بن التهامي الوزاني، والعلامة سيدي محمد فتحا بن قاسم القادري، والعلامة سيدي محمد بن محمد بن عبد السلام كنون، والعلامة سيدي عبد السلام الهواري، والعلامة سيدي أحمد بن الجيلاني الفيلالي الأمغاري، والعلامة سيدي أحمد بن الخياط، والعلامة مولاي عبد الملك الضرير العلوي وغيرهم، وبعد تخرجه زاول التدريس بجامعة القرويين، ثم بعد ذلك أسندت إليه سفارة المغرب بالجزائر على مدى سنتين ابتداء من عام 1321هـ، ثم عين وزيرا للعدل، وبعدها وزيرا للمعارف الإسلامية في عهد الحماية الفرنسية بالمغرب، وكانت وفاته بالرباط سنة 1376هـ-1956م، ونقل لفاس حيث دفن ببعض مساجدها، وله رحمه الله تآليف كثيرة منها : الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، والبرهان في الفرق بين الألوهية والنبوة، والمحاضرة الرباطية في إصلاح تعليم الفتيات في الديار المغربية، والصورة الجمالية في تاريخ إفريقيا الشمالية، وإتحاف الزائر بمشاهدة أرض الجزائر، والرحلة الأوروبية فيما شاهدته بأراضي فرنسا وأنكلترا من التقدمات العصرية، ومستقبل تجارة المغرب، والتعاضد المتين بين العقل والعلم والدين، وغير ذلك من التآليف الأخرى. أنظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 146 وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 96. وفي العز والصولة لعبد الرحمان بن زيدان ج 2 ص 53. وفي مقدمة كتابه الفكر السامي ج 1 ص 9-23.

ولا يعزب عن علم جل الجلة أن الله تعالى خلق الإنسان ذلك الجسم الصغير المنطوي فيه سر العالم الكبير، ذلك البشر الذي خلق في أقوم الصور وأحسن تقويم، فأنار سبحانه هيكله الجثماني بنور العقل، وكمل محاسنه بما ألهمه من حسن الأدب الذي هو عنوان على الفضل، وبه يرتقي كل فرد من النوع الإنساني في مراقي التبجيل، على قدر ما لديه من تلك المحاسن التي كملت بالأدب والعقل، وبدونهما ينحط من أعلى الرتب إلى أسفل، وقد قيل :

ما وهب الله لامرئ هبة	أفضل من عقله ومن أدبه
هما جمال الفتى فإن فقدا	ففقده للحياة ألـيـــق بـــه

فأما العقل فهو يقود صاحبه إلى ما يراه حسنا، فلا يسلك من الطرق إلا ما يرى فيه سلامته، حسب نظره بقدر ما منح من قوة النور وضعفه، حتى يحصل على ما قدر له بالسابقة من سعادة أو شقاوة.

وأما الأدب فهو بحسب الوهب بإرث كان أو بكسب اسم جامع للمحاسن الدنيوية والدينية، ويطلق بإزاء معان، فيطلق على الاتصاف بمكارم الأخلاق، وكل ما يرجع إلى الكمال البشري بتهذيب نفساني، أو تأديب رباني، وللنبي الأمي سيدنا ومولانا محمد عليه السلام كمال الظهور في هذا المظهر، حتى قال فيما ورد عنه عليه السلام "أدبني ربي فأحسن تأديبي"(2) ولمن اقتدى به الحظ الأوفر من هذا الأدب، ويطلق أيضا على حسن المعاشرة وجميل المخالطة بصدق ووفاء، مع اجتناب ما ينفر النفوس في الشدة والرخاء، مع مداراة تامة عند الإحتياج إليها في جبر الخواطر بتحمل الأذى ونحو ذلك، وهو بهذا الإطلاق قد يكون مندرجا فيما قبله، ويطلق أيضا على نهوض النفس إلى إحراز الفضائل، باجتناب الرذائل، والحصول على المحامد التي يغبط الشخص فيها، من علوم ومعارف يحق بها الفخر بنفسه وإن لم يفتخر، ومن كمال أدبه عدم الإفتخار، ولقد أجاد من قال فيه :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا	يغنيك محموده عن النـسـب
إن الفتى من يقول هــا أنــا ذا	ليس الفتى من يقول كان أبي

وقال آخر :

مالي عقلي وهمتي حسبي	ما أنا مولى ولا أنا عربي
إذا انتمى منتم إلى أحـــد	فإنني منتم إلـــــى أدبـــي

(2) ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير وعزاه فيه لابن السمعاني في أدب الإملاء عن ابن مسعود. ج 1 ص 14.

ويطلق بإزاء معان أخرى، أخص بالذكر منها علوم الأدب التي هي علوم العرب المجموعة في قول الشيخ حسن العطار(3) :

نحو وصرف عروض بعده لغة ثم اشتقاق قريض الشعر إنشاء
كذا المعاني بيان الخط قافيـــة تاريخ هذا لعلم العرب إحصاء

وبعضهم زاد فيها ونقص منها بحسب ما ظهر له فقال :

لغة وصرف واشتقاق نحوها علم المعاني والبيان بديع
وعروض قافية وإنشاء نظمها بكتابة التاريخ ليس يضيع

ولكل علم من هذه العلوم حد محدود وقواعد يرجع في تحقيقه إليها، ومن حصل عليها فقد حصل على علم الأدب في الإصطلاح العرفي، على أن جل هذه العلوم العربية في نظر الأدباء مستنبط من كلام العرب نظما ونثرا، ولم يكن للعرب إلمام بتلك القواعد المضبوطة بالإستنباط، وإنما ذلك من أحوال كلامهم السليقي الذي جبلوا عليه، بحيث لا يمكنهم أن ينطقوا بغيره سهوا، وربما لا يساعدهم النطق بتعمد الخطأ فيه، وبمثل هذا استدل سيبويه على الكسائي(4) في المناظرة التي وقعت بينهما، حين زعم الكسائي أن العرب تقول "كنت أظن الزنبور أشد لسعا من العقرب فإذا هو إياها" فقال سيبويه ليس المثل كذلك "بل فإذا هو هي" واتفقا بحضرة الأمين بن هارون الرشيد على مراجعة عربي خالص لا يشوب كلامه شيء من كلام أهل الحضر، فحضر عربي طبق الإتفاق، وعرضت عليه المسألة، فوافق الكسائي بإيعاز من الأمين، لكونه شيخه، فقال سيبويه مره لينطق بذلك فإن لسانه لا يساعده، فلم يفعل الأمين مع أن الحق مع سيبويه، ولاشك أن النطق يعسر عند التلفظ بما لم يكن الناطق معتادا له، إلا عن تعمد، ومع التعمد قد لا يساعد على ذلك، ومثاله في النطق بالهمزة بدل الكاف أو القاف، فمن لا يحسن التلفظ بهما فلابد أن يقول مثلا في القط الإط بالهمزة، وفي القلب والكلب الألب، ونحو ذلك إلا بعد ممارسة، فكذلك العرب في نطقهم فلا يخرجون عنه إلا بعد مخالطة الغير بمخاطبتهم مدة، ومع ذلك فلا يحتاجون في ذلك إلى مراعاة القواعد التي استنبطت من كلامهم، إلا في حق من داخلته العجمة فتعلم بعد ذلك تلك القواعد، فيعد نحويا لا عربيا سليقيا،

---

(3) حسن بن محمد بن محمود العطار، فقيه، أديب، فلكي، أصله من المغرب، ولد بالقاهرة عام 1190هـ، وبها توفي عام 1250هـ، وكان أبوه عطارا، فتبع أباه في تجارته أول الأمر، ثم انصرف إلى الأدب والعلم، تولى إنشاء جريدة الوقائع المصرية في بدء صدورها، ثم عين شيخا لعلماء الأزهر خلال الأربع سنوات الأخيرة من عمره، ومن مصنفاته : رسالة في كيفية العمل بالأسطرلاب والربعين المقنطر والمجيب والبسائط، وديوان شعر، وتآليف في فن الإنشاء والمراسلات، وغير ذلك من التآليف الأخرى. أنظر ترجمته في الخطط التوفيقية لمبارك ج 5 ص 38، وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 220، وخصصه الشاعر محمد عبد الغني حسن بتأليف سماه : حسن العطار.

(4) علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي الكوفي الكسائي، إمام في اللغة والنحو والقراءة، وهو أحد القراء السبعة المعتمدين في القراءة، قيل له الكسائي لأنه أحرم في كساء، من مصنفاته : القراءات، والحروف، والمصادر، ومعاني القرآن، والنوادر، ومختصر في النحو، والمتشابه في القرآن، وما يلحن فيه العوام، توفي رحمه الله (برنبوية) قرية من قرى الري لما كان متوجها لبلاد خرسان صحبة الخليفة هارون الرشيد عام 189هـ. أنظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 330، وفي غاية النهاية لابن الجزري ج1 ص 535، وفي نزهة الألباء للأنباري ص 81-94، وفي تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج 11 ص 403، وفي طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص 138، وفي إنباه الرواة للقفطي ج 2 ص 256، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 283 وفي الفكر السامي للحجوي ج 1 ص 391 رقم الترجمة 128.

ولذلك افتخر أبو الأسود الدؤلي(5) بلهجته فقال :

ولست بنحوي يلوك لسانه ولكن سليقي أقول فأعرب

لأن السليقة حاكمة بانطباعها في الطباع، فلا خروج لكل قبيل عن لهجته إلا بعد الممازجة والممارسة، فيدخل بذلك في طور آخر كما هو المعتاد في القبائل والمدن في اللغة الدارجة، فإن اللهجة مختلفة يشعر بذلك كل واحد عند نطق مخاطبه، فيستدل بذلك على قبيلته التي نشأ فيها، فالألفاظ في نفسها تدل على جنسية اللافظ بها، ولهذا سهل تدوين اللغة العربية على من رامه من غير أهل تلك اللغة بتلقيها عن أهلها، فكان بذلك لمؤلفيها من علماء العجم والفرس وغيرهم اليد البيضاء في تدوين اللغة العربية، وقل من فرق بين ألفاظ القبائل، لصعوبة ذلك عليهم، وسهولته على العربي لما لديه من الملكة في لغته، بالتفرقة بين اللغات المختلفة، وجزمه القاطع بتعداد الألفاظ الدخيلة من لغات الأجانب في لغته لحنا وإعرابا، مع مراعاة الحقيقي والمجازي وضعا.

ولهذا لما تحقق أبو الأسود الدؤلي بلحن ابنته حين قالت في التعجب "ما أشد الحر" بصيغة الإستفهام، وأجابها على مقتضى استفهامها بقوله "الرمضاء وقت الهاجرة" فقالت لست أستفهمك وإنما أنا أتعجب من شدة الحر، قال لها "قولي ما أشد الحر وافتحي فاك" وجاء إلى الخليفة سيدنا علي كرم الله وجهه وأخبره بقصته مع ابنته وهو في تحسر كبير بمداخلة العجمة في كلام العرب، وطلب منه أن ينظر فيما يحوط به هذه اللغة، فقال له "الكلم اسم وفعل وحرف وانح على هذا النحو" فسمي بذلك النحو نحوا. وزيد في أبوابه بتتبع أحوال الكلام، ومراعاة حال الدخيل في اللغة مع الأصيل، حتى صار مضبوطا بقواعده التي لا يمكن مع مراعاتها اللحن، وهكذا وقع استنباط قواعد غير النحو من العلوم المتقدمة من تصريف واشتقاق مع باقيها، فإن العرب لم يتعلموا فيها قواعد، وإنما ذلك فيهم خلق طبيعي طبق ما أشرنا إليه، إلا ما كان من علم الخط وعلم التاريخ فهما من العلوم التي تقررت بالتعلم، مثل العلوم التي كان لهم بها اعتناء وأشاروا في أشعارهم إليها، ولم يظهر علم الكتابة بين خواص العرب إلا عن أمد غير بعيد قبل ظهور سيد الأميين عليه السلام.

علم العروض

وقد اختلف الباحثون عن أسرار هذه اللغة، في كون علم العروض هل هو من علومهم التي تعلمها من نبغ منهم في الشعر أو هو علم مغروز في سجاياهم، فعلى أنه من علومهم التي

(5) ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل، المعروف بأبي الأسود الدؤلي، واضع علم النحو، ولاه الإمام علي كرم الله وجهه على البصرة، وبها توفي عام 69هـ، وهو أول من عمل على تنقيط المصحف الكريم، لتسهيل قراءته على عامة الناس، أنظر ترجمته في الإصابة لابن حجر العسقلاني رقم الترجمة 4322، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 240، وفي إنباه الرواة للقفطي ج 1 ص 314، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 237، وفي الفكر السامي للحجوي ج 1 ص 389 رقم الترجمة 124.

تعلموا قواعدها فلا دخل للخليل بن أحمد(6) في استنباط قواعد هذا العلم، لأن غيره هو الواضع له، ويستدل لهذا القول ما يحكى عنه أنه رأى شيخا كبير السن يقول لصبي قل :

نعم لا نعم لا لا نعم لا نعم نعم ... نعم لا نعم لا لا نعم لا نعم نعم

فوقف ينظر إليه ولم يفهم المقصود من ذلك، فقال ما تقول أيها الشيخ لهذا الصبي، فقال أعلمه قرض الشعر، فنحا الخليل منحاه، وسمي الفن بالعروض لكونه عرض له في طريق مكة، وهي تسمى "العروض"، وقيل هو الواضع له فأبرز الموازين على وفق ما وفق له بتتبع أوزان الشعر العربي وترتيب دوائر تفعيل أبحره، وقد حكي عنه أنه كان يوما منكبا على دائرة يحاول فك أجزائها ويقطع التفعيل تقطيعا، فنظر إليه ولده من خلال باب المحل الذي هو به، فنادى قومه وقال : إن الخليل قد جن فأتوه، فلما فرغ حول وجهه إليه وأنشد :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني ... أو كنت أجهل ما تقول عذلتك

لكن جهلت مقالتي فعذلتنـــــي ... وعلمت أنك جاهل فعذرتـــك

وقد حصر الخليل أوزان شعر العرب في خمس دوائر، اشتملت على خمسة عشر بحرا، سمي كل بحر منها باسم خاص بحسب المناسبة، ورد لكل بحر ما يناسبه من تلك الأوزان، فأحدث له أعاريض وأضربا بمراعاة علل وزحاف يرجع إليه بحكم الذوق في القبح والحسن، فما وافق ذلك من تلك الأوزان كان شعرا مستعملا عند العرب. وما كان من تلك الدوائر مهملا عنده فإن العرب لم تستعمله فلا يسمى شعرا، وقد استدرك فيها عليه الأخفش(7) الأوسط تلميذ سيبويه (8) وزنا مستعملا منها عند العرب، واستشهد له بقولهم :

لم يدع من مضى للذي قد غبر ... فضل علم سوى أخذه بالأثر

---

(6) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، واضع علم العروض، أخذه من الموسيقى، وكان عارفا بها، ولد بالبصرة عام 100هـ، وبها توفي عام 170هـ، من مصنفاته : كتاب العين، في علم اللغة، في 2500 صفحة، ومعاني الحروف، وكتاب العروض، وتفسير حروف اللغة، والنقط والشكل، وجملة آلات العرب، والنغم، وغير ذلك من الكتب الأخرى.
انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 172، وفي إنباه الرواة للقفطي ج 1 ص 341، وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 314، وفي الفكر السامي للحجوي ج 1 ص 390 رقم الترجمة 126.

(7) سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري، المعروف بالأخفش الأوسط، نحوي مشهور، عالم باللغة والأدب، وهو الذي زاد في علم العروض بحر الخبب، ويسمى كذلك بالمتدارك، لأنه أدركه على الخليل بن أحمد، ومن مصنفاته : تفسير معاني القرآن، وشرح أبيات المعاني، وكتاب الملوك، والاشتقاق، ومعاني الشعر، والقوافي، وغيرهم. وكانت وفاته رحمه الله عام 215هـ، انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 208، وفي بغية الوعاة للسيوطي ص 258، وفي إنباه الرواة للقفطي ج 2 ص 36، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 101.

(8) عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، الملقب بسيبويه، إمام النحاة، ولد بإحدى قرى شيراز عام 148هـ، وتوفي بها عام 180هـ، من مصنفاته : كتاب سيبويه، في علم النحو، وهو تصنيف لم يصنع قبله ولا بعده مثله، انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 385، وفي البداية والنهاية لابن كثير ج 10 ص 176، وفي تاريخ بغداد للخطيب ج 12 ص 195، وفي الأعلام للزركلي ج 5 ص 81.

وسماه "متداركا" وهذه الأبحر لم تعرفها العرب بأسمائها وأعاريضها وأضربها وزحافاتها وعللها ونحو ذلك، وإنما الأوزان في نطقهم خرجت على وفق ذوقهم، فكان بذلك علم العروض والقوافي وعلم القرض من العلوم المستنبطة من كلامهم، كما استنبط من كلامهم عمل الإنشاء، ثم إن الشعر العربي بعدما أخذ حظه من الشهرة أيام العرب بعقد المحافل بسببه للشعراء والتنويه بشأنهم، انكب على قرضه منهم كل من له داعية من دهاء وذكاء في السراء والضراء ونحو ذلك، حتى كان الشاعر منهم يقصد لسماع شعره من الأماكن البعيدة، ويعقد له بذلك اللواء، ويشد هو الرحلة أيضا إلى أسواقهم العامة والخاصة، وينشد ما جادت به قريحته، فيروى عنه ويطير صيته للآفاق.

ومن عظيم تنويههم بالشعر أنهم اختاروا منه ما علقوه على جدران الكعبة داخلا وخارجا، حتى جاء الإسلام فأثر في الشعر نوع فتور، فصارت همم الموفقين مصروفة لتلقي حديث الرسول وحفظ الآيات القرآنية، وصار ذكره في المجامع والمحافل بدلا عن الشعر، حتى تقرر الدين وضبط جل ما روي من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، وما ورد من سننته ضبطا محكما، وطار صيت الإسلام للآفاق.

ثم صرفت الهمم لجمع بقية الشعر الباقية، وصارت النفوس تميل لحفظه للإستشهاد به في المستنبطات، لموافقة كلام العرب الذي جاء به القرآن الكريم، سيما واللغة قد كاد أن يعتريها الفساد بدخول السواد الأعظم من أهل اللغة الأعجمية في الإسلام، بممازجة المستوطنين بجزيرة العرب والفاتحين للبلاد البعيدة، وكبر شأن حافظيه وقارضيه في نظر الخاصة والعامة، فصار للشعر والشعراء نهضة بعد نهضة، حتى بلغ الشأو الذي لا يلحقه غيره في حومة الأدب، حتى كاد أن لا يسمى غير الشاعر بالأديب، وحاز حظا وافرا من الإعتناء به والتنويه به بين طبقات الأعيان من الأمراء والعلماء، وتقلد كل ذي أريحية منهم بقلادة إنشائه وإنشاده، مع التفنن فيه بطلاوة حسن الحضارة والتمدن، مع مراعاة تلك القواعد التي ألحقت نظم الأدباء بشعر العرب.

ويقبح كل القبح بين العارفين به تداخل من لا يحسنه معهم، ويسقط من بين أعينهم من لا ينطق بالشعر بوزنه، سيما عند التلحين به، واستشهاد من لا يعرف إتقان نطقه به، فصار بعد ذلك من نقص النحوي أن يفوته الإلمام بقرض الشعر والعروض، كما صار من نقص قارض الشعر عدم معرفته للنحو وقواعده.

ثم لما تفنن الشعراء في قرض الشعر وكبر شأن الأدباء عند أولي الأمر، تشوفت نفوس المولدين وفحول الأدباء إلى اختراع أوزان تناسب الذوق في آلة الطرب والتطريب بالسماع، فنظموا في أوزان الأبحر المهملة في نفس تلك الدوائر الخمس التي رد إليها الخليل أعاريض البحور المستنبط تفعليها، فلم يوافق النظم عليها الغرض تماما، ولم تزل تحركهم داعية إبداع ما يحرك الساكن من لذيذ الأوزان، خصوصا عندما نهضت نهضة الأدب، وظهرت بمظهر لم تظهر به من قبل، لوجود الرفاهية بالأندلس والعراق ونحوهما.

الفنون السبعة

فاستنبطوا بعض الفنون من الكلام الموزون في هذا الغرض المناسب لذوقهم، عندما لذ في أعينهم مزج بعض أضرب الأبحر مع أضرب أخرى، مع مراعاة الوزن وقواعد اللغة العربية، واتسع المجال في ذلك بتداخل اللحانين في النظم، فناسب أن يزاد في منطقة المخترعات، فتم بذلك استنباط موازين الفنون السبعة التي هي : الدويت، والموشح، والسلسلة، والموال، والقوما، وكان وكان، والزجل، ولكل من ذلك ضوابط لابد من مراعاتها في الوزن والنطق لحنا وتلحينا.

وقد اتسع نطاق نظم الأزجال لكونها لا يحتاج فيها إلى مراعاة قواعد النحو، بل اللحن فيها مما يواتيها، وعليه تتبني، وهي المعبر عنها بالموزون في لسان العوام، وبالملحون أيضا، وبالعلم الموهوب، ويسمى ناظمها شيخا، ولا يسمى شاعرا إلا من نظم الكلام في قوالب الوزن العربي، وكثيرا ما تلوح على جبين أشياخ الكلام الملحون والموزون أمارات التروحن مع الإنقباض عن الناس، والإنزواء عنهم حين تدعوه السجية إلى إنشاء ما فاضت به في الموضوع الذي هاجت فيه، ولربما سهر الليالي في مطاوعته السانح الذي يسنح له، كما يقع ذلك أيضا لجل الشعراء، ولذلك قيل بأن لكل شاعر جنيا يملي على لسانه ما يقوله من الشعر، وربما اجتمع الشاعر بقرينه الجني، وأشعارهم مصرحة بهذا، فقد قال سيد الشعراء حسان بن ثابت رضي الله عنه :

إذا ما ترعرع فينا الغـــــــلام	فما أن يقال له من هـــوه
إذا لم يسد قبـــل شــــــد الإزار	فذلك فينا الذي لا هـــوه
ولي صاحب من بني الشيصبان	فطورا أقول وطورا هوه

وقال غيره :

وإني وإن كنت صغير السن	وإن في العين نبوا عنـــي
فإن شيطاني أمير الـجـــن	يذهب بي في الشعر كل فن

ويحكى عن الفرزدق أنه أتاه رجل فقال : إني قلت شعرا فانظره، قال : أنشد فقال :

ومنهم عمر المحمود نائله	كأنما رأسه طين الخواتيم

فضحك الفرزدق ثم قال : يا ابن أخي إن للشعر شيطانين يدعى أحدهما الهوير والآخر الهوجل، فمن انفرد به الهوير جاد شعره وصح كلامه، ومن انفرد به الهوجل فسد شعره، وإنهما قد اجتمعا لك في هذا البيت، فكان معك الهوير في أوله فأجدت، وخالطك الهوجل في آخره فأفسدت،

ومن هذا الباب قالوا في الشعر أنه رقي الشيطان، وفيه يقول جرير(9) في قضيته مع سيدنا عمر بن عبد العزيز(10) منشدا بعد أن قال رأيت أميرا يعطي الفقراء ويمنع الشعراء من جملة أبيات قوله :

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه   وقد كان شيطاني من الجن راقيا

كما يقال أن الشاعر إذا وجه همته لأمر وصمم عليه فإنه يقع طبق ما يقول، وقد جرب ذلك في أشياخ الملحون، ويحكي عنهم العامة في ذلك قضايا غريبة، فمنهم من أنشأ قصيدة بشر فيها جاحده أو حاسده أو ظالمه بالهلاك فعجل لهم ذلك في أمد قريب، ومنهم من أنشأها في إيقاف حركة دولاب ناعورة فوقفت، ونحو تلك مما يقال أنه من الهمة أو من الجن، ولربما كان هذا من الخرافات التي لا حقيقة لها أو من شبه الكهانة.

وعلى كل حال فإن للشعر تأثيرا في النفوس اللطيفة، ويقع الملائم للطبع منه كل موقع، وعلى قدر ذوق كل إنسان يتحرك بلباله بما يذوقه من حلاوة المعاني المستودعة في تلك الأوزان، فلا عجب إن انفعلت له الأرواح، وتحركت أو سكنت به الأشباح، أو طويت به الأرض ونحو ذلك، ولم يزل الشعر العربي معدنا لاستخراج المعارف والفنون التي تدل على ما للعرب من لطائف المعلومات، مع ما كانوا عليه في الجيل الماضي من عدم الترفه، واقتصارهم على ما لديهم مما اعتادوه في حواضرهم وبواديهم، مما لا نسبة له في جانب حضارة غيرهم المزخرفة، من غير أن يسبقهم غيرهم في جل ذلك، فمداركهم في ذلك الجيل راقية، ومعارفهم إلى الآن باقية، وما ضاع منها قبل توثيق ما روي عنهم الكثير.

ولنذكر هنا بعض العلوم التي بها للعرب إلمام تام، وحصل بها النفع العام، زيادة على العلوم التي استنبطت من كلامهم، ووضعت لها قوانين فنية يرجع في تحقيق تلك اللغة إليها، وقد أشرنا سابقا إلى علمين منها وهما النحو والعروض، فبمراعاة قواعد النحو يكون الكلام عربيا، وبمراعاة قواعد العروض يكون الكلام شعرا، وما خرج عن ذلك فليس من قول العرب في شيء، ولم يقع في اللغة العربية خلل في اللفظ والنطق إلا بمداخلة العجمة وأهلها بينهم، وأشبه شيء بالعربية لغة غير البربر من اللغات الأجنبية، وهي اللغات الدارجة بين المسلمين شرقا وغربا، ولذلك إذا روعي فيها قواعد النحو وافقت العربية تماما، ولم تخالفها إلا في أقل القليل، مما داخله النعت اللغوي الشبيه بالسريانية في الإختصار.

---

(9) جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي، أشعر أهل عصره، من تميم، ولد باليمامة عام 28هـ، وبها توفي عام 110هـ، قضى طيلة عمره يكافح شعراء جيله ويساجلهم، وكان هجاءا مرا، فلم يثبت أمامه في هذا الصدد سوى الفرزدق والأخطل.
أنظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 102، وفي شرح شواهد المغني للسيوطي ص 16، وفي الشعر والشعراء لابن قتيبة ص 179، وفي خزانة الأدب للبغدادي ج 1 ص 36، وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 119، وخصصه جميل سلطان بتأليف سماه : جرير قصة حياته ودراسة أشعاره.

(10) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أحد ملوك الدولة الأموية، عرف بالعدل والإستقامة والنزاهة والزهد والورع، ولهذا لقب بخامس الخلفاء الراشدين، تشبيها له بهم، ولد بالمدينة المنورة عام 61هـ، وبويع له بالخلافة عام 99هـ، فلم يمكث فيها سوى سنتين ونصف، حيث أدركته المنية بدير سمعان من أرض المعرة عام 101هـ، أنظر ترجمته في تاريخ ابن خلدون ج 3 ص 76، وفي فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج 2 ص 105، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 2 ص 128، وفي تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج 7 ص 475، وخصصه ابن الجوزي بتأليف سماه : سيرة عمر بن عبد العزيز.

ويسهل كل السهولة على من عرف لغة العرب فهم اللغات الدارجة وإن اختلفت لهجة أهلها. كما يصعب غالبا على من عرف لهجة لغة دارجة فهم لغة دارجة أخرى. ولذلك يجد من يتعلم اللغة الدارجة في بلد صعوبة في فهمه للهجة أخرى، فالأولى لمن يريد أن يفهم الجل من اللغات الدارجة تعلمه للغة العرب الأصلية. لأن جميعها تجمعه الكتابة بها. وقل ما كتبت اللغة الدارجة على ما هي عليه، ولهذا كانت جل الكتب المتداولة إنما هي باللغة العربية، فيفهمها جل العوام، وسائر الخصوص من غير إبهام ولا إيهام.

وحيث دخلت العجمة في الكلام العربي، واعتاد الناس اللغة الدارجة، فقد قيض الحق سبحانه لهذه اللغة من يحفظها من الإندراس، وذلك بتوفيق من استنبط قواعدها التي كانت عليها فطرة العرب في جل علوم العربية، ويعد من عرف هذه القواعد من علماء الفن الذي حصل قواعده، فتكون له المزية على جاهل ذلك الفن. فإن حصل قواعد علوم العرب التي هي علوم الأدب عد أديبا حقيقيا. وبالأخص إذا كان يطبق تلك القواعد على مواضيعها، فإنه يوجد في الناس من يعرف مثلا العروض ولا يعرف النطق بالشعر، ولا تساعده القريحة على نظمه، وربما كان من لا يحسن قواعده ينطق به ويشعر لسجية فيه جاءت إليه بمخالطة الشعراء، فسرق طبعه من طبعهم، "والطباع تسرق الطباع" ولهذا يسهل كثيرا تعمل اللغة بمخالطة أهلها، ويصير مخالط الشاعر شاعرا، وكثيرا ما تحصل الملكة فيه لمتعاطيه، بحيث لا ينطق فيه بكسر وزن بزيادة أو نقصان، وذلك في بعض الأشخاص دون بعض، ولربما صعب على الشاعر الفحل قرضه، فلا تساعده سجيته في بعض الأوقات، وقد حكي عن الفرزدق قوله لنتف لحيته في بعض الأحيان أهون عليه من قول شطر بيت واحد، وهكذا في غير الشعر من الكلام، والغالب على العارف بفنون الأدب الإتقان في إنشائه وإنشاده نظما ونثرا، وقد يبرع في فن النثر دون الشعر وبالعكس.

علم القرض

فمن علوم العربية علم القرض، وهو علم يعرف به كيفية النظم وترتيبه، ومعرفة جيده من رديه، وهذا الفن خاص بنقد الشعر، لصعوبة الشعر على بعض الأشخاص وغلق الأبواب فيه عليهم، كما قيل :

الشعر صعب وطويل سلمـه	إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمه	يريد أن يعربه فيعجـمـــــه

وكثير ممن ترامى على الشعر بلا استعداد، يكثر عليه الإنتقاد، ولهذا لا ينبغي للشاعر الأديب أن يعجل بإظهار سوانحه إلا بعد التنقيح، وفي ذلك قيل :

لا تعرضن على الرواة قصيدة — ما لم تكن بالغت في تهذيبها
فإذا عرضت الشعر غير مهذب — قالوا أتيت وساوسا تهذي بها

وقد كان شعراء العرب يبالغون في ذلك، فلا يعرضون ما جادت به قرائحهم إلا بعد التهذيب التام، حتى كان من جملتها القصائد الدهريات، وغير ذلك، كالمعلقات(11) والمجمهرات(12) والمنتقيات والمذهبات(13) والمشوبات والملحمات مما هو مشهور. وهذا التهذيب المطلوب هو في حق من يزاحم الشعراء ويريد أن يعد نفسه من العالمين بالشعر وقرضه، أما المبتدي فيطلب منه أن ينظم كيف ما تأتى له، ولا يستحي من عرض ذلك على العارفين بالفن ليبصروه بما خفي عنه فيه، ولو كان يراهم يسخرون منه في ابتداء أمره، فإنه بانتقادهم عليه وتوجيه نظره لمحل الإنتقاد ينبغ فيهم، وإلا بقي غريقا في الجهل به، ولهذا الفن تأثير في نفس من يريد النظم بإرشاده إلى أسهل الطرق في قول الشعر والقدرة على نظمه، وقد تكلم عليه جل علماء الأدب، وأفرد بخصوص الذكر في عداد العلوم الأدبية، وقد نظمت فيه أرجوزة سميتها (الدرة المكنونة)(14) مفيدة فيه للغاية، وهذا العلم وإن كان يرجع للشعر فهو نوع خاص دون العروض والقافية.

علم القوافي

ومن علوم العربية علم القوافي، وهو من تتمة علم العروض، وهو علم يبحث فيه عن تناسب وعيوب أواخر الأبيات الشعرية، ومعنى القافية في نظر محققي هذا الفن التابعة لما قبلها، فالبيت الواحد ليس بشعر، ولذلك لا يوجد في القرآن الكريم ولا في كلام الرسول أكثر من بيت واحد متزنا. وخروج المتزن من ذلك بالقافية أحسن من خروجه بالقصد المذكور في حد الشعر عندهم، وهو ما قصد نظمه فارتبط لمعنى وقافية، لئلا يرد وقوع ما لم يقصد في القرآن وكلام الرسول عليه السلام،

(11) المعلقات : هي القصائد السبع الطوال التي سمتها العرب السموط، لأنها مختصة بحكمتها، ومستقر بلاغتها، وغاية ما وصل إليه الخيال من شاعريتها، وقد قال بعض الرواة أنها من فرط شغفهم بهذه القصائد وشدة إكبارهم لها كتبوها بماء الذهب على القباطي وعلقوها على الكعبة، الأولى من هذه القصائد لامرئ القيس، والثانية لطرفة بن العبد البكري، والثالثة لزهير بن أبي سلمى المزني، والرابعة للبيد بن ربيعة، والخامسة لعمرو بن كلثوم التغلبي، والسادسة لعنترة بن شداد العبسي، والسابعة للحارث بن حلزة اليشكري، أنظر مجموع مهمات المتون ص 783-822، وفي دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي ج 6 ص 543-581.

(12) المجمهرات : هي سبع قصائد من أشعار العرب في الجاهلية، في الطبقة الثانية بعد المعلقات السبع.

(13) المذهبات : هي سبع قصائد من أشعار العرب في عهد الجاهلية، قالها أهل الطبقة الثانية، وهي تلي المعلقات، الأولى لحسان بن ثابت شاعر رسول الله (ﷺ) والثانية لعبد الله بن رواحة، والثالثة لمالك بن عجلان، والرابعة لقيس بن الخطيم الأوسي، والخامسة لأحيحة بن الجلاح، والسادسة لأبي قيس بن الأسلت، والسابعة لعمرو بن امرئ القيس، أنظر دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي ج 4 ص 136.

(14) أنظر ج 1 ص 114 من هذا المؤلف.

وقد بسطت الكلام على هذا المعنى في تأليف سميته "منهل الورود الصافي والهدى من فتح الكافي، في علمي العروض والقوافي"(15) وهو تأليف طويل الذيل، أرجو أن يكون نافعا لقارئه بدرسه بدون شيخ لطالب هذا العلم والله الموفق.

علم الإنشاء

ومن علوم العربية علم الإنشاء، وهو علم يعرف به كيفية إنشاء الكلام المنثور بعبارات حسنة لائقة بالمقام، وهو ضد الشعر، فلا يستعمل فيه الشعر إلا على وجه التبع، وقد يكون الشخص شاعرا ولا يكون منشئا وبالعكس، وقد تكون له ملكة في الشعر والإنشاء، وهذا الفن لابد من معرفته لمن يتعاطى خطة الكتابة، وإلا عد نساخا أو مساخا أو سلاخا.

علم الخط

وقد تطلق الكتابة على علم الخط والرسم، وهو علم يعرف به أحوال الحروف في وضعها وكيفية تركيبها رسما. وقد كان الخط قديما ذا حروف منفصلة في لغة حمير، ثم استنبط منه عرب طيء خطا ذا اتصال وانفصال بدون نقط ولا إعجام، سموه "بالجزم" كما كان الأول يسمى "مسندا" وكانوا يمنعون العامة من تعلمه، وبالأخص النساء، وقد مر أعرابي على شيخ يعلم بنتا الخط فقال : واعجبا أفعى وتسقى سما.

ولم ينتشر تعلم الخط في العرب إلا بنحو مائة سنة قبل الإسلام، فحفظ به مآثرهم، وضاعت مآثر من قبلهم لعدم من يعرف خطهم الخاص بهم، لأجل حفظ أسرارهم وعدم اطلاع العامة عليها، وهكذا كل خط اختص به قوم لا ينتفع بما اشتمل عليه إلا من عرفه، كالخط الرومي فلا ينتفع به إلا من عرفه وعرف ما تضمنته كلماته، وكالقلم الفاسي فقد كان عارفوه يبخلون بتعليمه للعامة، فكانوا يكتبون به في رسوم الشركات وغيرها، ويؤرخون به المكاتب حرصا منهم على حفظها من اطلاع العامة على ذلك.

وقد استعملت شرحا على أبيات بعض العلماء الفاسيين فيه سميته "إيقاظ المتعلم والناسي، في صفة أشكال القلم الفاسي"(16) وهو مفيد في بابه، وقد ترجمه للغة الفرنساوية بعض الأفاضل، وقد تنوع الخط على أنواع، وأهمها الخط الكوفي الذي هو الأصل في الخط المشرقي والمغربي، وقد كاد أن لا يقرأ أهل خط خطا آخر إلا بعد الممارسة، ومما يحكى عن بعض المشارقة أنه عثر على تأليف بالغ في مدحه لحاضريه ولم يجد ما يعيبه به إلا من حيثية كونه بخط مغربي.

---

(15) أنظر ج 1 ص 92 من هذا المقال.
(16) أنظر ج 1 ص 84 من هذا المقال.

ومن أدب هذا الفن أن يعتني من يكتب بتحسين خطه ولو كتب مضمنه لنفسه، فإنه إذا لم يتقنه قد تصعب عليه قراءته عند مراجعته في بعض الأحوال، كما وقع ذلك للشيخ ابن عرفة (17) فإنه لما طعن في السن لم ينتفع برقة خطه، ولا بدقة نظره، حيث كان يصعب عليه مراجعة كلامه المكتوب، وحكى العلامة المقري(18) رحمه الله في كتابه "نفح الطيب" عن بعض أهل العلم ممن كان يعاب عليه قبح خطه، ويدافع عن نفسه بأنه هناك من الخطوط ما هو أقبح من خطه، وكان يبحث عن ذلك إلى أن عثر على مكتوب بخط كاد أن لا يقرأ لرداءته، ففرح من أجل ذلك واشتراه بثمن غال ليستدل بذلك على العائبين عليه، فأتاهم به، وبعد عناء شديد في الإستطلاع على اسم كاتبه وجد نفسه هو الكتاب له أيام صباه، فاستغرقوا ضحكا عليه.

وأحسن طريقة في تعلم الخط الحسن أن يتلقى الكتابة ممن خطه حسن من أول مرة، لأنه يصعب كل الصعوبة أن يحسن خط من تعلم الخط الرديء في مبادئ التعليم، وما يقال من الاشتغال بتقويم الخط وتحسينه ليس من شأنه أكابر العلماء، فهو غلط، لأن الهمة وإن كانت مصروفة لروح الألفاظ فإن التعليم الابتدائي لا ينافيها، لأن تحسينه من الصناعة، ورحم الله شخصا صنع شيئا فأتقنه، وقد قالوا الخط الحسن يزيد الحق وضوحا، وأركانه أربعة منظومة في قول من قال :

ربع الكتابة في اسوداد مدادها	والربع منها صنعة الكتاب
والربع في قلم تساوى بـــربـه	ثم الكويغد رابع الأسبـــاب

علم اللغة

ومن علوم العربية علم اللغة. وهو علم يعرف به أبنية الكلم ومعرفة معانيها، ليعبر بذلك على المقصود والإفصاح عنه بها بإفراد وتركيب مثل غيرها من اللغات، ويستعان على الإطلاع

(17) محمد بن محمد بن عرفة الورغمي، أحد أكابر فقهاء المالكية في عصرها، ولد بتونس عام 716 هـ، وبها توفي في 20 جمادى الثانية عام 803هـ، من مصنفاته : المختصر الكبير، في الفقه، ومختصر الفرائض للحوفي، والمختصر الشامل، في علم التوحيد، والحدود الفقهية، والمبسوط، في علم الفقه، في سبعة مجلدات، والطرق الواضحة في عمل المناصحة، وغير ذلك من التآليف الأخرى. أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 227 رقم الترجمة 817، وفي نيل الابتهاج للتنبكتي ص 274، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 293 رقم الترجمة 656، وفي الضوء اللامع للسخاوي ج 9 ص 240-242، وفي غاية النهاية لابن الجزري ج 2 ص 243، وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 43.

(18) أحمد بن محمد بن يحيى القرشي التلمساني الشهير بالمقري، مؤرخ، أديب، فقيه، حافظ، من مصنفاته : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، في أربع مجلدات، حول تاريخ الأندلس السياسي والأدبي، وأزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، في أربعة أجزاء، وروضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من علماء مراكش وفاس، وإضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة، وعرف النشق في أخبار دمشق، وغيرهم من تآليفه الكثيرة. وتوفي رحمه الله في شهر جمادى الأخيرة عام 1041هـ بمصر، أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 300 رقم الترجمة 1162هـ، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 328 رقم الترجمة 734، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 574 رقم الترجمة 331، وفي خلاصة الأثر للمحبي ج 1 ص 302-311، وفي البستان لابن مريم ص 155، وفي تعريف الخلف للحفناوي ج 1 ص 44، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 237.

على لغة العرب بمراجعة كتب اللغة المؤلفة فيها، مع معرفة اصطلاح كل كتاب منها، وإلا أسرع الخطأ لمن لا يعرف ذلك، ولابد للأديب أن يكون له نصيب وافر من اللغة وفقهها.

علم التصريف

ومن علومها علم التصريف، وهو علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلم وتحويلها لأبنية مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلا بها، ولا يكون في الحرف وشبهه البتة، وبه تحصل للمتكلم الملكة على التصريف في جل الألفاظ اللغوية فتصير تحت سلطته.

علم الاشتقاق

ومن علومها علم الإشتقاق، وهو علم يعرف به أصول الكلام وفروعه، وهو من ألطف العلوم، لأنه تحصل به ملكة للشخص في معرفة الأصل الذي يشتق منه وما لا يشتق، وقد اندرج عند بعضهم في العلم قبله.

علم البيان

ومن علومها علم البيان، وهم إسم جامع لكل ما كشف على المعنى، ويشمل ثلاثة فنون، الأول علم البيان في الإصطلاح الخاص، وهو علم بأصول يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة الوضوح في الدلالة على ذلك المعنى، وهو محصور في التشبيه والمجاز والكناية.

علم المعاني

الثاني علم المعاني، وهو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطلق اللفظ بمقتضى الحال، وفائدته فهم الخطاب وإنشاء الجواب بحسب المقاصد والأغراض، جاريا على قوانين اللغة في التركيب.

علم البديع

الثالث علم البديع، وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام وتنميقه بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة، وينقسم إلى بديع معنوي وإلى بديع لفظي، وينبغي أن يعتنى فيه بالمعاني ومراعاتها أكثر من الإعتناء بالألفاظ، لأنها كالأصداف، والمعاني دررها، وشتان ما بين الدرر والأصداف.

علم التجويد

ومن علوم الأدب علم التجويد على بعض الآراء، وهو علم يبحث فيه عن مخارج الحروف وصفاتها وإعطائها حقها في النطق كما كانت تنطق العرب بكلامها، فيعم علم القراءات، لأن القرآن من كلام العرب.

علم الوضع

ومنها علم الوضع على بعض الآراء أيضا، وعرفوه بأنه تعيين الشيء بإزاء المعنى، بحيث متى سمع أو أحس فهم منه المعنى الموضوع هو له، وعرف أيضا بأنه جعل اللفظ بإزاء المعنى، واختلفوا في واضع اللغة مطلقا، وفي نشأتها، فقيل توقيفية، ولا شك أنها بإلهام من الحق ولطف منه بعباده، فإنه من الألطاف الإلاهية حدوث الأوضاع اللغوية ليعبر بها عما في الضمير، وقد جاءت اللغات تدريجيا، والصحيح أنه لم يعرف أول من نطق بالعربية، وكانت اللغة كما قيل واحدة قبل تفرق بني آدم في أنحاء الأرض، ثم اختلفت لهجاتهم لاختلاف طبائع الأقاليم القاضية بوجود تفاوت في النطق واللون والعقل وغير ذلك.

وقد كانت لغة قبائل العرب العاربة من عاد وثمود وغيرهما العربية القديمة، إلى أن جاء يعرب بن قحطان(19) فاعتدل لسانه من السريانية إلى العربية، ولذلك يقال أنه أول من تكلم بالعربية من أحفاد نوح عليه السلام، وقد كان أهل كل قبيلة يتكلمون بالسريانية، ونشأت عن ذلك عربية حمير، إلى أن انتقل منهم إلى الحجاز جرهم(20) الثانية، فتعلم منهم إسماعيل عليه السلام العربية، وكان قبل ذلك لسانه لسان أبيه إبراهيم عليه السلام عبرانيا، فنشأ على ذلك بنوه، ولهذا يقال لهم العرب المستعربة، ولا ينافي هذا ما روي من أن أول من فتق لسانه بالعربية إسماعيل، لأنه هو أول من تعلمها من أهل اللسان السرياني، ومن ذلك الوقت واللغة العربية في التهذيب والترقي من طور إلى طور حتى بلغت إلى قريش، فهم أفصح العرب، وأفصحهم سيد الكل مولانا رسول الله عليه السلام.

علم التاريخ

ومن علوم الأدب علم التاريخ على بعض الآراء أيضا، وهو من علوم العرب، وهو في الإصطلاح تعيين وقت لينسب إليه أمر متقدم أو متأخر من الحوادث الكونية، وفي مدحه قيل :

ليس بإنسان ولا عاقـــل	من لا يعي التاريخ في صـدره
ومن درى أخبار من قبله	أضاف أعمارا إلى عـمــــره

(19) يعرب بن قحطان بن عابر، أحد ملوك العرب في جاهليتهم الأولى، يوصف بأنه من خطبائهم وحكمائهم وشجعانهم، وهو أبو قبائل اليمن كلها، وبنوه العرب العاربة، قال وهب بن منبه : يعرب أول من قال الشعر ووزنه ومدّه ووصف وقفّى وشبّب، إهـ ... ولي إمارة صنعاء باليمن بعد موت والده، فتح الأشوريين بالعراق، وحارب العمالقة ببلاد الحجاز. أنظر ترجمته في تاريخ ابن خلدون ج 2 ص 47، وفي السيرة الحلبية ج 1 ص 23، وفي التنبيه والإشراف للمسعودي ص 70، وفي الأعلام للزركلي ج 8 ص 192.

(20) جرهم بن قحطان، جد جاهلي يماني قديم، كان له ولبنيه ملك الحجاز، ولما بني البيت الحرام بمكة كان لهم أمرها، إلى أن تغلبت عليهم خزاعة، فهاجروا عائدين إلى اليمن، أنظر ترجمته في نهاية الأرب للقلقشندي ص 178، وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 118.

وليس هذا العلم مختصا بالعرب، وهو يعتبر عندهم بظهور الهلال، فكانت عندهم السنة قمرية كما عند غيرهم شمسية.

وأول من أمر بتاريخ المكاتب والرسوم في اللغة العربية سيدنا عمر رضي الله عنه، ثم تفنن الأدباء فيه وجعلوا منه التاريخ الحرفي العددي، وهو عبارة عن الإتيان بكلام يتضمن حادثة أو حالا بحيث لو جمعت أحرف الكلمات التي تضمنت ذلك بحساب الجمل العددي كان مجموعها تاريخ السنة المطلوبة، والمراد بالجمل العددي ما عين للحروف من العدد الخاص بكل واحد منها في حساب (أبجد) في الجمل الكبير، وفي حساب (أيقش) في الجمل الصغير، وقسموا هذا التاريخ إلى محكم ومستوفي ومستثنى ومذيل ومتوج ومخصص ومطلق، ولكل حد محدود، والغالب كونه في الشعر، وهو مما يدل على اقتدار الشاعر الذي جاء به في شعره، ويروق في النظر بقدر رقة معناه.

علم المحاضرات

ومن علوم الأدب علم المحاضرات، وهو علم تحصل به ملكة في إيراد الكلام المناسب للحالة الراهنة بين الحاضرين للمذاكرة ونحوها، كمعرفة قصة أو شعر أو سجع ليلقى في مجلس التخاطب لمناسبة يقتضيها ولو باستطرادات، وقد جعل بعضهم هذا العلم قسما من علم التاريخ، وبعضهم عكس ذلك، وهذا العلم اتسع فيه المجال الذي يجول في حومته الأدباء، ويتنافسون فيه بإبداء ما لديهم من اللطائف المعبر عنها بينهم بالأدبيات في الإنشاد والإنشاء، ونحو ذلك مما يفعل فعل الصهباء، فتعين الإعتناء به بحفظ كلام الغير، وبكتب ما يلد في الذوق حالة الإملاء، ليجد الأديب ما يقول، ويجيد في المنقول، وقد قيل :

قيد تقد حكم الأنــام	واروي النثار مع النظام
واحفظ تقل ما شئته	إن الكلام من الكـــــلام

فهذه هي علوم العرب عند من عدها، وإن كان منها ما هو غير مختص بكلامهم التي استنبطت منه، ومنها ما هو من علومهم التي شاركوا فيها غيرهم، مع أنه هناك علوم أخرى من معلوماتهم قد استفادها منهم الأجانب. ولا بأس للأديب أن يخوض فيها ليتسع له الباع في مجال علم الأدب بكمال الإطلاع، فإن الأديب يزداد اعتبارا بين الأدباء والأعلام، على قدر ما يحسنه في هذا المقام، ولذلك يوجد في كلام المنوه بشأنهم تلميحات وتلويحات، واقتباسات من العلوم والفنون والصنايع ما يشفي الغليل، ويبري العليل.

وهذه العلوم قد يندرج بعضها تحت بعض، ولكن لتكثير سواد تعداد الفنون جعلوا كل قسم خاص في موضوعه علما مستقلا يرجع في قضاياه إليه، وحيث انجر الكلام إلى العلوم التي استنبطت من كلام العرب والعلوم الخاصة بهم والعلوم التي استفادوها من غيرهم فلا بأس بذكر بعض من ذلك زيادة على ما تقدم، تنشيطا لمن يحب الخوض في الأدب، فيبادر إلى اقتطاف أزهار كل فن منها، فإن أفنان تلك الفنون يانعة، وأنوار روضات أنوارها ساطعة.

علم الأنساب(21)

فمن ذلك علم الأنساب. وهو علم يتعرف منه أنساب الناس، وهو علم عظيم النفع، حتى أنه ورد (تعلموا أنسابكم تصلوا أرحامكم)، وللعرب به مزيد اعتناء، لأنه أحد الأسباب التي ترتبط بها رابطة الألفة والتنافر.

وأعرف الناس به في الصحابة الخليفة الأعظم سيدنا أبو بكر رضي الله عنه، فقد كان يبين لسيد الشعراء سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه النسب الشريف المنوط بالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم في عمود نسب أبيه وأمه عند مهاجاة قريش، حيث قال له : والله يا رسول الله لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين، فقال : اهجهم ولسان القدس معك، فكانت مكافحته عنه أشد عليهم من وقع السهام في نحورهم وصدورهم، لكونه رضي الله عنه يضع فيهم القول موضعه بلسان الصدق، وقد أجمع الأدباء على أن أنصف بيت قالته العرب قوله رضي الله عنه في الرد على من هجا الرسول عليه السلام وهو :

أتهجوه ولست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء

علم الطب

ومن علومهم علم الطب، وهو علم بأصول تعرف بها أحوال أبدان البشر من صحة ومرض ومعالجة ذلك، فكان لجلهم الباع الطويل في هذا الفن بما أنتجته لهم التجربة، حتى تلقاها عنهم المنصفون بأيدي الإمتنان، ولا زالوا يصرحون بذلك على رؤوس الأشهاد.

---

(21) علم الأنساب من جملة العلوم التي عرفها العرب العلامة سكيرج في نظمه المسمى بالوصية الكافية فقال فيه ما نصه :

معرفة الأنســـــاب ... مفخرة الأعـــــراب
توارثوها أولا ... من ذكر وأنثى
فرقوا بين الأصيـــل ... وبين ما هو دخيـــل
وهكذا الأحــــرار ... ممن لهم أنصار
لم يفخروا بالكـــذب ... على انتحال النسب
قد ألهموا الأبنـــاء ... أن يعرفوا الآبـــاء
فعرفوا بالامتحـــان ... أن فلانا من فـــلان
يقر عند جـــدا ... في الإنتما لجـــدا

إلى أن قال رحمه الله :

وخارج عن نسبه ... تحققوا بكذبه
فاعرف بأنساب العـرب ... تحرز سبائك الذهب
وضمنها نيـــل الأرب ... ومنتهاها فـي الأدب

علم التشريح(22)

وكذلك علم التشريح، وهو علم باحث عن كيفية أجزاء البدن، وترتيبها من العروق والأعصاب والغضاريف والعظام واللحم وغير ذلك من أحوال كل عضو، فلحكماء العرب اطلاع كبير مع كيفية جبر ما انكسر من العظام والداء الباطني من كباد، وهو مرض الكبد ونحو ذلك، ولكن الأجانب تقدموا في هذا العلم مع العلم قبله إلى زماننا تقدما لم يعهد في الأزمنة السالفة، ونتمنى لأبناء وطننا العزيز أن يوجهوا همة الإعتناء إلى التحصيل على هذين الفنين، فإنه لا يوجد في هذه الإيالة الشريفة من الأطباء إلا النادر.

وفي الحقيقة لم يستقل بمنفعة ذلك إلا الأجانب، مع أنه أجل خطة ذات منفعة كبرى، ولم يبق عندنا إلا بعض تجارب العجائز التي لا تصادف محلها إلا في النادر، وفي غالبها الخطر الكبير.

علم البيطرة

وكذلك علم البيطرة وهو علم معالجة أمراض البهائم، وقد كان للعرب فيه اليد الطولى لاعتنائهم بالخيل وتربيتها والمباهاة بها.

علم الزردقة

ويؤثر عن العرب نوع ما في معالجة أمراض الطيور، وهو علم الزردقة، وليس لهم اعتناء تام بأنواع الطيور كما اعتنى بها غيرهم.

---

(22) قال العلامة سكيرج في التعريف بعلم التشريح ضمن نظمه المسمى : الوصية الكافية.

أما علم التشريـــح ... قد جيد فيه تنقـــيـــح
فكان علما يعـــتـــبـــر ... في الناس فضله ظهـــر
موضوعه الأعضـــاء ... في ضمنها الأحشـــاء
وما حوازا الجســـم ... بما اقتضاها العـــلـــم
وما به قد ركـــبـــا ... فكان جسما معجـــبـــا
من رأسه إلى القـــدم ... بعد الوجود للعـــدم
من لحمه ودمـــه ... وشحمه وعظمـــه
وكل ما قد اشتمـــل ... عليه مما قد كـــمـــل
كسائر المفاصـــل ... من خارج وداخـــل

إلى أن قال رحمه الله :

صاحبه جـــبـــار ... سما له المقـــدار
بل إنه حكيـــم ... خلقه عظيـــم
وإن له قلب قســـا ... فإنه ينسى الأســـى

علم الفراسة

ومنها علم الفراسة، وهو علم يعرف منه أخلاق الناس من أحوالهم الظاهرة من ألوان وأشكال وأعضاء، ونحو ذلك مما يستدلون به من الخلق الظاهري على الخلق الباطني، وغالبه المصادفة في ذلك من غير اعتماد عليه، وله أقسام ترجع إليه.

علم القيافة(23)

ومنها علم القيافة، وهو علم يبحث فيه عن كيفية الإستدلال بهيآت أعضاء الشخصين إلى المشاركة والاتحاد في النسب والولادة وسائر أحوالهما، وقد اختلف العلماء في باب الإستلحاق هل هي خاصة ببني مدلج من العرب، لما أعطوه من معرفة النسب بالنظر، وعليه فلا تقبل من غيرهم، لأن غيرهم ليست له تلك القوة، أو هي غير خاصة بهم فيعمل شرعا بها إذا وجد العارف بها، وقد ذهب في العمليات الفاسية على عدم العمل بها لعدم وجود العارف بها فقال :

وعمل القافة لا تراعي   في باب الاستلحاق لامتناع

والقافة جمع قائف كباعة جمع بائع، وقد ألحقوا هذا الفن بالفراسة، وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما مسرورا فقال : يا عائشة ألم تري ابن مجزز المدلجي دخل علي فرأى أسامة وزيدا وعليهما قطيفة، قد غطيا رأسهما وبدت أقدامهما، فقال إن هذه الأقدام بعضها من بعض، قال أبو داوود وكان أسامة أسود شديد السواد، وكان زيد أبيض شديد البياض.

علم العيافة

ومنها علم العيافة والزجر، وهو علم يبحث فيه عن كيفية الإستدلال بحيوانات ماشية أو طائرة أو جمادات، من حيث حركاتها أو أصواتها أو أسمائها ونحو ذلك على أمور غيبية وقعت أو تقع، وكان هذا العلم شائعا في بني لهب من العرب كما قال شاعرهم :

سألت أخا لهب ليزجر زجرة   وقد رد علم العالمين إلى لهب

وقال قائلهم :

خبير بنو لهب فلا تك ملغيـا   مقالة لهبي إذا الطير مرت

---

(23) قال العلامة سكيرج في التعريف بشأن القيافة في نظمه : الوصية الكافية ما نصه :

علم القيافة عجيب   صاحبه كاد يصيـ ـب
لكنه قد فقـ ـ ـدا   والآن لن يعتمـ ـ ـدا
فما عليه عمـ ـل   لأنه محـ ـتـ ـمـ ـ ـ ـل
والحكم بالمحتمـ ـل   لم يرضه الحق الجلي

وقد ورد النهي بالتطير في مثل هذه الأمور، وكان (ﷺ) يحب الفأل الحسن.

ولا يختص هذا العلم ببني لهب، حتى أن العجم ليتطيرون بالهامة والصدا وموكى ونحوها، ومن هذا الفن فنون أخرى كالضرب بالحصى، ولكن الغالب أنها لا تتعدى أربابها، ولا اعتماد على شيء من ذلك عند الموحد، ولقد أجاد من قال :

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصا	ولا زاجرات الطير ما الله صانع

علم الريافة

ومنها علم الريافة، وهو علم استنباط الماء من الأرض بواسطة بعض الأمارات الدالة على وجوده، فيعرف بعده وقربه بشم التراب أو بالنبات فيه، أو بحركة حيوان وجد فيه، وهو من فروع الفراسة.

علم التنجيم(24)

ومنها علم التنجيم وأحكام النجوم، وهذان العلمان لم يكونا خاصين بالعرب، بل غيرهم لهم الحظ الأوفر منهما، ولعلهما جاءا للعرب من الجهة التي جاءهم علم السحر منها، لأن ذلك موصل للتجسس على الغيب، المتهم فيه متعاطيه مع سوء الطوية وفساد الإعتقاد بنسبة التأثير لغير الله، ولقد أجاد القائل :

خبرا عني المنجم أنـــي	كافر بالذي اقتضته الكواكب
عالم أن ما يكون وما كا	ن قضاء من المهيمن لازب

وقد يكون الإطلاع على بعض جزئيات هذين الفنين غير مذموم، بل ربما أمر الشارع بمعرفة ما لا تجسس فيه على الغيب، وإلا فهو من قبيل المذموم مثل الكهانة والعرافة، ونحوهما مما يرجع للإستطلاع على الغيب، وجل ذلك تحصل نتيجته عندهم بترويض النفس وتغذية الروح بما يقوي القوة المفكرة حتى يكاد أن يلتحق صاحبها بعالم آخر، وقد أجاد من خاطب المنجمين بقوله :

---

(24) قال العلامة سكيرج في التعريف بعلم التنجيم ضمن نظمه : الوصية الكافية

وعلم أحكام النجوم	عليه أوهام تحـــوم
ليس له من أصـل	من بين أهل الفضـل
وغيرهم قالوا بـه	وانتصروا لحبـــه
دليلهم قول الكريـم	إبراهيم إني سقيـــم
والحق أن قولـه	به تحق الصولـــه
وهو الدليل القاطع	عليه نور ساطـــع
فإنه ما اعتقـدا	حكم النجوم أبـــدا

إلى أن قال فيه :

وكم به من معتن	لم يرا غير محـــن
دعه ولا تعبأ به	إن رمت كشف خطبه

أحساب النجوم أحلتمـونــــا   على علم أدق من الهبـــاء
علوم الأرض لم تصلوا إليها   فكيف بكم إلى علم السماء

علم الإختلاج

ومنها علم الإختلاج، وهو علم باحث عن كيفية دلالة اختلاج أعضاء الإنسان من الرأس إلى القدم على الأحوال التي ستقع عليه، وهو من فروع الفراسة، ولكن لا يعتمد عليه لضعف دلالته وغموض استدلاله.

علم تعبير الرؤيا(25)

ومنها علم تعبير الرؤيا، وهو علم يتعرف منه المناسبة بين التخيلات النفسانية والأمور الغيبية، لينتقل من الأولى إلى الثانية، وليستدل بذلك على الأحوال النفسانية في الخارج، أو على الأحوال الخارجية في الآفاق، وهو من أقسام الفراسة، ومن لطائف بعض الأدباء قوله :

إلى الله أشكو أنني كل ليلــة   إذا نمت لم أعدم خواطر أوهــــام
فإن كان شرا فهو لا بد واقع   وإن كان خيرا فهو أضغاث أحلام

علم الحساب

ومنها علم الحساب، وهو علم بقواعد يعرف بها طرق استخراج المجهولات العددية من المعلومات العددية المخصوصة، وهو علم جليل القدر كبير المنفعة كما قيل :

إن علم الحساب علم رفـيـــــع   فبه يشتري الفتى ويبيــع
لم يضع بالحساب للشخص شيء   وألوف بلا حساب تضيع

---

(25) قال العلامة سكيرج في التعريƨ بعلم تعبير الرƠيا، في نƲمه : الوصية الƘافية.

أعƲم بعلم التعبير   من بين أهل التنوير
فƎنه علم جليـ ـل   لم يدرƨا ƎƢ القليـ ـل
قيل وƎن الرƠيـ ـا   من ميK وأحيـ ـ ـا
علƑ جناθ ƑƖƬـ ـر   ما لم يعبر عابـ ـ ـر
صورها الخياليـ ـه   ƢƖƲnj الجماليـ ـة
تنقلƌƢ بالأحـ ـرă   من صورة لأخـ ـرă
وهكذا الجلاليـ ـه   عند النƒƲ العالـ ـية
ينƲر فيƌƢ العابـ ـر   بنافذ المـ ـنـ ـاƲـ ـر
فلا تقـ ـ ـ f ƎƢ   علƑ محب جـ ـ ـلا
خƙية أن تعبـ ـرا   بما يكون منكـ ـرا
ƎلƑ ƈخر النƲام.

وهو من العلوم القديمة، وقد داخله من التحسين عند الأجانب ما يغبطون فيه، وصار عندهم من الأمور الضرورية معرفتها كالكتابة على اختلاف طبقات الرجال والنساء، وتحته أنواع كثيرة، وتتوقف عليه في تحقيق العملية أمور كبيرة.

وقد ذكر بعض أهل الخبرة أن أول الطرق التي استعملها الإنسان في الحساب هي الأصابع، ولكن حيث كانت لا تكفي في تمييز المراتب استعملوا لضبط المعدودات صغار الحصى وغيرها، ثم أحدثت أنواع الأرقام الدالة على المراتب من الآحاد وغيرها، بعد اعتبار عقد الأصابع عند قوم في ذلك دون قوم.

ولذلك كان الحساب(26) بعقد الأصابع المشهور في البلاد الحجازية والهند محصورا لا يتجاوز تسعة وتسعين وتسعمائة وتسعة آلاف، بخلاف الأرقام فهي بحسب المراتب لا تتناهى، وقد تفنن الأدباء في الإشارة إلى صور الأشكال من اليد وغيرها بما هو معروف بينهم، وجاء في الحديث الشريف : فتح من ردم ياجوج وماجوج هكذا وعقد تسعين، وقال بعض الأدباء يخاطب بخيلا :

إن رمت ما في يديك مجتزيا   أو جئت أشكو إليك ضيق يدي
عقدت لي بالألوف أربعـــة   منقوصة سبعة من العـــدد

يعني بذلك شد يديه بضم رؤوس الأصابع إلى الكف ضما محكما، ووضع الإبهام على الأصابع بحيث لا يحصل فيها أدنى انفراج.

فهذا ما سنح لنا ذكره من العلوم التي تزاد على ما حصروه من علوم الأدب، وهناك علوم أخرى تركنا ذكرها في هذا المحل خشية الملل والسئامة، وقد نظمت لامية اشتملت على علوم نافعة سميتها : نفع العموم ببعض العلوم، تناهز مائتي بيت مطلعها :

---

(26) قال العلامة سكيرج في التعريƨ بعلم الحساب ضمن منƱومته : الوصية الƬافية

علم الحساب نافـ ـ ـع   للمƬتري والباƑـ ـ ـ ـ ـ ـع
فǌو في المعامـ ـ ـلاƘ   به بيان الواجبـ ـ ـ ـ ـ ـاƘ
تدرǎ به الأعـ ـ ـ ـداد   تقل أو تـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـƨداد
وقيل أن الواحـ ـ ـ ـدا   ليƩ يعد عـ ـ ـ ـ ـ ـ ـددا
والحق أنه عـ ـ ـ ـدد   من Ʊرفيه قـ ـ ـ ـ ـد ورد
فǌو نصƨ اƛنيـ ـ ـ ـن   ومجمع النصƼيـ ـ ـ ـ ـ ـن
كم علم احتاج ǚليـ ـ ـه   في عملياƘ لديـ ـ ـ ـ ـ ـه
Ɯبد منه للƸـنـ ـ ـ ـي   وللƼقير المعتنـ ـ ـ ـ ـ ـ ـي
كم ضاƳ حق دونـ ـه   في الحب والموƨونـ ـ ـ ـه

ǚلƑ أن قال رحمه اƅ:

فمن تعود الحسـ ـاب   لم ينƱق ǚƜ بالصـ ـواب
وفضله قد عرفـ ـ ـا   من قول ربي وكƼـ ـ ـ Ƒ

خذ العلوم وإن كسلت عن عمل ... فالعلم من أكمل الأوصاف في الرجل
لا يستوي عالم وجاهـل أبـــدا ... ولو بلا عمل أحرى مـــع الـعـمــــل

وأرجو إتمام شرحها لينتفع بها الطلبة، فبقدر اتساع عارضة الأديب في الفنون، يعظم قدره بين العيون، سيما إذا كانت له سجية مطاوعة له على الغرض، ولم يهن نفسه بمدح الناس لغرض، أو ذمهم لأمر له عرض، فإن العرب لم تتخذ الشعر حرفة، وأما يصنعه أحدهم فكاهة أو مكافأة لا يستطيع أن يؤدي حقها إلا بالشكر، ونحو ذلك من تخليد المآثر وحماية العشيرة، والمدافعة عن جنابها، وتخويف شاعر غيرهم من القبائل، فلا يقدم على الحط من قدرهم خوفا من شاعرهم، فلما استلذ الناس المدح وبذلوا في اكتسابه النفس والنفيس، وجر حبل الطمع نفوس الشعراء إلى امتداح من يستحق ومن لا يستحق، بارت سلعته، وكسد سوقه، واطمأنت بالشعراء دار الذلة، إلا من وقر نفسه وقارها، وعرف لها مقدارها، فلم يقف بنفسه موقف الهوان، وقد قال بعض الشعراء في حكاية واقعة قبل هذا الزمان :

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة ... باب الدواعي والبواعث مغلق
خلت الديار فلا كريم يرتجــــى ... منه النوال ولا مليح يعشـــق

غير أنه لا زالت النفوس المهذبة تعتبر قدره، وبالأخص سادات الملوك وسراة الأمراء، وأعيان الأعيان والفضلاء، وهم أحق الناس بالنظر للشعراء، بعيون التجلة والإعظام والإكرام، كما تعتبر ذلك الدول المتمدنة، فإن الشعراء عندهم في مكان مكين من الإعتبار، وذلك لانتشار العلم بين طبقاتها، وإعطاء الشخص حقه لديهم على قدر ما يحسنه، ولا يعرف الفضل لذوي الفضل إلا ذووه.

وإلى الآن لازال يكبر بين عيني ما رأيته من عظيم اعتناء وزير المستعمرات الفرنسية المسيو دومرك، حين اجتمعت به بباريز سنة 1916م، فإنه ناولني نسخة من كتاب "تحية العلم"، بعد أن كتب عليه بخط يده وقال ما ملخص ترجمته : قد اجتمعت الدول على تعظيم العلماء وبالأخص الشعراء منهم، وبصفة كونك عالما وشاعرا فإني أقدم لك هذا الكتاب تذكرة لاجتماعي بكم في هذا اليوم المشهود، ولا يخفى أن مثل هذا الإعتناء مما تزداد به النفوس إقبالا على التنافس في الوصول إلى الغاية المقصودة، والتحصيل على نتائج المساعي المحمودة.

وإني لأرى مستقبلا زاهرا لهذه الإيالة السعيدة، بوجود سيد المعتنين برعيته، مولانا الإمام أبي يعقوب مولانا يوسف أدام الله سعادته، فإن له كمال اعتناء في ذلك، يمد ساعد المساعدة في إدخال طريقة التحسين في المدارس وغيرها، فحيي ما كان دارسا من علوم العرب، ونفق ما كان كاسدا من سوق الأدب، فما على ذوي النفوس إلا المسارعة لاغتنام فرصة عمارة أسواق العلم ببذل نفيس الأوقات في اقتنائه بين القوم، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

وفي الختام أشكر السادات الذين بذلوا المجهود، في استنهاض الهمم إلى السلوك مع هذا المسلك الذي يقضي إلى نيل المقصود، وأوجه عبارات الثناء إلى رجال النهضة العلمية الذين نأمل منهم أن يوجهوا اهتمامهم إلى زيادة الإعتناء التام بما هم بصدده في بث روح المعارف في روح المتعلمين، واتخاذ الوسائل فيما يعود بالنفع على طبقات العلماء والمعلمين، وأن يستلفتوا أنظارهم إلى ما أبداه جناب العلامة سيدي محمد الحجوي فيما صدع به من خطابه المعسول، في حسن التعلم والتعليم حتى تحصل النتيجة المطلوبة، ثم أوجه عبارات الشكر للسادة الذين شرفونا بحضورهم في هذا النادي الأرفع على اختلاف طبقاتهم، راجيا أن يحل لديهم ما أملیناه محل القبول، والله المسئول أن يبدل سيئاتنا حسنات، ويصلح الأحوال والنيات، بمنه وكرمه آمين.

وقيد برباط الفتح في يوم السبت تاسع عشر ربيع الثاني عام 1341هـ الموافق للتاسع من دجنبر سنة 1922م وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، والحمد لله رب العالمين، قاله وكتبه عبد ربه أحمد سكيرج شكر الله مسعاه وغفر ذنبه.

تقريظ المسامرة

الحمد لله الذي وفر أسباب العرفان، وحمى دينه من عبث أولي الكيد والخسران، والصلاة والسلام على نبعة الفخر من عدنان، وبعد : فقد تم طبع المسامرة البديعة التي قام بها العالم الفقيه والخطيب المصقع، والأديب البارع صاحب التآليف الجمة، في الأغراض النفيسة المهمة، صديقنا الشيخ أحمد سكيرج قاضي الجديدة بنادي المسامرات برباط الفتح، حضرها عيون الدولة، وسراة الأمة، فوقعت من الجميع الموقع، ولا غرو فالفقيه حاطه الله بحماه، لم يزل يتحفنا من معسول يراعه، وصيب وبله وشراعه، ما يدعنا معجبين بسعة علمه وطول باعه، فلقد جال جولان عارف، وحلق فوق سماء المعارف، وليست هاته بأول حسنة من حسنات القاضي، فله في المواقف العلمية المواقف، وفي الأدبية اللطائف والظرائف، وفي حسن العهد وحماية الذمار، ما يتلى عليه : وربك يخلق ما يشاء ويختار.

معاوية التميمي

ƥəɛƦɰǁƑƓ Ĭ ƽƥﷳǁɛ ǎɿƑďžǁ ƥəɛƦǁɛ ƕﻳɿlj ɣƥǄƑƨǄ

ɫƥﻳlƨ ɿǄϴƈ ɫƑϴǁɛ Ĭ ƮƑﷳǁɛ ƕǄǘyǁɛ ƸﻳǁƟﷳ

تحقيق ذ. محمد الراضي كنون

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله على إفضاله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

أما بعد، فإني أيها السادة الذين ارتقوا من الترقي مراقي المجادة أعد نفسي معكم سعيدا بما ساقني إليه سائق التوفيق للحضور بناديكم الرفيع الذي ازدهر بكم، وشملت العناية الجميع، ولم يكن بحسباني أن أتجرأ على إلقاء كلمتي بين يديكم، مع أن المعارف الكافية لديكم، ولكن لحسن ظن من اقترحها علي أجبته إجابة راغب في جبر الخواطر، وإن كان في غنى عما لدي، وقد انشرح صدري بما شاهدته من إقبال الشبيبة الجزائرية على فنون الأدب وأهله، وانعطافهم نحو محبيهم بقلب وقالب، خصوصا من تقرب إليهم بأدنى سبب، أو كان من ذوي الفضل والنسب، فهم له محبون، وبالإحسان إليه مغبوطون، وذلك من كمال فضلهم، ولا يعرف الفضل لذي الفضل إلا ذووه.

ساداتي : إني قد كنت عزمت على التنصل من إلقاء خطابي في مجمعكم الذي أخذ فيه مني الدهش حظه، بما أتلوه من سطور الذكاء الذي تشعشعت أنواره فيكم، ولاحت على أسرة وجوه الحاضرين منكم بما ينبئ عن معلوماتكم التي تستوجب إطراق مثلي برأسه أمامكم خجلا، فإن منكم الأساتذة الأعلام، ومنكم النوابغ الذين لهم في مراقي المعارف والعلوم نشرت الأعلام، ولكن لاعتمادي على ما لديكم من سلامة الصدور سأعرض عليكم من بضاعتي المزجاة ما أعده من السوانح التي لم أستعد لصيدها، فجاءت عفوا من غير تأنق في الخطاب، فإن صادفت عندكم قبولا فهو غاية المقصود، وإلا فلتعدوها من سقط المتاع.

واعذروني لقد حيرني المقترح علي في إلقاء هذه المسامرة حين خيرني في الموضوع الذي أطرق بابه، في هذا الموضع ليوافق مشربكم الذي استحلي شرابه، وقد تواردت الأوهام علي وصرت في حيرتي على حد ما قيل، وهي حقيقة تتنزل علي :

تكاثرت الضباء على خداش فما يدري خداش ما يصيد

ثم سنح لي أن أدير عليكم كأسي في محادثتكم عن مسقط رأسي، فإن نفس كل شخص ميالة بالطبع إلى وطنه، وحب الوطن من الإيمان.

كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبدا لأول منزل

ولست بمكثر عليكم في إطرائي لمدينة فاس التي اخترت أن أجعلها موضوع مقالتي هذه، فإنها أشهر من أن أصفها لكم، ولكن أستلفت نظركم منذ أسست إلى الآن، وما صارت عليه من غير تطويل، فلقد أسسها المولى أبو العلاء إدريس(1) بن إدريس في موضعها الذي اختار موقعه بما شاهده من كثرة المياه النابعة حولها، ووادي الجواهر الذي تحذر بين شعابها، فكان موقعها في قلوب من معه في غاية الاستحسان،

(1) سبق التعريف به في ج 1 ص 194 من هذا المؤلف.

وقد اختلفت المشارب بعد ذلك فيها على حساب الأذواق، وأنا أميل إلى مدح وطني مستحسنا ما قاله أبو الفضل ابن النحوي(2) فيها :

يا فاس منك جميع الحسن مسترق ... وساكنوك أهنيهم بـمـا رزقـــــوا
هذا نسيمك أم روح لراحـتـنـــا ... وماؤك السلسل الصافي أم الـــورق
أرض تخللها الأنهار داخلـهـــا ... حتى المجالس والأسواق والطرق(3)

وكان اختطاطها غرة ربيع النبوي عام 192هـ، وهو ما رمز عليه من لم يوافقه مشربها بلفظة (قبض) لما يعتري ساكنها من الإنقباض، حتى صارت تسمى بسهب الحزن لكثرة الأحزان التي تعتري قاطنها، وفي الحقيقة إنها السهب الحزن، بمعنى السهب السهل، أما القبض والحزن الذي يعتري من لم يذق حلاوة مشربها فموجبه تباعد الغرباء عن أوطانهم فيها من أهل القيروان والأندلس، ممن كان مع مؤسسها، ثم من حل فيها ممن كانوا في شوق عظيم إلى أوطانهم التي لم يروا أحسن منها في نظرهم ولو كانوا في النعيم المقيم.

ولقد كان المقصود الأهم للمولى إدريس تأييد المشروع الذي كان والده قائما به من نشر دعوة الإسلام في الآفاق، والإستعانة على ذلك بالسعي في جلب العلماء من بلاد القيروان والأندلس، وتم الأمر له بزرع حب الحب في القلوب بواسطتهم، وبأخلاقه التي سلب بها النفوس، وطاطأت له بها الرؤوس، وكان الغالب في سياسته استعمال الرفق بدلا عن استعمال الشدة، وبعده تطورت سيرة الملوك في أطوار وأدوار، ولم يزل الإعتناء منهم بالعلماء حتى بلغ العلم الشأو الذي وقف موقف التمام، ثم رجع القهقري على حد ما قيل :

إذا تم شيء بدا نقصه ... ترقب زوالا إذا قيل تم

ولقد كانت مدينة فاس للناس منبع العلم حتى كانت تعتبر كمدرسة عمومية يكفي في عالمية الشخص أن ينسب لها، بما لا ينازع فيه إلا من لا يعترف بالحق لأهله، والفضل في ذلك لأهل القيروان وأهل الأندلس وبعض الحجازيين الواردين من أقطارهم في أول إنشاء دولة الأدارسة وبعد ذلك، وكان المسجد المقصود لإلقاء العلوم وتلقيها مسجد القرويين ومسجد الأندلس المعروفين بهذه المدينة.

---

(2) يوسف بن محمد بن يوسف التوزري التلمساني المعروف بابن النحوي ناظم المنفرجة التي مطلعها :

اشتدي أزمة تنفرجي ... قد آذن ليلك بالبلج

سكن سجلماسة مدة غير قصيرة، ثم انتقل لفاس، ثم لقلعة حماد قرب مدينة بجاية بالقطر الجزائري، وبها توفي عام 513هـ، صحب أبا الحسن علي اللخمي، وأخذ عن أبي الفضل أبي عبد الله محمد بن علي المعروف بابن الرمامة وأبي عبد الله محمد المازري وأبي زكرياء الشقراطيسي وعبد الجليل الربعي وغيرهم. وكان رحمه الله ممن انتصر لعدم إحراق كتب الإمام الغزالي، وذلك لما أفتى فقهاء المغرب بإحراقها في عهد الدولة المرابطية. أنظر ترجمته في جذوة الإقتباس لابن القاضي ص 552 رقم الترجمة 643 وفي التشوف لابن الزيات ص 95 رقم الترجمة 9 وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 126 رقم الترجمة 365 وفي نيل الإبتهاج للتنبكتي ص 349 وفي الأعلام للزركلي ج 8 ص 247.

(3) أنظر جذوة الاقتباس لابن القاضي ص 553.

وكان تأسيس القرويين في فاتح رمضان المعظم عام 245هـ، بتوفيق الله لأم البنين فاطمة بنت محمد الفهري القيروانية(4)، وبعدها وقع تأسيس مسجد الأندلس(5)، ولكن قد اشتهر جامع القرويين بما لم يشتهر به غيره من مساجد فاس، من تحصيل الفتح في العلوم لمن قصد الأخذ فيه عن المعتنين بالتعليم فيه من قديم، وكان مقصودا للناس من سائر الأقطار، وقد تقلب المعلمون فيه في أطوار، ودار دولب التعليم فيه في أدوار، على حسب كل دولة وشغفها بالعلم وأهله، حتى تعددت المدارس والمساجد، واتسعت جامعة القرويين مع اتساع المدينة لكل شارد ووارد، وكان الغالب فيمن قصد كلية القرويين تحصيل الدراية، وهي أهم الأمور دون الرواية، إلا ما قل من أفراد الأعلام ممن اقتبسوا من مشكاة المشارقة، فجمعوا بين الدراية في العلوم، والرواية عن الخصوص والعموم، وأكثر ما كان يتعاطاه طلبة العلم بها علوم الدين أصولا وفروعا، ثم انخرط في طبقاتهم طلبة الأدب وفنونه، واستفحل العلم فيها على اختلاف أنواعه بالقادمين إليها وإلى الإيالة المغربية من جالية الأندلس، وكثر إحداث المدارس والمدرسين في المساجد التي كثر تعدادها بما يناهز أربع مائة مسجد، وجلها عامر في غالب الأوقات بالطلبة.

وغالب العلوم التي كانت تقرأ بالقرويين من العلوم المتداولة بها علم التفسير والحديث وأصول الدين وفروعه مما يتعلق بالعبادات والأحكام الشرعية، أما غير هذه الفنون فكان يتداول في المساجد الصغيرة خارج القرويين، فكانت علوم الأدب باختلاف أنواعها من بيان وقسمة ونحو، وما هو منوط به من تصريف واشتقاق وحفظ اللغة باصطلاحها وغير ذلك كله مما يدرس خارجها، مثل العروض وقرض الشعر ونحو ذلك من حساب، وما يندرج تحته من هيئة ومساحة وتنجيم وغير ذلك من العلوم الممدوحة والمذمومة شرعا، فكان الناس في شغف عظيم في اقتناء كل علم وفن، بحيث كان ذلك منهم في أهمية كبرى من أن ينسب لهم الجهل بشيء،

---

(4) فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهرية القيروانية المعروفة بأم البنين المنشئة الأولى لجامع القرويين بفاس، وكان ذلك في عهد سيدي يحيى بن محمد بن إدريس الأزهر، وحفرت فيه بئرا لا تزال إلى الآن، وكان طول المسجد من حائطه الغربي إلى الحائط الشرقي 35 مترا، والمكان الذي بني فيه المسجد كان فدانا لعمل الخضر، وفيه أشجار لرجل من قبيلة هوارة، كان قد حاز ذلك أبوه بوجه جائز صحيح حين أسست المدينة، فاشترته منه فاطمة أم البنين، ودفعت ثمنه من مالها الحاصل لها بالميراث من والدها محمد بن عبد الله الفهري وكانت بداية العمل في حفر أساس هذا الجامع العظيم عند فاتح شهر رمضان عام 245هـ موافق 30 نونبر 859م، انظر جذوة الاقتباس لابن القاضي ص 52 وفي الأنيس المطرب القرطاس لابن أبي زرع ص 45 وفي الأعلام للزركلي ج 5 ص 132.

(5) مسجد الأندلس، ابتدأ في بنائه عام 245هـ على يد السيدة مريم بنت محمد بن عبد الله الفهري (شقيقة فاطمة أم البنين) وذلك بعد أن اشترت أرضه بوجه صحيح، وأنفقت في ذلك كله من مالها الموروث عن أبيها، وسمي بجامع الأندلس نظرا لبنائه بعدوة أهل الأندلس، وهي الناحية الشرقية من مدينة فاس، وقيل لأن أهل الأندلس الوافدين على فاس ساعدوا في بنائه وإعدادها فسمي باسمهم، انظر جذوة الاقتباس لابن القاضي ص 78.

وقد أشرت في نظمي المسمى بنفع العموم إلى نحو خمسة وأربعين علما(6)، مما هو محصل من العلوم التي كانت تدرس بالقرويين وغيرها، ومطلعه :

خذ العلوم وإن كسلت عن عمل   فالعلم من أكمل الأوصاف في الرجل
لا يستوي عالم وجاهل أبـــدا   ولو بلا عمل أحرى مع الـعـمـــل

إلى آخره في نحو 200 بيت، ثم تطور التعليم في أطوار، وصار العلم في نقص بانقراض العلماء وبرودة همم الناس في تلقي العلوم الرقيقة، وهي التي كانت تقرأ خارج القرويين، وظهر سر الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم : إن العلم لا ينتزع انتزاعا، وإنما ينتزع بقبض العلماء(7)، فأما العلوم التي قل العارفون بها أو ذهبت رأسا فهي على قسمين : علوم نافعة كالطب(8) وما انضاف إليه، ولم يبق منه إلا مجرد تجاريب عند العجائز ونحوهن ممن يتعاطاه على حسب التجربة، حتى جاءت الدولة الفرنساوية فأنشأت المستشفيات على الطراز الجديد، بمديد مساعدة أميرنا مولاي يوسف أطال الله بقاءه.

وقد أحيا الله به علم التفسير لكتاب الله العزيز، الذي انقطع منذ زمان بما كان راسخا في الأذهان من التطير من قراءته، بعدم وجود كفاءة الذين يشتغلون به، وخشية التجاسر عليه بالقول بالرأي، ووضع الآيات في غير موضعها، وقد زالت هذه الفكرة، ولكن انفتح الباب في وجه العامة بحضورهم في مجالس بعض المفسرين والمحدثين، فصدع جلهم بالتمذهب بما يفهمونه، وكادت البلوى أن تعم بادعاء الإجتهاد في حق جل من خاض في التفسير والحديث منهم، ونشأت أفكار الشبيبة العصرية على هذه الحالة، فاعتقد جلهم بأن من خالف ما يفهمون فقد خالف الكتاب والسنة، وعدوه مبتدعا ولو تقلد بأحد المذاهب الأربعة، وهذا حال غالب الراضين عن أنفسهم، المدعين للتحصيل، بإجمال وتفصيل، مع أنه قيل :

قل للذي يدعي في العلم معرفة   علمت شيئا وغابت عنك أشياء

وقد صار حزب ادعاء الإجتهاد يتقوى تبعا لمن تظاهر به في المشرق في هذا العصر، والله غالب على أمره، وأما العلوم الغير النافعة فهي علوم السيميا بأنواعها ونحوها، وجلها لا يخوض فيه إلا الأفاردة من الطلبة الذين يحتالون على الناس في الإستيلاء على عقولهم ليتوصلوا لما بأيديهم، مثل تعاطي علم النار المعبر عنه بعلم الإكسير والتدبير والكيمياء، وقد كان للناس ولوع

---

(6) أنظر التعريف بهذا المؤلف في ج 1 ص 85 من هذا المؤلف.

(7) أنظر صحيح الإمام البخاري كتاب العلم رقم الحديث 100.

(8) اعتنى العلماء المغاربة بعلم الطب منذ عهد بعيد، ولهم فيه تصانيف كثيرة، وممن برز فيه منهم العلامة الطبيب أبو محمد عبد الوهاب أدراق، والفقيه أبو القاسم الغساني المعروف ب[illegible]، والعلامة أبو القاسم الوزير صاحب كتاب المفردات، والعلامة سيدي محمد بن سعيد المرغيثي، والفقيه بلا بن عزوز المراكشي، والعلامة سيدي عبد القادر بن شقرون، وغيرهم.

به من قديم، وألفوا فيه كتبا كثيرة، وأكثر من ألف فيه جابر بن حيان(9)، وقد أحسن بعضهم فيما كتبه على بعض تآليفه من قوله :

هذا الذي بعلومه　　　عز الأوائل والأواخر
ما هو إلا كاسر　　　كذب الذي سماه جابر

وكثير ممن ولعوا بهذا الفن ضاعت أموالهم في التجاريب، ووقعوا فيما لا تحمد عقباه عند البعيد والقريب، وصدق عليهم قول بعض العلماء :

قد نكس الرأس أهل الكيميا خجلا　　　وقطروا أدمعا من بعدما سهـــــروا
إن طالعوا كتبا للدرس بينـــهـــــم　　　صاروا ملوكا وإن هم جربوا افتقروا
تعلقوا بحبال الشمس من طمــــع　　　وكم فتى منهم قد غره القمـــــــــر

فكان الخائض في هذا الفن كطالب الكنوز وفتحها بالعزائم والبخور، وذلك من تضييع العمر في لا طائل، وقد أجاد القائل :

كاف الكنوز وكاف الكيمياء معا　　　لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا
وقد تحدث أقوام بكونهـمـــــــا　　　وما أظنهما كانا ولا وقــعـــا(10)

وقد نصح بعض العارفين الناس بقوله بعد ما خاض في هذا الفن وعرف اصطلاح أهله ونصه :

علوم الكيمياء لدي أجـــلا　　　من الشمس المنيرة للبصير
إذا ما شئت تصعيدا فصعد　　　إلى مولاك أنفاس الزفيـــر
وقطر أدمع العينين حتـــى　　　يبين لك الصفاء من الضمير
وقل يا جابرا للكسر فاجبر　　　بفضلك سيدي قلب الكسيـــر
هناك تنال كنزا ليس يفنـى　　　وتحمد فيه عاقبة الأمــــور

وهذا العلم لا اعتماد عليه في قلب الحديد والرصاص ونحوهما إلى الفضة والذهب حقيقة، وإلا فالصبغ بلونهما غير بعيد، وقد ظهرت الكيمياء الجديدة بمظهر باهر لمن تعاطاها في المدارس الحديثة لتعليم هذا الفن من غير غش ولا تدليس، ولا شك أن الخائض في فن الكيمياء القديم على خطر عظيم في دينه ودنياه.

---

(9) انظر التعريف به في ج 1 ص 386 من هذا المؤلف.
(10) صنف بعض الفقهاء المغاربة في علم الكيمياء كتبا كثيرة استولت على عقول معظم الباحثين في ذلك الوقت، ونظرا لهذا فقد أثرت في سلوك الطلبة الدارسين، وساعدت في انتشارها ورواجها على حساب العلوم الأخرى، وكان هذا سببا واضحا في إقدام بعض العلماء على التحذير من هذا العلم والتصنيف في موضوع انتقادها، ومن بين الكتب التي ألفت في ذلك : كشف أسرار المحتالين الأشقياء الذين يزعمون علم الكيمياء، للمؤرخ أبي القاسم الزياني، ورسالة إبطال الكيمياء للعلامة المدني بن جلون وغيرهم.

وقد خرق سياج المروءة بتعاطي الغش الذي يستوجب به العقوبة عاجلا وآجلا. وقد قال (ﷺ) : من غشنا فليس منا(11).

ومثل هذا الفن الخوض في علم التصريف بالأوفاق والحروف والأسماء والآيات(12)، والتعلق بخواص ذلك في استخدام الجن وجلب المنافع ودفع المضار ونحوها، فهي من قبيل الفنون التي تستولي على ضعفاء العقول، ويصل بها الأفاردة المحتالون لنيل أغراضهم منهم، وقد جعل بعض العلماء مثل هذا الفن من قبيل الشر الذي يتعين معرفته لاتقاء مفسدة مدعيه، على حد ما قيل :

عرفت الشر لا للشر	لكن لتوقـيــــــه
ومن لا يعرف الشر	من الناس يقع فيه

وبعضهم جعله من قبيل السحر، ولكن عند العارفين ليس من قبيل السحر، فإن السحر حقيقته منافية لذلك، وقد اندرجت تحت السحر فنون من السيميا التي نهى الشرع عن الخوض فيها، مثل علم أحكام النجوم وخواص اقتراناتها، وعلم النرينجات الذي هو خواص أعضاء الآدمي حيا وميتا، وعلم الطلاسم التي يلاحظ فيها التجرد عن الديانة في تحصيل نتائجها، ونحو ذلك، فقد كان بفاس بعض من يحسن ذلك، ويوجد إلى الآن بعض الجزئيات عند بعض العجائز المتمردات، وكذلك عند بعض الخائضين في الاستطلاع على المغيبات بالتروحن، وتعاطي أسبابه باستحضار الأرواح والإستنزالات التي تضاهي التنويم المغناطيسي بكيفية لا يحتاج فيها إلى كبير مشقة، سوى الخوض في ذلك مع متعاطيه حتى يتعلم الطريقة التي يسلكها في التصرف به، وهذا ونحوه مما لا يتجاهر به خوفا من سلطة المخزن، وربما تظاهر به من ليس من أهله، ويتخذه وسيلة لأكل أموال البسطاء، وليس من العلم في شيء، والعاقل من الناس المتدينين عندنا بفاس لا يميل إلى التصدق بمن يتعاطى هذه الفنون المذمومة، ولا يقول بها ولا يعتمد عليها في شيء، ولقد أكثرنا عليكم أيها السادة في ذكر ما لا طائل تحته، مع أن العلوم النافعة كثيرة ولا سبيل إلى الخوض في جميعها، ولقد أحسن القائل في قوله :

لن يجمع العلم جميعا أحد	لا ولو مارسه ألف سنــه
إنما العلم عميق بحـــــره	فخذوا من كل فن أحسنه

ولا فائدة في العلم بلا عمل إلا مجرد الخروج عن حيز ظلمات الجهل، ولكن قد يستفيد منه من يعمل به، أما العامل على خلاف ما يعلم فهو كما قيل :

---

(11) أنظر الجامع الصغير للسيوطي ج 2 ص 176 وعزاه فيه للترمذي.

(12) ألف الفقهاء المغاربة في هذا الفن كتبا كثيرة من جملتها : الإغراق في علم أسرار الأوفاق، للعلامة سيدي الحسن اليوسي، وتحفة الأسير في علم التكسير، لنفس العلامة، والجوهر المنظوم في علم النجوم، لنفس العلامة، والكامل في الإستغناء عن الجداول، لنفس العلامة، وشرح سلك اللآلي في المخمس الخالي، للقاسم بن القاضي، وبحر الوقوف على أسرار الحروف، لابن عزوز المراكشي، وإثمد البصائر في معرفة أحكام المظاهر، لنفس المؤلف، وحل المعقود وعقد المحلول، له كذلك، وتحفة الإخوان والأولياء في صنعة السيمياء، للكياني، وغيرهم.

لو كنت منتفعا بعلمك مع مواصلة الكبائر

ما ضر أكل السم ذا　　　　علم بأن السم صائر

وأقبح العلوم الفلسفة المذمومة شرعا، فإن تعلمها مضر بدين متعاطيها، لتحكيم عقله في أحكام الدين، وتقديم ما يظهر له على ما ظهر في نظر الشرع في حلة القبول، وقد أجاد من قال :

شر العلوم إذا نظرت إليه علم الفلسفه

لا خير فيما الفل أوله وآخره سفه

وأحسن الفلسفة ما أرشد إلى تحقيق الديانة وما انبنت عليه، كالنظر في كون اللائق بالعبد أن يطيع مولاه بأجر وبلا أجر، فإن العبودية تقضي عليه بذلك، والعقل يؤيده، ومن هذا الباب قول من قال وقد أصاب :

لو لم تكن نار ولا جنة　　　　ولا نعيم لا ولا موعده

أليس بالحق على العبد أن　　　　يشكر بالطاعة من أوجده

ثم إنا ما ذكرناه لكم إنما هو بحسب ما تذكرناه عند إلقاء خطابي هذا بين أيديكم من هذه العلوم وحال متعاطيها بالقرويين وغيرها قديما، وقد ارتقى التعليم في مدارج التحقيق في زماننا هذا. وعمرت المدارس بالمتعلمين للعلوم وللفنون، ولازالت في تقدم تام، أما الصنائع والمصانع فقد كانت بفاس من عهد جالية الأندلس في إتقان وإبداع وعجيب استنباط واختراع، مما تمت به زخرفة الحضارة، خصوصا صنعة النجارة والحدادة والبناء، وصنعة الزليج ونقش الجبص والتزويق، فقد بلغ فيها الصناع إلى درجة تبهر الناظرين، ولازالت من ذلك الاثار البديعة في مدارس طلبة العلم عندنا مثل مدرسة أبي عنان بالطالعة، ومدرسة العطارين وغيرهما، مما يدل على ضخامة الملوك الذين أمروا بإنشاء ذلك ومهارة الصناع في عصرهم(13).

إن آثارنا تدل علينا　　　　فانظروا بعدنا إلى الآثار

ثم سرى الضعف والنقص في هذه الصنائع حتى كادت أن تضمحل بذهاب العارفين بها، مع برودة الهمم في إحياء ما اندرس من الآثار منها، ولم يكن اعتناء من غالب الناس في المحافظة على ما بقي منها حتى قيض الله لإحيائها رجال البحث عن الفنون الجميلة، من رجال العلم العصري ورجال التمدن والحضارة، فحصل البحث عن الآثار المنطمسة والعارفين بالصنائع القديمة، وفتحت لذلك مصانع ومدارس، فهاهي الآن في التقدم، مع ولوع الناس في التعليم والتعلم، ولولا نفث روح الإهتمام بإحيائها من الحكومة لاندثرت.

---

(13) للملوك المغاربة منذ القديم اعتناء واهتمام كبير بإقامة المدارس العلمية، والمحافظة عليها، ورعاية شؤونها، وقد أنفقوا في هذا الصدد النبيل أموالا باهضة، ومن هذا القبيل ما يحكى عن السلطان أبي الحسن المريني في بناء المدرسة الجديدة بمكناس، ومفاد ذلك أنه لما رفع إليه ما صرف في بنائها استكثر ذلك، فلما وقف عليها وأعجبته بجمالها وفن عمارتها من نقش وزخرفة أخذ ورقة تكاليفها المالية ورمى بها في صهريج المدرسة المذكورة وقال :

لا بأس بالغالي إذا قيل حسن　　　　ليس لما تستحسن العين ثمن

وقد ظهر للعيان حسن هذه الصنائع التي هي على نسق الطراز الأندلسي المشوب بالذوق الفاسي في جل ما تحلى به المسجد الباريزي ومعهده من حلل الرونق والجمال البديع، والفضل كل الفضل في ذلك لرئيس جمعية أوقاف الحرمين الشريفين، رئيس التشريفات المولوية الوزير الشرفي المفوض سيدي الحاج عبد القادر ابن غبريط، زاد الله في معناه، فله الفضل في اختيار الصناع الذين لهم النبوغ التام في صنعة الزليج ونقش الخشب والجبص، وقد جاء بهجة للناظرين، ودليل ذلك المشاهدة :

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما قد حدثوك فما راء كمن سمعا

ولا أغالي إذا قلت أن هذا المظهر الذي ظهر فيه المسجد المذكور ومتعلقاته لا نظير له في الوجود من قصور الملوك في الأندلس وغيرها، وما أرى ينازع في هذه الفكرة إلا جاحد حسود، أو جاهل في حيز الجماد معدود، وهاهو الآن المسجد مع متعلقاته، أبوابه مفتوحة، وما على الناس إلا أن يزوروه، ويروا جنة الدنيا كيف شيد فيها ما عد من البناءات الباهرة الباهضة، وقد توجت دائرة الزليج بصحن المسجد المذكور بقصيدة وأبيات قد أنشأتها باقتراح رئيس جمعيتنا المذكور، ولم يبق على حافظتي سوى بيتين أنشأتهما لينقشا على باب الحمام هناك وهما :

إن هذا الحمام يشفي السقيما وبه يشتفي الذي يستقي ما
فارو من مائه صحيح بخـار وانتهج منهجا له مستقيمـا

أما القصيدة فهي تزيد على السبعين بيتا، وقد حفظت بالنقش هناك بالخط الأندلسي المجوهر، وستنشر عما قريب على أعمدة السعادة الغراء، أو على أعمدة النجاح الأغر، مع الأبيات المنقوشة داخلا وخارجا، وهي من إنشائي(14)، وذلك من تخليد الذكر لأهل الأدب والثناء عليهم بألسنة البيان، فعليكم أيها السادة بالأدب والتضلع من مشاربه العذبة، ولا تكتفوا بما حصلتم عليه من المعارف، فإن القناعة من الله حرمان.

ولنشكر الدولة التي مدت لنا يد المساعدة على إحياء مثل هذه الصنائع التي لازالت في التحسين المضاهي للطراز القديم، الذي كاد أن يضمحل إجمالا وتفصيلا، وكذلك غير هذه الصنائع التي كانت انقرضت عندنا بفاس بانقراض العارفين بها، مثل تربية دود الحرير وغزله، فقد كانت قديما من الصنائع التي لها مدخولات ذات أهمية، وكان الحرير الفاسي من أحسن الأنواع التي تجلب من مصانع الأجانب، حتى دخل الفشل بالإكتفاء بما يرد من ذلك بواسطة تجار فاس الذين تسببوا في انحلال العزائم في الإعتناء بالحرير ومنسوجاته، وعم العامة الكسل، فصارت هذه الصناعة في حيز الإهمال حتى ذهب العارفون بها.

---

(14) جميع الأشعار والأبيات المنقوشة بالجامع الكبير بباريز هي من قريض العلامة الحاج أحمد سكيرج، وقد تعرضت لذكر جميع هذه الأشعار في كتابنا : مجموع دواوين العلامة سكيرج، ومن المعروف أن الجامع الكبير بباريز قد دشن في صيف عام 1926م، وحضر لتدشينه عدد كبير من الأعيان، وفي مقدمتهم السلطان مولانا يوسف رحمه الله، وكان العلامة سكيرج هو الذي ألقى على مسامع الحاضرين أول خطبة جمعية بالمسجد المذكور، أنظر ج 1 ص 77-83 من هذا التأليف.

وقد حصل في هذه الأزمنة الأخيرة الولوع بإحيائها بفضل همة ذوي الإصلاح من رجال الحكومة الساهرين في جلب المنافع بإحياء الصنائع، وعهدي بقومنا من أهل فاس قد حصلوا على النتائج الحسنة من إحرازهم من رئيس قسم إحياء الفنون الجميلة والصنائع تمام المساعدة بإعطائهم الإرشادات اللازمة في تربية دود الحرير، وإعطاءهم في الإبان المناسب القدر الكافي من الزريعة التي ينشأ عنها دود الحرير، مع حصة من أوراق التوت الذي يطعم لهذا الحيوان الحريري، وقد وقع الاعتناء بغرس الشجر. وحصلت نتائج كبرى من هذه الصناعة، ولازالت في التقدم في أطوارها، ولربما يقع الإكتفاء بالحرير البلدي الفاسي عن غيره مستقبلا إذا دام الناس في اجتهادهم في إحياء هذه الصناعة.

وهكذا غيرها من الصنائع فقد صارت تتقدم شيئا فشيئا بسرعة مناسبة للعصر الحاضر، بمزاحمة المعمرين وغيرهم في استعمال آلات الحرث والدراس على الطراز الجديد، بفضل التعليم الذي نشأت المدارس لأجله بفاس وغيرها، مما يحق دوام الشكر للدولة الساعية في ترقي الإيالة الشريفة، وقد اعترف الناس بفضل مزية العلوم العصرية، وصاروا يغرفون من بحار معارف رجال التعليم ما عم نفعه في الحاضرة والبادية.

وإن أهم الأمور، التي تشفي الصدور، هو السعي التام في ارتباط جميع القلوب بعضها ببعض، والنظر فيما يوصل إلى رفع المضرات الناشئة عن سوء المفاهمة الحاصل بين العامة والخاصة، وذلك لا يتم إلا بالإرشاد إلى العلم والتعليم، حتى يعم العلم ويضمحل الجهل، ولا سبيل إلى بث روح المعرفة وإنباتها في روح طبقات الناس على اختلاف أنواعهم إلا بجلب النفوس بزرع الحب لمن لهم السيطرة عليها، وهم شيوخ الزوايا ومن في شاكلتهم من مستحوذ على تلاميذ أو خدام، فإن الإستعانة بهم في نشر العلم والدعوة إلى التعلم والتعليم عائدة بالفائدة التي لا يجحدها عاقل(15).

ومادام دعاة الإصلاح لم يصافحوا شيوخ الزوايا بأيدي الصلح، مع المسارعة لإصلاح ذات البين بينهم فلا طمع للترقي والتوقي من أضرار الجهل، فإن العامة لا يردهم عن حسن اعتقادهم في الشيوخ أحد، وكل من حام حول الإعتراض على أحد منهم فهو عندهم ملحوظ بعين السخط طول الأبد،

(15) كعادة العلامة سكيرج في جميع تدخلاته ومسامراته لا يختم أيا منها إلا بعد التطرق لمشاكل الساعة، ومن أهمها وقتذاك النزاع والتوتر المتواصل بين شيوخ الطرق الصوفية ومقدميها من جهة، والمسمين أنفسهم بدعاة الإصلاح من جهة ثانية، وكان رحمه الله يرى أن مثل هذا النزاع لا مبرر له ولا يخدم الأمة في شيء، بل هو لفائدة خصوم الإسلام ومن مخططات المصالح الاستعمارية.

وقد حصل من التفرقة بين الجماعات بموجب الإنكار على أهل الطرق ما تراكم من أجله ظلمات بعضها فوق بعض فوق الأفق، فكيف يسمع مريد في طريقة قيد نفسه بحبلها طعن من طعن فيها، مع كونه في حبها متفان، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : حبك للشيء يعمي ويصم(16).

ساداتي : إن غالب الإنتقادات في كل شيء لا تصدر إلا عن غرض شخصي، يتحقق بهذا من نظر بعين الإنصاف إلى موجب الإنتقادات المرة بعد المرة، ومادامت الأغراض الشخصية تقود أهلها إلى التحصيل عليها إلا والناس في انحطاط إلى مهاوي التأخر، لا تقدم لهم فيما فاتهم به غيرهم في مراقي الترقي الذي تتشوف إليه النفوس وتتشوف للحصول عليه، وإن الأغراض الشخصية لحاجز حصين بين الترقي وطالبيه، وأقل الأغراض التشوف إلى التصدر بغير استحقاق، وما من أحد أحد رضي عن نفسه إلا وسولت له طلب ما هو بعيد عنه، ظنا منه أنه هو المستحق لما يتشوف إليه من الترؤس ونحوه، سيان في هذا من خاض في العلوم الرسمية، أو كان ذا مال يبخل به، أو ينفقه في تحصيله على السيطرة على ذوي المراتب العلمية، وإن للإنسان بماله لعلوا في غلو يريد به التقدم على غيره، ولو منعه من خيره، بمقتضى : "كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى"(17)، كما أن العلم الرسمي يطغى بصاحبه الراضي عن نفسه، فلا يرى أمامه من يرضى به إمامه، ولربما رمى بنفسه في التداخل فيما لا تحمد عقباه، وجنى على نفسه وقومه ما فيه رداهم ورداه، وذلك دأب كل من تتبع هواه.

ساداتي : إن ناديا مثل ناديكم هذا لخليق أن يصدع فيه زائره بالحقيقة من غير مداخل في الفضول، وحسب العالم الموفق أن يشير بلسان النصح للعموم أن يقبل الناس على التعلم للعلم وتعليم الصنائع التي تعود بالمنفعة على وطنهم العزيز. والحكيم من أحكم الأشياء بعد سلوكه على نهجه القويم حتى حصل على الحكمة ووضعها في موضعها عملا بما ورد : لا تمنحوا الحكمة غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوا أهلها منها فتظلموهم. فمراعاة القابلية في المكان والزمان تعد من نفس حكمة الحكيم. ولقد أحسن الإمام الشافعي رضي الله عنه في قوله :

سأكتم علمي عن ذوي الجهل طاقتي ... ولا أنثر الدر النفيس على الغنم
وإن يسر الله الكريـــــم بفضلـــــه ... وصادفت أهلا للعلوم وللحكـــم
بثثت معيدا واستفدت ودادهـــــــم ... وإلا فمخزون لدي ومكتتـــــــم
فمن منح الجهال علما أضاعـــــــه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلـم

والعاقل من يجتنب ما أمكنه ما تتطرق إليه الألسنة برميه بسهام الظنون، ورجمه بالغيب بما يستهون دونه ريب المنون، فلا يسقي غيره بما لا يشربه، لأنه لا محالة سيتجرع ما سقاه أحب أم كره، وقد قيل :

---

(16) أنظر كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق للعلامة عبد الرؤوف المناوي، بهامش الجامع الصغير للسيوطي، ج 1 ص 117، وعزاه فيه لأحمد في المسند.
(17) سورة العلق، الآية : 7.

أنت بما قد سقيت شارب | من رائق كان أو كدر
سهمك للغير فيك صائب | مالك عن نصله مفر

حتى قال :
ثمار ما قد غرست تجني | وهذه عادة الزمـــان
خذ الحديث الصحيح عني | كما يدين الفتى يدان

وقال شاعر من العرب :
ومن يحفرن بيرا يريد بها أخــــا | ففيها لعمر الله من دونه يــقـــع
كذاك الذي يبغي على الناس ظالما | تصبه على رغم عواقب ماصنع

ولهذا لا يكون المسلم مسلما حتى يكف أذاه عن غيره بمقتضى : لا يومن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه. والمسلم من سلم الناس من يده ولسانه، وبهذا يحصل الإصلاح، ويتم في سائر مساعي النجاح، ولا يخفى عنكم أن المصائب الجمة التي تتخبط فيها كل أمة منشؤها الجهل، وإن الجهل لمانع من التقدم والترقي، وهو أقوى باعث على الشقاق والشقاء، قاعد بقومه على جرف هار لا تقوم لهم قائمة، مادامو ا لم يتداركوا الخطر المحدق بهم بالإنكباب على التعليم والإرشاد إليه في الحواضر والبوادي، مع استعمال الرفق واللين في بيان الصواب والخطأ، وصرف همة الأغنياء في إعانة الضعفاء، وصرف أموالهم بتأسيس الجمعيات الخيرية التي تتكفل بنفقات اليتامى وأبناء الفقراء، ليتأتى لهم الإنكباب على تحصيل الدروس العلمية ومعرفة الصنائع التي تعود عليهم وعلى شعبهم بالخير العميم، وذلك من واجب الأخوة الإنسانية، فأحرى أخوة الدين بين المتدينين.

ولا يخفى عنكم أيضا أن الروابط الإجتماعية التي بها تربط القلوب، وتتم بها المقاصد في كشف الكروب، وتحصل بها السعادة من ثلاثة أمور : رابطة قومية، ورابطة وطنية، ورابطة دينية، وهذه الرابطة الأخيرة عند المومنين هي السبب الوحيد في سعادة الدنيا والآخرة، وهي أقوى الروابط وأتمها نفعا في الهيئة الإجتماعية، لانفعال النفوس بها مع الميلان الكلي بالقلب والقالب بين المتدينين، رغم تباعد أقطارهم واختلاف أنسابهم، وتباين مقاصدهم وتنوع لغاتهم، فهم على كل حال إخوة في الدين، وأما الرابطة القومية والوطنية فقد تزول بسوء حال أو انتقال، والمسلم الحقيقي يتعين في حقه أن يكون مسلما دينا، لا مسلما وطنيا، ويبرهن على دينه النقي بالتباعد عما نهاه الشرع عنه، فإن الشارع حكيم، وما نهى عن شيء إلا وكان ذلك الشيء مما لا خير فيه ويعود بالوبال على فاعله.

إخواني : إن التعصب الوطني قد يفضي بصاحبه إلى رفض الدين، ويقضي بهدم بعض القواعد المشيدة على أساس التقوى والحق المبين، على أن الوطن وإن كان بالطبع محبوبا فينبغي أن يكون حبه متابعا للحق من غير تعصب في الدين أيضا، ولست أدعو إلى بغض الوطن الذي لم تنتهك فيه حرمة الدين، فديننا الإسلامي دين الألفة والإئتلاف والإيلاف، وهو الموافق كل الموافقة على ترك التنافر والتدابر والتقاطع ونحو ذلك من كل ما يؤدي إلى الخلاف والعنف، ويعلم هذا كل من اطلع على ما كانت عليه سيرة الرسول عليه السلام، وسيرة خلفائه ومن اقتفاهم من الخلف الصالح رضوان الله عليهم، فإن من تتبع سيرهم الحميدة ونظر إليها بعين الإنصاف يشاهد ما تقر عينه به ويدعوه بداعية العناية إلى التمسك بحبله المتين، ويزداد به المومن إيمانا كل حين.

وإنني لمسرور غاية السرور بحضور فرد من أفراد العقلاء الجلة الفرنسيين الذين طالعوا السيرة المحمدية فكانت السبب الوحيد في اعتناقهم الإسلام، أخص بالذكر هنا أخانا المحترم مسيو ديني الفرنسي الذي أسلم أوائل القرن الجاري، ولقب بناصر الدين، وإنني أهنيه في مجمعنا هذا بما منحه الله من هذه المنحة التي وصل إليها بنور التوفيق في النظر للحق، من غير التفات إلى ما يذيعه عن الإسلام أعداء الدين المشوهين لسمعة الديانة الإسلامية، جهلا منهم أو بغضا وإلحادا، أو تبعا لما اقتضاه نظرهم حين نظروا إلى أحوال بعض المنتهكين لحرمة الدين الإسلامي، ويزعمون أنهم من المتدينين، وهم في الإسلام دخلاء، ولو تفقهوا فيه وتفقهت فيه عبادهم.

إخواني المومنين : إن ارتكاب ما يخالف الدين يفضي إلى ما لا تحمد عقباه، خصوصا عند من تربوا في الإسلام وكان آباؤهم وأجدادهم من المسلمين، فإن العار كل العار عليهم في التظاهر بمظهر غير المسلمين، بما تسوله لهم نفوسهم، مثل تعاطي الربا، والله يقول : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مومنين، فإن لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله(18)، ومثل تناول أم الخبائث وشربها، وتعاطي القمار الذي لا يتجاهر به إلا غير المومنين، والله يقول : "يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجز من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون"(19)، ومثل الإنتقاد على الصوفية بالتضليل والتكفير، ومعاداتهم تبعا للهوى بدعوى الإنتصار للكتاب والسنة، والنبي صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به عن ربه تبارك وتعالى قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبد بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولإن سألني لأعطينه، ولإن استعاذني لأعيذنه، فنسأل الله تعالى من فضله أن يوفقنا لما فيه رضاه، ويسلك بنا وبكم مسالك النجاة إلى يوم لقاه، وقد حبب إلى أن أنشدكم هنا أبياتا أنشأتها في الحث على تعلم العلم والصنائع، والسعي إلى نيل المنافع، ونصها :

أقصى منى الشخص أن يكون مخدوما ... فكيف ينجح وهو راح مذموما
من لي بشخص بحظ الشخصيات رمى ... ورام نفع عموم كان مغموما
فقد أضرت بنا أغراضنا ونرى ... إعراضنا عن مديد الخير منقوما
يا قوم هل تسمعون إن نصحت لكم ... والنصح أضحى من النصاح ملغوما
يا ليت قومي قاموا من سباتهم ... واستنهضوا هِمما تسر مهموما
فليس ينفعهم سوى اتحادهم ... مع اتخاذهم المجهول معلوما
أقول قولي لم أعتب على أحد ... وربما صرت فيما قلت مشتوما
ويلي عليكم وويلي منكم فلقد ... كلمتكم وفؤادي صار مكلوما
لا تعجلوا في طلاب كل حقكم ... مادام جانبكم بالجهل مهضوما
فكل من رام شيئا قبل أزمنه ... فإنه لايزال منه محروما
والجهل جيش بغى بمن به اتصفوا ... وقد طغى الجهل حتى صار مخدوما
ويلي عليكم إذا عشتم بجهلكم ... وقد شربتم شراب الجهل مسموما
وأظهر الكل ما قد رام من خور ... به غدا ظالما وكان مظلوما
فنبهوا قومكم لنيل معرفة ... فقد غدا جهلنا يا قوم معلوما
ماذا يعوقكم عن التعلم في ... زمانكم وسواكم صار منهوما
ما كاد يشبع من علم ومن عمل ... وإن غدا من عظيم الكيد محموما
وإن تعليمكم خير لكم ولهم ... وصار في حقكم والله محتوما

---

(18) سورة البقرة، الآية : 279.
(19) سورة المائدة، الآية : 90.

وإن جهلكم لو يعلمون لـهـــــم   شؤم ولا خير فيمن كان مشؤومـــا
سيروا قواما بلا خلف لمقصدكـــم   مع اتحاد بجمع عد منـظـومـــا
فنظموا شركات في تجارتكـــم   ولا تطيلوا قعودا كان مذمومـــا
ولتخرجوا كنز أرضكم لتنتفعـــوا   بما تضمنه إذ صار مـردومــا
وزاحموا غيركم بكل مختــــرع   لنيل خير لهم قد صار مضمومـــا
ونظموا لبنيكم خير مدرســــة   إن المدارس تعلي العرب والرومـــا
من المحال رقي القطر بينكـــم   إن لم يكن في بنيه العلم ملزومـــا
هذه المصانع تدعوهم ليكتسبـــوا   منها صنائع خير صار مفهومـــا
قوموا لإحراز ما ترضاه دولتكـــم   أولا فمجدكم قد صار مهدومـــا
إن يرفقوا بكم فالرفق ينفعهـــم   ومن غدا راحما يصير مرحومـــا
يسقي بمثل الذي يسقي سواه بـــه   كأسا دهاقا بما يراه مختومـــا(20)

(20) هذه واحدة من عشرات القصائد التي دعا فيها العلامة سكيرج رحمه الله إلى العمل الجاد على تحصيل العلم والإهتمام بالصنائع وتطويرها حتى تواكب الركب العالمي الجديد، ويعد العلامة سكيرج وبدون منازع أول مواطن مغربي نادى بضرورة عصرنة الصناعة المغربية وإدخالها ضمن قوالب تعليمية للرقي بها بين مصاف الدولة المتقدمة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الرؤية البعيدة التي كانت تتمتع بها شخصية هذا العالم المفكر الكبير.
ولا ننسى أنه كان يعيش في فترة تعددت فيها تحديات التكنولوجية الغربية المتطورة لدرجة مذهلة، وقد وظف الإستعمار مرارا هذه التكنولوجية لأهداف منافية كثيرة، منها مجال التبشير، حيث استعملها كأداة لتحطيم معنويات الناس، وتحسيسهم بعدم جدوى المناهج التعليمية المتبعة بالقرويين وما والاها، وكان لهذا التحسيس أثر سيء في نفوس الكثير من المغاربة، كما تولدت عليه عدة توجهات متباينة في نطاق معالجة الموضوع، مما أدى إلى وقوع نوع من الإحباط لدى الكثير من الشيوخ والأساتذة والطلبة المهتمين.

وفي الختام أشكر السادة الذين اقترحوا علي إلقاء هذه المسامرة، مع الشكر التام لحضرتكم أيها السادة الحاضرين، مع الدعاء لأميرنا مولانا يوسف أدام الله نصره، قاله وكتبه بمدينة الجزائر الغراء، خديم العلم والعلماء، أحمد سكيرج لطف الله به آمين. وفي يوم الخميس 22 جمادى الأولى عام 1346هـ موافق 17 نونبر سنة 1927م.

الإجـــــــــازات

وهو خاص بالإجازات التي أجاز بها العلامة سكيرج بعض العلماء الأفاضل

نص إجازة العلامة الحاج أحمد سكيرج للفقيه البركة سيدي مدثر إبراهيم(1) في تلقين أوراد الطريقة التجانية لمن طلبها منه

باسم الذات المقدسة، استفتح أبواب خزائن الفضل الذي عم الوجود، فلم تخلو ذرة من العالم إلا وخصها بلطيفة توجب حمد المنعم بها، وبما توالى من النعم الباطنة والظاهرة على يد الواسطة الأكرم عليه السلام، وإني أشكر المتفضل علينا بنعمتي الإيجاد والإمداد، شكرا بلسان العجز عن الوفاء بحقوق الحق الذي حمد نفسه بنفسه في سابق أزله، فقال لنحمده على كل حال : الحمد لله رب العالمين.

أما بعد، فمن خديم الحضرة المحمدية المتعلق بأعتابها، في قبوله والإقبال عليه بوجه الرضا في الدارين، أحمد سكيرج الأنصاري، غفر الله ذنبه وستر عيبه، وفتح عليه فتح العارفين بالله، وعلى أحبابه ومحبيه في حضرتي الغيب والشهادة، خصوصا منهم من اتصلت بيني وبينه رابطة الحب في الله لله، في بيت الله، وقلما تأتى لغيرنا ما تأتى لنا في ذلك المقام، من عقد الأخوة في الله، بأخذ العهد الذي لا نقض له بحول الله في القرب والبعد طول الدوام، عندي وعندك يا أبا إسحاق سيدي مدثر إبراهيم.

فإني أيها الولي الحميد أزف إليكم أحسن تحية تحيا بها النفوس، وتنتعش بها الأرواح في الأشباح، انتعاش روحي بسلامكم، وحياة نفسي بطيب كلامكم، فقد رقصت طربا لما داخلني من السرور به، وقد طأطأت برأسي خجلا أمام تنزلكم معي ذلك التنزل الذي لم أشعر فيه بنفسي، حتى سجدت لله شكرا فيما أنعم به علينا من محبتكم التي نرجو أن نكون بها ممن يظلهم الله بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، فإنها بحمد الله مبنية على أساس الإخلاص من أول الأمر.

---

(1) الفقيه العلامة الأديب المقدم الشهير أبو محمد أفندم المدثر بن إبراهيم بن الولي سيدي محمد الحجاجي، من خاصة أحباب الفقيه سيدي أحمد سكيرج بالقطر السوداني الشقيق، وقد وقفت على ورقة بخط العلامة سكيرج قال فيها : إن من النفحات القدسية التي استنشقناها بالحرم المكي، فأحيت منا النفس، في المعنى والحس، اجتماعنا بولي الله حقا العلامة الفاضل الشهير أبي محمد أفندم المدثر بن إبراهيم بن الولي سيدي محمد الحجاجي الكمالي القرشي، بداخل الكعبة المشرفة ضحوة يوم الجمعة 2 ذي الحجة الحرام عام 1334هـ فانتهزنا الفرصة بعقد الأخوة في الله في ذلك المقام الذي قلما تيسر فيه الإجتماع لضعيفين مثلينا، وأجزته بما لدي بعدما ألزمني ذلك، وعلقت الإجازة على إجازته لي، فأجازني بما لديه، فكانت هذه الإجازة من أم الإجازات، التي يرجى بها إحراز جميع المقامات، والمرجو من المولى أن يجعلها وسيلة للجمع بسيد الأرسال، والفوز منه بجميع الأمان، وأن تكون سببا موصولا برضى المولى في الدارين، متصلا بالعروة الوثقى دون بين، وأن يتفضل على الجميع بالفضل اللدني، ويعاملنا بألطافه الخفية، ويحشرنا في زمرة خير البرية، عليه الصلاة والسلام.

وتوفي رحمه الله في سنة 1356هـ ورثاه صديقه وحبيبه سيدي مرزوق بن الشيخ الحسن الأنصاري الخزرجي بقصيدة رائية مطلعها :

ما للفضيلة تذري الدمع منهمرا   ما للمكارم أضحى وجهها قترا
ما للمعالم في سبل الهدى خضعت   ما للضياء خبا من بعدما بهرا

ورثاه العلامة سكيرج كذلك بقصيدة قال في مطلعها :

ماذا ألم بقلبي اليوم من ألم   حتى غدا في اضطراب زاد في ضرمي
أصابني وله ما كنت أعهده   وقد فقدت اصطبارا كان ملتزمي

ولازلت ولا أزال أشكر زمانا ومكانا قضى الحق فيه باجتماعنا، جمع سلامة، راجيا منه تعالى أن يتم إكرامه علينا بتحقيق الكرامة، باجتماع خصوصي في ذلك الحرم الشريف، وفي الحرم النبوي وفق ما نتمناه، وفوق ذلك بما لم يخطر على بال، مع السلامة والعافية دنيا ودينا، وهو سبحانه قادر على ذلك، ولقد حركتم منا وجدا ساكنا، في قلبنا كان كامنا، فلم نجد صبرا على المقام معه إلا عن قهر، ولقد كنت شاهدت نفسي بالمدينة المنورة في واقعة سلفت لي، وأنا أمرغ خدي قبالة الضريح الشريف على التراب وأقول : يا تربة محمد، يا تربة محمد، لست بقادر على الفراق، فنرجو الله أن يحقق الواقعة بجمع معكم تام، في ذلك المقام.

وعسى أن يمن بالقرب منكم عن قريب في يقظة أو منام

على أن الجمع القلبي بحمد الله حاصل بيننا، ولو امتدت مسافة البين، ولم يزدنا البعد الحسي إلا قربا معنويا، فلا يخطر ببالكم أننا نسيناكم أو ننساكم، لا وحق إخلاص ودكم، فإني أعطر المجالس بذكر محاسنكم التي شاهدنا فيكم، وإن بالغتم في التستر عنا بتنزلكم وتواضعكم معنا، حتى أخذتم بمجامع قلبنا، في بعدنا وقربنا، وكل من سمع بكم في قطرنا تعشقكم بالسمع، (والأذن تعشق قبل العين أحيانا)، ثم زادني فيكم حبا على حب اتصال حبلي بحبلكم وحبل أنجالكم الكرام، ولد الروح الذي حصل الاجتماع به معكم في ذلك المقام، ولدكم البار سيدي الحجازي أقر الله عينيه بما أحب، وازدادت الرابطة اتصالا بالنجل المحبوب، سيدي المجذوب، فإني أجد من نفسي ميلا قلبيا بداعية الحب في الله إلى حضرتهما، بطلب الترقي لهما في مدارج المعارف، فلتكن لهما مواظب الدعاء بالرضا، ففي رضاك عنهما رضاء الله، ولتقسم على الله في تبليغهما ما تتمناه لهما، فإنه يبر قسمك، ولقد كان سيدي الوالد رحمة الله عليه يقول لي في قوله (ﷺ) : إن لله عبادا لو أقسموا على الله لأبرهم(2)، بأن هؤلاء العباد هم الوالدون، إذا أقسموا عليه في جانب بنيهم أبرهم.

وقد جرت عادة الله في خلقه، أن يكون البار بوالديه مبرورا به، ودعاؤه في الشدة مستجابا على أي حالة كان عليها، وكما يتأكد في حق الولد البرور بوالديه، ينبغي للوالدين أن يبروا بأولادهم خصوصا في هذا الزمان، فعلى الوالدين المسامحة لأولادهم، وطلب الهداية لهم من الله بقدر الإمكان، فإن الأولاد أزهار رياض حياة الوالدين، إذا لم يقع اعتناء منهم بها تذبل وتسقط أوراقها، وقد كان يقول لي سيدي الوالد قدس سره : إن أولاد الشخص مثل غرس غرسه صاحبه في بستان له به ولوع تام، يتمنى أن يراه مفتح الأكمام، عن أزهاره البديعة، فهل يليق به بعد اعتناءه به أن يقلع هذا الغرس ويرمي به، وهو متشوف للتمتع بالنظر إلى حسنه، ورونق شكله وطيب ريحه، إنه لا يليق به ذلك الفعل الدال على سلب العقل، ويا ترى إذا رجع إلى نفسه باللوم وأراد رد ذلك الغرس إلى حالته التي كان عليها من الإزدها والإزدهار، أيمكن أن يكون كما كان، وقد ذبلت تلك الأزهار واندثرت أوراقها الناعمة، فكذلك الشخص مع أولاده، فهم أزهار بستانه الذي يتحافظ على التمتع به، فلا يليق به أن يتغير قلبه عليهم، وإن كان تغير القلب أمرا قهريا، بانفعال النفس من أب الولد وأمه عندما يعاكسهما بأدنى معاكسة، وفي تغير قلبهما عليه هلاكه في الدارين، فلا يليق بالشخص إلا حبس نفسه وإلجامها بلجام الصبر، مع الدعاء للولد بالهداية وعدم مقابلته بما يكره، عسى أن يكون برور والديه به مما يعينه على بروره بهم.

---

(2) أنظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قوله عز وجل : من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا، رقم الحديث 2806، وفي فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج 6 ص 26.

وقد تأسست طرق الفتح على البرور بالوالدين، والأخذ بخاطرهم في جلب رضاهم بما أمكن من أنواع البرور، والإحسان إليهم على قدر الإمكان، في السر والإعلان، وتأكد ذلك في طريقتنا المحمدية التجانية حسبما كان يوصي به الشيخ رضي الله عنه أصحابه الآخذين عنه مشافهة، وبلغنا ذلك على لسان الثقة من الأصحاب والأحباب، فكان رضي الله عنه لا يقبل بحضرته من بلغه عنه عقوق والديه، ولا يزال رضي الله عنه يلاطف من تغيرت قلوبهم على أولادهم حتى يرضوا عنهم، ويأخذ العهد عليهم في مسامحتهم، ويأمر الأولاد بالتملق بين يدي آبائهم في الإقبال عليهم والنظر إليهم بعين القبول، فتنبعث عواطف الحنان والشفقة منهم عليهم، فيحصل للجميع الرضى، وهذا في حق الأحياء منهم، وأما من فقد والديه وكان حصل معهم له تغيير خاطرهم عليه، ولم يمكنه تدارك أمره فإنه يرشده للإكثار من الدعاء لهم، وإشراكهم في ثواب بعض الأذكار التي يذكرها هذا الشخص، خصوصا إهداء ثواب الفاتح لما أغلق لهم ولو مرة واحدة بالإذن الخاص، فإن ثواب الفاتح لما أغلق لا ينحصر ولا يوصف إلا لأهل الإعتقاد الذين شرح الله صدرهم لقبوله، ولم يستعظموا ذلك في جناب الفضل الإلهي الذي لا حد له، والله ذو الفضل العظيم، وعلامة كون الشخص أهلا لإحراز فضلها انشراح صدره عند سماع ذلك، ومن لم تكن فيه قابلية لذكرها، أو استبعد ذلك الفضل فهو محروم من خيرها القريب التناول بسر الإذن الخاص ممن أحرزوا عليه في هذه الطريقة الأحمدية التجانية، وهو من فضل الله الذي يوتيه من يشاء.

وقد بلغنا عن سيدنا الشيخ التجاني رضي الله عنه أنه قال : لقنوا الناس صلاة الفاتح لما أغلق ليموتوا على الإيمان(3) فإن من واظب عليها يمتلئ صدره بالأنوار، وتحصل له المحبة الخصوصية من سيد الوجود (ﷺ)، فيحضر لديه في الشدائد، ويأخذ بيده فيها بما لا يتجرأ على إنكاره إلا من كان جاحدا للكرامات، ولا يجتمع بأهلها المعاند أبدا، وقد تجلى الحق على أهل الإنكار بعدم الإذعان لأولي الخصوصية من قديم، وقد تفاحش الإنكار عليهم في هذه الأزمنة بالسب، وقد قال عليه السلام كما في الحديث الصحيح : سباب المومن فسوق(4)، وأقبح السب تكفير الخاصة من الصوفية، وتكفير المومن كفر، ولا بأس بذكر قصيدة جرت على لساني في هذا الموضوع، صادف إنشائي لها شروعي في هذا الجواب ونصها.

---

(3) أنظر رفع النقاب بعد كشف الحجاب للعلامة سكيرج ج 1 ص 70.

(4) أنظر صحيح الإمام البخاري كتاب الأدب، باب ما ينهى عن السبب واللعن، رقم الحديث 6044 وفي فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني ج 10 ص 569.

فلحا المريد أن يصح اعتقاده … ويكمل للحق المبين انقياده
ومن حاد(5) عن طرق السعادة لم يزل … يرى في عبادات العباد عناده
يقول رأينا الجاهلين تصدروا … لتلقين ورد قد تجلى سواده
له اختلقوا فضلا عظيما يجرهم … إلا الأمن من مكر الإله مفاده
وقد أكلوا الأموال بالباطل الذي … ادعوه وذو الدعوى بعيد سداده
وكم قولة تقضي عليهم بردة … ولا خير فيمن بان منه ارتداده
بهذا مقال المنكرين عليهم … وأجودهم لازال يكبو(6) جواده
فكم عالم قد طيشته رسومه … فأعجبه في الصالحين انتقاده
وما علمه إلا بضاعة تاجر … إليها مع الإفلاس كان استناده
وأثقله في السير في البيد(7) حملها … وقد نزحت قبل الوصول بلاده
فصار ينادي وحده في فلاته … وبح مداه حيث طال ابتعاده
وسار وقد ألقى البضاعة طالبا … نجاة وقد ضاعت وضاع اجتهاده
وأعجب ممن ينتمي لطريقة … وفي غيرها حينا يسوء اعتقاده
كأني به قد قام من خلف شيخه … مريدا خلاف الشيخ وهو مراده
ولم ترى شيخا من شيوخ حقيقة … يميل لمن قد ساء ظنا فؤاده
وأول شيء في الطرائق لازم … محبة من يعزى لها ووداده
وإن جميع الطرق تسلك للهدى … وفيها عليه للمريد اعتماده
ومن سار فيها وفق ما قد جنى الهوى … عليه تساوى غيه ورشاده
بلى إنه يشري الضلالة بالهدى … ويظهر في نهج الصلاح فساده
وكم جاهل بالحق أو متجاهل … يعاضد من قد ضاع منه سعاده
يعادي جميع الطرق من غير موجب … سوى أنه بالحقد كان انفراده
ومقصود أهل الله في فرد وجهة … لتابعهم أن يستقيم انقياده
فلا يتخطى هذه ثم هذه … ومن أكثر الترداد طال بعاده
فلا تعتقد فيهم خلاف مرادهم … خلافا لمن في الطرق دام انتقاده
ومن يعترض من غير حق عليهم … كفاه بداج للبدور افتقاده
فقل لمن استحلى التعرض للأذى … لهم موعد الإنصاف منه معاده(8)

---

(5) حاد : مال وانحرف.
(6) يكبو جواده : يسقط على وجهه.
(7) البيد : مفردها بيداء وهي الفلاة من الأرض.
(8) كان العلامة سكيرج رحمه الله يرى أن التصنيف في الرد على المنكرين والمترددين ضد الطريقة التجانية يعد من أولى الأولويات التي يجب أن تؤخذ بعين الإعتبار، وهو لديه على كل حال أفضل بكثير من التأليف في فضائل الطريقة وكراماتها ومناقب أعلامها الكبار، لأن ذلك يفتح باب الإنكار بمصراعيه أمام المنتقدين، ويساعدهم على رواج سلعتهم بين الضعفاء والمترددين، والوقت اليوم لا يسمح بذلك، بل يتعين على العاقل سد هذا الباب إلا على الصفوة الخاصة من الناس، والسبب في ذلك يعود لفساد الزمان من جهة، ولتفشي ضرر الكذب وكثيرا من الأخلاق الرذيلة من جهة ثانية، مع انكباب الناس على الدنيا وتهافتهم عليها، وتخليهم عن القيم الحميدة، وعدم مبالاتهم بقواعد السلوك السديدة، وبالإضافة لهذه العوامل فالثابت والمعروف عن أعلام هذه الطريقة أنهم كانوا لا يتكلمون في أسرارها وفتوحاتها أمام العموم، بل يجعلون لذلك مجلسا خاصا ببعض الثقاة الأفاضل.

ولو ترك المسلمون الطعن في الإعتقادات لتم اتحادهم، ولكن لا يزالون مختلفين إلا من رحم الله، والحمد لله على ما منحكم الله به من حسن الظن وجميل الإعتقاد، ولقد فرحت كثيرا بقيامكم مقامنا ومقام الشيخ رضي الله عنه في تلقين نجليكم، واندراج سيدي المجذوب في سلك إخوان الطريقة، فهنيئا له بذلك، فإن البلد الطيب يخرج نباته بإذن الله، ثم ما أكدته علينا في توجيه الإذن لكم طبق العهد، فقد كنا شافهناكم به في الحرم الشريف، ولا أفضل من المشافهة، ونحن نؤكد ذلك الإذن بتقديم مجادتكم بالإذن المقيد والمطلق في تلقين الأوراد اللازمة وغيرها في هذه الطريقة الأحمدية التجانية، بما لدينا فيها من التقديم الصحيح، عن شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي، عن القطب سيدي الحاج علي التماسيني(9)، عن شيخنا الختم التجاني رضي الله عنه، وهذا أعلى سند في هذه الطريقة في زماننا هذا بحمد الله.

وعندنا إجازات بالتقديم فيها من طرف مقدمين آخرين تعرضنا لهم في تويلف سميناه بقدم الرسوخ فيما لمؤلفه من الشيوخ(10)، وإلى الآن لم يتيسر لنا إخراجه من مبيضته، وسنعمل ما في طوقنا في طبع كتبنا بالمطابع الشرقية طبق اقتراحكم بحول الله، ويكون منها هذا الكتاب الذي سنوجه له وجهة الإعتناء بإتمامه، وقد تفاوضت مع بعض الأحباب والإخوان في الأخذ باليد في طبع ذلك، فكان من أعيان عيونهم محل الولد البار المقدم سيدي محمد سعيد(11) علي بالإسكندرية، وقد جربنا رسالة بتلك المطابع فجاءت على أحسن ما يكون، واسمها العبرة بطول العبرة(12)، وهذا السيد من أجل الإخوان بالإسكندرية، ولا بأس أن تكون بينكم مواصلة في الله، مع عقد أخوة بين النجلين معه، وتكون الرابطة متصلة، وسأكتب له إن شاء الله ليكاتبكم من الإسكندرية، فإذا كتبتم له فسلموا عليه منا بأتمه، وعلى شيخ العلماء أبي القاسم أحمد هاشم أفندم، فإن صدري منشرح بما أخبرتني عنه من كونه من أهل هذه الطريقة التجانية، وإني متشوق لسماع ما يسرنا من محبكم الشيخ تليب ومن انضاف إليكم، راجيا أن تشرح لنا حال ذلك الحضرمي الذي أذناه بالتقديم امتثالا لكم في اقتراحكم، فهل قام بنشر الطريقة بنواحي اليمن، وغاية ما استفدنا من خبره أنه لازال بناحيتكم، ونحن نؤكد عليكم في نشر هذه الطريقة بالإذن للراغبين فيها، وتقديم اللائقين الذين لا تشوف لهم لما في يد إخوانهم، برفع الهمة عن الطمع، بشرط قبول الشروط المقررة فيها.

---

(9) القطب الشهير أبو الحسن سيدي الحاج علي بن سيدي الحاج عيسى التماسيني، من أكابر المفتوح عليهم في الطريقة الأحمدية التجانية، توفي رحمه الله ورضي عنه بدارها بتماسين سنة 1260هـ. أنظر ترجمته في بغية المستفيد، للعلامة سيدي محمد العربي بن السائح ص 261 وانظر كشف الحجاب للعلامة الحاج أحمد سكيرج ص 126 وانظر رفع النقاب بعد كشف الحجاب لنفس المؤلف ج 4 ص 112، وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محمد العلوي التنجيطي، رقم الترجمة 4.

(10) قدم الرسوخ فيما لمقلده من الشيوخ من تأليف العلامة الحاج أحمد سكيرج ترجم فيه لستة وستين شيخا من شيوخه، مع ذكر إجازاتهم له، والكثير منها بخطوطهم رحمهم الله، وصفحاته 300 صفحة.

(11) من أخص تلامذة العلامة سكيرج رضي الله عنه بالإسكندرية بمصر وبينهما رسائل ومخاطبات كثيرة خاصة فيما يتعلق بطبع الكتب وتوزيعها.

(12) العبرة بطول العبرة من تأليف العلامة الحاج أحمد سكيرج، طبع بالقاهرة بمطبعة العرب في قالب صغير وصفحاته 32 صفحة، أنظرها ضمن المطبوعات الموجودة داخل هذا المجموع ج 1 ص 187-199.

وقد بسطنا القول على ذلك في كتابنا الكوكب الوهاج(13) وغيره من تآليفنا، والقصد من هذا التأكيد نفع العباد على يدكم، بما لديكم من الإذن العالي الصحيح بحمد الله من عبد ربه ولله الشكر، ولقد عرفت أيها العارف ما هو المطلوب في حق الخاصة من كتم ما يجب كتمانه، خشية الإنكار الذي عمت به البلوى، ولم ينجح منه من طلبة العلم إلا من أخذ الله بيده، مع كون هذه الطريقة لا معنى للإنكار عليها إلا إفشاء سر فضل أذكارها لغير المستحقين، وهو ثقيل الحمل عند من ضاقت حوصلته من علماء الرسوم، كما هو مقرر لديكم، وقد أكثر من لا معرفة له من التنويه بهذه الطريقة حتى خرج عن الحد فيها إلى حد المجازفة، بما يقضي على الخاصة فيها إنكار ذلك وتبرئة ساحتها، حتى لا يجر إلى تكذيب ما هو صحيح فيها، وها أنا كتبت تويلفا سميته : جناية المنتسب، لما نسبه للشيخ التجاني بالكذب(14)، وسيتم بحول الله النفع به بعد الإعانة على إخراجه من مبيضته، والأقدار إلى الآن لم تساعد على إتمامه بذلك، كما أني ألفت تويلفا اسمه : طرب الحي، في كون الأخذ عن الشيخ المنتقل إلى دار البقاء أفضل من الأخذ عن الحي(15)، وفيه شفاء الغليل لمن يأخذ الطرق المنسوبة للشيوخ الأموات، خلافا لمن يرى أن لا نفع في ذلك، وسيطبع بحول الله بعد إخراجه من المبيضة، وقد انتفع في طريقتنا جماعة من أهل الله العاضين على حبل أورادها بالنواجد من الأموات والأحياء، وكثيرا ما تعرضنا لبعضهم في تأليفنا المطبوع بالمطبعة الفاسية المسمى بكشف الحجاب عمن تلاقى مع القطب التجاني من الأصحاب، وأتممت الكلام عليهم في كتابنا المسمى : رفع النقاب بعد كشف الحجاب، وهذا الكتاب الأخير قد عزم على طبعه سلطان المغرب سابقا العلامة المولى عبد الحفيظ(16) القاطن الآن بباريس، وهو من أجل المقدمين في هذه الطريقة، بعد أن كان انقطع عنها، وألف تآليف مهمة، وأنشد قصائد نفيسة، يقول من قصيدة طنانة في مخاطبة الشيخ رضي الله عنه :

وإني وإن كنت المسيء الذي اعتدى   وحارب جهرا ها أنا اليوم طائع(17)

وقد أجزناه بالتقديم المقيد والمطلق فيها، ولا بأس أن تتعارفوا معه بالكتابة إليه، وتخبروه بأني عرفتكم به، كما أني أحب أن تتعارفوا مع مقدمين أجلاء، انتشرت على يدهم الطريقة في نواحي متعددة، وكلهم أخذوا عني التقديم، فانتفعوا في خاصة نفسهم، ونفع الله بهم، وذلك من فضل الله علينا ولله الحمد،

---

(13) الكوكب الوهاج لتوضيح المنهاج في شرح درة التاج وعجالة المحتاج في فقه الطريقة التجانية، للعلامة الحاج أحمد سكيرج، طبع بمطبعة النهضة بتونس وصفحاته 232 صفحة.

(14) جناية المنتسب العاني بما نسبه بالكذب للشيخ التجاني للعلامة الحاج أحمد سكيرج، فيه جزآن، وطبع بدار الطباعة الحديثة بمصر، وصفحاته 200 صفحة.

(15) طرب الحي في كون الأخذ عن الشيخ المنتقل إلى دار البقاء أفضل من الأخذ عن الحي، من تأليف العلامة سيدي الحاج أحمد سكيرج، وهو من الكتب التي ضاعت بسبب السرقة، وقد أخبر بذلك رحمه الله في كتابه المسمى : الإغتباط في الجواب عن الأسئلة الواردة من الأغواط.

(16) سبقت ترجمته في هذا التأليف ج 1 ص 126.

(17) أنظر هذه القصيدة بتمامها في رفع النقاب للعلامة سكيرج ج 2 ص 5 ومطلعها :

ألا هل يلذ النوم والربع شاسع   وهل من لقاء الحب يغني التواضع

وسنكتب لكم جريدة بأسماء من أؤكد عليكم بمكاتبتهم والتعرف إليهم، لتكون الرابطة بينكم متصلة بحبل الشيخ رضي الله عنه، بواسطة العبد الضعيف الذي يحب لكم ولهم ما أحبه لنفسي ولولدي الطالب عبد الكريم(18)، بعد سلامه عليكم وعلى أنجالكم كثير السلام، وسأكتب لهم أيضا بالتعرف لكم، وأن المومن كثير بأخيه بمقتضى سنشد عضدك(19) إلخ ... سائلا من الحق أن يؤيدنا وإياكم بروح القدس، ولقد زدتمونا تأكيدا لما لدينا من الإعتقاد في جنابكم، بما اختبرتمونا به من حالكم المؤثر فينا اعترافا للحق بشمول لطفه لعبده الذي يلتجئ إليه، وهو سبحانه اللطيف بالعباد، فقد خلق الخلق وتكفل بهم، وإن مدبر الأمر أدرى بالذي صنع، والخروج من الحول والقوة دأب العارفين أمثالكم، فعليكم بملازمة الإلتجاء إليه سبحانه في الرخاء والشدة، فيقوم مقامك إذا غبت، ويدافع عنك إذا حضرت.

والذي أؤكد عليكم أيها الأخ هو المحافظة على أورادك والإكثار من صلاة الفاتح لما أغلق كلما تفرغت في أوقاتك سفرا وحضرا، ولا تستبدلها بغير تلاوة القرآن بترتيل وتدبر، فهي كفيلة بخير الدارين، ولا تهتم بغيرهما من الأذكار ذات الأسرار والخواص العالية، فهي والله أنفع للمريد من تلاوة الإسم الأعظم، لخلو تلاوتها عن الأغراض، وأزيدك تأكيدا بالأخذ بيد أحبابك، وإن تيسر لكم عمارة زاوية تكون فيها واسطة العقد المقصود للأخذ عنه في هذه الطريقة فهو من السعي المشكور، ولا تأمر أحدا بالدخول إلى هذه الطريقة ما لم تراه متشوفا للإذن له فيها، فإن سائق السعادة يسوق إليها أهلها، والصارف الإلهي يصرف من ليس منهم، وقد حدثني شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي(20) رضي الله عنه من كلام الشيخ الذي تلقاه عن الحضرة المحمدية عليها السلام : اعلم أن هذه الطريقة الشريفة خرجت من حضرة الغيب حضرة الزلفى، فلا يدخل في سلكها إلا من سبق عند الله أنه من السعداء، انتهى بمعناه. وقد صرنا على بال مما شرحته لنا مما يرجع لهيئة بلدة الخرطوم وبلد أم درمان، ولعل الله أن يؤسس على يدكم زوايا في هذين البلدين، وفي كافة أنحاء بربر السودان المصري، وفي مصر وغيرها، ويشرح بك الصدور سفرا وحضرا، ثم أني أزيدك وصية بالمحافظة على سر الإذن في هذه الطريقة، بحيث لا تلقنها إلا لمن أخذت عليه العهود بالوفاء بشروطها المقررة، مع التنبيه على شرط كبير لا بد منه في حق من تقلد بعهد هذه الطريقة، وهو المحافظة على الصلاة في وقتها، كما سبق التنبيه عليه، بإتقانها إتقانا تاما، بإسباغ وضوئها مع الإطمئنان والخشوع التام، وذكر الأوراد بترتيل، فكثير من الإخوان قد أخلوا بهذا الشرط الذي غفل عنه جل المقدمين، وإن مرة واحدة من الهيللة بترتيل وتدبر أفضل من ألف مرة منها بلا ترتيل وتدبر، وهكذا الشأن في غيرها.

وكن خير مؤلف بين قلوب الإخوان فيما بينهم، وفيما بين غيرهم، مع الأخذ بيد كل من تعلق بك، وإياك والإلتفات إلى من يتهاون بأمر الواجبات، ويتعلق بالأذكار بطلب خاصيتها، مع ادعاء الخصوصية فيها، فإن كل من هذا شأنه فهو مغرور، سيما من ظهرت عليه قرائن الطمع فيما في أيدي الأحباب والإخوان، واشتغل بسب من منعه، ومدح من منحه، كما هو من علامة كل من انتسب لهذه الطريقة بالكذب وهم كثير، ويتعين على المقدمين إرشاد من كان موصوفا بهذه الصفة، والنصح له بقدر الإمكان، مع التحافظ على القلوب من الحط من مقام المنتسب، خشية أن يكون ملامتي الحال، والله المسؤول أن يكون لنا ولكم بما كان به لخاصة أوليائه الكرام، وعلى المحبة والأخوة والسلام، سائلا من فضلكم القيام مقامنا في الدعاء بين زمزم والمقام، وقبالة الضريح النبوي عليه السلام، وهذه قائمة بيان أسماء السادة الذين حبب إلي أن أعرفكم بهم،

(18) سبق التعري2 به في هذا الكتاب ج 1 f 14.
(19) سورة القص f ، الآية : 35.
(20) سبقK ترجمته في هذا التآلي2 ج1 f 27.

لتكون بينكم وبينهم رابطة محبة في ظهر الغيب بالتعارف معكم، وكلهم ممن كتبنا لهم التقديم لتلقين هذه الطريقة التجانية، وانتفع بهم جم غفير زاد الله في معناكم ومعناهم، ونفعنا بكم آمين.

- ♦ سلطان المغرب سابقا العلامة الشريف مولاي عبد الحفيظ دام حفظه، القاطن بفرنسا بهذا العنوان ...
- ♦ مفتي الحضرة الوهرانية العلامة الشريف مولاي الحبيب بن عبد المالك(21) بهذا العنوان ...
- ♦ خليفة القطب التجاني العلامة سيدي الحاج محمد بن الحاج عبد الله أنياس(22) في مدينة كولخ، سنغال بهذا العنوان ...
- ♦ المقدم الفاضل سيدي محمد سعيد علي بالإسكندرية بهذا العنوان ...
- ♦ المقدم البركة الشريف سيدي محمد امغارة(23) بتطوان بالمغرب بهذا العنوان ...

وفي هذا كفاية، لا جعله الله آخر عهد بالجميع، بجاه النبي الشفيع (ﷺ)، وكتبه عن عجل خديم الحضرة المحمدية عبد ربه أحمد سكيرج أمنه الله.

---

(21) سبقت ترجمته في هذا الكتاب ج 1 ص 16.

(22) سبقت ترجمته في هذا الكتاب ج 1 ص 73.

(23) الفقيه المقدم الفاضل سيدي محمد بن عبد الرحمن امغارة التامصلوحي التطواني، ازداد بمدينة تطوان عام 1304هـ. فحفظ القرآن على مجموعة من شيوخ المدينة منهم الحاج محمد غطي[illegible] دفين خارج باب المقابر، والفقيه السيد حميدو الريفي، المدرر بمكتب الوسعة، والفقيه السيد الأمين أبو جديد، المدرر بمكتب الجامع الكبير، والفقيه السيد عبد السلام العروسي، المدرر بمكتب الجامع المذكور، ثم أخذ رحمه الله قسطا كافيا من العلم عن بعض شيوخ المدينة المذكورة، وتمسك بالطريقة الأحمدية التجانية على يد جماعة من المقدمين كالفقيه العدل سيدي محمد بن عجيبة، وسيدي إبراهيم الطويل الشرادي، وسيدي الحاج محمد بن أحمد الدردبي الكوفي المقيم بحوز تطوان، والعلامة سيدي محمد كنون، وحفيد الشيخ رضي الله عنه سيدي محمود بن مولانا البشير رضوان الله عليه، والمقدم البركة سيدي محمد بن عبد الواحد النظيفي، وغيرهم، وأجازه فيها بالإطلاق العلامة الحاج أحمد سكيرج، وكان ينوه به غاية، لما فيه من الأهلية والفضل، وهو مقدم الزاوية الأحمدية التجانية بتطوان، وقد عينه الإخوان الفقراء لنظارة على الزاوية المذكورة بعد وفاة المقدم الفقيه العدل سيدي محمد بن عجيبة، أنظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 153.

نص إجازته للسلطان الأسبق العلامة

مولاي عبد الحفيظ العلوي(1)

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على الفاتح الخاتم وآله وصحبه

كتبت هذه الإجازة في فاتح رجب عام 1346هـ

الحمد لله الذي أجاز على مجاز التوفيق ذوي التصديق، فوقفوا على عين الحقيقة التي لم يبق على وجهها غبار التشكيك لما لديهم من كمال التحقيق، قد ساقهم سائق العناية إلى حضرة السعادة، فدخلوها بسلام آمنين، محرزا منه كل واحد منهم ما أراده،

فهم أمناء الله في خلقه وهم نجوم الهدى من يقتدي بهم نجا

والشكر له على أن جعلنا من المصدقين لأهل الله في زمان تراكمت فيه ظلمات الأغيار بعضها فوق بعض، وكثر الإنكار فيه ممن تظاهر بمظهر الإرشاد للترقي العصري، وقد امتلأت قلوبهم فيهم من البغض، فانحجبت عنهم عرائس المعارف البارزة على منصات(2) القبول لأهلها، الذين خصوا بالتسليم والإستسلام ففازوا بقربها ووصلها، والصلاة والسلام على عين الرحمة الربانية، والياقوتة العرفانية، والجوهرة الفريدة، الوسيلة الحميدة بين الخلق إلى ذي العرش المجيد.

وشق له من اسمه ليجله(3) فذو العرش محمود وهذا محمد

فجدير وأيم الله بأن يحمد الله في الأرض والسماء وقد حمد، وخليق(4) بأن يبجل عند الخلق والحق وقد بجل ومجد، وقد تنزل اسمه على مسامه حقيقة، فهو يعسوب(5) الأرواح، والرحمة المسداة من الحق للخليقة، ورضي الله عن آله وأصحابه، وكل من تعلق بنية صالحة بأعتابه، وبالأخص ختم الولاية المحمدية، المسدول عليه رداء الكتم في الحضرة الأحمدية، كهف الأمان والأماني، سيدنا ومولانا أحمد التجاني، سقاني الله والمحبين من وراثته الخاصة بأكبر الأواني، وأوثق حبل حبي بحبه حتى تدوم الرابطة بالله لله في الله، متصلة الحلقات إليه من بيني وبين من أخذت عنه طريقته الأحمدية، وبين من أخذ عني الإذن في ذكر أورادها، لإحراز سر إمدادها، مع من أجزته بالتقديم المقيد أو المطلق طبق ما لدي في ذلك، وأخص في هذا المقام من بينهم عين عين الإخوان، الممتلئ صدره إيمانا وحكمة بكمال إيقان، شريف العلماء، وعالم الشرفاء

(1) سبقت ترجمته في ج 1 ص 126 من هذا المجموع.
(2) منصات : جمع منصة، وهو الكرسي الذي ترفع عليه العروس في جلائها.
(3) ليجله : ليعظمه
(4) خليق : جدير
(5) اليعسوب : ذكر النحل وأميرها

من لا أسميه إجلالا وتكرمة   بل قدره المعتلى عن ذاك يغنينا

لا بل أسميه وأتبرك بذكر اسمه، ألا وهو سيدنا ومولانا عبد الحفيظ سلطان المغرب سابقا، ابن السلطان المقدس سيدنا ومولانا الحسن ابن السلطان المقدس سيدنا ومولانا محمد أدام الله حرمتهم ورضي عنهم، فلقد دهشت حين فاجأني منه وجه القبول، وخجلت من عظيم إقباله علي حتى شككني في نفسي التي لم تشم رائحة الوصول، وبتنزله معي انقلبت الحقائق في نظري، وحق لمثلي أن يذوب حياء من بضعة الرسول عليه السلام عند اقتراحه علي، في إجازته في الطريقة التجانية بما لدي، ولا أرى ذلك منه إلا لفرط صدق محبته في هذا الجناب، حتى ظن أنني ممن يصلح لأن يجيزه فيها عن الإخوان والأحباب، ولوقوفه على قدم الصدق فيها لم أتوقف عن المسارعة لإجازته، بما أتحققه لدي بفضل الله من الإذن بالتقديم المقيد والمطلق فيها بسندي العالي لحضرة الشيخ رضي الله عنه، وهو من أصح الأسانيد الأخرى التي بيدي، وأعد ذلك من عظيم نعم الله علي. فقد حصلت على الإجازة في هذه الطريقة بما اشتملت عليه من أسرار، وأذكار ومعارف ذات أنوار، وغير ذلك من أسماء ومسميات، مما يذكر للعموم وما يخص به الخصوص، وما يتعين كشفه وعدم إفشائه لغير أهله بطلب أو غير طلب.

فكان من جملة من أجازني حين نظر إلى صدق محبتي في الشيخ رضي الله عنه، وأدناني منه ومنحني بما لم يخطر لي ببال، بما أودعه الله في قلبه من محبتي كما أحبه، شيخنا العارف بالله السمي السامي، سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي(6) رضي الله عنه، فقد أجازني بما لديه، وما تلقاه عن الخواص المقدمين من أصحاب سيدنا رضي الله عنه الذين اجتمع بهم ممن أخذوا عنه مشافهة، وعن أنجال سيدنا الذين كانوا معه كالأخ الشقيق من بينهم، وبالأخص سيدنا ومولانا محمد الحبيب(7) فقد كان جهينة أسراره، مطلعا على خواص أذكاره، وقد كادت أن تكون ملازمته له في خلواته وجلواته ملازمة الظل لشاخصه، لما لمولانا الحبيب فيه من المحبة التي كان يحدثني بها عنه، ولشدة ما كان يهمه أن يخرج أمر تقربه منه بسلام، لما كان يراه من أن شدة المواصلة والتنزل من الأعلى للأسفل ربما خرجت عن بساط الأدب اللائق بالأسفل مع الأعلى في المرتبة التي لا تسمح بأدنى سوء أدب، وإن كان صاحبها متمكنا في مقام الصفح والمسامحة لمن أساء الأدب عليه بتعمد وبغير تعمد، وكان ينظر لي رضي الله عنه في شرح حاله معه مما يتعين مراعاته من الأدب حال الولد مع الوالدين، فإنهم ولو سامحوا الولد فإن مرتبتهم لا تسامحه، فكذلك المريد بل الشخص مع أهل الله، فإن منهم من لا تسامح مرتبته من أساء الأدب عليها.

---

(6) سبق التعريف به في هذا الكتاب ج 1 ص 27.

(7) سيدي محمد الحبيب نجل القطب أبي العباس التجاني رضي الله تعالى عنه، ازداد بمدينة فاس من أمة سيدنا رضي الله عنه المسماة : امبريكة، وكان عمره عند وفاة والده 15 سنة، وقد حج رضي الله تعالى عنه عام 1265هـ مع الركب الطرابلسي برا، وخلال رجوعه من الحج اختار طريق البر مرة أخرى، فدخل بلاد مصر وتبرك به جم غفير من علمائها، وكانت وفاته رحمه الله بقرية عين ماضي عام 1269هـ، وقد مدحه العلامة سكيرج بقصيدة جميلة قال في مطلعها :

فؤادي بالصبابة فيك عان   فداركني فإني فيك فان

انظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 55، وفي رفع النقاب لنفس المؤلف ج 3 ص 32. في هذا المجموع كذلك ج 2 ص 316.

وقد كان وجهه مرة مولانا الحبيب رضي الله عنه من عين ماضي إلى مدينة فاس لقضاء بعض أغراض خصوصية بها، وأخبره بأن الأولياء الأحياء بفاس يناهز ثلث ساكنيها، وأمره بسؤال بعض من اجتمع به منهم عن أمور، فلما اجتمع في فاس بصاحب سيدنا رضي الله عنه أبي الفتح مولاي محمد بن أبي النصر العلوي(8) وطلب منه أن يجمعه مع من يكاشف له عما يحمله من الأسئلة كاشفه هو بها واحدة واحدة، وعند استيفاء جوابه أضمر في نفسه السؤال عن خروج أمره بسلام مع مولانا الحبيب، لاهتمامه بذلك، فأخبره بأنه يخرج أمره معه على كمال الرضا وفق ما يظن وفوق ما يؤمله، فكان طبق جوابه(9) وحدثني رضي الله عنه أنه ورث النظرة الخاصة التي من الله بها على الشيخ رضي الله عنه، بتحققه في عام النظرة بمقام من رآه أو من رأى من رآه لا تمسه النار، وتلك كرامة من كرامات بعض الأولياء، لا مجال في إنكارها على من نصب الموازين، فهي كالوردة لا تحك للشم، فمن كان من أهلها انشرح صدره لقبولها، وفرح بالاجتماع بمن ظفر بها، فرءاهم بنظرة الخصوصية فنالها، ومن لم يكن من أهلها لم يلتفت إليها، وقل من سلم من طعن في مثل هذا على أهل الله، فقد قيل للشيخ رضي الله عنه : اخرج للعباد فمن رآك فقد رأى الحق(10)، وسمع منه مولانا أبو النصر المذكور مع جماعة من خواص أصحابه قوله : من رآني أو رأى من رآني لا تمسه النار(11)، وقد رأينا بحمد الله طبق ما لنا من الإعتقاد وحسن النية وجه شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه، كما رأى وجه صاحب سيدنا رضي الله عنه المقدم البركة أبي الفتح مولاي محمد بن أبي النصر العلوي رضي الله عنه، وهو رأى وجه سيدنا قدس سره.

وقد تقابلنا مع حضرة صاحب الشرف الباذخ سيدنا ومولانا عبد الحفيظ المذكور، واجتمعنا به ورءانا ورأيناه، واعتقدنا فيه ما اعتقده فينا، فنحن بسلامة صدق نكتب في هذه العجالة ما نكتبه طبق اقتراحه، سواء صادف المطلوب، أو كان مجرد مكتوب، ولكن لا يخلو إن شاء الله عن فائدة يستفيدها المطلع عليه، والله ينفع من اطلع عليه أو دعا لنا بستر العيوب ومغفرة الذنوب.

---

(8) العارف بالله والدال عليه، الشريف البركة مولانا محمد فتحا بن أبي النصر بن علي بن رشيد بن المامون بن الصادق بن الفضيل بن عبد القادر بن مولانا علي الشريف العلوي الحسني، كان رحمه الله ملازما للشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه، وقد مكث معه 16 سنة لم تفته فيها ركعة واحدة خلفه، وكان رحمه الله يقول : سمعت من الشيخ ما لم يكن في الكناش المكتوم، وترجم له الكثير من علماء هذه الطريقة، منهم العلامة الحاج أحمد سكيرج في كشف الحجاب ص 158 وفي رفع النقاب بعد كشف الحجاب ج 3 ص 214 وترجم له العلامة الحجوجي في الجزء الأول من كتابه : إتحاف أهل المراتب العرفانية، وترجم له كذلك صاحب روض شمائل أهل الحقيقة، العلامة ابن محمد العلوي الشنجيطي، رقم الترجمة 7، وفي كتابنا ترجمة معلمة معالم سوس أبي عبد الله سيدي محمد أكنسوس.

(9) أنظر كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 165. وفي رفع النقاب لنفس المؤلف ج 3 ص 35.

(10) أنظر كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 289.

(11) أنظر رفع النقاب بعد كشف الحجاب للعلامة سكيرج ج 2 ص 181.

وهاأنا ذا أعرب عن حقيقة هذه الطريقة التجانية، مع ما انبنت عليه من المقامات الإحسانية، وما زاد على ذلك فهو فضل أو فضول، فأما اعتقادنا فيها فلا شك أنها هي الطريقة المحمدية المبنية على العمل بالكتاب والسنة، والسلوك فيها على مذهب أهل السنة في المعتقدات، مع التحصيل على الإذن الخصوصي في ذكر ورد الصباح والمساء كل يوم، وذكر الوظيفة اليومية، وسرد الهيللة بعد عصر يوم الجمعة بأعدادها المرتبة طبق ما تلقى ذلك شيخ هذه الطريقة رضي الله عنه عن سيد الوجود (ﷺ) مشافهة، باجتماع خاص به في اليقظة من غير شك لحقه في ذلك، ولا يحتاج في الدخول في زمرة أهلها إلا لمجرد الإذن ممن لديه عن سيدنا رضي الله عنه ولو بأكثر من واسطة، وأما الفضل المنوط بها فقد تلقى الشيخ رضي الله عنه من الحضرة النبوية مبشرات تسر ولا تغر، لمن تقيد بحبلها، وقام بأركان أذكارها على وفق الشروط المقررة فيها عمن له الإذن الصحيح بتلقينها، فإنه يظفر بشمول الضمان بالحلول في أعلى المراتب في كفالة سيد الوجود (ﷺ)، بالنظرة الخاصة والعطفة الخاصة، بالتربية الخاصة بالهمة والحال، إن وفى المتقيد بحبلها بالعهد المأخوذ عليه فيها، حسبما هو مذكور في كتب الطريقة.

غير أنه وقع الإفراط من بعض مؤلفيها في تقرير فضائل لها ومزايا ومناقب وأسرار لأذكار عمومية وخصوصية، واتسع الخرق بين عامة الإخوان بنسبة أمور للشيخ رضي الله عنه ولخاصة أصحابه وأحبابه بما تضيق به حوصلة من يتسارع للإنكار، فكان ذلك موجبا لصرف الله قلوب من ليس من أهلها عن السلوك فيها، تحقيقا لقول الشيخ رضي الله عنه : سائق السعادة يسوق أناسا لهذه الحضرة، والصارف الإلهي يصرف عنها من ليس من أهلها(12)، مع أن التقيد بحبلها لا يشترط فيه اعتقاد صحة جميع ما هو مذكور من تلك الفضائل والتنويه بها فوق ما تحتمله عقول السامعين، لأن ذلك أمر زائد على المقصود من السلوك في هذه الطريقة، والخوض فيه بين المريدين وغيرهم مجرد فضول، ربما أفضى بمن خرج عن حده لما لا تحمد عقباه.

ولقد كان شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه، يكشف لي الستار عن بعض الأسرار ثم يقول لي : يا ولدي إن السر العظيم في طريقتنا هو في أورادها اللازمة بعد القيام بالمأمورات، واجتناب المنهيات لا غير، وأما خواص الأذكار والأسماء والأوفاق ونحوها من الفضائل والفواضل، فليس من الطريق(13)، ولا ينبغي الإعتماد عليه لمن يريد السلوك فيها على قدم التحقيق والتصديق، وحدثني عن إنكار الشيخ رضي الله عنه على بعض من تعلق به من الناس في طلب الإذن لهم في التصريف بالأسماء ونحوها من علوم السيمياء، وأنه نهى بعض من كان يخوض في ذلك، وقال :

---

(12) أنظر الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية للعارف بالله سيدي الطيب السفياني الحسني، باب حرف السين. وفي كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 183.

(13) انظر جناية المنتسب العاني للعلامة سكيرج ج 1 ص 62.

إن هذه الأمور من وقف معها لا يحصل له فتح البتة(14)، وكان يقول لي شيخنا المذكور : إن سوء الظن ينشأ في هذه الطريقة وغيرها بسبب الأغراض المركوزة في نفوس بعض المستطلعين على ما وراء الأذكار اللازمة فيها، فيتعلقون بمن رأوه فيها خائضا في خواص الأذكار، فيطلبون منه الإذن لهم في التصريف بها، فلم تنجح مقاصدهم على وفق المرام، فتحصل القطيعة بموجب المواعيد في الإذن، أو حصول الإجابة به، فلا يكون شيء من ذلك، وهو السبب الوحيد في الإنقطاع وسوء النية بعد حسن الإعتقاد، وكان يطلعني المرة بعد المرة على بعض مشاهد سيدي الحاج علي حرازم ويقول لي : إنما أطلعك على هذا لتكون على بصيرة منه ومن غيره مما يعد مكتوما، ولا مدار على شيء منه في الطريق، وإنما المدار فيها على الأوراد اللازمة.

وقد بشرني ولله الحمد بما بشرني به، من كون محبتي في الشيخ وطريقته جارية على الوجه المطلوب من أهل الصدق فيها، وقال لي : لا أخاف عليك ولو اجتمعت بقطب الوقت(15)، ومثل هذه المقالة قالها في حقه له العلامة أكنسوس الكبير(16) بعدما اجتمع به وأراد إدخاله للخلوة، ولم يجده متشوفا لما ينتج منها، ورجع من حضرته إلى مقره قرير العين بنظرته الخصوصية(17)، وقال لي المرة بعد المرة : الحمد لله الذي لم يجعلك مثل فقهاء الوقت، لأن الغالب فيهم الدعوى والرضا عن النفس وعدم التسليم، والمسارعة للإنكار، ونحو ذلك، ولقد قال مرة لشيخنا الفقيه العلامة المقدم سيدي محمد كنون (18) منكرا عليه بمحضرنا في جماعة من الإخوان، ونحن مجتمعون لسرد جواهر المعاني، والفقيه المذكور في أبهته وجلالته في الدرس، وهو يقرر مسألة من المسائل التي تعرض لها في الجواهر : إن هذا المقام لا يقرره إلا الفقهاء العالمون، فقال الفقيه : وهل أنا غير عالم ؟ فقال له نعم لست بعالم ولا فقيه، وأراد بذلك تهذيب نفسه، فتأثر بذلك الفقيه وأحزابه، فكان ذلك سببا في المقاطعة بينهم، حتى أدى ذلك إلى تحزب الإخوان عليه، فصبر على إذايتهم حتى لازم داره.

---

(14) من هذا نعلم أن الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه لصاحبه العارف بالله سيدي محمد بن العربي الدمراوي أن لا يستعمل شيئا مما يتعلق بعلوم السيمياء، وذلك كشرط لتلقينه إياه طريقته الأحمدية، وقال له بعد كلام : إن هذه الأمور من وقف معها لا يحصل له فتح البتة، انظر كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 122. ومن قبيل هذا النهي كذلك جوابه رضي الله عنه للذي سأله عن التصرف بالدائرة الشاذلية وأسمائها وخواصها، فأجابه برسالة قيمة مفيدة جدا في موضوعها، أنظر جواهر المعاني للعارف بربه سيدي الحاج علي حرازم برادة ج 2 ص 178.

(15) قطب الوقت : هو الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان، وهو على قلب إسرافيل عليه السلام، وحول أوصاف القطب قال الشيخ سيدي أبو العباس التجاني رضي الله عنه: أوصاف القطب يرى عالما كجاهل، أبله فطنا، آخذا تاركا، زاهدا راغبا، سهلا عسرا، هينا صعبا.

(16) قوله أكنسوس الكبير : مقصودنا بذلك التفريق بينه وبين ابنه العلامة الفاضل الأديب الشهير سيدي عبد الله أكنسوس، المتوفي رحمه الله بتاريخ يوم الإثنين 17 صفر الخير عام 1317هـ.

(17) انظر رفع النقاب بعد كشف الحجاب للعلامة سكيرج ج 2 ص 138.

(18) سبق التعريف به في ج 1 ص 26 من هذا التأليف.

ولقد شاهدنا والله ابتلاء كل من خاض في تلك الواقعة بما أصابهم من الإمتحان، حتى أن الفقيه العلامة السيد علال بن شقرون(19) التجاني طريقة قد تحقق في مرض موته بأنه على خطر إن لم يبادر باستسماحه، فتعلق بمن استجلب خاطره حتى أتاه به إلى محله، فطفق يقبل يده ويبكي ويطلب منه المسامحة في تحزبه عليه، فاستفهمه عن موجب هذا الطلب، فقال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وقال لي : آذيتني في فلان وسماك، فقال : الآن سامحتك لأجل النبي صلى الله عليه وسلم(20)، وقد ذكرنا هذا هنا من غير قصد لذكره، تبعا لما جرى به القلم، ونرجو أن يكون فيه فائدة زائدة عن المقصود من هذه الإجازة التي أكتبها بقلب وقالب من غير تأنق(21) فيها، لمستحقها سيدنا ومولانا عبد الحفيظ، ولولا جاذبيته الصادقة، ما تجرأت على التبجح(22) بذكر ما عسى أن يشم فيه غيره رائحة دعوى الخصوصية في التقديم، وفي الحقيقة أرى نفسي والله في الصف الأخير من مطلق المريدين في هذه الطريقة، ولا أقول هذا تواضعا بين الخليقة، ولقد غررت سيدنا ومولانا عبد الحفيظ في اقتراحه لكتب ما كتبته من إجازته لأمور، أما أولا: فلحسن نيته وسلامة طويته التي صفت مرآتها حتى تجلى حسنه في مرآة محبه، والمؤمن مرآة أخيه، فرأى صورته المستحقة لكل خير فأحبني، فازددت فيه محبة، وله الفضل في ذلك، ثانيا: فلصدق محبته في الشيخ رضي الله عنه أحب كل من أحبه غير ملتفت لما وراء المحب من مقتضيات البشرية.

---

(19) العلامة الأديب المقدم الجليل سيدي علال بن أحمد بن شقرون الفاسي، من خيرة فقهاء فاس، اجتمع بالعارف بربه سيدي محمد العربي بن السائح مرتين، الأولى عام 1304هـ، والثانية عام 1308هـ، لكنه لم يأخذ عنه أوراد الطريقة، وتأخر أخذه لها إلى سنة 1313هـ على يد العارف الشهير سيدي العربي اللحياني العلمي، وأجازه فيها جماعة منهم العلامة الأديب سيدي الطاهر بن محمد التمنارتي.

وله رحمه الله قصائد كثيرة في مدح الشيخ رضي الله تعالى عنه، منها قصيدة قال في مطلعها :

سعد الذي حط الرحال بفاس   في روضة المولى أبي العباس

ومن قصائده كذلك قصيدة في مدح الشيخ رضي الله تعالى عنه حين وفد التابوت التونسي المبارك للضريح الشريف، قال في مطلعها :

مولاي هذا العبد أصبح زائرا   بحمى ضريحك يا أبا العباس

ومن أبياته التي نقشت بمقر الزاوية الميمونة بفاس قوله :

إن ترد ماء العـيـون   أو ترد كحل العيـون
فشفاء الصدر عـنـدي   فهنا عين العـيـون
فالرضا في حسن وجهـي   وبهائي وفـنـونـي
وجميع الخير فاقـصـد   لو يكن فوق الظنـون
مددي مولاي أحـمـد   قطب أقطاب القـرون
التجاني خـاتـم فـهـي   سرها كتم الشـؤون
فتوضأ صاح واشـرب   دون تقدير معـيـون
وإذا تقـرا فـاقرأ   نور شكلي في الجفـون

انظر ترجمته في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه، رقم الترجمة 127، وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية لنفس المؤلف ج 7، وفي نخبة الإتحاف لنفس المؤلف كذلك، رقم الترجمة 165، وفي رفع النقاب للعلامة سكيرج ج 1 ص 157.

(20) انظر جناية المنتسب العاني للعلامة سكيرج ص 28.

(21) تأنق : بمعنى إتقان.

(22) التبجح : الإفتخار والكبر.

ولقد تحققت فيه المحبة لما شاهدته فيه حين اجتماعي به في باريس وأنا متلبس بأحوال حملها على أن ذلك من أفعال الملامتية، ولم تتغير محبته فيما رآه مني من سوء الحال بما لديه من حسن النية، ولقد زدت في الطنبور(23) رنة(24) في أمور فعلتها بمحضره، فلم يزده ذلك إلا صدق محبة، شأن الصادقين الذين يرقي الله بهم من اعتقدوا فيه الخير إن كان مثلي من الفقراء المتطرفين المتطورين، ثالثا: من موجبات اقتراحه ما بلغه عني على لسان بعض أحبابنا في الطريقة، وما اطلع عليه من بعض ما كتبناه فيها، مما رآه مزية لنا توجب الحب، بين الإخوان في البعد والقرب، ونحو ذلك مما لا ينظر فيه إلا للظاهر، فأثر في باطنه حسن قبول، ونرجو أن يكون لنا بذلك بحسن نيته كمال وصول، رابعا: ما يعلمه الله منه مما دفعتنا يد القدرة للمسارعة لإجابته إجابة العبد لمولاه، وإجابة المحب لحبيبه إذا دعاه لمودته على بساط الهنا والسرور، بعد طول بعد ونفور، ولهذا أكتب في هذا المحل ما لا أسمح به حتى لولد صلبي، كاشفا عن وجه الحقائق سترا، بما صار به السر جهرا.

مقدما قبل ذاك كل معذرة　　　لمن أراه بحسن الظن يقبلها

دخلت مرة على شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه مع محبنا المرحوم غيبة الأسرار، سيدي أبي بكر بن مصطفى بردلة التجاني، بعدما كان تفاوض معه في مسمى مفتاح القطبانية(25) وأنا غير متحقق به، وجعلنا أهم شيء عندنا هو استعطاف خاطر شيخنا المذكور ليطلعنا عليه، وكانت عادتي معه أن لا أسأله شيئا وإنما أستفيد ما أستفيده منه من غير طلب، فطفق رضي الله عنه يحدثنا بما ينشرح به صدرنا حتى قال: إن الشيخ رضي الله عنه كان يقول: أنا أحب من يطلب مني، وذكر لنا أن من أذكار الشيخ رضي الله عنه مفتاح القطبانية طبق ما أردناه، فطلبنا منه أن يطلعنا عليه فقال: إنه ....

فأجازني في ذلك، وهكذا حصل لي معه في طلب الإجازة بالتقديم المقيد، وكان لا يقول بالمطلق الذي يدعيه مطلق المقدمين، لكونه لا يراه إلا الخواص منهم، وقد ظفرت منه والحمد لله به من غير طلب مع ما ظفرت به منه، وكان يخبرني عن نفسه بما لا يخبر أحدا، وقد أخبرني بأنه حصل على مقام خاص، وواعدني بأنه سيطلعني عليه، فلم يتيسر لي الإجتماع به عند وفاته، حيث كنت مسافرا(26)، وقد استفهمت عنه الأخ ولده البركة الملامتي سيدي محمد العبدلاوي(27)، فقال لي :

---

(23) الطنبور: آلة طرب ذات عنق طويل لها أوتار من نحاس.

(24) الرنة: الصوت.

(25) من الأذكار الخصوصية في الطريقة الأحمدية التجانية، وهو لا يعطى ولا يذكر إلا لمن سبق في علم الله أنه يصير قطبا، انظر جواهر المعاني للعارف بالله سيدي الحاج علي حرازم ج1 ص 74وانظر الجامع للفقيه العلامة سيدي محمد بن المشري السباعي. وانظر روض المحب الفاني لنفس المؤلف.

(26) توفي المقدم البركة مولاي أحمد العبدلاوي في 24 رمضان عام 1328هـ، وخلال هذا التاريخ كان العلامة سكيرج مقيما بمدينة طنجة، حيث كان يشتغل بجانب أخيه سيدي محمد بإدارة المراقبة.

(27) سبق التعريف به في هذا الكتاب ج 1 ص 47.

لعل ذلك المقام هو فتح جوهرة الذكر في قلبه، وقد كان أخبرني بها قيد حياته بأنه كان رضي الله عنه يسمع نفسه تذكر صلاة الفاتح لما أغلق وهو ساكت أو مشتغل بذكر غيرها من الأذكار، وهي مشتغلة بذكرها طبق ما يسمعه من قلبه بنطق فصيح(28)، والذي أتحققه من شيخنا المذكور أنه بلغ لأعلى من هذا المقام، وقد حصل لي معه ولله الحمد جل ما حصل للشيخ عمر الفوتي(29) مع المقدم سيدي محمد الغالي بوطالب(30) في جميع ما بشره به، ولولا التبجح الذي انطوت النفس عليه مع اغترارها به، لذكرت جملة من ذلك على سبيل التحدث بالنعمة، غير أن ذلك لا يخلو من حظ النفس دائما.

وما أبرئ نفسي في تحدثها بذاك والنفس لي بالسوء أمارة

مع أنه لا يمكنني استيفاء جميع ما استفدته من شيخنا المذكور هنا على وجه التفصيل، أما إجمالا فقد أجازني بما تلقاه عن الخاصة في هذه الطريقة الذين من جملتهم القطب سيدي الحاج علي التماسيني، فقد أجازه بما تلقاه عن سيدنا قدس سره في تلقين الطريقة، وكان له به أتم اعتناء لما توسمه فيه مع صغر سنه من أهليته لتحمل سر الطريقة، ولشدة ثقته به كان يطلعه على بعض الأسرار التي كان يوجهها من تماسين إلى سيدنا محمد الحبيب ولد الشيخ رضي الله عنه بعين ماضي، كما أن ولد الشيخ المذكور كان يطلعه على ما لم يطلع عليه غيره، وبمخالطته مع هذين العمدتين في الطريقة حصل له قبول تام عند غيرهما من المقدمين فيها، فكانوا يطلعونه على ما لديهم من الأسرار، فمنهم من يجيزه بذلك ويطلب منه أن يجيزه بما لديه، ومنهم من يتخذه وسيلة في اتصال حبله بالشيخ وبهذين الفاضلين، وكانت له الرغبة التامة في الزيادة لما عند غيره من الأسرار التي ظفروا بها، فكان يستجيز كل من لقيه منهم فيجيزونه، مثل الفقيه العلامة

---

(28) أنظر رفع النقاب بعد كشف الحجاب للعلامة سكيرج ج 3 ص 199 وانظر جناية المنتسب العاني لنفس المؤلف ج 1 ص 69.

(29) الحاج عمر بن سعيد بن عثمان بن محمد الفوتي الطوري الكدوي ينتهي نسبه للصحابي الجليل سيدنا عقبة بن عامر، اتفق علماء عصره،وأولياء قطره، على أن الزمان لم يسمح بمثله، وأنه ممن يقدر إذا تعطلت الكتب من الدنيا أن يمليها للناس من حفظه ولفظه، وتآليفه كثيرة جدا، أشهرها كتاب الرماح، وقد طبع على هامش جواهر المعاني، وحصل له الفتح رحمه الله من العارف بالله الولي الشهير سيدي محمد الغالي أبي طالب، وهو مربيه وصاحب المنة عليه، التقى به بالمدينة المنورة، ومكث بها يخدمه مدة من ثلاث سنوات، حتى صار له بوابا وحاجبا، فأدرك بذلك ما أدركه من الفتوحات الكبيرة، والعلوم والفهوم الغزيرة، وكانت وفاته رحمه الله عام 1280هـ، أنظر ترجمته في فتح الملك العلام للعلامة سيدي محمد الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 41، وفي نخبة الإتحاف لنفس المؤلف رقم الترجمة 357 وفي لوامع الأنوار وفيوض الأسرار لنفس المؤلف ص 42، وفي كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 265. وخصصه العلامة المقدم سيدي محمد الحافظ التجاني المصري بتأليف سماه : الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التجانية، وانظر ترجمته كذلك في روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلوي الشنجيطي، رقم الترجمة 22.

(30) الولي الصالح العارف بالله، المقدم الفاضل، سيدي محمد الغالي بوطالب الحسني، من أفاضل خاصة الخاصة من أصحاب الشيخ أبي العباس التجاني، توفي بمكة المكرمة في أواخر شهر ذي الحجة الحرام عام 1244هـ، ودفن بالمعلى بجانب قبر مولاتنا خديجة الكبرى رضي الله عنها، أنظر ترجمته في بغية المستفيد لسيدي محمد العربي بن السائح ص 259، وفي كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 262، وفي رفع النقاب لنفس المؤلف ج 4 ص 199، وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية للفقيه الحجوجي ج 1، وفي لوامع الأنوار لنفس المؤلف ص 42، وفي نخبة الإتحاف لنفس المؤلف رقم الترجمة 9 وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلوي رقم الترجمة 5.

أكنسوس، فقد نظر فيه نظرة الخصوصية، وأجازه بما أجازه به الخاصة من المقدمين، وكذلك الولي الصالح سيدي العربي بن السائح، فقد أجازه بما لديه، وقد أجازه غيرهما ممن اجتمع بهم.

ولم يكن اهتمامه في أواخر عمره إلا بالورد اللازم في الطريق والإيصاء بالمحافظة عليه، وكان لا يأذن في التقديم لتلقين الورد إلا نادرا، وكثيرا ما امتنع من إجابة طالبيه، ولم أعرف منه تقديم أحد من إخواننا الفاسيين مع طول ملازمتي له إلا للمقدم الشريف البركة سيدي الحاج الطيب السفياني(31)، تجديدا له على ما بيده من التقديمات التي أجازني بها هذا المقدم جازاه الله خيرا، فتقديمه في زماننا هذا من أصح التقديمات المقيدة والمطلقة، وبإجازته لي في ما لديه أجيز المجاز بهذه الإجازة أيضا بالتنصيص على ذلك، وقد أجزته في كل ما وصلني في الطريقة وغيرها من كل ما تصح لي روايته أو درايته، ليطيب بذلك نفسا وإن كانت من أطيب الطيبات، ويقر بذلك عينا وإن كانت قريرة بما ناله من المكرمات والكرامات، زاد الله في معناه، وبعد هذا كله فقد سنح لي أن أسطر هنا لسيدنا بعض الفوائد، وهي مع كونها مندرجة فيما أجزته فيه بإطلاق، فلا بأس بأن تكون مما ادخر من ثمرات هذه الأوراق.

الفائدة الأولى

أخبرني شيخنا العارف بالله سيدي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه أن سيدنا محمد الحبيب(32) ابن سيدنا رضي الله عنه كلفه في إحدى سفراته لفاس بالبحث عن نسخة من كتاب الجواهر الخمس(33) لسيدي غوث الله، لكونها اشتملت على الأذكار التي كان الشيخ رضي الله عنه معتنيا بها ويأذن فيها للخاصة، حتى أن كل ذكر غريب نسب الإذن فيه للشيخ إذا لم يكن مذكورا في هذا الكتاب ولم يكن متلقيا بالسند الصحيح عنه فهو مرتاب، قال رضي الله عنه : ولما اجتمعت بالعارف بالله القاضي مولاي محمد السجلماسي(34) بدار سكناه من حاضرة فاس، وكان من أهل الله المفتوح عليهم، مستترا في ظل عرش خطته، ولم يكن لي غرض بالإجتماع به إلا مجرد المودة التي كان يعامل مثلي بها من المنتسبين للطريقة التجانية وغيرها، وبالأخص الغرباء، فدخلت لمحله الخاص به، ونظرت إلى كتاب موضوع على وسادة صدر البيت،

---

(31) سبق التعريف به في هذا المؤلف ج 1 ص 42.

(32) العارف بالله سيدي محمد الحبيب نجل القطب الرباني الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه، توفي رحمه الله بعين ماضي عام 1269هـ وبها دفن، أنظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 55 وفي رفع النقاب لنفس المؤلف ج 3 ص 32. وفي هذا المجموع كذلك ج 2 ص 316.

(33) الجواهر الخمس لغوث الله الشطار، من أهم الكتب المؤلفة في موضوعه، ويحتوي هذا الكتاب على أحزاب وأدعية وتوجهات عالية، وقد دأب أهل الفضل من العلماء العاملين على السلوك به والعمل بقواعده السليمة منذ زمن طويل، خاصة بشرح الشناوي عليه، فهو محل عنايتهم واهتمامهم البالغ، ويحتوي الشرح المذكور على أربعة أجزاء من الحجم الكبير.

(34) قاضي الجماعة بفاس العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان الفيلالي المدغري العلوي، توفي رحمه الله عام 1299هـ، أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص 406 رقم الترجمة 1629. وفي كتاب : جامع القرويين لعبد الهادي التازي ج 3 ص 814، وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 1 ص 205.

فوقع في قلبي الإهتمام بمعرفة اسمه، وصرت أكرر النظر إليه من بعد حتى عزمت أن أسأله عنه، وهل يوجد عنده هذا الكتاب الذي كلفني بالبحث عنه ابن الشيخ رضي الله عنه، حيث إني لم أعثر عليه عند أحد، فالتفت إلي القاضي المذكور عندما عزمت على الخروج من عنده ودفع لي ذلك الكتاب، وقال لي خذ هذا وبلغه لمن أوصاك بإتيانك به إليه، ففتحته فإذا هو كتاب الجواهر الخمس المذكور، فازددت اعتقادا في القاضي المذكور، ولم تتحرك مني شعرة التفات من طريقتي إلى التعلق به سوى ما أودعه الله في قلبي من محبته، ثم اجتمعت به مرارا، فرأيته يتستر في مظهر خصوصيته وأنا متحقق بولايته، فقلت له : يا مولاي محمد لا تستتر عني، ولا تكتم عني سرك فإني لاشك عندي في ولايتك، فإني تجاني، وأنت على حالك وأنا على حالي، فقال لي : ومن أين لك ذلك حتى عرفته ؟ فقلت له : بأمور منها إكرامك لي بالكتاب الذي لم أسألك عنه وكنت مهتما به، فقال لي : إنما ذلك بهمتك، فقلت له : بل ذلك من مكاشفتك، ولا أشك في ولايتك، وأنت على حالك وأنا على حالي، فقال لي : إني أخبرك بالحق، فقد ورثت سر جدي بعد أن خدمته مدة، ومكنني منه حين وفاته، والذي عندي في الطريقة التجانية أن كل من دخل فيها فهو من الأولياء(35).

ثم أخبرني شيخنا المذكور بأن الأذكار المذكورة في هذا الكتاب مع ما اشتمل عليه من كيفيات الصلوات والدعوات كله مأذون فيه للشيخ رضي الله عنه، وكان يأذن بعض الخاصة من أصحابه بما تحمله آنيته من ذلك، ولنا الإذن الخاص بجميعه ولله الحمد وبغيره، وقد كان الشيخ رضي الله عنه قبل اجتماعه بالنبي (ﷺ)، يقظة مواظبا على العمل بعمارة الوقت الليلي والنهاري بوظيفة السلوك بالأذكار والدعوات وجميع الصلوات المقررة في هذا الكتاب، من غير تشوف منه في غالب أحواله لخواص ذلك من التصريفات التي فيها حظ نفساني إلا فيما قل من ذلك، زيادة على ماله من أوراد الطرق التي تلقى الإذن فيها من شيوخها ومقدميها، ومن له الإجازة والإذن الصحيح في ذلك، وكان شديد النفور من الخوض فيما لا إذن له فيه من كل ما له خاصية، لما يرى في الخوض في ذلك من الخطر المحدق بالخائض في ذلك من سائر الوجوه، ولا يقدر على القيام بتلك الأعمال والأقوال المرتبة في هذا الكتاب بمراعاة أوقاتها الليلية والنهارية إلا من تجرد للآخرة وأعرض عن الدنيا، لكونه لا يتفرغ لغيرها لارتباط بعضها ببعض، وفي ذلك من مجاهدة النفس ما يكاد أن يغيب به الشخص عن الحس، ولذلك أعرض الشيخ قدس سره عن ذلك بعد اجتماعه بالنبي (ﷺ)، وسلك على يده بذكر أوراد طريقته المحمدية، فالمشتغل بذكر غيرها من الإخوان الذين تقلدوا بقلادتها ربما صاحب غرض، وصاحب الأغراض في الطريق لا تقوم له قائمة إلا أن يتداركه المولى بألطافه(36)، فينقطع بها عن سلوكه لما تقضي نفسه في عدم تحصيله على الأغراض الدنيوية برفض أوراده اللازمة التي لا يخلو المريد في السلوك بها من الأغراض الأخروية، فيجعل ذلك من واد واحد، فيعرض عن جميع ذلك أي إعراض، وينقطع عن الطريقة بلا شك بموجب هذه الأغراض، نسأل الله السلامة، ولهذا ينبغي لصادق المحبة في الشيخ رضي الله عنه أن لا يعتمد على شيء من خواص الأذكار ونحوها، وإن تشوفت نفسه لشيء من ذلك فلا يلوم إلا نفسه عندما يخيب الظن في إجابته لمراده، بل ينبغي له أن يتهمها في كونها لم تكن فيها قابلية لنيل سر ما توجه إليه في استمداده، لئلا يفضي به الأمر إلى ما ذكرناه، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(35) سبق التطرق لهذه الواقعة في هذا الكتاب، أنظر ج 1 ص 202 وذلك من خلال رسالة أخرى.
(36) أنظر جواهر المعاني للعارف بربه سيدي الحاج علي حرازم برادة ج 2 ص 154، وانظر الرماح لسيدي عمر الفوتي ج 1 ص 136.

تـتـمــــــــة

مما جبلت عليه النفس التشوف للإستطلاع على ما وراء ما لديها من المكارم والكرامات والمزايا والخصوصيات، وغير ذلك مما تستهون في الحصول عليه إنفاق أنفس ما توفر لديها، لكونها لا تقنع بما حصلت عليه ولو بلغت للغاية التي لا يدركها الأقران باجتهاد تام.

والنفس راغبة إذا رغبتها   ومتى ترد إلى قليل تقنع

وبهذه الجبلة(37) سعد قوم وشقي آخرون، لكون اجتهادها في تحصيل المطلوب مرتبطا بالمقصد خيرا وشرا، فهو محمود أو مذموم، والميزان الذي توزن فيه المقاصد هو الخسران المبين المنوط بالأغراض النفسانية، خصوصا إذا كانت حائدة(38) عن النهج الشرعي، فالشر كل الشر في كفة الميزان المائلة إليه، والخير كل الخير فيما وافق الشرع وأرشد الشيوخ إليه، فإذا استوت الكفتان في وزن المقصد فالأولى عمارة الوقت بما هو خير منه، فإذا تقرر هذا كان الأولى للمريد الصادق أن يقبض على حبل الورد اللازم في طريقه قبل كل شيء، ولا بأس عليه إن شاء الله بعد ذلك في الإستكثار من الخير بذكر غير اللازم، والعمل بسائر نوافل الخيرات، خصوصا ما بلغه منها عن الشيخ قدس سره من كل ما كان يعمله، لأنه مقتد بمن أقامه في طريق الدلالة على الحق، فإن الشيوخ قدس سرهم ما اقتدى بهم المريدون إلا لإقتدائهم بالمرشد الأكبر (ﷺ)، ولولا تمسكهم بحبله ما تمسك بحبلهم مسلم، ولقد أحسن الختم ابن عربي في قوله :

لا تغترر بالذي زالت شريعته   عنه ولو جاء بالأنبا عن الله

وحيث رأينا من نفسنا التشوف للتحصيل على بعض ما كان الشيخ رضي الله عنه يأذن لبعض الخاصة فيه، وبلغنا من ذلك ولله الحمد جملة وافرة مما ذكرناه في بعض ما كتبناه في الطريقة وما لم نكتبه، لم نرى مندوحة(39) من ذكر شيء من ذلك هاهنا، وإن كان فيه حظ من الحظوظ الدنيوية، وأرجو أن يكون ذلك وسيلة لما هو أخروي، مؤيدا بالتوفيق لأقوم طريق، ولاشك أن الشيء إذا قصد به الخير أنتج خيرا، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم(40)، وقد كان سيدنا الشيخ رضي الله عنه قبل الإجتماع بالنبي (ﷺ) يركب في طلب الأسرار من كل صعب ما

---

(37) الجبلة : الطبيعة.
(38) حائدة : مائلة.
(39) مندوحة : بمعنى داع لترك الشيء والتخلي عنه.
(40) العزائم : النيات والمقاصد.

يصيره ذلولا، حتى أنشد عنه ابن عبد السلام الناصري(41) في رحلته ما أنشده من قول القائل(42) :

إذا لم تكن إلا الأسنة مركبا فلا يسع الإنسان إلا ركوبها

وقد أدرك مناه من ذلك بالاجتماع بسيد الوجود عليه السلام، فكان يلقي مطالبه بين يديه تارة بالمشافهة وتارة بكتب ذلك وإلقائه بين يديه بواسطة وبدون واسطة، فيحرز منه المطلوب طبق ما تمناه، وألقى جميع ما كان ملازما له من الأوراد، مع الإعراض عن سائر الأغراض، وقد بلغنا من طريق من أخذوا عنه الطريق وغيرها بتقييد وإطلاق، ما نؤكد فيه الإجازة لسيدنا المجاز بهذه الإجازة، ونجعل الأهم من ذلك جمع ما وقع التنصيص عليه من الأذكار اللازمة مما هو مذكور في كتب الطريقة بتعميم في ذلك، وبه تمت هذه الفائدة.

الفائدة الثانية

الأسرار تدافع عن نفسها، فلا ينتفع بها إلا أهلها، وهم المأذون لهم فيها من أهل الإذن الصحيح، وأما من عثر على شيء منها وهو غير مأذون له فيها، سواء كان يسمع بها من قبل أولم يسمع بها إلا حالة العثور عليها فإن ضرره باستعمالها أقرب من انتفاعه بها، فالأولى لمن يحتاط لنفسه أن لا يقدم على استعمال شيء من الأشياء ذات الخواص، من عزائم ودعوات وأسماء ونحو ذلك إلا بإذن خاص ممن له الإذن فيها، فإن السر في الإذن، ولا يعتبر إذن من يترامى على ذلك أو كان إذنه فيه انقطاع عن المأذون لهم، لأن المدار على الإذن الصحيح من أهله، وكما يتضرر من يستعمل ذلك بلا إذن له فيه يتضرر من يأذن في ذلك من غير إجازة له في الإذن، ويكون ضرره غالبا من جهة من أطلعه على ذلك السر وأجازه به وليست فيه أهلية لتحمله، وأقل ما يحصل لمن ليست فيه أهلية فساد القلوب عليه، وتعجيل العقوبة له، بالطرد من زمرة الصادقين، ويبتلى به مجيزه أتم ابتلاء، وأقل ما يمتحن به إطلاق لسان المطرود فيه، نسأل الله السلامة من الخذلان وسوء العاقبة.

---

(41) الفقيه العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، من أهل درعة بالمغرب، درس العلم عن أجلاء شيوخ وقته، كالشيخ الجماعة أبي المحاسن يوسف بن أحمد بن ناصر الدرعي، والشيخ التاودي ابن سودة والشيخ البناني والشيخ الجنوي وغيرهم، وله مؤلفات من بينها : المزايا فيما حدث من البدع في أم الزوايا، والنوازل، والرحلة الحجازية الكبرى، والرحلة الحجازية الصغرى، وكانت وفاته بتامجروت بالصحراء في صفر سنة 1239هـ. أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 381 رقم الترجمة 1524 وفي الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام لعباس بن إبراهيم ج 5 ص 189-233 وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 206. وفي طلعة المشتري للناصري ج 2 ص 162-166.

(42) أنظر تعقيب العلامة سكيرج حول أبعاد هذا القول في كتابه جناية المنتسب العاني ج 2 ص 88.

ولقد حصل الضرر الكثير ممن يخوضون في ذلك بالفتنة في دينهم ودنياهم، حتى أدى بجلهم للخروج عن عقولهم وانقطاع المدد عنهم ظاهرا وباطنا(43)، ولم يرجى لهم نفع في حياتهم بسبب ذلك، ولذلك حذر الشيوخ من الإشتغال بذلك والخوض فيه من غير إذن، فلم ينجح سعي من خالفهم، وفقد الشعور لما أصابه، ولم يتفطن لموجب بلواه وامتحانه، وما هو إلا تجاسره(44) على الأسرار التي لا إذن له فيها، ونحو ذلك مما يستهون أمره وهو داع للبوار(45)، عياذا بالله، ولا سيما فيما يستعمله الخائض في ذلك في التصريف المنوط(46) بالجلب والدفع والضرر والنفع ونحو ذلك، كما لا يقصد به وجه الله جل ذكره، فإن قصد العمل به لوجه الله فهو إن كان من الخاصة يرجى له السلامة، وإن كان من العامة فهو على خطر فيما يقصده، لأن العامة كما قال الولي الصالح سيدي العربي بن السائح(47) رحمه الله لا يعرفون العمل لله.

ولا يمكن استعمال ذلك للخاصية مع الإخلاص، أما استعمال مثل ذلك للخاصية اعتمادا على الإذن الصحيح لمن له الإذن فسلامته قليلة، مع حصول المنفعة في العاجل والآجل على وفق ما لديه في ذلك، ولهذا ينبغي لمن له الإذن في ذلك أن يبدأ أولا بتحصين نفسه، ويدخل في نية تحصينه ما يعز عليه خشية إصابته فيه، وقد كان سيدنا الختم التجاني رضي الله عنه عندما يعرض له غرض يبدأ باستعمال التحصين فيه، ويكلف بعض أصحابه به، والتحصين تارة يكون كتابة وتارة يكون ذكرا، مثل قراءة سورة الإخلاص إحدى عشرة مرة بالبسملة بنية التحصين من الأعداء والظلام واللصوص والطوارئ بأجمعها، فهي مروية عن الشيخ قدس سره، وكذلك آية

---

(43) في الطريقة الأحمدية التجانية نهي صريح وتحذير للمنتسبين إليها من الخوض في الدعوات والأذكار الغريبة ذات الخواص ، لأن ذلك مما يجر إلى الهلاك والحرمان والوبال، والمدار في هذه الطريقة ليس إلا على العمل الخالص المقصود به وجه الله تعالى، وأما ما خالف ذلك فليس منها في شيء، بل هو من باب التخليط المفضي بصاحبه حتما للانقطاع، وحول هذا الموضوع أنظر جواهر المعاني للعارف بالله العلامة سيدي الحاج علي حرازم ج 2 ص 154، وانظر كذلك عند كلامه حول شروط الأوراد بنفس الكتاب ج 2 ص 123، وانظر كذلك في نفس الكتاب عندما سئل عن التصرف بالدائرة الشاذلية وأسمائها وخواصها ج 2 ص 178.

(44) تجاسره : تطاوله

(45) البوار : الهلاك

(46) المنوط : المتعلق

(47) العالم العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح الشرقاوي العمري نسبا، التجاني طريقة ومشربا، ولد بمكناسة الزيتون في فجر يوم عيد الأضحى سنة 1229هـ وبها وبفاس درس العلم على شيوخ أجلاء، كالفقيه المحدث الحافظ سيدي عبد القادر الكوهن، والعلامة سيدي محمد الهادي بادو، والفقيه الشريف سيدي الوليد العراقي الحسيني، وغيرهم، أما الطريقة الأحمدية التجانية فقد أخذها عن أكابر أعلامها كالفقيه سيدي محمد الهاشمي السرغيني، والبركة سيدي عبد الوهاب بن الأحمر الفاسي، كما أجازه بالمراسلة فيها العارف بالله الخليفة سيدي الحاج علي التماسيني، وله رحمه الله أسانيد أخرى غير هذه، وهو مؤلف كتاب : بغية المستفيد لشرح منية المريد، وكانت وفاته بمقر سكناه بمدينة الرباط ليلة الأحد 29 رجب عام 1309هـ وبه دفن رحمه الله، انظر لمزيد التعريف به كتابنا : خلاصة المسك العبق الفائح، بذكر بعض مناقب مولانا العربي بن السائح، وكذلك كتاب : الأزهار العطرة الروائح في التعريف بمولانا العربي بن السائح للعلامة الحجوجي، وفي فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي، بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 44 وفي كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 313، وفي رفع النقاب لنفس العلامة ج 2 ص 40-124، وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلوي الشنجيطي رقم الترجمة 27، وفي الاغتباط بتراجم أعلام الرباط لبوجندار ص 417 وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 265. وفي إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 5 ص 429. وفي أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين لعبد الله الجراري ج 2 ص 368.

الكرسي، وكان سيدنا رضي الله عنه يقف في تلاوتها إلى قوله تعالى : والله سميع عليم(48) حرصا على جمع حروف الإسم الأعظم فيها، وهي عنده الحروف الأهمية، فقد اشتملت عليها الآية المذكورة إلا ما كان من حرف الصاد الموفي للعدد، فهو خارج عنها في قوله تعالى : لا انفصام لها(49).

ولقد اشتغل الإخوان وغيرهم بالبحث عن الحروف الأهمية، واشتهر بين من يزعم الإطلاع على الإسم الأعظم أنه مركب فيها، والذي تلقيناه من خط الواسطة المعظم أن تلك الحروف التي هي الأهمية مجرد رمز عليه، وصيغه تناهز أربعين ألف صيغة، بل أكثر من ذلك، وكيفية النطق بها يوخذ من أفواه العارفين بها، أما ذكر هذا الإسم في كلمة واحدة أو في أربع كلمات فهو من شأن الجاهلين بذكره، ممن لا إذن لهم فيه من أربابه(50)، وكثيرا ما يصاب ذاكره على هذه الكيفية بالوهم، ويكاد أن يستولي عليه إن لم يعجل بترك ذكره(51)، مع أنه لا يذكر لغرض دنيوي ولا لغرض أخروي، والأولى بالمحتاط لنفسه أن لا يذكره مطلقا وإن كان عنده الإذن فيه، وإن كانت النفس لا تسمح في ثواب ذكره، وإني ولله الحمد وإن كان عندي الإذن فيه فقد اكتفيت عنه بتلاوة الفاتحة أربع مرات بنية تحصيل ثوابه، وبتلاوة صلاة الفاتح لما أغلق، كذلك طبق ما لنا من الإذن الصحيح المتصل بالشيخ رضي الله عنه، وبه أجزنا المجاز بهذه الإجازة، وله أن يجيز بإجازتنا من شاء وفق ما شاء والله الموفق.

تكميل

قد صح عن سيدنا رضي الله عنه رفع الإذن عمن كان أذنه من الأصحاب في تلاوة الفاتحة بنية الإسم الأعظم حين رآهم يقرؤونها بهذه النية حتى في الصلوات المفروضة، فخاف على العامة بطلان صلاتهم بعدم تمييزهم بين النيتين، ورأى البعض منهم يجنح في تلاوتها بتلك النية لاستعمالها في بعض الأغراض، ونحو ذلك مما صاروا بسببه يطلبون منه الإذن لهم في تلاوتها، فسد الباب برفع الإذن عن الجميع، كما رفع الإذن منه عمن أذنه في قراءة حزب البحر،

---

(48) سورة البقرة، الآية : 255.

(49) سورة البقرة، الآية : 255.

(50) توسع العلامة سكيرج في هذا الموضوع في بعض كتبه منها : نيل الأماني في الطب الروحاني، والجامع المروي عن الشيخ التجاني ص 24، وفي كتابه الجواهر المنتثرة في الجواب عن الأسئلة الإحدى عشرة، وهو من التآليف التي ضمن هذا المجموع انظر ج 2 ص 200-246 وفي كتابه الروض المنيف في الجواب عن أسئلة أمين محمود الشريف.

(51) من هذا القبيل ما ذكره العلامة سكيرج في كتابه قدم الرسوخ، في ترجمة المقدم الشريف سيدي الطيب السفياني، قال : ولنا مع المقدم المذكور جولان في الخوض في حضرات الأسماء، خصوصا فيما يرجع منها للاسم الأعظم الأسمى المنوه به للأواب، المروي عن الشيخ التجاني فيه أنه تلقاه عن الحضرة المحمدية مشافهة، وليس المراد بهذا الإسم ما يتصرف به في الأكوان، فهو اسم آخر من الأسماء العالية، وقد ابتلي صاحب الترجمة أياما بالوهم، فأشرت عليه بترك ذكر ذلك الإسم، فعافاه الله مما كان ألم به، لأنه كان يذكر الحرف بدون صيغة الإسم التي خفيت عن أمثاله من خواص المقدمين فضلا عن غيرهم.

ولم يأذن بعد ذلك فيه إلا لبعض الخاصة منهم ممن كانت فيهم الأهلية لحمل السر المنوط بالذكر(52)، ولقد ظفرنا ولله الحمد بذلك الإذن، فأجازنا شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه بتلاوة الفاتحة بتلك النية، أما قراءة حزب البحر فهو مندرج فيما وقعت الإجازة به لنا منه من غيره، وحذرنا من الإعتماد على بعض المقاصد التي يذكرها بعض جهال المقدمين ويتلقاها عنهم من شرب من مشربهم من غير أن يلقي بالا لفهم المراد، مما يسرع إليه الإنتقاد.

وهاأنا ذا أذكر لسيدنا المجاز بهذه الإجازة ما يتضمنه ذلك على وجه الإجمال، مع زيادة إيضاح للمقصود، فقد كثر في هذا العصر التظاهر بما يتعين على المتظاهر به ستره، وعظمت البلوى بتصدر هؤلاء الجهلة لتلقين ما زاد على الورد مما يعد فضولا منهم، ولولا ثقتي بتصديقك لي فيما أسطره لك في هذه الإجازة، وتحقيقي باعتقادك لصحة ما أقوله، لضربت عن ذلك صفحا، ولكن أقول اعتمادا على حسن ظنك أن الفضل المرتب على تلاوة الإسم الأعظم وتلاوة الفاتحة بنيته مع تلاوة الفاتح لما أغلق من باب الفضل الذي لا تحجير فيه على الحق في إتيانه لمن يشاء، والله ذو الفضل العظيم، ولا كلام لنا هنا في بيان قدر ذلك، لا في المرتبة الظاهرة ولا في المرتبة الباطنة، لأن بعض ذلك مذكور في كتب الطريقة، وإنما الذي يهمنا هو الخروج عن المقصد الأهم في ذكر النية التي يتلوها الذاكر قبل الشروع في الذكر مثل قول بعضهم : لبيك اللهم رب وسعديك، والخير كله في يديك، وهاأنا عبدك الضعيف العاجز الدليل الحقير قائم بين يديك، ومصل على حبيبك المصطفى الكريم بصلاة الفاتح التي هي من كلامك القديم، تعبدا وتعظيما لنبيك سيدنا ومولانا محمد الفاتح الخاتم صلى الله عليه وعلى آله وسلم، اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح إلخ ... فإن قوله بصلاة الفاتح لما أغلق التي هي من كلامك القديم فيه تشويش على العامة، وداهية تامة في حق من لم يعرف المقصود من اشتراط تحصيل فضل هذه الصلاة المنيفة الذي لا يكون إلا بالإذن الخاص، وباعتقاد أنها برزت من حضرة الغيب(53)، فتوهم مؤلف الجامع العلامة سيدي محمد بن المشري(54) من قول سيدنا رضي الله عنه أنها برزت من حضرة الغيب أنها من كلام الله وأن فضلها لا ينال إلا باعتقاد ذلك، مع أن المقصود خلاف ما فهمه وفهمه من تلقى ذلك عن غير أهله، ونحن ولله الحمد تلقيناه عن أهله، فتعين علينا التنبيه

---

(52) ذكر الفقيه سيدي محمد بن يحيى بلامينو الرباطي في كتابه ما نصه : قال سيدي محمد العربي بن السائح رضي الله عنه : لم يروِ الحزب الموسوم بحزب البحر عن الشيخ رضي الله عنه أحد من جميع أصحابه إلا الصاحب الخاص بسيدنا الشيخ رضي الله عنه سيدي الحاج عبد الوهاب بن الأحمر، ولم يأذن فيه أحد من أصحاب الشيخ رضي الله عنه إلا هو، ثم قال رضي الله عنه : وقد زاد فيه بعض زيادات، زادها بنية التبرك، منها لطف يا الله، ومنها نقـ ص لطفك التي الدنيا، رواية عنه من أصله وغير ذلك، فليتنبه لذلك المريد اهـ... انظر كذلك في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 232.

(53) انظر جناية المنتسب العاني بما نسبه بالكذب للشيخ التجاني للعلامة سكيرج ج 2 ص 47.

(54) العلامة الفقيه العارف بالله القدوة الشريف الجليل سيدي محمد بن محمد بن المشري الحسني السائحي السباعي مؤلف كتاب الجامع لما افترق من درر العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم، فهو رحمه الله من قرية تكرت بناحية قسنطينة، شرق بلاد الجزائر، التقى بالشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه بتلمسان عام 1288هـ ولقنه الطريقة الخلوتية، وبذلك كان أول من اجتمع به من خاصة أصحابه الكرام، وبعد ثمان سنوات من التاريخ المذكور كان رحمه الله من أوائل الآخذين عنه الطريقة الأحمدية التجانية، واتخذه الشيخ أبو العباس التجاني رضي الله عنه إماما للصلاة على مدى سنوات عديدة، وله رضي الله عنه تآليف أخرى كروض المحب الفاني، ونصرة الشرفاء وغير ذلك، انظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 149، وفي رفع النقاب لنفس المؤلف ج 3 ص 191 وفي فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه، رقم الترجمة 25. وفي بغية المستفيد لسيدي محمد العربي بن السائح ص 256 وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلوي الشنجيطي رقم الترجمة 11 وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية للعلامة الحجوجي ج 1. وقد خصصه العلامة سيدي محمود بن المطمطية بتأليف سماه : المطلع البدري في التعريف بابن المشري.

عليه، كما يتعين على من عرفه أن يصدع به، ولا يخشى جلالة من تلقى عنهم ذلك، فإنهم ونحن معهم غير معصومين من الخطأ، ونخشى بالسكوت عن ذلك من نسبة ضلالنا إلى الشيخ قدس سره، وحاشاه من ذلك، فإن المقصود من كونها برزت من حضرة الغيب أنها ليست من تأليف بشر، فلا يحصل فضلها إلا بالإعتقاد هذا.

والمقصود في تلاوتها أنها من كلام الله أنه ينبغي لتاليها لينال فضلها أن يستحضر عند تلاوته أنه عاجز عن أداء الصلاة المطلوبة منه في حق المصطفى (ﷺ)، فيسند الصلاة إلى الحق وأنه يصلى على نبيه (ﷺ) بتلك الصلاة التي صلى بها عليه في سابق الأزل، على حد ما قاله أبو العباس المرسي رضي الله عنه، لما سأله ابن النحاس(55) النحوي عن (أل) في الحمد لله، فأجابه بأنها للعهد، فقال له : وأي معهود هو، فقال له رضي الله عنه : إن الحق تعالى لما علم عجز خلقه عن أداء حق حمده حمد نفسه بنفسه في سابق أزله، فقال الحمد لله، فقال أشهد الله يا سيدي أنها لعهدية، فكذلك يقال في الصلاة على النبي (ﷺ) هنا، فإن الحق تعالى صلى على نبيه بنفسه في سابق أزله، فالمصلي بصلاة الفاتح يطلب منه أن يصلي على نبيه بتلك الصلاة، لأنها هي الفاتح التي لم تتقدم قبلها الصلاة عليه، وليس المقصود بها لفظ صلاة الفاتح لما أغلق، بل حتى أن المصلي إذا صلى بغير هذه الصلاة واستحضر هذا المعنى فإنه يحصل على فضل عظيم، بما يستفاد منه إظهار العجز الحقيقي في أداء حق هذا النبي الكريم عليه السلام، إلا أن صلاة الفاتح لما أغلق فيها خاصية مرتبطة بهذا المعنى، بحيث إذا استحضره المأذون له فيها واعتقد أنها برزت من حضرة الغيب فاز بالثواب المنوط بها إن شاء الله، وقد حاول الولي الصالح سيدي العربي بن السائح الإعتذار عن صاحب الجامع بما أشار له عند قول المنية :

وفضلها يحصل مع شرطين	من ذاك إذن الشيخ دون ميـــــن
ثم اعتقاد أنها قد بـــــرزت	من حضرة الغيب لمن له سرت(56)

ولكنه رحمه الله لم يصرح بما قلناه، وهو الذي أعتقده وألقى الله به، ولا أقول بأنها من الكلام القديم، وإن قاله كثير ممن يتظاهرون بالخصوصية في هذه الطريقة من أهل التقديم، ومن المعلوم أن التصريح بالنية في العبادات مكروه، فلا ينبغي التلفظ بها، وقد عثرت على كثير من صيغ النيات، ولم يثبت شيء منها عن الشيخ رضي الله عنه، وقد نقلت منها كثيرا في غير هذا المحل، وبالله التوفيق.

(55) محمد بن إبراهيم بن محمد، المشهور بابن النحاس، شيخ العربية بالديار المصرية في عصره، ولد بحلب بالشام عام 627هـ وتوفي بالقاهرة عام 696هـ له مجموعة من التآليف القيمة، انظر ترجمته في غاية النهاية لابن الجزري ج 2 ص 46 وفي بغية الوعاة للسيوطي ص 6 وفي الأعلام للزركلي ج 5 ص 297 وفي فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج 2 ص 172.
(56) انظر بغية المستفيد لشرح منية المريد لأبي المواهب السائحي رضي الله عنه ص 374.

الفائدة الثالثة

إن كثيرا من الأسرار التي صحت عن سيدنا رضي الله عنه لم تؤلف في تآليف الطريق، ولم تصل بصحيح الرواية عنه إلا للبعض من المقدمين، وبفضل الله قد حصل لنا شيء من ذلك لا نبخل بذكره هنا بزيادة في إفادة سيدنا المجاز بها، فمن ذلك القصيدة اللامية الدمياطية، فقد رواها سيدنا رضي الله عنه عن الشيخ فرج التونسي عن الشيخ محمد بن فارس الفلالي، عن الشيخ يوسف أحنصال، عن أبيه الشيخ سعيد أحنصال، عن ناظمها، ويكفينا كونها من أذكار الشيخ رضي الله عنه التي لنا الإذن فيها، ومن ذلك دور الأنوار(57)، وقد أجازني به شيخنا العبدلاوي قدس سره، ومكنني بالنسخة التي هي بخط الواسطة المعظم سيدي محمد بن العربي الدمراوي(58) رحمه الله، غير أن الأخ ولده الملامتي سيدي محمد استرجعها مني، فلم يمكنني إلا ردها له، وقد تعرضت لهذا الدور العظيم في تأليفنا المسمى بنيل الأماني(59)، وقد ذكرت في هذا التأليف جميع ما بلغني عن سيدنا رضي الله عنه من سائر الأذكار والدعوات وغير ذلك، وإلى الآن لم يتم تخريجه من مبيضته.

ولما نتحققه من تشوف نفس سيدنا المجاز بهذه الإجازة للإطلاع على شيء من ذلك ليعمل به في خاصة نفسه، أو يجيز به من تعلق بجانبه أو أراد إتحافه بذلك، ممن ينتمي إليه من الإخوان وغيرهم، فلا بأس أن نكتب بعض ما انشرح صدرنا لكتبه هنا، حرصا منا على إدخال السرور عليه واستجلابا لدعائه الصالح، فإن الدعاء في ظهر الغيب مستجاب، وليعلم سيدنا أمنه الله أن الأذكار اللازمة في الطريقة لا تلقن إلا لمن التزم بها مع مراعاة شروطها التي هي العهد على المواظبة عليها إلى الوفاة، والإنفراد بها بانسلاخ عن سائر طرق الشيوخ، فلا تلقن هذه الطريقة لمن عنده طريقة أخرى، مع ترك زيارة الأولياء أحياء وأمواتا، ونحو هذا مما هو مقرر في كتب فقه هذه الطريقة، وأما غير الأذكار اللازمة فإنه يسوغ تلقينها لمن يستحقها من أهل هذه الطريقة وغيرها، ولكن لا يعد من مريديها، لأنه لا يعد من مريديها إلا من التزم أورداها اللازمة بشروطها المقررة، وأما من تلقى الإذن في ذكر من أذكارها الغير اللازمة فيعد من المحبين الخاصة، أما المحبون بين العموم، فهم المسلمون للشيخ رضي الله عنه المعتقدون لمحبتهم فيه ولا إذن لهم في شيء مما كان يذكره، فهم منتفعون بمحبتهم فيه على قدرها، وقد قال سيدنا رضي الله عنه : ضمن لي رسول الله (ﷺ) آخذ الورد والمحب والمفتوح عليه في غير طريقتنا، وتقدمت الإشارة إلى هذا، وأحسن ما يلقن لغير المريد في هذه الطريقة هو صلاة الفاتح لما أغلق إلخ ... من مرة إلى ما لا نهاية له، وبالأخص تلقينها لمريدي هذه الطريقة، والإرشاد إليها أكثر من الإرشاد لغيرها من سائر الأذكار ذات الخواص، فهي تلقن للعوام وللخواص لما بلغنا عن سيدنا

---

(57) ذكر من الأذكار الخاصة الغير اللازمة في الطريقة الأحمدية التجانية، وله خواص عظام، ولا يطلع عليها إلا من سبق عند الله أنه من الأخيار، وللعلامة سكيرج تقريظ لطيف على دور الأنوار سماها : كنز الأسرار في الكلام على دور الأنوار، غير أنه لم يتمه لانتقاله عنه بتآليف أخرى، وقد تعرض العلامة سكيرج للكلام حول هذا الدور المبارك في بعض كتبه منها نيل الأماني ج 1 ص 18، ومنها جناية المنتسب العاني ج 2 ص 68.

(58) الواسطة المعظم البركة الولي الصالح أبو عبد الله سيدي محمد بن العربي التازي الدمراوي، من أكابر أقطاب الطريقة الأحمدية التجانية، توفي رحمه الله عام 1204هـ، انظر ترجمته في تحفة أهل المراتب العرفانية للعلامة الحجوجي ج 1، وفي كشف الحجاب للعلامة سيكرج ص 98، وفي رفع النقاب لنفس المؤلف ج 3 ص 160. وفي بغية المستفيد لسيدي محمد العربي بن السائح ص 255 وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلوي الشنجيطي رقم الترجمة 3.

(59) نيل الأماني في الطب الروحاني والجسماني المروي عن الشيخ التجاني، من تأليف العلامة سكيرج، في جزأين مخطوطين بخط يده الكريمة، عدد صفحات الجزء الأول 68 صفحة، أما الثاني فهو غير تام ولم يكتب منه سوى 14 صفحة.

رضي الله عنه من قوله : لقنوا الناس صلاة الفاتح لما أغلق ليموتوا على الإيمان(60)، وكان الولي الصالح سيدي العربي بن السائح يقول فيما بلغني عنه : كل من كان من أهل الطريقة ودل غيره من أهل هذه الطريقة على غير صلاة الفاتح لما أغلق فهو غار أو مغرور، وبقدر ما اطلع المريد على مالها من الفضل يحصل له بحول الله، وليس هذا بمحل بسطه، ويكفي الإشارة إلى ما في المشاهد، وهاهنا جواهر نفيسة.

الجوهرة الأولى

مما وقفت عليه بخط سيدنا رضي الله عنه ما نصه : قال كاتبه عبد الله أحمد بن محمد التجاني : رأيت في بعض الليالي في النوم، كأني أطالع كتابا من كتب الخواص، كأنه أعاره لي بعض الناس، فرأيت فيه أن من ذكر ياودود 20000 مرة كل يوم، شهرا أو أربعين يوما، هذا نص ما فيه، وخاصيته نسيت نصها، وعقلت معناها تحقيقا بلا شك، وهي معنى ما هو مكتوب في خاصيتها لتيسير كل عسير، ونيل كل مراد وبلوغ كل أمل، فلما استيقظت وجدت ذلك في حفظي كما كتبت، فتأملت ذلك فوجدته صحيحا، لأن عند أهل المعارف والأسرار أن من تلا أي اسم عدد رقمه ألوفا وفاه حقه، وعدد رقم ودود عشرون، فقد وقعت التلاوة فيه عشرين ألفا طبق ما هو معروف في علم الأسرار، وأما الأربعون يوما فهي غاية المدة التي يكون فيها كمال القلب وصفاؤه وتخلصه من أدران الطبيعة والتخليط إذا قامت على شروطها، فقد وقع الإخبار في هذه الرؤيا بجمع القوتين واقتران النسبتين.

أما النسبتان، فالأولى : الأربعون التي بها صفاء القلب وتخلصه من أدران الطبيعة والتخليط، والنسبة الثانية نسبة تلاوة الإسم عدد رقمه ألوفا، وهي نسبة معروفة لإدراك أسرار الأسماء، وأما القوتان، فالأولى : قوة القلب على قوة سر الإسم بنزول روحانيته بقوة سره وإجابة دعوته عند توفية النسبتين الأوليتين، فعندها يحصل بلوغ المراد، فعلمت حين تأملت ما فيها أنه من تعليم الله لي بالوحي المنامي، بإلقاء الله عز وجل للروح الروحاني ما شاء من أسراره، ثم إنه ألقى إلي الروح في قالب تخيل كتاب ليس لي، والإشارة أنه من عند الله لكون الكتاب ليس لي، وكونه ألقى إلي كتابه ولم يكن بإخبار قائل، لأن الله عز وجل يلقي وحيه للأرواح في عالم المنام في قوالب متخيلة، فيستعير لتلك الأسرار قوالب من عالم الخيال، يلقي في تلك القوالب روح وحيه لأرواح البشر، ولا يلقي روح وحيه للأرواح مجردا عن قوالب الخيال، جرت بذلك عادته سبحانه وتعالى، ومنها ما رآه النبي (ﷺ)، من شرابه اللبن حتى رأى الري يخرج من أظفاره، ثم ناول فضلته عمر بن الخطاب، فقيل ما أولته ؟

(60) انلار رفع النقاب للعلامة سكيرج ج 1 f 70.

الحديث(61)، فقد ألقي إليه (ﷺ) روح الوحي الذي هو الإخبار بالدين من الإيمان مفروغا في قالب اللبن، واللبن مستعار من عالم الخيال، وكذلك رؤياه (ﷺ) نفسه على القليب، ونزع منها ما شاء الله، ثم أخذها أبو بكر فنزع منها ذنوبا أو ذنوبين، ثم استحالت عزبا، فأخذها عمر فما زال حتى أروى الناس(62) فظهر مصداقها من تتابعهم في الخلافة وفيضان الأموال على الناس في خلافة عمر بالفتوحات العظام فهو روح وحي الأخبار بفيض الأموال، وتتابعهم في الخلافة ألقي إليه (ﷺ) في قوالب القليب وذات أبي بكر وذات عمر وقالب العزب، ومن أجل هذا احتاجت الرؤيا للتعبير، وهو سر تعبير الرؤيا، وهو كثير في الكتاب والسنة، ولا تفي بتسطيره الأوراق، وفي الصحيح من الحديث : رؤيا المؤمن جزء من ست وأربعين جزءا من النبوة(63)، وقوله (ﷺ) لم يبق من النبوة إلا المبشرات(64)، وهي الرؤيا الحسنة للمؤمنين، وكتب راءي الرؤية المذكورة أولا : مع هذا كله، فما طالعت هذه الخاصية قط في كتاب ولا سمعت أحدا ذكرها. فلله الحمد على تعليمه إهـ... قلت وهذا الإسم من الأسماء المأذون لنا فيها بخاصية العطف السري، ولقد كنت أذنت محبنا الشريف مولاي عمر(65) صنو الحضرة الشريفة في ذكر هذا الإسم الشريف حين ألح علي في الإذن له في تلاوة اسم بنية جلب قلب أخيه المولى عبد العزيز إليه، وعطفه عليه ومحبته له، بعدما كان رأى منه إعراضا عنه بعد قبول أيام ولايته.

وقد أخبرني أنه بينما هو يذكره إذ انفتحت الباب التي من جهة دار المخزن المتصلة بداره، وسمع وجبة عبيد الدار وخدمها صحبة المولى عبد العزيز داخلين عليه، فقام من محل ذكره لملاقاته وهو في دهش كبير مما داخله من رؤية سر هذا الذكر، وقد نال منه إكراما كبيرا وصادف به كرامة عظيمة، ولولا ما فاجأه من المرض الذي نزل به لنال منه مناه فوق ما كان يتمناه،

---

(61) انظر صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب اللبن رقم الحديث 7006، وفي فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج 12 ص 486.

(62) انظر صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب نزع الماء من البئر حتى يروي الناس، رقم الحديث 7019 وفي فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج 12 ص 509.

(63) انظر صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة، رقم الحديث 6987 وفي فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج 12 ص 461.

(64) انظر صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب المبشرات، رقم الحديث 6990، وفي فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج 12 ص 664.

(65) الفقيه الشريف الذاكر الأمير سيدي عمر بن مولاي الحسن الأول العلوي، من أهل الفضل والخير، كانت تربطه بالعلامة سكيرج محبة ومودة متواصلة، وقد وقفت بالخزانة السكيرجية على مجموعة من رسائله إليه، مما يعبر على نباهة الشريف المذكور وسعة اطلاعه، مع بحثه الأكيد المتواصل عن ما يزيح عنه الحظوظ النفسانية، ويقربه ويدنيه من الحضرة العلية الربانية. توفي رحمه الله بمدينة فاس عام 1324هـ إثر عملية جراحية باشرها طبيب بريطاني، ودفن بمقبرة أسلافه بمولاي عبد الله، انظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 5 ص 497.

ومن لطائف ما وقع لهذا الشريف مع العارف بالله، مولانا الطاهر بن مولاي محمد بن أبي النصر العلوي(66)، أحد خاصة أصحاب سيدنا رضي الله عنه، أنه أتى مرة إليه طبق ما أخبرني به، وكان على جنابة، فكاشفه الشريف المذكور وقال له : قم بنا للحمام، فخرج معه ليلا، وطفق يتكلم معه في رؤية النبي (ﷺ) يقظة حتى قال له : أتحب يا مولاي عمر أن تراه يقظة ؟ فقال له : وكيف لا أحب ذلك، فقال له وهو مار معه في الطريق : غمض عينيك في هذه الساعة وافتحها فإنك تراه، قال : فأخذتني قشعريرة، وخفت على نفسي، واستحضرت الحالة التي أنا عليها من تلك الجنابة، فلم أقدر أن أغمض عيني، وقلت له : أرجو من فضلك أن لا أراه في هذه الساعة، وقد تحققت بأني إن غمضت عيني فإني أراه بلا شك، لما شاهدته من حال هذا الشريف رضي الله عنه، قلت : ولي مع هذا الشريف العلوي المذكور يقظة ومناما أمور عجيبة، منها أنه قال لي في رؤيا يا فلان : إذا وقعت في أمر وأردت إغاثتي لك فناديني باسمي فإني أغيثك، وقد جربت ذلك فانفرج عني ولله الحمد، وقال لي مرة : أنا الذي ربيتك في بطن أمك والله شهيد، وقال : إذا أنا مت فألف في تأليفا، وذلك بعد أن طالع كتابي كشف الحجاب، وقال لي : إني وجدت فيه الغث والسمين، ولكنه لا بأس به فهو مقبول، ولم يتيسر لي الوقت لاستعمال التأليف فيه، وقد رثيته بقصيدة مطلعها :

ماذا أهاج من الأحزان بلبالـــــــي	فبان مني ما أضمرت بـالــبــــــال
قد كنت أعهد مني الصبر في جلل	واليوم أنكرت ما عهدت من حالي(67)

ومما أفادنيه وأجازني فيه، ما رواه والده أبو الفتح العارف بالله سيدي ومولاي محمد بن أبي النصر عن سيدنا رضي الله عنه في الوقاية من الوباء والطاعون إذا حل بمحل، وذلك أن يكتب في صدر البيت قول الله تعالى : (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلى قوله حين(68)، غير مطموسة الحروف، فإنه لا يدخل على أهل البيت طاعون ولا وباء بإذن الله تعالى(69)، وقد بلغني عن العارف ابن أبي النصر المذكور، أنه قال لجماعة من الأكابر أيام الوباء الذي كان بفاس في وقته : من أراد الحفظ من هذا الوباء فليشتر نفسه مني، فكان من قدر الله أن كل من اعتقد فيه ودفع له ما طلبه منه حفظه الله من ذلك، فأذن له في كتب الآية المذكورة بصدر البيت، ومن تمام ذلك تحصين من أرادوا تحصينه بكتب أسمائهم وسط النون من حين(70)، واستفدت من غيره كتب الهيللة صدر البيت وكتب من أراد تحصينه منه في وسط الميم الوسطى من محمد رسول الله (ﷺ)، ومن الأدعية التي أذن لنا فيها أخونا الملامتي سيدي محمد العبدلاوي قراءة هذا الذكر أو كتبه وتعليقه على من أريد تحصينه منه وهو : اللهم سكن صدمة قهرمان الجبروت بألطافك الخفية الواردة من باب الملكوت، حتى نتشبث بأذيال لطفك، ونعتصم بك من إنزال

---

(66) العارف بالله ذو الأحوال الخطيرة، الشريف الفاضل، المقدم البركة مولاي الطاهر بن مولانا محمد بن أبي النصر العلوي السجلماسي، توفي رحمه الله يوم السبت 12 ربيع الثاني عام 1333 هـ. وقد استدعى كثيرا من أحبابه للحضور لديه بنفسه في اليوم الذي توفي فيه، انظر ترجمته في قدم الرسوخ فيما لمؤلفه من الشيوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 42، وانظر طرفا منها بعد ترجمة والده بكشف الحجاب لنفس المؤلف ص 170 وانظر كذلك في رفع النقاب لنفس المؤلف ج 3 ص 215.

(67) انظرها بتمامها في رفع النقاب للعلامة سكيرج ج 3 ص 217 وانظرها في قدم الرسوخ لنفس المؤلف عند نص ترجمته، رقم 42.

(68) سورة يونس، الآية 98.

(69) ذكر العلامة سكيرج مجموعة من الفوائد الطبية والروحانية المورودة عن العارف بالله سيدي محمد بن أبي النصر العلوي السجلماسي، وذلك في الجزء الثاني من كتابه نيل الأماني، كما ذكر عشرين فائدة منها في كتابه رفع النقاب ج 3 ص 218-222.

(70) انظر نيل الأماني للعلامة سكيرج ج 1 ص 68.

قدرتك يا ذا القدرة الكاملة والرحمة الشاملة يا ذا الجلال والإكرام(71) إهـ... وذكر لي أنه منقول عن الشيخ رضي الله عنه، وهو منقول أيضا عن الإمام القلشاني(72) رحمه الله، وعثرت عليه أيضا بكناش العلامة أكنسوس الذي كان عند الولي الصالح سيدي العربي بن السائح، فيه زيادة قليلة(73)، ومن التحصينات المهمة الواردة عن سيدنا رضي الله عنه التي تذكر زمن الوباء هذا الدعاء وهو : اللهم أعصمني من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وموت الفجأة، ومن زوال البركة، ومن الغم والبرص والجذام، والحب والبرسام والشرشام، والشقيقة ومن جميع الأمراض والأسقام، بفضل وجودك يا ذا الجلال والإكرام، اللهم بسر سيدي الحسن وأخيه، وجده وأمه وأبيه، أسألك أن تكفيني هذا اليوم وهذا الليل وما ينزل فيه، يا كافي يا كافي يا كافي، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم إهـ.

الجوهرة الثانية

قد كنت متشوفا للحصول على الصلاة الجامعة التي كان الواسطة المعظم سيدي محمد بن العربي الدمراوي يجتمع بعد قراءتها بسيد الوجود (ﷺ)، واستعملت ما أمكنني من معرفتها حتى رأيت في رؤيا بالزاوية الشريفة بالحاضرة الفاسية نفسي أتفاوض مع المرحوم الشريف البركة سيدي محمد بن أحمد العراقي حتى قال لي : أتحب أن تطلع على الصلاة الجامعة، فقلت وكيف لا، فقال هي : اللهم صل وسلم على سيدنا محمد الجامع لجميع الأسماء والمسميات، فاستيقظت من شدة الفرح الذي داخلني في هذه الرؤيا، ولما قصصتها على شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه، أخبرني بأن من أذن في ذكر من الأذكار في رؤيا فذلك من الإذن الصحيح، غير أن الصلاة الجامعة هي قول الواسطة المعظم رحمه الله : اللهم اجمع جميع أذكار الذاكرين، وجميع صلوات المصلين، واجعل جميع الأذكار ذكري، وجميع الصلوات صلاتي على سيدنا محمد شفيع المذنبين، وعلى آله بحر الكاملين عدد ما في علمك يا رب(74) إهـ...

---

(71) انظر رفع النقاب للعلامة سكيرج ج 1 ص 112.

(72) أبو عبد الله محمد بن عمر القلشاني التونسي من خيرة علماء تونس في وقته، تولى القضاء بها عام 853هـ، وظل في منصبه المذكور مدة 17 سنة، وكانت وفاته رحمه الله في جمادى الثانية عام 890هـ، انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 259 رقم الترجمة 951.

(73) معظم ما احتوى عليه هذا الكناش جمعه العلامة سيدي الحاج أحمد سكيرج رحمه الله ورضي عنه في كتابه : الجواهر الغالية المهداة لذوي الهمم العالية، مخطوط بخط يده الكريمة، صفحاته 158 صفحة.

(74) توسع العلامة سكيرج في موضوع الصلاة الجامعة في الكثير من كتبه منها : الجواهر المنتثرة في الجواب عن الأسئلة الإحدى عشرة، ومنها : الروض المنير في الجواب عن أسئلة أمين محمود الشريف.

فهذه الصلاة من واظب عليها سبعين مرة فإنه يرى النبي (ﷺ) مناما، وتتمكن الرابطة السرية منه، بحبل الحب الذاتي المحمدي، فيصل النور الساري بسر ذاكرها حتى يراه يقظة، قلت : من منن الله على عبده أن تفضل المولى علينا برؤية الذات الشريفة المحمدية مناما، ولله الحمد مرارا بذكرنا لهذه الصلاة وغيرها، أما رؤية سيد الوجود يقظة فلا تتشوف نفسي لها، ولا يمكنني طلبها، ولا ينبغي لمن فيه أدنى التفات للأغراض النفسانية أن يتشوف للإجتماع بسيد الوجود (ﷺ) يقظة، وعلى فرض الإعراض عن الأغراض فإن المقام محرز، ولا يقدر طالبها على القيام بحق الأدب اللائق بهذا الجانب الكريم عليه السلام، ولقد بلغني عن أمير المؤمنين مولانا سليمان(75) رضوان الله عليه أنه كان متشوفا للإجتماع بالنبي (ﷺ) يقظة، وكان اهتمامه بذلك كثيرا ليسأله عن صحة نسبة المتصل به بعدما بشره سيدنا رضي الله عنه بأنه ولده، طبق ما سمعه منه في مشاهده الشريفة، فتعلق بالشيخ رضي الله عنه بأن يجمعه به، ومقصده بذلك والله أعلم الإطلاع على ما أخبره به الشيخ قدس سره، ليتحقق بصدق ما يخبر به من اجتماعه به المرة بعد المرة، فأشار عليه الشيخ رضي الله عنه بتهيئ محل يليق بالإجتماع، ولقنه الذكر المناسب لذلك، فشرع في ذلك، غير أن الأنوار دهمته ولم يقدر على تحمل ما بدا له في المحل المعد للإجتماع به(76)، وتحقق بمقام الشيخ رضي الله عنه وما أكرمه به من السر العظيم، الذي لم تقوى ذاته على حمله.

ولقد عثرت على صلاة عظيمة منقولة من خط سيدنا رضي الله عنه، كل من ذكرها بشرطها حصل له الفوز بالإجتماع به يقظة، مع الحصول على ما تشوفت له نفسه من المطالب، لا بأس بنقل ذلك هنا ونصه : اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما، تذكر هذه الصلاة خمس مراتب، لكل مرتبة خمسة وعشرون ألفا، وتنوي في كل مرتبة أنك تذكر هذه الخمس والعشرين ألفا بنية كذا وكذا، أول الشروع في كل خمس وعشرين ألفا، وحين الفراغ من كل خمس وعشرين ألفا تنوي أنك ذكرتها لكذا وكذا، فالمرتبة الأولى تهدي ثوابها لأرواح جميع المؤمنين والمؤمنات والأنبياء وأزواجه (ﷺ) وذريته وأهل بيته، و المرتبة الثانية تهدي ثوابها لروحه (ﷺ) وتقول خلفها: يا رسول الله إني أقدم لك ما تعلم من جلال الله وعظمته، وأسألك بالله أن تجيزني وتمدني في جميع ما أتلوه من الأوراد والأذكار والصلوات عليك، وإني أقدم إليك وجه الله وجلاله وعظمته أن لا تردني خائبا، واعتقد قطعا في قلبك أنه أجازك وأمدك من غير شك، ثم المرتبة الثالثة بنية أن يمتلئ قلبك بمحبته (ﷺ)، ثم المرتبة الرابعة بنية رؤيته (ﷺ) بعين اليقظة، فإذا رأيته رأيته، فإن لم تره فاعلم أنه رأى ونظر في ذاتك، ثم المرتبة الخامسة بنية الحاجة التي تريدها، لكن إذا لم تره في المرتبة الرابعة، فاجعل حاجتك أن يمتلئ قلبك بمحبته (ﷺ).

---

(75) السلطان العادل أبو الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل العلوي، من سلاطين الدولة العلوية الشريفة، بويع له بفاس عام 1206هـ وتوفي بمراكش يوم الخميس 13 ربيع الأول عام 1238هـ وله رحمه الله مؤلفات منها : عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد. انظر ترجمته في الإستقصا للناصري ج 4 ص 129-172 وفي شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص 380 رقم الترجمة 1523، وفي كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 495 وفي فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 9 وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 980 رقم الترجمة 557 وفي الدرر الفاخرة لابن زيدان ص 67 وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 133.

(76) انظر كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 295.

وداوم على ذلك كلما فرغت من خمسة وعشرين ألفا أخرى بنية المحبة حتى تتمكن المحبة من قلبك، فإذا تمكنت فاجعل خمسة وعشرين ألفا بنية رؤيته في اليقظة، فإنك تراه يقظة، وتحفظ في كل مرتبة من الزيادة والنقص، فإنهما يفسدان العمل، ولا يشترط أن تؤدي الخمسة والعشرين ألفا على شوط واحد أو في مجلس واحد، بل على قدر الطاقة، أعلاها تؤدي كل يوم مرتبة، وأقلها كل يوم أو كل ليلة ألف، والوسط بين ذلك، وإذا أكملت المراتب فلا تخلي يوما من الأيام بلا ذكر من هذه الصلاة، بل اجعل منها وردا كل يوم أقله ألف، فإذا أردت حاجة فاذكرها للحاجة وحدها خمسة وعشرين ألفا بدون المراتب الأولى والسلام، فإذا رأيته فاجعل حاجتك أن تقول نويت هذه الخمسة والعشرين ألفا بنية أني كلما ذكرت هذه الصلاة ثلاثمائة مرة إلا رأيته (ﷺ) يقظة إلى الأبد(77) إهـ...

فاعرف هذا السر العظيم في هذه الصلاة الشريفة، ولا يخطر على من لا يقدر قدر الأذكار حقها أن هذه الصلاة لا تكون لها هذه الخاصية، وكم من صيغ من الصلاة على النبي (ﷺ) لها مزايا نذكر بعضها هنا للتنعم بذكرها، زيادة على ما هو معروف من خصائص جوهرة الكمال، والجميع من أذكار سيدنا رضي الله عنه ومن أذكار الخاصة من أحبابه، فمن ذلك.

الصلاة المفرجة

اللهم صل على سيدنا محمد صلاة تحل بها عقدتي، وتفرج بها كربتي، وتنقد بها وحلتي، وتقضي بها حاجتي، من خصائصها أن من قرأها 1000 مرة آخر الليل على طهارة كاملة فإن الله يفرج همه وغمه، ويمنحه بقصده في أقرب وقت، وهي مما كان يأذن فيه الشيخ رضي الله عنه لبعض الخاصة من أصحابه.

الصلاة الميسرة(78)

اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله صلاة تفتح لنا بها أبواب الرضا والتيسير، وتغلق بها عنا أبواب الشر والتعسير، وتكون لنا بها وليا ونصيرا، أنت ولينا ومولانا فنعم المولى ونعم النصير، من واظب عليها مائة مرة صباحا مساء دفع الله عنه الفقر وجلب له الغنى.

---

(77) أنظر ثمرة الفنون في فوائد تقر بها العيون للعلامة سكيرج ص 111.

(78) كان الشيخ أبو العباس التجاني رضي الله عنه غالبا ما يذكرها بعد فراغه من ذكر حزب البحر وحجزا.

الصلاة المحسنة

اللهم صل صلاة محسنة وسلم سلاما محسنا على سيد المحسنين، وإمام المحجلين، سيدنا محمد رسول الله (ﷺ)، وهي لتعجيل الإجابة وتحقيقها في كل اسم وكل ورد سبعين مرة قبله وسبعين بعده.

الصلاة الغيثية

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أهل بيت سيدنا محمد، تذكر بين صلاة الصبح والفجر 300 مرة، فإن ضاق الوقت فمائة واحدة، وبعد تلاوتها يقول الذاكر : اللهم بحق ما تلوته بين صلاة الفجر والصبح، أسألك أن تنزل علينا غيثا نافعا من موضع كذا إلى كذا، وتيسر لي في كذا وكذا، أو تفتح لي في السر الفلاني، أو تقضي لي كذا وكذا، ولعل هذه الصلاة الشريفة هي التي كان يذكرها الواسطة المعظم سيدي محمد بن العربي الدمراوي رحمه الله في استسقائه للمحل الذي يحب سقيه، فقد كان يتوجه إلى الله بالدعاء لسقي محله، فيأتي الغيث إليه، ولا ينزل بالمحل المجاور له، وهي تنفع المضطر للسقي خصوصا إذا كان في الفيافي والقفار ولم يجد ماء هناك.

الصلاة الغيبية (79)

أخبرني شيخنا العارف العبدلاوي رضي الله عنه بأن الصلاة الغيبية التي هي من إنشاء الشيخ رضي الله عنه تعدل صلاة الفاتح لما أغلق بأربع وعشرين ألف مرة، إلا أن صلاة الفاتح لما أغلق لها الهيمنة الكبرى في الثواب المنوط بالتضعيف عند تلاوتها بالإذن المتصل بالشيخ رضي الله عنه، فلا يعدلها في مضاعفة الثواب شيء من الأذكار، ولنقف عند هذا الحد، ولنكتف بالإشارة إلى ما ذكرناه في كتابنا نيل الأماني، وإن كان المقصود عندنا من تأليفه إعلام أعلام الطريقة بما كان يخوض فيه الشيخ رضي الله عنه قبل الفتح عليه، وإلا فالأولى التمسك بحبل الطريقة، والإعراض عن الأغراض الموجبة لانقطاع من لم يحصل له المطلوب من تلك الأذكار التي تتشوف النفس إلى تحصيلها، وتعدها من ذخائر الأسرار، وفي الأذكار اللازمة في الطريقة لمريدي الفتح والوصول كمال المنى وبلوغ السول، فلذلك تتعين المحافظة عليها في حق المريد، وليس بعد تحصيل فضلها مع السلامة في الدين والدنيا والآخرة من مزيد، على أنني أجزت في جميع ما ذكرناه وما لم نذكره، لسيدنا المجاز بهذه الإجازة الشاملة لذلك وغيره من سائر ما صحت لي أو عني روايته، أو تنسب إلي درايته في طريقتنا الأحمدية التجانية وغيرها، من منقول ومعقول، وفروع وأصول، إجازة تامة، مطلقة عامة، بشرطها المألوف، وعلى سننها المعروف، وهنا أنشد ما قيل :

---

(79) الصلاة الغيبية في الحقيقة المحمدية، انظرها مع شرحها في جواهر المعاني للعارف بالله العلامة الحاج علي حرازم ج 2 ص 271.

بتقوى الإله نجا من نجا وفاز وصار إلى ما رجا
ومن يتق الله يجعل لـه كما قال من أمره مخرجا

راجيا من سيدنا أن لا ينسانا من دعواته الصالحة، فإن الدعاء في ظهر الغيب مستجاب، والله المسؤول أن يوفقنا جميعا لما فيه رضاه، ويحفظنا من كيد الشيطان وحزبه، ويحوطنا بسور العناية من طوارئ الحدثان، ويتوفانا على أكمل الإيمان، ويحشرنا في زمرة سيد ولد عدنان، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، ويغفر لنا ولوالدينا وأولادنا ولمن له حق علينا آمين، والحمد لله رب العالمين، وكتبه في فاتح رجب الفرد الحرام عام ستة وأربعين وثلاثمائة وألف خديم الحضرة المحمدية عبد ربه أحمد سكيرج أمنه الله.

ولسيدنا الإذن الخاص في ذكر الإسم الأعظم الشريف الخاص بمقام رسول الله (ﷺ) أحد عشر مرة وهو ....

[illegible] قدم [illegible] (80)

بسم الله الرحمان الرحيم، اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم. الحمد لله المتفضل على عباده بما لا يحصى نعما، المسدي إليهم من مكارمه ظاهرا وباطنا ما عجزوا عن أداء شكره فضلا منه سبحانه وكرما، حمدا كثيرا مباركا فيه، وشكرا كبيرا نستجلب به ما يغني الفقير عن غير مولاه ويكفيه، ونصلي ونسلم على خير من أجاز الموفقين على مجاز الهداية، ووقانا بإرشاده من كل ما يردينا بخير وقاية، عين الرحمة المهداة، المجبول على مكارم الأخلاق وكمال الوصف والذات.

محمد خير الورى شمس الوجود المشرقه
واسطة الخير لنـا سبحان من قد خـلـقــه

وعلى آله السادة، وأصحابه القادة، ورضي الله عنه شيخنا قطب الأقطاب الكاملين، وخاتم الأولياء الواصلين.

سيدنا أحمد التجــانـــــي شمس الهدى ملجأ الأنام
من حاز في ذروة المعالي برفع شان سـمـا مقــــام
مقامه في العلا تسـامـــى ولم يزل في العلاء سـام

(80) المقدم العلامة الحاج مالك بن عثمان بن معاذ بن محمد بن علي بن يوسف، من أعيان الطريقة الأحمدية التجانية بسنغال، ولد رضي الله عنه في حدود عام 1274هـ. وتعاطى لطلاب العلم ببلاد بسنغال، فبلغ فيه الغاية، وله رحمه الله تآليف جليلة منها : خلاصة الذهب على سيرة خير العرب، وقنطرة المريد، والكوكب المنير، وري الضمآن بمولد سيد بني عدنان، وفاكهة الطلاب، ووسيلة المقربين، وتبصير الإخوان، وزجر القلوب، ورسالة في ثبوت الصوم بالتلغراف، ورسالة في الرد على منكر الأسقم، وغيرهم وتوفي رحمه الله في يوم السبت 5 ذي القعدة الحرام عام 1340هـ. انظر ترجمته في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 113. وفي نخبة الإتحاف لنفس المؤلف رقم الترجمة 367.

ورضي الله عن كل من انتمى له بورد أو محبه، فنال من الله بسببه أعظم قربه، وأسلم سلاما عبق الكون طيبا وعرفا.

سلام لو يقاس بالتحـــايـــــا	يرى أعلا وأغلا في البرايا
وأحسن من لقاء من محب	لمن يهوى ومن كل الهدايـا

نخص به حضرة من ملك في المجد أعلى مرتبة، وورث في الولاية أغلى منقبة، أبا الفضل في كل المسالك، سيدي الحاج مالك، أعلى الله قدره على الملوك والممالك، وحفظه دنيا وآخرى، وأعظم لنا وله مثوبة وأجرا، أما بعد أيها الأخ في الله فقد وافاني كتابك العزيز، الذي هو عندي أولى من آلاف اللويز،

كلام كله سحر حـــــــلال	وقول لا يعادله مقـــــــــال
فما الدر المنظم في عقـود	مرصعة له يوما مثـــــــــال
ولكن قد يحاكيه بفعـــــــل	لمن يبغي المحاكاة العقـــال
فيالله درك من جليــــــل	عليه رمى ملابسه الجمـــال
فأصبح في شمائله إمامـــا	عليه من الجمال يرى جـلال
واصبح مالكا اسما ووصفا	وأخلاق له فيها كــمـــــــال

سيدي : قد اطلعت فيه على ما أمرتني سيادتك، وما أرادته مجادتك، من طلب الإجازة، وجعلتني أهلا لهذه المفازة، مع أنني لا أستحق ذلك عقلا ونقلا، ومن كان مثلي كيف يكون لمخاطبتك أهلا، فضلا عن أن أكون مجيزا في تلك المسالك، لمن كان مثلك في العلوم مالك،

ما كنت أهلا لذاك لكـن	لما رأوني غدوت أهلا
هم سادتي جاههم عظيم	وعبدهم لا يزال مولى

ولما أمرتني بذلك، تحتم علي المسارعة للجواب عما هنالك، اغتناما لدعائك الصالح، وأداء لحق اقتراحك في هذا السعي الرابح، فقلت، وعلى الله استندت، ومن بحر سيدنا رضي الله عنه استمدت، قد أجزتك سيدي، في كل ما كتبت يدي، وبكل ما لدي من سند، عن كل شيخ لي معتمد، وبكل سر تلقيته، مما كتمته أو أمليته، إجازة تامة، مطلقة عامة، وأذنت لك في التقديم المطلق في هذه الطريقة بين ذوي الحقيقة، وجعلت لك سيدي في هذه الإجازة بالإذن الخاص والعام، أن تأذن من شئت بما شئت كما شئت من ذلك بالإذن التام.

فمن كتبنا في هذه الطريقة التجانية ذات الأسرار العرفانية، كشف الحجاب عمن تلاقى مع القطب التجاني من الأصحاب، وكتابنا النفحات الربانية في الأمداح التجانية، وكلها تامة بحمد الله، وعما قريب إن شاء الله تعالى يتم كتابنا المسمى بالسر الباهر فيما انفرد به الجامع عن الجواهر، ونظمنا المسمى بيواقيت المعاني في مذهب الشيخ التجاني، وكتابنا نيل الأماني في الطب الروحاني والجثماني المروي عن شيخنا القطب التجاني وأصحابه ذوي القرب والتداني

رضي الله عنهم، وكتابنا كفاية العاني في الطب التجاني المختصر من نيل الأماني، فادع الله لنا سيدي في الإتمام بالعون والتوفيق، والسلوك دائما على أقوم طريق، ومن جملة كتبنا في غير الطريقة : الوردة في تخميس البردة، مطلعه :

ما بال عينك طول الدهر لم تنم   كأنها اكتحلت بمورد الألم
قل لي بماذا تحس غير محتشم   أمن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

وضوء الظلام في مدح خير الأنام عليه السلام(81)، وهي قصائد معشرات على حروف المعجم، والسحر الحلال في مدح سيد الرجال(82) (ﷺ)، مرتب على البحور الشعرية، ومنها منهل الورود الصافي والهدى من فتح الكافي في علمي العروض والقوافي(83)، وإيقاظ المتعلم والناسي في صفة أشكال القلم الفاسي(84)، والفذلكة الجامعة في صرف الجامعة(85)، في علم الفرائض وقسم التركات، وكلها كمل تأليفها بحول الله، وغالبها إلى الآن لم يطبع لقلة ذات اليد، وعدم المساعد مع برودة الهمم في هذا الزمان.

وقد أجزناك بالجميع كما تريد وفوق ما تريد، إلا أنني أقول لك يا سيدي : والله لولا أني ما خفت من تغيير خاطرك ما سارعت إلى جواب هذا الإقتراح لما أعلمه من نفسي، وأني لا أصلح لصالحة فضلا على أن أكون ممن لديه تجارة رابحة، ولو رآني من يسمع فيمن يراه لتمثل بقول القائل : لتسمع بالمعيري خير من أن تراه، لقصور باعي، وعدم اطلاعي، مع ما انضم إلى ذلك من صغر سني من الأقران، وتلطخ نفسي بالأوساخ والأدران، ولكن ما حملني على هذه المسارعة للجواب، ومخاطبتك بهذا الكتاب، إلا نظرتك النافذ سرها في المنظور، وعطفتك التي رفعت قدري بمخاطبتي بذلك المسطور، على أنه كان من حق المستجيز أن يجيز بما لديه هذا المجيز. فأنشدك الله أيها الأخ الأعز إلا ما أجزتني بإجازة تكون لي مفازه، أقطع بها في طريق الهداية كل مفازه، فإني والله لممن يحبكم في ظهر الغيب، لما أسمعه عنكم من الأخلاق المحمدية المحفوظة من الريب والعيب، وحبي فيكم يزداد طول الأوقات، وأتمنى رؤيتكم ورؤية أمثالكم قبل موافاة الوفاة، وطالما تمنيت من يكون بيني وبينك واسطة، فيتصل حبلي بحبلك في توثيق الرابطة.

وكثيرا ما أحمل الواردين من طرفكم أن يبلغوا السلام إليكم، ولما حل بيدي كتابك، وفهمت ما تضمنه خطابك، علمت علم اليقين أن سيدنا رضي الله عنه هو الذي أراد أن يكون بيني وبينك واسطة، باتصال الرابطة، ففتح لنا باب الوارد المستطاب بكشف الحجاب، فتوقفت في قلبنا

---

(81) سبق التعريف به في ج 1 ص 85 من هذا التأليف.
(82) سبق التعريف به في ج 1 ص 85 من هذا التأليف.
(83) سبق التعريف به في ج 1 ص 92 من هذا التأليف.
(84) سبق التعريف به في ج 1 ص 84 من هذا التأليف.
(85) سبق التعريف به في ج 1 ص 84 من هذا التأليف.

والحمد لله عقدة المحبة، وظهرت للعيان نتائج الصحبة، وها نحن سيدي على عهد الله إلى أن نلقى الله، فنأمل منكم أن لا تنسونا من صالح أدعيتكم، وقد قمنا نيابة عنكم في مواجهة سيدنا رضي الله عنه في زاويته المباركة، ودعونا لكم بما نرجو من الله قبوله، والله أسأل أن يوفقنا وإياكم لما فيه رضاه آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وكتبه في 28 ذي القعدة الحرام عام 1326هـ.

خديم الأعتاب التجانية أحمد بن الحاج العياشي سكيرج الخزرجي الأنصاري لطف الله به.

رسالة البلاغ الموجه للمقدم السيد عبد العزيز الدباغ (1)

تأليف العلامة الحاج أحمد سكيرج

تحقيق : د. محمد الراضي كنون

(1) العلامة الأديب، المقدم سيدي عبد العزيز الدباغ. بن الطيب سيدي محمد بن عبد الله الماجد، من أهالي أم درمان بالسودان، وهو من خاصة المقدمين المؤهلين لتلقين أوراد الطريقة الأحمدية التجانية بالقطر المذكور، وقد جمعت بينه وبين العلامة سيدي الحاج أحمد سكيرج روابط متينة لاتحاد السند بينهما والمشرب، فهو تلميذه وصفيه وصديقه، كما دارت بينهما من الرسائل والأجوبة ما لو جمعت لم يسعها مجلد واحد من الحجم الكبير، وتمتاز أجوبته رحمه الله بالطابع الأدبي والبلاغي البديع من سجع وتورية واقتباس.

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على الفاتح الخاتم وآله وصحبه وسلم، نحمدك يا من أظهر الجميل وستر القبيح، ولك الشكر على ما أسكرتنا به من خمرة التجاني في حضرة التحلي بصفات العبودية، من غير تخل عن مقتضياتها، ولم تواخذ بالجريرة(2) المنوطة بعدم القيام بحق شكرك، بل زدتنا من الإمدادات ما نسينا به العهد المأخوذ علينا في الأزل، فلم نقم في عالم الظهور مما نحن مطوقون به في الباطن، فلا حول ولا قوة إلا بك، فبجاه نبيك واسطة الخير، الواصل للخلق المتصل والمنفصل، ولا انفصال عن إمداداته في داري الفناء والبقاء في الإقبال والإدبار، ولا تكلنا إلى أنفسنا، وأدم سترك علينا، وأبلغه منا أزكى سلام وأزكاه، وارض اللهم عن كل من والاه، وافتح أبواب القبول في أوجهنا حتى تدوم محبتنا بين أحبابنا فيك ولأجلك، فنستظل بهما تحت ظلك، متمتعين بالوداد المربوط بحبل رضاك، حتى نجتمع معهم بالحضرة المحمدية، كاشفا عنا كل حجاب يمنعنا من النظر إلى وجهك الكريم، فهناك يتم السرور بالمنى لي ولأحبابي الذين ارتبطت بيننا وبينهم رابطة الأخوة في الله، في حضرة الغيب وحضرة المشاهدة عموما وخصوصا.

والسلام التام من حضرة الوصول العالية، أزفه لحضرة الأخ في الله، سليم الصدر، ورفيع القدر، الأديب سيدي عبد العزيز الدباغ بن المرحوم الشيخ محمد عبد الله الماجد، فقد وصلني منه أول كتاب، قاض بتعجيل الجواب، من غير أن أتأنى في الخطاب، بواسطة الأخ في الله العارف بربه المتنور السريرة، سيدي الشيخ مدثر إبراهيم(3) عليه السلام والرحمة والبركة، فتلقيت الكتابين، ووضعتهما على الرأس والعين، فكانت تلك الوساطة ممن عرفتني بمقدار هذا السيد المقترح علينا كتابه ما لا بد من مساعدته عليه، ولقد طالعت رقيمه والنفس الرحماني يهب علي من أنفاسه، حتى كأني صرت بما داخلني من ذلك الخطاب دخلت من عالم الخيال لأرض السمسمة(4) التي شاهدت بعيني فيها عينه، وما حال البين(5) بيني وبينه، فكان الأثير منا بشرا للمقابلة الروحية بما انطبع فيه من الصور المكهربة بمغناطيس سر التوجه النفسي في عالم المعنى، فنظرت ذلك الاتحاد باتحاد مرآة الأخوة الإيمانية، فكان المرتسم(6) في صفائها بل صورتها ذات آنية، أنا عبد العزيز الدباغ، فلم تأخذني استرابة(7) فيما أدلى به إلي من خالص إخلاص الود القلبي، فحل مني القلب في ظهر الغيب كما حللت منه ذلك القلب المنور، وما تنزله معي ذلك التنزل إلا لصدق الإعتقاد، والمعتقد دائما لا يضيع اعتقاده، ولا يذكر فيه من أي منتقد انتقاده.

وإن عصرنا هذا لعصر العجائب، فبينما الشبيبة في إقبال على هدم ما شيده السلف من معالم الفضل، إذا بالمؤمنين من سلالة الفضيلة، يرفعون منارا للهدى، بصدق نية، وسلامة طوية،

---

(2) الجريرة : الذنب
(3) سبق التعريف به في ج 1 ص 288 من هذا التأليف.
(4) السمسمة : هي معرفة تدق عن العبارة وللتعريف بها أنظر الفتوحات المكية لابن عربي الحاتمي ج 1 ص 126-131.
(5) البين : الفرقة
(6) المرتسم : المتمثل
(7) استرابة : ريب وشك

بحب أهل الله من السلف والخلف، ورائد العناية قائدهم في اطمئنان على سواء الطريق، لما يقربهم من الحق، ومن سيد الخلق عليه السلام، وما هذه الدنيا إلا دار الإمتحان، عمرها المغررون بمزاحمة الأجانب الذين رضوا إليها فشغلتهم عن الله، فهم في مراسح(8) اللهو خلعوا العذار، ورقصوا مع العذارى، وتشبهوا بهن، فهم متبرءون من الدين والدين متبرئ منهم، أما أهل الله وقد صاروا عندهم من قبيل المسخرة، فلم يصدهم ذلك عما هم قصدوه من التعلق بحبل الدين الذي صار غريبا في هذا العصر، فأيدهم الحق بروح منه، فساروا في الطريق، حتى أحرزوا على متمناهم طبق ما لديهم من التصديق.

فهم أحياء بين أموات، وأهل صلاح حقيقي بين مدعي مجاز الإصلاح، فأهل الدنيا أموات، إلا أن مخالطتهم سريعة العدوى، بمعاداة أهل الحق الذين ينتصر الله لهم بمحاربة هؤلاء الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا، وغرتهم الحياة الدنيا واطمأنوا إليها فعمروها، وخربوا عمرهم، وفرحوا بما أتوه من شقائق زادت في غرور أمثالهم، فهم مثلة بين الخلق، ولعمري أن المغتر بهم لعما قريب يندم، ولآت حين مناص، وما هم من الناس في شيء وإن زعموا أنهم من الناس.

وما الناس إلا الصالحون حقيقة

فنرجو لإخواننا المنتمين للإسلام توفيقا يقودهم لما فيه صلاح حالهم ومآلهم، ويعرفهم بحقيقة الإيمان، فيربطوا حبلهم بحبل أهل الله، فينقادوا لداعي الحق بحقيقة تصديق آمنين. أيها العزيز : قد فهمت مقصودك فهمت(9) هيمان الحائر الذي تظاهر بمظهر معرفة ما لم يعرفه بين من جهلوا أحواله، وهم أعرف منه بالذي تظاهر به، فأراد ستر حاله، فلم يهتدي للطريق التي يسلك منها خوف الفضيحة بين معتقديه.

لقد ظهرت بهذا المظهر في عين العارف بربه الشيخ مدثر، فرفعني فوق قدري، ونوه بي عند قوم هم أعرف مني وأعلى مقاما وأصدق حالا، وكدت أن أفتضح بينهم بما ليس لي به طاقة في حمل سره في طريق سره، ولست أكتم منكم هذا الأمر حتى لا تكونوا من الذين اغتروا بسماع أخبار فرغها الصادق في قالب حسن ظنه في المعتقد فيه، غير أني أرجو أن يحقق الحق ما ظنه فينا ورآه فينا، وما ذلك على الله بعزيز.

أيها العزيز : يعز علي أن لا أعجل بإجابة اقتراحكم، فأردكم أولا إلى الشيخ مدثر، وعنده ما لدينا، بل عنده أزيد لتلقيه منا الإذن الصريح الشريف فيما لدينا، فأضاف إلى ما لديه ما وضعناه بين يديه، فلو أردتم ذلك بالحقيقة لطلبتم منه ذلك، فكل الصيد في جوفه، فهو ينبوع(10) السر الرباني المستتر بظل إحالته على الغير في مثل هذا الخير،

---

(8) مراسƠ اللǌو : أماكنǌا
(9) همƘ : بمعنȂ ذهبƘ Ů أدري أين أتوجه
(10) الينبوƳ : عين الماء

ويزيد في الستر بإحالة مثلكم على مثلي، ولولا ستر الستار الذي ستر عيبي ونقصي من أعين الأحباب وهم كثيرون ما ردوا علي السلام، فضلا عن أن يبدءوني بالمكاتبة، فضلا عن أن يعتقدوا مثل اعتقادكم الذي أعليتموه في هذا الكتاب المجاب عنه، الذي أفرغتموه في أبدع مخاطبة، ولعمري أن سحر خطابه الحلال قد أنساني ما أنا عليه من النقص، حتى قمت لإجابتكم بهذه الأسطر التي أسطرها من غير تأني(11)، ويدي ترتعش(12) من مخاطبة أمثالكم الذين منحوا من حسن الظن ما أفاقوا به أقرانهم، فلقد شاهدتم قبل تقلدكم بالعهد المحمدي في هذه الطريقة الأحمدية، وبعد التقيد بحبلها ما شاهدتموه بما شرح الله به صدركم، وعرفكم به من المعرفة بقدر هذه الطريقة المحمدية ما عرفتم من أسرارها، وقد عرفتم فألزموا، فالوارثة تعظم بقدر الملازمة، والسر الأعظم في النيات بصدق إخلاص بين العام والخاص.

أيها العزيز : ولقد عرفني الشيخ المدثر بكم، فكانت معرفتي بكم عن يقين، ولست بمنكر لما أسداه إلينا من التعرف بأمثالكم، فإني أقدر قدر ذلك، ولقد قال بعض العارفين : من أحدث أخا في الله أحدث الله له سبعين بابا من المعرفة به، فنرجو أن يكون لنا حظ وافر من هذه المعرفة، فتنفتح تلك الأبواب في أوجهنا لنكون من العارفين به، مع قصور باعنا ووقوعنا في مورد الجهل بالحق على الحقيقة في هذه الطريقة، غير أننا لا ندع شكر الحق في هذا المقام على ما أسداه من إقبال أمثالكم علينا بحسن اعتقاد، وإن الإعتقاد يبلغ لغاية المراد، بمقتضى : لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه، وقد نفع الله بذلك كثيرا من الأحباب، وأرجو أن أنتفع بما انتفعوا به مني، فإني أراهم تقدموا أمامي وأنا واقف، وقد حصلوا على عهد الأمان وأنا خائف، زادهم الله بسطة في العلم والجسم آمين، وإني أبشركم بأنكم سيكون لكم شأن بما توسمناه من وجوه ألفاظ رسالتكم التي أعربت كما كان بضميركم من حسن الظن وجميل الإعتقاد، الذي لا يظهر به إلا الخاصة من العباد، وأنتم منهم في الصف الأول، وعلى مثلكم في السلوك في هذه الطريقة المعول(13)، فاحمد الله على ذلك.

أيها العزيز : لقد تعين علي أن أسارع لإجابتك بعدما تحققت باطلاعك على شروط الطريقة وأركانها، وأنك من أجل المتمسكين بحبلها، وقد وجدت في نفسي انشراحا يشرح ما أطلعتموني عليه من تلك المبشرات التي يراها الرجل الصالح أو ترى له، وابتهجت نفسي بذلك أي ابتهاج، فلم أتوقف في إجازتكم بما لدينا طبق المرغوب، وفي ضمن ذلك مآرب أخرى، وما هي إلا أن يكون لنا ولكم إقبال من الحق علينا بواسطة الحضرة المحمدية دنيا وأخرى، فتكون من المحبوبين الذين انتفعوا ونفعوا، فكانت لهم الحسنى وزيادة، فلا حرمنا الله من ذلك جميعا، فإن الخلق عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله(14)، وما أرى استجازتكم لنا إلا قصدا لنفعهم بالإرشاد، بإذن صحيح خاص بعد الإذن الصريح العام، وها أنا ذا أتتبع فصول كتابكم مجيبا عنها بحسب الوارد الذي يرد علي، معتمدا على الحق وهو الموفق، فأقول :

---

(11) التأني : خلاف العجلة

(12) ترتعش : ترتعد

(13) المعول : الإعتماد والإتكال

(14) ذكره العلامة عبد الرؤوف المناوي في كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق، وعزاه للطبراني، أشار إليه في هامش الجامع الصغير للسيوطي ج 1 ص 128.

أما ما صدرتم به مكتوبكم من تنزلكم معي ووصفي بتلك الأوصاف التي ذكرتم حسبما قد اعتقدتم، فذلك أول برهان على حسن اعتقادكم، وعلى الإعتقاد تشيد قصور الفتح المشيدة لأهل الربح، ولا يصعد إليها إلا من كان من أهل الخصوصية، وذلك عنوان على القابلية لما يرد من حضرات الوصول، والتداني وفق الأماني، من حيث عدم الرضا عن النفس، فمادام المريد غير مكتف بما عنده إلا وهو في ازدياد الترقي، فإذا اكتفى وقف في موقف الرجوع بالقهقري(15) ولو بلغ ما بلغ، وما قيل للعبد عبد إلا ليقوم دائما في خدمة معبوده، وقد أفلح عبد الحق وربح، ولم يفلح عبد الدنيا وخسر، وقد دعا عليه الرسول عليه السلام بالتعاسة، وإن القناعة من الإزدياد من الخير حرمان، وقد تجليت في مظهر كأني أنظر فيه إلى باطنك من خلال عباراتك، فتحققت بصدق طلبك.

وإن سر الله في صدق الطلب كم رءي في أصحابه من العجب

ولم يبق إلا أن أشكر الحق على المظهر الذي ظهرت لكم فيه، حتى أمكنكم بسببه طلب قبول وفادتكم علي لإفادتكم مما لدي، فكانت هذه الوفادة الروحية بريئة من التصنع(16) النفساني، بداعية النفس الرحماني، أن يدخل لحضرة القبول من أي باب طرقه، ويتيسر له الوصول لمناه ومقصده الذي وفقه الحق حتى سلك مسالكه وطرقه، وتلك عادة الله مع الصادقين من المريدين والمرادين، فلم يضع لهم في المسير عقال بعير لطويتهم(17) الصادقة، وصدق نيتهم التي هي إكسير الأعمال الظاهرة والباطنة، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

أما شرح حالكم الذي أعربتم به عن الطريقة التي كنتم سالكين عليها تبعا لأسلافكم الكرام إلى أن اعتنقتم الطريقة التجانية، فذلك من نتائج العمل الصالح والسعي الرابح، فقد ثبت لدينا على لسان الثقة من خواص أحباب سيدنا رضي الله عنه أن كل مريد في غير طريقتنا إذا كان محبوبا عند شيخه يوفق للتقيد بحبل هذه الطريقة، حيث قال سيدنا فيما بلغنا عنه : من كان محبوبا عند شيخه يوجه إلي(18) وهذه كرامة شاهدها كثير ممن فتح الله عليهم في طرق الشيوخ الذين رفع الله منارهم في طرق الهداية، ولم يكن انتقالكم عن تلك الطريقة إلا في حال ترق في مدارج(19) العناية بكم لما هو أرفع من حضرات الزلفى(20) في طرق الوصول إلى الحق من الجادة الحنيفية السمحة، والمقصود من السلوك هنا الوصول إليه تعالى من أقرب المسالك، وإن كانت كل الطرق توصل إليه على يد الواسطة الأعظم عليه السلام، وقد اذخر الحق الطريقة الأحمدية لأهلها فلا بد من سلوكهم عليها ورجوعهم إليها، ولو كانوا من المقيدين بحبل غيرها خلفا عن سلف، مما يكاد أن يعد محالا، وهو خروجهم عن طرقهم التي ورثوها، ومذاهبهم التي عملوا عليها منذ زمان، وحصلوا في سلوكهم على ربح لا يستهان به، وظفروا بفتح وصلوا به لنيل المبتغى، فإن سائق السعادة يسوقهم إليها، والصارف الإلهي يصرف عنها من ليس من أهلها، فلتحمد الله الذي وفقك لها، وقد أراك من المبشرات ما تبث به فؤادك، فكنت على بصيرة من أمرك الذي حصلت به مرادك، وهل بعد الإجتماع بأعيان الصحابة والمذاكرة معهم والإستفادة منهم في حضرات الغيب من كرامة للمريد، وهل بعد رؤية النبي (ﷺ) مثل تلك الرؤيا التي رأيتم

---

(15) القهقري : الرجوع إلى الوراء
(16) التصنع : التكلف
(17) طويتهم : سريرتهم
(18) انظر رفع النقاب للعلامة سكيرج ج 2 ص 143
(19) المدارج : ما يساعد على التوصل إلى ما هو أفضل أو أعلى منه والمدارج أيضا بمعنى الطرق والمناهج
(20) الزلفى : القرب والدرجة والمنزلة

من مزيد، بعد رؤية الشيخ رضي الله عنه التي كادت أن تعد يقظة، وجاءت كفلق الصبح في تلك المبشرات التي لا يحوم الشيطان حولها بإيهام أو إبهام، ولم تكن منكم أضغاث أحلام.

ولقد دعتكم العناية فأجبتم الدعوة، فتيسر لكم الأخذ عمن كان في هذه الطريقة قدوة ونعم القدوة، وإني متحقق بما للعارف العالم السيد المقدم ألفا هاشم(21) من الإذن الصحيح، وقد حصلتم على إجازته وهي الذخيرة العظمى، ولو اكتفيتم بها لكفتكم، ولولا تأثركم من عدم مساعدتي لكم فيما اقترحتم علي لقلت لكم كفاكم ما لديكم من إذنه، ولكن همتكم تواقة للمزيد من الخير، مع اتصال الرابطة بالشيخ قدس سره بما لدينا من أتم واسطة، فنحمد الله الذي من علينا بها، والمنة لله في ذلك، فهو الموفق والهادي لأقوم طريق.

ولقد نظرنا إلى حالكم، وما استفهمتمونا عنه مما يوصلكم لغاية آمالكم، ولولا أن المستشار أمين، وبذل النصح من وراثة الأمين عليه السلام، لضربت عن هذا المقام صفحا، فإن نظرتي غير نافدة، وتجارتي غير نافذة، ويحق أن يتنزل علي قول العامة : قد استمسك غريق بغريق، وقد استسمنت ذا ورم(22)، ونفخت في غير ضرم(23)، لا عن غلط منك في ذلك، وإنما حسن ظنك سلك بك في هذه المسالك، على أن نيتك لا تضيع، ولا يكون عملك سدى(24) في هذا المقام الرفيع، لذلك يتعين علي أن أرشدك إلى أمر مهم في الطريقة، وهو ملازمة الأدب مع الإخوان في الطريق، خصوصا المقدمين منهم، من ترك مزاحمتهم والتظاهر عليهم، فإن الظهور يقصم الظهور، والتحدي والتعصب ليس من الطريقة في شيء، فإياك ثم إياك من التداخل فيما بين الجميع بما يؤدي إلى منازعة أو خصام، أو نصر بعض على بعض لأغراض نفسانية، فقد سرى هذا الأمر بين المقدمين، وصارت الطريقة ذات أحزاب، انسدت في وجوههم فيها الأبواب، وانقطع حبل الوصلة بين جلهم، خصوصا ممن يشير إلى نفسه بالخصوصية.

---

(21) المقدم البركة سيدي محمد هاشم بن أحمد بن سعيد الفوتي أصلا المدني قرارا وموتا، ولد بحلوار من بلاد فوتة عام 1283هـ، وعرف بألفا هاشم، وهي باللغة السنغالية بمعنى العالم هاشم، وله رحمه الله عشرات التصانيف منها : تبيين الناسك في تصحيح مناسك الحج، واختصرها في تأليف آخر سماها : ترويح المشغول والكسول باختصار مناسك الرسول، ومن كتبه كذلك كتاب فتح المغيث في علم الحديث، ومنظومة الإبانات اللفظية في الكلمات الإسمية الفعلية الحرفية، وتعليم الأجلة في نسخ بعض الأدلة، ورقية المتيمم إلى الدليل الأخص الأتم، وإبداء الخلاف في جواز بيع متعطل النفع من عقار الأوقاف، ومنظومته في الرد على منكر لفظ الأسقم، وغير ذلك من التصانيف الكثيرة. توفي رحمه الله يوم الاثنين 11 شهر ذي القعدة الحرام عام 1349هـ وصلي عليه بالحرم النبوي بعد صلاة المغرب، ودفن بالبقيع، وكان رحمه الله من أجل علماء المدينة المنورة، يلقي بمسجدها دروسا في الفقه الحديث والتفسير، وهو من أعلام الطريقة الأحمدية التجانية، أخذها عن ابن عمه سيدي أحمد بن الولي الصالح العلامة المجاهد سيدي عمر الفوتي مؤلف كتاب الرماح، انظر ترجمته في لوامع الأنوار وفيوض الأسرار للعلامة الحجوجي ص 39 وفي فتح الملك العلام لنفس المؤلف بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 136، وفي نيل المراد لنفس المؤلف ج 2 ص 21، وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية لنفس المؤلف كذلك ج 7، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 22.

(22) الورم : المنتفخ من مرض

(23) الضرم : الحطب

(24) سدى : بمعنى باطل

أما في البلدة التي كثرت فيها الزوايا وتعدد فيها المقدمون فإن الرزية كل الرزية في حق غير المسامح في حقه، ولابد من إغضاء الطرف منه عن سوءة أخيه مريدا كان أو مقدما، فالمسامحة في الحقوق من شيم المفتوح عليهم، ما لم يضع بذلك حق الله، ولا حق للمقدم في التصدر في زاوية، بل هو كيف ما كان بمنزلة أخ مع إخوة في الجلوة والخلوة، وإن كانت مراعاته متأكدة على غيره إن أراد في طريقه مبرة الشيخ رضي الله عنه ومبرة ملقنه، وفي ذلك مزية وأي مزية، فإياك ومزاحمة المقدمين، وكن معهم سلما: ولا ترتق في سلم التكبر عليهم، ليكون مقامك هو الراقي بك غير مرتق فيه بنفسك، إن أردت نفع نفسك ونفع أبناء جنسك، وتكون مقدما حقيقيا في الطريق.

فبهذا الحال بعد القيام على قدم الجد في آداب الحقوق الواجبة عليك من صلاة وغيرها ومن الصلات والقربات يتمر غرسك، وتطيب نفسك، وتهب عليك من حضرة الوهب نفحة اختصاصية من الفتح اللدني، تحرك منك البواعث التي تنشلك(25) من أوحالك، ويصلح بها جميع حالك، ويشرق بها منك كل حالك، فترى بعين العناية كامل التوفيق عيانا أمامك، يمهد لك طريق السلوك، آخذا بيدك في المزالق التي زلق فيها كثير ممن ظنوا بأنفسهم الإستحقاق لما تصدوا إليه، ويدخل بك لحضرة الحق من باب الحقيقة حتى يجلسك على كرسي القبول، في محفل أهل الشريعة الذين يشيرون إليك بأيد الترحيب، بعد أن يقوموا أمامك مذعنين(26)، فتتتوج بتاج العز، ليجبر قلبك الكسير بالقيام بحق العبودية التي عندها خوطبت في سرك بلسان الحق : قم لعبادتي وارشد إليها عبيدي، فحينئذ تكون ممن حصلت لهم إجابة الدعوة من غير دعوى، مأمورا في ظهر الغيب وحضرة الشهادة بداعية ادع إلى سبيل ربك، فتتلقى من جبريل الإلهام آية العرفان، وينفخ في صور صورتك الباطنية إسرافيل الإكرام، فتتحقق لك الكرامة في حضرة المكرمة، وتكون ممن شكروا حق النعمة في هذه الأمة، وما ذلك على الله بعزيز.

أما إعلامكم لنا بما حصل لكم من السرور بمطالبة بعض مؤلفاتي وانتفاعكم بها، فذلك عن صفاء مراءاتكم النورانية، فنظرتم لذلك بعين الرضا، (وعين الرضا عن كل عيب كليلة)، وقد جرت عادة الحق في الخلق أن ينتفع كل سليم انتفاعا خاصا، ويزداد انتفاعه بقدر ماله من حسن ظن المعتقد فيه، لكونه يرى بعين الإعتقاد التي لم يرى فيها دون الإنتقاد متنصبا في مكانها، فلا جرم إذا انتفع المعتقد، وخاب سعي المنتقد، وأرجو من الله أن لا يجعل علي ما كتبته حجة، في سلوك هذه المحجة، فإني لم أرد سوى النفع، والله المسؤول أن يحقق ذلك للإخوان وغير الإخوان، ويجعله في كفة ميزان الحسنات التي لا تؤخذ في تباعة، إنه قادر على ذلك، وأما ما رجوتموه منا فقد حصرناه في مطالب يحتاج فيها إلى بسط مقال نختصره لكم بالمعيد في كل مطلب.

---

(25) تنشل : بمعنى تخرج وتقتلع
(26) مذعنين : منقادين

طلب التجديد لكم في الطريقة، هذا المطلب قد تلقيناه منكم بانشراح صدر وطيب نفس، ولم يحل لنا أدنى تردد في إجابتكم إليه، فها نحن أذناكم وأجزناكم إجازة تامة طبق المطلوب، مطلقة عامة وفق المرغوب، حسبما لدينا في الطريقة وأذكارها وأسرارها وفضلها وفضائلها، وكل ما هو راجع إليها بما هو مقرر عن الشيخ فيها، وما هو مقرر من مراتبها الظاهرة والباطنة إذنا خاصا لكم في الورد والوظيفة وذكر الجمعة، وإجازة عامة في تلقينها لمن طلبها منكم بشروطها المقررة وأركانها المعتبرة، وأما الأوراد اللازمة فهي للعموم، ولا تلقن إلا بمراعاة الشروط، وأما الأذكار الغير اللازمة فتلقن كذلك للمريد من هذه الطريقة ولمن طلبها من غيرهم(27) ممن له صدق محبة في الجناب الأحمدي من غير شروط التزام، وقد غلا هنا كثير من المقدمين فيشترطون الإلتزام فيها، مع أن ذكرها غير لازم، واللازم هو الورد والوظيفة وذكر يوم الجمعة، وهو معروف، ولا بأس بتلقين غير الإخوان الأذكار الغير اللازمة لقول سيدنا رضي الله عنه : لقنوا الناس صلاة الفاتح لما أغلق ليموتوا على الإيمان.

ومن باب أولى تلقين غيرها إلا ما كان من قراءة الفاتحة بنية الإسم الأعظم وحزب البحر، فلا يلقنا إلا للخاصة من الإخوان، والأولى والأفضل الإكثار من صلاة الفاتح لما أغلق بدلا عن سائر الأذكار لخلوها عن الذكر للأغراض، وما لها من الفضل العظيم الذي لا حد له، وهذه الإجازة لكم شاملة لما اشتملت عليه جواهر المعاني وغيرها من كتب الطريقة، من جميع تآليفنا فيها وفي غيرها، لتقوموا مقامنا في الإجازة بما شئتم من ذلك حسب الأهلية، وما تحمله آنية من تأذنون له بذلك من عموم الناس وخاصيتهم، بعد قبولهم لشروط الطريقة في المريدين لها، وشرط محبة الشيخ رضي الله عنه على مريد غير الأذكار اللازمة، واشتراط حب أهل الله أجمعين في حق الجميع من غير انتقاد على واحد منهم ولا على مريديهم وسائر أحوالهم، فإن طريقتنا مبنية على التسليم المطلق لأهل الله، مع اعتقاد جميل في كل واحد منهم حيا كان أو ميتا، مع ترك زيارة الإستمداد منهم وزيارة التعلق بهم، وحسن الظن في سائر أهل لا إله إلا الله، والنفور من معاديهم، وترك مخالطة مؤذيهم بقدر الإمكان، فإن مجالسة المبغضين سم يسري، وهذا كله بعد القيام بالمفروضات أتم قيام، وبالأخص الصلاة فهي عندنا في الطريقة الأساس الذي شيدت عليه، فالمحافظة عليها من آكد الشروط على المريد التجاني، مع زيادة اعتناء بها في أدائها في وقتها جماعة، وهذا الأمر لا يحتاج فيه للوصية عليه لأنه مأمور به شرعا، ولكن لابد من الحض عليه للقيام به قبل كل شيء، فالمريد التجاني من أشد الناس محافظة على الصلاة وأركانها وأوقاتها جمعا وانفرادا، ولا يعد تجانيا إلا من أحرز على الإذن في تلك الأذكار ممن عنده التقديم

---

(27) سئل العلامة الحاج أحمد سكيرج رحمه الله ورضي عنه في كتابه : اليواقيت الأحمدية العرفانية، هل يمكن تلقين الأذكار الغير اللازمة لمن طلبها ممن ليس من الفقراء التجانيين؟ فأجاب رحمه الله : اعلم أن الذي نحفظه عن شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه، وذكرناه في كشف الحجاب أن الشيخ رضي الله عنه أمر بتلقين صلاة الفاتح لما أغلق للمسلمين ليموتوا على الإيمان، وأما غيرها من الأذكار فلم يثبت لدينا تلقينها لغير الآخذين للطريقة، إلا أنه فيما يظهر يجوز تلقين ما عدا الأذكار الخصوصية بما اشتملت عليه من الأسرار بالإذن الخصوصي من عند الشيخ رضي الله عنه، لأنه أذن في تلقين الفاتح التي هي أشرف الأذكار، فيحمل عليها غيرها، ماعدا الأذكار الخصوصية التي لا يؤذن فيها إلا لخاصة الأصحاب في الطريقة، كالفاتحة بنية الإسم وحزب البحر، فإن الشيخ رضي الله عنه لم يأذن فيهما إلا للخاصة من تلاميذه دون غيرهم من الإخوان، فضلا عن غيرهم ممن لم يأخذ الطريقة، وعلى ما ذكرناه فلا يلقن المقدم بالإذن الخصوصي غير الإخوة ممن فيهم الأهلية، وأما غير الأذكار المحجرة على غير الخاصة فله أن يأذن فيها والله ... انظر اليواقيت الأحمدية العرفانية للعلامة سكيرج ص 44.

الصحيح، والتلقين الصريح، كما تلقينا ذلك عن شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي عن القطب سيدي الحاج علي التماسيني عن سيدنا رضي الله عنه، وتلقينا ذلك أيضا عن شيخنا آخر قضاة العدل بفاس الشيخ سيدي حميد بناني(28) عن خطيب الحضرة الشريفة السيد علال الفاسي(29) عن المقدم سيدي بوعزة(30) نجل الخليفة المعظم سيدي الحاج علي حرازم برادة مؤلف جواهر المعاني، عن والده المذكور، وعن المقدم سيدي محمد بن عبد الواحد بناني المصري (31) عن الخلفية المذكور، فسيدي بوعزة أخذ عن

---

(28) سبق التعريف به في ج 1 ص 31 من هذا التأليف.

(29) الفقيه العلامة الخطيب المقدم الأجل أبو الحسن سيدي علال بن عبد الله بن المجذوب الفاسي الفهري، من نسل العارف بالله الولي الكبير سيدي عبد القادر الفاسي، كانت له رحمه الله حملات على الأجانب الأوروبيين، وذلك من خلال خطبه المنبرية الشهيرة، ومنها خطبته التي ألقاها بمحضر السلطان مولانا الحسن الأول تحت عنوان : إيقاظ السكارى، المحتمين بالنصارى، أو، الويل والثبور لمن احتمى بالبصبور، Passeport، وكانت وفاته رحمه الله عند زوال يوم الجمعة 12 جمادى الأولى عام 1314هـ ودفن خارج باب الفتوح بقبة مجاورة لقبة أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي، انظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 219 وانظرها كذلك في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 66، وفي نخبة الإتحاف لنفس المؤلف رقم الترجمة 151. وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 246. وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 2 ص 302.

(30) سيدي أبو يعزى بن الخليفة المعظم مولانا أبي الحسن الحاج علي حرازم برادة الفاسي، من خاصة أصحاب الشيخ رضي الله عنه، كانت له به عناية عظيمة، خاصة بعد وفاة والده بالمشرق سنة 1218هـ وقد ترجم له الفقيه العلامة الحجوجي في الجزء الأول من كتابه : إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، وكذلك في كتابه نخبة الإتحاف رقم الترجمة 3، كما ترجم له العلامة سكيرج في كشف الحجاب ص 218 وفي رفع النقاب لنفس المؤلف كذلك ج 1 ص 226 وفي تيجان الغواني لنفس المؤلف كذلك ص 91 وفي روض شمائل أهل الحقيقة، لابن محم العلوي، رقم الترجمة 19.

(31) المقدم سيدي محمد بن عبد الواحد بناني المصري، قال في حقه العلامة الحجوجي في كتابه لوامع الأنوار : اجتمعت عندنا من أسرار الطريقة ما لم يجتمع عند غيرنا، وأرسل له مولانا الشيخ التجاني رضي الله عنه التقديم مكاتبة ومراسلة لمصر مع الخليفة الأعظم الحاج علي حرازم، انظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 272 وفي رفع النقاب لنفس المؤلف ج 3 ص 160 وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية للعلامة الحجوجي ج 1 وفي لوامع الأنوار لنفس المؤلف ص 58. وقال في حقه العلامة سكيرج في نظمه جنة الجاني :

ومنهم المصري ابن عبد الواحد — بلغ منه غاية المقاصد
قدمه تقديمه العمومي — فشاع في الخصوص والعموم
فانتفعت على يديه الناس — ولم تكن به له أنفاس
وهكذا المخصوص بالعنايه — يأخذ بالأيدي مع الرعايه
وعنه نروي الإذن بالإطلاق — في سند كالشمس في الإشراق

والده بلا واسطة، وبواسطة المصري كذلك، ولدينا أسانيد أخرى صحيحة الإتصال بالشيخ رضي الله عنه، نكتفي منها بما ذكرناه، والذي نعتمده في سلوكنا في الطريقة سندنا العبدلاوي المذكور قدس سره، وقد تعرضنا لذلك في مؤلفاتنا في الطريقة، فالله ينفعكم وينفع بكم وعلى يدكم آمين.

: Ĭ ǆƑƘǁǀ ƒ‡ǙƊŽǁǀ

طلبكم الإجازة في كتبنا ومحفوظاتنا ومروياتنا، فها نحن نخبركم بذلك مما ألفناه في الطريقة وخارجها فروعا وأصولا، أبوابا وفصولا، بحسب ما لدينا في ذلك من إجازات مشايخنا، مما تلقينا منهم الإجازة فيه مشافهة ومكاتبة بشروط ذلك، طبق ما بينا ذلك في كتابنا قدم الرسوخ فيما لمؤلفه من الشيوخ، وهو ثبت جمعنا فيه أسانيدنا ومروياتنا من علوم وكتب وحديث وغير ذلك، غير أنه لا تروق في نظري الإجازة في غير كتب الحديث والذكر الحكيم، فإن الإجازات في نظري تنقسم إلى من هو من قبيل الشهادات للتحصيل على الرواتب المعينة من الحكومة، وهي لا تجدي نفعا في طريق السلوك، لكونها قاصرة على نفع دنيوي، ولا يحتاج فيها إلى سند، لأن المدار فيها على التحصيل، والإدراك الذي عليه في فهم العلوم التعويل، والسند عندي في ذلك من قبيل ضياع الوقت، إلا ما كان من معرفة الكتب ومؤلفيها، فهو للمعتقد فيه البركة، وذلك نظرا لذكر الصالحين ومالهم من المآثر التي من جملتها تآليفهم، وإنما النفع الخاص عندي مع النفع العام أتحققه في العلوم النورانية والكتب المؤلفة فيها.

والحاصل أن كل علم يشترك في تحصيله الأجنبي والمسلم يحتاج فيه إلى إجازة(32)، لأن المدار فيه على التحصيل للقواعد وفهم المقاصد، وأما ما ينفرد فيه المسلم، فإما أن يكون نورانيا محضا كالحديث والقرآن، فهذا السند فيه من الدين، وإما أن يكون من علم الأصول والفروع، فالمدار فيه على تحصيل قواعده من العارفين به، ولا يحتاج فيه إلى سند إلا على وجه التبرك لا غير، ولا فائدة في السند في اللغة والشعر والمنطق والنحو والمعقولات، وغير ذلك من علم الطبيعة والتنجيم في الكتب المؤلفة فيها، إلا من الحيثية التي ذكرناها من معرفة أصحاب الفن المجاز فيه.

وقد كان أخبرني شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه عن القطب سيدي الحاج علي التماسيني(33) أنه كان يقول عن الشيخ قدس سره : العلوم على أربعة أقسام : علم يقسي القلب وهو علم الفقه والجمود عليه، وعلم يورث الكبر وهو علم النحو وما يرجع إليه، وعلم يزهد في الدنيا وهو علم التاريخ وما أنيط به، وعلم ينور القلب وهو علم الحديث وما يتعلق به، ولا شك أن المنور للقلب هو الذي يحتاج فيه إلى سند، والسند فيه من الدين، وعلى كل حال فلدينا إجازات من شيوخنا اشتملت على الأسانيد المنوطة بكتب الفقه والحديث والقراءات والكلام وغيرها، حسبما أفضنا القول في ذلك في كتابنا قدم الرسوخ المشار له، وإذا يسر الله طبعه نوجه لكم منه نسخا، وقد أجزناكم بجميع ذلك إجازة تامة عامة لتجيزوا بها من شئتم، وأنتم أهل لذلك، إلا ما كان من بعض الكتب في الطريقة التي لا إجازة لنا من أربابها، فنحن لا نجيز فيها إلا بالأذكار المشتملة عليها من الوجهة التي فيها الإذن لنا من أشياخنا قدس سرهم، وقوفا مع

(32) توسع العلامة سكيرج فيما يتعلق بمفهوم الإجازة ومعناها في مقدمة كتابه قدم الرسوخ فيما لمؤلفه من الشيوخ، فتكلم على حكمها وتصريفها واعتناء العلماء المغاربة بالأسانيد خلافا لمن أنكر ذلك.
(33) سبق التعريف به في هذا المجموع ج 1 ص 292.

الجادة في الطريق، وحسبنا الله ونعم الوكيل من الترامي على ما ليس لنا به علم، وانتحال أسانيد لم يكن لنا بها اتصال بين ذوي العلم والفهم، (وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد)(34).

: Kllfklle ƒ‡UƊžlle

في طلب الجواب عن أسئلة أوردتموها.

: üNjǓε üεDƨllε

عمن أخذ الطريقة بالمراسلة، هل هو كمن أخذها بالمبايعة يدا بيد ؟

الجواب عن ذلك أن سر الأخذ بالمشافهة أتم من سر الأخذ بالمراسلة، وأنت خبير بأن الصحبة لا تتم إلا بالإجتماع المتعارف، نعم الرابطة تتصل بمجرد تلقي الإذن عمن صح لديه بمشافهة وبمراسلة، وقد كان الشيخ رضي الله عنه يراسل من طلب منه الإذن في الطريقة ويجيزه بها، ولم يجتمع ممن راسلهم إلا بالقليل من أصحابه الذين شدوا له الرحلة، وقد وجه لجماعة منهم الإذن بغير كتاب، حتى أنه وجه الإذن مع غير الآخذين عنه طريقه فبلغوه لمن تلقاه عنه بواسطته، وهذا من أغرب ما وقع في سند الطريقة لبعض أصحابه، فكانت مراسلتهم مثل المشافهة معه بالمبايعة المربوطة بحبل الطريقة، ولا شك أن الآخذ بالمراسلة كالآخذ يدا بيد في التحصيل على فضل الطريق والإنخراط في زمرة أهلها المرادين فيها والمريدين لها من عامة وخاصة، ولا فرق في ذلك بين المريد المجتمع بالمقدم وبين الآخذ عن هذا المقدم بمراسلة، إلا ما كان من سر النظرة والمشافهة فهي أعظم نفعا في الطريق وغيرها، غير أن التقيد بحبل الطريق لا فرق فيه بين المراسلة وغيرها كما بيناه، وكفى دليلا على صحة ذلك فعل الشيخ رضي الله عنه وإقتداء أكابر أصحابه(35) به في ذلك إلى الآن وحتى الآن، وبالله التوفيق.

---

(34) سورة غافر، الآية 44.

(35) ويدل عليه أيضا تلقي الولي الصالح العلامة سيدي محمد العربي بن السائح للإجازة تبركا من طرف القطب الشهير سيدي الحاج علي التماسيني، القاطن بتماسين من بلاد الجزائر، وكان ذلك بالمراسلة، وقد توسط بينهما في هذا المراسلة العلامة البركة ناظم المنية سيدي التجاني ابن بابا الشنقيطي، ويرجع ذلك لقيمة هذه الإجازة وعلو سندها، ولكون باعثها من أخص الخاصة من أهل الحق في الطريقة الأحمدية التجانية، وكان رضي الله عنه لا يجيز أحدا ممن يستجيزه إلا بإذن من الحضرة النبوية الكريمة، ولهذا كان يكتب على صدر كل إجازة من إجازاته المباركة ما نصه : بإذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد وفقت والحمد لله على نيل ذلك وتبركت به.

السؤال الثاني :

عمن أنكر على آخذ الطريقة بالمراسلة قائلا : أخذك هذا لا ينظمك في سلك سيدي أحمد التجاني، فهل إنكاره صحيح أم لا يلتفت إليه ؟ وحينئذ فما يلزمه في الإفتيات على عمل العلماء العاملين ؟

الجواب عن ذلك أن هذا الإنكار صادر عن جهل بالطريق، فلا ينبغي الإلتفات إليه، لكون المراسلة متنزلة منزلة الأخذ مشافهة، كما ثبت ذلك عن الشيخ قدس سره، وجرى على عمله عمل المقدمين بعده في مشارق الأرض ومغاربها، وإن كانت المشافهة أعظم نفعا بسبب سر النظرة الموروثة، ولا يلزم هذا المنكر إلا ما يلزم الجاهل المنكر على العلماء، وحسبه أن لا ينتفع بهم، والجهل أقبح خصلة في الشخص، خصوصا إذا كان مركبا غير بسيط، كفانا الله شره، والله الموفق.

السؤال الثالث :

هل المعتبر في التجديد حصول الإذن ؟ أو قرب السند ؟ أو زيادة المعرفة ؟

الجواب على ذلك أن الإتصال بالشيخ رضي الله عنه من جهة أي مقدم صحيح الإذن كاف في النسبة في هذه الطريقة، ولا يحتاج إلى تجديد فيها ما دام لم ينقطع عنها المريد، مع تحققه بصحة تقديم ملقنه، إلا أنه لما كثر الدخلاء في التقديم، وكثر انقطاع المدعين، كان تجديد الإذن عن المقدمين من شيم الموفقين، لتصح له النسبة بالسند مطلقا عاليا أو نازلا، ولقد رأيت علماء الإصطلاح معتنين بالسند العالي، وأنا في نفسي من جهة ذلك شيء، لكون كثرة الشيوخ في النازل قد زادته أهمية كبرى للتبرك بهم(36)، إلا أن العالي أهم من حيث قلة العدد من الشيوخ فيه، أقرب للسلامة من الإنتحال، خصوصا إذا تحقق حصول الإجتماع في السند، أما النازل فقد يدخله الإنتحال بالنسبة في الأخذ، فلذلك لم يقع الإعتناء به مثل الإعتناء بالعالي والله أعلم.

---

(36) يكون للسند النازل قيمة وبركة جليلة في حال ضمه لجماعة من الأفاضل والأخيار، ومن هذا المنطلق ما يجمعه السند الحافظي من رجالات العلم والولاية والفضل، فمن الثابت الذي لا يقبل الريب أن العالم العلامة سيدي عبيدة الشنجيطي مجاز في الطريقة الأحمدية التجانية من طرف الولي الشهير سيدي محمد الحافظ الشنجيطي، عن شيخ الطريقة سيدنا أبي العباس التجاني رضي الله تعالى عنه، وهو سند عال، إذ ليس بينه وبين سيدنا رضي الله عنه سوى واسطة واحدة، ومع هذا كله كان العالم العلامة سيدي عبيدة الشنجيطي يقدم سنده النازل، نظرا لما ضمه من سادات علماء وأولياء أفاضل، ولهذا كان رحمه الله يقول إذا أراد أن يجيز أحدا : أجيزك كما أجازني أخي العلامة سيدي محمد بن محمد الصغير ابن انبوجا، كما أجازه العلامة سيدي بانم الواداني، كما أجازه العلامة سيدي مولود فال اليعقوبي، كما أجازه العلامة الشهير سيدي محمد الحافظ الشنجيطي، كما أجازه سيدنا الشيخ أبو العباس التجاني رضي الله تعالى عنه.

فالتجديد بهذه الملاحظة في العالي أعلى وأرفع قدرا، وقد يعتبر التجديد أيضا من جهة المريد المنقطع عن الطريق فيدخل به بعد خروجه، وينبغي التشديد عليه وعدم الموافقة على تجديد الإذن له إلا بعد تحقق توبته حتى لا يعود للقطيعة، وقد اتضح أن المعتبر في التجديد هو قصد تحقق الرابطة بالسر الساري من الشيخ رضي الله عنه لمريديه بواسطة مقدميهم الذين لهم الإذن الصحيح، كيف ما كان التقديم عاليا أو نازلا مطلقا أو مقيدا، مع اعتبار كمال الخصوصية في المقدم للتلقين علما وعملا وفضلا، ويتفاوت ذلك بحسب المقاصد، ولكن السند العالي له مزيد اعتبار عند المعتنين بالأذكار والأسرار، وفي هذا كفاية.

: UĞşþ‖ε üεĐƨ‖ε

هل زيارة الأولياء أحياء وأمواتا إذا كانت بقصد الصلة العامة لا بقصد التعلق والإستمداد، مع وفور محبتهم ونهاية تعظيمهم، من حيث أنهم عباد الله وخيرة خلقه لا غير فيها منع يؤدي الزائر بذلك الشرط لقطعه عن الطريق والعياذ بالله ؟ وإذا قلنا بعدم المنع فما الذي يترتب على من أسند المنع لمولانا القطب المكتوم ؟

الجواب : إن المريد العارف بمعنى الزيارة غير ممنوع منها، ولا يكون عارفا بها إلا من كان يتحقق بمعنى الإخلاص ويعمل بمقتضاه، وقد قال الولي الصالح سيدي العربي بن السائح(37) رحمه الله : العامة أمثالنا لا يعرفون العمل لله، يعني أنهم لا يخلصون في أعمالهم، فالأولى هو المنع من الزيارة مطلقا سواء كانت زيارة تعلق واستمداد، أو زيارة اعتبار، أو قصد الصلة العامة، وقد قال الشيخ الأكبر ابن عربي(38) قدس سره فيما نحفظه منقولا عنه : ما سامح شيخ مريده في الإجتماع بغيره قط، وفي المنية(39) :

---

(37) سبق التعريف به في ج 1 ص 308 من هذا التأليف.

(38) العارف بالله الشيخ الأكبر سيدي محي الدين بن عربي الحاتمي رضي الله عنه، أحد أكابر الشيوخ المربين، له مؤلفات كثيرة أشهرها الفتوحات المكية، وتمتاز كتبه بالدقة والتحقيق فضلا عن غوصها في بحور المعرفة اللدنية الكبيرة، وقد ترجم الكثير منها إلى لغات مختلفة، توفي رحمه الله بدمشق وبها دفن سنة 638هـ. أنظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 1 ص 188 رقم الترجمة 288، وفي جذوة الإقتباس لابن القاضي ص 281 رقم الترجمة 291، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 281 وفي فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج 2 ص 241. وفي ميزان الإعتدال للذهبي ج 3 ص 108 وفي لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج 5 ص 311، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 316 رقم الترجمة 133.

(39) منية المريد نظم في فقه الطريقة التجانية، للعلامة الكبير، والأديب الشهير، سيدي التجاني بن بابا بن أحمد بيب بن عثمان العلوي الشنجيطي، سماه والده بالتجاني تبركا باسم سيدنا الشيخ رضي الله تعالى عنه، توفي بالمدينة المنورة سنة 1266هـ ودفن بالبقيع، أنظر ترجمته في فتح الملك العلام للفقيه سيدي محمد الحجوجي بتحقيقنا عليه، رقم الترجمة 60، وفي بغية المستفيد لسيدي محمد العربي بن السائح ص 98 وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلوي الشنجيطي رقم الترجمة 33، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 398 رقم الترجمة 1592، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 103، وفي دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي ج 5 ص 413. وللإشارة فإن هذا النظم قد شرحه العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح رضي الله عنه تحت عنوان : بغية المستفيد لشرح منية المريد.

وكل من أخذ عن شيخ وزار   سواه لم ينفع به ولا المزار

فالأولى عدم الزيارة ووجوب المحافظة على حرمة الشيوخ، فإنها من حرمات الله، وقد أنشد في الفتوحات :

ما حرمة الشيخ إلا حرمة الله   فقم بها أدبا لله بالله

وقد علمت أنه لا يترتب شيء على من أسند المنع للشيخ رضي الله عنه، لأنه هو الوارد عنه، والتفرقة بين زيارة التعلق والإستمداد وبين غيرها إنما هو في حق العارف، والعارف غير محجر عليه كما هو مقرر.

: ƧDžƑqǁǁ üɛDƨǁɛ

هل على التجاني من منع إذا قصد إحياء ليالي رمضان بالذكر ولم يتيسر له وحده، ولم يجد من الإخوان ممن هم على طريقته من يستعين بهم على الإحياء، ومن عادة الهمم الفاترة أنها تأنس للنشاط باجتماع بعضها مع البعض، وكان بالقرب منه جماعة خلوتية يذكرون الله في كل أحايينهم، خصوصا ليالي رمضان، فيحيونها كلها، فيذهب إليهم ويذكر معهم كذكرهم، لا بقصد المدد، ولا بقصد التزام ما يذكرونه، وذكرهم إنما هو للأسماء السبعة، بل يقصد الذكر العام، ونيته وتعلقه بشيخه لا غير، بل لا يرى في الوجود مثل شيخه حتى يتعلق به أو يستعطفه في شيء من أمر دينه أو دنياه، وإذا كان ثم منع مع هذا التحفظ فما معنى قول الرماح : واعلم يا أخي أن من جملة اللين أنك إذا دخلت على جماعة يذكرون الله تعالى على طريقة المغاربة أو العجم أو الشناوية(40) أو الرفاعية(41) أو غيرهم، فالواجب أن تذكر كأحدهم في النغمة والصوت، ولا تخالفهم فتشوش عليهم، ولا تسكت فيفوتك أجر الذكر(42).

فالجواب والله الموفق للصواب : أن إحياء ليالي رمضان بمثل ما ذكرتم ليس عليه عمل الشيخ رضي الله عنه ولا عمل أصحابه، ولقد بلغنا عن سيدنا رضي الله عنه أنه أمر بسد الزاوية ليلة السابع والعشرين من رمضان، ونهى الإخوان عن عمارتها بالذكر(43)، كما بلغنا توبيخ الشيخ رضي الله عنه لبعض العلماء من أصحابه لما دخل لحلقة ذكر بعض الطرق،

---

(40) الطريقة الشناوية نسبة للشيخ أحمد بن علي بن عبد القدوس الشناوي، المتوفي بالمدينة المنورة عام 1028هـ، ومن مصنفاته : شرحه على الجواهر الخمس لȝو ɫ اŸ الطŪار، والإقليد الفريد في تجريد التوحيد، ورسالة في وحدة الوجود، وغير ذلك. أنظر ترجمته في الأعلام للزركلي ج 1 ص 181.

(41) الطريقة الرفاعية نسبة للشيخ أحمد بن علي بن يحيى الرفاعي الحسيني المتوفي عام 578هـ، أنظر ترجمته في الطبقات الكبرى لسيدي عبد الوهاب الشعراني ج 1 ص 140 رقم الترجمة 262 وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 174 وفي دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي ج 4 ص 266.

(42) أنظر رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم للعلامة الصالح سيدي الحاج عمر الفوتي ج 1 ص 167.

(43) أنظر كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 52.

حيث حظره وأخبره بأنه كان من الواجب عليه أن يخرج من صفهم(44).

وعليه فالمتعين هو عدم الدخول مع هؤلاء الذاكرين خشية صدور ما ينقطع به المريد عن طريقته المقيد بحبلها، كيف ما كانت هذه الطريقة، وما ذكره في الرماح لا عمل عليه بين خواص الأحباب(45)، ولا يوافقه عليه أحد فيه، وقد كان يقول بعض علماء الطريق : إن الرماح كل شيء فيها ماعدا الطريقة فليست فيها، لاشتمالها على أمور ليست من طريقتنا، وقد كان عزم بعض أعيان علماء الطريق اختصارها والوقوف مع المتعين في الطريقة من الفقه المنوط بها، فالحزم كل الحزم للمريد هو عدم الدخول في صف الذاكرين لغير أذكار طريقته من طرق الشيوخ قدس سرهم، ولا يعتمد على ما في الرماح مما نقلتموه عنها في هذا المقام، والذي ينبغي هو حمل ما في الرماح على من يدخل على جماعة من تلك الطرق، ويخشى أن يؤدي خروجه من صفهم في المحل الذي لا يسعه وحده دونهم إلى تغيير قلوب ومدابرة وعداوة، فهذا يتعين عليه أن لا يخرج ولا ينكمش انكماش المنقبض الغير الراضي بعملهم، فإن ذلك يؤدي إلى مثل ما ذكرناه، وذلك في ليالي رمضان وغيرها.

والأولى هو عدم الحضور معهم مادام يجد فسحة لعدم الحضور معهم، ولقد كان دأب الخاصة من المقدمين والأحباب في إحيائهم لليالي رمضان بصلاة التسبيح، فهي نعم الذخيرة بدلا عن سائر الأذكار والتراويح،

---

(44) إشارة لما ذكره العلامة سكيرج في كتابه كشف الحجاب، عند ترجمة الفقيه الحاج محمد بن الحاج عبد الرحمان برادة، ونص ذلك : ومن عجيب ما اتفق له أنه كان بمصر مارا ببعض طرقها، فرأى جماعة من بعض الطوائف في إحدى زواياهم، وهم مجتمعون في حضرة ذكرهم، فاستحسن ذلك، ودخل لموضعهم وجلس بين أظهرهم، ولم يكونوا تجانيين، فلم يشعر بنفسه حتى أخذته سنة. فرأى سيدنا رضي الله عنه وهو يقول له في معرض التوبيخ : ما هذا يا فلان مبارك سعيد الشيخ الجديد، فاستيقظ فزعا مرعوبا، وقام وخرج مسرعا، ولازال عاضا بنواجذه على حبل هذه الطريقة إلى أن توفي رحمه الله هـ ... أنظر كشف الحجاب ص 226.

(45) ذكر المقدم البركة سيدي محمد بن يحيى بلامينو الرباطي، قال : قال سيدي محمد العربي بن السائح رضي الله عنه : كتبت لصاحب الرماح رحمه الله ليوجه لي نسخة مصححة من كتاب الرماح، فلما وصل الرقاص وجده قد توفي، فمكن كتابنا من ولده، وبقي الرقاص مدة ينتظر الجواب، فلما طال به الأمر طلب من ولده الجواب، فقال له : اعلم يا سيدي أني لم أجد نسخة مصححة يرسل بها إليكم، يكون قد كتب عليها الشيخ أو صححها، ولو وجدتها لكنت وجهتها لكم، ثم قال سيدي محمد العربي بن السائح : فكتاب الرماح لم توجد منه نسخة صحيحة أصلا، وأما ما فيه من الأشياء المنكرة فقد دسها فيه على الشيخ أهل تمبكتو من الذين ينكرون علينا، غفر الله لنا ولهم، كما دس على السيوطي والحاتمي والشعراني أهل الإنكار والجحود، ثم استطرد قائلا رضي الله عنه : ولا معول عندنا في طريقنا على شيء مما هو في الرماح، لأنه كتاب مجموع فيه فوائد كثيرة، منها ماهو من الطريق، ومنها ما هو ليس منها، فلا يعتمد في الطريق على شيء منها أصلا لامتزاج الغث بالسمين فيه. أنظر كتابنا خلاصة المسائل الفقهية بذكر بعض مناقب مولانا العربي بن السائح، وانظر الدر الثمين من فوائد الأديب بلامينو الأمين، للعلامة الحاج أحمد سكيرج ص 13.

ثم لا يهمكم ما قلناه في الرماح مع جلالة مؤلفها رحمه الله، فإنه رضي الله عنه ملأها علما وفوائد، فكانت مجمع ذخائر مما هو من الطريق وما هو ليس منها، اقتضى جلبه فيها تتميق تصنيفها في ذلك المقوال البديع، فجزى الله مؤلفها خيرا وأعظم له أجرا، وقد أخبرناكم بما بلغنا عنها، ولا علينا فيمن انتقد ذلك، إن كان لديه ما ينقض به ما أبرمناه(46)، وذكرناه عمن عنه تلقيناه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

ƧɹƒƨǁƐ ǚƐÐƨǁƐ :

ما حكم الله في المصيبة العامة، والبلية الطامة، من اقتحام الناس للبس البرنيطة(47) على اختلاف أنواعها، وأكبر داع لهم في ذلك حب التشبه بالكفرة اللئام، إلا أن بعضهم يدعي جدلا أنما يلبسها لوقاية الشمس، ولكن نجده يلبسها في غير أوقات الشمس، وبعضهم يذهب بها إلى الجامع إلى آخره.

الجواب عن هذا أنه ينظر أولا إلى مذهب اللابس لها والحكم المقرر فيه، أما التشبه بالكفرة فهو مذموم عند الأئمة الأربعة وغيرهم، ولم يبق إلا حكم لباسها ضرورة، فينبغي اتباع قول إمامه واختلاف علماء فروع مذهبه، ونحن في مذهبنا المالكي لباس البرنيطة حرام لا يؤدي إلى الكفر، وكذلك ما شاكلها مما هو من زي الكفار، إلا ما كان علامة على الكفر كعقد زنار، فهو علامة على ردة صاحبه، والحضور معهم في كنائسهم للصلاة معهم لا بقصد التفرج، وعلى كل حال فلابس البرنيطة لا لضرورة شرعية آتم عاص، وإن للعب بها في مرسح لهو، فأحرى إن تشبه في لباسها بالكفرة، فهذا إلى الكفر أقرب، واعتبر أمره إذ لبسها ودخل إلى بلدة إسلام لا يعرفونه، فإنهم يعتقدون فيه أنه كافر، ولو أظهر لهم أنه مسلم فإنهم لا يصدقونه، وإذا لبس الكافر ثياب مسلم ودخل لبلدة الكفر فمن لا يعرفونه فإنهم يعتقدون فيه أنه مسلم فيعاملونه بزيه كما يعامله الأولون، ومن تشبه بقوم فهو منهم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

أما ما طلبتم منا من الدعاء لكم فنسأل الله تعالى أن يحفظ علينا إيماننا ويرزقنا وإياكم العافية في الدارين، ويحشرنا في زمرة سيد الثقلين، ويكون لنا بما كان به لخاصة أصفيائه، ويؤيدنا في جميع الحركات والسكنات، وأن لا يحرمنا من النظر إلى وجهه الكريم، وفي الختام أرفع سلامي إلى سائر الإخوان بطرفكم خصوصا العارف بالله مدثر إبراهيم، والشيخ العيد محمد، والشيخ الطيب، والشيخ محمد البشير، وكل من هو منكم وإليكم، ونحن على العهد نرعى الذمام(48)، فدوموا على العهد والسلام في التاريخ صدره، حرره خديم الحضرة المحمدية التجانية عن عجل، عبد ربه أحمد سكيرج أمنه الله في 8 ذي القعدة الحرام عام 1350هـ.

---

(46) أبرمناه : بمعنى أحكمناه.
(47) البرنيطة : لباس للرأس.
(48) الذمام : مفرد أذمة وهي الحقوق والحرمة.

الإغتباط بالجواب عن الأسئلة الواردة علينا من الأغواط(1)

تأليف العلامة القاضي الحاج أحمد سكيرج

تحقيق ذ. محمد الراضي كنون

(1) مدينة وواحة جنوب بلاد الجزائر، على ضفة وادي مزي، احتلها الفرنسيون عام 1852م، بعد مقاومة باسلة من أهلها، وظلوا بها إلى أن نالت بلاد الجزائر استقلالها عام 1962م.

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على الفاتح الخاتم وآله وصحبه وسلم.

نحمد الله على ما خص به وعم، مما به على عباده أنعم، بواسطة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين. أما بعد فإنه قد ألقي إلي كتاب من المحب الأمجد السيد علال بن أحمد التجاني الكتبي بالأغواط، زاد الله في معناه، وبلغه في الدارين متمناه، ملتمسا منا الجواب عن اثني عشر سؤالا، مع ما ألحقه بذلك، مؤكدا علينا في الجواب عما هنالك، فلم أجد بدا من إجابته جبرا لخاطره فيما شرفنا به بمكاتبته. وقد اعتدت من نفسي الجواب عن كل كتاب وصلني ممن أعرف وممن لا أعرف، ولا سيما من عرفت عنوانه، فإن جوابه متأكد علي، وقد قيل :

إذا وصل الأحبة من أحبوا فما صلة بأفضل من كتاب

وإني أشكر هذا المحب على حسن تعرفه إلي، وما تفضل به من الثناء الجميل علي، فنظر محاسنه في مرآتي، والمؤمن مرآة أخيه في الماضي والحال والآتي. فوصفني بما يستحق أن يوصف به. وشكر العبد في طيه شكر مولاه، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، جعلني الله وإياه من الشاكرين، وجعل لنا لسان ذكر في الآخرين.

عسى عناية لطف الله تلحقني بالسابقين فقد عوقت من كسل

ولقد نظرت إلى هذه الأسئلة التي طرحها بين يدي، واقترح فيها الجواب علي، فإذا بها وضاحة الجبين، لا يحتاج في تحرير الجواب عنها إلى مشقة بين ذوي الحق المبين، فأمليت من غير تأنق في الخطاب، على كل سؤال ما ينوط به من جواب، وأرجو من المولى جل إسمه أن أكون في ذلك مصادفا للصواب، وأن يجزل لنا الثواب بشمول النفع بما انطوى عليه هذا الكتاب، وسميته بالإنبساط بالجواب عن الأسئلة الواردة علينا من الأغواط. وعسى أن يكون من التآليف المقبولة، التي هي بحول الله بحبل الإعتصام به موصولة، وها أنا ذا أذكرها متتابعة فأقول :

السؤال الأول :

ما هي كتب أصول الطريقة التجانية الصحيحة المعتمدة ؟

الجواب : لا يخفى على الممارسين لمؤلفات المتقدمين والمتأخرين، وعلى سائر العارفين أن كل كلام فيه المردود والمقبول إلا كلام الرسول (ﷺ). ولا يخلو كتاب من خطإ، لأن القلم غير مرفوع عنه، ولو بلغ ما بلغ من الصحة لفظا ومعنى، حاشا المصحف الكريم. وأما غيره من المؤلفات فهو كما ذكرنا. وغالب كتب التصوف عند غير أهل الإعتقاد فسيحة المجال في الإنتقاد. بل حتى أن كتب السير

لا تخلو مما تتوجه إليه الأنظار، من المعتقدين فضلا عن ذوي الإنكار. وقد قال العلامة العراقي(2) في ألفيته :

وليعلم الطالب أن السيرا   تجمع ما صح وما قد أنكرا

وإذا تقرر هذا صح أن نقول أن جميع الكتب المؤلفة في الطريقة التجانية قد اشتملت على ما انبنت عليه هذه الطريقة مما هو صحيح معتمد عليه فيها، وإن كان في بعضها أو في طي صفحات المؤلف منها قيد حياة الشيخ التجاني رضي الله عنه وبعدها ما قيد بعد إطلاقه، أو إطلاق بعد تقييده، كمنع المريد التجاني من زيارة الأولياء مع كون زيارتهم لم تكن ممنوعة قيد حياة مؤلف جواهر المعاني الذي هو المعتمد في هذه الطريقة في العمل بما انطوى عليه. وقد قال في حقه النبي (ﷺ) للشيخ رضي الله عنه : كتابي هو وأنا ألفته(3). يعني أنه كتاب منسوب إليه، وبأمره ألفه مؤلفه، فلا يضر أن يكون منسوجا على منوال كتاب المقصد الأحمد، لأن ما ألف بإذن خاص على منوال خاص لا كلام فيه للخواص فضلا عن غيرهم.

وقال في حقه النبي (ﷺ) أيضا بعد أمره له بجمعه : تحفظ عليه لينتفع به من بعدك من الأولياء بحفظه(4). ولربما قال هنا بعض المنتقدين أن كتاب جواهر المعاني لا ينبغي الإعتماد عليه لكونه مأخوذا من المقصد الأحمد(5) المشار له. فنقول المعتمد فيه على مقالات الشيخ رضي الله عنه ورسائله ووصاياه وفتاويه، وليس شيء من ذلك في كتاب المقصد الأحمد. والأمر سهل في

---

(2) الحافظ عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمان العراقي، من أكابر علماء الحديث، ولد برازنان من أعمال إربل عام 725هـ، وانتقل صغيرا إلى مصر، وبها تعلم وقرأ، وكانت وفاته بالقاهرة عام 806 هـ، وهو صاحب الألفية المشهورة في مصطلح الحديث، ومؤلفاته كثيرة منها : المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، وهو في تخريج أحاديث الإحياء. ومنها تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد، ومنها التقييد والإيضاح، وهو في مصطلح الحديث، وغير ذلك من المصنفات الكثيرة، انظر ترجمته في الضوء اللامع للسخاوي ج 4 ص 171، وفي غاية النهاية لابن الجزري ج 1 ص 382، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 344، وفي معجم المطبوعات لسركيس 1317، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 814 رقم الترجمة 458.

(3) أنظر بغية المستفيد لسيدي محمد العربي بن السائح ص 183، وفي كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 71.

(4) أنظر جواهر المعاني وبلوغ الأماني للعارف بالله سيدي الحاج علي حرازم برادة ج 1 ص 53.

(5) المقصد الأحمد في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد، من تأليف العلامة سيدي عبد السلام بن الطيب بن محمد القادري الحسني المتوفي بفاس في 13 ربيع الأول عام 1110هـ وهو كتاب في مناقب وكرامات الشيخ الشهير أبي العباس سيدي أحمد بن عبد الله المتوفي بفاس ضحوة يوم الإثنين 3 جمادى الثانية سنة 1120هـ ودفن بقبة والده سيدي عبد الله معن خارج باب الفتوح، وكان عمره عند وفاته 78 سنة، وهو من ذرية يعقوب المنصور الموحدي، الخليفة الشهير الذي حكم بلاد المغرب العربي الكبير أواسط القرن السادس الهجري. أنظر ترجمة العلامة القادري مؤلف هذا الكتاب في شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص 328 رقم الترجمة 1283 وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 5، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 774 رقم الترجمة 422، وفي اليواقيت الثمينة لمحفوظ الأزهري ص 202، وفي معجم المطبوعات لسركيس 1967، وفي النبوغ المغربي لعبد الله كنون ج 1 ص 293.

كونه منسوجا على منواله في جل أبوابه وفصوله. وإن وافقه في بعض معقوله ومنقوله. في حسن الصنيع، والنسق البديع(6) مع ما خص به من النظرة على ما هو عليه من كونه منسوجا على منوال المقصد الأحمد. على أن أصول الطريقة غير مجهولة لدى سائر المقدمين. وهي مقررة لدى كل المريدين، لأنهم عرفوها بالتلقي عن المقدمين بالتلقين، فيما عليه المدار فيها بيقين دون تخمين. ولا يحتاج فيها إلى تأليف، وإنما التآليف ألفت لاستنهاض الهمم للتقييد بحبال الطريقة لمن وفق إليها.

فإن سائق السعادة يسوق إلى هذه الطريقة أهلها، والصارف الإلهي يصرف عنها من ليس منها. وهكذا الشأن في غيرها من سائر الطرق في الكتب المؤلفة فيها، وفي مناقب الشيوخ رضي الله عنهم، ولما كان كتاب جواهر المعاني بالمثابة التي هو بها من التنويه به بما نقل عن الشيخ رضي الله عنه. وقد ألف قيد حياته وطالعه، وأجاز رضي الله عنه مؤلفه فيه بما كتبه عليه، كما هو محفوظ لدينا، كان أصح كتاب يعتمد عليه بتقييد إطلاقه وإطلاق تقييده، طبق ما هو محفوظ عند علماء الطريقة(7) حسبما هو معروف لدى سائر الإخوان من مقدمين ومريدين عالمين وجاهلين. وقد سبقت له النظرة الإختصاصية بما فاق به غيره.

وإذا تبين أن المؤلفات في هذه الطريقة متعددة، وجلها إن لم نقل كلها مشتملة على أصولها المعتبرة طبق ما قلناه، لم يبق كلام إلا فيما ينبغي أن يكون مقدما على غيره في موضوعه، في إجادة الصنع وصدق النقل. وذلك مما يكون حجة للمريد في فقه الطريقة مثل جواهر المعاني، ونظم المنية، وشرحها المسمى بالبغية(8) وما نسج عن منوال ذلك مما لا ينبغي أن نشكر نفسنا عليه في تأليفنا :

---

(6) توسع العلامة سكيرج في هذا الموضوع في كتابه تيجان الغواني في شرح جواهر المعاني، فلينظره من أراد الإحاطة به.

(7) قال العلامة سيدي محمد بن أحمد التريكي، في تقييده المسمى بالجوهر اللائح في ترجمة أبي المواهب سيدي العربي بن السائح : سمعته منه رحمه الله أنه تذاكر مع العلامة ابن بابا التجاني، ناظم المنية، في شأن جواهر المعاني وجامع ابن المشري، فذكر له ناظم المنية أنه يقدم ويرجح كلام ابن المشري لمكان علمه على ما في الجواهر، لأن صاحب الجواهر كان أميا، فاغتاظ سيدي العربي رحمه الله لذلك، فرأى سيدي العربي في المنام كأن سيدنا الشيخ رضي الله عنه جالس مع جماعة، وبيده الجواهر يحض عليه، حتى ذكر أن من استطاع أن ينام ولو على قراءة سطر منه فليفعل، وقال : عليكم بهذا الكتاب، ورأى ناظم المنية رحمه الله كأن صاحب الجواهر ينبهه بقوله له : أنت تقول في كتابي كلمة فاسدة، ورأى صاحب الجواهر عليه سلهام، وهو طويل اللحية، مربوع القد للطول، قال سيدي العربي : فلما تلاقينا بعد المنافرة تبسم الناظم وتذاكرنا ما رأينا، قال سيدي العربي : فلذلك قال حين نظم المنية :

عليكم معشر الأحباب ما عشتم الدهر بذا الكتاب

(8) بغية المستفيد لشرح منية المريد من تأليف العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح الشرقاوي العمري المتوفي برباط الفتح في الساعة العاشرة من ليلة الأحد 27 رجب الفرد الحرام عام 1309هـ، أما نظم منية المريد فهو رجز في فقه الطريقة الأحمدية التجانية لصاحبه الفقيه العلامة الأديب سيدي أحمد التجاني ابن بابا العلوي، المتوفي بالمدينة المنورة عام 1266هـ ودفن بالبقيع. أنظر ترجمة العلامة التجاني ابن بابا في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 60، وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلوي رقم الترجمة 33 وفي بغية المستفيد لسيدي محمد العربي بن السائح ص 98، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 103، وفي الوسيط لأحمد بن الأمين الشنجيطي ص 69 وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 398 رقم الترجمة 1592.

الكوكب الوهاج في شرح درة التاج وعجالة المحتاج، فقد اشتمل بحمد الله على تلك الأصول وزيادة في كمال إفادة، فليراجع ذلك من أرده.

السؤال الثاني :

ما هي الكتب التي ألفت في هذه الطريقة وهي كلها أو جلها كذب وزور وبهتان ؟

الجواب : أن الكتب التي لا عمل عليها عندنا في الطريقة هي التي لم يعرف مؤلفها، وذكر فيها ما يخالف النقل، ولا يقبله العقل، وقد يوجد منها ما مزج فيه الحق بالباطل، مما يكون صادرا عن نية فاسدة من مريد جاهل، أو مبغض متنكر في صورة المريد الصادق فيما هو له ناقل، ومقصوده دس المنكر في المعروف، لتقوم قيامة النكير على الشيخ التجاني رضي الله عنه وطريقته وأهلها، كما صدر ذلك في بعض المشاهد المنسوبة للشيخ قدس سره، وقد نسجها من نسجها على منوال المشاهد الموسومة بالكنز المطلسم(9)، التي حررها الخليفة المكرم، سيدي الحاج علي حرازم برادة مؤلف جواهر المعاني، فقد اشتملت على أمور يتحقق باختلاقها المعتقدون في أهل الله، كانوا من أهل هذه الطريقة أو كانوا من غيرها، لأن مقام الشيخ رضي الله عنه يقضي ببراءته مما ينسبه إليه المبطلون.

وقد بسطت القول في هذا الموضوع في تأليفنا المسمى : جناية المنتسب، فيما نسبه للشيخ التجاني من الكذب(10)، وإن كان جل تلك المشاهد غير مكذوب، ولكن الثقة بها مفقودة، فإني قد عثرت على النسخة التي هي بخط مؤلفها رحمة الله عليه، وقد فرقها أوراقا الأخ العارف بالله سيدي محمد العبدلاوي(11) رحمه الله، وابن أخته الذاكر الناسك السيد أحمد بن السائح العسافي، وأطلعني شيخنا العارف بالله السمي السامي سيدي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه على نسخة منها، وأتحفني بها، وقد خرجت عن ملكي إتحافا منا لمن استحقها بإحسانه وصدق محبته، محل الأخ

---

(9) الكنز المطلسم في حقيقة سر اسمه الأعظم : هي عبارة عن مشاهد نبوية تقارب مائة مشهد، جمعها مشاهدها الواسطة الأعظم، الخليفة الأكرم، أبو الحسن سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي رضي الله تعالى عنه، على نسق بديع، وترتيب ذوقي رفيع، وقد شاع اليوم بين الإخوان نسخ كثيرة منها، وللأسف فقد نسج الأعداء والمبغضون على منوالها مشاهد أخرى من باب الوضع والكذب، ونسبوها للخليفة المذكور زورا وبهتانا، لكن هذا لا يمنع من ثبوت صحة الكثير من المشاهد المعروفة والمضبوطة لدى الإخوان من أهل المعرفة والتحقيق.

(10) جناية المنتسب العاني، فيما نسبه بالكذب للشيخ التجاني، من تأليف العلامة الحاج أحمد سكيرج رحمه الله، طبع بدار الطباعة الحديثة بمصر في شهر شعبان سنة 1389هـ.

(11) سبق التعريف به في هذا المؤلف ج 1 ص 47.

المرحوم المولى عبد الحفيظ(12) سلطان المغرب سابقا، القائل من قصيدة في مخاطبة سيدنا الشيخ رضي الله عنه :

وإني وإن كنت المسيء الذي اعتدى وحارب جهرا ها أنا اليوم طائع(13)

ومن المؤلفات المفتراة في الطريقة التجانية تويلف سماه صاحبه يعسوب السر الرباني في مناقب الشيخ التجاني(14) وقد تكلم فيه بلسان أمي لا يفقه شيئا سوى ما يفهم من عبارته الدارجة المنطوية على أمور طامة، ومناقب تمجها الأسماع ولا تقبلها الخاصة والعامة، مما يبرهن على طمس بصيرة مؤلفه، وقد أخبرنا محبنا الذاكر الناسك ابن السائح المتقدم الذكر أنه أطلع على نسخة منه مولانا محمد البشير حفيد سيدنا رضي الله عنه، فأمره بحرقه، وتبرأ ممن اطلع عليه ولم يحرقه، وقد أشرت له في تأليفنا رفع النقاب في ترجمة السيد عبد الباقي، وفي تأليفنا جناية المنتسب وبينا ما فيه من الخطأ(15)، والخطب في ذلك غير سهل على من حل بيده وصدق ما فيه، أو عرضه على المعترضين على المناقب الصحيحة فضلا عن الزائفة.

ومن تلك المؤلفات المكذوبة ما طبعه في الأعوام الماضية صهر سيدنا محمود حفيد الشيخ التجاني رضي الله عنه محبنا السيد الحاج محمد دادي(16) وسماه : الكنز المدفون، وفيه بعض المطالب المنسوبة للشيخ رضي الله عنه بعبارة عامية أمية لا نسبة بينها وبين لسان الشيخ رضي الله عنه، مع ما انطوت عليه من أرقام الأعداد، وركاكة اللفظ، وتفاقم المعاني المضطربة، مما لا طائل تحته، ولا فائدة يضيع المريد في التحصيل عليها وقته. فمثل هذه المؤلفات الفارغة من الحقائق، المفروغة في قالب الترهات التي لا نفع فيها للمريد الصادق، ولا ينبغي له أن يلتفت إليها ولا أن يستند عليها، ويكفيه الإعتماد على تلقيه الطريقة عن المقدمين بالإذن الصحيح، وليس بملزوم باعتقاد صحة

---

(12) سبق التعريف به في ج 1 ص 126 من هذا التأليف. وقد كان في فترة من عمره ينكر على الطريقة التجانية، وألف في ذلك كتابا سماه : كشف القناع، عن اعتقاد طوائف الابتداع، المتقولين الذين حادوا عن منهاج السنة، وأحدثوا اعتقادات لم ترد عمن شرع الدين والسنة. طبع بفاس عام 1327 هـ-1909م لكنه رجع عن ذلك وتبرأ منه، وتمسك بالطريقة الأحمدية التجانية. وألف في حقها مؤلفات قيمة، منها ما هو مطبوع، كالجامعة العرفانية، في شروط وجل فضائل أهل الطريقة التجانية، وله رحمه الله قصائد كثيرة في مدح شيخ الطريقة أبي العباس سيدي أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه، منها قصيدة عينية قال في مطلعها :

أما هل يلذ النوم والربع شاسـع وهل من لقاء الحب يغني التواضـــع

ومنها قصيدة بائية قال في مطلعها :

تيممت ربع الفضل من غير جانبه لأنظر خلا أحكمتنـــــي جـوانبـه

ومنها قصيدة طائية قال في مطلعها :

دع اللوم إن اللوم هجنة من غلط ومن كان ذا عقل بذي اللهو ما اختـــلط

(13) أنظر القصيدة بتمامها في رفع النقاب بعد كشف الحجاب للعلامة سكيرج ج 2 ص 5.

(14) يعسوب السر الرباني في مناقب القطب التجاني، كتاب دون المستوى بكثير، جمعه مؤلفه بعبارة عامية تدل على جهله الكبير بشؤون الطريق، فضلا على التأليف فيها، وصاحبه رجل أمي لا معرفة له بأساليب التعبير السليم، ولي نسخة من هذا الكتاب أحتفظ بها، وهي في غاية ما يكون من الركاكة والملل، بقطع النظر عما تحتويه من التقولات والترهات الفارغة.

(15) أنظر رفع النقاب للعلامة سكيرج ج 4 وانظر جناية المنتسب العاني لنفس المؤلف ج 2 ص 64.

(16) الفقيه الأديب التاجر سيدي محمد دادي صهر سيدي محمود حفيد سيدنا رضي الله عنه، وهو صاحبه ورفيقه في الجولة الميمونة التي قام بها لبلاد المغرب الأقصى سنة 1329هـ، أنظر ص 131 من الجزء الأول من هذا المؤلف، وانظر غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود للعلامة سكيرج ضمن هذا المجموع ج 2 ص 29-186.

الإذن له في أذكاره اللازمة وغير اللازمة من سائر ما اشتملت عليه كتب هذه الطريقة ولا غيرها، فإن الطريقة شيء والمؤلفات فيها شيء، ولكن حسن الظن فيما انطوت عليه من شيم أهل التسليم لأهل الله، فيما ثبت عنهم ولو فوق ما لا تتكيفه العقول، مما عنهم منقول، والله الموفق.

السؤال الثالث :

ما هي قواعد وأصول وآداب الطريقة التجانية وشروطها الأساسية الصحية والكمالية ؟

الجواب : إن الطريقة التجانية من أجل الطرق المؤسسة على تقوى من الله ورضوان، عمودها الإيمان المشيد عليه قواعد الإسلام، ولا خروج فيها عن الشريعة المحمدية في شيء، غير مقيدة باتباع مذهب خاص من المذاهب، لكون سائر الأئمة في الفروع على هدى من ربهم، فالمريد المالكي أو الشافعي وغيرهما لا يشترط عليه الإنتقال من مذهبه لمذهب الشيخ رضي الله عنه الذي كان متقلدا به، ولا مخالفة فيها لعقائد أهل السنة والجماعة.

ومن لم يكن في سيره متمسكا   بهذا الذي قلنا فليس بتجاني

فقواعد هذه الطريقة التجانية من قواعد الدين الإسلامي، وليس فيها شيء زائد على ما شرعه المشرع عليه السلام فيها، وكل من نسب لها ما ليس بمشروع فهو على خطأ في الفهم، أو متعمد للإضلال بعلم أو بغير علم، سواء كان متمسكا بحبلها، أو ممن حرمهم الحق من فضلها، أو كان من غير أهلها.

وهذا سبيل واضح لمن اهتدى   ولا عبرة بالمعتدي المتعصب

وأما أصولها فجميعها مأخوذة من الكتاب والسنة بما خوطب به كل مكلف من أصول الدين وفروعه من عقائد وفرائض ونوافل، وغير ذلك مما هو مشروع من منقول ومسموع، وأول ما هو مؤكد فيه على مريديها القيام بأداء الواجبات على أتم وجه، واجتناب المنكرات بقدر الطاقة والوسع، وحب أهل الله الأحياء منهم والأموات على اختلاف مشاربهم، والتسليم لأحوالهم، وفي مقدمتهم من له عليهم أبوة طينية أو دينية، وأمومة وأخوة في الله، وحب الشيخ، ومن لهم عليه ولادة، ومقدمي طريقته وأصحابه وإخوانه.

وأما آدابها فيدخل تحت العمل بمقتضاها ما تقدم مع الإشتغال بما يعني والتخلق بمكارم الآخلاق، ومعاملة الناس بما يحب أن يعاملوه به، والأخذ بجبر خواطرهم، والإحسان إلى إخوانهم بما أمكنه مما يدخل السرور عليهم، والتباعد عن كل ما يؤذيهم،

فقد قال النبي (ﷺ) للشيخ رضي الله عنه : قل لأصحابك لا يؤذي بعضهم بعضا فإنه يؤذيني ما يؤذيهم(17). وهناك آداب منوطة بالأوراد اللازمة من ورد ووظيفة وذكر الهيللة عشية كل يوم جمعة، وأما شروطها الأساسية فهي التزام ذكر الورد صباحا ومساء، وذكر الوظيفة مرة في اليوم أو مرتين، وذكر الهيللة بعد صلاة عصر يوم الجمعة في عدد خاص للمنفرد، وبغير حصر في عدد في الجماعة المتصل ذكرهم للغروب.

ولهذه الأذكار الثلاثة شروط صحة وشروط كمال، وقد بسط القول فيها صاحب الرماح والبغية وغيرهما ممن ألف في فقه هذه الطريقة، وقد أطلنا النفس في ذلك في تأليفنا الكوكب الوهاج في شرح درة التاج وغيره مما نرجو من الله أن ينفع به جامعه ومطالعه، وليس فيما أوجبه الشيوخ على مريديهم أو ما شرطوه عليهم خروج عن الأمر المشروع، أو معارضة الشرع في هذا الموضوع، خلافا لمن حبب إليهم الإنتقاد على أهل الله بما لا يسمن ولا يغني من جوع، وما علينا إلا أن نعمل في طريقتنا التجانية المحمدية على ما لا يخالف الشريعة ولا يهتك حرمتها، ولا علينا في المنتقدين ولو ادعوا أنهم من أنصار الدين، والله يعلم المفسد من المصلح، وليس في إنكار العالم أو الجاهل على أهل الحق حط من قدرهم عند الله، وهم على هدى من الله، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله طبق ما أخبر الله، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

السؤال الرابع :

ما هو كتاب الشيخ المعبر عنه بالكناش، هل هو الجواهر أم الجامع ؟(18) وما هي تآليف الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه ؟ وهل له تآليف فيما يتعلق بمفسدات العقول والأجسام من المسكرات والمخدارت والمفترات والملهيات وغيرها، كالنبيد والخمر والميسر والبنج والسكر والقهوة والحشيشة والدخان وجوزة الطيب والزعفران والأفيون وما أشبه ذلك ؟ ثم قال عن حكم هذه المذكورات كلها أنها حرام ولا يجوز استعمالها بحال، وقد زعم بعض الفقهاء من أولاد سيدي نايل أنه وجد رسالة لطيفة في ذلك بخط الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه هل ذلك صحيح أم لا ؟

---

(17) أنظر بغية المستفيد لأبي المواهب السائحي ص 281.

(18) الجامع لما افترق من درر العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم، من تأليف ولي الله تعالى العلامة سيدي محمد بن المشري السباعي، وهو في جزءين ضخمين من الحجم الكبير، ويعتبر هذا الكتاب بالإضافة لجواهر المعاني من أصح كتب الطريقة التجانية وأكثرها رواجا بين الإخوان، وكانت وفاة مؤلفه قيد حياة الشيخ التجاني رضي الله تعالى عنه عام 1224هـ وله مؤلفات أخرى غيرها منها: روض المحب الفاني، ونصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء، وشرح على الصلوات الدمراوية، وغير ذلك من الرسائل والفتاوي والتقاييد. وفي حقه ألف العلامة المقدم سيدي محمود بن المطمطية كتابا سماه : المطلع البدري في التعريف بابن المشري، أنظر ترجمته في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 25، وفي بغية المستفيد لأبي المواهب السائحي ص 256. وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلوي الشنجيطي رقم الترجمة 11، وفي كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 149، وفي رفع النقاب لنفس المؤلف ج 3 ص 191، وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية للفقيه الحجوجي ج 1، وفي نخبة الإتحاف لنفس المؤلف رقم الترجمة 168.

الجواب : اعلم أن الشيخ رضي الله عنه لم يؤلف بنفسه تأليفا في موضوع خاص، وإنما له رسائل وأجوبة بحسب المسائل التي تعرض له في إرشاد الناس ونصحهم وإفادتهم، وتقييد بعض مطالبه للتذكرة والتبصرة، ونحو هذا مما إذا جمع كان مؤلفا في مجلدات، وقد تفرق جل ذلك بين أصحاب الشيخ رضي الله عنه قيد حياته وبعدها، وقد جمع سيدنا محمد الحبيب بن سيدنا رضي الله عنه ما عثر عليه من ذلك في خزانة وقف عليها شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه بعد وفاة مولانا الحبيب المذكور بزاوية عين ماضي، مع من أذنتهم بفتحها مولاتنا رقية بنت مولانا الكبير(19) بن الشيخ رضي الله عنه، حيث كان لها العلم بها، وهي الكبيرة في الدار الشريفة هناك في ذلك الحين، ولما فتحوها وجدوا هناك في طالعة تلك المخطوطات بطاقة بخط مولانا الحبيب المذكور يقول فيها ما معناه : ليعلم الواقف على هذه الخزانة أنها قد انطوت على أوراق بخط الشيخ رضي الله عنه، والخليفة المكرم سيدي الحاج علي برادة، والواسطة المعظم سيدي محمد بن العربي الدمراوي، وإياكم أن يطلع عليها الفقهاء فيهلكوا، وهي هنا مستودعة إلى أن يحوزها المنتظر، وقد تعرضت إلى هذه القضية في تأليفنا كشف الحجاب، مع بسط القول فيها طبق ما سمعته من شيخنا المذكور(20)، وقد بلغني عن مفيدنا العلامة السيد عبد السلام بن محمد بناني(21) أنه لما ذهب لعين ماضي وجد بعض الحكام هناك يبحثون عن هذه الخزانة وعن الكناشين المكتومين، ولم يتمكن من تحويل نظرهم عن زيادة البحث عن ذلك إلا باطلاعهم على نسخة جواهر المعاني التي هي بخط سيدي علي حرازم برادة، والجامع للعلامة ابن المشري، وقال لهم : هذان هما الكناشان المكتومان. وقد بلغني عنه أنه لما رجع لفاس أطلق لسانه في تأليفنا كشف الحجاب المشار له، ويقول سبب بحث الحكام على الخزانة المذكورة هو وقوفهم على ما ذكرته فيه عن شيخنا العبدلاوي المذكور، ونحن لم نتأثر لإطلاق عنان لسانه في ذلك، لأننا إنما أخبرنا بما سمعناه(22)، ولاشك أن الأسرار تدافع عن نفسها، ورب البيت يحميه.

---

(19) سيدي محمد الكبير بن الشيخ أبي العباس سيدي أحمد بن محمد التجاني، ولد بأبي سمغون، ببلاد الجزائر، وقد أخذ الطريقة التجانية عن والده مباشرة، وكان القطب سيدي الحاج علي التماسيني رحمه الله ملازما لخدمته بنفسه، ولما ظهرت على سيدي محمد الكبير أمارات الفتح والتصرف الواسع، لجأ القطب سيدي الحاج علي مخافة على نفسه لبلاد تماسين، وأوصى بعض الخاصة من أهل عين ماضي لخدمته والعناية به نيابة عنه، وتوفي سيدي محمد الكبير التجاني رضي الله عنه شهيدا، مع أكثر من ثلاثمائة رجل من أصحابه ومساعديه، وذلك في معركة حامية الوطيس قرب مدينة أم عسكر بالقطر الجزائري، وكانت هذه الواقعة بينه وبين جيش الباي التركي، حاكم بلاد الجزائر وقتذاك، وبها استشهد رحمه الله ورضي عنه عام 1238هـ، ولم يخلف ذكورا، وقد رثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

علام تبكي وتستبكي دموع دم والصبر أجمل عند كل مصطدم

أنظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 55، وفي رفع النقاب لنفس المؤلف ج 3 ص 6. وفي هذا المجموع كذلك ج 2 ص 315.

(20) أنظر كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب لمؤلفه العلامة العارف بالله الحاج أحمد سكيرج ص 202.

(21) من الفقهاء الذين أخذ عنهم العلامة سكيرج، أنظر ترجمته في قدم الرسوخ لما لمؤلفه من الشيوخ رقم الترجمة 49 وفي فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 158 وقد سبق التعريف به في ج 1 ص 42 من هذا التأليف.

(22) أنظر قدم الرسوخ للعلامة سكيرج ترجمة سيدي عبد السلام بن محمد بناني رقم 49.

وما ذكره من كون جواهر المعاني والجامع هما الكناشان المكتومان هو الذي يقول به جماعة من المقدمين، وإنما كان يسميهما الشيخ بالمكتومين لأنه لا يحب أن يطلع عليهما غير أصحابه الصادقين، وعلى الأخص كتاب جواهر المعاني، حتى أنه أمر مؤلفه في بادئ الأمر أن يحرقه، ثم صدر الإذن له بتأليفه والمحافظة عليه إلى أن ينفع الله به الأولياء بعده(23)، وقد بشرني شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه بأنني ولله الحمد ممن ينتفع به، وقد أطلعته على طرف من نظمي لهذه الجواهر، فأمرني بأن لا أتمه مع شرحي لها المسمى بتيجان الغواني(24) في شرح كتاب جواهر المعاني، وحذرني من ذلك.

ولما وقف علي مقدمة هذا الشرح عالم الشرفاء، وشريف العلماء، سلطان المغرب سابقا، سيدنا ومولانا عبد الحفيظ(25) رضي الله عنه شطب على اسم تيجان الغواني، وكتب بخط يده ما سماه هو به : تيجان المعاني في شرح بلوغ الأماني(26)، وقد أحسن في ذلك حيث استنكف من ذكر الغواني، في هذا الجناب المحمدي التجاني، قدس الله سره. ولقد كان شيخنا العبدلاوي رضي الله عنه متغير الخاطر على من طبع كتاب جواهر المعاني المذكور، حيث انتشر بين العامة الذين لا يقدرون قدره، ويتسارع إلى الإنكار لما انطوى عليه من لم يشرح الله للتسليم لأهل الله صدره، فكان من نتائج خوض المبغضين لهذا الجناب الطعن في هذا الكتاب بأنه منتحل من المقصد الأحمد، فاتسع المجال للمنتقدين على مؤلفه والطعن في الطريقة بذلك، مع أن الخطب في إبرازه في حلة المقصد سهل، والمدار عندنا في الطريقة على ما انطوى عليه من مقالات الشيخ رضي الله عنه وفتاويه الخالي منها المقصد المشار له، فسقط في يد المنكرين، والله عليم بالمفسدين، طبق ما أشرنا إليه، وإذا علمت هذا تحقق لديك أن الشيخ رضي الله عنه كان له كتابان يعبر عنهما بالمكتومين لا كناش واحد، ولعلهما الكتابان المذكوران، وكنت أرى الكناشين المذكورين هما كناشان آخران قد عثرت عليهما بخط سيدي الحاج علي حرازم برادة(27) ونقلت منهما في تأليفنا كشف الحجاب وغيره بعض الفوائد، والذي

(23) أنظر جواهر المعاني وبلوغ الأماني للعارف بالله سيدي الحاج علي حرازم برادة ج 1 ص 53.

(24) تيجان الغواني في شرح جواهر المعاني، من تأليف العلامة سكيرج، صفحاته 112 صفحة، لكنه لم يتمه، فلم يشرح فيه ولو فصلا واحدا من كتاب الجواهر، واكتفى بذكر أهمية هذا الكتاب وفضله العظيم، ثم تعرض لترجمة مؤلفه العارف بالله سيدي الحاج علي حرازم رضي الله عنه، مع معالجة بعض المواضيع المتعلقة التي يثيرها المنكرون بقصد صرف الناس في اعتقادهم وإدخال الوسوسة فيهم، ويعد هذا التأليف من أهم تآليف العلامة سكيرج، وذلك لما يحتوي عليه من فرائد وفوائد ومعلومات قيمة.

(25) سبق التعريف به في هذا المؤلف ج 1 ص 126.

(26) وقفت بالخزانة السكيرجية على نسخة مخطوطة من هذا الكتاب، وعلى طرتها الأمامي كتب السلطان الأسبق مولانا عبد الحفيظ بقلم الرصاص ما نصه : تيجان المعاني، في جمع ما في الجامع وجواهر المعاني، مما أفاض من بحر الختم التجاني، سقانا الله من فيضه بأعظم الأواني.

(27) أبو الحسن سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي، أكبر تلامذة الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه، وهو مؤلف كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني، توفي قرب المدينة المنورة، ببدر موقع الغزوة الشهيرة، عام 1218هـ وبها دفن، أنظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 68 وفي رفع النقاب لنفس المؤلف ج 4 ص 118 وفي بغية المستفيد لأبي المواهب السائحي ص 255 وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلوي رقم الترجمة 5 وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية للعلامة الحجوجي ج 1، وفي فتح الملك العلام لنفس المؤلف، بتحقيقنا عليه، عند مقدمة الكتاب، وفي نخبة الإتحاف لنفس المؤلف رقم الترجمة 2.

أتحققه أن هذين الكناشين غير معروفين لأحد، ولعلهما من جملة الأوراق في الخزانة المشار لها، ولا يفتحها إلا المنتظر عليه السلام.

أما بعض التآليف المنسوبة للشيخ التجاني رضي الله عنه سوى كتاب جواهر المعاني فهي لغيره، مثل توسل التجاني فيمن قتل ولده وشرحه، وشرح أسماء الله الحسنى، والتأليف الذي استفهمتمونا عنه فيما يتعلق بمفسدات العقول، وقد كنت وقفت عليه مطبوعا، وليس ذلك من تأليفه قدس سره، وإن كان بعض أجوبته ووصاياه تضمنت أحكام بعض ذلك، فقد كان رضي الله عنه يحذر من استعمال تلك المفسدات التي ذكرتم(28). أما سكر القالب فقد تركه ولم يعد لشربه وقال فيه : شيء تركناه لله لا نعود فيه(29)، ولم يمنع أصحابه من شربه، ولم يقل بحرمة القهوة والزعفران، وقد حذر من الدخان والتبغ ولم يقل بانقطاع الإذن في طريقته باستعمال شيء من تلك المفسدات، وغاية الأمر عنده فيمن تعاطى شيئا منها أنه يجب عليه التوبة دون التجديد، مثل من صدرت منه معصية من المعاصي فإنه يتعين عليه تعجيل التوبة، ولا يقطعه استعمال ذلك عن الطريقة.

وما زعمه بعض الفقهاء من أولاد سيدي نايل من أنه وجد رسالة لطيفة في ذلك بخط الشيخ رضي الله عنه فلا يبعد ذلك، ولعلها هي التي عثرت عليها، وليست من تأليف الشيخ قطعا، وكونها بخط يده لا يدل على أنها من تصنيفه، لأن الشيخ رضي الله عنه في مبادئ أمره في طلب العلم كان يكتب بيده بعض الفوائد التي يقف عليها، وبعض التآليف التي يتوقف عليها ويستند إليها، فقد عثرنا على غيره بخط يده رضي الله عنه، وليس ذلك من تأليفه، ولا معنى لتكذيب من وقف على ذلك التأليف، إلا أنه على غلط في نسبة ذلك للشيخ رضي الله عنه، والله أعلم.

السؤال الخامس :

ما هو تاريخ آخر مرة جاء فيها سيدنا الشيخ رضي الله عنه من مدينة فاس إلى عين ماضي ثم إلى الأغواط ؟ ومن هم المبغضون بها بأسمائهم في ذلك التاريخ ؟ وهل هم من بني زيان فقط أم منهم ومن غيرهم ؟

الجواب : الذي نحفظه في آخر تنقلات الشيخ رضي الله عنه هو قدومه من الصحراء لفاس بتاريخ سادس ربيع الثاني عام ثلاث عشرة ومائتين وألف(30) ولم يرجع بنفسه إلى عين ماضي،

(28) للتوسع في هذا الموضوع أنظر طرق المتعة بالأجوبة عن الأسئلة الأربعة للعلامة سكيرج وهي من تآليفه الموجودة ضمن هذا المجموع أنظر ج 2 ص 247-296. وأنظر كشف الحجاب لنفس المؤلف ص 229.
(29) أنظر رفع النقاب بعد كشف الحجاب للعلامة سكيرج ج 2 ص 243.
(30) أنظر جواهر المعاني وبلوغ الأماني للعارف بالله سيدي الحاج علي حرازم ج 1 ص 52.

ولم نحفظ تاريخ رجوعه بنفسه إليها بعدما توفي بها الواسطة المعظم سيدي محمد بن العربي الدمراوي(31) عام 1204، وإنما كان يتردد إلى أبي سمغون والأغواط ما بين التاريخ المذكور وبين انتقاله لفاس، ولما ظهر أمره في تلك النواحي كان أصحاب الطرق يغارون منه، فكان أشد الناس إذاية له جماعة من أولاد سيدي الشيخ بين النبابلة والأحلاف، وأولاد صرغين، وأولاد زيان، وأولاد سيدي إبراهيم، وغيرهم ممن كان لهم الظهور في التلال والصحراء وغيرها، فكان يعاني منهم ما يعانيه كل فاضل محسود من حساده إلى أن استسلم جلهم إليه، وتاب غالبهم مما كان فيه يترامى عليه، ونحن لا نحب أن نجرح عاطفة محبيه بعدما حسنت نية أجدادهم فيه :

وذكر الجفا بعد الصفاء من الجفا	فلا ينبغي ذكر الجفا في ذوي الصفا
فإن قلوب النـــاس أدنـــى إذايـــة	تؤثر فيها جفـوة من ذوي الـجفـــا

وقد كان الشيخ رضي الله عنه يشق عليه مؤاخذة المبغضين بما وعدوا به في المبشرات التي يبشره فيها النبي (ﷺ) يقظة ومناما في حق محبيه ومبغضيه. ولقد وقفت على كثير من مطالبه رضي الله عنه بخط يده يطلب من النبي (ﷺ) المسامحة لمن آذوه من الناس، فأجابه بما أدخل السرور عليه في حق بعضهم ونفوذ الوعيد في آخرين منهم. وكان أمر الله قدرا مقدورا.

السؤال السادس :

ما سبب انتقاد واعتراض المنتقدين على سيدنا الشيخ ؟ ومن هم الذين قامت قيامتهم بالنكير عليه في عصره بفاس وغيره من أهل المغرب ثم رجعوا عن غيهم وضلالهم وتابوا إلى الله واعترفوا لأهله ؟

الجواب : قد تقدم لنا في الجواب قبله ما يكفي في الجواب عن هذا السؤال، ولزيادة الإيضاح نقول : من المعلوم أن كل ذي نعمة لا يخلو من حاسد عليها أو حساد، والحسد هو أصل كل عداوة وبغض وحقد ونحوها من أمراض القلوب. ولما كان الشيخ التجاني رضي الله عنه أنعم الله عليه بما أنعم من فضل وعلم وولاية وقبول، وإقبال أهل الفضل عليه بين العامة والخاصة، أضمر بعض من انطوت قلوبهم على حسده بغضا وحقدا وما ينتج على ذلك، وما منحه الله به هو سبب انتقاد المنتقدين عليه بفاس وغيرها، وقد جرت عادة الله في خلقه أن كل من جاءهم بما فيه نفعهم إلا وعادوه، كما قال

(31) سيدي محمد بن العربي الدمراوي التازي الطاهري، من أكبر خاصة الخاصة من أصحاب سيدنا رضي الله عنه، وهو صاحب الصلوات النبوية، المسماة بياقوتة المحتاج في الصلاة على صاحب المعراج، جمعها وألفها على الحروف الأبجدية، في مدة ثلاثة أيام فقط، وأخرجها للوجود بإذن من النبي (ﷺ)، حيث قال له : مر المؤمنين بقراءتها والحث عليها، فإنها ينتفع بها من شاء الله تعالى. وشرح هذه الصلوات العلامة العارف بربه مولاي الجامع سيدي محمد بن مشري، تحت عنوان السراج الوهاج لقراءة ثمرة ياقوتة المحتاج. توفي رضي الله عنه عام 1204هـ، وذلك شهيدا حيث قتله بعض حساده بقرية عين ماضي، أنظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 97 وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية للعلامة الحجوجي ج 1، وفي بغية المستفيد لأبي المواهب السائحي ص 255، وفي رفع النقاب للعلامة سكيرج ج 3 ص 160. وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محمد العلوي رقم الترجمة 3.

ورقة بن نوفل للنبي (ﷺ) : ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي(32). وقد قامت قيامتهم عليه ظلما وعدوانا، وتقولوا عليه زورا وبهتانا، فمنهم من لم يفهم مقاله فتسارع للإعتراض عليه، وهو فيما اعترضه على خطأ، ولم يذعن لقبول الحق إذا كشف له عنه الغطاء، ومنهم من قلد غيره فيما تقوله عليه المتقولون. فصار معهم في ضلالهم يعمهون. والشيخ بريء الساحة مما يقولون. ومنهم من لم يقبل عقله ما نسب له من فضل تفضل الحق عليه به، وحجر على الحق فضله، فلم يسلم كون الحق جعله أهلا له، فقام ينكر على ما صوره عقله مما تبدى له في صورة الباطل وهو حق، وجعل الحق في حيز الباطل، وإنكاره إنما هو على ما صورته مخيلته عند المحق. أما الذين رجعوا عن غيهم واعترفوا بفضل الشيخ رضي الله عنه من أهل فاس فكثير ممن كان لهم الظهور من علماء عصره، طبق ما تعرضنا لهم في تأليفنا : كشف الحجاب عمن أخذ عن الشيخ التجاني من الأصحاب(33). ومن أراد الإطلاع على تراجمهم فليراجعه ففيه كفاية.

السؤال السابع :

ما حقيقة خاتم الولاية العامة والخاصة ؟

الجواب : اعلم أن أهل الله العارفين به لهم اصطلاح خاص بهم فيما يخوضون فيه من المعارف ويرتقون فيه من المراتب، على قدر اختلافهم في المشارب، فكانت الولاية لديهم عامة وخاصة، ولها مقامات، ولكل صاحب مقام منها اسم أو لقب أو كنية يمتاز بها عن غيره ممن حل في مقام منها بحسب الترقي والتدلي. فكان منهم القطب والغوث والبدل والنقيب والنجيب والختم، وغير هؤلاء من أصحاب المراتب الخاصة على الجميع السلام. فالقطبانية مثلا من حل في مرتبتها يسمى قطبا، إما قطبا جامعا، أو قطب دائرة من دوائر الولاية العامة أو الخاصة، سواء كان من المتعددين أو المتفردين، وهكذا الشأن فيما بقي من المراتب مثل الختمية والكتمية والمهدوية، فكل من حل في مقام من هذه المقامات سمي بمظهره. فمن حل في مقام الختمية سمي بالخاتم، وهكذا من حل في المهدوية يقال له مهدي، وليس المراد بالخاتم أنه لا يوجد ولي معه أو بعده، ولا بالمهدي لا مهدي بعده. وإنما المراد بالخاتم من حل في مرتبة الختمية إلى أن تختم بعيسى عليه السلام، ثم بخاتم الأولاد الذي لا ختم بعده. وهكذا الشأن في المهدي إلى أن يظهر المهدي المنتظر قرب الله زمانه.

وبما بيناه هنا لم يبق إشكال في تعدد الختم وتعدد المهدي ونحوهما. لأنهم أصحاب مراتب لم يخل من صاحبها في كل زمان. وتلك المراتب متفاوتة في العلو والإرتفاع في الخفاء والظهور، وقد انفرد بكمال الظهور فيها من خصه الله به مثل الشيخ التيجاني رضي الله عنه، فهو خاص بكمال الظهور في الختمية، فلم يحل أحد من الأختام في المحل الذي حل فيه، بما خصه الله به من ذلك الكمال، كما خص الحق بكمال الظهور في المهدوية المهدي المنتظر الذي نوهت الأحاديث به، وكل من أخبر بأنه ختم أو أنه مهدي، أو اجتمع بواحد منهما، وإن احتمل أخباره الصدق والكذب فلا معنى

---

(32) أنظر صحيح الإمام البخاري، الحديث الثالث من كتاب بدء الوحي ج 1 ص 29 من فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني.
(33) أنظر كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 489-490.

لتكذيبه سوى سوء الظن الحامل لكثير المنتقدين على ذلك، فإن غير الشيخ رضي الله عنه قبل وجوده قد اجتمع بالخاتم صاحب الختمية، مثل ابن العربي الحاتمي قدس سره(34)، وقد ادعاها لنفسه، فادعاؤها لنفسه مع كونه يقول اجتمعت به دليل واضح على تعدد الختمية، وكذلك المهدوية، وكذا غيره من أصحاب هذا المقام، فلا معنى لتكذيب من اجتمع بالخاتم أو بالمهدي فيما مضى من الأزمنة. ولا يكون صاحب كمال الظهور إلا واحدا، كما أن المهدي المنتظر واحد، وقد بسطت القول في معنى الختمية في تأليفنا الكوكب الوهاج، ثم أفردت الكلام فيه في تويلف سميته نهج البداية في معنى ختم الولاية(35). وقد تم ترتيبه في نحو خمسة كراريس، نفع الله به من اطلع عليه ودعا لنا بالمغفرة.

ولقد تكلم على الختم جماعة من العارفين كابن عربي الحاتمي(36) المذكور، ومن انتهج منهاجه من ذوي المشارب العرفانية، وقد بسط القول في المهدي الذي هو أحد الأختام المهديين، مع الخاتم الأكبر عيسى عليه السلام، في تأليفه عنقاء مغرب(37)، وخصصهما بما ذكره هناك. وقد استدللنا على ختمية الشيخ رضي الله عنه بأدلة تكاد أن تكون من قبيل القطع من علم البيانات، وعلم الزبر، وعلم الجفر(38)، وعلم الزرايج، ونحو ذلك بما يشفي الغليل، وتطوعنا بذكر بعض اصطلاح هذه الفنون لمن أراد العملية الموصلة لتحقيق ما قلناه فيه، والله الموفق.

---

(34) أنظر الفتوحات المكية للشيخ الأكبر سيدي محي الدين ابن عربي الحاتمي ج 2 ص 49. قال فيه ما نصه : وأما ختم الولاية فهي لرجل من العرب من أكرمها أصلا ويدا، وهو في زماننا اليوم موجود، تعرفت به سنة 595هـ ورأيت العلامة التي له قد أخفاها الحق فيه عن عيون عباده، وكشفها لي بمدينة فاس حتى رأيت خاتم الولاية منه، وقد ابتلاه الله بأهل الإنكار عليه فيما يتحقق به من الحق في سره من العلم به ...

(35) نهج البداية في معنى ختم الولاية، لمؤلفه العارف بالله الحاج أحمد سكيرج، صفحاته 120 صفحة، وهو من أهم ما صنف في موضوعه، لكنه إلى يومنا هذا لا زال لم يطبع، وسنعمل إن شاء الله على طبعه في حلة قشيبة تليق بمعانيه ومدلولاته السامية.

(36) محمد بن علي بن محمد بن عربي، المعروف بمحي الدين بن عربي الحاتمي، والملقب بالشيخ الأكبر، ولد في مرسية بالأندلس عام 560هـ، وهو من أئمة المتكلمين في كل علم، زار معظم الدول الإسلامية في عصرها، وألف نحو أربعمائة كتاب، وكانت وفاته رحمه الله بدمشق سنة 638هـ. أنظر ترجمته في جذوة الإقتباس لابن القاضي ص 281 رقم الترجمة 291، وفي نفح الطيب للمقري ج 1 ص 404 وفي ميزان الإعتدال للذهبي ج 3 ص 108 وفي الأعلام لخير الدين الزركلي ج 6 ص 281 وفي فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج 2 ص 241. وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 316 رقم الترجمة 133. وفي لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج 5 ص 311، وفي شذرات الذهب لابن العماد ج 5 ص 190، وفي معجم المطبوعات لسركيس 175.

(37) أنظر عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب ص 73-77.

(38) علم الجفر : هو علم مرموز مبني على أسرار الحروف، يقول عنه أصحابه أن فيه الحوادث المستقبلية إلى قيام الساعة.

السؤال الثامن :

هل يؤاخذ حضرة سيدنا الشيخ رضي الله عنه بما يقوله فيه ويدعيه الغالون، وينسبه له الجاهلون من أهل الإعتقاد، أو يتقوله عليه ويدعيه عليه المفسدون من أهل الإنتقاد، أم هو برئ من مساوي ودعاوي الفريقين كبراءة سيدنا عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم من مقالات ودعاوي اليهود والنصارى لعنهم الله، وبراءة سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام من مقالات ودعاوي الخوارج والروافض أخزاهم الله ؟

الجواب : إن الحق سبحانه حكيم، قد أخبرنا بأنه لا تزر وازرة وزر أخرى، وهذه قاعدة منسحب حكمها على كل من لم يرضى بما يقال أو يعمل باسمه، يسمع ويرى أو يبلغه ذلك فلا يسكت على المنكر المنسوب إليه، أما إذا رضي بذلك المنكرات المستنكرات شرعا ورضي بها وأقرها فهو كالقائل بها وعاملها، فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة كما في الحديث، ومن المقرر المعلوم أن أصحاب الغلو من جهلاء الأمم وأصحاب الإعتقادات الفاسدة ومن في معناهم قد نسبوا للحق ما لا يليق به، بما ظنوا أنهم مصيبون فيه، يرجون بذلك تعظيمه وعبادته، ومع ذلك يعاقبهم الحق على ضلالهم وإضلالهم لنسبة ما لم ينسبه لجنابه الأقدس، ولم يؤاخذ الأنبياء والرسل والملائكة المبلغين للأمم التي خالفتهم في العمل بما بلغوهم، واعتقدوا فيهم ونسبوا إليهم ما لم يرضوه منه، مثل عبدة عيسى عليه السلام، فهو غير مؤاخذ بما قيل فيه، ولا أن أمه مؤاخذة بما قيل فيها، ومثل سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فهو غير مؤاخذ بما قال فيه غلاة الشيعة(39)، ولقد قاتل رضي الله عنه بعضهم قيد حياته. وقد تبرأ سيدنا عيسى عليه السلام ممن اتخذه وأمه إلاهين من دون الله طبق ما أخبر الحق سبحانه عنه بقوله : "وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم آنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله، قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق"(40). وقد قال العلماء في تفسير قوله تعالى : "إنكم وما تعبدون من دون الله"(41). أن المشركين مع جميع معبوداتهم في النار ماعدا عيسى عليه السلام، وإن كان معبودا لأهل الضلال من المشركين به فإنه غير داخل في المعبودات، لكون الحق تعالى أخرجه بالتعبير بلفظة ما الواقعة على غير العقلاء، ولذلك لم يقل إنكم ومن تعبدون، فإن لفظة من موضوعة للعاقل، فإن قيل : إن بعض المعبودات من العقلاء قد دخلت للنار مع عابديها، فما بال سيدنا عيسى لم يدخل النار؟ وكذلك أمثاله من المعبودين مثل سيدنا علي كرم الله وجهه ؟ قلنا إنه لم يرضى بما اعتقدوه فيه ولم يأمرهم بذلك الإعتقاد الفاسد، مثل الشيخ رضي الله عنه، لم يأمر الجاهلين من أصحابه وإخوانه بما تغالوا فيه وتقولوا عليه بما يخالف الشريعة المطهرة، فإنه لم

---

(39) الشيعة هم الذين شايعوا عليا عليه السلام في إمامته، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده، قالوا ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، بل هي قضية أصولية هي ركن الدين، ولا بد أن يكون الرسول قد نص على ذلك صريحا، والشيعة يقولون بعصمة الأئمة من الكبائر والصغائر، والقول بالتولي والتبري قولا وفعلا، إلا في حال التقية إذا خافوا بطش ظالم، وهم خمس فرق : كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاة، وإسماعيلية، وبعضهم يميل في الأصول إلى الإعتزال، وبعضهم إلى السنة، وبعضهم إلى التشبيه. أنظر دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي ج 5 ص 424.

(40) سورة المائدة، الآية : 116.

(41) سورة الأنبياء، الآية : 98.

يرضى بذلك، فهو إن شاء الله غير مؤاخذ بذلك قطعا، على أننا لم نرى ولم نسمع في حق الشيخ رضي الله عنه من المعتقدين فيه من جهلة الطريقة ولا علمائها ما هو ضلال أو يفضي إلى ضلال.

وغاية الأمر فيما يشيعونه عليه أو يتقولونه فيه لم يصل إلى وصفه بالنبوة فضلا عن الألوهية، ولا ما يطعن في الشريعة أو يخالف شيئا منها ونحو ذلك، وغاية ما يستنكره المنكرون عليه وعلى أهل طريقه بعض الفضائل والمناقب ونحوها مما لا تسعه حوصلتهم، سواء صدرت منه أو منهم، أو نسب إليهم بتقول عليهم، فإن فضل الله غير محجر عليه فيه، والله ذو الفضل العظيم، وكان من اللائق بل المتعين على المنتقدين الإشتغال بأنفسهم وإصلاح أحوالهم خير من الطعن فيمن لا يقبلون منهم ما يقولون، ولا يضرهم ما إليهم ينسبون ويتقولون، إما لجهل المنكر، وإما لخطئه في فهم ما ينكر، وإما لتحويل الكلم عن مواضعه قصدا للتضليل، والله عليم بالمفسدين، ولو أن كل جزئية مما ينسب للشيخ أو لأهل طريقه، مما يشيعه الناس عنهم سواء كانت النسبة إليهم صحيحة أو غير صحيحة نظر إليها المنصف بعين الإنصاف لم يجد منها ما يخالف الحق في شيء، وللعارف بأحوال أهل الله بما أعطيه من نور الفراسة تحقق بما ينسب إليهم، ويميز بنفسه من ذلك الحق والباطل، فيحكم على ما يخالف الشرع بالبطلان، وعلى ما لا ينافي الحق بعدم الإستحالة لمن ينسب إليه، لعدم عصمة غير الملائكة والأنبياء عليهم السلام، سيما في حق من يتبرأ من كل ما يخالف ما يعمل به في خاصة نفسه ويرشد إليه محبيه.

وقد قيل للشيخ رضي الله عنه أيكذب عليك ؟ فقال رضي الله عنه : إذا سمعتم مني شيئا فزنوه بميزان الشرع، فما وافق فخذوه، وما خالفه فاتركوه(42) ولولا أنه متحقق بأنه يكذب عليه لم يتبرأ مما ينسبه إليه المختلقون، وهو يصرح بالتبري مما عليه يتقولون، أو يصدر منه ما الناس فيه مختلفون، ولاشك أن من يتبرأ من الباطل ويعلم الله صدق نيته وبراءته منه أنه لا يؤاخذ به طبق ما جرت عليه أحكام الشريعة ظاهرا، ونحن نحكم بالظاهر. وأما في الباطن فالحكم لله، فله أن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وما بعد هذا من مزيد، والله الموفق.

السؤال التاسع :

ما قولكم في إحياء الموتى كرامة للأولياء ؟ هل هو جائز عقلا ونقلا أم لا ؟ وهل صح وثبت وقوعه في حضرة الشيخ أبي العباس التجاني، أو وقع من أحد سواه ؟ وهل ثبتت في شيء من الأدلة الشرعية أن من اعتقد وقوع ذلك كرامة للأولياء يكون كافرا حلال الدم والعرض، وليس هو من المسلمين أم لا ؟

(42) أنظر الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية للبركة الشريف سيدي الطيب السفياني باب حرف الألف. وانظر كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 177.

الجواب : من المقرر في علم التوحيد أن كل ما كان معجزة لنبي صح أن يكون كرامة لولي، وقد أحيا الله الموتى لعيسى عليه السلام، فلا جرم إذا أحيا الله للأولياء الأموات بحكم التبع، غير أنه لم يبلغنا عن الشيخ رضي الله عنه أنه وقع له ذلك، ولم يذكره أحد من أصحابه في تعداد كراماته، وليس في ذلك إن صدر منه ما يوجب النكير عند العالمين بما يمنح الله به أولياءه، وقد وقع ذلك لغير واحد ممن ثبتت كراماتهم، وكاد ذلك أن يكون متواترا عنهم، كإحياء الدجاجة التي كان يأكل منها المولى عبد القادر(43) رضي الله عنه حين قال لها : قومي بإذن الله فأحياها الله له، وذلك من الكرامات التي لا ينكرها إلا القاصرون عن إدراك حقيقة الولاية وسرها الخاص الممنوح لأهل الله وأوليائه، ولم يرد في الأدلة الشرعية ما يقضي بفساد عقيدة من اعتقد ذلك، ولا ينبغي لأحد أن يتسارع لتكفير من يعتقد ذلك كرامة للأولياء، لأن منكر ذلك ربما يعد في حيز من يكذب بآيات الله، وقضية قصة بقرة بني إسرائيل ونحوها ناطق بذلك بما لا سبيل لإنكاره، ومن أراد إباحة دم المعتقدين لهذه الكرامة وغيرها من الكرامات، وإباحة أحوالهم وأعراضهم فهو المستحق لإباحة الدم والعرض والمال، ولا حول ولا قوة إلا بالله في التسارع لإخراج أهل الإيمان من الإسلام من غير موجب لذلك.

وإنا لله وإنا إليه راجعون من أقوال الجهلة ومن في معناهم من المتظاهرين بالعلم بينهم، وانتصار أمثالهم لهم من غير دليل شرعي يتنزل على موضوع القضية التي يضلل الجاهل فيها غيره عن غير خبرة، فانتهك طلبة العلم قبل تحصيلهم للعلم النافع جناب أهل الله، فحرموا من التعرف بهم لسوء ظنهم في الصوفية بما شهدوه مما هم فيه من إرشاد العامة لذكر الله والقيام بشكر نعم الله التي لا تحصر ولا تحصى، والسلوك بهم على النهج الذي لم يرتضيه منهم هؤلاء الدخلاء في زمرة العلماء العاملين، فوصفهم بما يحق أن يرجع المكر السيء فيه لمن أساء الظن فيهم من هؤلاء المغرضين المعرضين عن الجادة، على أن شيوخ الطرق رضوان الله عنهم غير معصومين من الشهوة البشرية وحب الجاه والمال لأغراض لا ينبغي الطعن فيهم من أجلها، ولم يطلع الطاعن على المقصود منها، ولا هو مكلف من جهة الشرع بالتسارع لإنكار ما يراه منكرا من غير أن يقف أمام الخائضين فيهم موقف الحياد وهم يدعون إلى الحق بالحق لإرشاد الخلق، عاملين بمقتضى : ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وما هو راجع إلى هذا السبيل في الدعاية العامة والإذن الخاص في ذلك للخواص.

وليس في هذا وما أشبهه من مخالفة الجادة عند العارف بها، مع تحقق مخالفة مذهب بعضهم لبعض، والخلاف كما يقول العلماء رحمة بالعباد في سبيل الرشاد، ولكن هناك نقطة هي مركز الدائرة في حمل القاصرين على الإنتقاد على الكاملين من أهل الله الواصلين، وهي بخش رجل ضابط دائرة

---

(43) عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية، ولد في جيلان – (وراء طبرستان) سنة 471هـ وتوفي ببغداد سنة 561هـ. له تآليف كثيرة منها : الفتح الرباني، وفتوح الغيب، والغنية، والفيوضات الربانية وغيرها، أنظر ترجمته في الكامل لابن الأثير ج 11 ص 121 وفي معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي ج 1 ص 52 وفي فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج 2 ص 2 وفي الأعلام لخير الدين الزركلي ج 4 ص 47 وفي الطبقات الكبرى للشعراني ج 1 ص 126-132، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 429 رقم الترجمة 937، وفي شذرات الذهب لابن العماد ج 4 ص 198، وفي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج 5 ص 371.

الحسد لمن تصدروا للإرشاد بإقبال العامة عليهم وخدمة جنابهم، وبذل المال لهم، والتعجيل بقضاء أغراضهم، والعمل بما يأمرونهم به، وليس في هذا عند العقلاء ما يوجب الحقد على أهل هذه المناصب، ولو أخذوا الأموال من مريديهم والمنتسبين في طريقهم إليهم حتى صيرهم الله في حيز الأمراء، مع أن رتبة أهل الله أعلى من الفقراء لكونهم من خدام الحضرة التي يُعَزُّ ويُجَلُّ خادمها، وقد قالوا : من خدم المولى خدمته العبيد، زاد الله في عددهم ومددهم وجعلنا منهم بمنه آمين.

السؤال العاشر :

ما قولكم في تصريف الأولياء رضي الله عنهم في ملكوت الله وملكه بإذن الله هل هو جائز عقلا ونقلا أم لا ؟ وهل من اعتقد في أولياء الله تعالى أنهم يتصرفون بالله في الإنس والجن والملائكة وسائر ملكوت السماوات والأرض، وينفعون ويضرون بالله على سبيل الكرامة لهم من الله يكون كافرا مباح الدم والمال أم لا ؟

الجواب : إن الذي أعتقده وأدين به أن تصرف الأولياء في المكونات هو بإذن الله، ويتعين على من يومن بالقرآن أن يعتقده وإلا كان مكذبا بما صرح به القرآن، فإن إيمان نبي الله سيدنا سليمان عليه السلام أتم من إيماننا، لأنه نبي، ولا يفوق غير النبي في المعرفة بالله النبي، ولولا أنه يعلم ويتحقق بأن الحق تعالى صرف في الكون الأولياء ما طلب إحضار عرش بلقيس من حاضريه لديه، وهو ببيت المقدس والعرش بسبأ، وبينهما مسيرة نحو شهرين، فقال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ؟ قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين، قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك(44) وأحضره له بإعدامه من سبأ وإيجاده في بيت المقدس، على وفق ما طلبه نبي الله سليمان عليه السلام.

ومثل هذا تصرف الأولياء، وليس فيه إشراك مع الحق في التصرف في الخلق، لأن الولي غير مشتغل بالتصرف، بل تصرفه بالله، ولا بأس في نسبة التصرف إليه كما في نسبة الفعل للفاعل اصطلاحا، والفاعل في الحقيقة هو الله تعالى، وهو واضح لكل من ألقى السمع وفهم المعنى المقرون باللفظ في الوضع، وكأن المنكر على الأولياء في التصرف في الكون لم تخطر بباله هذه الآية، وكم لها من نظير، من الوارد عن الرسول البشير النذير، عليه السلام، وبها زال الإشكال، والعلم للكبير المتعال.

(44) سورة النمل، الآية 38.

السؤال الحادي عشر :

ما هو عدد طرق الصوفية عندكم بالمغرب الأقصى، المؤسسة بالإذن الخاص والعام من الحضرة المحمدية من أهل السند والعدد، كالجزولية(45) والعيساوية(46) والبوشيخية والناصرية(47) والوزانية(48) والدرقاوية(49) والحمدوشية(50) والهداوية والكرزازية(51) والكتانية وغيرها ؟ وإلى كم بلغت عدة هذه الطرق وما أصولها وفروعها ؟ وما هو حكم جميعها في دين الإسلام على مذاهب أهل الحق من أهل السنة والجماعة، لا على مذاهب أهل الباطل من أهل البدعة والشناعة، بارك الله فيكم وأحسن عاقبتنا وعاقبتكم ؟

---

(45) نسبة للشيخ سيدي محمد بن سليمان الجزولي، مؤلف دلائل الخيرات، أنظر التعريف به في ج 1 ص 360 من هذا المؤلف.

(46) الطريقة العيساوية نسبة للشيخ سيدي محمد فتحا بن عيسى الشهدي السفياني، من مواليد عام 872 هـ بقبيلة بني حسن بمنطقة الغرب بالمغرب، وتوفي بمكناس عام 933هـ، ودفن بمقبرة شيخه أبي العباس الحارثي خارج باب السيبة، وقبرها مقصود يتبرك به، أنظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 4 ص 11، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 264 رقم الترجمة 971. وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 1 ص 186 وفي ممتع الأسماع لمحمد المهدي الفاسي ص 80 رقم الترجمة 32.

(47) الطريقة الناصرية نسبة للشيخ أبي عبد الله سيدي محمد بن ناصر الجعفري الزينبي، من أكابر صوفية القرن الحادي عشر الهجري، له أتباع كثيرون، ولد بالصحراء عام 1011هـ، وتوفي بتمكروت بالصحراء الشرقية بعد غروب شمس يوم الثلاثاء 16 صفر عام 1085هـ، من مصنفاته : الأجوبة الناصرية، وسيف النصر لكل ذي بغي ومكر، ومدرسة جمع فيها تراجم شيوخه الذين أخذ عنهم، وغنيمة العبد المنيب، في التوسل، والفتاوي، في الفقه، والدرعية، وهي منظومة في فقه الإمام مالك، وشرح لامية الأفعال، وشرح فرائض خليل، والمناسك، وهوامش على صحيحي البخاري ومسلم، وغيرهم. أنظر ترجمته في النبوغ المغربي لعبد الله كنون ج 1 ص 283، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 313 رقم الترجمة 1218، وفي خلاصة الأثر للمحبي ج 4 ص 238، وفي صفوة من انتشر للإفراني ص 173، وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 63.

(48) الطريقة الوزانية نسبة للشيخ الجليل مولاي عبد الله بن إبراهيم الشريف اليملحي العلمي المصمودي، تلميذ العارف بالله الشيخ سيدي أحمد بن علي الصرصري، توفي يوم الخميس 2 شعبان عام 1089 هـ بوزان، وبها دفن، أنظر ترجمته في بغية المستفيد لسيدي محمد العربي بن السائح ص 155، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 748 رقم الترجمة 403، وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 1 ص 103.

(49) الطريقة الدرقاوية نسبة للشيخ سيدي العربي بن أحمد الدرقاوي الإدريسي الحسني، من مصنفاته : بشور الطوية في مذهب الصوفية، والرسائل، وكتاب في ترجمة شيخه علي الجمل، توفي رحمه الله ليلة الثلاثاء 22 صفر عام 1239هـ، ودفن بمقرها بقبيلة بني زروال بجهة قبائل منطقة جبالة بشمال المغرب، أنظر ترجمته في سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 1 ص 176، وفي المعسول للمختار السوسي ج 1 ص 189، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 223، وفي معجم المطبوعات لسركيس 872، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 381 رقم الترجمة 1523.

(50) الطريقة الحمدوشية نسبة للشيخ أبي البركات علي بن محمد المدعو حمدوش بن عمران، الشريف العلمي العروسي، تلميذ الشيخ سيدي محمد الحفيان بن الولي الصالح سيدي محمد أبي عبيد الشرقي العمري، كان رحمه الله من أهل الجذب، ساقط التكليف، يحب السماع والأمداح، ويرتاح للطرب، ويصبو لسماع آلاته، أظهر الله على يديه كرامات، وخوارق عادات، توفي رحمه الله بجبل زرهون حيث ضريحه وزاويته عام 1135هـ، أنظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 5 ص 459-475، وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 1 ص 354.

(51) الطريقة الكرزازية نسبة للشيخ أبي العباس أحمد بن موسى صاحب كرزاز، أخذ عن الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان السهلي، عن المليباني، عن الشيخ أحمد زروق، أنظر فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 837.

الجواب : إن غالب الطرق بالمغرب الأقصى يرجع سندها إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي(52) رضي الله عنه، وطريقته هي الأصل الأصيل في السلوك على قدم التربية بالتحلية والتخلية، وبالهمة والحال في السلوك في مدارج الترقية، وجميع الطرق المتفرعة عنها مؤسسة بالإذن الخاص والعام باتباع ما جاء في الكتاب والسنة، وقليل من قليل المريدين الصادقين فيها من خرج عن المنهج القويم، بالمحافظة على السند في العمل بما جاء به الشرع إلى الوقوف على عين الحقيقة في سلوك الطريقة، وهكذا من سلك على الطريقة القادرية التي يرتفع سند بعض الطرق إليها إلى بلوغ المقصد، وأن إلى ربك المنتهى، فيما تحرز عليه هذه الطرق من المدد في السير على قدم الجد والاجتهاد، في كل من انتسب من فروع هذين الطريقتين، وغيرهما من طرق الصوفية الذين لهم حسن اقتداء بإمام الطائفة الجنيد(53) رضي الله عن الجميع، ومن أهل الله من تظاهر بطريقة خاصة به بالإذن الخاص من الحضرة المحمدية، مثل طريقتنا المحمدية التجانية، فهي غير متفرعة عما ذكرناه، وإنما تلقاها الشيخ قدس سره عن النبي (ﷺ) مشافهة، وأخبره بأنه لا منة لأحد من الشيوخ عليه في طريقه التي أمره بتلقينها لأحبابه ومريديه، وستكون أما لطرق عديدة متفرعة عنها طبق ما نص عليه الخليفة سيدي الحاج علي حرازم برادة في الرسالة الشامية(54) وقد ذكرتها برمتها في تأليفنا رفع النقاب في ترجمته، ولا يخفى عنك أن طرق الصوفية مع تعددها منزلة المذاهب، يرجع الجميع إلى طريقة واحدة، وهي التي كان عليها النبي (ﷺ)، وتبعه فيها

(52) علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف بن هرمز الإدريسي الحسني، شيخ الطريقة الشاذلية، ولد بمنطقة غمارة بشمال المغرب عام 591هـ ونشأ في بني زرويل قرب مدينة شفشاون، وأخذ التصوف عن الشيخ الشهير مولاي عبد السلام بن مشيش دفين جبل العلم بقبيلة بني عروس، قبل أن يرتحل للمشرق العربي حيث استقر بمصر، وبها توفي بصحراء عيذاب في طريقه إلى الحج في شوال عام 656هـ، أنظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 2 ص 4 رقم الترجمة 309 وفي التاج للزبيدي ج 7 ص 388 وفي نور الأبصار للشبلنجي ص 234 وفي الأعلام لخير الدين الزركلي ج 4 ص 305. وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 186 رقم الترجمة 620، وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 1 ص 85، وفي الرحلة العياشية لأبي سالم ج 2 ص 259، وفي الخطط التوفيقية لمبارك ج 14 ص 57.

(53) الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي، مولده ونشأته ووفاته ببغداد، قال فيه أحد معاصريه : ما رأت عيناي مثله، الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه، والشعراء لفصاحته، والمتكلمون لمعانيه، وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد، توفي بالمدينة المذكورة سنة 297هـ أنظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 1 ص 84 وفي حلية الأولياء لأبي نعيم ج 10 ص 255 وفي تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج 7 ص 241 وفي الأعلام لخير الدين الزركلي ج 2 ص 141 وفي صفة الصفوة لابن الجوزي ج 2 ص 235.

(54) الرسالة الشامية، وتسمى كذلك برسالة الفضل والإمتنان، ألفها العارف بالله الحاج علي حرازم برادة الفاسي عام 1208هـ وذلك قبل أن يستقر سيدنا رضي الله عنه بفاس بخمس سنوات، واشتملت على مقدمة ومقصد وخاتمة، وقد ذكرها برمتها العلامة الحاج أحمد سكيرج رحمه الله في الجزء الرابع من كتابه رفع النقاب بعد كشف الحجاب ص 130، وقال في تقريضها :

هذي الرسالة فيها السر قد جمعا ... لمن يطالعها كنز الغنى طلعـــا
يحلى بها بنانها وفق مطلبـه ... دنيا ودينا ولا يزال منتفعـــا
جاءت على وفق ما يهواها طالبها ... في منهج الحق حيث صار متبعـا
أكرم بمن جاد بين العارفين بهـا ... فإن قدر الذي بها اهتدى ارتفعـا

أصحابه رضي الله عنهم، وكل واحد من الصحابة قدس سرهم بمنزلة شيخ طريقة متفرعة عن الكتاب والسنة، ورحم الله البوصيري(55) حيث يقول في حقهم رضوان الله عليهم :

كلهم في أحكامه ذو اجتهاد   وصواب وكلهم صلحاء

فلا ينبغي أن يعترض أهل مذهب على مذهب آخر فيما لا يخالف أصلا من أصول الشريعة، وهكذا بقية الطرق، إلا أنه قد حدثت في جل الطرق حسب الأغراض مخالفة الشيوخ فيما دلوا عليه مريديهم، فوقع الإنكار عليهم بما ترامى فيه المبغضون على الشيوخ البرءاء بما نسبوه إليهم، أو تقولوه عليهم طبق ما أشرنا إليه سابقا، فحرم الله أهل الإنكار ومن في معناهم من غلاة المريدين من النفع التام والفضل المنوط بالإتباع للمحقين من أهل الإعتقاد الجميل وحسن الظن، وللسالكين في هذه الطرق مشارب، وكل يعمل على شاكلته، على أننا لا نقول بعصمة الشيوخ ومريديهم من عدم صدور خطئ منهم في بعض ما يعتقدونه، أو يعملون به أو يقولونه، فإنما العصمة للأنبياء والملائكة، وإن كان بعض الأولياء محفوظا من الوقوع في الخطإ والخطايا، إلى درجة تكاد أن تكون عصمة في حقهم بعد تمكنهم في مقام الولاية، ولكن لا يصلون إلى مقام النبوة فيها، وقد تغالى بعض المنتسبين لبعض الطرق فخالفوا شيوخهم بالمرة. وليس لهم مما كان عليه شيخهم سوى الإنتساب إليه بما تلبسوا به من البدع الضالة، وطريقة شيخهم بريئة منهم، ولا تعين أهل طريقة من هذه الطرق، فإن المعين مبتدع مخالف بجرح العواطف، لما كان عليه المشرع عليه الصلاة والسلام من ستر العورات، والإشارة بطرف خفي للهفوات، ليجتنبها المتلبس بها.

وأما العدد الذي بلغت إليه الطرق في مغربنا، فلا يمكن حصرها بعد الشاذلية والقادرية وما قبلهما من طريقة الجنيد رضي الله عن الجميع، لأن فروعها كادت أن تنفرد بالتسمية بمن ظهر فرع منها على يديه، فإن الجزولية مثلا تنسب إلى العارف سيدي محمد بن سليمان الجزولي(56) لظهور

---

(55) محمد بن سعيد البوصيري الصنهاجي، من كبار الصوفية بمصر، وهو صاحب القصيدتين المشهورتين : البردة والهمزية، أصله من قبيلة صنهاجة ببلاد المغرب، توفي رحمه الله بالإسكندرية بمصر عام 696هـ، أنظر ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ج 3 ص 105، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 139، وفي فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج 2 ص 205، وفي الخطط التوفيقية لمبارك ج 7 ص 70.

(56) محمد بن سليمان بن داود بن بشر الجزولي السملالي الشاذلي، مؤلف كتاب دلائل الخيرات وشوارق الأنوار، في ذكر الصلاة على النبي المختار، وهو من أشهر الكتب المصنفة في موضوعه، توفي بأفوغال وهو ساجد في السجدة الأولى من الركعة الثانية من صلاة الصبح، في شهر ذي القعدة من سنة 869هـ ودفن بعد صلاة الظهر من نفس اليوم بمسجدها الذي أسسه بأفوغال، ولما تولى الدولة السعدية مقاليد الحكم بالمغرب، قام الخليفة أبو العباس أحمد المعروف بالأعرج بنقل جثمانه لمدينة مراكش بعد أكثر من سبعين سنة من وفاته رحمه الله ورضي عنه. وقد أفردها بالتأليف العلامة سيدي محمد الفاسي في كتابه : ممتع الأسماع في الجزولي والتباع وما لهما من الأبتاع. وانظر كذلك ترجمته في الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام لابن ابراهيم المراكشي ج 4 ص 57-122 وفي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج 16 ص 203 وفي جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج 1 ص 165 وفي الأعلام لخير الدين الزركلي ج 6 ص 151 وفي الضوء اللامع للسخاوي ج 7 ص 258. وفي نيل الإبتهاج للتنبكتي ص 317.

أورادها على يديه مع كونه شاذليا، وهناك طريقة جزولية أخرى منسوبة لغيره، وقد تفرعت بعده إلى فروع مثل الشاذلية، حتى كادت أن تنسى الطريقة الشاذلية باشتهار بعض ما تفرع منها من الطرق، وهكذا الشأن في غيرها من الطرق التي ذكرتم في السؤال مع أن أصلها الأصيل الشاذلية والقادرية. وما ينسب إلى الجنيد إلى ما قبله من أئمة الدين من الصحابة فتابعيهم رضوان الله عن الجميع. ولسنا ممن ينصب موازين القسط في تفضيل طريقة على أخرى من الطرق التي ذكرتم والتي لم تذكروا، مع تحققنا بأن مقاصد شيوخها قصد واحد، وهو الأخذ بيد مريدهم بوصوله إلى حضرة الحق الأعلى، ولم يضمنوا مريديهم من عدم صدور مخالفة شرعية منهم، فإن الهداية بيد الله. وقد كنت شرعت في تويلف صغير سميته بتنوير الأفق في الطرق(57) فذكرت منها ما يزيد على الستين طريقة بذكر أصولها وفروعها باختصار، ولعل الله ييسر وقتا لإتمامه وإخراجه من مبيضته للإنتفاع به.

أما حكم جميعها في دين الإسلام على مذاهب أهل الحق فهو منوط بها بحسب سلامتها من البدع التي لم تكن في عهد النبي (ﷺ)، ولا في عهد أصحابه ولا في عهد أتباعهم، فإنه لا خير فيما لم يكن موافقا لهم، وليس من البدعة في شيء ما لم يخالف ما كانوا عليه مجتمعين أو منفردين بما هو مقرر أصله في الدين. وقد تغالى هنا بعض العلماء الذين تظاهروا بالانتصار للكتاب والسنة بحسب مبلغهم من العلم وما لديهم من النصوص، بغض الطرف عنهم فيما تقيدوا به من حبل مذهب من المذاهب، فتسارعوا إلى الإنكار على أهل الطرق في سلوكهم فيها بالوقوف مع ما عملوه أو فهموه، لاغترارهم بما عرفوه، وغرورهم بمعلوماتهم، فيما قامت قيامتهم فيه بالطعن والإنتقاد والإنكار الموصل ذلك إلى ما لا تحمد عقباه، في التكفير والتضليل لأناس برأهم الله ما قالوا، وفيه عليهم قد استطالوا، فوقعوا في أشد مما وصفوا به غيرهم بذلك الإنكار، وكان الأولى بهم أن لا يحوموا حول هذا الحمى الذي وقع جلهم فيه بما أظهره مما أضمره فيهم بفيه، فإنه قد تقرر لدا أهل الحق من أهل السنة والجماعة عدم تكفير أحد من أهل القبلة بذنبه، والكف عن تكفير المسلمين ممن لم يحيطوا بالشريعة أولى، وإدخال ألف كافر لم يتجاهر بالكفر بانتمائه للإسلام أولى من إخراج واحد من المسلمين ينتسب للإسلام، وبالأخص في حق من تبرأ من الكفر وأهله، وبالله التوفيق.

السؤال الثاني عشر :

الرجاء من فضلكم الإخبار بما أنعم الله به عليكم من التآليف وما هي أسماؤها وكم بلغت عدتها إلى الآن، لأني في شوق عظيم واشتياق كبير إلى الإطلاع عليها، وفي أي مكتبة توجد، وقد اطلع هذا العبد الحقير على عشرة منها بواسطة محب الجميع المقدم الحاج إبراهيم بن الحاج يحيى المغربي، المقيم عندنا الآن بالأغواط.

---

(57) تنوير الأفق بالطرق، من تأليف العارف بالله العلامة الحاج أحمد سكيرج رحمه الله ورضي عنه، جمع فيه أسماء الكثير من الطرق الصوفية مع بيان سندها وكيفية سلوكها، وقال في مقدمة هذا المؤلف : أما بعد فهذا تأليف يسير من اسمه مسماه، عنونته بتنوير الأفق بالطرق، مذ جمعت فيه ما وقفت عليه من أسمائها، وربما أشير إلى من نسبت إليه مع ما انبنت عليه من أذكار وأسرار، وما لها من فضل ورفعة ومقدار إلخ ... لكنه رحمه الله لم يتممه نظرا لانشغاله بكتب أخرى، وعدد صفحاته 12 صفحة.

الجواب : إن عدد التآليف التي أنعم الله بها علينا يناهز مائة وأربعين تأليفا، وقد اقترح علي بعض أحبابنا تجريد أسمائها ببيان موضوعاتها، فشرعت في تويلف سميته بالترصيف بما لمؤلفه من التصنيف(58)، وغالب هذه المؤلفات في فقه الطريقة التجانية وفضائلها والدفاع عنها وعن غيرها من طرق أهل الله، غير أنها لو جمعت كلها في أجزاء ما بلغت جزءا واحدا من المجلدات الضخمة، من تأليف من مضى من أعلام الأمة، وإنما هي من باب ما يقال في المثل : كثرة العد وقلة القبض، وليس هذا من باب التواضع والتنزل الموهوم، وإنما هو إخبار بالواقع. وقد تحقق عندي أني من المغرورين بالإنشغال بها، حيث أنها ستكون حجة علي، ويا ليتني أخلص منها فتكون لا علي ولا لي، ولكن نرجو ببركة أصحاب النية الصالحة أمثالكم أن يجعلها من صالح الأعمال النافعة في قيد الحياة وبعدها.

وقد طبع منها نحو الثلاثين، وضاع منها نحو العشرة باختلاس بعض المجرمين، والباقي منها قد استخرج بعضه من مبيضته، وجله مازال في دور التنقيح، حيث أنه إلى الآن لم يتم تصنيفه بعد الشروع فيه، والأيام تتطاير من غير فائدة حصلت لي منها سوى الشهرة التي أخشى منها أن تكون هي الحظ المشار له بقول السري السقطي(59) لابن أخته الجنيد حين قال له : ما الشكر يا غلام ؟ فقال فيه : هو أن لا يعصى الله تعالى بنعمه، فقال له السري : أخشى عليك أن يكون حظك من الله لسانك، فنرجو من الله أن لا يواخذنا بعدم إخلاصنا، وتداخلنا في الفضول وفيما لا يعني أمثالنا بانتقاصنا، واستغفر الله أيضا من بخسي لأشياء الناس، والتلبس بالإلتباس، ونحمده على التوفيق، وما توفيقي إلا بالله. وإني لا أرى بأسا في ذكر أسماء بعضها مساعدة لاقتراحكم، فمما سرق منها وخرج من يدي : شحذ الأذهان فيما شاهدته في وهران ومستغانم وتلمسان. ومنها نزهة الخاطر في اضمحلال الثائر(60). ومنها الواردات العرفانية، ومنها الجزء الأول من نيل الأماني في الطب الروحاني المروي عن الشيخ التجاني. ومنها القول الجلي الموجه إلى العارف الشيخ محمد بن علي، ومنها الدر العزيز الموجه إلى القاضي الشيخ بناني عبد العزيز. ومنها لباب اللب في الجواب عن ألغاز بن لب، عوضني الله عنها خيرا منها.

---

(58) الترصيف بما لمؤلفه من التصنيف، هو تعريف بتآليفه، ذكر فيه نحو العشرين تأليفا، ولو كان قدر له إتمامه لكان مفيدا.

(59) سري بن المغلس السقطي، علم من أعلام الصوفية ببغداد، قال فيه ابن أخته الجنيد : ما رأيت أعبد من السري، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئي مضطجعا إلا في علة الموت، توفي رحمه الله ببغداد سنة 253هـ، أنظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 1 ص 74، وفي طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي ص 48-55 وفي حلية الأولياء لأبي نعيم ج 10 ص 116 وفي الأعلام لخير الدين الزركلي ج 3 ص 82 وفي لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج 3 ص 13.

(60) المراد بالثائر هنا : الفتان المدعو بأبي حمارة الجيلاني الزرهوني، وكانت فتنته شديدة حامية الوطيس، أيام السلطانين المولى عبد العزيز، وأخيه المولى عبد الحفيظ، وقد تم القضاء عليه باعتقاله في يوم الأحد 5 شعبان عام 1327هـ، وذلك بمدشر أولاد كنون من قبيلة بني مستارة، إحدى قبائل منطقة جبالة بالمغرب. أنظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 399-412.

ومن مؤلفاتنا التي نرجو النفع العميم بها(61) : الفذلكة الجامعة في صرف الجامعة بشرحها، وهي أول ما طبع منها عام 1317هـ ومعها إيقاظ المتعلم والناسي في بيان القلم الفاسي، ومنها الروضة اليانعة شرح منظومتنا لصرف الجامعة، ومنها منهل الورود الصافي والهدى من فتح الكافي في علمي العروض والقوافي، ومنها نفع العموم بالمسامرة ببعض العلوم، مع شرحها كشف الغموم وإلى الآن لم يتم، ومنها كشف الحجاب في تراجم من تلاقى مع الشيخ التجاني رضي الله عنه من الأصحاب. وقد طبع مرتين فنفذ، ولم تبق تحت يدنا منه ولو نسخة واحدة، وقد أدرجته الجمعية الجزائرية في جامعة كليتها، ومنها رفع النقاب بعد كشف الحجاب، طبع منه الجزء الأول، ومنها الكوكب الوهاج في شرح ذرة التاج في فقه الطريقة التجانية، مطبوع أيضا.

ومنها نور السراج في شرح إضاءة الداج في الطريقة التجانية وهو مطبوع أيضا، ومنها تنبيه الإخوان في كون الطريقة التجانية، لا تلقن إلا منفردة طول الزمان، ومنها عقد المرجان الموجه إلى الشيخ ابن سليمان، ومنها نصيحة الإخوان، ومنها المنفرجة، وقد شرحها العارف بالله التادلي بشرحين أحدهما طويل الذيل في نحو عشرة كراريس، والآخر صغير على شكل بديع في إفراغها في قالب الحكم، كما شرحها العلامة الخليفة في القطر السنغالي الشيخ الحاج محمد أنياس.

ومنها الراية العرفانية وهي قصيدة من الشطحات السكيرجية شرحها العارف التادلي المذكور شرحا بديع الصنع، ومنها الشطحات السكيرجية مطبوعة، ومنها السحر البابلي الموجه إلى الشيخ محمد التادلي المذكور، ومنها اليواقيت العرفانية في الجواب عن بعض الأسئلة المنوطة بالطريقة التجانية، جمعها المقدم الشريف الأمغاري التطواني، ومنها الدر المكنون في الأجوبة عن أسئلة الفقيه السيد محمد شاشون الطنجاوي، ومنها طرق المنفعة في الجواب عن الأسئلة الأربعة، ومنها النفحة العنبرية في الأجوبة السكيرجية، عن أسئلة الشيخ عبد العزيز الدباغ الأمدرماني من أعلام سودان مصر.

ومنها زهر الأفانين في الجواب عن الأسئلة الثلاثين له أيضا، ومنها كشف البلوى في الرد على مدير جريدة التقوى، ومنها كفاية العاني في الطب التجاني، ومنها السر الرباني في الرد على الخارف الجاني، ومنها الصراط المستقيم في الرد على مؤلف النهج القويم، ومنها سبيل الرشاد في المحاورة بين ذوي الإنتقاد وذوي الإعتقاد، ومنها تاج الرؤوس في التجول في أنحاء سوس، ومنها الرحلة الحبيبية الوهرانية، ومنها الرحلة المكية، ومنها الرحلة الزيدانية، ومنها فتح الباري في المذاكرة مع العارف بالله عمي الحاج محمد الزكاري(62) ومنها نظم نقاية السيوطي، ومنها بستان المعارف في بعض المواقف، ومنها النكات الخفية في الكلام على أبيات في الكافية أحسن مما في الخلاصة الألفية، وإلى الآن لم يتم، ومنها مطلع الأسرار في شرح الفاتح لما أغلق بالحروف المهملة. ومنها شرح الفاتح لما أغلق بالحروف المهملة أيضا، ومنها تحويل همزية البوصيري إلى كافية كاملة، ومنها تحويل البردة إلى همزية وتشطيرها وترصيفها بإدراجها باللفظ في همزية مفتوحة وتخميسها،

---

(61) جميع هذا التأليف سبق التعريف بها في هذا الكتاب ابتداء من ج 1 ص 83 إلى 116 منه.

(62) عم الحاج محمد الزكاري، فقيه، صوفي. من أقارب العلامة سكيرج بطنجة، توفي قرب فجر يوم الاثنين 17 ذي القعدة عام 1339هـ.

ومنها مورد الصفا في نظم الشفا للقاضي عياض، ومنها الذخيرة للأخرة في الأمداح المحمدية، ومنها الفتوحات الربانية في الأمداح التجانية.

ومنها شرح العمل الفاسي باختصار وإلى الآن لم يتم مع محاذة لامية الزقاق، ومنها مجموع النوازل الفقهية، ومنها البلاغ الموجه إلى الشيخ عبد العزيز الدباغ، ومنها السحر الحلال في مدح سيد الرجال، ومنها المعشرات في مدح سيد المخلوقات، ومنها جناية المنتسب فيما نسب للشيخ التجاني بالكذب، ومنها قرة العين في الجواب عن الأسئلة المستودعة في خبيئة الكون، ومنها نهج الدراية في ختم الولاية، ومنها نظم إحياء الغزالي إلى الآن لم يتم، ومنها نظم كتاب جواهر المعاني وإلى الآن لم يتم، ومنها يواقيت المعاني في مذهب الختم التجاني، ومنها جنة العاني في تراجم بعض أصحاب القطب التجاني، ومنها كنز الأسرار في الكلام على دور الأنوار للواسطة المعظم سيدي محمد بن العربي الدمراوي وإلى الآن لم يتم. ومنها السر الباهر بما انفرد به الجامع عن الجواهر، ومنها طرق النفع في تراجم من أخذنا عنهم الفاتحة بقراءة البدور السبع، ومنها كشف الغمة في الكلام على حديث الرحمة.

ومنها رياض السلوان في تراجم من اجتمعت بهم من الأعيان، ومنها الرحيق المكتوم في جمع بعض القصائد التي مدح بها القطب المكتوم، لم يتم إلى الآن، ومنها الياقوت والمرجان فيما اتزن من القرآن، ومنها حسن الخاتمة لمحبة فاطمة، ومنها تحفة الأنام بتراجم من خمس أبياتا حفظتها في المنام، ومنها الأنباء في نصح الأبناء، ومنها الدر النفيس من نظم العلامة بنيس، ومنها قدم الرسوخ بما لمؤلفه من الشيوخ، ومنها مجموع الفهارس لمن أجازه بها، ومنها إذهاب المعضلة بتراجم نحوية مستنبطة من البسملة، ومنها الإيمان الصحيح في الرد على مؤلف الجواب الصريح، ومنها نظم الخصائص الكبرى للسيوطي، ناهز الآن ثلاثة آلاف بيت ولم يتم، ومنها مفتاح الفتوحات المكية لم يتم إلى الآن، ومنها كمال الفرح والسرور بمولد منبع النور (ﷺ) ولنكتف بذكر هذه المؤلفات عما بقي، ومن أرادها مفصلة بما انطوت عليه فليطالع الترصيف الذي اقترحه علينا بعض الأحباء، وإلى الآن لم يقدر لنا استخراجه من مبيضته، وبالله التوفيق.

ملحق بالأسئلة

وأما قولكم هذا وقد أمرني شيخنا الأستاذ المربي الجليل العلامة المحقق الرباني، أحد سيوف الله وحججه على المنكرين، مولانا الشيخ سيدي سليمان الغريب، حفظه الله تعالى وأدام حياته لنصرة الإسلام ونفع المسلمين وهداية الضالين، أن نكاتب حضرتكم في شأن كتبكم، بعد أداء واجبات التحية الفائقة لذاتكم الشريفة، والاحترام لكم والإجلال والإعظام، وفي يده تأليف ألفه في الذب عن حرمة الإمام الرباني سيدي أبي العباس التجاني، قدس الله سره النوراني، والدفاع عن طريقته، وتوقف في تحقيق بعض المسائل المتعلقة بالطريق، وقد كاتب حضرتكم في شأنها وشأن كتبكم مرارا عديدة بواسطة المقدم سيدي الحاج إبراهيم، ولم تتكرموا على جنابه بجواب أصلا إلخ ...

فليعلم جنابكم أولا أنه لم يصلني كتاب من حضرة الشيخ المذكور، ولو وصلني منه ذلك لجعلت جوابه قبل كل جواب اعتناء بسيادته، وأداء لواجب إجابته، وبكل أسف عدم وصول مكاتبه إلي كما يقع ذلك من بعض أفاضل الأحباب والإخوان، وربما تغير خاطرهم في عدم وصول جوابي لهم، ولا علم لي بمكاتبتهم لنا، ومن كانت محبته ليست لغرض فلا يتأثر لذلك، ومن كان له غرض فإنه يتأثر لأدنى سبب، ولعله بلا موجب للعداوة انقلب، كفانا الله وإياكم إعراض أصحاب الأغراض، وإني لأقدم إليكم معذرة في عدم تعرفي بالشيخ المذكور، وعدم وصول كتاب منه إلي، وإلا لسارعت بالجواب كما هو الواقع طبق ما أشرنا إليه، وإني لفرح مسرور حيث لم يتأثر لذلك حتى أعدتم الكتابة لنا بأمره، وإني مستعد لإجابته عن كل ما توقف فيه من مسائل الطريق، ولقد وقع مني موقعا كبيرا ما شوفتنا إليه من التأليف الذي ألفه في الذب عن الجناب المحمدي جازاه الله خيرا، شاكرا ما وفقه الله إليه في القيام بهذه المأمورية الموعود صاحبها بالنصر، بصادق الوعد الحق "إن تنصروا الله ينصركم"(63).

وقد أحسن الله إليه في اختيار موضوع تأليفه، وما أجدر ذلك بالمؤلفين في هذه الطريقة، فإن الرد على المنتقدين أولى من اشتغالهم بتأليف المؤلفات في فضل الطريقة ومناقب شيخها وأهلها، خصوصا في هذا الزمان الذي نقص فيه الإيمان، وتحزبت فيه أحزاب الشيطان على أولياء الرحمان، وقامت أصحاب البدع بالنكير على المتبرئين(64) منها، غير أنه يتعين على العلماء العارفين بمقاصد المنتقدين أن يسلكوا في الرد على المبغضين سبيل الهداية بالرفق في محله والعنف لأهله، والإستدلال بغير كلام الشيخ رضي الله عنه في رد ما يطعنون به في الطريقة وأهلها، والمتمسكين بحبال الصوفية في السلوك على طرقهم لنيل فضلها، فإن الخصم لا يقبل كلام من يطعن فيه، ولو كان من عند الله فإنه يقول هو من عند غير الله، أو يحول معنى ذلك لمعنى يطابق هواه، كما جرت عليه أعمال المبطلين المنكرين للحق من غير موجب لإنكاره سوى ما أشرنا إليه.

والحاصل أن ما قام به الشيخ الغريب زاد الله في معناه هو من المؤكد على أهل العلم موافقته عليه، والنهوض لنصرة الحق مثله في الرد على من يعادي الأولياء ويعاندهم بالباطل فيما قاموا به من الإرشاد في طرق الإهتداء، والله الموفق، وأما ما ذكرتموه لنا من اقتراح الشيخ الغريب المذكور من طلب الإجازة منا له فيما لدينا بشروطها في مروياتنا في سائر العلوم العقلية والنقلية والأصولية والفرعية شريعة وطريقة، وفي كل ما صح نسبته إلينا من التآليف وغيرها في سائر العلوم والفنون والمعارف، مع الإقبال عليه بالقلب والروح إلى آخر ما ذكرتم، فلقد خجلنا من اقتراحه منا ما حق لنا

---

(63) سورة محمد، الآية : 8.

(64) كان العلامة سكيرج يرى أن الاعتناء بالطريقة الأحمدية التجانية والدفاع عن مكوناتها هو من أولى الأولويات التي يجب أن يتسلح بها المريد المنتسب إليها، وفي هذا تحدٍّ للتصدي للمنكرين والرد عليهم بالقول الصحيح المحكم، أما البحث عن الكرامات والخوارق وجمعها وسردها في المحافل فإنه لا يخدم الطريقة في شيء، ولا دور له في تحبيبها وتقريبها للناس، ولكنه عامل خطير يساعد على فتح باب الإنكار بمصراعيه أمام أهل الجحود، من هذا المنطلق كانت أكثر تصانيف العلامة سكيرج في مقاومة المنكرين والرد عليهم بالحجة والدليل الواضح.

أن نقترحه لأنفسنا من أصغر طالب منتسب للجناب المحمدي التجاني، بما لنا من جميل الاعتقاد في الجميع، حيث أن سائر الإخوان رضوان الله عليهم ما فيهم صغير :

وكل مريد منهم في العلا علا — على غيره من غيرهم في العلا عال
وإني وراء الكل أمشي مقبلا — لأقدامهم ما عنهم حلت في حال

وكأني بهذا السيد أراد اختباري فيما أنا عليه من الدعوى المريضة فيما ينسبه إلى الأحباب والمحبون من مزايا، وأخشى أن تكون رزايا، إلا أن يتداركني المولى سبحانه بأخص اللطفين المبشر بهما مريدوا هذه الطريقة المحمدية.

وعلى كل حال فامتثالا لأمره، في سره وجهره، فنحن أجزناه بما لدينا طبق الشروط التي هو منها على بال، في الإدبار والإقبال، مع التأكيد عليه في مراعاتها أكثر مما كان عاملا به، مع سلوك الجد في طريقتنا المحمدية بالقيام على ساق الإجتهاد في أداء المفروضات ونوافل الخيرات بقدر الإمكان، والتمسك بحبل الحق في السر والإعلان، وحب الشيخ والإخوان، وتعظيم أهل الله قاطبة، ومراعاة سر خصوصيتهم في المنتسبين لهم في سائر الأوطان، ولينظر لخلق الله بعين الرفق والرضى بقضاء الله فيهم، وليجتنب مخالطة المبغضين وترك السعي في إذايتهم، وليدع لهم بالتوفيق لهدايتهم، ولم أستثني عليه فيما أجزناه به إلا ما هو مشروط علينا في الإجازة به مشافهة من الإذن الخاص في الفاتحة بنية الاسم وحزب البحر، وقوفا مع الجادة في هذه الطريقة، التي وقفنا فيها والحمد لله على عين الحقيقة، وحسبنا الله ونعم الوكيل، مما تجنيه أنفسنا علينا في كل وقت، سائلا من الحق سبحانه أن يحوطنا بسور العافية من كل ما يوجب المقت، والحمد لله أولا وأخيرا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكتبه عن عجل خديم الحضرة المحمدية عبد ربه أحمد سكيرج أمنه الله.

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

أحمد الله الذي أوجدني من العدم، وأمدني بما لا أحصيه من النعم، فأشكره تعالى على ذلك كله، وهو المستحق للشكر، وأسأله الزيادة من فضله، فإني عبده الذي لا يخرج عما له من دائرة الفقر، مصليا ومسلما على الواسطة في سائر الألاء، التي شملت العباد طول الآناء، صلاة وسلاما تامين، ولآله وأتباعه عامين.

أما بعد : فقد سنح لي إجابة لمقترح علي(1)، يريد جلب الخير إلي، أن أترجم هنا لنفسي بنفسي، لأبناء جنسي، وأسميه : بحديقة أنسي في التعريف بنفسي، فأجبته إجابة سمع وطاعة، وقد اقتديت في هذا بجماعة من الأعلام كالسيوطي وأبي الربيع الحوات(2)، وكثيرا ما تمنيت العثور على ما ألفوه في التعريف بأنفسهم، فلم يتيسر لي ذلك، فسلكت هنا مسلكا ظهر لي أنه من السعي المحمود، حقق الله لي الرجاء به في بلوغ المقصود، فأقول والله الموفق :

قد تزوج والدي الأبر سيدي الحاج العياشي بن الحاج عبد الرحمن سكيرج الخزرجي الأنصاري بوالدتي السيدة فروح بنت السيد الحاج عبد الوهاب بن محمد التازي بتاريخ 28 رجب عام 1294هـ، بعد انقضاء عدتها من وفاة زوجها عمنا المرحوم السيد الحاج محمد(3) بن الحاج عبد الرحمن سكيرج، حسبما عثرت على ذلك برسم تزوجهما. وكانت ولادتي في شهر ربيع الثاني من العام المتصل بعام مقارنتهما، فكنت أول أولاده منها، وقد حدثتني والدتي أنها كانت أيام حملها بي مسرورة بحملها إلى أن وضعته، وقد كان قبل نفاسها أتى لباب سكناها بدار الشرفاء الطاهريين، في مقابلة وجه الداخل بدرب سيدي يدير، بحومة رأس التيالين من مدينة فاس، المجذوب الشهير

---

(1) الشخص المراد هنا هو السلطان الأسبق العلامة الفقيه المتضلع مولانا عبد الحفيظ العلوي، وقد وقفت على رسالة بعثها له من فرنسا يلح عليه فيها بتأليف كتاب خاص يترجم فيه لنفسه، حتى تنتفع به تلامذته، ويكون نبراسا حيا على ممر الأجيال لفائدة المهتمين والباحثين، ولهذه الغاية لبى العلامة سكيرج الطلب المذكور، فألف كتابه : حديقة أنسي في التعريف بنفسي، وكان في ذلك الإبان قاضيا بمدينة الجديدة ونواحيها، وكان فراغه من تصنيفه حسبما ذكر في 8 جمادى الأولى عام 1345هـ، كما كان سنه وقتذاك 50 سنة.

(2) أبو الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله الشفشاوني العلمي، الشهير بالحوات، فقيه مؤرخ، ولد بشفشاون بشمال المغرب عام 1160هـ، وتوفي بفاس عام 1231هـ، من مصنفاته : ثمرة أنسي في التعريف بنفسي، والروضة المقصودة في مآثر بني سودة، والبدور الضاوية في التعريف بأهل الزاوية الدلائية، والسر الظاهر فيمن أحرز بفاس الشرف الباهر من أعقاب الشيخ عبد القادر، وقرة العيون في الشرفاء القاطنين بالعيون، وغير ذلك، أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 379 رقم الترجمة 1514، وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 3 ص 116، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 133.

(3) كانت السيدة فروح والدة العلامة سكيرج متزوجة بالسيد الحاج محمد بن عبد الرحمان سكيرج، ولما توفي وانقضت عدتها منه تزوجها شقيقه الحاج العياشي بن عبد الرحمان سكيرج، فولدت له أربعة من الذكور، أولهم العلامة الحاج أحمد سكيرج، وكان للسيدة فروح ولد مع زوجها السابق سمي باسم أبيه، وهو محمد، وبهذا فهو أخ للعلامة سكيرج من جهة الأم، وابن لعمه من جهة أخرى.

بالسباعي(4) ووقف يزغرت رافعا بذلك صوته، وبيده وقيدة مشعولة، وهو ينادي أعطوها هذه، فخرجت امرأة لها بنت حاملة في البيت المقابل لبيت سكنى والدتي، فدفع لها الوقيدة مشعولة، ودخلت وهي مسرورة بذلك، وهي تقول لبنتها : خذي هذه، فإن سيدي السباعي أعطاكيها، فسمعته يقول من وراء الباب : لا،لا، ادفعيها للأخرى في البيت الآخر، فقالت سمعا يا سيدي وطاعة، وأتت إلى والدتي ودفعتها لها، فصار كل من في الدار يتعجب من ذلك مع كثرة التردد والوقيدة لم تنطفئ، وقد استبشرت والدتي بذلك، وفرح والدي وقال : لا بد أن يكون من أمر هذا الحمل ما يكون.

وفي ليلة سابع ولادتي كان الأقارب عند والدتي مجتمعين، وهم يتفاوضون في الإسم الذي يقع تسميتي به، وكل واحد يذكر إسما، وذلك بعد العشاء ليلا، إذ وقع الدق بباب الدار، وسمعوا السيد السباعي المذكور يقول : قولوا له أحمد، قولوا له : أحمد، فخرج إليه سيدي الوالد فقال له : قل له أحمد، فقال سمعا يا سيدي على الرأس والعين، فدخل سيدي الوالد مستبشرا وقال : لم يبق خلاف في التسمية، قد سماه السباعي بأحمد، ولم يكن ببالهم يخطر هذا الإسم، وقالوا : إن هذا الصبي سيكون له شأن.

فصاروا يتتبعون أحوالي، وعلامة الجذب تلوح علي، وصرت أعمل مثل عمل ذلك المجذوب، فقالوا : إن هذا سيكون خليفة للسباعي، ولكن الله سلم، فقد كانت لذلك المجذوب أحوال، حيث يتطوف بالزقاق، حاملا بذيل جلابيته ترابا وحجرا، وينادي في الأسواق الزيت بكذا، الزرع بكذا، كأنه يجعل لذلك سعرا، والناس يتطيرون من ذلك، فلا تمضي مدة حتى يكون سعر ذلك وفق مقاله. وربما يصرح بموت شخص فيقع ذلك. ثم إن والدي قد اعتنى بأمري، ووالدتي تنظر في شأني، خائفين علي من ذلك الجذب الذي يعد به المرء في حيز المعدوم في هذه الدنيا. فحفظني الله وله الحمد من ذلك الجذب المطبق.

وقد كان في مجاورة الدرب الذي نحن ساكنون به رجل يبيع الحلوى موسوم بالخير، له محبة كبيرة في جانبي وأنا صغير. فكان يطلب من والدي ووالدتي أن أبيت عنده، فتقول له : يا سيدي : إنه يبول، فيقول : مقبول مقبول، فكان سيدي الوالد يشفق من حاله، فأبيت عنده وهو في فرح تام مع زوجته بي، وقد كانوا يتفاءلون بإقباله علي، وكان ممن هم موسومون بالصلاح. ثم بعدما عقلت القربة ذهب بي سيدي الوالد إلى المكتب عند الفقيه المدرر السيد ابن شقرون، بالحانوت التي عن يمين الداخل لحومة عين الخيل. ثم إلى الفقيه الطراف بقصد التعلم. ولم أستحضر شيئا مما استفدته من هذين الفقيهين، ولم أحصل على يديهما شيئا، بل الآن إنما تخطر صورتهما بين عيني، من غير معرفتي بهما، لعدم ضبطي لحالي في ذلك الوقت بما كان يعتريني من الجذب، فلذلك لم أستحضر الآن جل الأحوال التي كنت عليها زمن الطفولة حتى انجلى عني الجذب أيام الصبا، فتعلمت الكتابة. فكنت في جل الأوقات لا أخرج من الدار إلا للمكتب ثم أرجع إليها. وأجمع بين يدي أوراقا فأخط عليها خطوطا وأجعل عليها دوائر بألوان، وأكتب بوسطها بعض الآيات، مع هذه الكلمة (بركة محمد) بالخط الكوفي بشكل أربعة عشر طولا وعرضا. وربما بعت ذلك، وأعمل ذلك مع تزويق بنشاط تام.

(4) المجذوب الموله الساقط التكليف، أبو عبد الله سيدي محمد السباعي، الملقب عند بعض الناس بشيتي، كان مجذوبا، ذاهبا، ساقط التكليف، يبول ويتغوط على ساقيه، وكان رجلا في الظاهر والباطن، يخبر بمغيبات جلالية من الغلاء ونحوها، فبعضها يكون كما أخبر، وبعضها تلوح عليه لوائح الوقوع ثم تصحبه الألطاف الخفية، وكثير من الناس يتبركون به ويتوسمون فيه الخير والبركة، ومنهم من ينفر عنه لما يراها فيه من الجلال وتغير الحال، توفي رحمه الله ليلة الأحد 8 ربيع الثاني عام 1302هـ، ودفن بجوار قبة سيدي مسعود الدراوي من أعلاها، رأسه لناحية القبة المذكورة، ووجهه لجهة القبلة، أنظر ترجمته في سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 2 ص 238.

وكان جل أقاربي يعتقدون في جانبي، ويتبركون بما أكتبه من ذلك. وربما طلبوا مني كتب حرز لهم طبق أغراضهم، فيقع ذلك لهم فيزيدهم ذلك في جانبي حسن ظن، وجميل اعتقاد، فكنت مع صغر السن مقصودا لذلك. فتاقت نفسي إلى الخوض في علم الجدول، وسر الحرف والإسم، فكان أول كتاب اشتغلت بمطالعته في هذه الفنون هو الجزء الأخير من تذكرة الشيخ داوود الأنطاكي(5)، بعد أن قرأت طرفا من القرآن. وكانت همتي مصروفة في ذلك.

ومع شدة اعتناء سيدي الوالد بي لم أكن أحفظ كثيرا. بل الغالب علي كثرة النسيان. وماذاك إلا لعدم إقبالي بالكلية على حفظ ما أومر بحفظه. حتى كان رحمه الله يظن أني لا أحصل شيئا مما كانت والدتي تقدمني إليه لأكون مثل أخي من ضرتها سيدي محمد حفظه الله. فقد كانت تراه مقبلا عليه لما له من الحفظ والنجابة، مع ذكاء وإقدام على الأمور. مع فصاحة زاد الله في معناه. وكانت تحب أن أكون مثله. وأنا في بلادتي مقيم وجمود قريحة. إلا ما كان من الخوض فيما أشرت له، فقد كنت أجد من نفسي إقبالا عليه، وقابلية في فك رموز ذلك الكتاب، واستفحل الأمر عندي بمطالعة غيره من كتب فن الجدول ونحوه من فنون السيميا، وأتعلق بمن له معرفة بذلك لأخذه منه، مع صغر سني.

وقد حرصت والدتي على والدي بإدخالي للقرويين(6) حين دخل الأخ المذكور للقراءة بها، فأدخلني إليها جبرا لخاطرها، وأنا لا أفقه إلا مجرد تهجي الخط، وحفظ طرف من متن المرشد

---

(5) داوود بن عمر الأنطاكي، عالم بالطب والأدب، كان ضريرا، انتهت إليه رياسة الأطباء في زمانه، وكان قوي البديهة يسأل عن الشيء من الفنون فيملي على السائل الكراسة والكراستين، قال المحبي : وقد شاهدت رجلا سأله عن حقيقة النفس الإنسانية فأملى عليه رسالة عظيمة.
وله مصنفات كثيرة أشهرها : تذكرة أولي الألباب، في الطب والحكمة، في ثلاث مجلدات، والنزهة المبهجة في تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة، وزينة الطروس في أحكام العقول والنفوس، وغاية المرام في تحرير المنطق والكلام، ونزهة الأذهان في إصلاح الأبدان، وتزيين الأسواق، في الأدب، وكفاية المحتاج في علم العلاج، وألفية في الطب، وشرح عينية ابن سينا، ورسالة في علم الهيئة، وكانت وفاته رحمه الله بمكة عام 1008هـ، أنظر ترجمته في خلاصة الأثر للمحبي ج 2 ص 140-149، وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 333.

(6) جامعة القرويين : أول جامعة دراسية ثقافية متخصصة على صعيد العالم الإسلامي، بنتها من مالها الخاص السيدة أم البنين فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري، وكان الشروع في حفر أساس هذا المسجد العتيق يوم السبت مهل شهر رمضان المعظم عام 245هـ، في عهد المولى يحيى بن محمد بن مولاي إدريس الأزهر، أحد ملوك الدولة الإدريسية الشريفة، أنظر جذوة الاقتباس لابن القاضي ص 52.

المعين لابن عاشر(7)، وذلك عام 1309هـ. وأول مجلس حضرت فيه مجلس شيخنا العلامة الشريف المولى عبد السلام بن عمر العلوي(8) في افتتاح ألفية ابن مالك. فجلست أول يوم بالصف الأول من مجلس درسه، فكان يلقي على الطلبة بعض الإمتحانات في التعليم فيجيبونه. وأنا لا أجيب عن شيء منها. فاعتراني خجل كبير، فانتقلت بنفسي للصف الثاني، فصار يخصني بالتفاتات ويلقي علي بعض الأسئلة. فلا أدر ما يقول، وصرت مهتما بأمري، وانتقلت لآخر الصفوف، وأجعل الطلبة حجابا بيني وبينه حتى لا يلقي علي ما يلقي عليهم.

وقد اعتراني بذلك هم كبير، فصرت أبكي حين أرى الطلبة يفهمون وأنا لا أفقه شيئا مما أقرأه. ويزيدني سيدي الوالد اغتماما باختباره لأحوالي، ويرى من الأخ ذكاء زائدا وحرارة كبيرة في الإقبال على التعلم، وأنا في برودة فكر، وبلادة فهم، فاتفق مع والدتي أن أتأخر عن القراءة في القرويين، وأزيد قراءة في المكتب نحو العامين، فكان في ذلك لي نوع راحة.

وفي ذلك الإبان اشترى لنا جدنا البركة سيدي الحاج عبد الرحمن سكيرج(9) نسخة من الزرقاني(10)، وكنت اشتريت قبله نسخة من شرح ميارة الصغير(11) على متن المرشد، فكنت أنظر إلى خطه السلكي بالمطبعة المصرية، فكان يحلو في نظري حلاوة لازلت أستحضر إلى الآن حسن ذلك الخط، وقد قضى علي ولوعي بعلوم السيميا أن لازمت المرحوم السيد سعيد السوداني بحومة الشرابليين من فاس، فكان لي به حسن استبصار في فهم اصطلاحات تلك الفنون، ومن ذلك الحين وأنا أبحث على الكتب المؤلفة في ذلك. فاطلعت على شروح مثلث الغزالي، وشروح منظومة

---

(7) عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري الفاسي، أحد القراء والفقهاء المشاهير، ولد بفاس عام 990هـ، وتوفي بفاس المدينة عام 1040هـ، ولم يتجاوز سنه عند وفاته خمسين سنة، من مصنفاته: المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، وشرح مورد الظمآن للخراز، في رسم القرآن، وتنبيه الخلان في علم رسم القرآن، ونظم في العمل بالربع المجيب، وشفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح، أنظر ترجمته في سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 2 ص 274-276، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 299 رقم الترجمة 1161، وفي صفوة من انتشر للإفراني ص 59، وفي النبوغ المغربي لعبد الله كنون ج 1 ص 248، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 327 رقم الترجمة 732، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 175.

(8) سبق التعريف به، أنظر ج 1 ص 25 من هذا المجموع.

(9) سبق التعريف به، أنظر ج 1 ص 6 من هذا المجموع.

(10) أبو محمد عبد الباقي بن يوسف بن أحمد الزرقاني، من أعلام المالكية بمصر، ولد بها عام 1020هـ، أما وفاته فكانت في شهر رمضان المعظم من عام 1099هـ، وله رحمه الله مصنفات جليلة منها: شرح على مختصر خليل، وشرح العزية، وشرح على خطبة خليل للناصر اللقاني، ورسالة في الكلام على لو إذا، ومنسالا، وأجوبة على أسئلة رفعت إليه، وغيرها، أنظر ترجمته في خلاصة الأثر للمحبي ج 2 ص 287، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 272، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 304 رقم الترجمة 1177، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 337 رقم الترجمة 752.

(11) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد ميارة الفاسي دارا وقرارا، ولد بفاس عام 999هـ، وبها توفي عام 1072هـ، وهو من خيرة فقهاء فاس خلال عهد الدولة السعدية، له مؤلفات كثيرة منها: شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، كبير وصغير، والإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام، وتنبيه المغترين على حرمة التفرقة بين المسلمين، وشرح لامية الزقاق، وتكميل المنهج المنتخب في قواعد المذهب للزقاق مع شرحه، وزبدة الأوطاب في اختصار الحطاب، في ثلاثة مجلدات، أنظر ترجمته في النبوغ المغربي لعبد الله كنون ج 1 ص 249، وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 1 ص 165-167، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 331 رقم الترجمة 743، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 309 رقم الترجمة 1200، وفي معجم المطبوعات لسركيس 1821، وفي صفوة من انتشر للإفراني ص 140، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 11.

المرغيثي السوسي(12) ناظم المقنع، وعلى شروح أرجوزة الجزنائي(13)، وحصل لي ولوع كبير في استنساخ كل ما يرجع لفنون السيميا، وكتب الصوفية، وبالأخص مؤلفات ابن عزوز(14)، فكتبت بيدي من كتبه رسالة الصوفي للصوفي، وكتاب كشف الظمأ، ورسالة السر الوفي، وكتاب حل المعقود وعقد المحلول، وكتاب إثمد البصائر، وغير ذلك من كتبه وكتب غيره.

وكان لي اعتناء بالإستطلاع على الفنون الغريبة، فخضت في فن الطب والتشريح مع زوج ابنة خالتي الطبيب الشهير السيد الحاج الحسن الفطواكي. فقد كان أعجوبة في الأمور الجراحية بالعملية التي حضرت معه فيها، ورأيت المنفعة الحاصلة على يده في التقديح والشق في الإستسقاء الطبي ومعالجة الخنازير، وغير ذلك من استعمال المسهلات، وحفظه للمجربات، مع كونه لا يقرأ، فكنت أسرد له بعض المؤلفات الطبية فيفهم منها ما لا أفهمه، وتكون النتيجة عنده محققة، فأستفيد منه ما لا أستفيده من تلك الكتب التي منها التذكرة، وتسهيل المنافع، والمجربات، وغير ذلك.

---

(12) محمد بن سعيد بن محمد بن يحيى السوسي المرغيتي، إمام، عالم، محدث، مفسر، عارف بعلمي التنجيم والفلك، ولد بسوس عام 1007هـ، ونزل مراكش وبها توفي عام 1089هـ، من مصنفاته: المقنع، في علم التوقيت وشهور العام وأيام السنين العربية والعجمية، وله عليه شرحان كبير وصغير وهما: الممتع في شرح المقنع، والمطلع على مسائل المقنع، واختصرها بكتابه: مختصر المطلع على مسائل المقنع، والإشارة الناصحة لمن طلب الولاية بالنية الصالحة، ونظم في الربع المجيب، ومختصر اليعمري، في السيرة النبوية، وحواش على ألفية ابن مالك، في النحو، وأرجوزة في التصوف، وأرجوزة في الحل، والمفيد في شرح أرجوزة ابن سعيد، (محمد بن سعيد العباسي) وغير ذلك من المؤلفات الأخرى، أنظر ترجمته في المعسول للمختار السوسي ج 10 ص 185-203، وفي سوس العالمة لنفس المؤلف ص 182، وفي رجالات العلم العربي في سوس لنفس المؤلف كذلك ص 40، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 554 رقم الترجمة 313، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 333 رقم الترجمة 747، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 139.

(13) عمر بن عبد العزيز بن يوسف الجزنائي، الفقيه الحيسوبي الناظم الناثر الفرضي، من مصنفاته رجز في علم الأوفاق مع شرحه، أنظر ترجمته في جذوة الاقتباس لابن القاضي ص 495، رقم الترجمة 564، وفي درة الحجال في أسماء الرجال لنفس المؤلف ج 2 ص 417 رقم الترجمة 1183.

(14) عبد الله بن أحمد بن عبد العزيز (عزوز) المراكشي دارا ومنشأ، السوسي أصلا، العباسي نسبا، يعرف بسيدي بلة، له خبرة واسعة بعلم الطب، ومعرفة دقيقة بعلوم السيميا، من مصنفاته ذهاب الكسوف ونفي الظلمة، في الطب، والأسئلة والأجوبة في الطب، وإثمد البصائر في معرفة أحكام الظاهر، وكشف الرموز في العقاقير والأدوية، وبحر الوقوف على أسرار الحروف، وحل المعقود وعقد المحلول، والسر الوافي والترتيب الكافي، ورسالة الصوفي للصوفي، وغير ذلك من المصنفات الكثيرة، وكانت وفاته عام 1204هـ ودفن بداره بدرب الحمام من باب أيلان بمراكش. أنظر ترجمته في الأعلام للزركلي ج 4 ص 69، وفي النبوغ المغربي لعبد الله كنون ج 1 ص 310، وفي السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية لابن الموقت ص 46.

وكان له ولوع بمطالعة كتاب ألف ليلة وليلة، وهو كتاب عجيب الصنع، يكتسب به مطالعه طلاقة لسان، وحسن انسجام في الكلام، فكنت أسرده عليه، ومن عجيب الإتفاق أننا كنا نسرد فيه قصة اشتملت على كيفية اهتزاز الأرض والسبب فيها، ونحن نتعجب من ذلك، إذ اهتزت الأرض بنا اهتزازا لم نعهد مثله، فضج الناس وخرجوا من دورهم، وكل يظن أن محل سكناه يسقط عليه، ولقد رميت بنفسي للأرض من درج عالية من المحل الذي كنا به بحومة المقية، بالطراز المحمول على الساباط المكتنف بين مقصورة المسجد هناك وضريح الولي سيدي أبي رمضان(15)، وذلك للفزع الذي حصل لنا بتلك الهزة التي كنا نتخيل سببها ووقعت في الحين، وفقدنا الشعور عندها. ولقد كان الطبيب المذكور حائزا لشهادات ونياشين دالة على ما له من الباع فيما يخوض فيه، ولم أكن أعرف معنى النياشين من قبل أن أراها عنده. وكنا نرى أن صاحبها إذا تقلدها تقلد سعة الحماية، وعلامة الكفر، فنستعظم أمرها، ونتخوف من حاملها، فكان الناس يتباعدون من مخالطته كثيرا. غير أنه بذلك حصلت له شهرة، فأقبل الناس عليه في معالجتهم، لانحياش الطبع إلى كل غريب مخالف لما اعتادوه في الزي ونحوه. ولذلك تجدهم يقبلون على الأجنبي في تعاطي التداوي، ولا يلتفتون لمن معهم من أقاربهم، ويرون المنفعة تحصل على يد الأجنبي أكثر من غيره. وقد طالت مخالطتنا معه مع ملازمة نافعة للمجانين، وكان يعتقدني اعتقادا جميلا إلى أن توفي رحمه الله، ثم قبل ملازمتي له كنت رجعت سنة 1311هـ للقرويين بعد وفاة المقدس السلطان مولانا الحسن، وفي هذه السنة توفي جدي السيد الحاج عبد الرحمن عن سن يناهز المائة، بل يجاوز التسعين. ودفن أيام عيد الأضحى، والناس في هول من بلوغ خبر وفاة السلطان المذكور، ولم يسكن ما بهم من الروع حتى نودي في الأسواق بوفاته، ونصر المولى عبد العزيز(16).

وقد حضرت في مجالس متعددة على من عرفت ومن لا أعرفه، فكنت ملازما لشيخنا المرحوم مولاي إبراهيم بن عمر بن اليزيد الإسماعيلي(17)، وحضرت مع والدي في مجالس المرحوم سيدي التهامي بن المدني كنون(18) بضريح سيدي قاسم بن رحمون(19)، غير أني لم أستحضر أني استفدت منه شيئا.

---

(15) أبو العباس سيدي أحمد المدعو أبو رمضان، أنظر ترجمته في سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 1 ص 227.

(16) السلطان المولى عبد العزيز بن الحسن العلوي، بويع له بعد وفاة والده عام 1311هـ، وبقي على العرش فيه إلى أن تخلى عنه عام 1326هـ، فسكن مدينة طنجة، وبها توفي عام 1363هـ، أنظر الدرر الفاخرة لابن زيدان ص 111، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 16.

(17) أنظر قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 13.

(18) أنظر ج 1 ص 6 من هذا المجموع.

(19) الولي الصالح سيدي قاسم بن رحمون الزرهوني، صوفي جليل، أخذ عن سيدي الحاج الخياط الرقعي دفين الشرشور، وعن سيدي محمد بن مولاي عبد الله الشريف الوزاني، وعن ولده مولاي التهامي الوزاني، وأخيه سيدي الطيب الوزاني، وتوفي رحمه الله يوم الإثنين 7 ذي الحجة الحرام عام 1249هـ، ودفن بداره الكائنة بقصبة درب مينة من حومة النجارين، وضريحه من بين أشهر الأضرحة وأفخمها وأضخمها بهجة وزخرفا بالحضرة الفاسية، يتنافس الأغنياء والوجهاء في شراء القبور به، والأعمال بالنيابة، ولم يألو أصحابه جهدا في الزيادة في توسعته، والتحبيس عليه لإقامة الأوقاف وقراءة الأحزاب القرآنية، وتدريس العلم ضمن الشتاء بين العشاءين، والوعظ به كل بكرة وعشي، أنظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 5 ص 527، وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 1 ص 100.

وحضرت بمجلس جماعة من المدرسين منهم الشريف سيدي الطيب بن المولى أبي النصر البكراوي(20)، والشريف سيدي المهدي بن رشيد العراقي أخو مجيزنا العلامة القاضي سيدي محمد العراقي(21)، وأخيه سيدي المامون(22) رحمه الله، ومجلس الفقيه سيدي أحمد بن العباس البوعزاوي(23) قيم خزانة القرويين، والفقيه الخطيب بجامع الأندلس سيدي الطاهر بن الجلود السودي، والفقيه السيد خليل بن صابر الخالدي(24)، والفقيه سيدي عبد السلام الهواري(25)، والفقيه المسن سيدي الطيب بن كيران(26) حيث حضرت مجلسه بين العشائين بجامع زقاق الماء في قراءة المرشد المعين، ومجلس درس الفقيه المحدث سيدي أحمد بن سودة(27) لصحيح البخاري بالحرم الإدريسي، وغيرهم من الفقهاء المدرسين في ذلك الوقت.

وقد طالت ملازمتي للدروس، ولم أحصل على ما تطيب به النفوس، بل ما زلت أعاني مرارة المرور بين يدي طلبة العلم الذين ذاقوا حلاوة العلم، وأنا في غباوتي من المترددين، ولعدم حصولي على شيء في تلك المدة، كان يعد سيدي الوالد أن ذلك مني من قبيل البطالة، وإضاعة العمر في لا طائل، فألزمني ملازمة المكتب، خصوصا حين شاهد نجابة الأخ حفظه الله بتقدمه وتأخري في حفظ ما قرأته، وكان غالبا ما يتخاصم مع سيدتي الوالدة في أمري. حتى أفضى الحال بإلزام الأخ المذكور

(20) سبق التعريف به في ج 1 ص 25 من هذا المجموع.
(21) سبق التعريف به في ج 1 ص 30 من هذا المجموع.
(22) سبق التعريف به في ج 1 ص 30 من هذا المجموع.
(23) سبق التعريف به في ج 1 ص 38 من هذا المجموع.
(24) خليل بن صالح الخالدي الحشمي، نسبة إلى الحشم، وحدة قبائل عرب تلمسان، نشأ بتلمسان ثم استوطن فاسا، تولى خطة القضاء بمدينتي مكناس وزرهون عام 1321هـ، وكانت وفاته بفاس صبيحة يوم الإثنين 19 ذي القعدة الحرام عام 1326هـ، ودفن بجوار ضريح سيدي أبي بكر بن العربي المعافري خارج باب الشريعة المعروف باب محروق، أنظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 3 ص 23. وفي نيل المراد في معرفة رجال الإسناد للعلامة الحجوجي ج 1 ص 56.
(25) عبد السلام بن محمد الطاهر الهواري، نسبة إلى هوارة، فقيه جليل، تولى خطة القضاء بفاس، من مصنفاته : حاشية على شرح محمد التاودي للامية الزقاق، وشرح الوثائق الفرعونية، وجواب في رد ما أحدثته العامة في صلاة العيدين، وفهرسة في شيخه أبي علي حسن بن محمد بن أحمد كنبور الورياغلي، وغيرهم من التقاييد والرسائل، وكانت وفاته رحمه الله يوم الجمعة 23 جمادى الثانية عام 1328هـ، ودفن بزاوية الشرادي، مقابل درب الدروج من عدوة فاس الأندلس، في محل واحد مع العلامة قاضي مكناسة الزيتون سيدي أحمد بن سودة، أنظر ترجمته في نيل المراد للعلامة الحجوجي ج 1 ص 55، وفي الذكر السامي للحجوي ج 2 ص 374 رقم الترجمة 820، وفي معجم المطبوعات لسركيس 1900، وفي معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي ج 2 : 110، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 8.
(26) أبو المجد الطيب بن أبي بكر بن العلامة الطيب بن كيران، فقيه نوازلي، كان يحفظ مختصر خليل على ظهر قلب، ويلازم درسه بالقرويين حتى ختمه مرتين، توفي رحمه الله في شهر شعبان عام 1314هـ، أنظر ترجمته في سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 3 ص 8، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 433 رقم الترجمة 1706، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 234.
(27) أبو العباس أحمد بن الطالب بن سودة المري، قاضي الجماعة بمكناسة الزيتون، ولد بفاس عام 1241هـ، وبها توفي في 10 رجب عام 1321هـ، ودفن بعد صلاة العصر من يومه بزاوية الشرادي، من مصنفاته : حاشية على صحيح الإمام البخاري، في مجلدين، وشرح الشمائل، وتحرير المقال، وشرح على الهمزية، لم يتمه، أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 430 رقم الترجمة 1694، وفي الذكر السامي للحجوي ج 2 ص 369 رقم الترجمة 816، وفي إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 456، وفي الإعلام بمن حل مراكش لابن إبراهيم ج 2 ص 269، وفي معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي ج 1 : 99-103، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 139.

بالجلوس معي بالمكتب، وكنا نفر من المكتب من قبل ذلك ونحن صغار السن، وحببت إلينا البطالة حتى آلى على نفسه أننا إذا لم نلازم القراءة فإنه يذهب بنا للخدمات الشاقة، وكذلك كان، فإنه أدخلني لحرفة الطرازة، وتكلم سرا مع المعلم ليمكر بي لكي أذوق وبال مشقة التعليم، وقصده بذلك تأديبي لأقبل على القراءة بقلب وقالب، وأدخل الأخ لدار الدباغة التي هي بحومة عين زليتي، ثم نقلني إليها مشددا علينا حتى ضاقت علينا الأرض بما رحبت. وقد حصلت على هذه الصناعة وعمري نحو 12 عاما، وكلما شاهدنا الوالد نشتكي من تعب الخدمة يتشفى فينا ويظهر التشفي، لنعرف قدر ما كنا فيه من نعمة الراحة في التردد للمكتب.

وبعد شهور وردت لدارنا إحدى خالات والدي، وكانت امرأة صالحة، فحدثته بأنها رأت رؤيا ونحن بحضرته، وسكين بيده يقطع بها أيدينا، فصار يتأسف لرؤياها، وأولها بما نحن فيه، وفي الحين دخلت مع الأخ للدار، فرأتنا في لباس تلك الخدمة، فأخذها حال وصارت تبكي، وقالت للوالد : هذا تأويل رؤياي، ولا أخرج من هنا حتى تردهم لقراءتهم، ويرجعون لحالتهم، وأمرت بإحضار لوحتي التي كنت أتيت بها من المكتب حين خروجي منه، فأخذها سيدنا الوالد بيده، فوجد المحل الذي أنا ابتدأت به لوحتي قوله تعالى : "إنك لا تهدي من أحببت، ولكن الله يهدي من يشاء"(28)، فصار سيدنا الوالد يبكي، ثم ذهب بنا إلى المكتب بباب حومة المنية، لدا الفقيه المدرر سيدي محمد بن الهاشمي الكتامي(29)، فأقبل علينا ذلك الفقيه بنظرته، ولازمنا القراءة حتى ختمت القرآن، وقد أرضى سيدنا الوالد خاطر الفقيه المذكور بما مكنه به في الختم في محفل الإحتفال بالختمة. ولقد حصل للفقيه المذكور حال، وأقسم بأيمان غليظة في مجمع الحاضرين للفرح بالختم بأن الله سيفتح علينا قرأنا أو لم نقرأ، فاستبشر بذلك سيدنا الوالد، وتم له الفرح بما اعتقده من إجابة الدعاء من معلمنا الفقيه المذكور، وكان فقيها مباركا مشهورا بإجابة الدعاء.

ومن ذلك الوقت وهمة سيدنا الوالد مصروفة لنجاحنا، وبث فينا روح محبة العلم للإقبال عليه، ويصحبنا معه للحضور لمجالس العلم، حتى دخلنا للقرويين في السنة الذكورة التي هي سنة تسع وثلاثمائة وألف، وهو مسرور بذلك يرد باله إلينا، ويحث كل واحد منا على التنافس، حتى كان الأخ سيدي محمد دائما له التقدم علي في القيام على ساق الجد في الحفظ والفهم، من غير أن أزاحمه في جميع ما قام به لاستيلاء الكسل علي، مع برودة الهمة في الطلب، حتى شعرت بروح التنافس تدب في نفسي حين صار الأخ في مكانة مكينة من التقرب إلى سيدنا الوالد، بما يمليه عليه من حفظه، ويبهر الحاضر معه بفهمه، وسيدنا الوالد يرضي عنه، ويلومني على التقاعد عما فاقت به أبناء الجنس علي، فصرت مغموما من شدة ما اعتارني، فصرت أتعلق بمن يأخذ باليد، لأبلغ من طلبي غاية المقصد،

---

(28) سورة القصf ، الآية : 56.

(29) سبق التعريـ2 به في ج 1 f 20 من هذا المجموY.

حتى يسر الله باجتماعي بشيخنا العلامة سيدي الحبيب بن سيدي الحاج الداودي التلمساني(30) فشكوت له ما أنا مصاب به من سوء الفهم والكسل المستولي علي بعدم حفظ سوري، ونحو ذلك مما تقدم به علي طلبة العلم، فقال لي : إنك لم تهتدي لطريقة التعلم والتعليم، فإن الطريقة السهلة في الوصول للمقصود هي نصف الحفظ والفهم، فتعلقت بأذياله، فأشار علي بطرح كل ما علق بذهني مع الإقبال على ما يشير به علي، فوفقني الله لإجابته لما أشار به علي، ولم تمض مدة يسيرة حتى صارت مخدرات المعاني يلوح لي نور وجهها، من خلال ما أحفظه من متون وغيرها.

وكنت أيام قراءته معي أتردد لمجلس شيخنا العارف بالله سيدي إدريس عمور الفاسي(31)، ولازمته مدة حين حلت لي عبارته، وذقت من شراب المعنى، فوجدت من نفسي قابلية الحفظ مع الفهم، فأقبلت على تلقي ما يلقي إلي بكل الكلية، وعلمت عند ذلك أن القابلية في كل شيء بحسب الذوق لما يخوض فيه الطالب، وما دام لم يذق حلاوة الشيء الذي يريده إلا وهو في عناء تام، حتى إنه ربما يفضي به عدم فتح الباب في وجهه إلى اليأس من التحصيل، وأول ما حفظته قول الشاعر :

اطلب ولا تضجر من طلب	فآفة الطالب أن يضجرا
أما ترى الحبل بتكراره	في الصخرة الصماء قد أثرا

وقد اهتم بأمري شيخنا سيدي الحبيب المذكور، فصار يناولني من فواكه الآداب، ما هو مستطاب، شيئا فشيئا، ويلزمني بحفظه، بعد أن يفهمني معنى ذلك، ويقول لي : لم يبق إلا الحفظ بعد الفهم، لأن الفهم نصف الحفظ، ويلزمني بتكرار ما حفظته، ويتفقدني المرة بعد المرة في الإستشهاد بما حفظته من الأدلة، خصوصا في أمثلة النحو والفرائض التي حصلتها بقراءتي لها عليه، فإن أصبت أقبل علي، وإن أخطأت لم يلتفت إلي، حتى أسترضيه عني بما في طوقي من تقبيل يديه، ويرى ذلك مني عن قريحة. وهكذا حاله معي حتى رأيت النحو الذي كنت أستصعب تحصيله من أسهل الفنون.

وقد جاراني في ميدان المسابقة على الغير بما بثه إلي من معارف عالية. وحصلت على النتيجة التي كنت راغبا فيها مما خضت فيه من علوم السيميا، التي كانت له اليد الطولى فيها، بعد أن كتم عني أمره في ذلك، ووجد مني تضلعا، لكن غير تام حسبما هنالك، وميزت على يده بين الحروف القولية والحروف الفعلية، بما اتضح لي من التعليم الحقيقي الذي تتم به المنفعة للطالب، وهناك رآني الأخ سيدي محمد لابسا لحلة كنت متجردا عنها من قبل، فتعلق بأذياله واستفاد منه ما أخذه عنه. ولكن لم يلازمه ملازمتي له ليلا ونهارا، حتى كان يظن بعض من يراني معه أنني ابنه الوحيد الذي لا يفارق والده، وليس له عنه محيد، فكان من حسن تعليمه أنه لا يحبني أن أتظاهر بمعرفة ما قرأته، حرصا علي بأن لا أقنع منه بما حصلت من الفن الذي يقرؤه معي.

---

(30) سبق التعري2 به في ج 1 f 29 من هذا المجموY.
(31) سبق التعري2 به في ج 1 f 29 من هذا المجموY.

ومن أعجب ما حصل لي معه أنه قرأ معي فن الفرائض بمنظومة العلامة الرسموكي(32) ممزوجة بنص المختصر. وكان يلزمني بتطبيق الإستشهاد بالنصين على كل مسألة قررت، غير أنه كان يختار منظومة الرسموكي، خصوصا باب أنواع الحجب منها على نص المختصر لسهولتها، بخلاف لفظ المختصر، فإنه يحتاج فيه إلى تأمل، وربط الفروض ونحوها بمراجعة يتشتت عندها شمل فكر من لم يكن حافظا لجل باب الفرائض، وإن كان مؤلف المختصر سلك في الفرائض مسلكا باهرا على أسلوب فاق به غيره من المتقدمين.

فاشتغلت بحفظ البابين حالة درسه معي هذين البابين، وكان يمزج لي فقه ذلك بالعملية الحسابية. وصرفت الهمة مني في تحصيل ذلك على أتم الوجوه، وكشف لي الحجاب عن صرف الجامعة بأمثلة متكررة، بتطبيق علم ذلك الفن على العمل به حتى حصلت ذلك، ونفسي تتوق إلى الاستطلاع على غير ما هنالك، وهو يظن مني القصور، فألفت مختصر الفذلكة الجامعة(33) في نفس العام الذي قرأت عليه ذلك الفن، وهو عام 1314هـ في شهر رمضان وأتيت به إليه وقلت له : أنظر إلى هذا المختصر، وهو لأحد الفاسيين، فطالعه مطالعة انتقاد، فوجده جامعا لمطالب الفن من غير إخلال بصورة، فقال لي : إن هذا التأليف بديع، فخذ لي منه نسخة، لكونه في فنه جامعا مانعا نافعا، فواعدته بنسخة له، وبعد مدة سألني عنه وقال لي : إن ذلك التأليف لا نظير له في بابه، فأين النسخة التي واعدتني بها ؟ فقلت له : يا سيدي إنني مؤلفه، وقد استحييت من أن آتيك بنسخة من تأليفي، كما أني أبرهن لك به على تحصيلي لذلك الفن، فقال لي : يا سبحان الله، لا تخرج عن طبعك، فإني أريد بك الترقي، وأنت تحب الوقوف مع ما حصلته، وإن الغالب على طلبة العلم إذا استشعروا من أنفسهم الإدراك والفهم الوقوف عند ما حصلوا عليه دون الوصول للغاية القصوى، ظنا منهم أنهم ظفروا بالمقصود من ذلك العلم. وعلى كل حال فقد عرفنا منك أنك حصلت على المقصود الأهم من هذا الفن، فلا تكتف بما عرفته من سره، وغرفته من بحره، فإن فوق كل ذي علم عليم، فقلت له : يا سيدي الفضل لكم فيما أكرمني الله به على يدكم، وإنما مقصودي أن تزيد بي للأمام، فقال لي : إن الحق يقال، بأنك حصلت ذلك، وقصدي أن تكون دائما غير مكتف بما حصلت عليه من العلوم، والله يفتح عليك، وينفع بك، وينفعك آمين.

---

(32) أحمد بن سليمان بن يعǎƧ بن ۅبراهيم الجƧولي التƷاتيني الرسموكي، فقيه جليل، له معرفة واسعة بعلم الƽراƑƲ، توفي بمراكƫ عام 1133هـ، له مصنƽاƘ كƛيرة منƌا : الجواهر المكنونة، وهي أرجوƕة في الƽراƑƲ، وله عليƌا ƛلاƛة Tروθ، كبير، ووسƱ، وصƷير، ومن مƌƽاته كذلƩ : ذيل أرجوƕة الحساب للسملالي، وله عليƌا كذلƩ ƛلاƛة Tروθ، وكƽاية ذوي الألباب في فƌم معونة الƱلاب للدادسي، ورسالة في مسƘلة أوǓد الأعيان، وحاTية علǏ رسالة أبي Ƨيد القيرواني، وحاTية علǏ مختصر خليل، وحلة العروΣ في أجوبة وأسƑلة أهل سوΣ، وتحقيق القول في مسƘلة العول، ومختصر Ʊب الTوTاني، ونƲام في علم العروƯ، ورسالة في المضاƨ ۅلǏ ياء المتكلم، ومناƧل الTمΣ، ومجموعة فتاويه المتƽرقة، وƹير ذلƩ من التƉليƨ الأخرǎ، أنƲر ترجمته في المعسول للمختار السوسي ج 18 ƒ 330-337، وفي سوΣ العالمة لنƽΣ المƚلƨ ƒ 192، وفي رجاǗƘ العلم العربي في سوΣ لنƽΣ المƚلƨ ƒ 61، وفي ƱبقاƘ الحضيكي ج 1 ƒ 107، وفي الأعلام للƧركلي ج 1 ƒ 133.

(33) سبق التعريƨ به في ج 1 ƒ 84 من هذا المجموƳ.

وقد كنت أثناء ملازمتي لشيخنا المذكور أحضر بعض الدروس العلمية بمواظبة قلما انقطعت إلا بمانع قهري، لما حصل لي من الشغف في تحصيله على اختلاف أنواعه، وقلما منعني عذر من حضور مجلس شيخنا العارف بالله نقيب الأشراف بفاس مولاي عبد الله بن إدريس البكراوي(34). في سرده لصحيح الإمام البخاري في الثلاثة الأشهر من رجب إلى متم شهر رمضان من كل سنة، ولو في الأعوام الماضية التي كنت فيها لا أميز شيئا، حتى في مدة استخدامي، فقد كنت أحضر هناك مع سيدنا الوالد، وحضرنا مجلسه في قراءتنا للمختصر عليه، ونظر فينا ولله الحمد بنظرته الخصوصية بين خواص تلاميذه، وشاهدنا من فتوحاته ما أوجب علينا الحمد لله في امتنانه علينا بملازمته وإقباله علينا، ونظره إلينا بعين القبول. ولقد رأينا من كشفه ما كنا نتباعد كثيرا من الوقوع فيما لا ينبغي، خشية أن يشافهنا بما صدر منا من ذلك، وكثيرا ما صرح بذلك في معرض النهي عن التعرض للمنهيات، ويكاد أن ينطق باسم من صدر منه شيء من ذلك(35).

ولم أرى أحدا ممن خالطناه ممن نخشى كشفه عن ذلك منا بالا إلا شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد بن محمد بن القويدر العبدلاوي(36) التجاني، فقد لازمته منذ تقلدت بإذنه لي في أوراد شيخنا التجاني سنة 1316هـ، وشاهدت من كشوفاته ما تحققت به من أن الكشف عما يخفيه المريد عن شيخه حق يوجب عليه أن يكون منه على بال، فيحفظ نفسه من أن ياتيه متلطخا بما يقتضيه الهوى، خشية إفصاحه له عنه، وقد كان لي فيه اعتقاد كبير، وهو يعاملني بمقتضاه، حتى كنت غالبا ما أدخل عليه في داره وأطيل الجلوس معه ببيته، وقلبي مطمئن من الإلتفات لغيره، ولا أقدر أن أدخل عليه بجنابة أبدا، وقد اغترفت من بحره الطامي، بأسرار الختم التجاني، ما وجدت بركته بحمد الله في ذلك الإبان إلى الآن.

---

(34) سبق التعريف به في ج 1 ص 41 من هذا المجموع.

(35) ذكر العلامة سكيرج في كتابه قدم الرسوخ، في ترجمة العلامة سيدي عبد الله بن ادريس البكراوي قال : وكان رحمه الله يقول : إن الكشف إنما هو فراسة، ومثل لنا في رجل أمامه دابة حامل عليها جلود غنم جاء بها من مجزرة باب محروق، وهو رضي الله عنه وقتذاك بباب داره من حومة درب بوحاج من مدينة فاس، وقال لنا : إن ذلك الرجل سيصل في مروره إلينا، ثم يدفع دابته للتقدم أمامه، ويأتي لتقبيل يدي، ويطلب مني الدعاء، ثم يلتحق بدابته إلى أن يصل إلى فم ذلك الوادي بمسيل الخنقة، ثم يوقف دابته، ويذهب بنفسه إلى الوادي ليطل عليه ثم يرجع لدابته، ويذهب معها مع الطريق لحال سبيله، فكان الأمر على وفق ما قال، حتى كأنه اتفق مع ذلك الرجل ليفعل ما أخبرنا به رضي الله عنه، فسألناه كيف اطلع على ذلك ؟ فقال : قلت لكم إن المكاشفة إنما هي فراسة، وبيان ذلك هنا أن الرجل يستحي أن يمر ولا يسلم علينا، ومن الأدب أن لا يوقف الدابة بين أيدينا، وحيث أنها حاملة للجلود المقصود بها الغسل بماء الوادي، وفيه تغسل الجلود، فلابد أن يطل عليه هل هناك غسال يبادر الغنم، وقد عرفت بالتدبير وخرير ماء الوادي أنه لا أحد هناك، فإذا لم ير هناك أحدا يذهب بجلوده لمحل آخر، وهكذا الشأن في كل ما يكاشف عليه المخبر بالكشف، إلخ ...

(36) سبق التعريف به في ج 1 ص 27 من هذا المجموع.

وقد أجازني بالتقديم لتلقين أورادها، وأمدني بإمدادات سرية لا موجب لذكر شيء منها هنا، كما تلقيت الإذن في ذكر أوراد هذه الطريقة عن شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي عبد المالك الضرير العلوي(37)، وعن شيخنا البكراوي المذكور، والعلامة الفقيه السيد الحاج محمد فتحا بن عبد السلام كنون(38)، والمقدم البركة سيدي الحاج الطيب بن أحمد السفياني(39) وغيرهم، وقد دخلت في حزب هذه الطريقة بباعث قوي، قضى بسلوكي على صراطها السوي، أنتج لي ذلك الباعث مصاحبتي لجدي المرحوم سيدي الحاج عبد الرحمن سكيرج في زيارة زاوية الشيخ رضي الله عنه التي بفاس، وجلوسي معه فيها عند قراءة الوظيفة في بعض الأحيان، لكونه متقلدا بعهدها، وكذلك كنت أصاحب سيدنا الوالد في حضوري معه لذلك فيها، فنشأت تجانيا قبل تلقي الإذن فيها، ولم أعرف غيرها من قبل، على حد ما قال الشاعر :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى	فصادف قلبا خاليا فتمكنا

وكذلك كان والد(40) والدتي، فهو من خواص أحباب الشيخ الذين أخذوا عنه الإذن في طريقته مشافهة، وأول قصيدة عملتها من نظمي قصيدتي التي قلتها في مدحه رضي الله عنه عام 1316هـ حين ورد التابوت التونسي الذي وضع على قبره في يوم مشهود، ومطلع القصيدة :

داعي الغرام ببحره ألقاني	وسقى فؤادي بالرحيق القاني
فتنسمت ريح القبول بعرفه	والقول يهتف من قدود البان(41)

وقد كنت نسبتها لغيري فاستحسنها من سمع بها من أقراني، ولما تحققت منهم باستحسانها قلت لهم : إنها من إنشائي وإنشادي، فنسبها بعضهم للإنتحال، وبعضهم رجع عن استحسانه لها، وقل من بقي على فكرته الأولى. وتلك عادة الله في خلقه، فإن الكثير من الناس لا ينصفون، ولا يحبون لمن هو في نظرهم أحط رتبة منهم أن يتصف بما به يمتدحون، وكنت قبل إنشائي لها استعمل لي شيخنا الشريف اليزيدي(42) المتقدم على لساني قصيدة في مدح شيخنا سيدي المامون العراقي(43) في ختمه للمختصر بالقرويين، وقصد شيخنا اليزيدي المذكور التمرين على الإنشاء والإنشاد، وقد وجدت من نفسي قابلية لذلك، ولم تقبل نفسي الإنتحال بعد ذلك، وتعلقت به في قراءة

---

(37) سبق التعريف به في ج 1 ص 26 من هذا المجموع.
(38) سبق التعريف به في ج 1 ص 26 من هذا المجموع.
(39) سبق التعريف به في ج 1 ص 42 من هذا المجموع.
(40) سبق التعريف به في ج 1 ص 8 من هذا المجموع. وهو العارف بالله البركة سيدي عبد الوهاب بن محمد التازي.
(41) عدد أبيات هذه القصيدة 33 بيتا، نونية القافية، من بحر الكامل، كان عمره رحمه الله عند استعمالها 21 سنة، أنظرها بتمامها في النفحات الربانية في الأمداح التجانية للعلامة سكيرج ص 88، وفي نسمات الأسحار لنفس المؤلف ص 33.
(42) سبق التعريف به في ج 1 ص 29 من هذا المجموع.
(43) سبق التعريف به في ج 1 ص 30 من هذا المجموع.

فن العروض عليه، فقرأت عليه طرفا من الكافي(44)، كما قرأت طرفا من الخزرجية(45) على مجيزنا الفقيه سيدي العباس بن أحمد التازي(46).

وكان له بنا مزيد اعتناء، فامتزجت شاعريته بشاعرية شيخنا اليزيدي في مزاج قريحتي، فجاءت السجية على المنهاج الذي جرت عليه إلى الآن. فإني لا أجد ما أدافع به عني اقتحام إنشائه بعد تجاوز الأربعين التي يقول فيها القائل :

وماذا يقول الشعراء مني	وقد جاوزت حد الأربعين

وإني ما أرى الشعر إلا نفثة من جني مومن، أو شيطان مريد، لا يقدر الشاعر أن يدافعه عن شغل أفكاره به، والتفكر فيه إذا خلا بنفسه، بل حتى إنه ليستيقظ ليلا وهو في مضجع نومه يتقلب جنبا لجنب، يستدعي النوم وهو لا يجيبه، لشغل فكره بما يوحيه إليه ضميره من قرض الشعر، ولا يستريح إلا إذا استفرغ مما خطر بباله، بكتبه على الوجه الذي جال مع خياله.

ولقد كنت قبل معرفتي بفن العروض، بل وقبل تحصيلي لفن النحو وغيره من الفنون التي يتجرأ بها من يريد النظم. استعملت أرجوزة في بعض الفنون التي كنت ولوعا بها، وأنا في سن الطفولة، وهي في علم الرمل المعروف بالخط الزناتي، وهو فن له ارتباط بالأحكام النجومية، ولا أقول به الآن، فلذلك ضربت عنها صفحا. وإن كان نقلها عني بعض من له ولوع بذلك الفن، وقد علق بفكري منها بيت واحد عند التعرض لذكر المبادئ العشر، ونصه :

تعلم الأشيا جرى عند الأنام	خير من الجهل ولو كانت حرام

ولقد وجدت لمثل هذا الفن حلاوة، لمناسبته لهوى النفس في تضييع العمر بلا طائل ولا جدوى تحت ذلك، وشبهه مثل فن الزرايج، وما يرجع إلى الإستطلاع على المغيبات، فإن الإشتغال بذلك من شيم أهل البطالة المستحلين للخيالات الواهية، والمستحلين لأكل أموال الناس بالباطل، وهو أبعد نفعا من فن الكيمياء، وطلب فتح الكنوز الذي قيل فيهما :

كاف الكنوز وكاف الكيمياء معا	لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا
وقد تحدث أقوام بكونهما	وما أظنهما كانا ولا وقعا

(44) الكافي في علمي العروض والقوافي، من تأليف العلامة أبي العباس أحمد بن عباد بن شعيب القنائي، المعروف بالخواص، من علماء الأزهر بالقاهرة بمصر، له إلمام واسع بالقراءات والعربية والعروض، ولد في قنا بالصعيد المصري حوالي عام 780هـ، ودخل الأزهر عام 806هـ، ومن مصنفاته الأخرى : نيل المقصد الأمجد فيمن اسمه أحمد. أنظر ترجمته في الضوء اللامع للسخاوي ج 1 ص 320، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 142، وفي مجموع المتون ص 745.

(45) الرامزة : أرجوزة في علم العروض من تأليف العلامة أبي محمد ضياء الدين عبد الله بن محمد الخزرجي الأندلسي، من علماء العربية والعروض، هاجر إلى الإسكندرية بمصر، وبقي بها إلى أن توفي قتيلا عام 626هـ، من مؤلفاته الأخرى : علل الأعاريض، أنظر ترجمته في هدية العارفين لإسماعيل باشا ج 1 ص 460، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 124، وفي معجم المطبوعات لسركيس 821، وفي مجموع المتون ص 765.

(46) سبق التعريف به في ج 1 ص 31 من هذا المجموع.

وقد أفنيت بعض الأنفاس النفيسة في التحصيل على نتيجة من نتائج فن التدبير الكيماوي، فتراءى لي في مظهره الذي لا مندوحة فيه عن غش العباد، والسعي في الأرض به في إيقاد نيران الفساد، وقد حفظنا المولى من أضراره التي لا ينجو منها إلا من أراد الله به خيرا، بما ينتج من المصائب عند تعاطي عملياته، من انفجار مثل أنبوبة في وجه من يباشره، أو إصابة دخان مسموم يأتي على البصر بفقده، زيادة على ما يجره من الويلات الدنيوية والدينية، مع الوقوع في أوحال، وضياع أموال، ولقد أجاد من قال :

قد نكس الرأس أهل الكيميا خجلا — وقطروا أدمعا من بعد ما سهروا
إن طالعوا كتبا للدرس بينهم — صاروا ملوكا وإن هم جربوا افتقروا
تعلقوا بحبال الشمس من طمع — وكم فتى منهم قد غره القمر

وقد كاد أن يفتك الغاز المنفجر من أنبوبة تقطير الشعر ببعض من كان بمحضري يتناول تطيينه في تلك الأيام الخالية. وقد كان يقول لي شيخنا الحبيب الداودي : لا فائدة يكتسبها المطلع على اصطلاح علم الكيمياء وفنون السيميا إلا مجرد الوقوف على عين الحقيقة في ذلك، حتى لا يغتر بمن يدعي تحصيل منفعة عائدة عليه منه. ولو بلغ فيه الغاية القصوى، لكون ذلك من قبيل قلب الأعيان، وقلب الحقائق محال، إلا ما كان في حيز كرامة لولي مفتوح عليه، فإن ذلك لا يبعد، ولا يحتاج معه فيه إلى عقاقير أو تكليس أو تقطير. ولا ينبغي للإنسان أن يخوض فيه إلا من أجل الوقوف على الحقيقة في عدم الإغترار بالمدعين، ليكون من ذلك على بال.

وقد تحققت بهذا عندما وقفت عليه بالقدم، فأعرضت عنه إعراضا، لم يدع لي فيه أغراضا. وحذرت من الخوض فيه من سمع مني النصيحة، وخاف على نفسه من الفضيحة. واشتغلت بما هو أولى، فقرأت جملة فنون، مما تقر به العيون، إلى عام 1318هـ. فاشتغلت بتعاطي التدريس بالقرويين وغيرها بقصد النفع والإنتفاع. وما وجدت أحسن من الإشتغال بالتعليم، لأنه ينهض بمن اشتغل به من حضيض الكسل، إلى الإستزادة من العلم بالعمل، لكون تعلم العلم وتعليمه معدود من حيز الأعمال الصالحة، والتجارة الرابحة، إن لم يتوهم متعاطيه الإستغناء بما حصل لديه منه، فإنه لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم، فإذا ظن أنه علم فقد جهل، وما أحسن الرجل يحضر في مجالس شيوخه للقراءة عليهم، ويعمر مجالس إقرائه، فهو يتعلم ويعلم الناس.

ولقد كنت أقرأ العلم بمتن من المتون المصنفة فيه، فيقصدني بعض الطلبة لأفهمه معاني ذلك المتن، فأطالعه معه، فأجد من نفسي قريحة في تفهم ذلك المتن وتفهيمه، وإذا لم أحصل معنى باب من أبوابه تجدني أتردد كثيرا على باب من يساعدني بتفهيمه لي، لأفهمه لذلك الطالب الذي ينتظرني في الوقت المعين لإقرائي معه، فتكون مطالعتي معه في الوقت المعين سببا في حرصي على فهم ما لا أفهمه بطلبي له ممن يفهمني إياه.

وبهذه الطريقة في التعليم حصلت في مدة قريبة جملة من الفنون الصغيرة، من حساب وتوقيت ونحوهما. فقد قرأ معي شيخنا الداودي(47) منظومة الرسموكي في الحساب، ومصنف القلصادي (48) في مدة وجيزة، في حين أني أعلم الحساب لغيري بالمصنفين معا، كما كنت أعلم بعض الطلبة مبادئ فن التوقيت بنظم المقنع لأبي عبد الله محمد بن سعيد السوسي(49)، مع رسالة المارديني(50) في الربع المجيب، وأرجوزة ابن عاشر فيه، في حال كوني أتعلم ذلك الفن على جماعة من محصليه، وقد استفدت كثيرا في هذا الفن من الفقيه سيدي محمد بن علي الأغزاوي(51)، والفقيه سيدي عبد السلام بناني(52) وغيرهما.

ومن عجيب الأمر أن هذين الفقيهين كانا يظنان أني أريد اختبارهما بتعلمي عليهما، بما يرونه من انتفاع الطلبة على يدي بتعليمي إياهم، وكان شيخنا الداودي يسلك بي في التعليم طريقة سهلة، بحيث يقرأ معي المتن المؤلف في الفن الذي أحب الخوض فيه، مجردا عن الشرح، ويقول : ما جعلت الشروح على المتون إلا للمراجعة، وسردنا بذلك مسرودات كثيرة من متون الفنون. حتى أنه بمحضر الفقيه العدل السيد العربي الزعري والد أبي بكر المفتي يسرد معي في نحو ساعة زمانية كل يوم نحو الخمسين بيتا من تحفة ابن عاصم(53) قراءة تحقيق بسرد نافع، ويتذاكران في

---

(47) سبق التعريف به في ج 1 ص 29 من هذا المجموع.

(48) علي بن محمد بن علي القرشي البسطي، الشهير بالقلصادي، خاتمة علماء الأندلس ومحققيه، له معرفة واسعة بعلم الحساب، ولد ببسطة من بلاد الأندلس عام 815هـ، وبها تفقه، ثم رحل إلى غرناطة فاستوطنها، وكانت وفاته بباجة بتونس في منتصف ذي الحجة الحرام عام 891هـ، من مصنفاته : أشرف المسالك إلى مذهب مالك، وشرح مختصر خليل، وشرح رسالة أبي زيد القيرواني، والنصيحة في السياسة العامة والخاصة، وشرح الأرجوزة الياسمينية، في الجبر والمقابلة، وشرحان على تلخيص ابن البنا، وتنبيه الإنسان إلى علم الميزان، وهدية الأنام في قواعد الإسلام، وشرح الأنوار السنية في الحديث والحكم العطائية، وشرح إيساغوجي، في المنطق، وغير ذلك من التآليف الكثيرة، أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 261 رقم الترجمة 959، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 308 رقم الترجمة 689، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 962 رقم الترجمة 541، وفي معجم المطبوعات لسركيس 1519، وفي الضوء اللامع للسخاوي ج 5 ص 14، وفي الأعلام للزركلي ج 5 ص 10.

(49) سبق التعريف به في ج 1 ص 372 من هذا المجموع.

(50) هو إسماعيل بن إبراهيم بن غازي النميري المارديني صاحب رسالة مختصر في عمل المساحة.

(51) سبق التعريف به في ج 1 ص 42 من هذا المجموع.

(52) سبق التعريف به في ج 1 ص 42 من هذا المجموع.

(53) أبو بكر محمد بن محمد بن عاصم الغرناطي، قاضي غرناطة، ولد بالمدينة المذكورة عام 760هـ، وبها توفي عام 829هـ، له مصنفات منها : تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام، شرحها جماعة من العلماء المغاربة والمشارقة، ولتداولها وشهرتها تسمى بالعاصمية نسبة لصاحبها، ومن تآليفه كذلك : حدائق الأزهار في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر، واختصار الموافقات، وأرجوزة في أصول الفقه، وأرجوزة في النحو، وأرجوزة في القراءات، وأرجوزة في علم الفرائض، وغير ذلك. أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 247 رقم الترجمة 891، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 297 رقم الترجمة 668، وفي معجم المطبوعات لسركيس 156، وفي نيل الابتهاج للتنبكتي ص 289، وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 45.

المسائل المنوطة بالتوثيق مذاكرة أستفيد بها منهما ما يتقرر به لدي أن ذلك الفن روضة من رياض السلو لطالبه، فإن فن الوثائق له شأن، وهو فن وأي فن، وقل فيه المتقنون، وكثر فيه المدعون، حتى قال فيهم من قال :

فسدت خطة الوثائق لما	أن غدا كل جاهل يدعيها
لم تكن غير روضة فاستبيحت	فغدا كل ناعق يرتعيها

وكان السيد العربي المذكور ممن برز في هذا الفن، إلا أنه تأخر فيه بكبر السن، وعندما تستفحل المذاكرة بينه وبين شيخنا الداودي نحضر الشرح للمراجعة فيتضح أمر النازلة، وينصف كل واحد منهما الآخر، وقصدهما إيقافي على عين الصواب، وإحرازي على الحظ الأوفر من معاني ذلك النصاب، فتقر عيني بما أستفيده منهما من غير تعب فكر في فك معاني المتن، وحين تضيق العبارة في تبيين شيخنا الداودي لي عن بعض المعاني ينتقل بي لموضوع آخر حتى ينفسح المجال، ويأتي المعنى عفوا من غير تضييق في المقام، وربما لا نعود للمذاكرة فيما ضاقت العبارة فيه أياما حتى أكون بنفسي معبرا عن ذلك المعنى، أو يجد مني اهتماما زائدا في تحصيله، فحينئذ يفتح باب الإعادة للمذاكرة في ذلك الموضوع بمفتاح البيان، بعد أن نكون اقتطفنا أثناء التربص من الخوض فيه من ثمرات الفنون وزهر الآداب ما فيه سلوة الأنفاس.

وقد سردت عليه كثيرا من المؤلفات النافعة في فنون شتى، ما يضيق بنا التعرض لها في هذه الحدائق، والمقصود عدم التطويل، وقد كان له اهتمام تام بأمري، واعتناء كبير بترقيتي في مراقي التحصيل، مع السلوك بي على أوضح سبيل، وإذا رأى مني شيئا لا يعجبه نهج بي منهج الملاطفة برفق، ويجاريني في بساط الإنبساط معي، ويباعدني عن ذلك الشيء حتى أكون بنفسي مستهجنا لما لا يعجبه، فلا أعود إلى مثله بحال، وكثيرا ما يسلك بي مسلك شيوخ التربية بأعز تلاميذهم الصادقين، فتقر عيني بما أظفر به من المحامد التي حمدت الله عليها.

ومما جرى لي معه في تهذيب الأخلاق أنه رأى مني حين اشتغلت بالتدريس بالقرويين مع طلبة العلم أوائل عام 1318هـ ما ظهر له أنه من قبيل العجب بالنفس ، بما أتزين به في حالة الدرس، وكنت لبست يوما لباسا رفيعا، والتحفت بكساء جديدة مخططة بالحرير، وصرت فيها كالمختال في رداء الخيلاء بين الأقران، وكان اليوم يوم خميس، فانتظرني حتى أتممت الدرس، ثم سلمت عليه، ورأيته ينظر إلي هيئتي بعين الإنكار شزرا، وفهمت منه بلسان الحال أنه لا ينبغي لي التزين بلباس الشهرة التي لا تليق بطالب العلم في مبادئ أمره، ثم قال لي : ألا تذهب معي لنتفسح، فقلت : لا بأس بذلك، ولكن نمر على باب دارنا لأضع كسائي وألبس غيرها، فقال لي : الأولى أن ترافقني وأنت بهذه الحالة الجميلة، وتقدم أمامي فاستحييت منه، وتبعته. فخرجنا خارج المدينة، وقصدنا المصلى، وجلسنا هناك قليلا، ثم قام بي وسرنا لوادي فاس وجلسنا قليلا بجانبه، وصرت آخذ بخاطره وهو في انقباض، ثم قمنا قاصدين للمدينة، فمررنا على سوق الخميس، وكان بالسوق ازدحام، فسرت والنفس مني في ضجر من الغبار الثائر في حال ذهابنا وإيابنا. بعدما كنت متحفظا كثيرا على تلك الكساء واللباس الذي أنا لابسه، وصرت أطلب منه الإسراع بالخروج من السوق، وهو مشعر بما اعتراني من الإنقباض، في ارتفاع وانخفاض، وهو لم يلتفت لذلك، بل صار يساوم بعض البائعين، ويقف عند هذا وعند هذا، وأنا أزداد ضجرا، حتى اشترى نحو أربعة من طيور الدجاج، وحمل ذلك بنفسه، فقلت في نفسي : لا ينبغي أن يحمل ذلك وأنا معه، فقلت له : هات ذلك أحمله عنك، فقال : لا بأس، ودفعه إلي، فحملته، والله يعلم ما حصل لي من القبض، وأقول : كيف أمر في المدينة وأنا بهذه الحالة، حتى وصلنا للباب، وهناك تباع أقفاف الدجاج، فقال لي : هل أشتري قفصا لهذه الطيور ؟ فقلت : لا بأس بذلك، وقلت في نفسي : الآن نحتاج إلى من يحمل الدجاج والقفص. وأكدت عليه في شرائه، فاشتراه وحمله بنفسه بعض الخطوات، فقلت له : يا سيدي نأخذ إنسانا بأجرة يحمل عنا الدجاج والقفص ؟ فالتفت إلي بحال

قوي وقال لي : وأنت إذن ماذا تفعل ؟ ثم مد إلي القفص وقال : احمل أنت القفص مع الدجاج، فقبضت الدجاج بيد والقفص باليد الأخرى، بعد أن ضممت أطراف الكساء تحت إبطي، وسرى في نفسي حاله.

وصرت مع ذلك صحبته كأني فاقد الشعور بما داخلني، وسرت معه داخل المدينة إلى محل سكناه، وكلما مر بأحد ممن يعرف من نفسي أنني لا أحبه أن يراني على تلك الحال وقف معه متكلما، وأنا بجنبه كأني في عالم آخر. حتى وصلنا إلى محله، فأخذ من يدي ذلك لداخل الدار، ثم خرج وجلس معي وهو ساكت، ويرفع رأسه للنظر إلي المرة بعد المرة، ويتفرس في أحوالي، وما وقع لي من التأثر بذلك، ثم قال لي : كيف وجدك الحال الآن ؟ وماذا انتقص منك في ذهابنا ورجوعنا ؟ ألست أنت بلا كساء فلان، وبالتجمل بها وبغيرها فلان ؟ ولو نظرت إلى ما كنت عليه من الخيلاء والكبر حين كنت بالقرويين، وما كانت عليه نفسك ساعة مرافقتك قبل رجوعنا للمت نفسك، وتحققت بأن ما تتخيله مجرد أوهام، ولو نظرت إلى ما كنت عليه حالة حملك للدجاج والقفص، والناس ينظرون إليك، وهم يقولون : هكذا يكون طلبة العلم في حمل متاعهم بأنفسهم متجردين عن الكبر، وما صرت فيه من الجلالة والتعظيم في قلوبهم وبين أعينهم ما احتجت إلى أحد من اليوم لحمل متاعك، بل تحمله بطيب نفس، غير مبال لما تترادف به عليك الأوهام في حال تجملك باللباس الفاخر، وما داخلك من كبر بها في مقاصدك الباطنة والظاهرة، والمرء بقدر ما يحسنه بين أبناء جنسه، لا على قدر لبسه في قيمة نفسه.

فحين سمعت منه هذا الكلام انجلى الإنقباض عني، ونظرت إلى نفسي وهي تنتعش شيئا فشيئا باستحسان ما فعله بي، فجازيته بالدعاء وذهبت إلى محلي، وأنا أراجع نفسي فيما كانت عليه قبل تلك الساعة، فتحققت بما كانت فيه من التكبر، ونخوة التصدر، فلمت نفسي بنفسي. وفي حال رجوعي تلاقيت مع بعض الأفاضل فحبس بيدي وقبلني بين عيني وقال : لله أبوك، هكذا يكون العلماء، فقد رأيتك حاملا متاعك والنور محيط بك، وبك يحق الإقتداء، فزادني هذا الفاضل بكلامه اطمئنانا.

ومن هذا اليوم قلما احتجت إلى غيري في حمل متاعي، وزال عني الوهم الذي كان يثير في وجهي غبار التكبر، والفخفخة التي كانت قد استولت علي، وكنت أظن أن الناس كلهم ينظرون إلي، فأتحمل مشقة التصنع في اللباس والكلام والمشي في الطريق، والجلوس بمجلس الدرس، والدخول في المجامع، بما كنت معه في نوع من العذاب، فأراحني الله من ذلك بنظرته. وقد كان

شيخنا المذكور عارفا بجملة من الفنون الرياضية(54)، وقد تلقيت عنه جلها، وطالع معي كثيرا من الكتب المؤلفة فيها، وأخذت عنه بالإذن العام والخاص، جملة وافرة من الخواص مما شاهدت نفعه، حتى في فن الصنعة.

وقد كان له بهذه الفنون ولوع، خصوصا أيام المقدس مولانا الحسن سلطان المغرب، لكونه كان ولوعا بهذه الفنون، والناس من عادتهم الخوض فيما يقربهم من الملوك، خصوصا فيما كان لهم فيه ولوع، فكان الفقيه مزور(55) والسيد البشير المقربين لحضرته الشريفة يتوددان لشيخنا المذكور، فيستفيدان منه ما كانا يتقربان به لتلك الحضرة، ولقد حقق لي شيخنا أن فن الصنعة لا طائل تحته بالعملية الصناعية، وإنما العملية بالسر، وأن الكتب المؤلفة فيه لا تخلو عن فائدة

---

(54) كانت للعلامة سيدي الحبيب الداودي معرفة واسعة بفنون الرياضيات على اختلاف أنواعها، وكان ملما بالعديد من التصانيف المؤلفة فيها، وقد وصفه بعضهم بأنه خاتمة علماء هذه الفنون التي كادت أن تنقرض بذهاب أهلها وذويها، وعلاوة على ذلك كان رحمه الله خبيرا بعلم الكيمياء، متقنا لصنعته وفنه، وله في ذلك باع طويل، لكنه كان لا يحب التعاطي لذلك ويكرهه، ويقول أنه من باب تضييع الوقت فيما لا طائل تحته، وقد استفاد منه العلامة سكيرج كثيرا في هذا الباب، وذلك حسبما وقفت عليه في بعض كناشاته الخاصة.

(55) العلامة الفقيه المقدم سيدي الحسن بن عمر بن الحاج إدريس مزور، ولد بمدينة فاس في شهر جمادى الثانية عام 1286هـ، وبعد حفظه للقرآن الكريم دخل لجامعة القرويين عام 1302هـ، فأخذ بها عن مجموعة من أكابر العلماء، في مقدمتهم العلامة الشريف سيدي محمد بن محمد بن عبد السلام كنون، والعلامة سيدي محمد فتحا بن قاسم القادري، والفقيه سيدي محمد بن التهامي الوزاني، والعلامة مولاي عبد الملك الضرير العلوي، والعلامة سيدي التهامي كنون وغيرهم.
وتقلد رحمه الله بعدها الطريقة الأحمدية التجانية على يد الفقيه سيدي محمد بن محمد بن عبد السلام كنون، وهو الذي أجازه فيها أولا، ثم أجازه فيها بعد ذلك العلامة الولي الصالح سيدي العربي بن ادريس العلمي اللحياني الموساوي. وله رحمه الله مواقف وطنية كبيرة، منها أنه كان من جملة الموقعين على عريضة الإستقلال عام 1944م، وعند حصول المغرب على استقلاله عين رئيسا للمجلس العلمي لجامعة القرويين، لكنه توفي بعد ذلك بقليل ليلة الخميس فاتح شوال عام 1376هـ، وصلي عليه بعد صلاة العصر من يوم الخميس بالمدرسة العنانية الشهيرة بالمتوكلية، ودفن بزاوية سيدي المكتفي العلوي بدرب مولاي عبد الملك بالطالعة الكبرى بفاس.
ومن مصنفاته رحمه الله: السيوف المهندة السنان لمستعمل التبغ من الإخوان، فقها وطبا، والحلل السندسية على البردة البوصيرية، في جزءين، وحاشية على تأليف الشيخ الطيب بن كيران في حرف لو، وشرح منظومة الشيخ الطيب بن كيران في المجاز والإستعارة، وتقييد في النهي عن إغلاق المتاجر يوم الجمعة إلا في وقت النداء، وفهرسة جامعة لشيوخه سماها: إتحاف الأعيان بأسانيد العرفان، وشفاء السقيم بمولد النبي الكريم، وغير ذلك من الختمات والتقاييد الكثيرة، أنظر ترجمته في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 130، وفي دليل مؤرخ المغرب الأقصى لابن سودة المري ص 192 رقم الترجمة 1149، وفي إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين لابن الحاج ص 100، وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 209.

أدبية، إن لم تكن ذهبية، كما قال أدباء الأندلس في شذور الذهب لابن أرفع رأسه الأندلسي(56)، فقد قالوا فيها : إن فاتنا ذهبه لم يفتنا أدبه، وهي من جملة المتون التي سردتها عليه، وهي قصائد عجيبة مرتبة على حروف المعجم، وقد طالعت شرح الجلدكي(57) عليها، وبعض مؤلفات جابر بن حيان(58) مع جملة من الكتب بخط الفقيه البركة الشريف سيدي العربي ابن أحمد الفلاقي، عند ولده محل الأخ السمي السامي سيدي أحمد، فقد أفنيت معه أوقاتا لها حصة من الثمن في مطالعة هذه الكتب، وله اعتناء كبير في فك رموز الشذور وغيرها حسبما يقتضيه فهمه، وإني لأتعجب من هذا الأخ في استنبطاه لمعاني الفن من هذه المنظومة وغيرها، ويجزم ويقطع بأن ما فهمه هو المقصود لناظم القصائد المشحونة بالرموز المنوطة بهذا الفن. وعهدي به لم يرجع عن فكرته إلى فكرتي من أنه لا يحصل على نتيجة هذا الفن إلا الأولياء. وهم فيه من الزاهدين، ولا يخلو المتظاهر بمعرفة هذا الفن من احتيال باختيال، في اختلاس الأموال، فليحذر العاقل من تصديقه.

ولقد كان سمع بي سليل الحضرة المولوية الشريف مولاي عمر(59) بن المقدس مولانا الحسن، فعمل وسائل كثيرة في اجتماعي به، وكنت نافرا من مخالطة ذوي الكلمة، أو من انحاش إليها، ولكن احتال علي بأن طلب مني أن أعلمه الحساب وبعض الفنون، وبعد أيام كان في خلالها يتودد إلي بما أمكنه، فطلب مني أن أكشف له عن حقيقة علم الأوفاق وعلم الصنعة، ووجدته في تلهف كبير للظفر بسر من أسرار هذين الفنين، ونحوهما من فنون السيميا، فجاريته لأخلصه من قيود أوهامه، أو أخلص نفسي بالفرار من قدامه، فصرت أنفي صحة التصرف بالأوفاق، وأعرب له بالأدلة القاطعة على عدم قلب الأعيان باستحالة قلب الحقائق، فلم يزده ذلك مني إلا رغبة، فقلت له : إن كان ولابد فتعلم العلم، والله يأتيك بالسر إن كان لك حظ منه، فقال : هذا مرادي، فأطلعته على شرحي لمنظومة

---

(56) علي بن موسى بن علي بن أرفع رأسه الأنصاري الأندلسي الجياني، أديب وشاعر، متضلع في علم الكيمياء، قيل في وصفه : شاعر الحكماء وحكيم الشعراء، كما كان بارعا في علم القراءات، وقد تصدر للإقراء بمدينة فاس، وولي الخطبة بجامع القرويين، وهو من مواليد بلدة جيان بالأندلس في شهر رمضان عام 515هـ، ثم نزل بفاس وأقام بها إلى أن توفي عام 593هـ، ومن مصنفاته : شذورالذهب، وهو ديوان مرتب على حروف المعجم، وقد خمسه العلامة محمد بن موسى القدسي، وشرحه علي بن محمد الجلدكي، انظر ترجمته في جذوة الإقتباس لابن القاضي ص 481 رقم الترجمة 542، وفي غاية النهاية لابن الجزري ج 1 ص 581، وفي فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج 2 ص 91، وفي الأعلام للزركلي ج 5 ص 26.

(57) عز الدين علي بن محمد بن أيدمر الجلدكي، من أكابر علماء الكيمياء، نسبته إلى جلدك من قرى بلاد خراسان، له مصنفات كثيرة منها : المصباح في علم المفتاح، ونتائج الفكر في أحوال الحجر، وكنز الإختصاص في معرفة الخواص، والبدر المنير في معرفة أسرار الإكسير، والبرهان في أسرار علم الميزان، ونهاية الطلب في شرح المكتسب في زراعة الذهب، ولوامع الأفكار المضية، وغيرهم، توفي عام 762هـ، وقيل في عام 750هـ. أنظر ترجمته في دائرة المعارف الإسلامية لفريد وجدي ج3 ص 130، وفي الأعلام للزركلي ج5 ص 5، وفي كشف الظنون لحاجي خليفة 230 و241 و 1707 و1339 و1811.

(58) أبو موسى جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي، المشهور، توفي بطوس عام 200هـ، له تصانيف كثيرة جدا، قيل أنها تجاوز 500 تصنيف، وقد ترجم بعضها إلى لغات مختلفة، ومن تآليفه، أسرار الكيمياء، وأصول الكيمياء، والخواص، وصندوق الحكمة، وعلم الهيئة، والمكتسب، وغيرها، أنظر ترجمته في معجم المطبوعات لسركيس 664، وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 103، وفي هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي ج1 : 249.

(59) الأمير عمر بن أمير المؤمنين مولانا الحسن الأول، من خيرة أصدقاء العلامة سكيرج، توفي بفاس إثر عملية جراحية أجريت له يوم السبت 4 ذي الحجة عام 1324هـ، ودفن بمقبرة أسلافه بمولاي عبد الله بفاس. أنظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 5 ص 497-502.

ابن سعيد السوسي في الوفق المخمس، وهو أول تأليف ألفته، وأنا صغير السن(60)، فقال : هذه بغيتي، فكان آخر عهدي به استيلاؤه عليه، ولا تسأل عما أخبرني به مما أنفقه مع الخائضين في هذا الفن، وما أضاعه من الأموال في العمليات الصناعية التي لا جدوى تحتها، ولم يباعد بنفسه عن مباشرة العمليات بنفسه إلا بعد تخويفي له بما تحدث من الرزايا بتعاطيه، وأن الخائض فيه على خطر مع المخزن والحكومة التي هو في إيالتها، زيادة على غش المسلمين فيما يستعمله من السبائك الفضية والذهبية، فإنه إما أن يدلس هو عليهم، أو يدلس عليهم المشتري منه، وذلك من قبيل الغش المذموم، وقد قال صلى الله عليه وسلم : من غش فليس منا.

وفي أثناء خوضي في هذا الفن اطلعت على كثير من حيل الخائضين فيه، وأول كتاب طالعته في حيلهم كتاب كشف الأسرار، وهو كتاب غريب في موضوعه، أطلعني عليه شيخنا الداودي حين جاء به إليه السيد محمد المركاوي أحد الطلبة الذين كانوا بالمدرسة البوعنانية بطالعة فاس، كما أطلعني شيخنا المذكور على كتاب العلامة الداهية الكشناوي(61) المسمى بالدر المنظوم في علم السحر والطلاسم والنجوم. وقد اختصرت منه تويلفا ضاع من يدي، وهو كتاب عجيب في موضوعه، وأطلعني على كتاب ابن قرقماش(62) في جزئين ضخمين، الأول في شرح الأسماء، والثاني في سر الحرف والأوفاق.

---

(60) منظومة في أسرار الوفق المخمس للعلامة سيدي محمد بن سعيد المرغيثي السوسي، شرحها العلامة سكيرج في حدود عام 1309هـ، وكان عمره وقتذاك 14 سنة، ويعتبر شرحه المذكور من أهم وأدق الشروح التي عرفتها هذه المنظومة، وعلى رغم صغر سنه فقد أتى فيه بالعجب العجاب من الأسرار التي لا توجد في غيرها، وقد أعرض العلامة سكيرج عن هذا الفن بصفة نهائية بعد تمسكه بالطريقة الأحمدية التجانية عام 1315هـ، كما محق معظم التقاييد التي جمعها أو ألفها فيه، وذلك في نفس السنة المذكورة، ولم تسلم من التمحيق فيها سوى بعض النسخ التي كانت عند بعض أصحابه من باب الإعارة.

(61) أبو عبد الله محمد بن محمد الفلاني الكشناوي السوداني، فقيه نحوي، من أعلام المالكية بالسودان، كان له معرفة واسعة بعلم أسرار الحروف، ومن مصنفاته : بهجة الآفاق وإيضاح اللبس والإغلاق في علم الحروف والأوفاق، والدر المنظوم وخلاصة السر المكتوم في علم السحر والطلاسم والنجوم، والدرر واليواقيت في شرح منظومة الدر والترياق، لعبد الرحمان المرجاني، وله في علم النحو كتاب سماه : بلوغ الأرب من كلام العرب. وغير ذلك من التآليف الأخرى. توفي رحمه الله بمصر عام 1154هـ. أنظر ترجمته في فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 1023 رقم الترجمة 577 وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 337 رقم الترجمة 1330 وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 66.

(62) محمد بن قرقماش بن عبد الله الناصري، من فقهاء الحنفية بمصر، ولد بالقاهرة عام 802هـ، وبها توفي عام 882هـ، من مصنفاته : فتح الخلاق في علم الحروف والأوفاق، وفتح الرحمن في تفسير القرآن، في عشرين مجلدا، والمقامات الصوفية والترجمانات الفلسفية، وزهر الربيع في شواهد البديع، والغيث المريع في شرح زهر الربيع، ومعارضة مقامات الحريري، وغير ذلك، أنظر ترجمته في الضوء اللامع للسخاوي ج 7 ص 292 وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 10.

وقد قضى علي ولوعي بهذه الفنون منذ كنت صبيا بالبحث عن الكتب الموضوعة فيها. وأجد من نفسي تلهفا كبيرا إذا سمعت بكتاب مؤلف فيها حتى أقف عليه، فطالعت تأليف سيدي عبد الرحمان الشامي(63) في الوفق المخمس خالي الوسط. وأطلعني شيخنا المذكور على السر الذي رمز عليه في أول ذلك الكتاب، بعد أن حصلت على فنه بقراءتي عليه وعلى غيره بذلك الكتاب. وبمؤلف المرجاني وشرحه للشيخ سيدي عبد الرحمان الفاسي، وكتاب الحكيم سحنون، وغيرهم ممن ألفوا في هذا الفن وبينوا قواعده. كما قرأت شرح مثلث الإمام الغزالي للعلامة الفشتالي(64)، والحكيم أدراق(65)، ولم يسكن قلبي حتى اطلعت على الحروف الفعلية، وأعرضت عن الخوض في هذه الفنون بالكلية، حين تقلدت بالطريقة المحمدية التجانية(66)، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك، وقد كنت مقصودا للناس منذ اشتغلت بهذه الفنون لكتب الحروز، حتى أن بعض أشياخي كانوا يطلبون مني الكتب لهم في بعض الأغراض فيجدون بركة ذلك.

وممن كان له اعتقاد في جانبي بتحقيق التصرف بالأسماء شيخنا الولي الصالح سيدي إدريس عمور(67)، وشيخنا العلامة سيدي إبراهيم بن عمر اليزيدي(68)،

---

(63) سبق التعريف به في ج1 ص 160 من هذا المجموع.

(64) أبو الربيع سليمان بن أحمد الفشتالي، فقيه جليل له معرفة دقيقة بعلم التوقيت والفلك، توفي بفاس عام 1208 هـ، من مصنفاته شرح سلك اللآلي في مثلث الغزالي، وشرح على عويص ص رسالة المارديني في الربع المجيب، طبع على الحجر بفاس، أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 372 رقم الترجمة 1484، وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج3 ص 115 وفي اليواقيت الثمينة لمحمد الأزهري ص 157، وفي الأعلام للزركلي ج3 ص 121.

(65) أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد أدراق، بفتح الهمزة والدال، وتشديد الراء، بعدها ألف ثم قاف، وهو لقب أسرته الذي عرفت به، قال في حقه صاحب إتحاف أعلام الناس : انتهت إليه في زمانه الرياسة في فن الطب، فكان لا يجارى فيه ولا يبارى إلخ ... وكان الطبيب الخاص لدى السلطان مولانا إسماعيل، وبالإضافة لنبوغه في الطب كانت له مشاركة فعالة في سائر العلوم الأخرى، من نحو وأدب وفقه وتصوف وغيرها، وشيوخه في العلم كثيرون، منهم العلامة سيدي الحسن اليوسي، وسيدي عبد السلام القادري، والعلامة العارف بالله سيدي أحمد بن عبد الله معن. ومن مصنفاته رحمه الله : أرجوزة ذيل بها أرجوزة ابن سينا المشهورة في علم الطب، وهز السمهري على من نفى عيب الجذري، وتعليق على كتاب النزهة المبهجة لداود الأنطاكي، وقصيدة في منافع النعناع، ومنظومة في مدح صلحاء مكناسة الزيتون. وكانت وفاته رحمه الله عن سن عالية صبيحة يوم الإثنين 28 صفر الخير عام 1159هـ، ودفن ظهر اليوم المذكور بروضة سيدي محمد الطالب، قرب ضريح سيدي أبي غالب، أنظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 5 ص 400، وفي النبوغ المغربي لعبد الله كنون ج 1 ص 290، وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 2 ص 34، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 181.

(66) كان العلامة سكيرج رحمه الله من أسمى البارعين في هذا الفن، رغم صغر سنه وقتذاك، ولما تقلد بعهد الطريقة الأحمدية التجانية تخلى عنه بصفة نهائية، وقد وقفت في الموضوع على رسالة بعثها إليه أستاذه العلامة سيدي عبد الكريم بنيس، قال فيها : وقد كنت نهيتك عن ذلك عند معرفتي بك فامتثلت ولله الحمد، إلخ ...

(67) سبق التعريف به في ج 1 ص 29 من هذا المجموع.

(68) سبق التعريف به في ج 1 ص 29 من هذا المجموع.

وشيخنا السيد أبو بكر بن العربي بناني(69)، وغيرهم رحمة الله عليهم. وقد وجدت راحة كبيرة في ترك الخوض في كتب الحروز، لكون متعاطي ذلك يصاب غالبا في نفسه وعقله وماله، فتضيق معيشته، وتسوء أخلاقه، وتسول له نفسه ما تسوله إن تم له التصرف بالتظاهر بالدعاوي الكاذبة، ويكون على خطر دائما. وقل من سلم في دينه ودنياه، وقد تحققت بهذا كله بعد بلوغي، أما قبل البلوغ فكنت على أحوال. فقبل سنة 1309هـ لم أتذكر الآن شيئا مما كنت عليه إلا مجرد اشتغالي بنفسي بالذهاب للمكتب، وانفرادي في محلي بكتب بعض التقاييد، وكان فيما قبل ذلك الغالب من أحوالي الجذب، ولا أتذكر شيئا من لعبي مع الصبيان، إلا أنني كنت محافظا على الصلاة قبل تكليفي محافظة أكثر مما أنا عليه الآن. وقد خطر ببالي في هذه السويعة شيء من ذلك لا فائدة في ذكره.

وقد نشأت بحمد الله أيام صباي حابسا لنفسي مما كان يخوض فيه أقراني بإساءة الأدب على من هو أكبر منهم، خصوصا المجاذيب، فإني كنت لا أقرب ساحتهم، ولا أخاطبهم بما فيه تغيير خاطرهم، وإني أتذكر الآن أن بعض المجاذيب خاطبني بكلام اقشعر منه جلدي، وكان برفقتي الأخ سيدي محمد، فرأى تغير حالي مما داخلني من ذلك، فقال لي : أفيدك بفائدة تزيل عنك اهتمامك بما خاطبك به هذا المجذوب، فتعلقت به فقال : أريد أن تخبر الوالدة وتطلب منها الدعاء بسلامتك، فإنك بحول الله لا تخشى سوءا. فكان مفيدا لي بهذه الفائدة التي اعتمدت عليها، وسارعت إليها، فنلت من والدتي فوق ما أتمناه من دعائها الذي لا شك عندي في قبوله، ولله الحمد.

وكان من طبعي مصاحبتي دائما لمن هو أكبر مني سنا، ولم أصاحب من هو من أقراني إلا القليل، أما من هو أصغر مني فلا أرافقه، ولا أصافيه بمودة، حرصا مني على المروءة التي اعتادها مني أهل حومتي، حتى أني سمعت من سيدنا الوالد يمينا بأنه يطمئن صدره بالصلاة على سراويلي بما يتحققه من عفتي، ولله الحمد، وهذا كله من باب التحدث بمنن الله على عبده، ليكون شاكرا لأنعمه.

وأول ما تعاطيته بين الطلبة معاونتي لشيخنا الداودي في عملية التركات بقسمها وكتب وثيقة الفريضة من عام 1315هـ، فكنت أستعين بأجرة ذلك على بعض الضروريات، وكان يقصدني العدول لذلك، منهم البركة سيدي الطيب أخو شيخنا سيدي محمد – فتحا – بن قاسم القادري، والعدل الشريف سيدي الغالي البكراوي(70) وغيرهما، حتى اشتهرت بفاس بكتب الفرائض، ودرسي لها مع الطلبة الذين كانوا يتواردون علي، متوددين إلي بما في طوقهم، فانتفع بي منهم جماعة قبل انخراطي في سلك طبقات المدرسين، وبعد اشتغالي بالتدريس، وشاهد ذلك قاضي الحضرة الفاسية، ذو الأخلاق المرضية، السيد عبد الله بن خضراء السلاوي(71)، فسأل عني والدي وقال له : إني لم أرى اسمه في زمام المدرسين الذين يأخذون المرتب السنوي على ما هم مشتغلون به من التدريس. فأخبره بأني لا تميل نفسي للتملق على الأعتاب في طلب مثل هذا الأمر، فقال القاضي رحمه الله : قد ألحقته بيدي في زمام هذه السنة، وهي سنة 1320هـ. قال : ولو وجدته في زمامهم لنقلته إلى طبقة أخرى، ولكن بحول

---

(69) سبق التعريف به في ج 1 ص 42 من هذا المجموع.

(70) الشريف العدل مولاي الغالي بن الحسن بن الأستاذ مولاي إدريس البدراوي، من مواليد فاس عام 1276هـ، وتولى خطة العدالة بتاريخ 15 رمضان عام 1301هـ، أخذ العلم عن عمه العلامة سيدي عبد الله بن إدريس البدراوي، وعن ابن عمه الفقيه سيدي محمد بن النصر بن مولاي إدريس البدراوي، أنظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 119.

(71) سبق التعريف به في ج 1 ص 39 من هذا المجموع.

الله الخير أمام، فأخبرني بذلك سيدنا الوالد، فكان ذلك سببا في محبتي في القاضي المذكور، فمدحته بقصائد مهمة(72).

وطلبت منه الإجازة بالحديث المسلسل (بأني أحبك) حيث وقفت عليه في شرحه للبيقونية بروايته عن إمام الحرم المكي الشيخ دحلان(73)، وكررت عليه في الطلب حتى تحقق بصدق طلبي منه، وتم حبه لي في جانبي ليكون في المحبة صادقا، فقال لي يوما تحت الثريا بجامع القرويين أو بالقرب منها حين سلمت عليه هناك : (إني أحبك) ففرحت كثيرا بتلقي عنه هذا الحديث بسنده.

وقد حضرت مجلس درسه بظهر الصومعة بالقرويين بين العشاءين في إقرائه للهمزية للإمام البوصيري، فشاهدت الأنوار المشرقة في مجلسه تبهر العقول، ورأيت أبهة العلم التي بها في درسه يجول، فازددت فيه من غير شعوره محبة.

وكنت أيام طلبي للعلم على جانب كبير من تعظيم شيوخي، وتعظيم كل من رأيته يدرس العلم بالقرويين وغيرها. وأقبل يد كل من تلاقيت معه، حتى كان يظن معضمهم أن ذلك لغرض مني عرض لي عنده، وما هو إلا لتعظيم العلم وذويه، وأجد من نفسي ميلانا كبيرا للصوفية مع مطالعتي لكتبهم.

---

(72) مدحه العلامة سكيرج شيخه قاضي الجماعة العلامة سيدي عبد الله بن خضراء السلاوي بقصائد كثيرة منها قصيدة استجاب بها، ومطلعها :

أدر في رياض الأنس كأس مدام | ودع عدل لاح فالملام مرامي

وقال في مدحه أيضا قصيدة همزية مطلعها :

كادت تذوب بنار الشوق أحشائي | يا عاذلي لا تلم فاللوم إغرائي

وقال فيه أيضا قصيدة سينية مطلعها :

ما في وصالك لي يرى من باس | ويرد لي بعد البعاد نعاس

وله فيه قصائد أخرى كثيرة ذكر بعضها في كتابه : نسمات الأسحار في نظم الأشعار.

(73) أبو العباس أحمد بن زيني دحلان المكي، مفتي الشافعية بمكة المكرمة، ولد بمكة عام 1231هـ، ومات بها سنة 1304هـ، له تصانيف كثيرة منها : الفتوحات الإسلامية، والجداول المرضية في تاريخ الدول الإسلامية، وخلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام، والفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين وأهل البيت الطاهرين، والسيرة النبوية، وهي مشهورة ووقع عليها الإقبال، ورسالة في الرد على الوهابية، وتاريخ طبقات العلماء، وغير ذلك من التآليف الأخرى، وأغلبها مطبوع، أنظر ترجمته في فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 390 رقم الترجمة 193، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 129، وفي معجم المطبوعات لسركيس 990.

وكتبت بيدي نسخة من شرح الشطيبي(74) على أرجوزة ابن البناء(75) الموسومة (بالمباحث الأصلية). وطالعت الفتوحات المكية للشيخ الأكبر مرارا، وغيرها من كتبه وكتب غيره، فنشأت محبا لهذا الجانب، وتعشقت كتبه وكتب القطب الشعراني، وامتزج حبي في هذه الطائفة، مع حبي في الطريقة التجانية، ولا أحب الخروج عن مذهبهم بحال، ولقد سكن قلبي بظفري بمقدمة ابن خلدون(76)، فكانت لي مثل الطابع الذي تطبع به المسكوكات الذهبية، بما اشتملت عليه من تحقيق العلوم والفنون التي خضت فيها، فكانت عندي خاتمة الدراية، فلم ألتفت بعدها إلى الكتب المؤلفة في تلك الفنون، واكتفيت بما علق بفكري من القواعد والضوابط الفنية، وعذرت من أعرض من أول وهلة عن الخوض في تلك الفنون.

وقد تذكرت أني سألت الكتبيين بفاس عن شمس المعارف للبوني(77) بقصد شرائه، حتى سألت الشريف سيدي عمر بن شيخنا سيدي أحمد بن الخياط، وأنا صغير السن، فقال لي : مالك ولهذا الكتاب ؟ وهو شمس المتالف، فصرت أتعوذ بالله من جوابه، وذلك على قدر مبلغ فهمه من ذلك الفن المؤلف فيه ذلك الكتاب. ولقد صدق باعتبار من حمل ما اشتمل عليه على ظاهره من غير

---

(74) أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن حسن الأندلسي، المعروف بالحاج الشطيبي، فقيه، مشارك، صوفي، من تصانيفه : الإشارات السنية لشرح المباحث الأصلية، لابن البناء، والجمان في مختصر أخبار الزمان، توفي رحمه الله عام 963هـ، أنظر ترجمته في سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 2 ص 258، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 292.

(75) أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي، المعروف بابن البناء، فقيه، أصولي، فلكي، رياضي، لغوي، صوفي، ولد بمراكش عام 654هـ، وبها توفي عام 721هـ، كان أبوه بناءا، ولهذا اشتهر بابن البناء، له رحمه الله مصنفات كثيرة منها : المباحث الأصلية، في علم التصوف، والروض المريع في صناعة البديع، واللوازم العقلية في مدارك العقول، وتلخيص أعمال الحساب، وعنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، ومنهاج الطالب لتعديل الكواكب، وحاشية على الكشاف، ومراسم الطريقة في علم الحقيقة، ومنتهى السول في علم الأصول، وكليات في المنطق، وكليات في العربية، ومقالة في علم الأسطرلاب، وغير ذلك من الكتب المفيدة، خصوصا في علم الرياضيات، أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 216 رقم الترجمة 759، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 279 رقم الترجمة 623، وفي السعادة الأبدية لابن الموقت ص 26، وفي جذوة الاقتباس لابن القاضي ص 148 رقم الترجمة 99، وفي الإعلام بمن حل مراكش لابن إبراهيم المراكشي ج 1 ص 375-384 ، وفي نيل الابتهاج للتنبكتي 41، وفي الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ج 1 ص 278، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 222.

(76) عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن خلدون، فيلسوف، مؤرخ، عالم اجتماعي، باحث، من مصنفاته : العبر وديوان المبتدأ والخبر، في تاريخ العرب والعجم والبربر، مطبوع في سبعة مجلدات، توفي بالقاهرة عام 808هـ، أنظر ترجمته في جذوة الإقتباس لابن القاضي ص 410 رقم الترجمة 427، وفي نيل الإبتهاج للتنبكتي 18، وفي نفح الطيب للمقري ج 4 ص 414، وفي الضوء اللامع للسخاوي ج 4 ص 145 وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 230.

(77) أبو العباس أحمد بن علي بن يوسف البوني، فقيه عالم بأسرار الحروف، أصله من بونة بتونس، توفي بالقاهرة عام 622هـ، من مصنفاته : شمس المعارف الكبرى، وشمس المعارف الوسطى، وشمس المعارف الصغرى، ومواقف الغايات في أسرار الرياضات، واللمعة النورانية، والسر الظاهر، وشرح اسم الله الأعظم، وغير ذلك من كتب أسرار الحروف، أنظر ترجمته في هدية العارفين لإسماعيل باشا ج 1 : 90، وفي كشف الظنون لحاجي خليفة 1062، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 174.

اطلاعه على قواعد الفن، وهم جهال كثيرون، ولذلك قال الناصحون : علم الكنوز والحروز، من تركهم يفوز.

وقد تضرر كثير من المتعاطين لهذا الفن ممن لا إذن لهم، ولا معرفة بالفن، فكان نتيجة خوضهم فيه الحصول على التلبيس والتفليس، والحمق بين الخلق، ولذلك ينبغي الإعراض عن الخوض فيه، سيما في حق من يتعاطاه بقصد مذموم شرعا، بوضع الأسماء الشريفة، والآيات المنيفة، في مواضيع لا ينبغي استعمالها فيها، بالتوجيه لقضاء أغراض بها محرمة ونحو ذلك. ولقد حفظني الله منذ اشتغلت بهذا الفن من التوجه فيه لشيء من ذلك ولله الحمد، حتى أعرضت عن الخوض فيه بالكلية، إلا ما كان في كتب بعض ما له خاصية مما صار من قبيل استعمال الدواء، إن توقف الغرض عليه مما ليس بمذموم شرعا.

وقد اشتغلت عن ذلك بطلب العلم، وبأذكار الطريقة التجانية اللازمة فيها وغير اللازمة، مع تعمير جل الأوقات بالتدريس، وكتب ما ولعت به من التأليف، وأول كتاب ألفته في هذه الطريقة كتابي المسمى بالكوكب الوهاج عام 1318هـ، وفي عام 1321هـ ألفت كتابي منهل الورود الصافي، والهدى من فتح الكافي، في علمي العروض والقوافي، وصرفت الوجهة مني فيما يلقيه إلي العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي بعد ملازمتي له في الأوقات التي أجد الفراغ فيها منذ أخذت عنه الطريقة الأحمدية، فظفرت بحمد الله منه بأسرار عالية، ومعارف غالية. وقد استودعت من ذلك بعض مؤلفاتي في الطريقة التجانية وفي غير الطريقة، مما يبرهن على أنه من أهل الولاية الخاصة الذين خصهم المولى بالخصائص الكبرى.

وقد أطلعه الأخ ولده سيدي محمد العبدلاوي(78) على تأليفي كشف الحجاب حين كان مشتغلا بطبعه عام 1325هـ بالمطبعة الأولى، فاستحسنه غاية، وحين حضرت عنده بداره بشرني ببشارة كبرى وقال لي : احمد الله على ما أنعم به عليك، وإنك والله خليفة عن الشيخ رضي الله عنه، ونائب عنه فيما أكرمك الله به، وإنك لخارج عن دائرة علماء القرويين، فإني لا أقول بهم لجمودهم على الظاهر، ونظرهم لغيرهم بعين الإزدراء، وعدم تسليمهم للأولياء، ثم قال لي : إن كتابك هذا له شأن، وهو مقبول مقبول، وإن كان فيه شيء مما لا بأس به في صنعة التأليف، فحمدت الله على هذه البشارة.

وقد استحسن ذلك أيضا شيخنا الداودي، وكنت إذا تغيبت عنه، وسألني أين كنت ؟ وأخبرته بأني كنت عند شيخنا العارف المذكور يظهر لي نشاطا وانبساطا، وإلا انقبض انقباضا، لا يسعني معه إلا الأخذ بخاطره. وقد كان سيدنا الوالد مطمئن الصدر من جهتي بملازمتي لشيخنا الداودي المذكور، مع المبيت معه الليالي العديدة، ولا يتشوش من عدم مبيتي في الدار التي بها سيدنا الوالد تحققا منه والحمد لله بنزاهتي، وعدم المبيت في محل لا ينبغي المبيت به. كما أنه كان مسرورا كثيرا بملازمتي لمولاي أحمد العبدلاوي، وكان لوالدي في جانب هذا السيد كبير اعتقاد، ويرى من إقباله علي ما كان يزداد به فرحا ومسرة. فيقول لوالدتي : إن ولدي أحمد هو دعوتي التي دعوتها عند شربي من ماء زمزم، وأخذي بشباك ضريح النبي (ﷺ)، وإني لأرى سيدنا الوالد في بعض الأحيان مباششا في وجهي حين يبلغني عنه أنه خاصم الإخوة في ترك القيام بما توقفت عليه خدمة الدار، ويقول لي : لا أريد منك أنت إلا الإشتغال بالقراءة، وأن الخصام مع إخوتك لا معك.

---

(78) سبق التعريـ2 به في ج 1 f 47 من هذا المجموY.

ومع ذلك فقد كنت أنهض بقدر طاقتي في خدمة الدار بما أدخل به السرور على الإخوة، وسيدتنا الوالدة واجدة تدعو لي بما نرجو الله أن يحققه لي في الدارين، ولقد كانت سيدتنا الوالدة قبل تزوجي مهتمة بأمري، حيث لم ترى مني التفاتا إلى طلب التزوج، بما كان قلبي مشغولا به، مشغوفا في طلب العلم وتحصيله ونشره، وطلبت مني مرارا بأن أتزوج، وأنا أتعلل لها بما أفرغه في قالب الأعذار المقبولة، حتى حرصت علي برغبة أكيدة من عام 1318هـ إلى عام 1320هـ، فخطبت لي ابنة صهرنا السيد المكي بن أحمد بن شقرون(79)، بعد أن التزمت لي سيدتنا الوالدة بمسامحتي فيما عسى أن يصدر من زوجتي، أو مني من سوء الأدب معها، والتزم سيدنا الوالد بالمسامحة كذلك، فتزوجت بها، فبنيت بها ليلة الإثنين سادس عشر شعبان من العام المذكور(80)، وكان متكفلا بجميع الضروريات وكلف المؤونة بما لم يحصل لي معه أدنى اشتغال بال. وإن زوجتي ولله الحمد لمن الصالحات ببرورها بي وبوالدي، فكانت نتيجة دعائي الذي كنت أدعو به من قوله تعالى : "ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة"(81)، وهي الحسنة في قول بعض المفسرين.

وفي ليلة الثلاثاء خامس عشر شهر ربيع النبوي من عام 1322هـ ازداد لي معها ولدي عبد الكريم، وقد صادفت ولادته شفائي من مرض لازمت فيه الفراش نحو ثلاثة أشهر غبت فيها عن حسي، فاختار تسميته سيدنا الوالد بهذا الإسم إشعارا بشكر المولى الذي تكرم بعافيتي من ذلك المرض(82). وتبعا لخاطري في تسميته به محبة في شيخي العلامة الرئيس سيدي الحاج عبد الكريم بنيس، فقد رجوت بموافقة إسمه لإسمه أن يكون الولد مثله في أقواله وأفعاله وأحواله، وقد كنت تعرفت به من حين عثرت على تقريظه(83) (لحل الأقفال في شرح جوهرة الكمال) لمفيدنا العلامة

---

(79) المكي بن أحمد بن عبد المجيد بن شقرون، من حفدة العلامة الشيخ عبد القادر بن شقرون دفين الضريح الإدريسي بفاس، ولد بفاس عام 1280هـ، أنظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 190.

(80) كان سن العلامة سكيرج عند زواجه المذكور 25 سنة، وكان دخوله بزوجته المذكورة يوم الإثنين 16 شعبان عام 1320هـ ، وحول ذلك قال رحمه الله : وقد وافق هذا التاريخ جمل قولك : عرس سعيد وفاك بنور.

(81) سورة البقرة، الآية 201.

(82) قال العلامة سكيرج في كتابه المسمى : تقييد النفوس بما كتبته من بعض الدروس والطروس، ص 270، سماه والدنا الحاج العياشي بعبد الكريم لأن الله تعالى تكرم علي وعلى أمه بالعافية، فإنني كنت مريضا مرضا سلموا علي فيه، فقد غبت عن عقلي ثمانية أيام، والمرض يزيد على شهرين، وأما أمه فإن الطلق أصابها أربعة أيام حتى سلموا عليها أيضا، وليت أبي سماه بمحمد.

(83) قرظ العلامة سيدي عبد الكريم بن العربي بنيس كتاب حل الأقفال لقراء جوهرة الكمال، للعلامة الشريف سيدي الحاج محمد فتحا كنون بقصيدة فائية من بحر البسيط، قال في مطلعها :

صل اللهم على سر الوجود وروح الكائنات ومن بالرأفة اتصف

عين هي الرحمة المهداة قد وسعت كل العوالم حيث وبله وكف

السيد الحاج محمد فتحا كنون(84)، وكان الواسطة في التعرف به الرجل الصالح السيد المختار الزيزي، حيث أطلعه أيضا على تقريظي لذلك التأليف فاستحسنه(85)، وقد استفحلت المحبة بيننا حتى تمكنت بين الجانبين، وكانت المودة في عنصر التمكن وقت ازدياد ولدي المذكور، فسميته بذلك الإسم على الوجه المذكور، وقد استفدت من شيخنا بنيس المذكور فوائد لا تحصى، واقتبست من أنواره ما نفر عني ظلمة الجهل المركب، وركبت به من بحر العلم أحسن مركب، وجرى مني حبه مجرى الدم في الجسم، بل سرى وده مني مسرى الروح في الجسد إلى الآن وحتى الآن.

مطالعة كتب التصوف مع الشيخ بنيس

وقد طالع معي من كتب التصوف والكلام ما زال به عني اضطراب الأوهام، خصوصا ما أقف عليه في الفتوحات المكية، والإنسان الكامل(86)، والفصوص ونحو ذلك، فنلت من فتوحاته ما اتضحت لي به عبارة الشيخ الأكبر في سائر كتبه التي عثرت عليها، وقد سبقت لي نظرة العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي في تمكينه لي نسخة الفتوحات المذكورة بيده فأقرؤها بحضرته، وقد أخبرني رضي الله عنه بأنه كان يحفظها ويستحضر ما اشتملت عليه من المعارف، ويحثني على مطالعتها، فحصلت لي محبة خصوصية في الشيخ الأكبر، وكلفت بكتبه، حتى أني كنت إذا سمعت بكتاب منها لا أملكه أبحث عنه إلى أن أظفر به، وربما طالعت منها ما لا أملكه منها في مرائي منامية، ما أعده من قبيل تصرف الهمة بالتحصيل على المطلوب من حضرات ذوي الفتح، وأول ارتباط وثيق وقع في المحبة بيني وبين شيخنا بنيس بعد مطالعتي لتقريظه المشار له، واطلاعي على مختصره(87) في فقه الطريق التجانية،

(84) سبق التعريف به في ج 1 ص 26 من هذا المجموع.

(85) قرظ العلامة سكيرج كتاب حل الأقفال لقراء جوهرة الكمال للعلامة سيدي محمد فتحا كنون، بقصيدة جميلة قال في مطلعها:

سر الدوا بمفتاح الأقـفـال نعم الذخيرة بغية الآمـال
فاض حميا بحرها وانظر مـحـيـاها تفز بمراتـب الكـمـال
فيها المعارف والعوارف والعـوائـد والفوائـد مرهم الإعلال

(86) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، من تأليف العارف بالله الشيخ عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي، من أكابر علماء الصوفية، وهو من ذرية الشيخ الواصل سيدي عبد القادر الجيلاني، وله مصنفات عظيمة القدر، منها: لوامع البرق الموهن في معنى ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المومن، وحقيقة اليقين، والكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمان الرحيم، والمناظر الإلهية، وشرح مشكلات الفتوحات المكية، والناموس الأعظم والقاموس الأقدم، في أربعين جزءا، والكمالات الإلهية في الصفات المحمدية، وآداب السياسة بالعدل، والسفر القريب، وغير ذلك من أنفس وأرقى الكتب الصوفية.

وكانت وفاته رحمه الله عام 832هـ، أنظر ترجمته في هدية العارفين للبغدادي 610، وفي كشف الظنون لحاجي خليفة 181، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 50، وفي معجم المطبوعات لسركيس 728.

(87) أنظرها بتمامها في رفع النقاب للعلامة سكيرج ج 3 ص 310-312.

فقد ألفه بعد تقيده بحبلها، ومطالعته لكتاب بغية الولي الصالح السيد العربي بن السائح(88)، وكان تأليفه له كالمباسط به لحضرة المقدم أبي الفتح السيد الحاج محمد كنون المذكور، وقد استحسنه حين اطلع عليه، وحصل لي اعتناء به فشرحته بكتابي الكوكب الوهاج، فكان ابن فكري، فتزوج ببكر فكره، فتولد منهما نفع المنصفين من الإخوان في الطريقة، وتم بيننا التعارف الذي كان لله بالله في الله، ولله الحمد.

وقد اطلعت على كثير من نظمه وتقاييده النفيسة، فجمعت من ذلك ديوانا سميته : بالدر النفيس من نظم العلامة الرئيس، سيدي الحاج عبد الكريم بنيس، وإلى الآن لم يتم تخريجه(89)، كما شرعت في شرح نظمه لحكم ابن عطاء الله، وإلى الآن لم يكمل(90)، أتم الله ذلك على أحسن ما يكون، ملحوظا بعين القبول، وهو من أجل الشيوخ الذين لازمتهم، وكنت أتمنى أن لو قرأت على كل من كان موجودا وقت طلبي للعلم، حتى إني كنت حضرت مجلس العلامة سيدي جعفر الكتاني(91) بقصد الأخذ عنه تبركا بعلومه، فصرت أعده من شيوخي كما قال الشيخ سيدي عبد العزيز الديريني(92) رضي الله عنه.

وكل من أخذت عنه علما	أو أدبا فهو إمامي حتما

---

(88) سبق التعريف به في ج 1 ص 308 من هذا المجموع.

(89) لم يتمه نظرا لانشغاله بتصانيف أخرى، وفي نيتي إن شاء الله أن أقوم بهذه الغاية حرصا مني على التعريف بعلماء الطريقة الأحمدية التجانية، والعلامة سيدي عبد الكريم بنيس هو واحد من فطاحل رجال هذه الطريقة، وقد سبق التعريف به في ج 1 ص 40 من هذا المجموع.

(90) شرع العلامة سكيرج في شرحه لنظم الحكم العطائية للعلامة سيدي عبد الكريم بنيس بتاريخ 15 ذي القعدة الحرام عام 1323هـ، لكنه لم يكتب منه سوى 46 صفحة، ووقف عند قول الناظم :

فالفقه من دونه فســق ومنقصــة	والعكس زندقة والجمع للبطل

وقد طبع هذا النظم خلال السنوات الأخيرة، وعدد أبياته 666 بيتا، وفي ذلك سر عجيب، ومطلع هذا النظم المبارك :

حمدا لمن عمنا في سابـق الأزل	برحمة وسعت كلا بلا عمل
وخص من شاء بالإمداد وأوصلـه	لنظم بألسنة الأملاك والرسـل
وأنزل الكتب إرشادا بحكمـتـه	في طيها حكم الأحكام والملل

(91) أبو الفضل جعفر بن إدريس الحسني الكتاني، فقيه جليل، صوفي، ولد بفاس عام 1246هـ، وبها توفي عام 1323هـ، من مصنفاته : الشرب المحتضر في رجال القرن الثالث عشر، والرياض الربانية في الشعبة الكتانية، وإعلام الأئمة الأعلام وأساتيذها بما لنا من الروايات وأسانيدها، وأحكام أهل الذمة، وغير ذلك، أنظر ترجمته في فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 300 رقم الترجمة 119، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 433 رقم الترجمة 1708، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 367 رقم الترجمة 814، وفي معجم المطبوعات لسركيس 1545، وفي دليل مؤرخ المغرب الأقصى لابن سودة المري ص 67 رقم 345، وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 122.

(92) عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري، المعروف بالديريني، فقيه، صوفي، زاهد، ولد بديرين في غربية مصر عام 612هـ، وتوفي ببلدته المذكورة عام 694هـ، من مصنفاته : التيسير في علم التفسير، والدرر الملتقطة في المسائل المختلطة، وإرشاد الحيارى، وطهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب، أنظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 1 ص 202 رقم الترجمة 293، وفي طبقات الشافعية للسبكي ج 5 : 75، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 13.

ولقد اهتممت كثيرا بالأخذ عن بعض الشيوخ الذين لم أدرك منهم مجلس علم، ولم أجد لذلك سبيلا. منهم مجيزنا العلامة آخر قضاة العدل سيدي حميد بناني(93)، فحضرت مجلس تفسيره للقرآن بصحن القرويين في رؤيا منامية، وقد أخبرت بها محبنا محل الأخ سيدي علي بن الفاطمي الهرابلي (94)، وكان من خواصه، وتعلقت به في إجازتي، فجمعني به وأفادني بما لم يكن لي بحسبان، وزودني من معارفه ما اطمأن به صدري في السر والإعلان، فأذن لي في الطريقة التجانية وتلقينها، والإجازة فيها بالإذن المطلق والمقيد، وكتب لي بذلك إجازته الأخ المذكور، وأمضى عليها شيخنا المذكور بعلامته، كما كتب لي الإجازة في معلوماته، وما اشتملت عليه فهرسته، وتلقيت عنه الحديث المسلسل بيوم عاشوراء، وطابت بمحبتي له نفسي، بين أبناء جنسي.

إجازة الشيخ ماء العينين(95)

كما أني حصلت على الإجازة من العلامة الشهير سيدي ماء العينين، بواسطة محل الأخ العلامة نقيب الأشراف العلويين مولاي الكبير عبد الرحمن بن زيدان، فكتبها لي بخطه طبق اقتراحي عليه، وأمضى عليها باسمه بخطه، بعد أن عملت قصيدة في مدحه، وقعت منه موقعا، وأخذت بلب من سمع بها بمحضره من الجلة، مطلعها :

لفرط حبي أرى حبي أراق دمي وفي طريق سواه ما أرى قدمي(96)

الشيخ أحمد الشمس(97)

وقد كاد الشيخ أحمد الشمس أن يطير فرحا بها، وكانت سببا في ربط حبل الحب بيننا، وكان مخلصا في المودة حتى استولى على قلبي، فكنت ولا زلت من المخلصين في محبته، ولقد كان معجبا بشعري غاية الإعجاب، ولقد قال لي حين اطلع على تخميسي للبردة : لقد فضحت هذا العاشق، وجرت بيننا مذاكرات، واجتمعنا بحضرته بجماعة من العلماء والأدباء من أهل شنجيط وغيرهم، ممن استفدنا منهم واستفادوا منا بما نرجو من الله الجزاء الأوفى من الأجر عليه.

(93) سبق التعريف به في ج 1 ص 31 من هذا المجموع.
(94) أبو الحسن سيدي علي بن الفاطمي الهرابلي، فقيه، أديب، تولى خطة القضاء بطنجة عام 1337 هـ، وهو من مواليد فاس عام 1277هـ، أخذ العلم عن جماعة من العلماء منهم سيدي الحاج الحبيب الداودي، والحاج حماد بن عمر الصنهاجي، وسيدي محمد بن التهامي الوزاني، وسيدي محمد بن قاسم القادري، وسيدي حميد بناني وغيرهم، أنظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 112.
(95) سبق التعريف به في ج 1 ص 28 من هذا المجموع.
(96) وهي قصيدة طويلة بديعة استعملها في بحر البسيط وعدد أبياتها 103.
(97) سبق التعريف به في ج 1 ص 28 من هذا المجموع.

سبب استعمال تخميس البردة(98)

ومن البواعث عن استعمالي لذلك التخميس تعلقي بالجناب الأحمدي بعد شفائي من ذلك المرض الذي تقدمت الإشارة إليه، وكنت حالته نظرت إلى ما نظمته من الأمداح، فلم أتذكر من نظمي قصيدة لي في هذا الجناب، فتأسفت كثيرا وخفت أن أموت ولم أزاحم مداح جنابه، وأضمرت في قلبي إن عافاني الله أعمل نسيجا على منوال الشعراء، عسى أن يحفني منه برداء الرضاء، وحين عوفيت من ذلك استعملت المعشرات(99) التي مدحت بها هذا الجناب، وجعلت التخميس المذكور تبركا بالبردة التي عمت بركتها القاصي والداني، وقد أجازني المصطفى (ﷺ) على ذلك بما شملني خيره حسا ومعنى. فكان من نتائج ذلك رؤيتي له في مرائي متعددة، وبشرني بما أحيا مهجتي به من صفاء محبته، وما قابلني به من عظيم المودة ولله الحمد.

السفر إلى مكناس

بدعوة من نقيب الأشراف مولاي عبد الرحمن بن زيدان(100)

ولقد كنت ملازما للإقامة بفاس، لم أخرج منها إلى بلدة سواها، لاشتغالي بطلب العلم وتحصيله، إلى أن استدعاني إلى مكناسة الزيتون نقيب الأشراف بها السيد الكبير مولانا عبد الرحمن بن زيدان، زاد الله في معناه، بعد أن أقام أفراح عرسه الميمون، وأكد علي بالحضور إلى محله المصون، ووجه إلي من حملني إليه من خدام جنابه في شهر ربيع النبوي عام 1325هـ، وقد وجدت في انتظار قدومي عنده بروضه الأنيق جماعة من علماء مكناسة الزيتون، فتلقاني الجميع بالترحاب من الباب، وأقمت عنده أياما، فكان من جملة من تعرفت به من الجلة هناك العلامة القاضي سيدي محمد بن عبد السلام الطاهري(101)، والفقيه السيد محمد فتحا السوسي(102)، والفقيه السيد محمد

---

(98) المراد به نظمه المسمى : الوردة في تخميس البردة، أنظر ج 1 ص 84 من هذا المجموع.
(99) المراد بها قصائده المسماة : ضوء الظلام في مدح خير الأنام.
(100) سبق التعريف به في ج 1 ص 16 من هذا المجموع.
(101) الفقيه العالم العلامة القاضي سيدي محمد بن عبد السلام الطاهري، قاضي مدينة مكناس، أخذ العلم عن جماعة من العلماء، منهم الفقيه سيدي محمد بن الجيلاني السقاط، والعلامة سيدي فضول بن عزوز، والفقيه سيدي المختار الأجراوي، والعلامة سيدي أحمد بن سودة، وغيرهم، ومن مصنفاته : تأليف في جواز العمل في الصوم والإفطار وغيرهما من الأمور الشرعية بالتلغراف، ونظم رسالة الوضع، وحاشية على ورقات إمام الحرمين في الأصول، أنظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 4 ص 299، وفي الرحلة الزيدانية للعلامة سكيرج ص 29.
(102) الفقيه العلامة القاضي سيدي محمد فتحا بن أحمد بن الحاج المكي السوسي، من مواليد مدينة مكناس عام 1285هـ وشيوخه في العلم كثيرون، منهم عمه سيدي محمد المفضل بن المكي السوسي، والعلامة سيدي محمد المفضل بن عزوز، والعلامة سيدي محمد القصري العبدري، وأخذ كذلك عن أخيه سيدي محمد المفضل بن أحمد السوسي، وعن جماعة آخرين، وقد تولى القضاء بمدينة مكناس في شهر شعبان عام 1346هـ، وبقي فيه إلى أوائل عام 1359هـ، من مصنفاته : شرح موسع للهمزية الإمام البوصيري، وحاشية على شرح أرجوزة مصطلح الحديث للشيخ أبي حامد سيدي العربي الفاسي، وعون الموصوف بالجلالة على آلة خاتم الرسالة، وعون الطالب السائل على فهم الأخرين المختوم بهما الشمائل، وختم مختصر خليل، وختم المرشد المعين، وختم الألفية لابن مالك.
توفي رحمه الله بمدينة مكناس ليلة الثلاثاء 3 شوال عام 1369هـ، وصلي عليه بالجامع الكبير قبل الزوال، ثم حمل جثمانه إلى الزاوية الكنتية، ودفن بها في بيت أضافه لها وهيأها ليكون به مثواه الأخير، أنظر ترجمته في الرحلة الزيدانية للعلامة سكيرج ص 58، وفي غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود لنفس العلامة بتحقيقنا عليه ضمن هذا المجموع ج 2 ص 104، وفي إسعاف الإخوان لابن الحاج ص 161.

بن عبد القادر العرايشي(103)، والكاتب البارع السيد الغالي بن أبي بكر السنتيسي(104) وغيرهم، وكانت أيام إقامتنا لديه أيام سرور ومواسم خيرات، مشمولة بكمال البرور.

الذهاب إلى زرهون

وقد اقترح علي الذهاب إلى زرهون بقصد التفسح، ومشاهدة آثار الفتح بالضريح الإدريسي وزيارته، فأقمنا به نحو اليومين، وتعرفت هناك ببعض الجلة، منهم العلامة الشريف سيدي محمد بن أحمد العلوي(105)، وشاهدنا بمرورنا آثار المدينة القديمة الشهيرة بقصر فرعون، وفي الحقيقة أطلال مدينة وليلي الكبيرة، وبعد رجوعنا لمكناس ومبارحتنا لمدينة فاس ألفت تويلفا سميته : بالرحلة الزيدانية، وقد ذكرت فيه جل ما شاهدته في زيارتي هذه مدة إقامتي عنده ذهابا وإيابا، ولازالت إلى الآن بمبيضتها، راجيا تخريجها ليدوم بها تذكار إكرامه، وذلك من قبيل شكر المنعمين.

---

(103) الفقيه العلامة سيدي محمد بن عبد القادر العرايشي، من خيرة علماء مكناسة الزيتون، أنظر ترجمته في الرحلة الزيدانية للعلامة سكيرج ص 7.

(104) العلامة الأديب المقدم سيدي الغالي بن المكي السنتيسي، المكناسي النشأة والدار والإقبار، أخذ رحمه الله العلم عن جماعة من جهابذة علماء مدينتي مكناس وفاس، وله مصنفات جليلة منها حاشية على الرسموكي شارح الجمل، وشرح لقصيدة كفاية المحتاج في مدح صاحب اللواء والتاج لسيدي عبد الرحمان بن زيدان، في جزءين، وتأليف في إعراب : أما بعد، وقصيدة في فقه الطريقة الأحمدية التجانية سماها : درة التاج وعجالة المحتاج، قال في مطلعها :

حمدا لمن أوضح ذي الطريقه ... أعني التجانية للخليقه
وجعل الأخذ لها عبادة ... إن صدق المريد في الإرادة

وكان رحمه الله كاتبا أول زمان السلطان مولانا الحسن الأول، ومولانا عبد العزيز، ومولانا عبد الحفيظ، ثم ناظرا على الأحباس الصغرى بمكناس، إلى أن توفي ليلة الإثنين 17 شعبان عام 1338هـ، ودفن بالزاوية الكنتية من حومة صدراتة بمكناس، أنظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 5 ص 508، وفي الرحلة الزيدانية للعلامة سكيرج ص 60، وفي غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود لنفس العلامة بتحقيقنا عليه ضمن هذا المجموع ج 2 ص 91-97.

(105) محمد بن أحمد بن إدريس بن الشريف بن المهدي العلوي الإسماعيلي، فقيه، محدث، أديب، ولد بمدينة زرهون في فاتح صفر الخير عام 1288هـ، وتلقى العلم بزرهون أولا عن عم والده العلامة مولاي الحسن بن الشريف العلوي، والفقيه مولاي الفضيل بن الفاطمي الإدريسي الشبيهي، وأخذ كذلك عن مفتي مدينة زرهون العلامة سيدي محمد بن عبد الواحد الإدريسي الشبيهي، ثم انتقل لمدينة فاس قصد متابعة دراسته العلمية بها، فأخذ عن مجموعة من خيرة فقهائها، كالعلامة سيدي محمد بن التهامي الوزاني، وسيدي عبد المالك الضرير، وسيدي جعفر الكتاني، وسيدي أحمد بن خالد الناصري السلاوي، وسيدي الحاج محمد بن محمد بن عبد السلام كنون وغيرهم.

وعين رحمه الله قاضيا بمدينة زرهون عام 1336هـ، ثم قدم استقالته فقبلت، ثم عين بعد ذلك عضوا بمجلس الإستيناف الشرعي الأعلى بالرباط، ثم قاضيا بمدينة مكناس عام 1344هـ، ثم قاضيا بمقصورة السماط بالقرويين بفاس عام 1346هـ، ثم قاضيا بمدينة وزان عام 1350هـ، ثم قاضيا بمدينة مكناس للمرة الثانية عام 1359هـ، ومن مصنفاته رحمه الله : شرح بردة ابن زيدان، وإتحاف النبهاء الأكياس بتحرير فائدة مناقشة القضاة للأوصياء بفاس، وتوضيح طرق الرشاد لحسم مادة الإلحاد في حديث صلى الرسول المكلم موسى عليه السلام للملك المكرم الموكل بقبض أرواح العباد، وتمهيد الحجة وتنبيه المحجة من دنس تمويه سياسة الأفرنجة، وتقييد في حكم لبس السراويل، وغيرها من التآليف الكثيرة.

وكانت وفاته رحمه الله صبيحة يوم الجمعة 28 محرم الحرام عام 1367هـ، ودفن في قبة الضريح الإسماعيلي بمكناسة الزيتون، أنظر ترجمته في غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود للعلامة سكيرج بتحقيقنا عليه ضمن هذا المجموع ج 2 ص 147-154، وفي إسعاف الإخوان لابن الحاج ص 141، وفي مجلة دعوة الحق تحت عنوان القاضي محمد بن أحمد العلوي بقلم الأستاذ محمد فتحا بن عبد القادر العرايشي عدد 227 ص 238-250.

السفر إلى طنجة

ثم بعد ذلك تشوقت للسفر، فسافرت صحبة سيدنا الوالد لصلة الرحم مع الأخ سيدي محمد(106)، وابن العم الفقيه السيد الزبير(107) بطنجة وتطوان، وبعد قضاء الغرض ورجوعنا لفاس، وإقامتنا بها أياما رجعت إلى طنجة، وتزوجت بابنة ابن العم المذكور(108) عام 1328هـ، واستوطنت بطنجة فرارا من الفتن التي كانت بفاس ونواحيها مشتعلة، والقلوب بها مشتغلة، وفي هذه السنة أكد علي ابن العم والأخ المذكور في اندراجي في سلك المستخدمين مع المخزن، وتوسطا لي في الخدمة بدار النيابة هناك بصفة كاتب مع النائب المخزني(109) بها، وهناك شاهدت ما لم يخطر لي ببال، وتغير مني الحال، فلم يمكني البقاء في تلك الخدمة، فانتقلت منها إلى رفقة الأخ بصفة كوني كاتبا ثانيا بإدارة المراقبة(110) هناك، ثم أظلم الجو في نظري، واستعملت ما قدرت عليه في البعد عنهم بما في طوقي.

السفر إلى وهران

وقد صادف الحال استدعاء المحب الصادق مولاي الحبيب بن عبد المالك(111) من حاضرة وهران إلي، وأكد علي في زيارته، فاستعملت اللازم وسافرت إلى وهران، وذلك في 15 جمادى الثانية عام 1329هـ، وكان ذلك أول ركوبي بالبحر، واجتمعت بالشريف المذكور مع جماعة من الأفاضل، وقد بسطت القول حول ذلك في رحلتي الحبيبية إلى أن رجعت لفاس، وبلغني قبل الوصول

---

(106) سبق التعريف به في ج 1 ص 33 من هذا المجموع.

(107) الكبير بن عبد الوهاب سكيرج، سبق التعريف به في ج 1 ص 38 من هذا المجموع.

(108) للمزيد من المعلومات أنظر ج 1 ص 16 من هذا المجموع.

(109) أنظر ج1 ص 16 من هذا المجموع.

(110) أنظر ج1 ص 16 من هذا المجموع.

(111) الفقيه العلامة مفتي مدينة وهران، المقدم الفاضل، سيدي الحبيب بن عبد المالك، من أعز أصدقاء العلامة سكيرج، كانت بينهما مودة كبيرة، وقد مدحه العلامة سكيرج بقصائد كثيرة منها قوله في مطلع إحداها :

بالله يا قاصـديـن قـطـر وهران ... حيوا الحبيب الذي أوى بوهران

ومنها قوله في مطلع قصيدة أخرى :

لك الفضل يا ابن الأكرمين الأفاضل ... على كل حال بين أهل الفضائل

وتوفي رحمه الله على الساعة التاسعة من صباح يوم السبت 11 رمضان المعظم عام 1359هـ، ودفن بروضة بودومة بوهران، أنظر ترجمته في الرحلة الحبيبية الوهرانية للعلامة سكيرج ص 4. وقد سبق التعريف به في ج 1 ص 16 من هذا المجموع.

إليها ازدياد ولدي سيدي محمد(112) مع ابنة العم بتطوان، فلم أرفع لذلك رأسا، لعزمي على عدم الرجوع إلى طنجة، ولقد كنت فارقت السيدة شقرونة(113)، والله يعلم ما قاسيت بعدها مع ابنة العم من امتحان، حتى كنت أرى أن ذلك مجازاة لكفر نعمة برورها بي، وقد استعملت أبياتا حين كنت بعيدا عن مسقط الرأس، ولا بأس بذكرها في هذا المحل حيث خطرت بالبال، نصها :

أمولاي من أشكو إليه نوائبي ... إذا كان من أشكو إليه مطالبي
يهون عليه أن أهان وإن لي ... وحقك نفسا فوق كل مطالبي
ومن ذا الذي يرضى وهمته علت ... يصير بعد العز مهضوم جانب
أمولاي إن الموت أهون للفتى ... من الهون بعد العز بين الأقارب
تغربت عن ناس أنست بأنسهم ... وأنسهم قد كان بين الأناس بي
وأصبحت فيمن لا يبالون بي ولا ... يراعون حقي في جميع المذاهب
أمولاي والدهر الخئون بكيده ... رماني بالسهم الذي هو صائبي
وإني على ضعفي تحملت في النوى ... شجونا بها أصبحت لعبة لاعب
وما كان يا مولاي ظني هكذا ... ترى حسناتي كلها من مثالبي
أعاتب نفسي في الذي قد جنته لي ... وأشفق من حالي بعد مصائبي
أمولاي والأعداء تشمت بي لدى ... سماع الذي كابدته من نوائب
تراني أكف العين من جريانها ... وفي خلواتي لا أرى غير ناحب
وأحبس زفرتي إذا ما تصاعدت ... وأخفي أنيني عند رؤية صاحب
أسابقه بالبشر والقلب عابس ... مخافة أن يرثي لحالي مراقبي
أمولاي ها شكواي فيك أبثها ... لعلي أن أحظى بنيل مطالبي
وغاية مطلوبي وأكمل بغيتي ... شهودي قبل الموت جمع الحبائب

---

(112) الدكتور سيدي محمد بن العلامة الحاج أحمد سكيرج، ولد بمدينة تطوان في الساعة العاشرة من نهار يوم الأحد 7 جمادى الثانية عام 1329هـ، موافق 4 يونيه سنة 1911م، وجده من أمه هو الأستاذ المهندس سيدي الكبير سكيرج، أحد عناصر البعثة التي وجهها السلطان المولى الحسن الأول لمتابعة الدراسة والتكوين بانجلترا. ولحد كتابة هذه السطور لا يزال الدكتور سيدي محمد سكيرج المذكور مقيما بمدينة طنجة، وعمره اليوم يتجاوز 85 سنة، نسأل الله أن يبارك في عمره ويزيد في صحته وعافيته.

(113) هي زوجة العلامة سكيرج، السيدة فاطمة بنت السيد المكي بن شقرون، وهي والدة الأستاذ الأديب سيدي عبد الكريم، وكانت وفاتها رحمها الله عام 1397هـ - 1979م.

وخمست ثلاثة أبيات وقفت عليها في ذلك الحين، أنشدت بين يدي الحارث ابن أسد المحاسي(114) شيخ الجنيد، فقام يتواجد وبكى حتى رحمه كل من حضره، وقد وافقت حالي فقلت :

مالكي من دون شــك   رق للــرق بـفــــك
من مصاب وتشك
أنا في الغربـة أبــكــي   ما بكت عين غريب
صرت في أسر العلوج   بعد ما كان عروجي
في أناسي للبروج
لم أكن يوم خـروجـي   من بـلاد بمصيـــب
كنت في ناسي بـنسـك   مالكـا حظـوة ملـك
لم أخلف عيشة ضنك
عجبا لي ولتـركــــي   وطـنـا فيـه حبيبــي

وبعد رجوعي لفاس انجلت عني الغموم، وردت بضاعتي إلي، وفارقت ابنة العم إجابة لطلب والدها مني ذلك(115).

ورود سيدنا محمود لفاس(116)

وفي نفس العام المذكور، ورد لفاس سيدنا محمود بن المولى البشير بن الحبيب بن الختم التجاني رضي الله عنه، وعزم على التجول في إيالة المغرب والتوجه إلى تارودانت(117) بالمرور على الحمراء مراكش، فطلب مني مصاحبته في هذه السفرة، فلم أجد بدا من مساعدته، فسافرت معه حتى وصلنا إلى رباط الفتح، وأقمت معه نحو الأربعة أشهر، فرأيت الحركة ثقيلة، والغيبة طويلة، فرجعت إلى فاس بإذنه، بعد أن تلاقيت مع جماعة من الأفاضل وتعرفت بهم، خصوصا

(114) الحارث بن أسد المحاسبي، من أكابر الصوفية ببغداد، له مصنفات كثيرة منها : المسائل في أعمال القلوب والجوارح، والرعاية لحقوق الله عز وجل، وكتاب التوهم، ورسالة المسترشدين، وآداب النفوس، وشرح المعرفة، والبعث والنشور، وغير ذلك من التآليف الصوفية الأخرى، توفي رحمه الله عام 243هـ، أنظر ترجمته في صفوة الصفوة لابن الجوزي ج 2 ص 207، وفي حلية الأولياء لأبي نعيم ج 10 ص 73، وفي ميزان الإعتدال للذهبي ج 1 ص 199، وفي تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج 2 ص 134، وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 153، وفي الطبقات الكبرى للشعراني ج 1 ص 75 رقم الترجمة 145.
(115) للتوسع في ذلك أنظر ج 1 ص 16 من هذا المجموع.
(116) سبق التعريف به في ج 1 ص 43 من هذا المجموع.
(117) تارودانت مدينة مغربية عتيقة، تقع في عمق منطقة سوس، بالجنوب الغربي من البلاد، وتبتعد عن مدينة مراكش بـ 170 كيلومتر تقريبا.

بالحضرة الرباطية، منهم الأديب سيدي الحاج الطيب عواد السلاوي(118)، والفقيه السيد الحاج أحمد بن قاسم جسوس الرباطي(119)، والسيد الحاج عبد القادر لوبريس(120)، والفقيه العدل السمي

---

(118) الطيب بن أحمد عواد السلاوي، من خيرة أدباء مدينة سلا، تلقى العلم عن جماعة من العلماء، منهم المؤرخ أحمد بن خالد الناصري، والعلامة سيدي عبد الله بن خضراء السلاوي، والولي الصالح العلامة سيدي محمد العربي بن السائح، وتقلد رحمه الله عدة وظائف مخزنية بالموانئ المغربية، كالدار البيضاء، والرباط، والعرائش، وعلاوة على هذا كان تاجرا من أكابر تجار سلا، ولهذه الغاية جال في الكثير من الدول، كالشرق الأوسط، وبلدان شمال إفريقيا، وتركيا، واليونان، وغيرهم، وهو من المقدمين البارزين في الطريقة الأحمدية التجانية، وله فيها قصائد وأشعار، ومساجلات لطيفة. ومن أشعاره أبيات ثلاثة قالها عند توديع الشريف سيدي محمود التجاني لما كان متأهبا للرحيل للأقاليم الجنوبية ونصها :

مولاي ذا الجمل البديع اليوسفي ... بردا القبول العبد عبدا شرف
واقبل هديته قبول أخي رضـى ... والسمع منه بالمزايا أشـنـف
واسمح بما يرجوه طول حياته ... فضلا ومن به عليه وأتحـف

وكانت وفاته رحمه الله صبيحة يوم السبت متم شهر رجب عام 1336هـ، عن 59 سنة، ودفن بالزاوية القادرية بمدينة سلا، أنظر ترجمته في كتابنا خلاصة المقال الثابت بذكر بعض مناقب سيدي محمد العربي بن السائح، وفي أعلام الفكر المعاصر لعبد الله الجراري ج 2 ص 313، وفي إتحاف الوجيز لمحمد بن علي الدكالي ص 180.

(119) أبو العباس أحمد بن قاسم جسوس، فقيه، أديب، محدث، من أعلام الطريقة الأحمدية التجانية بالرباط، أخذ العلم عن مجموعة من الشيوخ الأفاضل، في مقدمتهم العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح، وشيخ الجماعة بالرباط العلامة أبو إسحاق إبراهيم التادلي، والفقيه أبو حفص الحاج عمر عاشور، وأخذ بمدينة فاس عن العلامة سيدي أحمد بناني كلا، والعلامة سيدي محمد بن المدني كنون، وسيدي محمد بن عبد الواحد بن سودة، وسيدي محمد فتحا بن قاسم القادري، وغيرهم، ومن مصنفاته رحمه الله : تعليق على موطأ مالك، والإغراء بمسائل الإستبراء، وزهر الخمائل من دوحة الشمائل، وجلاء الرين عن قرة العين، وهي حاشية على شرح الحطاب لورقات إمام الحرمين، وعقرب تحت طوبة، وهو تقييد في مسألة فرضية، ومنسك، وفهرسة جمع فيها تراجم من لقيهم في سفره للمشرق، وغير ذلك. وكان العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح يسميه بعروس العلماء، وكان كلما دخل عليه قال له : مرحبا بعروس العلماء، ويفسح له، وذات يوم جعل ينظر ويمعن فيه كثيرا، والعلامة أحمد جسوس مطرق ببصره إلى الأرض، وأخيرا رفع إليه رأسه، فقال له الولي المذكور : السلحفاة لا تفقس إلا بالنظر، وحتى بيضها لا يفقس إلا بالنظر إليه، وإنما أريد أن أهذبك بالنظر. وله رحمه الله ديوان مليء بالقصائد النبوية الشريفة، منها قوله في مطلع إحداها :

لطيبة فاركب ناقة الشوق أو طرفا ... وغض عن الأحباب كلهم الطرفا

وله في نفس الموضوع قصيدة طائية بديعة قال في مطلعها :

خليلي هذا البين في الخد قد خـ ـ ـ ط ... دموع تشبه الخد والشرط
جفاني به نومي وعيل تـصبـري ... وساورني هم كما الحية الرقـط

وكانت وفاته رحمه الله في 13 ذي القعدة الحرام عام 1331هـ، عن 61 سنة، ودفن بالزاوية الناصرية بالرباط، أنظر ترجمته في كتابنا خلاصة المقال الثابت بذكر بعض مناقب سيدي محمد العربي بن السائح، وفي فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 149، وفي أعلام الفكر المعاصر لعبد الله الجراري ج 2 ص 39، وفي الإغتباط لبوجندار ص 62، وفي الإعلام بمن حل مراكش لابن إبراهيم ج 2 ص 281-289، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 199.

(120) الأديب سيدي عبد القادر لوبريس، من أفاضل أدباء مدينة الرباط، تلقى العلم عن أخيه العلامة سيدي عبد الرحمن لوبريس، والعلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح.

وله رحمه الله ديوانان كبير وصغير، وقد جمع معظم قصائدهما ورتبهما العلامة سكيرج، وذلك في كتابه المجموعة السكيرجية، وله قصيدة نونية جميلة قالها في حق الشريف سيدي محمود التجاني لما وفد على مدينة الرباط، ومطلع هذه القصيدة :

مالي وللاحي يثير شجـوني ... ويخال أن ملامه يغريـنـي
أو ما درى أني أسير هواهم ... وغرامهم ديني وعقد يميني

وكانت وفاته رحمه الله يوم السبت 5 ذي القعدة الحرام عام 1332 هـ، ودفن بالزاوية الناصرية بمدينة الرباط، أنظر ترجمته في كتابنا خلاصة المقال الثابت بذكر بعض مناقب سيدي محمد العربي بن السائح، وفي أعلام الفكر المعاصر لعبد الله الجراري ج2 ص 384، وفي الإغتباط لبوجندار

سيدي أحمد بن محمد بن ابراهيم(121)، والعلامة سيدي المكي بن علي البيطاوري(122)، والعلامة سيدي أحمد بناني(123)، وغيرهم من علماء وأدباء.

وقد بسطت القول فيما يتعلق بهذه السفرة في كتابي المعنون : ببلوغ المقصود بالرحلة مع سيدي محمود، وقد ضاع جلها، ولم يبق منها إلا ما استحسنته منها لإفادة بعض الأحباب، وقد أخذت بخاطر سيدنا محمود في رجوعي إلى مدينة فاس، واعتذرت بأعذار حلت عنده محل القبول، فرجعت إلى فاس.

الرجوع إلى استيطان طنجة

ثم انتقلت منها إلى استيطان طنجة مع أهلي، فطلب مني باشاها الأسعد البركة سيدي الحاج محمد الزكاري(124) أن أكون معه بمحكمته بصفة كوني كاتبا معه، وقصده بذلك انتفاعي بالمرتب الشهري، مع اطمئنان خاطره بالمشاورة معي فيما ينزل به من القضايا في الأحكام، وإيناس وحشته

ص 403.

(121) أحمد بن محمد بن ابراهيم، من علماء وأدباء مدينة الرباط، تلقى العلم عن جماعة من فقهاء المدينة المذكورة، وعمدته فيهم العلامة سيدي المكي بن علي البيطاوري، من مصنفاته تلخيص الحذاق شرح لامية الزقاق، وحاشية على الشيخ التاودي على شرح لامية الزقاق، في ثلاثة أجزاء، وتقييد في علم التوقيت وغير ذلك. تولى رحمه الله القضاء بمدينة العرائش عام 1326هـ، ولم تطل ولايته بها، ثم عين قاضيا بمدينة مكناس عام 1330هـ، وتوفي بمسقط رأسه بمدينة الرباط ليلة السبت 25 ذي القعدة الحرام عام 1334هـ، عن 40 سنة، ودفن من الغد بضريح مولاي المكي الوزاني، وقد رثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال فيها :

أخلاي إن الموت ينتاب الأنفسا ويسقي بكاسات المرارة الأنفسا

أنظر ترجمته في الإغتباط لبوجندار ص 71، وفي أعلام الفكر المعاصر لعبد الله الجراري ج 2 ص 48، وفي جواهر الكمال في تراجم الرجال للكانوني ص 107، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 249.

(122) سبق التعريف به في ج 1 ص 32 من هذا المجموع.

(123) أحمد بن محمد بن الحسن بناني الرباطي، قاضي مدينة الرباط، فقيه أديب، ولد بالمدينة المذكورة عام 1260هـ، وبها توفي عام 1340هـ، تلقى العلم عن جماعة من علماء وفقهاء مدينة الرباط، منهم العلامة القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان البريبري، والعلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح وغيرهم، وكان رحمه الله متقلدا بالطريقة الريسونية، أخذها عن البركة سيد عبد السلام بن ريسون العلمي التطواني، ومصنفاته كثيرة منها : الفتح الودودي على حاشية العلامة المكودي، في شرح الألفية، وحاشية على المرشد المعين، وكشف الستارة عن خطبة ميارة، وتقييد في مسألة العمل بالتلغراف، وغير ذلك من التصانيف الأخرى. وكانت وفاته رحمه الله فجأة بعد صلاة العشاء، ليلة الثلاثاء 26 ربيع الثاني عام 1340هـ، ودفن بالزاوية الناصرية بالرباط، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

ماذا دهاك وما دعاك للسهر حتى أطلت البكا والنوح في ضجر

أنظر ترجمته في الإغتباط لبوجندار ص 77، وفي أعلام الفكر المعاصر للجراري ج 2 ص 51، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 249.

(124) سيدي محمد فتحا الزكاري التطواني، فقيه، أديب، صوفي، باشا مدينة طنجة، قال في حقه العلامة سكيرج في مقدمة كتابه فتح الباري : العارف الذي ارتدى برداء الخمول، والغارف من بحر المعارف بين أهل الوصول، فعامل أهل الظاهر بظواهر الأمور، وأهل الباطن بغير الباطل من الظهور، ولكن بما يطيب الصدور، طيبة الحمد، الراقي في مراقي المجد، البدر الساري الرباني، أبو البركات سيدي الحاج محمد الزكاري التطواني، اهـ ... وكانت وفاته رحمه الله قرب فجر يوم الإثنين 17 ذي القعدة عام 1339هـ.

من الإنفراد. وكان رجلا مفتوحا عليه في طريق القوم، فكنا في حال الفراغ من الفصل بين الخصوم نتذاكر في الفنون، ونجني من أفانين المعرفة ما تنجلي به عنا الشجون.

وقد كنت شرعت في تقييد بعض الفوائد التي راجت بين الجانبين، خصوصا ما قيدته على حكم ابن عطاء(125) الله من ذلك، وسميته : فتح الباري بالمذاكرة مع العارف الزكاري(126).

ثم استدعيت من إدارة المخزن برباط الفتح للخدمة في نظارة أحباس فاس الجديد، فانتقلت إليها فأقمت بها نحو الأربعة أعوام.

السفر إلى الحجاز(127)

وفي عام 1334هـ عينت نائبا عن الحضرة الشريفة في السفر للحجاز لتهنئة الشريف حسين باستقلاله ملكا على ذلك القطر المقدس، وتأسيس معهد بالحرمين الشريفين. وفي ضمن ذلك انتهاز فرصة أدائي لفريضة الحج، فأديت المأمورية صحبة رئيس التشريفات المولوية السيد الحاج عبد القادر ابن غبريط، المنفرد من قبل الحكومة بالترؤس على سائر الوفد المغربي والجزائري والتونسي والسنغالي المتوجه لذلك، فمررت على مرسيليا، ثم لباريز ذهابا وإيابا، ونزلنا في الغد، وبتنا بمصر القاهرة، واجتمعت في هذه السفارة بجماعة من الأعلام، واستجزت منهم البعض، وأجزت البعض، وقد ألفت في هذه السفرة رحلتي المسماة (بالبعثة المكية)(128) وهي في جزئين.

---

(125) تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم، المعروف بابن عطاء الله الإسكندري، من أكابر أعلام الصوفية بمصر، أخذ عن الشيخ ياقوت العرشي، من مصنفاته : الحكم العطائية، في التصوف، وقد وقع عليها إقبال كبير من أهل العلم، وصنفت في شرحها عشرات التصانيف من قديم وحديث، ومن تآليفه كذلك : لطائف المنن في مناقب المرسي وأبي الحسن، وتاج العروس، ومفتاح الفلاح، ومصباح الأنوار، وكانت وفاته رحمه الله بالقاهرة عام 709هـ، أنظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 2 ص 20 رقم الترجمة 312، وفي الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ج 1 ص 273، وفي معجم المطبوعات لسركيس 184، وفي الرحلة العياشية ج 1 ص 357، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 221.

(126) فتح الباري بالمذاكرة مع العارف الزكاري، هو شرح على حكم ابن عطاء الله الإسكندري، ابتدأ في كتابته أيام إقامته بطنجة عام 1328هـ، لكنه لم يتمه لانشغاله عنه بتآليف أخرى، وهو في نحو الكراسة، وقف فيه عند قول ابن عطاء الله : ادفن وجودك في أرض الخمول، فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه.

(127) أنظر ج 1 ص 17 من هذا المجموع.

(128) أنظر ج 1 ص 93 من هذا المجموع.

الإنتقال إلى خطة القضاء

ثم انتقلت من النظارة إلى خطة القضاء بمدينة وجدة، فقضيت ثلاثة أعوام في تلك المدينة حتى مللت القضاء بها، حيث لم أجد بها معينا على تأييد الحق، مع برودة الهمم، وتكاسل الناس عن طلب العلم، وتقاعد جلهم عن العمل، فاستعفيت من هذه الخطة الحضرة الشريفة بواسطة وزير العدلية الشيخ أبي شعيب الدكالي(129)، وقدمت له قصيدة منها :

إن القضاء قضى علي بوجدة	يا ليت وجدة أو أنا لم توجد
قد ضاع علمي إن أطلت إقامتي	من بينهم فتلاف ذا التلف الردي

فسوعدت على ذلك، ففرحت كثيرا بذلك، غير أني لما رجعت إلى فاس أنكرت من نفسي ما أجده منها مدة إقامتي بها مع الناس، ولم أدر هل ذلك من اعتياد نفسي لفخفخة الكلمة التي كنت منتفخا بها كبرا، أو تغير الناس حين تغيرت الحالة بإعفائي عن تلك الخطة التي يعدونها آية كبرى، فكنت أرى من العيون إغضا، وكم أشبع عرضي ذوو الأغراض عضا، ولله الأمر من قبل ومن بعد. فعذرت بعض المستخدمين الذين هم في غنى عن الخدمات التي هم فيها منتصبون، وهم في مشقة الإستخدام ولا يستعفون، ويقول لي البعض منهم : نحن مستغنون عن الخدمة المخزنية، ولكن لابد لنا منها، لأن العامة لا يحترمون إلا من له كلمة، ولولا الكلمة التي فيهم لأهانهم الأقارب، فضلا عن الأباعد(130)، فعزمت على السفر من فاس بعد أن شرعت في التدريس في جامع القرويين مع الطلبة.

الرجوع إلى القضاء بعد الإستعفاء من قضاء وجدة

وفي أيام قريبة دعاني المخزن للمحكمة العليا بالأعتاب الشريفة، بصفة كوني عضوا بها، فانتقلت لرباط الفتح، وأقمت في تلك الخطة نحو العام ونصف(131)، فقضيت تلك المدة مستسلما للقضاء، ومعمرا للفضاء، بما كنت مشتغلا فيه باستخراج بعض مؤلفاتي من مبيضاتها. وقد ضربت صفحا عن تتبع جميع أحوالي، وطويت كشحا عن تفصيل ما أجملته بمقالي، مما يحتاج إلى مجلدات في بسطه، ويا ليت نفسي نظرت إلى ذلك بعين الإعتبار، فأبادر بالتوبة النصوح مع الإستغفار.

---

(129) سبق التعريف به في ج 1 ص 41 من هذا المجموع.

(130) وقفت في هذا الموضوع على رسالة بعثها العلامة سكيرج للفقيه سيدي الحاج عبد الكريم بنيس، يصف له فيها ما عاناه من إعراض الناس عنه بعد استقالته من خطة القضاء بوجدة، حتى ضاقت عليه نفسه وأحواله، ولم يجد رحمه الله مبررا لذلك سوى انكباب العامة على أصحاب الوظائف السامية دون غيرهم، ولحسن الحظ لم تتعد هذه المدة ثلاثة أشهر، حيث استدعي للعمل بمدينة الرباط كعضو بالمحكمة العليا.

(131) أنظر ج 1 ص 19 من هذا المجموع.

وقد أقمت في هذه الخدمة إلى أن دب في نفسي الملل منها، ومع ذلك خفت من الوقوع فيما كنت وقعت فيه أولا من نفور الأحباب الذين رجعوا إلى مودتي، بعد الرجوع لخدمتي، ثم يسر الله لي بانتقالي إلى خطة القضاء بثغر الجديدة، فاستوطنتها من أول شعبان عام 1342هـ، وإني لازلت بها إلى الآن، قائما بالمأمورية بقدر الإمكان، ومشتغلا بما أرجو من الله النفع به والإنتفاع في السر والإعلان، سائلا منه تعالى التوفيق لما فيه رضاه، مع طول العمر في طاعته بجاه من له الجاه، (ﷺ).

خاتمة متضمنة لقصيدة فيها مواعظ مفيدة

وكتبه عن عجل طالبا من المولى تعالى مجده ستر العيوب، وغفران الذنوب، عبده الذي لا يزال على فضل مولاه يعرج، أحمد سكيرج، أمنه الله في الدارين، آمين، في ثامن جمادى الأولى عام 1345هـ، ولما كتبت هذه الحديقة، ورأيت في الشهر قبل هذا أنه قد تم من عمري خمسون عاما قلت هنا مرتجلا :

هذه خمسون عاما ... كلها أضغاث أحلام
هي خمسون ولكن ... هي عندي خمس أيام
ضاع فيها العمر مني ... بين آلام وأسقام
نصفها لهو ونوم ... ثم نصف غير أوهام
ليت شعري أي شيء ... أرتجي في محو آثامي
وذنوبي في ازدياد ... بين إحجام وإقدام
لم أحصل من حياتي ... غير خمس الخمس النامي
وإذا حققت فيه ... كان بالتحقيق إعدامي
وأرى في الشر عمري ... قدره آلاف أعوام
وهو في الخير كلا شي ... ء مضى من غير إيهام
ها أنا ترجمت نفسي ... باختصار دون إبهام
ولقد أجملت فيها ... ناشرا في العلم أعلامي
وعلى الأنفاس مني ... شاهد قد قام قدامي
فهو يحصي كل شيء ... كان مني بين أقوامي
وسواء كنت وحدي ... أو مع الغير بإفحامي
رب وفقني لخير ... وأنلني خير إنعام
ليس لي من حسنات ... غير إيماني وإسلامي
وأنا مستشفع بالمصطفى ... ذي المنصب السامي
فعليه صلوات ... وسلام طول أيامي
وعلى الآل مع الأتباع في الحق بإتمام
والحمد لله رب العالمين

فهـرس الأعــلام

ب

ع

فهـرس المدن والأمكنة

فـهـرس الكتب

خ

د

ذ

ر

محتويات الجزء الأول من الكتاب